

سلسلة الصف

الفتوحات المكيّة

للسّيح الأكبر

محمد بن عمار محمد بن العرب الطاركانى

محبي الدين بن العرب

(الجزء الثاني، الأسفار (4-6))

تحقيق

عبد العزيز طاهر



عاصمة الثقافة الإسلامية
CAPITAL OF ISLAMIC CULTURE
وزارة الثقافة - الجمهورية اليمنية

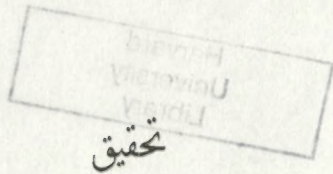
سلسلة الصفا

الفتوحات المكيّة

للشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي

(الجزء الثاني، الأسفار 4-6)



عبد الغرير سلطان المنصوب

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ 》	آيات قرآنية
« »	حديث شريف
()	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية*
س	نسخة السلجانية
هـ	نسخة القاهرة

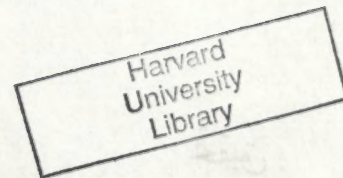
* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تنويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتمّ دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كمرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيّناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).

أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.



السفر الرابع من الفتوحات المكية²

وحيثما رغب في فتحه فليفتح

- ١) فتح مكة
- ٢) فتح المدينة
- ٣) فتح الطائف
- ٤) فتح جدة
- ٥) فتح مكة
- ٦) فتح مكة
- ٧) فتح مكة
- ٨) فتح مكة
- ٩) فتح مكة
- ١٠) فتح مكة

وحيثما رغب في فتحه فليفتح

وحيثما رغب في فتحه فليفتح

وحيثما رغب في فتحه فليفتح
وحيثما رغب في فتحه فليفتح
وحيثما رغب في فتحه فليفتح
وحيثما رغب في فتحه فليفتح
وحيثما رغب في فتحه فليفتح
وحيثما رغب في فتحه فليفتح
وحيثما رغب في فتحه فليفتح
وحيثما رغب في فتحه فليفتح
وحيثما رغب في فتحه فليفتح
وحيثما رغب في فتحه فليفتح

1 ق: الثالث والعشرون.

2 العنوان ص 1ب. ويليه بقلم الأصل: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن العربي الطائي". يليه بقلم آخر: "رواية مالك هذه المجلة محمد بن إسحق القنوي عنه". يليه بقلم آخر: "وقف هذا الكتاب مع سائر تآملات صاحب الشيخ الإمام العالم الراشد صدر الدين أبو المعالي محمد بن إسحق بن محمد رضي الله عنه وعن سلفه على البار الكتب المنشأة عند قبره ليتفتح به سائر المسلمين هناك خاصة، وشرط أن لا يخرج منها برهن ولا غيره. تقبل الله منه وأثابه الجنة بمقتضى فضله". يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1746 وطابع دمغة برقم 1848، وإشارة إلى عدد أوراق السفر: 318 صحيفة

تمت كتابات لحياتنا في هذا القصر

هذا الكتاب هو من كتبنا في هذا القصر...
في سنة ١٢٨١ هـ...
في شهر ربيع الثاني...
في يوم الاثنين...
في الساعة السادسة...
في القصر...

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
السلام على السبعون

وما كان معروفا منزل القبط
والامام من النبايات المحمدية
منزله العقب والامامه منزله ما لهما
ملكهما واحد فعال عرفه النبي والافان
يعلمه ما لونه اصفرا في ايمن الخرمه
خفيه ما لونه ابيض في الله
توجه الله بالعباد في عالم الامر
اعلم اوله الله بروح منه
اربع مئة من المنزل من الانبياء صلوات الله عليهم اربعه
محمد وارهم واسما على وانفق عليهم السلام ومن الاولين
اسماء واما الحسن والحسين سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم وان كان لغيرهما ولا لغيرهم من شرب
معلوم على يد من تبينه من الامامه
ما علم ان الاقطاب والاصا لمزاد اسمها معلومه
لا يعرفون هذا الامام ليعودوا الى الاسم الذي يتولاهم

HARVARD COLLEGE LIBRARY

في منزلة ما اهل الجنة في العباد واهل النار في العناب
 وكما في ذلك الماد من زيادة جبر النور وارض النور وارض
 نظام النور في نوره من النور الطاهر اهل النار ما اهل
 اهل الجنة من زيادة جبر النور وهو حلال في ما هو من غير
 الحياة المناسبة للجنة والبشرية الارض وهو من الجنة
 والحياة طارة رعية والحركة في الارض من النور العبر عنه
 بالروح الحيواني الذي به حياة البدن هو سطره اهل الجنة
 بعد الحياة عليهم واما النور في جسم الحيوان فهو بيت
 الاوساخ فان فيه تجمع اوساخ البدن وهو ما يعينه البشير
 من النور القاسم في اهل النار اخلونه وهو من النور والنور
 من النور في طبعه البصر والبصر وحده على صورة الحاموس
 والنور في النور في اهل النار اشر من سيرة في اهل النور
 من النور في اهل النار واما من اوساخ البدن ومن
 النور القاسم في اهل الجنة ولا ينعون في نورهم اكله سقما
 وارض ما من اهل الجنة الجنة ما من منها يخرج من الله هول
 الخ وهو من السمل
 النور السمر في ارجل الله في الجسر

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم
 الباء

الحادي والاربعون في معرفة
 اهل النور والنبلاء كقبتهم
 وتباينهم في مراتبهم واسرار

افكارهم

الا ان اهل الليل اهل تنزل

واهل نهارهم واهل تنزل

فمرضا عنو المقام بآية

ومن نازل بيني اللوحين يا سفل

ملك النور والترك بهما عن

وهو الذي في النور في منزل

فان ولد فيهم اسم خير عصبه

صرفت فقد حلوا باخر منزل

وار ولد فيهم انهم شرفيتية

صرفت فليسوا بالنبى ولا الولي

منهم لاهم لسواهم وفيهم

ولا اسم في منزل شرف

الصفحة الثانية من مخطوط قونية

فيا يسألونه، من قبول توبة وإجابة دعوة ومغفرة حوبة، وغير ذلك، فنوم الناس راحة لهم.

وإن الله تعالى - ينزل إليهم بالليل إلى السماء الدنيا، فلا يبقى بينه وبينهم حجاب فلكي. ونزوله إليهم رحمة بهم، ويتجلى من سماء الدنيا عليهم، كما ورد في الخبر فيقول: «كذب من ادعى محبتي فإذا جئته الليل نام عني. أليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه، ها أنا ذا قد تجليت لعبادي: هل من داع فاستجيب له، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له»، حتى ينصدع الفجر.

فأهل الليل هم الفائزون بهذه الخطوة في هذه الخلوة، وهذه المسامرة، في محاريبهم. فهم قائمون يتلون كلامه، ويفتحون أسماعهم لما يقول لهم في كلامه. إذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يصغون، ويقولون: نحن الناس، ما تريد منا يا ربنا - في ندائك هذا؟ فيقول لهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ بتلاوتهم كلامه الذي أنزله: ﴿إِنَّ زُلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾¹.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يقولون: لبيك ربنا. يقول لهم: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾³ فيقولون: يا ربنا؛ خاطبتنا فسمعنا وفهمنا ففهمنا، فيا ربنا؛ وفقنا واستعملنا فيما طلبته منا من عبادتك وتقواك؛ إذ لا حول لنا وقوة إلا بك، ومن نحن حتى تنزل إلينا من علو جلالك، وتنادينا وتسالنا وتطلب منا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يقولون: لبيك؛ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾⁴ فيقولون: يا ربنا؛ أسمعنا فسمعنا، وأعلمتنا فعلمنا، فاعصمنا وتعطف علينا. فالمنصور من نصرته، والمؤيد من أيده، والمخذول من خذلته.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ فيقول الإنسان منهم: لبيك يا رب؛ ﴿مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾⁵ فيقول: كرمك يا رب؛ فيقول: صدقت.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيقولون: لبيك ربنا؛ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾⁶ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾⁷

- 1 [الحج: 1]
- 2 ص 3ب
- 3 [البقرة: 21، 22]
- 4 [لقمان: 33]
- 5 [الأنعام: 6]
- 6 [آل عمران: 102]
- 7 [الأحزاب: 70]

يقولون: وأي قول لنا إلا ما تقولنا، وهل لخلق حول أو قوة إلا بك؟ فاجعل نطقنا ذكرك وقولنا تلاوة كتابك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيقولون: لبيك ربنا. فيقول تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾¹ فيقولون: ربنا، أغرينا بأنفسنا، لما جعلتها محلاً لإيمانك، فقلت: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾² وقلت: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾³ والآيات ليست مطلوبة إلا لما تدل عليه، وأنت مدلولها، فكأنك تقول في قولك: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾⁴ أي الزمونا وثابروا علينا، وألظوا بنا. ثم قلت: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾⁵ أي حار وتلف، حين طلبنا بفكره، فأراد أن يدخلنا تحت حكم نظره وعقله ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ بما عرفتمكم به مني في كتابي، وعلى لسان رسولي، فعرفتموني بما وصفت لكم به نفسي، فما عرفتموني إلا بي، فلم تضلوا، فكانت لكم هدايتي وتقريبي نورا تمشون به على صراطنا المستقيم. فلا يزال دأب أهل الليل هكذا مع الله، في كل آية يقرؤونها في صلاتهم، وفي كل ذكر يذكرونه به، حتى ينصدع الفجر.

قال محمد بن عبد الجبار النُّفَرِيُّ⁷، وكان من أهل الليل: أوقفني الحق في موقف العلم؛ وذكر الله ما قال له الحق في موقفه ذلك، فكان من جملة ما قال له في ذلك الموقف: يا عبدي؛ الليل لي لا للقرآن يتلى، الليل لي لا للمحمدة والثناء.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾⁸ فاجعل الليل لي كما هو لي، فإن في الليل نزولي. فلا أراك في النهار في معاشك، فإذا جاء الليل؛ وطلبتك ونزلت إليك، وجدتك نائماً في راحتك، وفي عالم حياتك. وما ثم إلا ليل ونهار. فلا في النهار وجدتك، وقد جعلته لك، ولم أنزل فيه إليك، وسلمته لك. وجعلت الليل لي، فنزلت إليك فيه لأناجيك وأسامرك⁹، وأقضي- حوائجك، فوجدتك قد نمت عني، وأسأت الأدب معي، مع دعواك في محبتي وإيثار جنابي. فقم بين يدي وسلني حتى أعطيك مسألتك.

- 1 [المائدة: 105]
- 2 [الناريات: 21]
- 3 [فصلت: 53]
- 4 ص 4
- 5 [المائدة: 105]
- 6 [المائدة: 105]
- 7 النُّفَرِيُّ: (ص 354 - 965 م) محمد بن عبد الجبار بن الحسن النُّفَرِيُّ، أبو عبد الله: عالم بالدين، متصوف. نسبته إلى بلدة (نفر) بين الكوفة والبصرة. من كتبه (المواقف - ط) و (المخاطبات - ط) كلاهما في التصوف (2). (الأعلام للزركلي - (6 / 184))
- 8 [الزمر: 7]
- 9 ص 4ب

وما طلبتك لتتلو القرآن، فتتق مع معانيه، فإن معانيه تُفَرِّق عني. فآية تمشي- بك في جنتي، وما أعددت لأوليائي فيها. فأين أنا إذا كنت أنت في جنتي مع الحور المتصورات في الخيام، كأنهن الياقوت والمرجان، ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾¹ تسقى ﴿مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾² ﴿مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾³.

وآية توقفك مع ملائكتي وهم يدخلون عليك من كل باب: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُثْبَى الدَّارِ﴾⁴.

وآية تستشرف بك على جهنم، فتعاني ما أعددت فيها لمن عصاني وأشرك بي، من ﴿سَمُومٍ وَحَمِيمٍ. وَظُلٍّ مِنْ حُمُومٍ. لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾⁵ وترى الحطمة ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ. نَارَ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأُفُقِ. إِنِّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾⁶ أي مسلطة ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾⁷.

أين أنا يا عبدي- إذا تلوت هذه الآية، وأنت بخاطرك وهمتك في الجنة تارة، وفي جهنم تارة، ثم تتلو آية، فتمشي بك في القارة ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ. يَوْمَ يَكُونُ فِيهِ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾⁸، يوم ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ⁹ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾¹⁰ وترى في ذلك اليوم من هذه الآية: ﴿يَغْفِرُ الْمَرْءَ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾¹¹ وترى العرش في ذلك اليوم تحمله ثمانية أملاك، وفي ذلك اليوم تعرضون، فأين أنا والليل لي؟.

فهذا يا عبدي؛ في النهار معاشك، وفي الليل فيما تعطيه تلاوتك من جنة ونار وعرض. فأنت بين آخرة ودنيا وبرزخ، فما تركت لي وقتا تخلو بي فيه لا لنفسك بل لي؟ الليل لي يا عبدي- لا للمحمدة والثناء. تتلوا آية أولئك ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾¹² فتشاهدكم في تلاوتك، وتفكر في مقاماتهم وأحوالهم، وما أعطيت ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ

1 [الرحمن : 54]

2 [المطففين : 25]

3 [المطففين : 27]

4 [الرعد : 24]

5 [الواقعة : 42 - 44]

6 [الهمزة : 5 - 8]

7 [الهمزة : 9]

8 [القارة : 3 - 5]

9 ص 5

10 [الحج : 2]

11 [عبس : 34 - 37]

12 [النساء : 69]

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾¹. فوقفت بالثناء والحمدة مع كل طائفة أثبت عليهم في كتابي، فأين أنا وأين خلوتك بي؟.

ما عرفني ولا عرف مقدار قولي: "الليل لي" وما عرف لماذا نزلت إليك بالليل، إلا العارف الحق، الذي لقيه بعض إخوانه، فقال له: يا أخي؛ اذكرني في خلوتك بربك. فأجابه ذلك² العبد. فقال: إذا ذكرتك فلست معي في خلوة. فمثل ذلك عرف قدر نزولي إلى السماء الدنيا بالليل، ولماذا نزلت ولمن طلبت. فأنا أتلو كتابي عليه بلسانه، وهو يسمع. فتلك مسامرتي، وذلك العبد هو الملتذ بكلامي، فإذا وقف مع معانيه، فقد خرج عني بفكره وتأمله.

فالذي ينبغي له: أن يصغي إلي، ويخلي سمعه لكلامي، حتى أكون أنا في تلك التلاوة كما تلوث عليه وأسمعه- أكون أنا الذي أشرح له كلامي، وأترجم له عن معناه. فتلك مسامرتي معه. فيأخذ العلم مني لا من فكره واعتباره.

فلا يبالي بذكر جنة ولا نار، ولا حساب ولا عرض، ولا دنيا ولا آخرة، فإنه ما نظرها بعقله، ولا بحث عن الآية بفكره، وإنما ألقى السمع لما أقوله له وهو شهيد: حاضر معي، أتولى تعليمه بنفسه فأقول له: يا عبدي؛ أردت بهذه الآية كذا وكذا، وهذه الآية الأخرى كذا وكذا، هكذا إلى أن ينصدع الفجر. فيحصل من العلوم على يقين ما لم يكن عنده، فإنه مني سمع القرآن، ومني سمع شرحه وتفسير معانيه، وما أردت بذلك الكلام، وبتلك الآية والسورة. فيكون حسن الأدب معي في استماعه وإصاخته.

فإن طالبته بالمسامرة في ذلك، فيجيني بحضور ومشاهدة؛ يعرض علي جميع ما كلمته به، وعلمته إياه. فإن كان أخذه على الاستيفاء وإلا فنجر له ما نقصه³ من ذلك، فيكون لي؛ لا له ولا مخلوق.

فمثل هذا العبد هو لي، والليل بيني وبينه. فإذا انصدع الفجر استويت على عرشي، أدبر الأمر أفصل الآيات، ويمشي عبدي إلى معاشه، وإلى محادثة إخوانه، وقد فتحت بيني وبينه، بابا في خلقي، ينظر إلي منه، وأنظر إليه منه، والخلق لا يشعرون؛ فأحدثه على ألسنتهم، وهم لا يعرفون، ويأخذ مني على بصيرة وهم لا يعلمون؛ فيحسبون أنه يكلمهم وما يكلم سواي، ويظنون أنه يجيبهم وما يجيب إلا إياي، كما قال بعض أصحاب هذه الصفة:

يَا مُؤْنِسِي بِاللَّيْلِ إِنَّ هَجَعَ الْوَرَى وَمُحَدِّثِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِنَهَارِي

وإذا قد أبنت لك عن أهل الليل؛ كيف ينبغي أن يكونوا في ليلهم. فإن كنت منهم فقد علمت الأدب

1 [الأحزاب : 35]

2 ص 5

3 ص 6

الخاص بأهل الله، وكيف ينبغي لهم أن يكونوا مع الله. واعلم أنه تختلف طبقاتهم في ذلك: فالزاهد حاله مع الله في ليله من مقام زهده، والمتوكل، حاله مع الله من مقام توكله، وكذلك صاحب كل مقام، ولكل مقام لسان، هو الترجمان الإلهي. فهم متباينون في المراتب بحسب الأحوال والمقامات. وأقطاب أهل الليل هم أصحاب المعاني المجردة عن المواد المحسوسة والخيالية؛ فهم واقفون مع الحق بالحق على¹ الحق، من غير حد ولا نهاية، ووجود ضد.

ومن أهل الليل من يكون صاحب عروج وارتقاء ودنو، فيتلقاه الحق في الطريق، وهو نازل إلى السماء الدنيا، فيتدلى إليه فيضع كفه عليه. وكل همة من كل صاحب معراج، يتلقاها الحق في ذلك النزول حيث وجدها. فمن الحمم من يلقاها الحق في السماء الدنيا، ومنها من يلقاها في الثانية وفيما بينهما، وفي الثالثة وفيما بينهما، وفي الرابعة وفيما بينهما، وفي الخامسة وفيما بينهما، وفي السادسة وفيما بينهما، وفي السابعة وفيما بينهما، وفي الكرسي وفيما بينهما، وفي العرش في أول النزول وفيما بينهما؛ وهو مستوى الرحمن؛ فيعطي لتلك الهمة من المعاني والمعارف والأسرار، بحسب المنزل الذي لقيته فيه، ثم تنزل معه إلى السماء الدنيا.

فتقف الحمم بين يديه، ويستشرف الحق على من بقي من الحمم، من أهل الليل في محاريبهم؛ ما عرجت، فيلتي إليهم الحق تعالى - بحسب ما يسألونه في صلاتهم ودعائهم، وهم في بيوتهم وفي محاريبهم، فتسمع تلك الحمم، التي لقيته في طريقها، ما يكون منه ^{حجلاً} إلى أولئك العبيد، فيستفيدون علوماً لم تكن عندهم. فإنه قد يخطر لهؤلاء الذين ما سعدت همهم من السؤال للحق في المعارف والأسرار، ما لم يكن في قوة هذه² الحمم أن تسألها، لتصورها عنها. فإذا سمعوا الجواب من الحق الذي يجيب به أولئك القوم الذين في محاريبهم، وما اخترقت همهم ساء ولا فلماً، فيحصل لهم من العلم بالله بقدر ما سأل عنه أولئك الأقوام.

وهم آخر، ارتقت فوق العرش إلى مرتبة النفس، فقد تجد الحق هناك وجود تنزيه، ما هو وجودها له مثل وجودها له في عالم المساحة والمقدار؛ فيشاهدون مقاماً أنزه، ومنزلاً أقدس، وبيئته لا يحدها التقدير، ولا يأخذها التصوير. فيبينها بيئته تمييز علوم ومراتب فهوم.

ومن الحمم من يلقاها في العقل الأول، ومن الحمم من تلقاه في المقرين من الأرواح المهيممة، ومن الحمم من تلقاه في العماء، ومن الحمم من تلقاه في الأرض المخلوقة من بنية طينة آدم ^{عليه السلام} فإذا لقيته هذه الحمم في هذه المراتب؛ أعطاه على قدر تعطشها، من المقام الذي بعثها على الترقى إلى هذه المراتب، وينزلون معه

إلى السماء الدنيا. وعلى الحقيقة هو ينزل إلى السماء الدنيا، وينزل معهم. فيستفيدون من العلوم التي يهبها الحق لتلك الحمم، التي ما تعدت العرش. هكذا كل ليلة.

ثم تنزل هذه¹ الحمم، وقد عرفت ما أكرمها به الحق، فاجتمعت بالحمم التي ما برحت من مكانها، فوجدتهن على طبقات: فمنهم² من وجد عندهم من العلوم التي لم تتقيد بترق، وكان الحق أقرب إليها من جبل الوريد، حين كان مع أولئك في العماء وفي السماء الدنيا وما بينهما، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾³ فهو مع كل همة حيث كانت. ويجدون همما أرضية قد تقدست عن الأيئية، وعن مراتب العقول، فلم تتقيد بحضرة، فتنال من العلوم التي تليق بهذه الصفة التي وهبهم الحق منها، ما حصلوا عليه من المعارف، ما يهب أولئك الحمم، وهي من علوم الإطلاق، الخارجة عن الحصر الأيئي الفلكي، وعن الحصر الروحاني العقلي. فهم مع كونهم في ظلمة الطبيعة، على نور أضاءت به تلك الظلمة، لوجود المشاهدة.

وهؤلاء هم الذين يعرفون أن إدراك الأشياء المرئية، إنما هو من اجتاع نور البصر - مع نور الجسم المستنير، شمساً كان أو سراجاً أو ما كان، فتظهر المبصرات. فلو فقد الجسم المستنير ما ظهر شيء، ولو فقد البصر ما أضاء شيء مما يدركه البصر مع النور الخارج أصلاً.

ألا ترى صاحب الكشف، إذا أظلم الليل، وانغلق عليه باب بيته، ويكون معه في تلك الظلمة شخص آخر، وقد تساوى في عدم الكشف للمبصرات، فيكون أحدهم ممن يكشف له في أوقات؛ فيتجلى له⁴ نور، يجمع ذلك النور مع نور البصر، فيدرك ما في ذلك البيت المظلم، بما أراد الله أن يكشف له منه، كله أو بعضه، يراه مثل ما يراه بالنهار أو بالسراج، ورفيقه الذي هو معه لا يرى إلا الظلمة، غير ذلك لا يراه؟ فإن ذلك النور ما تجلى له، حتى يجمع بنور بصره، فينقر حجاب الظلمة.

فلو لم يكن الأمر كما ذكرناه، لكان صاحب هذا الكشف مثل صاحبه لا يدرك شيئاً، أو يكون رفيقه مثله يدرك الأشياء، فيكون إما من أهل الكشف مثله، أو يدركه بنور العلم. فإن المكاشف يدركه بنور الخيال - كما يدركه النائم - ورفيقه إلى جانبه مستيقظ لا يرى شيئاً. كذلك صاحب الكشف. ولو سألت صاحب الكشف: هل ترى ظلمة في حال كشفك؟ لقال: لا، بل يقول أنارت البقعة، حتى قلت إن الشمس ما غابت، فأدركت المبصرات كما أدركها نهاراً.

وهذه المسألة؛ ما رأيت أحداً تبته عليها، إلا إن كان وما وصل إلي. فالكون كله في أصله مظلم، فلا

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 7

3 [الحديد: 4]

4 ص 8

يُرى إلا بالنورين، فإنه يحدث هذا الأمر.

ونظيره الذي يؤيده؛ إيجاد العالم. فإنه من حيث ذاته عدم، ولا يكتسب الوجود إلا من كونه قابلا - وذلك لإمكانه- واقتدار الحق الخصص المرجح وجوده على عدمه. فلو¹ زال القبول من الممكن، لكان كالحال لا يقبل الإيجاد. وقد اشترك الحال والممكن قبل الترجيح بالوجود، في العدم. كما أنه مع قبوله، لو لم يكن اقتدار الحق، ما وجد عين هذا المعدوم، الذي هو الممكن. فلم تظهر الأعيان المعدومة بالوجود إلا بكونها قابلة: وهو مثل نور البصر. وكون الحق قادرا، وهو مثل نور الجسم النير.

فظهرت الأعيان كما ظهرت المبصرات بالنورين. فكما أن الممكن لا يزال قابلا، والحق مقتدرا ومريدا، فينحفظ على الممكن إبقاء الوجود. إذ له من ذاته العدم. كذلك الباصر؛ لا يزال نور بصره في بصره، و(لا تزال) الشمس متجلية في نورها، فتحفظ الإبصار المتعلق بالمبصرات، وهي من ذاتها أعني المبصرات- غير منورة، بل هي مظلمة. فاعقل إن كنت تعقل؛ فهذا الأمر أصل ضلال العقلاء، وهم لا يشعرون، لما لم يعقلوه. وهو سر من أسرار الله تعالى، حمله أهل النظر.

ومن هذه المسألة يتبين لك قدم الحق وحدث الخلق، لكن على غير الوجه الذي يعقله أهل الكلام، وعلى غير الوجه الذي تعقله الحكماء بالقلب لا بالحقيقة؛ فإن الحكماء على الحقيقة هم أهل الله: الرسل والأنبياء والأولياء. إلا أن الحكماء بالقلب: أقرب إلى العلم من غيرهم، حيث لم يعقلوا² الله إلا إلهها. وأهل الكلام من النظائر ليسوا³ كذلك.

فأقطاب أهل الليل؛ من يكون الليل في حقهم كانهار، كشفا وشغلا. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُوتُونَ عَلَيْهِمْ مُمْسِكِينَ. وَاللَّيْلُ أَفْلَا تَعْقِلُونَ﴾⁴ أي تعلمون منهم في الصباح، ما تعلمون منهم في الليل. إذ كان ليلا عند غيرهم، ممن ليس له مقام انكشف بالليل، كما لصاحب النور؛ فالليل والصباح عنده سواء. فهذا معنى قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. فإن ادعت لك نفسك أنك من أهل الليل؛ فانظر هل لها قدم وكشف فيما ذكرت لك، فهو المحك والمعيار. ولكل ليل في القرآن، أمور وعلوم لا يعرفها إلا أهل الليل خاصة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 8

2 ص 9

3 ق: ليس.

4 [الصفات : 137، 138]

5 [الأحزاب : 4]

الباب الثاني والأربعون

في معرفة الفتوة والفتيان،

ومنازلهم وطبقاتهم، وأسرار أقطابهم

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَا مَلَالَةَ عِنْدَهُمْ لَهُمْ قَدَمٌ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَمَكْرَمَةٌ
مُقَسَّمَةً أَحْوَالُهُمْ فِي جَلِيسِهِمْ فَهُمْ بَيْنَ تَوْقِيرٍ لِقَوْمٍ وَمَرْحَمَةٍ
وَإِنْ¹ جَاءَ كَفُّوا آثَرُوهُ بِرَّهِمْ وَلَا تَلْحَقُ الْفَتَيَانُ فِي ذَلِكَ مَثَدَمَةٌ
لَهُمْ مِنْ خَفَايَا² الْعِلْمِ كُلِّ شَعِيرَةٍ وَمَا هُوَ مَوْسُومٌ لَدَيْهِمْ بِسَمِيسَةٍ
كَتَجَلٍ قَسِيٍّ وَالَّذِي كَانَ قَبْلَهُ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِمَّنْ اللَّهُ أَغْلَمَهُ
بِذَلِكَ حَازُوا السَّبْقَ فِي كُلِّ حَلَبَةٍ فَلَيْسَ يَجِيئُونَ السَّفِيَةَ بِلَفْظٍ مَهْ
بِمَيْمَنَةٍ خُصُوا تَعَالَى مَقَامُهَا وَلَيْسَ لَهَا ضِدٌّ يُسَمَّى بِمَشَامَةٍ
فَكَيْتَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ كَرِيمَةٌ وَإِنْ كَرِهَ الْقَوْمُ مَنْ كَانَ أَكْرَمَهُ
إِذَا خَلَعَ الْمَوْلَى عَلَى أَهْلِهِ تَرَى مَلَابِسَهُمْ بَيْنَ الْمَلَابِسِ مُعْلَمَةٌ

اعلم أن للفتوة مقام القوة، وما خلق الله من الطبيعة أقوى من الهواء. وخلق الإنسان أقوى من الهواء إذا كان مؤمنا، كذا ورد في الخبر النبوي عن الله تعالى- مع الملائكة، «لَمَّا³ خلق الأرض وجعلت تيمد»، الحديث بكلامه وفي آخره: «يا رب؛ فهل خلقت شيئا أشد من الريح؟ قال: نعم؛ المؤمن يتصدق بيمينه ما تعرف بذلك شاله».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁴ فنعت الرزاق بالقوة، لوجود الكفران بالمنعم من المرزوقين. فهو يرزقهم مع كفرهم به، ولا يمنع عنهم الرزق والإنعام والإحسان بكفرهم، مع أن الكفر بالتعم سبب مانع، يمنع النعمة. فلا يرزق الكافر مع وجود الكفر منه لما رزقه، إلا من له القوة. فلهذا نعت به "ذي القوة المتين" فإن المتانة في القوة تضاعفها، فما اكتفى سبحانه- بالقوة، حتى وصف نفسه بأنه المتين فيها. إذ كانت القوة لها طبقات في التمكن من القوي، فوصف نفسه بالمتانة، وهذه صفة أهل الفتوة.

1 ص 9

2 أضاف في الهامش: خفي، مع إبقاء خفايا في ق وإشارة التصويب عليها.

3 ص 10

4 [الناربات : 58]

5 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

فإن الفتوة ليس فيها شيء من الضعف؛ إذ هي حالة بين الطفولة والكهولة؛ وهو عمر الإنسان من زمان بلوغه إلى تمام الأربعين من ولادته، يقول الله -تعالى- في هذا المقام: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾¹ وذلك حال الفتوة، وفيها يستوى فتى. وما قرن معها شيئاً من الضعف، ثم قال: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾² يعني ضعف الكهولة إلى آخر العمر، ﴿وَشَيْبَةً﴾³ يعني وقاراً، أي سكونا، لضعفه عن الحركة. فإن الوقار من الوقور وهو الثقل. فقرن مع هذا الضعف الثاني، الشيبة التي هي الوقار. فإن الطفل وإن كان ضعيفاً، فإنه متحرك جداً. واختلف في حركته؛ هل هي من الطبيعة أو من الروح؟ روي أن إبراهيم عليه السلام لما رأى الشيب قال: "يا رب؛ ما هذا؟" قال: "الوقار" قال: "اللهم زدني وقاراً".

فهذا حال الفتوة ومقامها، وأصحابها يُسمون الفتيان. وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق أجمعها. ولا يتمكن لأحد أن يكون حاله مكارم الأخلاق، ما لم يعلم الحال التي يصرفها فيها، ويظهر بها. فالفتيان أهل علم وافر. وقد أوردنا لها باباً في داخل هذا الكتاب، حين تكلمنا على المقامات والأحوال. فمن ادعى الفتوة، وليس عنده علم بما ذكرناه، فدعواه كاذبة. وهو سريع الفضيحة. فلا ينبغي أن يستوى فتى، إلا من علم مقادير الأكوان، ومقدار الحضرة الإلهية. فيعامل كل موجود على قدره من المعاملة، ويقدم من ينبغي أن يقدم، ويؤخر ما ينبغي أن يؤخر.

وتفصيل هذا المقام، وحكم الطاقة فيه، استوفينا في رسالة "الأخلاق" التي كتبنا بها للفخر محمد بن عمر بن خطيب الري رحمه الله - فلنذكر منها في هذا الباب الأصل الذي ينبغي أن يعول عليه. وذلك أنه ليس في وسع الإنسان أن يسع العالم بمكارم أخلاقه، إذ كان العالم كله واقفاً مع غرضه أو إرادته، لا مع ما ينبغي. فلما اختلفت الأغراض والإرادات، وطلب كل صاحب غرض أو إرادة، من الفتى أن يعامله بحسب غرضه وإرادته، والأغراض متضادة، فيكون غرض زيد في عمرو أن يعادي خالداً؛ ويكون غرض خالد في عمرو أن يعادي زيدا⁷، أو غرضه أن يواليه ويحبّه ويودّه. فإن تفتى مع زيد⁸ عادي خالداً، وذمه خالد، وأثنى عليه زيد بالفتوة وكرم الخلق. وإن لم يعاد خالداً ووالاه وأحبّه، أثنى عليه خالد وذمه زيد.

1 [الروم : 54]

2 [الروم : 54]

3 ص 10 ب

4 من سنن فقط

5 "محمد بن" تاجية في الهامش بخط آخر، وهي تاجية في س، هـ.

6 ص 11

7 "عمرو أن يعادي زيدا" هي في الأصل: "زيد أن يعادي عمرو"

8 في: عمرو

فلما رأينا أن الأمر على هذا الحد، وأنه لا يعم ولم يتمكن عقلاً ولا عادة، أن يقوم الإنسان في هذه الدنيا أو حيث كان، في مقام يرضي المتضادين، انبغى للفتى أن يترك هوى نفسه، ويرجع إلى خالقه الذي هو مولاه وسيده، ويقول: أنا عبد، وينبغي للعبد أن يكون بحكم سيده، لا بحكم نفسه، ولا بحكم غير سيده؛ يتبع مرضيه، ويقف عند حدوده ومراسمه، ولا يكن ممن جعل مع سيده شريكاً في عبوديته، فيكون مع سيده بحسب ما يحذّ له، ويتصرف فيما يرسم له، ولا يبالي: وافق أغراض العالم أو خالفهم، فإن وافق ما¹ وافق منها، فذلك راجع إلى سيده.

فخرج له توقيع من ديوان سيده، على يدي رسول قام الدليل له والعلم، بأنه خرج إليه من عند سيده، وأن ذلك التوقيع توقيع سيده، فقام له إجلالا، وأخذ توقيع سيده، ومع التوقيع مشافهة؛ فشافه العبيد بما أمره السيد أن يشافهم به. وذلك هو الشرع المقرر. والتوقيع هو الكتاب المنزل، المسنن قرآناً. والرسول هو جبريل عليه السلام. وحاجب الباب، الذي يصل إليه الرسول المكي من عند الله بالتوقيع والمشافهة، هو النبي المبشر - محمد ﷺ أو أي نبي كان من الأنبياء في زمان بعثتهم. فلزم العبيد مراسم سيدهم، التي ضمنها توقيعهم، والتي جاءت بها المشافهة، فلم يكن لهم في نفوسهم ملك ولا تدبير.

فمن وقف عند حدود سيده وامتنثل مراسمه، ولم يخالفه في شيء مما جاءه به، على حد ما رسم له من غير زيادة بقياس أو رأي، ولا نقصان بتأويل - فعامل جنسه من الناس بما أمر أن يعاملهم به، من مؤمن وكافر وعاص ومنافق. وما ثم إلا هؤلاء الأصناف الأربعة. وكل صنف من هؤلاء على طبقات: فالمؤمن منه طائع وعاص، وولي ونبي ورسول ومالك وحيوان ونبات ومعدن. والكافر منه مشرك وغير مشرك. والمنافق منه ينقص² في الظاهر عن ذكرك الكافر، فإن المنافق له الذك الأسفل من النار، والكافر له الأعلى والأسفل، وأما العاصي فينقص في الظاهر عن درجة المؤمن المطيع بقدر معصيته. فهذا الواقف عند مراسم سيده هو الفتى.

فكل إنسان لا بد أن يكون جليسا، لا كبر منه أو أصغر منه أو مكافئا له؛ إما في السن وإما في الرتبة أو فيها. فالفتى من وقّر الكبير في العلم أو في السن، والفتى من رحم الصغير في العلم أو في السن، والفتى من آثر المكافئ في السن أو في العلم.

ولست أعني بقولي: "في العلم" إلا المرتبة خاصة. فأنتينا بالعلم لشرفه، فإن المالك قد يكون صغيراً في السن، صغيراً في العلم، ويكون شخص من رعيته كبيراً في السن كبيراً في العلم. فإن عرف المالك قدر ما

1 ص 11 ب

2 ص 12

رسم له الحق في شرعه، من توقيير الكبير وشرف العلم، عامله المليك بذلك، وإن لم يفعل فيكون المليك سيء الملكة.

فينبغي للفتى أن يعرف شرف المرتبة، التي هي السلطنة. وأنه نائب الله في عبادته وخليفته في بلاده. فيعامل من أقامه الله فيها، وإن لم يُجرِ الحق على يديه بما ينبغي للمرتبة، من السمع والطاعة في المنشط والمكروه، على حد ما رسم له سيده، وما هو عليه، مما أقام الله ذلك السلطان فيه، من الأخلاق المحمودة أو المذمومة، في الجور والعدل. فينبغي² للفتى أن يوفّي للسلطان حقه الذي أوجبه الله له عليه، ولا يطلب منه حقه الذي جعله الله له قبل السلطان، بما له أن يسامحه فيه إن منعه منه، فتوة عليه ورحمة به وتعظيما لمزنته؛ إذ كان له أن يطلبه به يوم القيامة.

فالفتى من لا خصم له، لأنه فيما عليه يؤديه، وفيما له يتركه؛ فليس له خصم. والفتى من لا تصدر منه حركة عبثا جملة واحدة، ومعنى هذا أن الله - تعالى - سمعه يقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾³ وهذه الحركة الصادرة من الفتى مما بينهما، وكذلك حركة كل متحرك خلقه الله بين السماء والأرض فما هي عبث، فإن الخالق حكيم. فالفتى من يتحرك أو يسكن لحكمة في نفسه. ومن كان هذا حاله في حركته، فلا تكون حركته عبثا؛ لا في يده، ولا في رجله، ولا شتمه، ولا أكله، ولا لمسه، ولا سمعه، ولا بصره، ولا باطنه؛ فيعلم كل نفس فيه، وما ينبغي له، وما حكم سيده فيه. ومثل هذا لا يكون عبثا. وإذا كانت الحركة من غيره فلا ينظرها عبثا، فإن الله خلقها أي قدرها، وإذا قدرها فما تكون عبثا ولا باطلا؛ فيكون حاضرا مع هذا عند وقوعها في العالم. فإن فتح له بالعلم في الحكمة فيها، ففتح على بخ، وهو صاحب عناية. وإن لم يفتح له في العلم بالحكمة فيها، فيكفيه حضوره⁴ في نفسه أنها حركة مقدرة، منسوبة إلى الله، وأن لله فيها سرا يعلمه الله، فيؤديه هذا القدر من العلم، إلى الأدب الإلهي.

وهذا لا يكون إلا للفتيان، أصحاب القوة، الحاكين على طبائع النفوس والعادات. ولا يكون في هذا المقام من هذه الطاقة إلا الملامية؛ فإن الله قد ولاهم على نفوسهم، وأيدهم بروح منه عليها؛ فلهم التصريف التام والكلمة الماضية، والحكم الغالب. فهم السلاطين في صور العبيد، يعرفهم الملأ الأعلى. فليس أحد مما سوى الإنس والجان إلا ويقول بفضله، إلا بعض الثقلين، فإن الحسد يمنعهم من ذلك.

فطبقات الفتيان هو ما ذكرناه؛ من يعلم منهم علم الله في الحركات، ومن لا يعلم علم الله في ذلك على

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 12 ب

3 ص 27

4 ص 15

التعيين، وإن علم أن ثم أمرا لم يطلعه الله عليه. وأما منزلتهم؛ فهو الذي قلنا في أول الباب، في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾¹ وينظر إلى هذا الإيجاد من الحقائق الإلهية، الآية الأخرى وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾².

فهم يعاملون الخلق بالإحسان إليهم مع إساءتهم لهم، كإعطاء الله الرزق للمرزوقين الكافرين بالله وبنيته؛ فلهم القوة العظمى على نفوسهم، حيث لم يغلبهم هواهم، ولا ما جُبِلَت النفس عليه³ من حب الثناء والشكر والاعتراف.

قال تعالى - حاكيا: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾⁴ فأطلق الله على ألسنتهم فتوة إبراهيم بلسانهم، لما كانت الفتوة بهذه المثابة، لأنه قام في الله حق التيام. ولما أحاطهم على الكبير من الأصنام، على نية طلب السلامة منهم فإنه قال لهم: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ﴾⁵ يريد تويخهم، ولهذا رجعوا إلى أنفسهم وهو قوله تعالى: ﴿وَبَلَّغْنَا آيَاتِنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾⁶ في كل حال، وإنما سمي ذلك كذبا لإضافة الفعل في عالم الألفاظ إلى كبيرهم، والكبير (هو) الله على الحقيقة، والله هو الفاعل، المكسر للأصنام بيد إبراهيم، فإنه يده التي يبطش بها، كذا أخبر عن نفسه، فكسر هذه الأصنام التي زعموا أنها آلهة لهم.

ألا ترى المشركين يقولون فيهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾⁷ فاعترفوا أن ثم إلهها كبيرا أكبر من هؤلاء، كما هو ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁸ و﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁹.

فهذا الذي قال إبراهيم صحيح في عقد إبراهيم عليه السلام، وإنما أخطأ المشركون حيث لم يفهموا عن إبراهيم ما أراد بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾¹⁰ فكان قصد إبراهيم بكبيرهم؛ الله تعالى، وإقامة الحجة عليهم وهو موجود الاعتقادين، وكونهم آلهة؛ ذلك على زعمهم، والوقف عليه¹¹ حسن عندنا تام.

1 [الروم : 54]

2 [الناريات : 58]

3 ص 13 ب

4 [الأنبياء : 60]

5 [الأنبياء : 63]

6 [الأنعام : 83]

7 [الزمر : 3]

8 [المؤمنون : 14]

9 [الأعراف : 151]

10 [الأنبياء : 63]

11 عليه أي عند لفظ: "كبيرهم".

وابتدا إبراهيم بقوله: "هَذَا قَوْلِي"، فالخبر محذوف يدلّ عليه مساقُ القصّة¹ «فَأَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظِقُونَ»² فهم يخبرونكم، ولو نطقت الأصنام في ذلك الوقت، لنسبت الفعل إلى الله، لا إلى إبراهيم. فإنّه مقرر عند أهل الكشف من أهل طريقنا، أنّ الجماد والنبات والحيوان قد فطرهم الله على معرفته وتسبيحه بحمده، فلا يرون فاعلا إلا الله. ومن كان هذا في فطرته، كيف ينسب الفعل لغير الله؟.

فكان إبراهيم على بينة من ربه في الأصنام؛ أنّهم لو نطقوا لأضافوا الفعل إلى الله. لأنّه ما قال لهم: "سلوهم" إلا في معرض الدلالة، سواء نطقوا أو سكتوا، فإن لم ينطقوا يقول لهم: "لِمَ تَعْبُدُونَ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا" ولا عن نفسه، ولو نطقوا، لقالوا: "إِنَّ اللَّهَ قَطَعْنَا قِطْعًا"، لا يمكن في الدلالة أن تقول الأصنام غير هذا.

فإنّها لو قالت: "الصنم الكبير فعل ذلك بنا" لكذب، ويكون تقريراً من الله لكفرهم، وردّاً على إبراهيم عليه السلام فإنّ الكبير ما قطعهم جذاً. ولو قالوا في إبراهيم أنّه قطعنا، لصدقوا في الإضافة إلى إبراهيم، ولم تلزم الدلالة بنطقهم على وحدانية الله ببقاء الكبير، فيبطل كون إبراهيم قصد الدلالة فلم تقع، ولم يصدق: «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ»³ فكانت له الدلالة في نطقهم لو نطقوا كما قرّرنا، وفي عدم نطقهم لو لم ينطقوا.

ومثل هذا ينبغي أن يكون قصد الأنبياء⁴ عليهم السلام، فهم العلماء صلوات الله عليهم - ولهذا «رَجَعُوا إِلَى أَتْسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْظِقُونَ»⁵ فقال الله لمثل هؤلاء: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُمُونَ»⁶.

فكان من فتوّته أن باع نفسه في حقّ أحديّة خالقه لا في حقّ خالقه، لأنّ الشريك ما ينفي وجود الخالق، وإنما يتوجّه على نفي الأحديّة، فلا يقوم في هذا المقام إلا من له القطعيّة في الفتوّ، بحيث يدور عليه مقامها.

ومن الفتوّ قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَاءَهُ»⁷ فأطلق عليه باللسان العبراني، معنى يعبر عنه في اللسان العربي بالفتى، وكان في خدمة موسى عليه السلام وكان موسى في ذلك الوقت حاجب الباب؛ فإنّه

1 ص 14، وربما كانت: القضية
2 [الأنبياء: 63]
3 [الأعمام: 83]
4 ص 14 ب
5 [الأنبياء: 64-65]
6 [الصفات: 95]
7 [الكهف: 60]

الشارع في تلك الأمّة ورسولها، ولكلّ أمّة باب خاصّ إلهي، شارعهم هو حاجب ذلك الباب، الذي منه يدخلون على الله تعالى. ومحمد ﷺ هو حاجب الحجاب، لعموم رسالته، دون سائر الأنبياء عليهم السلام. فهم حجبته ﷺ من آدم عليه السلام إلى آخر نبيّ ورسول.

وإنما قلنا: «إِنَّهُمْ حَجَبَتْهُ» لقوله ﷺ: «آدَمُ فَمِنْ دُونِهِ تَحْتَ لَوَائِي» فهم توابه في عالم الخلق، وهو روح مجرّد، عارف بذلك قبل نشأة جسمه. قيل له: «متى كُتِّ نَبِيًّا؟ فقال: كُتِّ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ» أي لم يوجد آدم بعد، إلى أن وصل زمان ظهور جسده¹ المطهر ﷺ فلم يبق حكم لئائب من توابه، من سائر الحجاب الإلهيين؛ وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام، إلا عنث وجوههم لقيوميّة مقامه. إذ كان حاجب الحجاب؛ فقرر من شرعهم ما شاءه، بإذن سيّده ومرسله، ورفع من شرعهم ما أمر برفعه ونسخه. فرما قال من لا علم له بهذا الأمر: «إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُسْتَقِلًّا مِثْلَ مُحَمَّدٍ بِشَرْعِهِ»، فقال رسول الله ﷺ: «لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني» وصدق ﷺ.

فالفتى أبداً في منزل التسخير كما قال ﷺ: «خَادِمُ الْقَوْمِ سَيِّدُهُمْ» فمن كانت خدمته سيادته، كان عبداً محضاً خالصاً. ويفضل الفتيان بعضهم على بعض بحسب المتفتّى عليه من الميزة عند الله بوجه، ومن الضعف بوجه. فأعلامهم من تفتّى على الأضعف، من ذلك الوجه، وأعلامهم أيضاً من تفتّى على الأعلى عند الله، من ذلك الوجه الآخر. فالمتفتّى على الأضعف كصاحب السفرة، وهو الشخص الذي أمره شيخه أن يقرب السفرة إلى الأضياف، فأبطأ عليهم من أجل النمل الذي كان فيها، فلم ير من الفتوة أن ينفّض النمل من السفرة. فإنّ من الفتوة أن يصرفها في الحيوان. فوقف إلى أن خرجت النمل من السفرة من ذاتها، من غير أن يكون لهذا الشخص في² إخراج النمل تعمل قهري. فإنّ الفتيان لهم القوة وليس لهم القهر، إلا على نفوسهم خاصّة. ومن لا قوّة له لا فتوّ له، كما أنّه من لا قدرة له لا حلم له. فقال له الشيخ: لقد دققت.

فهذه مراعاة الأضعف، لكنّه ما تفتّى مع الأضياف، حيث أبطأ عن المبادرة إلى كرامتهم. فلهذا ربطنا في أوّل الباب، أنّه لا يتمكّن لأحد إرسال المكّرم في العموم، لاختلاف الأغراض. فينظر الفتى في حقّ الشخصين المختلفي الأغراض، اللذين إذا أرضى الواحد منهما أسخط الآخر، وصورة نظره في حقّ الشخصين، أيهما أقرب إلى حكم الوقت والحال في الشرع. فالذي هو أقرب إلى حكم الوقت والحال في الشرع صرف الفتوّ معه، فإن اتسع الوقت إلى أن يتفتّى مع الآخر بوجه يرضي الله فعله أيضاً، وإن لم يتسع فقد وفيّ المقام حقّه، وكان من الفتيان بلا شك. وإن كان في رتبته الفعل بالهمة، والفعل بالحس؛ فعل الفتوّ مع الواحد حسّاً، ومع الآخر بالهمة.

دخل رجل على شيخنا أبي العباس العريبي، وأنا عنده، فتفاوضا في إيصال معروف، فقال الرجل: يا سيدنا "الأقربون أولى بالمعروف" فقال الشيخ من غير توقّف: "إلى الله".

وأخبرني أبو عبد الله محمد بن القاسم بن عبد الكريم التميمي الفاسي، قال يخبر عن أبي عبد الله الدقاق، وكان بمدينة فاس، وتذكروا¹ الفعل بالهمة، فقال أبو عبد الله الدقاق: "فزتُ بواحدة ما لي فيها شريك: ما اغتبتُ أحدا قط، ولا اغتیب بحضرتي أحد قط" فهذا من الفعل بالهمة حيث تفتى على من عادته أن يفتاب، فيكتسب الأوزار، أن لا يقدر على الغيبة في مجلسه بحضوره، من غير أن يكون من الشيخ نهى له عن ذلك. وتفتى أيضا على الذي يُذكر بما يكره بحضوره، بأنه لا يذكر فيه بما يكره. وكان سيد وقته في هذا الباب. خرّج مناقبه شيخنا أبو عبد الله بن عبد الكريم المذكور آتفا في كتاب: "المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد".

فقد علمت، على الحقيقة، أن الفتى من بذل وسعه واستطاعته في معاملة الخلق على الوجه الذي يرضي الحق ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

الباب الثالث والأربعون

في معرفة جماعة من أقطاب الورعين، وعامة ذلك المقام

أَنَا خَتَمُ الْوَلَايَةِ دُونَ شَكِّ	لِيُورِثِي الْهَاشِمِيَّ مَعَ الْمَسِيحِ
كَمَا أَنِّي أَبُو بَكْرٍ عَتِيقُ	أَجَاهِدُ كُلَّ ذِي جَسَمٍ وَرُوحِ
بِأَرْمَاحٍ مُتَقَفَّةٍ طَوَالِ	وَتَرْجَمَةٍ بِقُرْآنٍ فَصِيحِ
أَشَدُّ عَلَى كَيْبَسَةِ كُلِّ عَقْلٍ	تُثَارِعُنِي عَلَى الْوُحْيِ الصَّرِيحِ
لِي الْوَرَعُ الَّذِي يَسْمُو اغْتِلَاءَ	عَلَى الْأَحْوَالِ بِالنَّبَا الصَّحِيحِ
وَسَاعِدَنِي عَلَيْهِ رَجَالُ صِدْقٍ	مِنَ الْوَرَعِينَ مِنْ أَهْلِ الْفَتْحِ
يُؤَالُونَ الْوُجُوبَ وَكُلَّ نَذْبٍ	وَيَسْتَتُونَ سُلْطَنَةَ الْمَسِيحِ

الكلام على الورع وأهله، وتركه، يرد في داخل الكتاب في ذكر المقامات والأحوال منه إن شاء الله تعالى، والذي يتعلق بهذا الباب الكلام على معرفة طائفة من أقطابه وعموم مقامه. فاعلم أن أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، كان من عامة هذا المقام وأبا يزيد البسطامي وشيخنا أبا² مدين، في زماننا كانا من خاصته. فأعلى (ورع) أقطاب الورعين اجتناب الاشتراك في إطلاق اللفظ؛ إذ كان الورع اجتناب المحرمات، وكل ما فيه شبهة من جانب المحرم، فيجتنب لذلك الشبهة، وهو المعبر عنه بالشبهات، أي الشيء الذي له شبهة بما جاء النص الصريح بتحريمه؛ من كتاب أو سنة أو إجماع بالحال الذي يوجب له هذا الاسم؛ مثل أكل لحم الخنزير لمن ليس له حال الاضطرار فهو عليه حرام. فلهذا قلنا بالحال الذي يوجب له هذا الاسم. كما أن المضطر ليس بمخاطب بالتحريم. فاكل لحم الخنزير في حق من حاله الاضطرار هو له حلال بلا خلاف.

ولما كان التحريم معناه المنع من الالتباس به؛ ورأوا أن لذلك أحوالا، وأنه ما تم في الوضع شيء محرم لعينه، ولهذا قيده الشارع بالأحوال، وقد انسحب عليه التحريم للحال. فما هو محرم لعينه أولى بالاجتناب؛ فلا بد من اجتنابه ولا بد؛ باطنا، علما. وقد يحل هذا المحرم لعينه، ظاهرا لحال ما يلزمه. وهذا هو التحريم الذي لا يحل أبدا، من حيث معناه. ولا يصح أن تحيى آية شرعية تحله. وهو الاتصاف بأوصاف الحق - تعالى - التي بها يكون إلها.

فواجب شرعا وعقلا؛ اجتناب هذه الأساء الإلهية معني. فإن¹ أطلقت لفظا، فينبغي أن لا تطلق لفظا على أحد، إلا تلاوة. فيكون الذي يطلقها تاليا حاكيا كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾² فسماه عزيزا رءوفا رحيا، فنسميه بتسمية الله إياه، ونعتقد أنه ﷺ في نفسه مع ربه، عبدٌ ذليلٌ خاشعٌ أواهٌ منيبٌ.

فإطلاق الألفاظ التي تطلق على الحق من الوجه الصحيح الذي يليق بالجناب الإلهي، لا ينبغي أن تطلق على أحد من خلق الله إلا حيث أطلقها الحق، لا غير. وإن أباح ذلك فالورع ما هو مع المباح، ولا سيما في هذه المسألة خاصة. فلا يطلقها، مع كون ذلك قد أبيض له. فإذا أطلقها على من أطلقها عليه الحق أو الرسول ﷺ فيكون هذا المطلق تاليا أو مترجما ناقلا عن رسول الله ﷺ في ذلك الإطلاق.

ثم من الورع عند هؤلاء الرجال؛ أن ينزلوا إلى ما اختصت به الأنبياء والرسل، من الإطلاق. فيتورعوا أن يطلقوا عليهم أو على أحد ممن ليس بنبي ولا رسول اللفظ الذي اختصوا به. فيطلقون على الرسل الذين ليسوا برسل الله لفظ الورثة، والمترجمين؛ فيقولون: "وصل³ من السلطان الفلاني إلى السلطان الفلاني ترجان يقول كذا وكذا". فلم يطلقوا على المُرسل ولا على المُرسل إليه اسم الملك، ورعا وأدبا مع الله، وأطلقوا عليه اسم السلطان. فإنَّ الملك من أساء الله. فاجتنبوا هذا اللفظ أدبا وحرمة وورعا، وقالوا: "السلطان" إذ كان هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله.

وأطلقوا على الرسول الذي جاء من عنده اسم: "الترجان"، ولم يطلقوا عليه اسم "الرسول"، لأنه قد أطلق على رُسُل الله فجعلوه من خصائص النبوة والرسالة الإلهية، أدبا مع رسل الله عليهم السلام. وإن كان هذا اللفظ قد أبيض لهم، ولم يهتوا عنه، ولكن لم يوجب عليهم. فكان لزوم الأدب أولى مع من عرفنا الله أنه أعظم منا منزلة عنده، وهذا لا يعرفه إلا الأدياء الورعون.

ثم إنَّ لهؤلاء مرتبة أخرى في الورع؛ وهي أنهم ﷺ يجتنبون كل أمر تقع فيه المزاحمة بين الأكوان، ويطلبون طريقا لا يشاركهم فيها من ليس من جنسهم، ولا من مقامهم. فلا يزاحمون أحدا في شيء مما يتحققون به في نفوسهم، ويتصفون به. ويحبون من الله أن يدعوا به في الدنيا والآخرة. وهو ما يكونون عليه من الأخلاق⁴ الإلهية. فيكونون مع تحققهم بمعانيها وظهور أحكامها على ظواهرهم من الرحمة بعباد الله، والتلطّف بهم، والإحسان إليهم، والتوكل على الله، والقيام بحدود الله، يظهرون في العالم أن جميع ما يرى عليهم أن ذلك فعل الله لا فعلهم، وبيد الله لا بيدهم، وأن المثلّى عليه بذلك الفعل، إنما ينبغي أن يتعلق

1 ص 17
2 [التوبة : 128]
3 ص 18
4 ص 18ب

ذلك الثناء بفعله، وفاعله هو الله ﷻ لا نحن.

فيتبرؤون من أفعالهم الحسنة غاية التبرّي، ومن الأوصاف المستحسنة كذلك. وكلّ وصف مذموم شرعا وعرفا يضيفونه إلى أنفسهم، أدبا مع الله تعالى، وورعا شافيا. كما قال الحضرة في العيب: ﴿فَارْدَتْ﴾¹ وفي الخير: ﴿فَارَزَادَ رَبِّكَ﴾² وكما قال الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾³ ولم يقل: أمرضني. وكما قال تعالى في معرض التعليم لنا: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾⁴ هذا وإن كان الحق في هذا الخبر يحكي قولهم، ولكن فيه تنبيه في التعليم. وكما قال عليه السلام في دعائه، وهو مما يؤيد ما ذهبنا إليه في التنبيه، في هذه الآية فقال: «والخير كله بيديك» فأكد بـ"كل" وهي كلمة تقتضي الإحاطة في اللسان. وقال: «والشر ليس إليك» وإن كان لم يؤكد، واكتفى بالالف واللام، ونفى إضافة الشر. أدبا مع الله وحقيقة.

وهذه المسألة من أغمض المسائل الإلهية، عند أهل الله خاصة. وأمّا أهل النظر، فقد اعتمدت كل طائفة منهم على ما اقتضاه دليلها، في زعمها. وهؤلاء الرجال الغالب عليهم، فهم مقاصد الشرع. فجزوا معه على مقصده، وذلك من بركة الورع والاحترام الذي احترموه به الجناب الإلهي حقيقة لا مجازا. فتح الله لهم بأدبهم عين الفهم في كتبه، وفيما جاءت به رُسُلُه مما لا تستقل العقول بإدراكه، وما تستقل. لكن أخذوه عن الله لا عن نظرهم. ففهموا من ذلك كله بهذه العناية ما لم يفهم من لم يتصف بهذه الصفة، ولم يكن له هذا المقام.

ولما كان هذا حال الورعين سلّكوا في أمورهم وحركاتهم مسالك العامة، فلم يظهر عليهم ما يميزون به عنهم، واستتروا بالأسباب الموضوعة في العالم، التي لا يقع الثناء بها على من تلبس بها. فلم ينطلق على هؤلاء الرجال في العموم اسم صلاح يخرجهم عن صلاح العامة، ولا توكل ولا زهد ولا ورع ولا شيء مما يقع عليه اسم ثناء خاص، يخرجون به عن العامة، ويشار إليهم فيه، مع أنهم أهل ورع وتوكل وزهد وحُلق حسن وقناعة وسقاء وإيثار. فأمثال هذا كله اجتنب رجال الله من هؤلاء الطبقة، فسُخُوا ورعين في اصطلاح أهل الله، لأن الورع الاجتناب.

وتدبر ما أحسن قول من أوتي جوامع الكلم ﷺ كيف قال في هذا المقام، يعلم رجاله كيف يكونون فيه:

1 [الكهف : 79]
2 [الكهف : 82]
3 [الشعراء : 80]
4 [النساء : 79]
5 ص 19
6 ص 19ب

«دع ما يريئك إلى ما لا يرييك» وقال: «استفت قلبك وإن أفناك المفتون» فأحاطهم على قلوبهم، لما علم ما فيها من سر الله، الحافية عليه، في تحصيل هذا المقام. ففي القلوب عصمة إلهية لا يشعر بها إلا أهل المراقبة، وفيه ستر لهم. فإن هؤلاء الرجال، لو سألوا، وعُرف منهم البحث والتفتيش في مثل هذا عند الناس، وعند العلماء الذين سئلوا في ذلك بالضرورة، كان يشار إليهم، ويُعتقد فيهم الدين الخالص؛ كبشر الحافي وغيره، وهو من أقطاب هذا المقام، عُرف به وسُلم له.

حكي أن أخت بشر الحافي سألت أحد أئمة الدين -هو أحمد بن حنبل¹- في الغزل الذي تغزله لضوء مشاعل الظاهرية إذا مروا بها ليلا، وهي على سطحها؟ فعرفت بهذا السؤال أنها من أهل الورع. ولو عملت على حديث «استفت قلبك» لعلمت أنها ما سألت حتى رآها، فكانت تدع ذلك الغزل، أو لا تغزل بعد ذلك، ويترك الغزل أفتاها الإمام المسئول، وهو أحمد بن حنبل، وأثنى عليها بذلك، حتى نُقل إلينا وسُطر في الكتب.

فأعطانا الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الأغيار، خالصا لله مخلصا لا يعلمه إلا الله ثم صاحبه. وهو قوله: «ألا لله الدين الخالص»². فكل دين وقع فيه ضرب من الاشتراك المحمود أو المذموم، فما هو بالدين الخالص الذي لله، إن كان الذي وقع به الاشتراك محمودا، كسألة أخت بشر الحافي. وإن وقع الاشتراك بالمذموم، فليس بدين أصلا، فإنه ليس ثم دين إلهي يتعلق به لسان ذم.

فلما رأى رجال هذا المقام، مراعاة النبي ﷺ ما يحصل في قلب العبد مما قاله وما أحال به الإنسان على نفسه باجتنابه طلبا للستر، تعلموا في تحصيل ذلك، وسلخوا عليه، وعلموا أن النجاة المطلوبة من الشارع لنا، إنما هي في ستر المقام. فأعطاهم العمل على هذا والتحقيق به، الحقيقة الإلهية التي استندوا إليها في ذلك؛ وهو اجتنابه التجلي سبحانه -لعموم عبادته في الدنيا، فاقندوا برههم في احتجابه عن خلقه.

فعلم هؤلاء الرجال، أن هذه الدار دار ستر، وأن الله ما اكتفى في التعريف بالدين، حتى نعتة بالخالص. فطلبوا طريقا لا يشوبهم فيها شيء من الاشتراك، حتى يعاملوا الموطن بما يستحقه: أدبا وحكمة وشرعا واقتداء. فاستتروا عن الخلق، بجن الورع الذي لا يشعر به، وهو ظاهر الدين، والعلم بالمعهود. فإنهم لو سلخوا غير المعهود في الظاهر في العموم من الدين لتميؤوا، وجاء الأمر على خلاف ما قصدوه، فكانت أسأؤهم أساء العامة.

1 "هو أحمد بن حنبل" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب.

2 ص 20

3 [الزم: 3]

4 ص 20 ب

فهؤلاء الرجال يحمدهم الله، وتحمدهم الأسماء الإلهية القدسية، وتحمدهم الملائكة، وتحمدهم الأنبياء والرسل، ويحمدهم الحيوان والنبات والجماد وكل شيء يسبح بحمد الله. وأما الثقلان فيجهلونهم، إلا أهل التعريف الإلهي؛ فإنهم يحمدهم ولا يُظهرونهم. وأما غير أهل التعريف الإلهي من الثقلين؛ فهم فيهم مثل ما هم في حق العامة، يذكرونهم بحسب أغراضهم فيهم لا غير. فلهم المقام المجهول في العامة.

وأما ثناء الله عليهم؛ فلتعلمهم استخلاصهم لله، فخلصوا له دينه، فأثنى عليهم حيث لم يملكهم كون، ولا حكم على عبوديتهم رب غير الله. وأما ثناء الأسماء الإلهية عليهم؛ فكونهم تلقوها وعلموا تأثيرها وما أثروا بها في كون من الأكوان، فيذكرون بذلك الأمر الذي هو لذلك الاسم الإلهي، فيكون حجابا على ذلك الاسم. فلما لم يفعلوا ذلك وأضافوا الأثر الصادر على أيديهم للاسم الإلهي، الذي هو صاحب الأثر على الحقيقة، حمدتهم الأسماء الإلهية بأجمعها.

وأما ثناء الملائكة؛ فلأنهم ما زاحمهم فيما نسبوه إلى أنفسهم، بالنسبة لا بالفعل في قولهم: «نُسبح بحمديك ونقدس لك»² فقال هؤلاء الرجال: "لا حول ولا قوة إلا بك" فلم يدعوا في شيء مما هم عليه من تعظيم الله، ونسبوا ذلك إلى الله، فأثنت عليهم الملائكة. فإنها مع هذه الحال لم تجرح الملائكة، وتآذبت معها، حيث لم تتعرض للطعن عليها، بما صدر منها في حق أيها آدم عليه السلام واعتذرت عن الملائكة، لإيثارهم جناب الحق، وإصابتهم العلم. فإنه وقع ما قالوه في بني آدم، لا شك: من الفساد وسفك الدماء، ولهذا سُر معلوم.

وأما ثناء الأنبياء والرسل عليهم السلام - فكونهم سلموا لهم ما ادعوه أنه لهم، من النبوة والرسالة، وآمنوا بهم، وما توقفوا مع كونهم على أحوالهم، من أجزاء النبوة قد اتصفوا بها. ولكن مع هذا لم يتسبوا بأنبياء ولا يرسل، وأخلصوا في اتباع آثارهم³ قدما بقدم، كما روي عن الإمام أحمد بن حنبل المتبع المتقدي سيّد وقته، في تركه أكل البطيخ لأنه ما ثبت عنده كيف كان يأكله رسول الله ﷺ فدل ذلك على قوة اتباعه كيفيات أحوال الرسول ﷺ في حركاته وسكناته، وجميع أفعاله وأحواله. وإنما عُرف هذا منه لأنه كان في مقام الوراثة في التبليغ والإرشاد، بالقول والعمل والحال. لأن ذلك أمكن في نفس السامع. فهو وأمثاله حقاظ الشريعة على هذه الأمة.

وأما ثناء الحيوان والنبات والجماد عليهم؛ فإن هؤلاء الأصناف عرفوا الحركات التي تسمى عبثا، من التي لا تسمى عبثا. فكل من تحرك فيهم بحركة تكون عبثا عند المتحرك بها لا عند المحرك (لها)، يعلم

1 ص 21

2 [البقرة: 30]

3 ص 21 ب

الناظر منهم المشاهد لتلك الحركة العبيئية، أنه صاحب غفلة عن الله. ورأت هذه الطائفة أنها لا تتحرك في حيوان ولا نبات ولا جباد بحركة تكون عبثا. ويلحق بهذا الباب صيد الملوك، ومن لا حاجة له بذلك إلا الفرجة واللهو واللعب. فأثنى من ذكرناه من هؤلاء الأصناف على هذه الطائفة.

فالله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيقًا¹﴾² بإمحالك، حيث لم يؤخذكم سريعا بما رددتم من ذلك ﴿عَفْوًا﴾ حيث ستر عنكم تسبيح هؤلاء فلم تفقهوه. وقال - تعالى - في حال من مات مموتا عند الله: ﴿فَمَا يَكُنْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ³﴾ فوصف السماء والأرض بالبكاء على أهل الله. ولا يشك مؤمن في كل شيء أنه مسبح، وكل مسبح حي عقلا. وورد أن العصفور يأتي يوم القيامة فيقول: يا رب؛ سل هذا، لم قتلي عبثا؟ وكذلك من يقطع شجرة لغير منفعة، أو ينقل حجرا لغير فائدة تعود على أحد من خلق الله.

فلما أعطى الله هذه المعارف لهؤلاء الأصناف، لذلك وصفها بالثناء على هؤلاء الرجال، وعرفت ذلك منهم كشفا جسيما، مثل ما كان للصحابه سماع تسبيح الحصى وتسبيح الطعام، لأنهم ليس بينهم وبين الحركة العبيئية دخول، بل يجتنبون ذلك جملة واحدة. ولما جعل أكثر الثقيلين هذه العلوم، لذلك لا يعرفون مراتب هؤلاء الرجال؛ فلا يمدحونهم ولا يتعرضون إليهم. ولهذا أخبر تعالى - أن كل شيء في العالم يسجد لله - تعالى - من غير تبعيض إلا الناس فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ⁴﴾ ولم يبعض ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ فبعض.

فإن فهمت⁵ ما ذكرناه لك من صفة أصحاب هذا المقام، وسلكت طريقتهم كنت من المفلحين الفائزين ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ⁶﴾.

انتهى الجزء الثاني والعشرون⁷، يتلوه في الجزء الثالث والعشرين⁸.

بسم الله الرحمن الرحيم¹

الباب الرابع والأربعون
في البهاليل، وأتمتهم في البهيلة

إِذَا كُنْتَ فِي طَاعَةٍ رَاغِبًا	فَلَا تَكُنْهَا حُلَّةَ الْآجِلِ
وَكُنْ كَالْبَهَائِلِ فِي حَالِهِمْ	مَعَ الْوَقْتِ يَجْرُونَ كَالْعَاقِلِ
وَحَوْصِلُ مِنَ السُّبُلِ ² الْحَاصِلِ	وَلَا تَصْبِرَنَّ إِلَى قَابِلِ
فَحَوْصَلَةُ الرُّزْقِ قَدْ هِيَئَتْ	لِيُخْصَلَ مَا لَيْسَ بِالْحَاصِلِ
وَلَا تَبْكِيَنَّ عَلَى فَايِتٍ	يَفْشُكَ الَّذِي هُوَ فِي الْعَاجِلِ
و"سَوْفَ" فَلَا تَلْتَفِتْ حُكْمَهَا	وَلَا "السَّيْنُ" وَارْجُلُ مَعَ الرَّاجِلِ
عَسَاكَ إِذَا كُنْتَ ذَا عَزْمَةٍ	وَمُتَّ، خَصَلَتْ عَلَى طَائِلِ
وَقُلْ ³ لِلَّذِي لَمْ يَزَلْ وَائِيَا	تَخَبَّطْتَ فِي شَرِّكَ الْهَابِلِ
وَمَا ظَلَمْتِ كَثُوكُمْ بِالَّذِي	تُرِيدُ فَيَا حَيَّةَ السَّائِلِ
فَلَوْ كَانَ فَعْلُكَ فِي أَمْرِهِ	كَغَلِ الْفَتَى الْحَذِرِ الْوَاجِلِ
لَمَيَّرْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الَّذِي	يَحْلِي لَكَ الْحَقُّ كَالْبَاطِلِ

يقول الله - تعالى -: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى⁴﴾ وذلك أن الله قوما كانت عقولهم محجوبة بما كانوا عليه من الأعمال التي كلّفهم الحق تعالى - في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ التصرف فيها شرعا، وشرعها لهم. ولم يكن لهم علم بأن الله - تعالى - الحق فجأت لمن خلا به في سره، وأطاعه في أمره، وهيتا قلبه لنوره، من حيث لا يشعر. ففجأه الحق على غفلة منه بذلك، وعدم علم، واستعداد لهائل أمر. فذهب بعقله في الزاهيين، وأبقى تعالى - ذلك الأمر الذي فجأه، مشهودا له؛ فها هو فيه ومضى معه.

فبقي في عالم شهادته بروحه الحيواني، يأكل⁵ ويشرب ويتصرف في ضروراته الحيوانية، تصرف الحيوان

1 البسطة ص 23
2 مملعة الحروف المعجمة ويمكن قراءتها: السبل
3 ص 23 ب
4 [الحج : 2]
5 ص 24

1 ص 22
2 [الإسراء : 44]
3 [الدخان : 29]
4 [الحج : 18]
5 ص 22 ب
6 [الأحراب : 4]
7 ق: الثالث والعشرون
8 ق: "الرابع والعشرون". وفي الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة للظهير محمود علي، وكتبه ابن العربي". يليه: "بلغ".

المنطور على العلم بمنافعه المحسوسة ومضارّه، من غير تدبير ولا روية، ولا فكر، ينطق بالحكمة ولا علم له بها، ولا يتصد نفعك بها- لتتعت وتذكر أنّ الأمور ليست بيدك، وأنك عبثٌ مصرّفٌ بتصرف حكيم. سقط التكليف عن هؤلاء؛ إذ ليس لهم عقول يقبلون بها، ولا يفقهون بها. ﴿تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾¹ أي القليل مما يجري الله على ألسنتهم من الحكم والمواعظ.

وهؤلاء هم الذين يستون عقلاء المجانين. يريدون بذلك أنّ جنونهم ما كان سببه فساد مزاج عن أمر كوني؛ من غذاء أو جوع وغير ذلك، وإنما كان عن تجلّ إلهي لقلوبهم، وجماعة من فجأت الحق، فجاءهم فذهب بعقولهم. فعقولهم محبوسة عنده؛ منعمة بشهوده، عاكفة في حضرة، متنزهة في جماله. فهم أصحاب عقول بلا عقول، وعرفوا في الظاهر بالمجانين؛ أي المستورين عن تدبير عقولهم. فلماذا سُموا عقلاء المجانين.

قيل لأبي السعود بن الشبل البغدادي، عاقل زمانه: "ما تقول في عقلاء المجانين من أهل الله؟" فقال: "هم ملاح، والعقلاء منهم أملح". قيل له: "فماذا تعرف مجانين الحق من غيرهم؟" فقال: "مجانين الحق تظهر عليهم آثار القدرة. والعقلاء يشهد الحق بشهودهم" أخبرني بذلك عنه صاحبه أبو البدر التمشكي - رحمه الله - وكان ثقة ضابطاً عارفاً بما ينقل، لا يجعل فاء مكان واو. فقال الشيخ: "من شاهد ما شاهدوا، وأبقي عليه عقله؛ فذلك أحسن وأمكن، فإنّه قد أقيم وأعطى من القوة، قريباً مما أُعطيَت الرسل".

وإن تغيروا في وقت الفجآت، فقد علمنا أنّ رسول الله ﷺ لما فجّته الوحي، جيّث³ منه رعباً. فأتى خديجة ترجف بوادره فقال: «زملوني زملوني» وذلك من تجلّي ملك، فكيف به بتجلّي ملك؟! ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾⁴. وكان رسول الله ﷺ إذا جاءه الوحي، ونزل الروح الأمين به على قلبه؛ أخذ عن حسّه، وسجّي، ورغاكما يرغو البعير، حتى ينفصل عنه، وقد وعى ما جاءه به. فيلقيه على الحاضرين، ويلغّه للسامعين.

فواجده ﷺ من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة من نزول ملك ووارد، في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه. ولكن كان منتظراً مستعدّاً لذلك الهول، ومع هذا يؤخّذ عن نفسه. فلولا أنّه رسولٌ مطلوب بتبليغ الرسالة وسياسة الأمة، لذهب الله بعقول الرسل لعظيم ما يشاهدونه، فكأنهم الله القويّ المتين من القوة، بحيث يتمكنون من قبول ما⁵ يرد عليهم من الحق، ويوصلونه إلى الناس، ويعملون به.

1 [الأعراف: 198، 199]

2 ص 24

3 جيّث الرجل، إذا أفرغ، فهو منجوّث، أي مذعور. [الصالح]

4 [الأعراف: 143]

5 ص 25

فاعلم أنّ الناس في هذا المقام على إحدى ثلاث مراتب؛ منهم من يكون وارده أعظم من القوة التي يكون في نفسه عليها، فيحكم الوارد عليه، فيغلب عليه الحال، فيكون بحكمه يصرفه الحال، ولا تدبير له في نفسه ما دام في ذلك الحال. فإن استمرّ عليه إلى آخر عمره، فذلك المسمّى في هذه الطريقة بالجنون. كأبي عقّال المغربي.

ومنهم من يُمسك عقله هناك، ويبقى عليه عقل حيوانيته، فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا روية. فهؤلاء يستون عقلاء المجانين، لتناولهم العيش الطبيعي كسائر الحيوانات. وأمّا مثل أبي عقّال فجنون مأخوذ عنه بالكلية. ولهذا ما أكل وما شرب من حين أخذ إلى أن مات. وذلك في مدّة أربع سنين بمكة. فهو مجنون؛ أي مستور، مطلق عن عالم حسّه.

ومنهم من لا يدوم له حكم ذلك الوارد، فيزول عنه الحال، فيرجع إلى الناس بعقله، فيدبر أمره ويعقل ما يقول ويقال له، ويتصرف عن تدبير وروية، مثل كل إنسان؛ وذلك هو النبي، وأصحاب الأحوال من الأولياء.

ومنهم من يكون وارده وتجليه مساوياً لقوته؛ فلا يرى عليه أثر من ذلك حاكم، لكن يُشعر عندما يُصر أنّ ثمّ أمراً ما طرأ عليه؛ شعوراً خفياً، فإنّه لا بدّ لهذا أن يصغي إليه - أي إلى ذلك الوارد - حتى يأخذ عنه ما جاءه به من عند الحق. فخاله كحال جليسك الذي يكون معك في حديث، فيأتي شخص آخر في أمر من عند الملك إليه؛ فيترك الحديث معك، ويصغي إلى ما يقول له ذلك الشخص، فإذا أوصل إليه ما عنده، رجع إليك، فحدثك. فلو لم تبصره عينك، ورأيتَه يصغي إلى أمر، شعرت أنّ ثمّ أمراً شغله عنك في ذلك. كرجل يحدثك، فأخذته فكرة في أمر، فصرف حسّه إليه في خياله، فجمدَتْ عينه ونظره، وأنت تحدّثه؛ فتتنظر إليه غير قابل حديثك، فتشعر أنّ باطنه متفكّر في أمر آخر، خلاف ما أنت عليه.

ومنهم من تكون قوّته أقوى من الوارد، فإذا أتاه الوارد وهو معك في حديث لم تشعر به، وهو يأخذ من الوارد ما يلقي إليه، ويأخذ عنك ما تحدّثه به أو يحدثك به.

وما ثمّ أمر رابع في واردات الحق، على قلوب أهل هذه الطريقة. وهي مسألة غلط فيها بعض أهل الطريق، في الفرق بين النبي والولي. فقالوا: الأنبياء يصرفون الأحوال، والأولياء تصرفهم الأحوال. فالأنبياء مالكون أحوالهم، والأولياء مملوكون لأحوالهم. والأمر إنّما هو كما فصلناه لك. وقد بينّا لك لماذا يردّ الرسول،

ويُنَظِّمُ عليه عقله، مع كونه يؤخذ ولا بدّ عن حسّه، في وقتٍ وارد الحقّ على قلبه بالوحي المنزل. فافهم ذلك وتحقّقه.

وقد لقينا جماعة منهم وعاشرناهم، واقتبسنا من¹ فوائدهم. ولقد كنت واقفا على واحد منهم، والناس قد اجتمعوا عليه وهو ينظر إليهم، وهو يقول لهم: "أطيعوا الله يا مساكين؛ فإنكم من طين خلّقتُم، وأخاف عليكم أن تطبخ النار هذه الأواني، فتردّها² فخارا. هل رأيتم قطّ آنية من طين، تكون فخارا، من غير أن تطبخها نار؟".

يا مساكين؛ لا يغزّركم إبليس، بكونه يدخل النار معكم، ويقولون: الله يقول: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾³ إبليس خلقه الله من نار، فهو يرجع إلى أصله، وأنتم من طين تتحكم النار في مفاصلكم.

يا مساكين؛ انظروا إلى إشارة الحقّ في خطابه لإبليس، بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ وهنا: قف، ولا تقرّ ما بعدها، فقال له: ﴿جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ وهو قوله: ﴿خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾⁴ فمن دخل بيته، وجاء إلى داره، واجتمع بأهله، ما هو مثل الغريب الوارد عليه، فهو يرجع إلى ما به افتخر، قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾⁵ فسروده: رجوعه إلى أصله. وأنتم يا مناحيس؛ تتفخّر⁶ بالنار طينتكم. فلا تسمعوا من إبليس ولا تطيعوا، واهربوا إلى محلّ النور تسعدوا.

يا مساكين؛ أنتم عمي ما تبصرون الذي أبصره أنا، تقولون: سقف هذا المسجد ما يسكه إلا هذه الأسطوانات. أنتم تبصرونها أسطوانات من رخام، وأنا أبصرها رجالا يذكرون الله ويمجّدونه. بالرجال تقوم السماوات، فكيف هذا⁷ المسجد؟ ما أدري: إمّا أنا هو الأعشى لا أبصر الأسطوانات حجارة⁸، وإمّا أنتم هم النعي لا تبصرون هذه الأسطوانات رجالا. والله يا إخوتي- ما أدري، لا والله، أنتم هم العمي".

ثم استشهد بي دون الجماعة. فقال: يا شاب؛ ألسنتُ أقول الحقّ؟ قلت: بلى. ثمّ جلست إلى جانبه، فجعل يضحك. وقال: "يا ناس؛ الأستاذ المنتهتُ تُصَفِّرُ بعضها لبعض. وهذا الشابّ منتقنٌ مثلي. هذه المناسبة

1 ص 26
2 ق: فَرَدَّهَا.
3 [ص: 85]
4 [الرحمن: 15]
5 [الأعراف: 12]
6 ق: تَفَخَّرَ
7 ص 26 ب
8 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

جعت. يجلس إلى جانبي، ويصدقني. أتم الساعة تحسبونه عاقلا، وأنا مجنون. هو أجنُّ متى بكثير. وإنما أنتم كما أمركم الله عن رؤية هذه الأسطوانات رجالا، أمركم أيضا عن جنون هذا الشاب. ثم أخذ بيدي. وقال لي: قم امش بنا عن هؤلاء. فخرجت معه. فلما فارق الناس ترك يدي من يده وانصرف عني.

وهو من أكبر من لقيته من المعتوهين. كنت إذا سألته ما الذي ذهب بعقلك؟ يقول لي: أنت هو المجنون حقّا، ولو كان لي عقل؛ كنت تقول لي: ما الذي ذهب بعقلك؟! أين عقلي حتى يخاطبك؟ قد أخذه معه. ما أدري ما يفعل به، وتركني هنا في جملة البواب: أكل وأشرب، وهو يدبّرني. قلت له: فمن يربك إذا كنت دابة؟ قال: أنا دابة وحشية لا أركب. ففهمتُ أنّه يريد خروجه عن عالم الإنس، وأنّه في مفاوز المعرفة، فلا حكم للإنس عليه.

وكذلك كان¹ محفوظا من أذى الصبيان وغيرهم، كثير السكوت مبهوتا، دائم الاعتبار، يلزم المسجد، ويصلي في أوقات. فرما كنت أسأله عندما أراه يصلي، أقول له: أراك تصلي؟! يقول لي: لا والله، إنما أراه يميني ويقعدني، ما أدري ما يريد بي. أقول له: فهل تنوي في صلاتك هذه، أداء ما افترض الله عليك؟ فيقول لي: أيش تكون النية؟ أقول له: القصد بهذه الأعمال القرية إليه. فيضحك ويقول: أنا أقول له: أراه يميني ويقعدني، فكيف أنوي القرية إلى من هو معي، وأنا أشهده ولا يغيب عني، هذا كلام المجانين، ما عندكم عقول.

ثمّ لتعلم أنّ هؤلاء البهاليل؛ كهلول وسعدون من المتقدمين، وأبي وهب الفاضل وأمثالهم، منهم السرور ومنهم الحزن، وهم في ذلك بحسب الوارد الأول الذي ذهب بعقولهم. فإن كان وادّ قهْرَ قبضهم؛ كيعقوب الكوراني؛ كان بالجرس- الأبيض، رأيته وكان على هذا القدم، وكذلك مسعود الحبشي؛ رأيته بدمشق ممترجا بين القبض والبسط، الغالب عليه البهت. وإن كان وادّ لُطْفَ بسطهم.

رأيت من هذا الصنف جماعة كأبي الحجاج الغلّيري وأبي الحسن عليّ السلاوي. والناس لا يعرفون ما ذهب بعقولهم، شغلهم² ما تجلّى لهم عن تدبير نفوسهم، فسخر الله لهم الخلق؛ فهم مشغولون بمصالحهم عن طيب نفس، فأشهى ما إلى الناس أن يأكل واحد من هؤلاء عنده، أو يقبل منه ثوبا، تسخيرا إلهيا. فجمع الله لهم بين الراحة؛ حيث يأكلون ما يشتهون، ولا يحاسبون ولا يسألون.

وجعل لهم القبول في قلوب الخلق، والمحبة والعطف عليهم، واستراحوا من التكليف، ولهم عند الله

1 ص 27
2 ص 27 ب

﴿أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾¹ في مدة أعمارهم، التي ذهبت بغير عمل. لأنه سبحانه - هو الذي أخذهم إليه؛ حفظ عليهم نتائج الأعمال، التي لو لم يذهب بعقولهم لعملوها؛ من الخير. كمن بات نائمًا على وضوء، وفي نفسه أن يقوم من الليل يصلي، فيأخذ الله بروحه فينام حتى يصبح، فإن الله يكتب له أجر من قام ليله، لأنه الذي حبسه عنده، في حال نومه. فالحاطب بالتكليف منهم، وهو روحهم، غائب في شهود الحق، الذي ظهر سلطانه فيهم. فما لهم أذن واعية لحفظ السماع من خارج وتعقل ما جاء به.

ولقد ذقت هذا المقام، ومررت على وقت أودّي فيه الصلوات الخمس، إمامًا بالجماعة، على ما قيل لي، بإتمام الركوع والسجود، وجميع أحوال الصلاة من أفعال وأقوال. وأنا في هذا كله لا علم لي بذلك؛ لا بالجماعة ولا² بالخل ولا بالحال ولا بشيء من عالم الحس، لشهود غلب عليّ، غبت فيه عني وعن غيري، وأخبرت أنني كنت إذا دخل وقت الصلاة، أقيم الصلاة وأصلي بالناس. فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم ولا علم له بذلك. فعلمت أن الله حفظ عليّ وقتي، ولم يُخِر عليّ لسان ذنب، كما فعل بالشبلي في ولّيه، لكنه كان الشبلي يُردّ في أوقات الصلوات على ما روي عنه. فلا أدري هل كان يعقل رده، أو كان مثل ما كنت فيه، فإن الراوي ما فضل. فلما قيل للجنيّد عنه. قال: "الحمد لله الذي لم يُخِر عليه لسان ذنب".

إلا أنني كنت في أوقات في حال غيبي، أشاهد ذاتي في النور الأعمّ، والتجلي الأعظم بالعرش العظيم، يصلي بها. وأنا عريّ عن الحركة، بمعزل عن نفسي. وأشهدا بين يديه، راحة وساجدة. وأنا أعلم أنني أنا ذلك الراكع والساجد، كروية النائم، واليد في ناصيتي. وكنت أتعجب من ذلك. وأعلم أن ذلك ليس غيري، ولا هو أنا. ومن هناك عرفت المكلف والتكليف والمكلف - اسم فاعل واسم مفعول.

فقد أُنبت لك حالة المأخوذ من عنهم، من المجانين الإلهيين، إبانة ذائق بشهود حاصل. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

1 [الكيف : 30]
2 ص 28
3 [الأحزاب : 4]

الباب¹ الخامس والأربعون

في معرفة من عاد بعد ما وصل، ومن جعله يعود

وَجُودُكَ عَنْ تَذِيرٍ أَمْرٍ مُحَقَّقٍ
فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّ ذَاتَكُمْ
فَإِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَفَهْمٍ وَفِطْنَةٍ
وَذَلِكَ أَنْ تَذِيرِي بِأَنَّكَ قَابِلٌ
خَفِيَ رَبُّ تَذِيرٍ وَتَفْصِيلٍ مُجْتَمِلٍ
إِذَا كَانَ هَذَا حَالُكَ الْيَوْمَ دَائِمًا
فَإِنَّ جَلَالَ الْحَقِّ يَغْطِمْ قُدْرَهُ
إِذَا² أَخَذَ الْمُؤَلَّى قُلُوبَ عِبَادِهِ
فَمَنْ شَاءَ أَتْبَاهُ لَدَيْهِ مُكْرَمًا
وَذَلِكَ نَبِيٌّ أَوْ رَسُولٌ وَوَارِثٌ
وَلَمْ يَنْبِقْ إِلَّا وَاجِدٌ وَهُوَ وَارِثٌ
فَسُبْحَانَ مَنْ خَصَّ الْوَلِيَّ بِرَاحَةٍ
وَتَفْصِيلُ آيَاتٍ لَوْ أَنَّكَ تَقِيلُ
بِرَبِّ يَرَى الْأَشْيَاءَ تَعْلُو وَتَسْفُلُ
غَلِثَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ بِالْأُمْسِ تَجْهَلُ
لِقُرْبٍ وَتُعَدِّ بِالَّذِي أَنْتَ تَعْمَلُ
فَذَلِكَ الَّذِي بِالْعَبْدِ أَوْلَى وَأَجْمَلُ
لَعَلَّ بَشَارَاتٍ بِسَعْدِكَ تَحْصُلُ
وَفِي الْخَلْقِ يَنْقُضِي مَا يَشَاءُ وَيُصَلُّ
إِلَيْهِ وَيَنْقُضِي مَا يَشَاءُ وَيَعْدِلُ
وَرَدَّ الَّذِي قَدْ شَاءَ لِمَا كَانَ يَأْمُلُ
وَمَا تَمَّ إِلَّا هَوْلَاءُ فَأَجْمَلُوا
وَالْإِثْنَانِ قَدْ رَاحَا فَمَا لَكَ تَعْدِلُ
لِيُعْطِيَهُ فِيهَا الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ

قال رسول الله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» و«إن الأنبياء ما ورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم» ولما كانت حالته ﷺ في ابتداء أمره ﷺ أن الله تعالى - وفقه لعبادته بملة إبراهيم الخليل عليه السلام، فكان يخلو بغار حراء، يتحنّث فيه عناية من الله سبحانه - به ﷺ إلى أن فجّته الحق، فجاءه الملك؛ فسلم عليه بالرسالة، وعرفه بنبوته. فلما تقرّرت عنده³؛ أرسل إلى الناس كافة ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَذَاعَيْنَا إِلَى اللَّهِ بِأُذُنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾⁴ فبلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ودعا إلى الله ﷻ على بصيرة.

فالوارث الكامل من الأولياء منّا، من انقطع إلى الله بشريعة رسول الله ﷺ إلى أن فتح الله له في قلبه، في فهم ما أنزل الله ﷻ على نبيه ورسوله محمد ﷺ بتجلّي إلهي في باطنه، وفرقه النهم في كتابه ﷻ

1 ص 28 ب
2 ص 29
3 ص 29 ب
4 [الأحزاب : 45، 46]

وجعله من المحدثين في هذه الأمة. فقام له هذا مقام الملك الذي جاء إلى رسول الله ﷺ، ثم رده الله إلى الخلق، يرشدهم إلى صلاح قلوبهم مع الله، ويفرق لهم بين الخواطر المحمودة والمذمومة، ويبين لهم مقاصد الشرع، وما ثبت من الأحكام عن رسول الله ﷺ وما لم يثبت، بإعلام من الله؛ آتاه رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علما. فيرقيهم همهم إلى طلب الأنفس بالمقام الأقدس، ويرغبهم فيما عند الله، كما فعل رسول الله ﷺ في تبليغ رسالته.

غير أن الوارث لا يحدث شريعة، ولا ينسخ حكما مقبلا، لكن يبين. فإنه على بينة من ربه، وبصيرة في علمه ﴿وَيُثْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾¹ بصدق اتباعه. وهو الذي أشركه الله تعالى - مع رسوله ﷺ في الصفة التي يدعو بها إلى الله فأخبر² وقال: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾³ وهم الورثة. فهم يدعون إلى الله على بصيرة. وكذلك شركهم مع الأنبياء عليهم السلام - في الحقنة، وما ابتلوا به، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾⁴ وهم الورثة. فشرك بينهم في البلاء، كما شرك بينهم في الدعوة إلى الله.

فكان شيخنا أبو مدين ﷺ كثيرا ما يقول: "من علامات صدق المرید في إرادته، فراره عن الخلق". وهذه حالة الرسول ﷺ في خروجه وانقطاعه عن الناس في غار حراء، للتحنث. ثم يقول: "ومن علامات صدق فراره عن الخلق وجوده للحق" فما زال رسول الله ﷺ يتحنث في انقطاعه حتى فُجِئته الحق. ثم قال: "ومن علامات صدق وجوده للحق، رجوعه إلى الخلق" يريد حالة بعثه ﷺ بالرسالة إلى الناس، ويعني في حق الورثة بالإرشاد، وحفظ الشريعة عليهم.

فأراد الشيخ بهذا، صفة الكمال في الورث النبوي، فإن لله عبادا، إذا فُجِئهم الحق أخذهم إليه، ولم يردهم إلى العالم، وشغلهم به. وقد وقع هذا كثيرا. ولكن كمال الورث النبوي الرسالي (هو) في الرجوع إلى الخلق. فإن اعترضك هنا قول أبي سليمان الداراني: لو وصلوا ما رجعوا. إنما⁵ ذلك فحين رجع إلى شهواته الطبيعية ولذاته وما تاب منه إلى الله. وأما الرجوع إلى الله تعالى - بالإرشاد، فلا. يقول: لو لاح لهم بارقة من الحقيقة، ما رجعوا إلى ما تابوا إلى الله منه، ولو رأوا وجه الحق فيه. فإن موطن التكليف والأدب يمنعهم من ذلك.

1 [هود: 17]
2 ص 30
3 [يوسف: 108]
4 [آل عمران: 21]
5 ص 30 ب

وأما قول الآخر من أكابر الرجال، لما قيل له: فلان يزعم أنه وصل. فقال: إلى سقر. فإنه يريد بهذا أنه من زعم أن الله محدود، يوصل إليه، وهو القاتل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾¹ أو ثم أمر إذا وصل إليه، سقطت عنه الأعمال المشروعة، وأنه غير مخاطب بها، مع وجود عقل التكليف عنده. وإن ذلك الوصول أعطاه ذلك. فهو هذا الذي قال فيه الشيخ: "إلى سقر" أي هذا لا يصح. بل الوصول إلى الله، يقطع كل ما دونه، حتى يكون الإنسان يأخذ عن ربه. فهذا لا تمنعه الطائفة، بلا خلاف.

وكان شيخنا أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكويي يقول: "بيننا وبين الحق المطلوب عقبة كؤود، ونحن في أسفل العقبة، من جهة الطبيعة. فلا نزال نصعد في تلك العقبة حتى نصل إلى أعلاها، فإذا استشرطنا على ما وراءها من هناك لم نرجع. فإن وراءها ما لا يمكن الرجوع عنه". وهو قول أبي سليمان الداراني: "لو وصلوا ما رجعوا" يريد: إلى رأس العقبة.

فمن رجع من الناس، إنما رجع من قبل الوصول إلى رأس العقبة والإشراف على² ما وراءها. فالسبب الموجب للرجوع مع هذا إنما هو طلب الكمال. ولكن لا ينزل بل يدعوهم من مقامه ذلك، وهو قوله: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ فيشهد، فيعرف المدعو على شهود محقق. والذي لم يزد، ما له وجه إلى العالم، فيبقى هناك واقفا. وهو أيضا المستقى بالواقف. فإنه ما وراء تلك العقبة تكليف. ولا ينحدر منها إلا من مات. إلا أنه منهم - أعني من الواقفين - من يكون مستهلكا فيما يشاهده هناك. وقد وجد منهم جماعة. وقد دامت هذه الحالة على أبي يزيد البسطامي. وهذا كان حال أبي عقاب المغربي وغيره.

واعلم أنه بعد ما أعلمتك ما معنى الوصول إلى الله؛ فاعلم أن الواصلين على مراتب: منهم من يكون وصوله إلى اسم ذاتي لا يدل إلا على الله تعالى، من حيث هو دليل على الذات، كالأنساء الأعلام عندنا، لا يدل على معنى آخر مع ذلك يعقل. فهذا يكون حاله الاستهلاك، كالملائكة المقيمين في جلال الله تعالى، والملائكة الكروبيين، فلا يعرفون سواؤه، ولا يعرفهم سواؤه سبحانه. ومنهم من يصل إلى الله من حيث الاسم الذي أوصله إلى الله، أو من حيث الاسم الذي يتجلى له من الله ويأخذه من الاسم الذي أوصله إليه سبحانه.

ثم إن هذين الرجلين المذكورين، أو الشخصين، فإنه قد يكون منهم النساء، إذا وصلوا. فإن كان وصولهم من³ حيث الاسم الذي أوصله، فشاهدوه فكان لهم عين يقين؛ فلا يخلو ذلك الاسم إما أن

1 [الحديد: 4]
2 ص 31
3 ص 31 ب

يطلب صفة فعل كخالق وبارئ، أو صفة صفة كالشكور والحسيب، أو صفة تنزيه كالغني، فيكون بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم؛ ومن ثم يكون مشرب وذوقه ورثته ووجوده لا يتعداه. فيكون الغالب عليه عندنا في حاله، ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي، فتضيفه إليه وبه تدعوه، فتقول: عبد الشكور، وعبد الباري، وعبد الغني، وعبد الجليل، وعبد الرزاق.

وإن كان وصولهم إلى اسم غير الاسم الذي أوصلهم، فإنه يأتي بعلم غريب لا يعطيه حاله، بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم. فيتكلم بغرائب العلم في ذلك المقام. وقد يكون في ذلك العلم ما ينكره عليه من لا علم له بطريق القوم، ويرى الناس أن علمه فوق حاله. وهو عندنا أعلى من الذي وصل إلى مشاهدة الاسم الذي أوصله، فإن هذا لا يأتي بعلم غريب لا يناسب حاله. فيرى الناس أن علمه تحت حاله ودونه. يقول أبو يزيد البسطامي رحمه الله: "العارف فوق ما يقول، والعالم تحت ما يقول". فهذا قد حصرنا لك مراتب الواصلين؛ فمنهم من يعود ومنهم من لا يعود.

ثم إن الراجعين على قسمين: منهم من يرجع اختياراً كأبي مدين. ومنهم ¹ من يرجع اضطراراً مجبوراً. كأبي يزيد لما خلع عليه الحق، الصفات التي بها ينبغي أن يكون وارثاً، وراثته إرشاد وهداية. خطأ خطوة من عنده، فغشي عليه. فإذا النداء: "ردوا عليّ حبيبي، فلا صبر له عني". فمثل هذا لا يرغب في الخروج إلى الناس، وهو صاحب حال.

وأما العالي من الرجال؛ وهم الأكابر. وهم الذين ورثوا من رسول الله ﷺ عبوديته، فإن أمروا بالتبليغ، فيحتالون في ستر مقامهم عن أعين الناس، ليظهروا عند الناس بما لا يعلمون، في العادة، أنهم من أهل الاختصاص الإلهي. فيجمعون بين الدعوة إلى الله، وبين ستر المقام. فيدعونهم بقراءة الحديث، وكتب الرقائق، وحكايات كلام المشايخ، حتى لا تعرفهم العامة إلا أنهم ثقلة، لا أنهم يتكلمون عن أحوالهم، من مقام القرية. هذا إذا كانوا مأمورين ولا بد. وإن لم يكونوا مأمورين بذلك، فهم مع العامة، التي لم تزل مستورة الحال، لا يعتقد فيهم خير ولا شر.

ثم إن من الرجال الواصلين، من لا يكشف لهم عن العلم بالأسماء الإلهية التي تدبرهم، ولكن لهم نظر إلى الأعمال المشروعة التي يسلكون بها، وهي ثمانية: يد ورجل وبطن ولسان وسمع وبصر وفرج وقلب، ما ثم غير ذلك. فهؤلاء يفتح لهم عند وصولهم في عالم المناسبات؛ فينظرون فيما يفتح ² لهم عند الوصول إلى الباب الذي قرعوه. فعندما يفتح لهم يعرفون فيما يتجلى لهم من الغيب أي باب ذلك الباب الذي فتح لهم.

فإن كان المشهود لهم يطلب اليد، بمناسبة تظهر لهم، كان صاحب يد. وإن كان يطلب بمناسبة البصر؛ كان صاحب بصر. وهكذا جميع الأعضاء. ومن ذلك الجنس تكون كراماته إن كان ولياً، ومعجزاته إن كان نبياً. ومن ذلك الجنس تكون منازلهم ومعارفهم. كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ: «فمن يتوصاً فيسبغ الوضوء، ثم يركع ركعتين لا يحدث نفسه فيها بشيء؛ فتحت له الثمانية الأبواب من الجنة، يدخل من أيها شاء» كذلك هذا الشخص يفتح له من أعمال أعضائه، إذا كملت طهارته وصفاً سره، أي شيء كان، مما تعطيه أعمال أعضائه المكلفة. وقد بينا هذه المراتب العملية على الأعضاء في كتاب "مواقع النجوم".

ثم إن الله سبحانه - يمدهم من الأنوار بما يناسبهم، وهي ثمانية من حضرة النور: فمنهم من يكون إمداده من نور البرق، وهو المشهد الذاتي. وهو على ضربين: حُلْبٌ وغير حُلْب. فإن لم ينتج مثل صفات التنزيه، فهو البرق الحُلْب، وإن أنتج ولا ينتج إلا أمراً واحداً، لأنه ليس لله صفة نفسية سوى واحدة، هي عين ذاته لا يصح أن تكون اثنان، فإن اتفق أن ¹ يحصل له من هذا النور البرقي، في بعض كشف تعريف إلهي، لا يكون برق حُلْب.

ومنهم من يكون إمداده من حضرة النور: نور الشمس. ومنهم من يكون إمداده من نور البدر. ومنهم من يكون إمداده من نور القمر. ومنهم من يكون إمداده من نور الهلال. ومنهم من يكون إمداده من نور السراج. ومنهم من يكون إمداده من نور النجوم. ومنهم من يكون إمداده من نور النار. وما ثم نور أكثر. وقد ذكرنا مراتب هذه الأنوار في "مواقع النجوم" أيضاً، فيكون إدراكهم على قدر مراتب أنوارهم، فتميز المراتب بتميز الأنوار، وتميز الرجال بتميز المراتب.

ومن الرجال الواصلين من ليس لهم معرفة بهذا المقام، ولا بالأسماء الإلهية. ولكن لهم وصول إلى حقائق الأنبياء ولطائفهم. فإذا وصلوا فتح لهم باب من لطائف الأنبياء، على قدر ما كانوا عليه من الأعمال في وقت الفتح. فمنهم من تتجلى له حقيقة موسى ﷺ فيكون موسوي المشهد، ومنهم من تتجلى له لطيفة عيسى. وهكذا سائر الرسل. فينسب إلى ذلك الرسول بالوراثه، ولكن من حيث شريعة محمد ﷺ المقررة من شرع ذلك النبي الذي تجلى له.

فيجد هذا الواصل، أنه كان محققاً في عمله، الموجب لفتحه من جهة ظاهره أو باطنه، شرع ² نبي متقدم. مثل قوله تعالى: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ³ فإن ذلك من شرع موسى. وقرره الشارع لنا، فمن

الباب السادس والأربعون
في معرفة العلم القليل، ومَن حصله من الصالحين

العلمُ بالأشياء علمٌ واجدٌ والكثرة في المعلوم لا في ذاته
والأشعري يرى ويرغم أنه متعدّد في ذاته وصفاته
إنّ الحقيقة قد أثبت ما قاله ولو أنه من فكره وهبائه
الحق أبلغ لا خفاء بأنّه متوحّد في عينه وسدائه

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾¹ فكان شيخنا أبو مدين يقول: إذا سمع من يتلو هذه الآية: "القليل أعطيناها ما هو لنا، بل هو معار عندنا. والكثير منه لم نصل إليه، فنحن الجاهلون على الدوام". وقال من هذا الباب خضر لموسى عليه السلام: لَمَّا رَأَى الطائر الذي وقع على حرف السفينة وتقر في البحر بمنقاره: «أتدري ما يقول هذا الطائر في نقره في الماء؟ قال موسى عليه السلام لا أدري. قال: يا موسى؛ يقول هذا الطائر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله، إلّا ما نقص من هذا البحر منقاري».

والمراد بالمعلومات بذلك، لا العلم. فإن العلم لو تعدّد أدّى أن يدخل في الوجود ما لا يتناهى، وهو محال. فإنّ المعلومات لا نهاية لها. فلو كان لكلّ معلوم علم، لزم ما قلناه. ومعلوم أنّ الله يعلم ما لا يتناهى، فعلمه واحد. فلا بدّ أن يكون العلم عيناً واحدة، لأنّه لا يتعلّق بالمعلوم، حتى يكون³ موجوداً. وما هو ذلك العلم؟ هل هو ذات العالم، أو أمر زائد؟ في ذلك خلاف بين النظار، في علم الحق سبحانه. ومعلوم أنّ علم الله متعلّق بما لا يتناهى، فبطل أن يكون لكلّ معلوم علم. وسواء زعمت أنّ العلم عين ذات العالم، أو صفة زائدة على ذاته، إلّا أن تكون ممن يقول في الصفات إنّها يُنسب.

فإن كنت ممن يقول إنّ العلم نسبة خاصة، فالنسب لا تتّصف بالوجود، نعم ولا بالعدم، كالأحوال. فيمكن على هذا أن يكون لكلّ معلوم علم. وقد علمنا أنّ المعلومات لا تتناهى، فالنسب لا تتناهى. ولا يلزم من ذلك محال، كحدوث التعلّقات عند ابن الخطيب (الرازي)، والاسترسال عند إمام الحرمين.

وبعد أن فهمت ما قررناه في هذه المسألة؛ فقل بعد ذلك ما شئت، من نسبة الكثرة للعلم، والقلّة. فما

خرج عنه وقت الصلاة بنوم أو نسيان. فهؤلاء يأخذون من لطائف الأنبياء عليهم السلام. ولقينا منهم جماعة. وليس لهؤلاء في الأنوار، ولا في الأعضاء، ولا في الأسماء الإلهية، ذوق ولا شرب ولا شرب.

ومن الواصلين أيضاً إلى الله تعالى، الوصول الذي بيناه، من يجمع الله له الجميع. ومنهم من يكون له من ذلك مرتبتان وأكثر، على قدر رزقه الذي قسمه الله له منه. وكلّ إنسان من هؤلاء، إذا رُدّ إلى الخلق بالإرشاد والهداية، لا يتعدّى ذوقه في أي مرتبة كان. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

1 ص 34
2 [الإسراء: 85]
3 ص 34ب

1 [الأحزاب: 4]. وفي الهامش: "بلغ". يليه بخط الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة الظهير محمود علي، وكتبه ابن العربي".

وصف الله العلم بالقلة، إلا العلم الذي أعطى الله عباده، وهو قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ أي أعطيتم، فجعله هبة. وقال في حق عبده خضر: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾¹ وقال: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾² فهذا كله يدل على أنه نسب. لأن الواحد في ذاته لا يتصف بالقلة ولا بالكثرة، لأنه لا يتعدد.

وبهذا نقول: إن الواحد ليس بعدد، وإن كان العدد منه ينشأ. ألا ترى أن العالم، وإن استند إلى الله، ولم يلزم أن يكون الله من العالم؛ كذلك الواحد وإن نشأ منه العدد، فإنه لا يكون بهذا من العدد. فالوحدة للواحد نعت نفسي لا يقبل العدد، وإن أضيف إليه. فإن كان العلم نسبة، فإطلاق القلة والكثرة عليه، إطلاق حقيقي. وإن كان غير ذلك، فإطلاق القلة والكثرة عليه إطلاق مجازي. وكلام العرب مبني على الحقيقة والمجاز عند الناس. وإن كنا قد خالفناهم في هذه المسألة، بالنظر إلى القرآن؛ فإننا نفى أن يكون في القرآن مجاز، بل (موضع ذلك) في كلام العرب. وليس هذا موضع شرح هذه المسألة.

والذي يتعلق بهذا الباب؛ علم الوهب لا علم الكسب. فإنه لو أراد الله العلم المكتسب، لم يقل: ﴿أُوتِيتُمْ﴾ بل كان يقول: "أوتيتكم الطريق إلى تحصيله، لا هو" وكان يقول في خضر: "وعلمناه طريق اكتساب العلوم". لم يقل شيئاً من هذا. ونحن نعلم أن ثم علماء اكتسبناه من أفكارنا ومن حواسنا، وثم علماء لم نكتسبه بشيء من عندنا، بل هبة من الله ﷻ أنزله في قلوبنا وعلى أسرارنا، فوجدناه من غير سبب ظاهر.

وهي مسألة دقيقة؛ فإن أكثر الناس يتخيلون، أن العلوم الحاصلة عن التقوى، علوم وهب. وليست كذلك. وإنما هي علوم مكتسبة بالتقوى. فإن التقوى جعله الله طريقاً إلى حصول هذا العلم، فقال: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾³ وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾⁴. كما جعل الفكر الصحيح سبباً لحصول العلم، لكن بترتيب المقدمات. كما جعل البصر سبباً لحصول العلم بالمبصرات. والعلم الوهبي لا يحصل عن سبب، بل من لده سببانه.

فاعلم ذلك، حتى لا تختلط عليك حقائق الأسماء الإلهية. فإن الوهاب هو الذي تكون أعطياته على هذا الحد. بخلاف الاسم الإلهي الكريم والجواد والسخي؛ فإنه من لا يعرف حقائق الأمور، لا يعرف

1 [الكهف: 65]

2 [الرحمن: 2]

3 ص 35

4 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

5 ص 35 ب

6 [الأفان: 29]

7 [البقرة: 282]

حقائق الأسماء الإلهية. ومن لا يعرف حقائق الأسماء الإلهية، لا يعرف تنزيل الثناء على الوجه اللائق به. فلهذا نبهتكم لنتنبه ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾¹.

فالنبوات كلها علوم وهبية، لأن النبوة ليست مكتسبة. فالشرائع كلها من علوم الوهب، عند أهل الإسلام الذين هم أهله. وأريد بالاكْتِسَاب في العلوم ما يكون للعبد فيه تعمّل. كما أن الوهب ما ليس للعبد فيه تعمّل. وإنما قلنا هذا من أجل الاستعدادات، التي جعلت العالم يقبل هذا العلم الوهبي والكسبي. فإنه لا بد من الاستعداد. فإن وجد بعض الاستعدادات، مما يتعمّل الإنسان في تحصيلها، كان العلم الحاصل عنها مكتسباً. كـ «من عمل بما علم فأورثه الله علم ما لم يكن يعلم» وأشباه ذلك.

فالشرائع كلها علوم وهبية. ومن حصل علوم وهب، مما ليس بشرع، جماعة قليلة من الأولياء، منهم الخضر على التعيين. فإنه قال: ﴿مَنْ لَدُنْهُ﴾². والذي عرفناه من الأنبياء عليهم السلام- آدم وإلياس وزكريا ويحيى وعيسى وإدريس وإسماعيل. وإن كان قد حصله جميع الأنبياء عليهم السلام- ولكن ما ذكرنا منهم إلا من حصل لنا التعريف به، وسُمّوا لنا من الوجه الذي نأخذ عن الله تعالى- منه. فلهذا سمّينا هؤلاء، ولم نذكر غيرهم.

فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾³ فليس بنص في الوهب. ولكن له وجهان: وجه يطلبه ﴿أُوتِيتُمْ﴾ ووجه يطلبه ﴿قَلِيلًا﴾ من الاستقلال. أي ما أعطيت من العلم إلا ما تستقلون بحمله. وما لا تطيقونه ما أعطيناكموه؛ فإنكم ما تستقلون به. فيدخل في هذا العطاء؛ علوم النظر. فإنها علوم تستقلّ العقول بإدراكها.

واختلف أصحابنا في العلم الخدث؛ هل يتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا؟ فمن منع أن تعرف ذات الله، منع من ذلك. ومن لم يمنع من ذلك لم يمنع حصوله. ولكن ما نقل إلينا أنه حصل لأحد في الدنيا. وما أدري في الآخرة ما يكون. فإننا قد علمنا أن محمداً ﷺ قد علم «علم الأولين والآخرين» وقد قال ﷺ⁴ عن نفسه؛ إنه يحمد الله غداً يوم القيامة بمحمد عندما يطلب من الله ﷻ فتح باب الشفاعة، أخبر أن الله تعالى- يعلمه إياها في ذلك الوقت، لا يعلمها الآن. فلو علمها غيره، لم يصدق قوله: «علمت علم الأولين والآخرين» وهو ﷺ الصادق في قوله.

1 [الأنعام: 35]

2 ص 36

3 [النساء: 40]

4 [الإسراء: 85]

5 ص 36 ب

فحصل من هذا، أن أحدا لم يتعلّق علمه بما لا يتناهى. ولهذا ما تكلم الناس إلا في إمكانه، هل يمكن أم لا؟ وما كلّ ممكن واقع. ووقوع الممكنات من المسائل المتعلّقة. وكيف يكون ثمّ ممكن، ولا يقع؟ وهو المعقول عندنا في كلّ وقت. فإنّ ترجيح أحد الممكنين، أو الممكنات، يمنع من وقوع ما ليس بمرجّح في الحال. فإن كان الذي لم يقع في الوجود من الممكنات مرجّحا عدم وقوعه في الوجود، فيكون عدمه مرجّحا. فقد وقع الممكن فإنّه لا يلزم فيه من حيث الإمكان، إلا انصافه بكونه مرجّحا، سواء ترجّح عدمه أو وجوده. وإذا كان كذلك، فقد وقع كلّ ممكن، بلا شكّ، وإن لم تنشأ الممكنات، فإنّ الترجيح ينسحب عليها.

وهي مسألة دقيقة. فإنّ الممكنات وإن كانت لا تنهاى، وهي معدومة. فإنّها عندنا مشهودة للحقّ وتلك من كونه يرى، فإنّا لا نعلل الرؤية بالوجود، وإنما نعلل الرؤية للأشياء، بكون المرئيّ مستعدّا لقبول تعلّق الرؤية به، سواء كان معدوما أو موجودا. وكلّ ممكن مستعدّ للرؤية. فالممكنات وإن لم تنشأ، فهي مرئية لله تعالى لا من حيث نسبة العلم، بل من نسبة أخرى، تسمّى رؤية، كانت ما كانت. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾¹ ولم يقل هنا: "ألم يعلم بأنّ الله يعلم" وقال: ﴿تَجَرَّيْ بِأَعْيُنِنَا﴾² أي بحيث نراها، وقال أيضا لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾³ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

انتهى الجزء الرابع والعشرون، يتلوّه الجزء الخامس والعشرون.⁶

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع والأربعون

في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية، ومقاماتها، وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحنّ إليها مع علوّ مقامه، وما السرّ الذي يتجلّى له حتى يدعو إلى ذلك

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَقَّ بِالْأَوَّلِ انْصَفَ	أَتَيْتُ إِلَىٰ بَحْرِ الْبِدَايَةِ أَغْتَرِفَ
بِلَذَّةِ ظُلْمَانٍ لِأَشْرَبِ شَرِبَةً	فَيَشْهَدُنِي فِي غَايَةِ الْحَالِ أَغْتَرِفَ
فِيَا ¹ بَرْدَهَا مِنْ شَرِبَةٍ مُسْتَلَذَّةٍ	عَلَىٰ كَبِدِ حَرَاءٍ فَاعْمَلْ لَهَا وَقِفَ
فَإِنَّ لِدَاكِ الشَّرْبَ فِي الْقَلْبِ لَذَّةٌ	تَرَىٰ رُبَّهَا فِي الْوَقْتِ بِالْعُجْبِ يَتَّصِفُ
وَلَا يَخْجُبُهُ عَجْبُهُ عَنْ شُهُودِهِ	وَلَا مَا يَرَىٰ فِيهِ مِنَ الزُّهْوِ وَالصَّلَفِ
فَإِنَّ لَهُ فَيَنْتِنُ تَقْدَمُ أَسْوَةٌ	فَمَا خَلَفَ إِلَّا وَمِثْلُهَا سَلَفُ
وَرِاثَةٌ مُخْتَارٍ وَتَعَتْ مُحَقَّقُ	بِأَسْمَاءِ حَقٍّ بِالْحَقِيقَةِ مُكْتَنِفُ
وَأَنَّ نِهَائَاتِ الرِّجَالِ بِدَايَةُ	لِقَوْمٍ أَتَوْا مِنْ بَعْدِهِمْ مَا لَهُمْ خَلَفُ
كَثِيلِ رَسُولِ اللَّهِ فِي طَوْرِهِ فَمَا	أَهْ خَلَفَ بَلْ عِنْدَهُ الْأَمْرُ قَدْ وَقِفُ

اعلم أنّ العالم لما كان كَرِيّ الشكل، لهذا حنّ الإنسان في نهايته إلى بدايته. فكان خروجنا من العدم إلى الوجود به سبحانه - وإليه نرجع، كما قال تعالى: ﴿وَالِيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾³ وقال: ﴿وَأَتُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾⁴ وقال: ﴿وَالِيَهُ الْمَصِيرُ﴾⁵ ﴿وَالِىَ اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁶ ألا تراك إذا بدأت وضع دائرة، فإنّك عندما تبتدئ بها لا تزال تديرها، إلى أن تنتهي إلى أولها، وحينئذ تكون دائرة؟ ولو لم يكن الأمر كذلك، لكنّا إذا خرجنا من عنده خطأ مستقيما لم نرجع إليه، ولم يكن يصدق قوله، وهو الصادق: ﴿وَالِيَهُ

1 ص 37 ب

2 ص 38

3 [هود : 123]

4 [البقرة : 281]

5 [المائدة : 18]

6 [لقمان : 22]

1 ص 37

2 [المعلق : 14]

3 [النصر : 14]

4 [طه : 46]

5 [الأحزاب : 4]

6 "انتهى..... والعشرون" ثابتة في الهامش بقلم الأصل، وتحتها: "بلغ".

وكلُّ أمر، وكلُّ موجود، فهو دائرة يعود إلى ما كان منه بُدْؤُهُ. وأنَّ الله - تعالى - قد عيَّن لكلِّ موجود مرتبته في علمه. فمن الموجودات مَنْ خُلِقَتْ في مراتبها، ووقَّفت ولم ترح. فلم يكن لها بداية ولا نهاية. بل يقال وُجِدَتْ، فإنَّ البَدْءَ ما تُعَقِّلُ حقيقته إلَّا بظهور ما يكون بعده، بما ينتقل إليه. وهذا ما انتقل. فعين بُدْئِهِ، هو عين وجوده لا غير. ومن الموجودات ما كان وجودها أولًا في مراتبها، ثم نزل بها إلى عالم طبيعتها. وهي الأجسام المولدة من العناصر، ولاكلها، بل أجسام الثقليين.

وأقام الله لها في تلك المرتبة المعينة لها، التي أنزلت منها، على غير علم منها بها، داعيا يدعو كلَّ شخص إليها، فلا يزال يرتقي بالأعمال الصالحة، حتى يصل إليها، أو يطلبها بالأعمال التي لا يرتضيها الحقُّ. فداعي الحق إذا قام بقلب العبد، إنما يدعوهُ من² مقامه، الذي تكون غايته إليه، إذا سلَّك. ولتساكن كلُّ وارد ملنودًا لذيدًا، فإنه جديد غريب لطيف. لهذا يحسُّ إليه دائماً. ومن ذلك حبُّ الأوطان، قال ابن الرومي³:

وَحَبَّ أَوْطَانُ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ
مَارَبُ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَ
عُهُودَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَ

ولمَّا لم يتمكن للتائب أن يَرِدَ عليه وارِدُ التوبة، إلَّا حتى ينتبه من سِنَّة الغفلة، فيعرف ما هو فيه من الأعمال، التي مآلها إلى هلاكه وعَطْبِهِ. خاف ورأى أنَّه في أسْرِ هواه، وأنَّه مقتولٌ بسيف أعماله القبيحة، فقال له حاجب الباب: قد رسم المليك أنَّك إذا أقلعت عن هذه المخالفات ورجعت إليه ووقفت عند حدوده ومراسمه، أنَّه يعطيك الأمان من عقابه ويحسن إليك. ويكون من جملة إحسانه أنَّ كلَّ قبيح أتيتهُ تُرَدُّ صورته حسنة.

ثم أعطاه التوقيع الإلهي. فإذا فيه مكتوب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ⁴ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ

1 [البقرة : 245]

2 ص 38

3 ابن الرومي: (221 - 283 هـ / 836 - 896 م) علي بن العباس بن جريج أو جورجيس، الرومي. شاعر كبير، من طبقة بشائر والمثنوي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس. ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً قيل: دس له السم القاسم بن عبيد الله - وزير المعتضد - وكان ابن الرومي قد هجاه. قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرووس إلَّا وعاد إليه فهجاه، ولذلك قلت فأنشده من قول الشعر وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته. وقال أيضاً: وأخطأ محمد بن داود فيما رواه لمتقال (الوسطي) من أشعار ابن الرومي التي ليس في طاقة متقال ولا أحد من شعراء زمانه أن يقول مثلاً إلَّا ابن الرومي. [الموسوعة الشعرية]

4 مكنوب في الهامش: "من هنا سمع أحمد بن موسى التركاني".

ولمَّا قرأ وحشيٌّ - هذا التوقيع، قال: وَمَنْ لي بأن أُوَفِّقَ إلى العمل الصالح الذي اشترطه علينا في التبديل؟ فجاء في الجواب توقيع آخر فيه مكتوب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ²﴾ فقال وحشيٌّ: ما أدري هل أنا ممن شاء أن يغفر له أم لا. فجاء في الجواب توقيع ثالث فيه مكتوب: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ³﴾ فلمَّا قرأ وحشيٌّ هذا التوقيع قال: الآن. فأسلم.

رجعنا إلى التوقيع الأول، فنقول: فلمَّا قرأ هذا التوقيع الصادق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ⁴﴾ قال له حاجب الباب وهو الشارع: «إنَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له» فلمَّا ورد عليه هذا الأمان عقيب ذلك الخوف الشديد، وجد للأمان حلاوة ولذَّة، لم يكن يعرفها قبل ذلك، وقد قيل في ذلك⁵:

أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْوَجَلُ

فعندما⁶ تحسَّلَ له طعم هذه اللذَّة، وشرع في الأعمال الصالحة، وتطهَّرَ محلُّه، واستعدَّ لمجالسة المليك، فإنه يقول: «أنا جليس من ذكرني» وتقوَّت معرفته به - سبحانه - وعلم ما يستحقه جلاله، وعلم قدر من عصاه، استجيا كلُّ الحياء، وذهبت لذته التي وجدها عند ورود وارد توبته عليه، وأطلع ورأى الحضرة الإلهية، تطالبه بالأدب والشكر، على ما أولاه من النعم؛ فيكثر همُّه وغمُّه، وتنتفي لذته.

ولهذا ترى العلماء بالله، لا يرون في نومهم ما يراه المريدون أصحاب البدايات من الأنوار. فإنَّ المبتدئ يستحضر مستحسناً أعماله وأحواله، فيرى نتائجها. والعالمون ينامون على رؤية تقصير وتشریط، لما يستحقه الجناب العالي. فلا يرى (أحدهم) في النوم إلَّا ما يهقه، من ظلمات ورعد وبرق، وكلَّ أمر يستحقه الجناب العالي. فلنَّ النوم تابع للحس. ولمَّا كانت النفس بطبعها تحبُّ الأمور المألوفة، وقد فقدت لذَّة التوبة، في مخوف. فلنَّ النوم تابع للحس. ولمَّا كانت النفس بطبعها تحبُّ الأمور المألوفة، وقد فقدت لذَّة التوبة، في حال معرفتها ونهايتها، لذلك حنَّ إلى بدايتها، من أجل ما اقترن بذلك الموطن من اللذَّة، مع علوِّ مقامه. ويكون هذا الحنان، استراحةً لهُمَّة وغمِّه، الذي أعطته معرفته بالله. فهو مثل الذي يلتذُّ بالأمان. فهذا

1 [الفرقان : 68 - 70]

2 [النساء : 48]

3 [الزمر : 53]

4 [فصلت : 42]

5 القائل هو الواواء البمشقي (ت 385 هـ) شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، وفي معانيه رقة، وله ديوان شعر، والبيت هو: أحلى من الأمن عند الخائف الوجَل [الموسوعة الشعرية]

وزاير راع وجه البين منظره

سبب حنين أصحاب النهايات إلى ¹ بدايتهم.

وأما المنازل السفلية؛ فهي ما تعطيه الأعمال البدئية من المقامات العلوية: كالصلاة والجهاد والصوم وكل عمل جسدي، وما تعطيه أيضا الأعمال النفسية: وهي الرياضات من تحلل الأذى والصبر عليه والرضا بالقليل من ملذذات النفوس، والقناعة بالموجود وإن لم تكن به الكفاية، وحبس النفس عن الشكوى. فإن كل عمل من هذه الأعمال الرياضية والجهادات، لها نتائج مخصوصة؛ لكل عمل حال ومقام. وقد أبان عن بعض ذلك الشارح، ليشتدل بما ذكره، على ما سكت عنه، من حيث اختلاف النتائج لاختلاف الصفات. وتعريفا بأن النوافل من كل عبادة مفروضة، صفتها من صفة فريضة. ولهذا تكمل له منها، إذا كانت فريضته ناقصة.

ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أول ما يُنظر فيه من عمل العبد، الصلاة. فيقول الله: انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كُتِبَتْ له تامة. وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أكمّلوا لعبدي فريضته من تطوعه. ثم تؤخذ الأعمال على ذاك» وأما الحديث الآخر² في صفات العبادات، فإنه ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».

فجعل النور للصلاة، والبرهان للصدقة، وهي الزكاة، والضياء للصوم والحج، وهو المعبر عنه بالصبر لما فيها من المشقة للجوع والعطش، وما يتعلق بأفعال الحج. وجعل «لا إله إلا الله» في خبر آخر لا يزيها شيئا. ونوافل كل فريضة من هذه الفرائض من جنسها، فصفتها كصفتها. ثم أدخل في قوله: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها» وهو الذي باعها من الله. قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ³» «أو موبقها» وهو الذي اشترى «الصَّلَاةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ⁴» فعمّ بقوله: «كل الناس يغدو فبائع نفسه» جميع أحكام الشريعة: نافلتها وفريضتها، مباحها ومكروهها.

فما من عبادة شرعها الله تعالى لعباده، إلا وهي مرتبطة باسم إلهي أو حقيقة إلهية، من ذلك الاسم يعطيه الله في عبادته تلك ما يعطيه في الدنيا في قلبه؛ من منازله وعلمه ومعارفه، وفي أحواله من كراماته

1 ص 40
2 ص 40
3 [التوبة: 111]
4 [البقرة: 175]
5 ص 41

وآياته، وفي آخرته في جنّاته: في درجاته، وفي رؤية خالقه في الكشيب، في جنّة عدن خاصة في مراتبه. وقد قال الله ﷻ في المصلي: إِنَّهُ يَنَاجِيهِ، وهو نور. فيناجيه الله تعالى - من اسمه النور، لا من اسم آخر. فكما أن النور ينفر كل ظلمة، كذلك الصلاة تقطع كل شغل. بخلاف سائر الأعمال، فإنها لا تعم ترك كل ما سواها، مثل الصلاة.

فلهذا كانت نورا. يبشّره الله بذلك أنه إذا ناجاه من اسمه النور انفرده به، وأزال كل كون بشهوده عند مناجاته. ثم شرعها في المناجاة سرا وجهرا، ليجمع له فيها بين الذكرين: ذكر السر - وهو الذكر في نفسه، وذكر العلانية وهو الذكر في الملاء. العبد في صلاته يذكر الله في ملاء الملائكة، ومن حضر من الموجودات السامعين. وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة. قال الله تعالى - في الخبر الثابت عنه: «إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه» قد يريد بذلك الملائكة، المقربين، الكروبيين خاصة، الذين اختصهم لحضرته. فلهذا النفل شرع لهم في الصلاة الجهر بالقراءة والسر.

فكل عبد صلى ولم يُزل عنه صلاته كل شيء دونها، فما صلى. وما هي نور في حقه. وكل من أسر القراءة في نفسه، ولم يشاهد ذكر الله له¹ في نفسه، فما أسر. فإنه وإن أسر في الظاهر، وأحضر في نفسه ما أحضره من الاكوان: من أهل وولد وأصحاب، من عالم الدنيا وعالم الآخرة، وأحضر - الملائكة في خاطره، فما أسر في قراءته. ولا كان ممن ذكر الله في نفسه. لعدم المناسبة. فإن الله إذا ذكر العبد في نفسه، لم يطلع أحد من المخلوقين على ما في نفس الباري، من ذكره عبده. كذلك ينبغي أن يكون العبد فيها أسره؛ فإنه ما يناجي في صلاته إلا ربه، في حال قراءته وتسبيحاته ودعائه. وكذلك إذا ذكره في ملاء؛ في ظاهره وفي باطنه. فأما في ظاهره فيبين، وأما في باطنه؛ فما يُخسر معه في نفسه من المخلوقين، وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة والتسبيحات والدعاء.

ثم إنه ليس في العبادات ما² يلحق العبد بمقامات المقربين وهو أعلى مقام أولياء الله، من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن، إلا الصلاة. قال تعالى: «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ³» فإن الله في هذه الحالة، يباهي به المقربين من ملائكته، وذلك أنه يقول لهم:

"يا ملائكتي؛ أنا قرّبتكم ابتداء، وجعلتكم من خواص ملائكتي. وهذا عبدي، جعلت بينه وبين مقام القرية حجبا كثيرة، وموانع عظيمة، من أغراض نفسية وشهوات حسية، وتدير أهل ومال وولد وخدم

1 ص 41
2 ق: "من" وصححت بقلم الأصل.
3 [العلق: 19]

وأصحاب وأهوال¹ عظام، فقطع كل ذلك وجاهد، حتى سجد واقترب؛ فكان من المقرين. فانظروا ما خصصكم به - يا ملائكتي - من شرف المقام، حيث ما ابتليتكم بهذه الموانع، ولا كلفتكم مشاقها. فاعرفوا قدر هذا العبد، وراعوا له حق ما قاساه في طريقه من أجلي.

فيقول الملائكة: "يا ربنا؛ لو كنا ممن يتنعم بالجنان، وتكون محلًا لإقامتنا، ألسنت كنت تعين لنا فيه منازل تقتضيها أعمالنا؟ ربنا؛ نحن نسألك أن تهيبا لهذا العبد" فيعطيه الله ما سألته فيه الملائكة.

فانظر ما أشرف الصلاة. وأفضل ما فيها، ذكر الله من الأقوال، والسجود من الأفعال. ومن أقوالها: "سمع الله لمن حمده" فإنه من أفضل أحوال العبد في الصلاة للنيابة عن الحق، فإن الله قال على لسان عبده: "سمع الله لمن حمده". يقول تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾² الظاهر، للتحريم والتحليل الذي فيها ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني فيها من أفعالها.

وينبغي للمحقق أنه لا يذكر الله إلا بالأدكار الواردة في القرآن، حتى يكون في ذكره تاليا، فيجمع بين الذكر والتلاوة معًا في لفظ واحد. فيحصل على أجر التالين والذاكرين. أعني الفضيلة. فيكون فتحه في ذلك، من ذلك القبيل. وعلمه وسره وحاله ومقامه ومنزله. وإذا ذكره من غير أن يقصد الذكر الوارد في القرآن، فهو ذاك لا غير. فينقصه من الفضيلة على قدر ما نقصه من القصد. ولو كان ذلك الذكر من القرآن غير أنه لم يقصده.

وقد ثبت أن «الأعمال بالنيات وإنما لأمرئ ما نوى» فينبغي لك إذا قلت: "لا إله إلا الله" أن تقصد بذلك التهليل الوارد في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾³ وكذلك التسييح والتكبير والتحميد. وأنت تعلم أن أنفاس الإنسان نفيسة، والنفس إذا مضى لا يعود. فينبغي لك أن تخرجه في الأنف والأعز. فهذا قد نهئتك على نسبة النورية من الصلاة.

وأما اقتران البرهان بالصدقة؛ فهو أن الله تعالى - جبل الإنسان على الشح، وقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾⁴ يعني في أصل نشأته ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾⁵ وقال: ﴿وَمَنْ يُؤْكَلْ شَحْنُهُ﴾⁶ فنسب الشح لنفس الإنسان. وأصل ذلك أنه استفاد وجوده من الله، فنظر على الاستفادة

1 ص 42
2 [المنكوت : 45]
3 ص 42
4 [محمد : 19]
5 [المعارج : 19]
6 [المعارج : 20، 21]
7 [الخصر : 9]

لا على الإفادة. فما تعطي حقيقته أن يتصدق. فإذا تصدق كانت صدقته برهانا على أنه قد وقى شح نفسه، الذي جبله الله عليه، فلذلك قال: «الصدقة برهان».

ولما كانت الشمس¹ ضياء يكشف به كل ما تنبسط عليه لمن كان له بصر، فإن الكشف إنما يكون بضياء النور لا بالنور. فإن النور ما له سوية تنفير الظلمة، وبالبضياء يقع الكشف. وإن النور حجاب كما هي الظلمة حجاب. قال رسول الله ﷺ في حق ربه تعالى: «حجابه النور» وقال: «إن الله سبعين حجابا من نور وظلمة» أو «سبعين ألفا» وقيل له ﷺ: «أرأيت ربك؟ فقال ﷺ: نور أنى أراه» فجعل الصبر، الذي هو الصوم، والحج ضياء، أي يكشف به إذا كنت متلبسا به، ما تعطيه حقيقة الضوء من إدراك الأشياء.

قال رسول الله ﷺ عن ربه تعالى - أنه قال: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» وقال ﷺ لرجل: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾². فالصوم صفة صمدانية. وهو التنزه عن التغذي، وحقيقة المخلوق التغذي. فلما أراد العبد أن يتصف بما ليس من حقيقته، أن يتصف به، وكان اتصافه به شرعا لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾³ قال الله له: "الصوم لي لا لك" أي أنا هو الذي لا ينبغي لي أن أطمع وأشرب، وإذا كان بهذه المثابة وكان سبب دخولك فيه كوني شرعته لك، فأنا أجزي به.

كأنه يقول: "أنا جزاؤه". لأن صفة التنزه عن الطعام والشراب تطلبني. وقد تلبست بها، وما هي حقيقتك، وما هي لك. وأنت متصف بها في حال صومك. فهي تدخلك علي. فإن الصبر حبس النفس، وقد حبستها بأمرى، عما تعطيه حقيقتها من الطعام والشراب. فلماذا قال: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره» وتلك الفرحة لروحه الحيواني لا غير «وفرحة عند لقاء ربه» وتلك الفرحة لنفسه الناطقة، لطيفته الربانية. فأورثه الصوم لقاء الله، وهو المشاهدة.

فكان الصوم أتم من الصلاة؛ لأنه أنتج لقاء الله ومشاهدته. والصلاة مناجاة لا مشاهدة. والحجاب يصحبها. فإن الله يقول: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾⁴ وكذلك ﴿كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾⁵ ولذلك طلب الرؤية. فقرن الكلام بالحجاب والمناجاة مكلمة. يقول الله: «قسمت الصلاة بيني

1 ص 43
2 [الشورى : 11]
3 [البقرة : 183]
4 ص 43
5 [الشورى : 51]
6 [النساء : 164]

وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل. يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹
يقول الله: حمدي عبدي». والصوم لا ينقسم فهو لله لا للعبد، بل للعبد أجره من حيث ما هو لله.

وهنا سر شريف؛ فقلنا إن المشاهدة والمناجاة لا يجتمعان، فإن المشاهدة للبهت، والكلام لفهم. فأنت¹
في حال الكلام مع ما يتكلم به لا مع المتكلم، أي شيء كان. فافهم القرآن تفهم الفرقان. فهذا قد حصل لك
الفرق بين الصلاة والصوم والصدقة. وأمّا قولنا: "إن الله جزاء الصائم" للقائه ربه في الفرح به الذي قرنه
به. فسير ذلك في قوله في سورة يوسف: ﴿مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾².

وأمّا الحج؛ فلما فيه من الصبر، وهو حبس الإنسان نفسه عن النكاح، ولبس الخيط والصفرة، كما
حبس الإنسان نفسه عن الطعام في الصوم³ والشراب والنكاح. ولما لم يعمّ الحج مسك الإنسان نفسه عن
الطعام والشراب، إلا عن النكاح والغيبة، لذلك تأخر في القواعد التي بُني الإسلام عليها، فكان حكمه حكم
الصائم والمصلي حال صومه وصلاته في التنزه عن مباشرة السكن وذلك التنزه، يقول الله: "هو لي لا
لك" حيث كان.

ولما كان النكاح سببا لظهور المولدات من ذلك أعطاه الله، إذ تركه من أجله، بدله "كن" في الآخرة،
ولأوليائه في الدنيا "بسم الله" لمن أراد الله أن يظهر على يده أثرا. فيقول العبد في الآخرة للشيء يريد: "كن"
فيكون ذلك الشيء، وليس قوله إلا من كونه حاجا أو صائما. ولهذا شرك بين الحج والصوم في لفظة
الصبر، فقال: «والصبر ضياء» هذا⁴ وإن لم يكن فيه صوم واجب. فإن ترك الطعام فيه لشغله بالدعاء في
ذلك اليوم من الظهور، وهو السنة في ذلك اليوم في ذلك الموضع للحاج خاصة، فالمشتغل فيه لا شك أن
الجوع جوع العادة- يلزمه.

والطاقة تسمى الجوع في الموتات الأربعة: الموت الأبيض، وهو مناسب للضياء. فإن لأهل الله أربع
موتات: موت أبيض وهو الجوع، وموت أحمر وهو مخالفة النفس في هواها. وموت أخضر: وهو طرح
الرقاع في اللباس، بعضها على بعض. وموت أسود: وهو تحمّل أذى الخلق، بل مطلق الأذى.

وإنما سمّيت لبس المرقعات موتا أخضر، لأن حالته حالة الأرض في اختلاف النبات فيه والأزهار،
فأشبه اختلاف الرقاع. وأمّا الموت الأسود لاحتمال الأذى، فإن في ذلك غم النفس، والغم ظلمة النفس،

1 ص 44

2 [يوسف: 75]

3 "في الصوم" نابعة في الهامش بقلم الأصل.

4 ص 44 ب

والظلمة تشبه في الألوان السواد. والموت الأحمر مخالفة النفس شبيهة بحمرة الدم؛ فإنه من خالف هواه فقد
ذبح نفسه.

وستأتي إن شاء الله- في هذا الكتاب، أبواب مفردات في شهادة التوحيد والصلاة والزكاة والصوم
والحج، وهي قواعد الإسلام التي بني عليها. ومن أراد أن يعرف من أسرار الصلاة شيئا، وما تنتج كل
صلاة من المعارف، وما لها من¹ الأرواح النبوية والحركات الفلكية، فلينظر في كتابنا المسّمى بـ "التنزيلات
الموصليّة" وهذا القدر في هذا الباب كافٍ في المقصود، فلنذكر بعض أسرار من المعارف، كما ترجمنا عليه،
بطريق الإنجاز.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

سرّ الهي: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾

قالت الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾² وهكذا كل موجود ما عدا الثقلين. وإن كان الثقلان
أيضا مخلوقين في مقامهما. غير أن الثقلين لهما في علم الله مقامات معيّنة مقدّرة عنده عُيِّتَ عنهما، إليهما ينتهي
كل شخص منها بانتهاه أنفاسه. فأخر نفس هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه. ولهذا دُعُوا إلى السلوك
فسلكوا: "علّوا" بإجابة الدعوة المشروعة، و"سفلا" بإجابة الأمر الإرادي من حيث لا يعلمون، إلا بعد
وقوع المراد.

فكل شخص من الثقلين ينتهي في سلوكه إلى المقام المعلوم، الذي خلق له. ومنهم شقي وسعيد. وكل
موجود سواهما فمخلوق في مقامه، فلم ينزل عنه. فلم يؤمر بسلوك إليه لأنه فيه؛ من ملك وحيوان ونبات
ومعدن. فهو سعيد عند الله، لا شقاء يناله.

فقد دخل الثقلان في قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ عند الله، ولا يتمكن لمخلوق من
العالم، أن³ يكون له علم بمقامه إلا بتعريف الهي، لا بكونه فيه. فإن كل ما سوى الله ممكن، ومن شأن
الممكن أن لا يقبل مقاما معيّنا لذاته، وإنما ذلك لمرجحه بحسب ما سبق في علمه به. والمعلوم هو الذي
أعطاه العلم به، ولا يعلم هو ما يكون عليه. وهنا هو سرّ القدر المتحكّم في الخلق. إذ كان علم المرجّح لا
يقبل التغير، لاستحالة عدم القديم، وعلمه بتعيين المقامات قديم. فلذلك لا ينعدم.

1 ص 45

2 [الصافات: 164]

3 ص 45 ب

وهذه المسألة من أغصان المسائل العقلية. وهذا مما يدل على أن علمه سبحانه بالأشياء ليس زائداً على ذاته، بل ذاته هي المتعلقة من كونها علماً بالمعلومات، على ما هي المعلومات عليه. خلافاً لبعض النظائر. فإن ذلك يؤدي إلى نقص الذات عن درجة الكمال، ويؤدي إلى أن تكون الذات قد حكم عليها أمر زائد، أوجب لها ذلك الزائد حكماً يقتضيه، ويطل كونه الذات تفعل ما تشاء وتختار ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾¹.

فتتحقق هذه المسألة، وتفرغ إليها، فإنها غامضة جداً في مسائل الحيرة، لا يهتدي إليها عقل على الحقيقة، من حيث فكره، بل يكشف إلهي نبوي.

ثم نرجع ونقول: إن جماعة من أصحابنا غلطت في هذه المسألة لعدم الكشف، فقالت بطريق القوة والفكر الفاسد²: "إنَّ الكامل من بني آدم أفضل من الملائكة عند الله مطلقاً". ولم تقيّد صنفاً، ولا مرتبة من المراتب التي تقع بها الفضلية، لمن هو فيها على غيره. ثم علّلت فقالت: "إنَّ لبني آدم الترقّي مع الأنفاس، وليس للملائكة هذا؛ فإنها خلقت في مقامها". وما علمت الجماعة القائلة بهذا، هذه الحقيقة التي نبهنا عليها. والترقي الصحيح لنا وللملائكة ولغيرهم، وهو لازم لكل، دنيا وبرزخاً وآخرة. هذا لكل متّصف بالموت في العلم.

ألا ترى الملائكة مع كونها لها مقامات معلومة لا تتعداها، وما حرّمت مزيد العلم. فإن الله قد عرفنا أنه علمهم الأسماء على لسان آدم عليه السلام فزادهم علماً إلهياً، لم يكن عندهم بالأسماء الإلهية؛ فسبحوه وقدسوه بها. فساوؤنا الملائكة في الترقّي بالعلم لا بالعمل. كما لا نترقي نحن بأعمال الآخرة لزوال التكليف. فنحن وإياهم على السواء في ذلك في الآخرة.

فما ارتقينا نحن في الدنيا، إلى المقام الذي قبضنا عليه - وهو المقام الذي خلق فيه غيرنا ابتداء - لشرفنا على غيرنا. وإنما كان ذلك لئلا نكون لا غير. فلم يفهم القائلون بذلك، ما أَرَادَهُ اللهُ مع وجود النصوص في القرآن، مثل قوله: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾³ ولا يقال: "كونهم خلّقوا على الصورة، أدّى إلى ذلك الابتلاء". فإنَّ الجانَّ شاركونا في هذه المرتبة، وليس لهم حظٌّ في الصورة، فاعلم. والله الموفق⁵.

1 [آل عمران: 6]

2 ص 46

3 ص 46

4 [هود: 7]

5 مكتوب في الهامش: "بلغ".

وَضَلَّ

سِرِّ إلهي: (نهاية الدائرة مجاورة لبدايتها)

بهاية الدائرة مجاورة لبدايتها. وهي تطلب النقطة لذاتها، والنقطة لا تطلبها. فصَحَّ نهاية أهل الترقّي من العالم، وصَحَّ افتقار العالم إلى الله، وغنى الله عن¹ العالم. وتبين أنه كل جزء من العالم، يمكن أن يكون سبباً في وجود عالم آخر مثله، لا أكل منه إلى ما لا يتناهى. فإنَّ محيط الدائرة نُقْطَةً متجاوزة، في أحياز متجاوزة، ليس بين حيزين حيزٌ ثالث. ولا بين النقطتين المفروضتين أو الموجودتين فيها نقطة ثالثة. لأنَّه لا حيز بينهما. فكل نقطة يمكن أن يكون عنها محيط، وذلك المحيط الآخر؛ حكمه حكم المحيط الأول، إلى ما لا نهاية له.

والنهاية في العالم حاصلة، والغاية من العالم غير حاصلة. فلا تنال الآخرة دائمة التكوين، عن العالم. فإنهم يقولون في الجنان للشيء يريدونه: "كن" فيكون. فلا يتوهمون أمراً ما، ولا يخطر لهم خاطر في تكوين أمر ما، إلا ويتكوّن بين أيديهم.

وكذلك أهل النار لا يخطر لهم خاطرٌ خوف من عذاب أكبر مما هم فيه، إلا تتكوّن فيهم أو لهم، ذلك العذاب، وهو عين حصول الخاطر.

فإنَّ الدار الآخرة² تقتضي تكوين العالم عن العالم، بـ"كن" حساً. وبمجرد حصول الخاطر والهم والإرادة والتمني والشهوة، كل ذلك محسوس. وليس ذلك في الدنيا - أعني من الفعل بالهمة - لكل أحد. وقد كان ذلك في الدنيا لغير الولي، كصاحب العين والغزائية³ بإفريقية، ولكن ما يكون بسرعة تكوين الشيء بالهمة في الدار الآخرة. وهذا في الدار الدنيا نادر شاذ، كفضيب البان وغيره، وهو في الدار الآخرة للجميع.

فصدق قول الإمام أبي حامد: "ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم" لأنَّه ليس أكل من الصورة التي خلق عليها الإنسان الكامل. فلو كان، لكان في العالم ما هو أكل من الصورة، التي هي الحضرة الإلهية.

1 "الله عن" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب.

2 ص 47

3 ورد ذكرهم في الباب 192 والباب 229 من هذا الكتاب ووصفهم بأن لهم همة الإرادة وأنهم "يقتلون بالهمة، ويعزلون ويتحكمون لقوة همهم".

وَصُلِّ

سِرِّ إلهي: (كلُّ خطٍّ يخرج من النقطة إلى المحيط مساوٍ لصاحبه)

كلُّ خطٍّ يخرج من النقطة إلى المحيط مساوٍ لصاحبه، وينتهي إلى نقطة من المحيط. والنقطة في ذاتها ما تعددت ولا تزدت، مع كثرة الخطوط الخارجة منها إلى المحيط. وهي تقابل كلَّ نقطة من المحيط بذاتها. إذ لو كان ما تقابل به نقطة من المحيط غير ما تقابل به نقطة أخرى لانقسمت، ولم يصحَّ أن تكون واحدة وهي واحدة. فما قابلت النقط كلها على كثرتها، إلّا بذاتها. فقد ظهرت الكثرة عن الواحد العين¹، ولم يتكثّر هو في ذاته. فبطل قول من قال: "إنّه لا يصدر عن الواحد إلّا واحد".

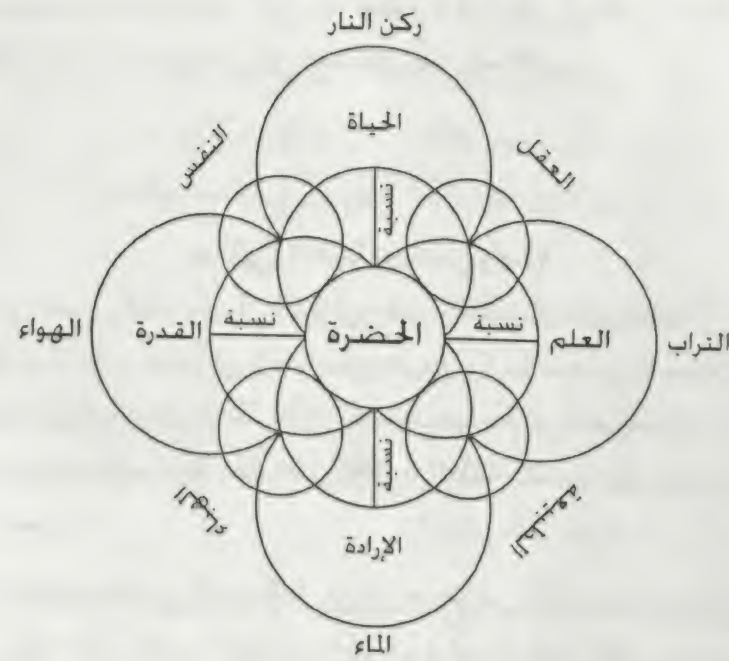
فذلك الخطّ الخارج من النقطة إلى النقطة الواحدة من المحيط، هو الوجه الحاصل الذي لكلِّ موجود من خالقه سبحانه - وهو قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾² فالإرادة هنا: هو ذلك الخطّ الذي فرضناه خارجاً من نقطة الدائرة إلى المحيط، وهو التوجّه الإلهي الذي³ عين تلك النقطة في المحيط بالإيجاد. لأنّ ذلك المحيط هو عين دائرة الممكنات.

والنقطة التي في الوسط، المعيّنة لنقطة الدائرة المحيطة، هي الواجب الوجود لنفسه.

وتلك الدائرة المفروضة (هي) دائرة أجناس الممكنات، وهي محصورة في جوهر متحيّز، وجوهر غير متحيّز، وأكوان وألوان. والذي لا ينحصر (هو) وجود الأنواع والأشخاص، وهو ما يحدث من كلّ نقطة من كلّ دائرة من الدوائر، فإنّه يحدث فيها دوائر الأنواع، وعن دوائر الأنواع دوائر أنواع وأشخاص، فاعلم ذلك.

والأصل، النقطة الأولى لهذا كله، وذلك الخطّ المتصل من النقطة إلى النقطة المعيّنة من محيطها، يمتدّ منها إلى ما يتولد عنها من النقط في نصف الدائرة الخارجة عنها، وعن⁴ ذلك النصف تخرج دوائر كاملة. وعلة ذلك: الامتياز بين الواجب الوجود لنفسه، وبين الممكن.

فلا يمكن أن يظهر عن الممكن، الذي هو دائرة الأجناس، دائرة كاملة. فإنّها كانت تدخل بالمشاركة فيما وقع به الامتياز، وذلك محال. فتكوين دائرة كاملة من الأجناس مُحال، ليتبين نقص الممكن عن كمال الواجب الوجود لنفسه. وصورة الأمر فيها هكذا:



صورة شكل الأجناس والأنواع من غير قصد للحصر، إذ للأنواع أنواع، حتى ينتهي إلى النوع الأخير، كما ينتهي إلى جنس الأجناس

واعلم¹ أنّ لنفوس الثقلين ونفوس الحيوان قوتين: قوّة علميّة وقوّة عمليّة عند أهل الكشف. وقد ظهر ذلك في العموم من الحيوان كالنحل والعنكب والطيور التي تتخذ الأوكار، وغيرهم من الحيوانات. ولنفس الثقلين دون سائر الحيوان قوّة ثالثة ليست للحيوان ولا للنفس الكليّة، وهي القوّة المفكّرة فيكتسب بعض العلوم من الفكر هذا النوع الإنساني، ويشارك سائر العالم في أخذ العلوم من الفيض الإلهي. وبعض علومها كالحيوان بالنتطرة، كتلقّي الطفل ثدي أمّه للرضاعة وقبوله للبتن.

وليس لغير الإنسان اكتساب علوم تبقى معه من طريق فكر. فالفكر من الإنسان بمنزلة الحقيقة الإلهيّة المنصوص عليها بقوله تعالى: ﴿يَذَكِّرُ الْأَمْرَ يَقْضِي الْأَيَّاتِ﴾² وقوله تعالى: ﴿فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ عَنْهُ: «مَا تَرَدَّدَتْ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ» وليس للعقل الأوّل هذه الحقيقة، ولا للنفس الكليّة. فهذا أيضاً مما أُخْتُصَّ به الإنسان من الصورة التي لم يخلُق غيره عليها.

1 ص 48 ب
2 [الرعد : 2]

1 ص 47 ب
2 [النحل : 40]
3 كتب في الهامش بقلم آخر مقابله: "إلى" وعليها حرف ظ، (أي ظن).

ونحن نعلم أنَّ الإنسان الكامل، موجود على الصورة. ونحن نقطع أنَّه ما أوجد الله غير الإنسان على ذلك، فإنه ما ورد وقوع ذلك، ولا عدم وقوعه، لا على لسان نبيٍّ ولا في كتاب منزل. وإنَّ غلط في ذلك جماعة، فإنهم لم يستندوا فيه إلى تعريف إلهيٍّ. وإنما يحتجّون بالخبر، وليس في الخبر ما يدلُّ على أنَّ غير الإنسان الكامل ما خُلق على الصورة، ويمكن صحّة ذلك ويمكن عدم صحّته.

وَضَلَّ

سرّ إلهي: (الطبيعة بين النفس والهباء)

الطبيعة بين النفس والهباء؛ وهو رأي الإمام أبي حامد، ولا يمكن أن تكون مرتبتها إلا هنالك. فكلُّ جسم قبل الهباء، إلى آخر موجود من الأجسام، فهو طبيعيٌّ. وكلُّ ما تولّد من الأجسام الطبيعيّة من الأمور والقوى والأرواح الجزئية والملائكة والأنوار، فللطبيعة فيها حكم إلهيٌّ، قد جعله الله تعالى - وقدره. حكم الطبيعة من الهباء إلى ما دونه. وحكم النفس الكليّة من الطبيعة، فما دونها. وما فوق النفس فلا حكم للطبيعة ولا للنفس فيه.

وفيا ذكرناه خلاف كثير بين أصحاب النظر من غير طريقنا من الحكماء، فإنَّ المتكلم لا حظَّ له في هذا العلم، من كونه متكلمًا بخلاف الحكيم، فإنَّ الحكيم عبارة عمّن جمع العلم الإلهي والطبيعي والرياضي والمنطقي، وما تمَّ إلا هذه الأربع المراتب من العلوم.

وتختلف الطريق في تحصيلها، بين الفكر والوَهْب²، وهو الفيض الإلهي. وعليه طريقة أصحابنا، ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرّق إليه من الفساد، والصحة فيه مظنونة. فلا يوثق بما يعطيه. وأعني بأصحابنا، أصحاب القلوب والمشاهدات والمكاشفات، لا العبّاد ولا الزهّاد، ولا مطلق الصوفيّة، إلا أهل الحقائق والتحقيق منهم. ولهذا يقال في علوم النبوة والولاية؛ إنها وراء طور العقل، ليس للعقل فيها دخولٌ بفكر، لكن له القبول خاصّة عند السليم العقل، الذي لم تغلب عليه شبهة خياليّة فكريّة، يكون من ذلك فسادُ نظره. وعلوم الأسرار كثيرة، **﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾**³.

1 ص 49

2 ص 49 ب

3 [الأحزاب: 4]. وكتب في الهامش: "بلغ" يليه: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه. كتبه علي النشبي". يليه: "سمع من أول الكتاب إني هنا على مصنفه الإمام محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي أبقاه الله بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأثمة: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلي، ونصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو المعالي عبد العزيز بن الجباب، وأبو بكر بن سليمان الحروي، وإبناه عبد الواحد، وأحمد، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، ومحمد بن يرقش المعظمي، ويوسف بن الحسن النابلسي، ومحمد بن نصر الله، ويعقوب بن معاذ الوري، وأبو بكر بن محمد البلخي، وعيسى بن إسحق الهذلي، وعبد الله بن محمد الأندلسي، وعمران بن محمد، ومحمد بن علي المطرز، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وعلي بن محمود بن أبي الرجا، وأحمد بن محمد بن أبي

الباب الثامن والأربعون

في معرفة إنما كان كذا لكذا؛ وهو إثبات العلة والسبب

إِنَّمَا كَانَ هَكَذَا لِكَذَا عِلْمٌ مَنْ حَازَ رُثْيَةَ الْحِكْمِ
لَا تُعْلَلُ وَجُودَ خَالِقِنَا فَيَكُنْ سَبْرُكُمْ¹ إِلَى الْعَدَمِ
وَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي مَا لَهُ أَوَّلٌ فِي الْحُدُوثِ وَالْقَدَمِ

أول² مسألة من هذا الباب: (ما السبب الموجب لوجود العالم)

ما السبب الموجب لوجود العالم، حتى يقال فيه: إنما وُجد العالم لكذا؟ وذلك الأمر المتوقّف عليه صحّة وجوده؛ إمّا أن تكون علة فتطلب معلولها لذاتها. وإذا كان هذا فهل يصحّ أن يكون للمعلول علّتان، فما زاد، أو لا يصحّ؟ وذلك في النظر العقلي لا في الوضعيات. وإذا تعدّدت العلل؛ فهل تعدّدها يرجع إلى أعيان وجوديّة؟ أو هل هي نسبت لأمر واحد؟.

وتمّ أمور يتوقّف صحّة وجودها على شرط يتقدّمها، أو شروط. ويجمع ذلك كلّهُ اسم السبب. وللشرط حكم، وللعلة حكم. فهل العالم في افتقاره إلى السبب الموجب لوجوده؛ افتقار المعلول إلى العلة؟ أو افتقار المشروط إلى الشرط؟ وأيّها كان لم يكن الآخر. فإنَّ العلة تطلب المعلول لذاتها، والشرط لا يطلب المشروط لذاته. فالعلم مشروط بالحياة، ولا يلزم من وجود الحياة وجود العلم. وليس كون العالم عالمًا كذلك: فإنَّ العلم علة، في كون العالم عالمًا. فلو ارتفع العلم ارتفع كونه عالمًا.

فهو من هذا الوجه يشبه الشرط. إذ لو ارتفعت الحياة ارتفع العلم. ولو ارتفع كونه عالمًا، ارتفع العلم. فتميّز عن الشرط. إذ لو ارتفع العلم، لم يلزم ارتفاع الحياة. فهاتان مرتبتان معقولتان، قد تميّزتا. تسمّى الواحدة علة، وتسمّى الأخرى شرطًا.

الفرج التكريتي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد - ابن المصنف -، ومحمد بن أحمد بن زرّافة، وأحمد بن أبي الهيجاء، وأبو بكر بن يونس الخلال، وإبناه إبراهيم، ومحمد بن علي الخلاطي، ويحيى بن إسماعيل الماطي، وعلي بن أبي التناخم النّسّال، وحسين بن محمد الموصلي، وأحمد بن محمد بن سليمان الحريري، وكتاب الأسماء إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وسفّانة. وسمع من أول الجزء الرابع والعشرين إلى هنا محمد بن جمعة البلنسي، وإبناه محمد، ومن موضع اسمه إلى هنا أحمد بن موسى التركاني وصحّ وثبت.

1 السّبر: التّجربة. وسبر الشيء سبرًا: خزره وخبره. واشبر لي ما عنده أي أغلّته. والسّبر: استخراج كنهه الأمر. والسّبر: تضنّ سبر الجرح يسيره ويسيره سبرًا نظر مقارنه وقاسه ليغترف غوّزه. ومُسبَرّة: نهايته. وفي حديث الغار: قال له أبو بكر: لا تدخّله حتى أشبره قبلك أي اختبره وأخبرته وأنظر هل فيه أحد أو شيء يؤذي. [لسان العرب]، وفي س: سبرنا، ه: سيركم

2 ص 50

3 ق: "كلها" وصححها بقلم الأصل في الهامش مع إشارة التصويب.

فهل نسبة العالم في¹ وجوده إلى الحق نسبة المعلول، أو نسبة المشروط؟ محال أن تكون نسبة مشروط على المذهبين. فإننا لا نقول في المشروط يكون ولا بد. وإنما نقول: إذا كان؛ فلا بد من وجود شرطه المصحح لوجوده، ونقول في العالم على مذهب المتكلم الأشعري: إنه لا بد من كونه، لأن العلم سبق بكونه، ومحال وقوع خلاف المعلوم. وهذا لا يقال في المشروط.

وعلى مذهب الخالف، وهم الحكماء، فلا بد من كونه؛ لأن الله اقتضى وجود العالم لذاته. فلا بد من كونه، ما دام موصوفا بذاته. بخلاف الشرط. فلا فرق إذن بين المتكلم الأشعري والحكيم، في وجوب وجود العالم بالغير. فلنستعمل في العلم بكون العالم أزلًا: علة، كما يسمى الحكيم الذات: علة، ولا فرق.

ولا يلزم مساوقة المعلول علته في جميع المراتب. فالعلة متقدمة على معلولها بالمرتبة، بلا شك. سواء كان ذلك سبق العلم، أو ذات الحق. ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه، وبين الممكن بوقت زمني، ولا تقدير زمني. لأن كلامنا في أول موجود ممكن. والزمان من جملة الممكنات. فإن كان أمرا وجوديًا، فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات. وإن لم يكن أمرا وجوديًا، وكان نسبة. فحدثت النسبة بحدوث الموجود المعلول، حدوثًا عقليًا، لا حدوثًا وجوديًا. وإذا لم يعقل بين الحق والخلق، بوقت زمني فلم يبق إلا الرتبة. فلا² يصح أن يكون أبدا، الخلق في رتبة الحق. كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة، من حيث ما هو معلول عنها.

فالذي هرب منه المتكلم في زعمه، وشنع به على الحكيم، القائل بالعلة. يلزمه في سبق العلم، بكون المعلوم. لأن سبق العلم يطلب كون المعلوم لذاته ولا بد، ولا يعقل بينها بوقت مقدّر. فهذا قد نبهناك على بعض ما ينبغي في هذه المسألة.

فالعالم لم يبرح في رتبة إمكانه، سواء كان معدوما أو موجودا. والحق تعالى - لم يبرح في مرتبة وجوب وجوده لنفسه، سواء كان العالم أو لم يكن. فلو دخل العالم في الوجود النفسي، لزم قدم العالم، ومساووقته في هذه الرتبة، لواجب الوجود لنفسه، وهو الله. ولم يدخل، بل بقي على إمكانه، وافتقاره إلى موجد وسببه، وهو الله تعالى. فلم يبق معقول البيئية، بين الحق والخلق، إلا التميز بالصفة النفسية. فهذا يفرق بين الحق والخلق فافهم.

وأما قولنا: هل يكون في العقل للأمر المعلول علتان؟ فلا يصح أن يكون للمعلول العقلي علتان. بل إن كان معلولا فعن علة واحدة. لأنه لا فائدة للعلة إلا أن يكون لها أثر في المعلول. وأما إن اتفق أن يكون

من شرط المعلول، أن يكون على صفة بها يقبل أن يكون معلولا لهذه العلة، ولا يمكن أن يكون هذا علة لذلك المعلول نفسه، إلا أن يكون ذلك المعلول بتلك الصفة النفسية، فلا¹ بد منها.

ولا يلزم من هذا أن تكون تلك الصفة النفسية علة له، فإنها صفة نفسية. والشيء لا يكون علة لنفسه، فإنه يؤدي إلى أن تكون العلة عين المعلول، فيكون الشيء متقدما على نفسه بالرتبة، وهذا محال. فكون الشيء علة لنفسه محال. فإن العالم لو لم يكن في نفسه على صفة يقبل الاتصاف بالوجود والعدم على السواء، لم يصح أن يكون معلولا لعلته المرجحة له أحد الجانبين، بالنظر إلى نفسه. فإن الحال لا يقبل صفة الإيجاد. فلا يكون الحق علة له. فبطل أن يكون كونه ممكنا علة له، وبطل أن يكون للشيء علتان. فإن الأثر للعة في المعلول، إنما كان وجوده، فما حكم العلة الأخرى فيه؟ إن كان وجوده، فقد حصل من إحداها، فلم يبق للآخر أثر.

فإن قيل باجتماعها، كان المعلول عن ذلك الاجتماع، فكان عنها. قلنا: فكل واحد منها إذا انفرد لا يكون علة، ولا يصح عليه اسم العلية، وقد صح. فبطل أن يكون كونه علة، متوقفا على أمر آخر. فإن قال: وما المانع أن تكون العلة بالاجتماع؟ قلنا: إنما يكون الشيء علة لنفسه لهذا المعلول عنه لا غيره، فيكون معلولا لتلك الغير، لأن ذلك الغير كسبه العلية، وكل مكتسب لا يكون صفة نفسية.

ولو قلنا باجتماعها كان علة؛ فلا يخلو ذلك الاجتماع أن يكون أمرا زائدا على نفس كل واحد منها، أو هو عينها. لا² جائز أن يكون عينها. فإننا نقول عين كل واحد منها، ولا اجتماع. فلا بد أن يكون زائدا. فذلك الزائد لا بد أن يكون وجودا أو عدما، أو لا وجودا ولا عدما، أو وجودا وعدما معا. فهذا القسم الرابع محال بالبدئية، ومحال أن يكون وجودا، للتسلسل اللازم له بما يلزمه من ملزومه، أو الدور؛ فيكون علة لمن هو معلول له، وهذا محال. ومحال أن يكون عدما، لأن عدم نقي محض، ولا يتصف النفي المحض بالأثر. ومحال أن يكون لا وجود ولا عدم كالنسب، إذ لا حقيقة للنسب في الوجود، فإنها أمور إضافية تحدث. ولا يكون ما يحدث علة، لما هو عنه حادث. فبطل أن يكون للشيء علتان في العقل.

وأما في الوضعيات فقد يعتبر الشرع أمورا تكون بالجموع، سببا في ترتيب الحكم، هذا لا يمنع.

فإذ وقد علمت هذا، فهو أدل دليل على توحيد الله تعالى، (أي) كونه علة في وجود العالم. غير أن إطلاق هذا اللفظ عليه لم يرد به الشرع، فلا نطلقه عليه، ولا ندعوه به. فهذا توحيد ذاتي، ينتهي معه

الشريك بلا شك. قال الله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾¹ ومعنى هذا لم يوجد، يعني العالم العلوي وهو السماء، والسفلي وهو الأرض، فحق هذه المسألة في ذهنك، فإنها نافعة في نفي الشريك، ونفي التحديد عن الله - تعالى -، فلا حد لذاته ولا شريك له في ملكه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾²

إِنَّمَا عَلَّلُوا الَّذِي	عَلَّلُوهُ لِكُؤْنِهِ
هُوَ مَعْلُولٌ عَلَيْهِ	لَيْسَ مَعْلُولٌ عَلَيْهِ
فَانْظُرُوا مَا نَصَصْتُهُ	فَهُوَ مِنْ سِرِّ بَيْنِهِ ⁴
فَصَلِّ الْأَمْرَ نَفْسَهُ	عَنْ سِوَاهُ بَيْنِهِ ⁵
فِي سِرِّ مُحَقَّقٍ	إِنِّي سِرُّ عَوْنِهِ
فَلَيْسَتْ الرِّدَاءُ مِنْ	طَلَبِي عَيْنَ صَوْنِهِ

مسألة أخرى: إنما كان كذا لكذا: (إنما انقسم العالم إلى شقي وسعيد للأسماء الإلهية)

إنما انقسم العالم إلى شقي وسعيد للأسماء الإلهية. فإن الرتبة الإلهية تطلب لذاتها أن يكون في العالم بلاء وعافية، ولا يلزم من ذلك دوام شيء من ذلك، إلا أن يشاء الله، فقد كان ولا عالم. وهو مسمى بهذه الأسماء، فالأمر في هذا مثل الشرط والمشروط، ما هو مثل العلة والمعلول. فلا يصح المشروط ما لم يصح وجود الشرط، وقد يكون الشرط وإن لم يقع المشروط.

فلما رأينا البلاء والعافية قلنا: لا بد لهما من شرط، وهو كون الحق إلها يسمى بالمبلي والمعذب والمنعم. وكما أن كل ممكن قابل لأحد الحكيم، أعني الضدين، هو قابل أيضا لانتفاء أحد الضدين. فالعالم كله ممكن. فحاش أن ينفي عنه أحد الحكيم. فلا يلزم الخلود في الدار الآخرة في العذاب، ولا في النعيم، بل ذلك كله ممكن.

فإن ورد الخبر الإلهي الذي يفيد العلم، بالنص الذي لا يحتمل التأويل، بخلود العالم في أحد الحكيم، أو بوقوع كل حكم في جزء من العالم معين، وخلود ذلك الجزء فيه إلى ما لا يتناهى، قبلناه وقلنا به. وما ورد من الشارع أن العالم الذي هو في محتم، الذين هم أهلها ولا يخرجون منها، أن بقاءهم فيها لوجود

[1] الأنبياء : 22

[2] ص 52

[3] آل عمران : 6

[4] نجانبها في الهامش: "الوصل" يشير إلى معنى "بينه" هنا.

[5] نجانبها في الهامش: "الفراق" يشير إلى معنى "بينه" هنا.

[6] ص 53

العذاب. فكما ارتفع حكم العذاب عن ممكن ما، وهم أهل الجنة، كذلك يجوز، أن يرتفع عن أهل النار وجود العذاب، مع كونهم في النار لقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾¹ وقال: «سبقت رحمتي غضبي».

ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط، فيكون الله إلها بجميع أسائه. ولا عذاب في العالم ولا ألم لأنه ليس ارتفاعه عن ممكن ما، بأولى من ارتفاعه عن جميع الممكنات. فلم يبق بأيدينا من طريق العقل، دليل على وجود العذاب دائما ولا غيره، فليس إلا النصوص المتواترة، أو الكشف الذي لا تدخله شبهة، فليس للعقل رده، إذا ورد من الصادق، النص الصريح أو الكشف الواضح.

* * *

مسألة أخرى من هذا الباب: (إنما صحت الصورة لآدم لخلقه باليدين)

إنما صحت الصورة لآدم لخلقه باليدين؛ فاجتمع فيه حقائق العالم بأسره، والعالم يطلب الأسماء الإلهية، فقد اجتمع فيه الأسماء الإلهية. ولهذا خص آدم ﷺ بعلم الأسماء كلها، التي لها توجه إلى العالم. ولم يكن ذلك العلم أعطاه الله للملائكة، وهم العالم الأعلى الأشرف. قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾³ لم يقل: "بعضها". وقال: ﴿عَرَضَهُمْ﴾⁴ ولم يقل: "عرضها" فدل على أنه عرض المسمين، لا الأسماء.

وقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم غيبك» فإن كان هذا الدعاء، دعا به قبل نزول سورة البقرة عليه، فلا معارضة بين الخبر والآية، عند من يقول بأن الأسماء هنا هي الأسماء الإلهية، فإنه ﷺ لم يكن له علم بما خص الله به آدم على الملائكة، كما قال ﷺ: ﴿مَا أَذْرِي مَا يُفَعْلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ﴾⁵.

وإن كان دعا به بعد نزول سورة البقرة، فيكون قوله: ﴿كُلَّهَا﴾ يريد الأسماء الإلهية التي تطلب الآثار في العالم، وما تعبد به (الحق) من أساء التنزيه والتقديس. وكذلك قوله ﷺ في حديث الشفاعة: «فأحمد ربي بمحامد يعلمها الله لا أعلمها الآن» مع قوله في حديث الضربة: «فعلمت علم الأولين والآخرين» ومن علم الأولين علم الأسماء التي علمها الله آدم، وربما يكون من علم الآخرين علم هذه المحامد، التي يحمدها ربه يوم القيامة.

* * *

[1] البقرة : 167

[2] ص 53

[3] البقرة : 31

[4] الأحقاف : 9

[5] ص 54

مسألة أخرى من هذا الباب: (إنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام لكون الله تعالى - خلقه على صورته)

إنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم، لكون الله تعالى - خلقه على صورته. فالخليفة لا بد أن يظهر فيما استخلف عليه بصورة مستخلفه، وإلا فليس بخليفة له فيهم. فأعطاه الأمر والنهي وسماه بالخليفة، وجعل البيعة له بالسمع والطاعة، في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وأمر الله - سبحانه - عباده بالطاعة لله ولرسوله، والطاعة لأولي الأمر منهم، فجمع رسول الله ﷺ بين الرسالة والخلافة كداود عليه السلام، فإن الله نص على خلافته عن الله بقوله تعالى: ﴿فَأَخَکُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾¹ وأَجْمَلَ خلافة آدم عليه السلام.

وما كل رسول خليفة. فمن أمر ونهى، وعاقب وعفا، وأمر الله بطاعته، وجمعت له هذه الصفات؛ كان خليفة. ومن بلغ أمر الله ونهيه، ولم يكن له من نفسه إذن من الله تعالى، أن يأمر وينهى؛ فهو رسول يبلغ رسالات ربه. وهذا بان لك الفرقان بين الخليفة والرسول.

ولهذا جاء بالألف واللام في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾³ وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾⁴ أي فيما أمركم به على لسان رسوله ﷺ مما قال فيه ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾⁵ وهو كل أمر جاء في كتاب الله تعالى، ثم قال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾⁶ ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله ﷺ فلو كان يعني بذلك ما بلغ إلينا من أمر الله تعالى - لم تكن ثم فائدة زائدة، فلا بد أن يوليّه رتبة الأمر والنهي، فيأمر وينهى، فنحن مأمورون بطاعة رسول الله ﷺ عن الله بأمره.

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁷ وطاعتنا له فيما أمر به ﷺ ونهى عنه، مما لم يقل هو من عند الله. فيكون قرآنا، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁸ فأضاف النهي إليه ﷺ فأتى بالألف واللام في الرسول، يريد بهما التعريف والعهد، أي الرسول الذي استخلفناه عنا، فجعلنا له أن يأمر وينهى، زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا إلى عبادنا.

- 1 [ص: 36]
- 2 ص 54
- 3 [النساء: 80]
- 4 [النساء: 59]
- 5 [البقرة: 67]
- 6 [النساء: 59]
- 7 [النساء: 80]
- 8 [المائدة: 7]
- 9 ص 55

ثم قال تعالى - في الآية عينها: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾¹ أي إذا ولي عليكم خليفة عن رسولي، أو وليتموه من عندكم كما شرع لكم، فاسمعوا له وأطيعوا، ولو كان عبدا حبشيا، مجدع الأطراف، فإن في طاعتكم إياه طاعة رسول الله ﷺ. ولهذا لم يستأنف في أولي الأمر ﴿أَطِيعُوا﴾² واكتفى بقوله: ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾² ولم يكتف بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾³ عن قوله: ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ففصل لكونه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾³ واستأنف القول بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

فهذا دليل على أنه تعالى - قد شرع له ﷺ أن يأمر وينهى. وليس لأولي الأمر أن يشرعوا شريعة، إنما لهم الأمر والنهي فيما هو مباح لهم ولنا، فإذا أمرونا بمباح، أو نهونا عن مباح، وأطعناهم في ذلك؛ أجزنا في ذلك أجز من أطاع الله، فيما أوجبه عليه من أمر ونهى. وهذا من كرم الله بنا، ولا يشعر بذلك أهل الغفلة منا.

* * *

مسألة أخرى من هذا الباب: (القرية مع السجود)

إنما أمرت الملائكة والخلق أجمعون بالسجود، وجعل معه القرية، فقال: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾⁵ وقال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من الله في سجوده» ليعلموا أن الحق في نسبة الفوق إليه من قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾⁶ و﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾⁷ كنسبة التحت إليه. فإن السجود طلب الشغل بوجهه، كما أن القيام يطلب الفوق، إذا رفع وجهه بالدعاء ويديه.

وقد جعل الله السجود حالة القرب من الله. فلم يقيد به سبحانه - الفوق عن التحت، ولا التحت عن الفوق، فإنه خالق الفوق والتحت. كما لم يقيد الاستواء على العرش، عن النزول إلى السماء الدنيا. ولم يقيد النزول إلى السماء الدنيا عن الاستواء على العرش. كما لم يقيد سبحانه - الاستواء والنزول عن أن يكون معنا أين ما كنا. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁸ بالمعنى الذي يليق به، وعلى الوجه الذي أراده.

- 1 [النساء: 59]
- 2 [النساء: 59]
- 3 [الشورى: 11]
- 4 ص 55
- 5 [العلق: 19]
- 6 [الأنعام: 18]
- 7 [النحل: 50]
- 8 [الحديد: 4]

كما قال أيضا: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي» كما قال عنه هود ¹: ﴿مَا مِنْ ذَاتَةٍ إِلَّا هُوَ أَحَدٌ بِإِصْبَتِهَا﴾ وقال تعالى- أيضا في حق الميت: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾² فنسب القرب إليه من الميت، وقال أيضا ³: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾³ يعني إلى الإنسان مع قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁴.

مسألة⁵ دورية من هذا الباب وهذه صورتها:



- 1 [هود : 56]
2 [الواقعة : 85]
3 [لق : 16]
4 [النوري : 11]
5 ص 56

إنما قلنا: "اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الإلهية" لأنه¹ لو كانت النسبة الإلهية لتحليل أمر ما في الشرع، كالنسبة لتحريم ذلك الأمر عينه في الشرع، لما صح تغيير الحكم، وقد ثبت تغيير الحكم. ولما صح أيضا قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾² وقد صح أن لكل أمة شرعة ومنهاجا، جاءها بذلك نبيها ورسولها، فنسخ وأثبت. فعلما بالقطع أن نسبته تعالى- فيما شرعه إلى محمد ³ خلاف نسبته إلى نبي آخر. وإلا لو كانت النسبة واحدة من كل وجه، وهي الموجبة للتشريع الخاص، لكان الشرع واحدا من كل وجه.

فإن قيل: فلم اختلفت النسب الإلهية؟ قلنا: لاختلاف الأحوال، فمن حاله المرض يدعوا: يا معافي، ويا شافي. ومن حاله الجوع يقول: يا رزاق. ومن حاله الغرق يقول: يا مغيث. فاختلفت النسب لاختلاف الأحوال وهو قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾³ و﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾⁴ وقوله ⁵ ⁶ ⁷ ⁸ ⁹ ¹⁰ ¹¹ ¹² ¹³ ¹⁴ ¹⁵ ¹⁶ ¹⁷ ¹⁸ ¹⁹ ²⁰ ²¹ ²² ²³ ²⁴ ²⁵ ²⁶ ²⁷ ²⁸ ²⁹ ³⁰ ³¹ ³² ³³ ³⁴ ³⁵ ³⁶ ³⁷ ³⁸ ³⁹ ⁴⁰ ⁴¹ ⁴² ⁴³ ⁴⁴ ⁴⁵ ⁴⁶ ⁴⁷ ⁴⁸ ⁴⁹ ⁵⁰ ⁵¹ ⁵² ⁵³ ⁵⁴ ⁵⁵ ⁵⁶ ⁵⁷ ⁵⁸ ⁵⁹ ⁶⁰ ⁶¹ ⁶² ⁶³ ⁶⁴ ⁶⁵ ⁶⁶ ⁶⁷ ⁶⁸ ⁶⁹ ⁷⁰ ⁷¹ ⁷² ⁷³ ⁷⁴ ⁷⁵ ⁷⁶ ⁷⁷ ⁷⁸ ⁷⁹ ⁸⁰ ⁸¹ ⁸² ⁸³ ⁸⁴ ⁸⁵ ⁸⁶ ⁸⁷ ⁸⁸ ⁸⁹ ⁹⁰ ⁹¹ ⁹² ⁹³ ⁹⁴ ⁹⁵ ⁹⁶ ⁹⁷ ⁹⁸ ⁹⁹ ¹⁰⁰ ¹⁰¹ ¹⁰² ¹⁰³ ¹⁰⁴ ¹⁰⁵ ¹⁰⁶ ¹⁰⁷ ¹⁰⁸ ¹⁰⁹ ¹¹⁰ ¹¹¹ ¹¹² ¹¹³ ¹¹⁴ ¹¹⁵ ¹¹⁶ ¹¹⁷ ¹¹⁸ ¹¹⁹ ¹²⁰ ¹²¹ ¹²² ¹²³ ¹²⁴ ¹²⁵ ¹²⁶ ¹²⁷ ¹²⁸ ¹²⁹ ¹³⁰ ¹³¹ ¹³² ¹³³ ¹³⁴ ¹³⁵ ¹³⁶ ¹³⁷ ¹³⁸ ¹³⁹ ¹⁴⁰ ¹⁴¹ ¹⁴² ¹⁴³ ¹⁴⁴ ¹⁴⁵ ¹⁴⁶ ¹⁴⁷ ¹⁴⁸ ¹⁴⁹ ¹⁵⁰ ¹⁵¹ ¹⁵² ¹⁵³ ¹⁵⁴ ¹⁵⁵ ¹⁵⁶ ¹⁵⁷ ¹⁵⁸ ¹⁵⁹ ¹⁶⁰ ¹⁶¹ ¹⁶² ¹⁶³ ¹⁶⁴ ¹⁶⁵ ¹⁶⁶ ¹⁶⁷ ¹⁶⁸ ¹⁶⁹ ¹⁷⁰ ¹⁷¹ ¹⁷² ¹⁷³ ¹⁷⁴ ¹⁷⁵ ¹⁷⁶ ¹⁷⁷ ¹⁷⁸ ¹⁷⁹ ¹⁸⁰ ¹⁸¹ ¹⁸² ¹⁸³ ¹⁸⁴ ¹⁸⁵ ¹⁸⁶ ¹⁸⁷ ¹⁸⁸ ¹⁸⁹ ¹⁹⁰ ¹⁹¹ ¹⁹² ¹⁹³ ¹⁹⁴ ¹⁹⁵ ¹⁹⁶ ¹⁹⁷ ¹⁹⁸ ¹⁹⁹ ²⁰⁰ ²⁰¹ ²⁰² ²⁰³ ²⁰⁴ ²⁰⁵ ²⁰⁶ ²⁰⁷ ²⁰⁸ ²⁰⁹ ²¹⁰ ²¹¹ ²¹² ²¹³ ²¹⁴ ²¹⁵ ²¹⁶ ²¹⁷ ²¹⁸ ²¹⁹ ²²⁰ ²²¹ ²²² ²²³ ²²⁴ ²²⁵ ²²⁶ ²²⁷ ²²⁸ ²²⁹ ²³⁰ ²³¹ ²³² ²³³ ²³⁴ ²³⁵ ²³⁶ ²³⁷ ²³⁸ ²³⁹ ²⁴⁰ ²⁴¹ ²⁴² ²⁴³ ²⁴⁴ ²⁴⁵ ²⁴⁶ ²⁴⁷ ²⁴⁸ ²⁴⁹ ²⁵⁰ ²⁵¹ ²⁵² ²⁵³ ²⁵⁴ ²⁵⁵ ²⁵⁶ ²⁵⁷ ²⁵⁸ ²⁵⁹ ²⁶⁰ ²⁶¹ ²⁶² ²⁶³ ²⁶⁴ ²⁶⁵ ²⁶⁶ ²⁶⁷ ²⁶⁸ ²⁶⁹ ²⁷⁰ ²⁷¹ ²⁷² ²⁷³ ²⁷⁴ ²⁷⁵ ²⁷⁶ ²⁷⁷ ²⁷⁸ ²⁷⁹ ²⁸⁰ ²⁸¹ ²⁸² ²⁸³ ²⁸⁴ ²⁸⁵ ²⁸⁶ ²⁸⁷ ²⁸⁸ ²⁸⁹ ²⁹⁰ ²⁹¹ ²⁹² ²⁹³ ²⁹⁴ ²⁹⁵ ²⁹⁶ ²⁹⁷ ²⁹⁸ ²⁹⁹ ³⁰⁰ ³⁰¹ ³⁰² ³⁰³ ³⁰⁴ ³⁰⁵ ³⁰⁶ ³⁰⁷ ³⁰⁸ ³⁰⁹ ³¹⁰ ³¹¹ ³¹² ³¹³ ³¹⁴ ³¹⁵ ³¹⁶ ³¹⁷ ³¹⁸ ³¹⁹ ³²⁰ ³²¹ ³²² ³²³ ³²⁴ ³²⁵ ³²⁶ ³²⁷ ³²⁸ ³²⁹ ³³⁰ ³³¹ ³³² ³³³ ³³⁴ ³³⁵ ³³⁶ ³³⁷ ³³⁸ ³³⁹ ³⁴⁰ ³⁴¹ ³⁴² ³⁴³ ³⁴⁴ ³⁴⁵ ³⁴⁶ ³⁴⁷ ³⁴⁸ ³⁴⁹ ³⁵⁰ ³⁵¹ ³⁵² ³⁵³ ³⁵⁴ ³⁵⁵ ³⁵⁶ ³⁵⁷ ³⁵⁸ ³⁵⁹ ³⁶⁰ ³⁶¹ ³⁶² ³⁶³ ³⁶⁴ ³⁶⁵ ³⁶⁶ ³⁶⁷ ³⁶⁸ ³⁶⁹ ³⁷⁰ ³⁷¹ ³⁷² ³⁷³ ³⁷⁴ ³⁷⁵ ³⁷⁶ ³⁷⁷ ³⁷⁸ ³⁷⁹ ³⁸⁰ ³⁸¹ ³⁸² ³⁸³ ³⁸⁴ ³⁸⁵ ³⁸⁶ ³⁸⁷ ³⁸⁸ ³⁸⁹ ³⁹⁰ ³⁹¹ ³⁹² ³⁹³ ³⁹⁴ ³⁹⁵ ³⁹⁶ ³⁹⁷ ³⁹⁸ ³⁹⁹ ⁴⁰⁰ ⁴⁰¹ ⁴⁰² ⁴⁰³ ⁴⁰⁴ ⁴⁰⁵ ⁴⁰⁶ ⁴⁰⁷ ⁴⁰⁸ ⁴⁰⁹ ⁴¹⁰ ⁴¹¹ ⁴¹² ⁴¹³ ⁴¹⁴ ⁴¹⁵ ⁴¹⁶ ⁴¹⁷ ⁴¹⁸ ⁴¹⁹ ⁴²⁰ ⁴²¹ ⁴²² ⁴²³ ⁴²⁴ ⁴²⁵ ⁴²⁶ ⁴²⁷ ⁴²⁸ ⁴²⁹ ⁴³⁰ ⁴³¹ ⁴³² ⁴³³ ⁴³⁴ ⁴³⁵ ⁴³⁶ ⁴³⁷ ⁴³⁸ ⁴³⁹ ⁴⁴⁰ ⁴⁴¹ ⁴⁴² ⁴⁴³ ⁴⁴⁴ ⁴⁴⁵ ⁴⁴⁶ ⁴⁴⁷ ⁴⁴⁸ ⁴⁴⁹ ⁴⁵⁰ ⁴⁵¹ ⁴⁵² ⁴⁵³ ⁴⁵⁴ ⁴⁵⁵ ⁴⁵⁶ ⁴⁵⁷ ⁴⁵⁸ ⁴⁵⁹ ⁴⁶⁰ ⁴⁶¹ ⁴⁶² ⁴⁶³ ⁴⁶⁴ ⁴⁶⁵ ⁴⁶⁶ ⁴⁶⁷ ⁴⁶⁸ ⁴⁶⁹ ⁴⁷⁰ ⁴⁷¹ ⁴⁷² ⁴⁷³ ⁴⁷⁴ ⁴⁷⁵ ⁴⁷⁶ ⁴⁷⁷ ⁴⁷⁸ ⁴⁷⁹ ⁴⁸⁰ ⁴⁸¹ ⁴⁸² ⁴⁸³ ⁴⁸⁴ ⁴⁸⁵ ⁴⁸⁶ ⁴⁸⁷ ⁴⁸⁸ ⁴⁸⁹ ⁴⁹⁰ ⁴⁹¹ ⁴⁹² ⁴⁹³ ⁴⁹⁴ ⁴⁹⁵ ⁴⁹⁶ ⁴⁹⁷ ⁴⁹⁸ ⁴⁹⁹ ⁵⁰⁰ ⁵⁰¹ ⁵⁰² ⁵⁰³ ⁵⁰⁴ ⁵⁰⁵ ⁵⁰⁶ ⁵⁰⁷ ⁵⁰⁸ ⁵⁰⁹ ⁵¹⁰ ⁵¹¹ ⁵¹² ⁵¹³ ⁵¹⁴ ⁵¹⁵ ⁵¹⁶ ⁵¹⁷ ⁵¹⁸ ⁵¹⁹ ⁵²⁰ ⁵²¹ ⁵²² ⁵²³ ⁵²⁴ ⁵²⁵ ⁵²⁶ ⁵²⁷ ⁵²⁸ ⁵²⁹ ⁵³⁰ ⁵³¹ ⁵³² ⁵³³ ⁵³⁴ ⁵³⁵ ⁵³⁶ ⁵³⁷ ⁵³⁸ ⁵³⁹ ⁵⁴⁰ ⁵⁴¹ ⁵⁴² ⁵⁴³ ⁵⁴⁴ ⁵⁴⁵ ⁵⁴⁶ ⁵⁴⁷ ⁵⁴⁸ ⁵⁴⁹ ⁵⁵⁰ ⁵⁵¹ ⁵⁵² ⁵⁵³ ⁵⁵⁴ ⁵⁵⁵ ⁵⁵⁶ ⁵⁵⁷ ⁵⁵⁸ ⁵⁵⁹ ⁵⁶⁰ ⁵⁶¹ ⁵⁶² ⁵⁶³ ⁵⁶⁴ ⁵⁶⁵ ⁵⁶⁶ ⁵⁶⁷ ⁵⁶⁸ ⁵⁶⁹ ⁵⁷⁰ ⁵⁷¹ ⁵⁷² ⁵⁷³ ⁵⁷⁴ ⁵⁷⁵ ⁵⁷⁶ ⁵⁷⁷ ⁵⁷⁸ ⁵⁷⁹ ⁵⁸⁰ ⁵⁸¹ ⁵⁸² ⁵⁸³ ⁵⁸⁴ ⁵⁸⁵ ⁵⁸⁶ ⁵⁸⁷ ⁵⁸⁸ ⁵⁸⁹ ⁵⁹⁰ ⁵⁹¹ ⁵⁹² ⁵⁹³ ⁵⁹⁴ ⁵⁹⁵ ⁵⁹⁶ ⁵⁹⁷ ⁵⁹⁸ ⁵⁹⁹ ⁶⁰⁰ ⁶⁰¹ ⁶⁰² ⁶⁰³ ⁶⁰⁴ ⁶⁰⁵ ⁶⁰⁶ ⁶⁰⁷ ⁶⁰⁸ ⁶⁰⁹ ⁶¹⁰ ⁶¹¹ ⁶¹² ⁶¹³ ⁶¹⁴ ⁶¹⁵ ⁶¹⁶ ⁶¹⁷ ⁶¹⁸ ⁶¹⁹ ⁶²⁰ ⁶²¹ ⁶²² ⁶²³ ⁶²⁴ ⁶²⁵ ⁶²⁶ ⁶²⁷ ⁶²⁸ ⁶²⁹ ⁶³⁰ ⁶³¹ ⁶³² ⁶³³ ⁶³⁴ ⁶³⁵ ⁶³⁶ ⁶³⁷ ⁶³⁸ ⁶³⁹ ⁶⁴⁰ ⁶⁴¹ ⁶⁴² ⁶⁴³ ⁶⁴⁴ ⁶⁴⁵ ⁶⁴⁶ ⁶⁴⁷ ⁶⁴⁸ ⁶⁴⁹ ⁶⁵⁰ ⁶⁵¹ ⁶⁵² ⁶⁵³ ⁶⁵⁴ ⁶⁵⁵ ⁶⁵⁶ ⁶⁵⁷ ⁶⁵⁸ ⁶⁵⁹ ⁶⁶⁰ ⁶⁶¹ ⁶⁶² ⁶⁶³ ⁶⁶⁴ ⁶⁶⁵ ⁶⁶⁶ ⁶⁶⁷ ⁶⁶⁸ ⁶⁶⁹ ⁶⁷⁰ ⁶⁷¹ ⁶⁷² ⁶⁷³ ⁶⁷⁴ ⁶⁷⁵ ⁶⁷⁶ ⁶⁷⁷ ⁶⁷⁸ ⁶⁷⁹ ⁶⁸⁰ ⁶⁸¹ ⁶⁸² ⁶⁸³ ⁶⁸⁴ ⁶⁸⁵ ⁶⁸⁶ ⁶⁸⁷ ⁶⁸⁸ ⁶⁸⁹ ⁶⁹⁰ ⁶⁹¹ ⁶⁹² ⁶⁹³ ⁶⁹⁴ ⁶⁹⁵ ⁶⁹⁶ ⁶⁹⁷ ⁶⁹⁸ ⁶⁹⁹ ⁷⁰⁰ ⁷⁰¹ ⁷⁰² ⁷⁰³ ⁷⁰⁴ ⁷⁰⁵ ⁷⁰⁶ ⁷⁰⁷ ⁷⁰⁸ ⁷⁰⁹ ⁷¹⁰ ⁷¹¹ ⁷¹² ⁷¹³ ⁷¹⁴ ⁷¹⁵ ⁷¹⁶ ⁷¹⁷ ⁷¹⁸ ⁷¹⁹ ⁷²⁰ ⁷²¹ ⁷²² ⁷²³ ⁷²⁴ ⁷²⁵ ⁷²⁶ ⁷²⁷ ⁷²⁸ ⁷²⁹ ⁷³⁰ ⁷³¹ ⁷³² ⁷³³ ⁷³⁴ ⁷³⁵ ⁷³⁶ ⁷³⁷ ⁷³⁸ ⁷³⁹ ⁷⁴⁰ ⁷⁴¹ ⁷⁴² ⁷⁴³ ⁷⁴⁴ ⁷⁴⁵ ⁷⁴⁶ ⁷⁴⁷ ⁷⁴⁸ ⁷⁴⁹ ⁷⁵⁰ ⁷⁵¹ ⁷⁵² ⁷⁵³ ⁷⁵⁴ ⁷⁵⁵ ⁷⁵⁶ ⁷⁵⁷ ⁷⁵⁸ ⁷⁵⁹ ⁷⁶⁰ ⁷⁶¹ ⁷⁶² ⁷⁶³ ⁷⁶⁴ ⁷⁶⁵ ⁷⁶⁶ ⁷⁶⁷ ⁷⁶⁸ ⁷⁶⁹ ⁷⁷⁰ ⁷⁷¹ ⁷⁷² ⁷⁷³ ⁷⁷⁴ ⁷⁷⁵ ⁷⁷⁶ ⁷⁷⁷ ⁷⁷⁸ ⁷⁷⁹ ⁷⁸⁰ ⁷⁸¹ ⁷⁸² ⁷⁸³ ⁷⁸⁴ ⁷⁸⁵ ⁷⁸⁶ ⁷⁸⁷ ⁷⁸⁸ ⁷⁸⁹ ⁷⁹⁰ ⁷⁹¹ ⁷⁹² ⁷⁹³ ⁷⁹⁴ ⁷⁹⁵ ⁷⁹⁶ ⁷⁹⁷ ⁷⁹⁸ ⁷⁹⁹ ⁸⁰⁰ ⁸⁰¹ ⁸⁰² ⁸⁰³ ⁸⁰⁴ ⁸⁰⁵ ⁸⁰⁶ ⁸⁰⁷ ⁸⁰⁸ ⁸⁰⁹ ⁸¹⁰ ⁸¹¹ ⁸¹² ⁸¹³ ⁸¹⁴ ⁸¹⁵ ⁸¹⁶ ⁸¹⁷ ⁸¹⁸ ⁸¹⁹ ⁸²⁰ ⁸²¹ ⁸²² ⁸²³ ⁸²⁴ ⁸²⁵ ⁸²⁶ ⁸²⁷ ⁸²⁸ ⁸²⁹ ⁸³⁰ ⁸³¹ ⁸³² ⁸³³ ⁸³⁴ ⁸³⁵ ⁸³⁶ ⁸³⁷ ⁸³⁸ ⁸³⁹ ⁸⁴⁰ ⁸⁴¹ ⁸⁴² ⁸⁴³ ⁸⁴⁴ ⁸⁴⁵ ⁸⁴⁶ ⁸⁴⁷ ⁸⁴⁸ ⁸⁴⁹ ⁸⁵⁰ ⁸⁵¹ ⁸⁵² ⁸⁵³ ⁸⁵⁴ ⁸⁵⁵ ⁸⁵⁶ ⁸⁵⁷ ⁸⁵⁸ ⁸⁵⁹ ⁸⁶⁰ ⁸⁶¹ ⁸⁶² ⁸⁶³ ⁸⁶⁴ ⁸⁶⁵ ⁸⁶⁶ ⁸⁶⁷ ⁸⁶⁸ ⁸⁶⁹ ⁸⁷⁰ ⁸⁷¹ ⁸⁷² ⁸⁷³ ⁸⁷⁴ ⁸⁷⁵ ⁸⁷⁶ ⁸⁷⁷ ⁸⁷⁸ ⁸⁷⁹ ⁸⁸⁰ ⁸⁸¹ ⁸⁸² ⁸⁸³ ⁸⁸⁴ ⁸⁸⁵ ⁸⁸⁶ ⁸⁸⁷ ⁸⁸⁸ ⁸⁸⁹ ⁸⁹⁰ ⁸⁹¹ ⁸⁹² ⁸⁹³ ⁸⁹⁴ ⁸⁹⁵ ⁸⁹⁶ ⁸⁹⁷ ⁸⁹⁸ ⁸⁹⁹ ⁹⁰⁰ ⁹⁰¹ ⁹⁰² ⁹⁰³ ⁹⁰⁴ ⁹⁰⁵ ⁹⁰⁶ ⁹⁰⁷ ⁹⁰⁸ ⁹⁰⁹ ⁹¹⁰ ⁹¹¹ ⁹¹² ⁹¹³ ⁹¹⁴ ⁹¹⁵ ⁹¹⁶ ⁹¹⁷ ⁹¹⁸ ⁹¹⁹ ⁹²⁰ ⁹²¹ ⁹²² ⁹²³ ⁹²⁴ ⁹²⁵ ⁹²⁶ ⁹²⁷ ⁹²⁸ ⁹²⁹ ⁹³⁰ ⁹³¹ ⁹³² ⁹³³ ⁹³⁴ ⁹³⁵ ⁹³⁶ ⁹³⁷ ⁹³⁸ ⁹³⁹ ⁹⁴⁰ ⁹⁴¹ ⁹⁴² ⁹⁴³ ⁹⁴⁴ ⁹⁴⁵ ⁹⁴⁶ ⁹⁴⁷ ⁹⁴⁸ ⁹⁴⁹ ⁹⁵⁰ ⁹⁵¹ ⁹⁵² ⁹⁵³ ⁹⁵⁴ ⁹⁵⁵ ⁹⁵⁶ ⁹⁵⁷ ⁹⁵⁸ ⁹⁵⁹ ⁹⁶⁰ ⁹⁶¹ ⁹⁶² ⁹⁶³ ⁹⁶⁴ ⁹⁶⁵ ⁹⁶⁶ ⁹⁶⁷ ⁹⁶⁸ ⁹⁶⁹ ⁹⁷⁰ ⁹⁷¹ ⁹⁷² ⁹⁷³ ⁹⁷⁴ ⁹⁷⁵ ⁹⁷⁶ ⁹⁷⁷ ⁹⁷⁸ ⁹⁷⁹ ⁹⁸⁰ ⁹⁸¹ ⁹⁸² ⁹⁸³ ⁹⁸⁴ ⁹⁸⁵ ⁹⁸⁶ ⁹⁸⁷ ⁹⁸⁸ ⁹⁸⁹ ⁹⁹⁰ ⁹⁹¹ ⁹⁹² ⁹⁹³ ⁹⁹⁴ ⁹⁹⁵ ⁹⁹⁶ ⁹⁹⁷ ⁹⁹⁸ ⁹⁹⁹ ¹⁰⁰⁰

وأما قولنا: "إنما اختلفت الأزمان لاختلاف الحركات" فأعني بالحركات الحركات الفلكية، فإنه باختلاف الحركات الفلكية حدث زمان¹ الليل والنهار، وتعيّنت السنين والشهور والفصول. وهذه المعبر عنها بالأزمان.

وقولنا²: "اختلفت الحركات لاختلاف التوجّهات" أريد بذلك توجّه الحقّ عليها بالإيجاد لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ فلو كان التوجّه واحدا عليها، لمّا اختلفت الحركات، وهي مختلفة. فدلّ أنّ التوجّه الذي حرّك القمر في فلكه، ما هو التوجّه الذي حرّك الشمس، ولا غيرها من الكواكب والأفلاك. ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت السرعة أو الإبطاء في الكلّ على السواء، قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾³ فلكلّ حركة توجّه إلهي؛ أي تعلّق خاص من كونه مريدا.

وقولنا: "وإنما اختلفت التوجّهات لاختلاف المقاصد" فلو كان قصد الحركة القمرية بذلك التوجّه، عين قصد الحركة الشمسية بذلك التوجّه، لم يميّز أثر عن أثر. والآثار بلا شكّ مختلفة. فالتوجّهات مختلفة لاختلاف المقاصد؛ فتوجّه بالرضا عن زيد، غير توجّه بالغضب على عمرو، فإنه قصد تعذيب عمرو، وقصد تنعيم زيد. فاختلّفت المقاصد.

وقولنا: "إنما اختلفت المقاصد لاختلاف التجليات" فإنّ التجليات لو كانت في صورة واحدة من جميع الوجوه، لم يصحّ أن يكون لها سيوى قصد واحد، وقد ثبت اختلاف القصد. فلا بدّ أن يكون لكلّ قصد خاصّ، تجلّ خاصّ. ما هو عين التجلي الآخر. فإنّ الاتّساع الإلهي يعطي أن لا يتكرر شيء في الوجود، وهو الذي عولث عليه الطائفة، والناس ﴿فِي لُبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾⁵.

يقول الشيخ أبو طالب المكي، صاحب "قوت القلوب"، وغيره من رجال الله ﷺ: "إنّ الله - سبحانه - ما تجلّى قطّ في صورة واحدة لشخصين، ولا في صورة واحدة مرتين". ولهذا اختلفت الآثار في العالم، وكى عنها بالرضا والغضب.

وقولنا: "إنما اختلفت التجليات لاختلاف الشرائع" فإنّ كلّ شريعة طريق موصلة إليه سبحانه، وهي مختلفة. فلا بدّ أن تختلف التجليات كما تختلف العطايا. ألا تراه ﷺ إذا تجلّى لهذه الأمة في القيامة، وفيها منافقوها، وقد اختلف نظرهم في الشريعة فصار كلّ مجتهد، على شرع خاصّ، هو طريقه إلى الله، ولهذا

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 57 ب

3 [الأنبياء: 33]

4 ص 58

5 [ق: 15]

اختلفت المذاهب - وكلّ شرّع - في شريعة واحدة، والله قد قرّر ذلك على لسان رسوله ﷺ عندنا، فاختلّفت التجليات بلا شكّ.

فإنّ كلّ طائفة قد اعتقدت في الله أمرا ما، إن تجلّى لها في خلافه أنكرته¹، فإذا تحوّل لها في العلامة التي قد قرّرتها تلك الطائفة مع الله في نفسها، أقرت به. فإذا تجلّى للأشعري في صورة اعتقاد من يخالفه في عقده في الله، وتجلّى للمخالف في صورة اعتقاد الأشعري مثلاً، أنكره كلّ واحد من الطائفتين، كما ورد. وهكذا (الأمر) في جميع الطوائف.

فإذا تجلّى لكلّ طائفة في صورة اعتقادها فيه تعالى - وهي العلامة التي ذكرها مسلم، في صحيحه عن رسول الله ﷺ أقروا له بأنّه ربهم، وهو هو، لم يكن غيره. فاختلّفت التجليات لاختلاف الشرائع.

وقولنا: "إنما اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الإلهية" قد تقدّم ودار الدور. فكلّ شيء أخذته من هذه المسائل صلح أن يكون أولاً وآخراً ووسطاً. وهكذا كلّ أمر دوري، يقبل كلّ جزء منه بالفرض؛ الأولية والآخرة وما بينهما. وقد ذكرنا مثل هذا الشكل الدوري في "التدبيرات الإلهية" مضاهياً لقول المتقدم إذ قال: "العالم بستان سياج الدولة؛ الدولة سلطان تحجبه الشئ؛ الشئ سياسة يسوسها الملك؛ الملك راع يعضده الجيش؛ الجيش أعوان يكفلهم المال؛ المال رزق يجمعه الرعية؛ الرعية عبيد تعبدهم العدل؛ العدل مألوف فيه صلاح العالم؛ العالم بستان. ودار الدور.

ويكني هذا القدر من الإيمان إلى العلل والأسباب مخافة التطويل، فإنّ هذا الباب واسع جداً، إذ كان العالم كلّ مرتبطاً بعضه ببعض: أسباب ومسببات، وعلل ومعلولات ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

انتهى الجزء الخامس والعشرون، يتلوه الجزء السادس والعشرون.⁴

1 ص 58 ب

2 ص 59

3 [الأحزاب: 4]

4 "انتهى الجزء... والعشرون" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع والأربعون

في معرفة قوله ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» ومعرفة هذا المنزل ورجاله

نَفْسُ الرَّحْمَنِ لَيْسَ لَهُ	فِي سِوَى الرَّحْمَنِ مُسْتَنْدٌ
حُكْمُهُ فِي كُلِّ طَائِفَةٍ	مَا لَهَا رُكْنٌ وَلَا سَنْدٌ
يَمُنُّ الْأَكْوَانُ مَنْزِلَهُ	وَهُوَ لَا رُوحٌ وَلَا جَسَدٌ
مَا لَهُ حَدٌّ يَعْينُهُ	وَهُوَ الْمَطْلُوبُ وَالصَّدَدُ
فَجَبِيعُ الْخَلْقِ يَطْلُبُهُ	ثُمَّ لَمْ يَطْفَرْ بِهِ أَحَدٌ
أَحَدٌ مَا مِثْلُهُ أَحَدٌ	بِكَمَالِ التَّعَبِ مُتَفَرِّدٌ

اعلم يا ولي- أن الله عبادا من حيث اسمه الرحمن وهو قوله: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتُشَوُّونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»² يقول تعالى: «يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا»³ والله عباد يأتي إليهم الرحمن من اسمه الرب، فإن الله يقول: «قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»⁴ فكما له من الاسم الله، الأسماء الحسنى. كذلك له من الاسم الرحمن الأسماء الحسنى.

قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا» وقال: «وَجَاءَ رَبُّكَ»⁵ فثم إتيان عام مثل هذا، وهو الإتيان للفصل والقضاء، وثم إتيان خاص بالرحمة لمن اعتنى به من عباده.

قال رسول الله ﷺ: «لما اشتد كره من المنازعين: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» وهو ما مشى إلى اليمن لكن النفس أدركه من قبل اليمن. وما أدركه حتى أتاه، فجاء بالتنفيس من الشدة والضيق الذي كان فيه بالأنصار رضي الله عن جميعهم. فتقدم إليه النفس في باطنه وقلبه، مبشرا بما يظهره الله من

1 ص 59 ب
2 [الفرقان : 63]
3 [مريم : 85]
4 [الإسراء : 110]
5 [الفجر : 22]

نصرة¹ الدين، وإقامته على أيدي الأنصار.

ولقد جرى لنا في حديث الأنصار، ما نذكره إن شاء الله. وذلك أنه عندنا بدمشق رجلا من أهل الفضل والأدب والدين، يقال له: يحيى بن الأخفش²، من أهل مراكش، كان أبوه يدرس العريضة بها. فكتب إلي يوما من منزله بدمشق، وأنا بها، يقول لي في كتابه: يا ولي؛ رأيت رسول الله ﷺ البارحة بجامع دمشق، وقد نزل بمقصورة الخطابة، إلى جانب خزانة المصحف، المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه، والناس يهرعون إليه ويدخلون عليه يباعونه.

فبقيت واقفا حتى خف الناس، فدخلت عليه وأخذت يده. فقال لي: هل تعرف محمدا؟ قلت له: يا رسول الله؛ من محمد؟ فقال له: ابن العربي. قال: فقلت له: نعم أعرفه. فقال له رسول الله ﷺ: «إنا قد أمرناه بأمر؛ فقل له: يقول لك رسول الله: انهض لما أمرت به. واصحبه أنت، فإنك تنتفع بصحبته. وقل له: يقول لك رسول الله: امتدح الأنصار، ولتعيّن منهم سعد بن عباد، ولا بد».

ثم استدعى بحسان بن ثابت³. فقال له رسول الله ﷺ: «يا حسان؛ حفظه بيتنا يوصله إلى محمد بن العربي، يبني عليه وينسج على منواله في العروض والروى». فقال حسان: يا يحيى؛ خذ إليك. وأنشدني بيتا، وهو:

شُعَفُ الشَّهَادِ بِمُقَلَّتِي وَمَزَارِي
فَعَلَى الثُّمُوعِ مُعَوَّلِي وَمُشَارِي

وما زال يردد علي حتى حفظته. ثم قال لي رسول الله ﷺ: إذا مدح الأنصار، فكتبه بخط بيّن، واحمله ليلة الخميس إلى تربة هذا الذي تسمونها قبر الست، فستجد عندها شخصا اسمه حامد، فادفع إليه المديح.

فلما أخبرني بذلك هذا الراي- وفقه الله- عملت التصيدة من وقتي من غير فكرة ولا روية ولا تثبط، ودفعت التصيدة إليه، فكتب إلي: إنه لما جاء قبر الست، وصل إليه بعد العشاء الآخرة، قال فرأيت

1 ص 60

2 رحما في ق. س. الأخفش
3 حسان بن ثابت: (4 - 54 هـ / 673 م) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. شاعر النبي صلى الله عليه وسلم. واحد الخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغنائين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمر قبل وفاته لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهرا لعله أصابته. توفي في المدينة. قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليانبيين في الإسلام. وقال المبرد في الكامل: أعرق قوم في الشعراء آل حسان فإنهم يعدون سنة في نسق كلهم شاعر وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.

4 ص 60

رجلا عند القبر. فقال لي ابتداء: أنت يحيى الذي جاء من عند فلان؟ وسَماني. قال: فقلت له: نعم. قال فأين التصيد الذي مدح به الأنصار، عن أمر رسول الله ﷺ؟ فقلت: هو ذا عندي. فناولته إياه. فقرب من الشمعة، ليقرا التصيد، فلم أره يغير ذلك الخط. فقلت له: تأمرني أنشدك إياها؟ قال: نعم.

فأنشدته إياها، وهذا نص القصيدة:

قال ابن ثابت الذي فخرت به
شغف الشهاد بمقتلي ومزاري
وكانت¹ أمي تنسب إلى الأنصار، فقلت:

فلما جعلت رويته الرءاء التي
فأقول مبتدئا لطاعة أحمد
إني امرؤ من جملة الأنصار
يسيرهم قام الهدى وبهم عث
قاموا ينصر الهاشمي محمد
صحبوا النبي بنية وعزائم
باعوا نفوسهم لنصرة دينه
عنهم كنى المختار بالنفس الذي
سعد³ سليل عبادة فخرت به
لله آساد لكل كريمة
عزوا بدين الله في إغزازهم
فيهم علا يوم القيامة مشهدي
لو أنني صغت الكلام فلائدا
كرش النبي وعينة لرسوله
زهبان ليل يقرؤون كلامه

وقصة الرويا طويلة، فاقصرت من ذلك على ما نحتاج إليه في هذا الباب من ذكر الأنصار.

1 ص 61
2 التجار: الأصل والحسب.
3 ص 61

ثم نرجع فنقول: فما جاءت الأنصار إلا بعد أن نفس الله عن نبيه بما بشره به، فلقبته الأنصار¹ في حال اتساع وانتسراح وسرور، وتلقاها ﷺ تلقى الغني بربه، فكان معها والمهاجرين عوناً على إقامة دين الله كما أمرهم الله. قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَتَّبِعُ وَيَبْسُطُ﴾². فلبه الأسماء الحسنى، ولها آثار وتحكم في خلقه وهي المتوجهة من الله تعالى - على إيجاد الممكنات وما تحوي عليه من المعاني التي لا نهاية لها.

والله من حيث ذاته ﴿غَنِيَّ عَنِ الْعَالِينَ﴾³ وإنما عرفنا الله تعالى - أنه ﴿غَنِيَّ عَنِ الْعَالِينَ﴾ ليعلمنا أنه سبحانه - ما أوجدنا إلا لما لا لنفسه، وما خلقنا لعبادته إلا ليعود ثواب ذلك العمل وفضله إلينا. ولذلك ما خص بهذا الخطاب إلا الثقلين، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁴ ولا نشك أن كل ما خلق من الملائكة وغيرهم من العالم، ما خلقهم إلا مسبحين بحمده، وما خص بهذه الصفة غير الثقلين، أعني صفة العبادة، وهي الذلة. فما خلقهم حين خلقهم أذلاء. وإنما خلقهم ليدلوا. وخلق ما سواهم أذلاء في أصل خلقهم. فما جعل العلة، في سوى الثقلين، الذلة كما جعلها فينا.

وذلك أنه ما تكبر أحد من خلق الله على أمر الله غير الثقلين. ولا عصى - الله أحد من خلق الله سوى الثقلين. فأمر إبليس فعصى، ونهى آدم ﷺ أن يقرب الشجرة، فكان من أمره ما قال الله لنا في كتابه ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾⁵. وأما الملائكة فقد شهد لهم الله بأنهم ﴿لَا يَقْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁷ رداً على من تكلم بما لا ينبغي في حق الملكين بابل من المفسرين بما لا يليق بهم ولا يعطيه ظاهر الآية. لكن الإنسان يجترئ على الله تعالى -، فيقول فيه ما لا يليق بجلاله فكيف لا يقول في الملائكة. فكما كذب الإنسان ربه في أمور، فيكون هذا القائل قد كذب ربه في قوله في حق الملائكة: ﴿لَا يَقْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾.

وفي صحيح الخبر عن رسول الله ﷺ عن الله ﷻ يقول الله ﷻ: «كذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وشتني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك» الحديث. ف«لا أحد أصبر على أدنى من الله»، كذا ورد أيضاً في الخبر، وهو سبحانه - يرزقهم ويحسن إليهم، وهم في حقه بهذه الصفة.

فاعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون سائر الموجودات، أن سائر المخلوقات، توجه على

1 ص 62
2 البقرة: 245
3 آل عمران: 97
4 الناريات: 56
5 ص 62 ب
6 طه: 121
7 التحريم: 6

إيجادهم من الأسماء الإلهية: أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر والعزة، فخرجوا أذلاء تحت هذا القهر الإلهي، وتعرّف إليهم حين أوجدتهم بهذه الأسماء، فلم يتمكن لمن خُلق بهذه المثابة أن يرفع رأسه، ولا أن يجد في نفسه طعماً للكبرياء، على أحد من خلق الله، فكيف على من خلّقه.

وقد أشهد أنه في قبضته وتحت قهره، وشهدوا كشفاً نواصيمهم، ونواصي كل دابة بيده في القرآن العزيز ﴿مَا مِنْ ذَابَةٍ إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ثم قال متماً: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾² والأخذ بالناصية عند العرب إذلال. هذا هو المقرر عَزْماً عندنا. فمن كان حاله في شهود نظره إلى ربه؛ أخذ النواصي بيده، ويرى ناصيته من جملة النواصي، كيف يتصوّر منه عزّ أو كبرياء على خالقه مع هذا الكشف؟.

وأما الثقلان؛ خلّتهم بأساء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الإلهي، فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزّاً ولا كبرياء، وروا نفوسهم مستندة في وجودها إلى رحمة وعطف وتنزل. ولم يتبد الله لهم من جلاله ولا كبريائه ولا عظمتهم في خروجهم إلى الدنيا شيئاً يشغلهم عن نفوسهم. ألا تراه في الأخذ الذي عرض لهم من ظهورهم حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ هل قال منهم أحد: نعم؟! لا والله، بل ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾³.

فأقرّوا له بالربوبية لأنهم في قبضة الأخذ محصورون. فلو شهدوا أنّ نواصيم بيد الله، شهادة عين أو إيماناً كشهادة عين، كشهادة الأخذ، ما عصوا الله طرفه عين، وكانوا مثل سائر المخلوقات ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾⁴.

فلما ظهر لهم عن هذه الأسماء الرحمانية⁵، قالوا: يا ربنا؛ لما خلقتنا؟ قال: لتعبدوني؛ أي لتكونوا أذلاء بين يدي. فلم يروا صفة قهر ولا جناب عزّة تُذلّهم، ولا سبياً وقد قال لهم: لتذلّوا إليّ، فأضاف فعل الإذلال إليهم. فزادوا بذلك كبراً، فلو قال لهم: ما خلقتكم إلا لأذلّكم، لفرقوا وخافوا، فإنها كلمة قهر، فكانوا يبادرون إلى الذلّة من نفوسهم خوفاً من هذه الكلمة، كما قال للسّموات والأرض: ﴿اثْبِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾⁶ فلو لم يقل: ﴿كَرْهًا﴾ فإنها كلمة قهر حيث ما أتت.

فلهذا قلنا: "ما أوجد كلّ ما عدا الثقلين ولا خاطبهم إلا بصفة القهر والجبروت" فلما قال للثقلين عن

السبب الذي لأجله أوجدهم وخلّقتهم، نظروا إلى الأسماء التي وُجدوا عنها، فما رأوا اسماً إلهياً منها يقتضي أخذهم وعقوبتهم، إن عصوا أمره ونهيته، أو تكبروا على أمره: فلم يطيعوه وعصوه فدعّى آدم ربه¹ وهو أول الناس، وعصى إبليس ربه، فسرت الخالفة من هذين الأصلين في جميع الثقلين.

يقول النبي ﷺ عن آدم لما نسي وحمد ما وهبه لداود من عمره: «فنسي - آدم - فيسيث ذريته، وحمد آدم فحدث ذريته، إلا من رحم ربك فعصمه» ولكن من التكبر على الله، لا من تكبر بعضهم على بعض وعلى سائر المخلوقين. فما عصم أحد من ذلك ابتداء، فإن الله قد شاء أن ﴿يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾⁴.

ولكن إذا اعتنى الله بعبده، ففي الحالة الثانية يرزقه التوفيق والعناية، فيلزم ما خُلق له من العبادة، فيلحق بسائر المخلوقات، وهو عزيز الوجود. وأين العبد الذي هو في نفسه مع أنفاسه عبد الله دائماً؟ فلا يذلّ أحد من الثقلين إلا عن قهر يجده؛ فهو في ذلك مجبور. فإذا وجد ذلك، حينئذ يلتفت إلى الأسماء التي عنها وُجد - وهي أسماء الرحمة - فيطلبها لتزيل عنه ما هو فيه من الضيق والحرج الذي ما اعتاده، فيحنّ إلى جنتها، ويعرف أنّ لها قوّة وسلطاناً، فتنتفّس عنه ما يجده من ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ نَفْسَ الرَّحْمَنِ» فأشار إلى الاسم الذي خلق به الثقلين، وقرن معه جملة القوّة، فقال: «مِنْ قِبَلِ الْيَمِينِ» والقِبَلُ الناحية والجهة، واليمن من اليمين، وهو القوّة. قال الشاعر⁵:

إِذَا مَا رَايَةَ رُفَعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عِزَابُهُ بِالْيَمِينِ
أَرَادَ بِالْقُوَّةِ. فَإِنَّ الْيَمِينَ مَحَلُّ الْقُوَّةِ، «وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»⁶ وكذلك كان لما نظر إليه الاسم الرحمن الذي عنه وُجد (النبي محمد)، كان النصر على أيدي الأنصار.

وكذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ﴾⁷ فَإِنَّ الْمُتَّقِيَ هُوَ الْحَزِيرُ الْخَائِفُ الْوَجِلُ، ولا يكون أحد يشهد الرحمن الرحيم الرءوف ويتقيّه، وإنما مشهود المتقي: السريع الحساب، الشديد العقاب، المتكبر، الجبار. فيتّقي ويخاف، فيؤمنه الله تعالى، بأن يحشره إلى الرحمن. فيأمن سطوة الجبار القهار، ولهذا قال تعالى -

1 [طه : 121]

2 في: "على" وصححت في الهامش بخط آخر: "من تكبر".

3 ص 64

4 [الزخرف : 32]

5 سبق تعريفه بالسفر 2

6 [الزمر : 67]

7 [مريم : 85]

8 ص 64

1 ص 63

2 [هود : 56]

3 [الأعراف : 172]

4 [الأنبياء : 20]

5 ص 63 ب

6 [فصلت : 11]

فينا¹: "إِنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ"، لأنه بالرحمة أوجدنا، لم يوجدنا بصفة القهر، وكذلك تأخرت المعصية، فتأخر الغضب عن الرحمة في الثقلين، فالله يجعل حكمها في الآخرة كذلك، ولو كانت بعد حين.

ألا ترى الله -تعالى- إذا ذكر أسماءه لنا يبتدئ بأسماء الرحمة، ويؤخر أسماء الكبرياء، لأننا لا نعرفها. فإذا قدم لنا أسماء الرحمة عرفناها، وحننا إليها. عند ذلك يتبعها أسماء الكبرياء لناخذها بحكم التبعية، فقال -تعالى-: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾² فهذا نعت يعم الجميع، وليس واحد به بأوّل من الآخر، ثم ابتداء فقال: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ فعرّفنا الرحمن، ﴿الرَّحِيمُ﴾³ لأننا عنه وُجدنا، ثم قال بعد ذلك: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ابتداءً ليَجعله فصلاً بين ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وبين ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ فقال: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ وهذا كله من نعوت الرحمن، ثم جاء وقال: ﴿الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾⁴ فقبلنا هذه النعوت، وبعد أن آتسنا بأسماء اللطف والحنان، وأسماء الاشتراك التي لها وجه إلى الرحمة، ووجه إلى الكبرياء، وهو الله والمَلِك.

فلما جاء بأسماء العظمة، والخل⁵ قد تأس بترادف الأسماء الكثيرة الموجبة للرحمة، قبلنا أسماء العظمة لَمَّا رأينا أسماء الرحمة قد قبلتها، حيث كانت نعوتها لها، فقبلناها ضمناً تبعاً لأسائنا. ثم إنه لَمَّا علم (الله) الخلق أن صاحب القلب والعلم بالله ومواقع خطابه، إذا سمع مثل أسماء العظمة، لا بد أن تؤثر فيه أثر خوف وقبض، نَعَتْها بعد ذلك، وأردفها بأسماء لا تختص بالرحمة على الإطلاق، ولا تفرى عن العظمة على الإطلاق، فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁶، وهذا كله تعليم من الله عبادَه وتزِيل إليهم.

فمنازل أصحاب هذا الباب، هي هذه الأسماء المذكورة وحضراتها، ولهذا قدّم سبحانه -في كتابه- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في كلّ سورة، إذ كانت السور تحوي على أمور مخوفة، تطلب أسماء العظمة والاعتدال، فقدّم أسماء الرحمة تأنيساً وبشراً، ولهذا قالوا في "سورة التوبة" إنها و"الأُنْفَال" سورة واحدة، حيث لم يفصل بينها بالبسملة، وفي ذلك خلاف منقول بين علماء هذا الشأن من الصحابة.

ولَمَّا علم الله -تعالى- ما يجري من الخلاف في هذه الأمة في حذف البسملة من "سورة براءة"، فمن

ذهب إلى أنها سورة مستقلة، وكان القرآن عنده مائة وثلاث عشرة سورة، فيحتاج إلى¹ مائة وثلاث عشرة بسملة، أظهر لهم في سورة النمل بسملة، ليكمل العدد، وجاء بها كما جاء بها في أوائل السور بعينها، فإن لغة سليمان عليه السلام لم تكن عربية، وإنما كانت لغة أخرى. فما كتب هذا اللفظ في كتابه، وإنما كتب لفظه بلغة يقتضي معناها باللسان العربي، إذا عبّر عنها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وأتى بها محذوفة الألف، كما جاءت في أوائل السور، ليُعْلَم أن المقصود بها هو المقصود بها في أوائل السور، ولم يعمل ذلك في ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾² و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾³ فأثبت الألف هناك ليفرق ما بين اسم البسملة وغيرها.

ولهذا تتضمن سورة التوبة من صفات الرحمة والتزّل الإلهي كثيراً؛ فإن فيها شراء الله نفوس المؤمنين منهم ﴿بِأَنَّهُمْ لَهِمُ الْجَنَّةِ﴾⁴ وأي تزل أعظم من أن يشتري السيد ملكه من عبده، وهل يكون في الرحمة أبلغ من هذا. فلا بد أن تكون "التوبة" و"الأُنْفَال" سورة واحدة، أو تكون بسملة النمل السليمانية لسورة التوبة.

ثم انظر في اسمها سورة التوبة؛ والتوبة تطلب الرحمة، ما تطلب التبري. وإن ابتداء ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقد ختم بآية، لم يأت بها، ولا وُجدت إلا عند من جعل الله شهادته شهادة رجلين. فإن كنت تعقل غلفت ما في هذه السورة من الرحمة المدرجة، ولا سيما في قوله -تعالى-: ﴿وَمِنْهُمْ...﴾⁵ ﴿وَمِنْهُمْ...﴾⁶ وذلك كله رحمة بنا، لنحذر الوقوع فيه والاتصاف بتلك الصفات، فإن القرآن علينا نزل.

فلم تتضمن سورة من القرآن في حقنا، رحمة أعظم من هذه السورة، لأنه كثر من الأمور التي ينبغي أن يتقها المؤمن ويحتملها. فلو لم يعرفنا الحق -تعالى- بها، ربما وقعنا فيها ولا نشعر، فهي سورة رحمة للمؤمنين.

وإذ وقد عرفناك بمنزلة، فاعلم أن رجاله؛ هم كلّ من كان حاله من أهل الله حال من أحاطت به الأسماء الجبروتية، من جميع عالمه العلوي والسفلي، فيقع منه اللجأ والتضرع إلى أسماء الرحمة، فيتجلى له الاسم الرحمن الذي ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁸، والذي به ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁹ فيهبه الاقتدار الإلهي،

1 ص 65

2 [هود : 41]

3 [العلق : 1]

4 [التوبة : 111]

5 ص 66

6 [التوبة : 49]

7 [التوبة : 58]

8 [طه : 8]

9 [طه : 5]

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

2 [الحشر : 22]

3 [الحشر : 22]

4 [الحشر : 23]

5 ص 65

6 [الحشر : 24]

فيحسبه آثار الأسماء القهرية، فيتسع له المجال، فيشرح الصدر، ويجري النفس، ويسري فيه روح الحياة، وتأتي إليه وفود الأسماء الرحمانية، والحقائق الإلهية بالتهاني والبشائر.

فمن كانت هذه حالته ويعرفها ذوقاً من نفسه، وهو من رجال هذا المقام؛ فلا يغالط نفسه. وكل إنسان أعلم بحاله، ولا ينفك أن تنزل نفسك عند الناس منزلة ليست لك في نفس الأمر، وقد نصحتك وأبنت لك عن طريق القوم؛ فلا تكن من الجاهلين بما¹ عرفناك به ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾² ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾³ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

الباب الخمسون في معرفة رجال الحيرة والعجز

مَنْ قَالَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ
لَا يَعْلَمُ اللَّهَ إِلَّا اللَّهُ فَاتَّبِعُوا
الْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ مَعْرِفَةُ
هُوَ الْإِلَهِ فَلَا تَخْصَى مَحَامِدُهُ
وَلَمْ يَحْزَكَانَ بَرَهَانًا بِأَنْ يَجْهَلَ
فَلَيْسَ حَاضِرُكُمْ مِثْلَ الَّذِي عَقَلَا
كَذَا هُوَ الْحُكْمُ فِيهِ عِنْدَ مَنْ عَقَلَا
هُوَ التَّزْيِيدُ فَلَا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلًا

اعلم أيديك الله بروح منه. أن سبب الحيرة في علمنا بالله طلبنا معرفة ذاته تعالى وجل. بأحد الطريقين: إما بطريق الأدلة العقلية، وإما بطريق تسمى المشاهدة. فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة. والدليل السمعي¹ قد أوماً إليها وما صرح. والدليل العقلي قد منع من إدراك حقيقة ذاته، من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو سبحانه- في نفسه عليها. وما أدرك العقل بنظره إلا صفات السلوب لا غير، وسمي هذا معرفة.

والشارع قد نسب إلى نفسه أموراً، وصف نفسه بها، تخليها الأدلة العقلية إلا بتأويل بعيد؛ يمكن أن يكون مقصوداً للشارع ويمكن أن لا يكون. وقد لزمه الإيمان والتصديق بما وصف به نفسه، لقيام الأدلة عنده بصدق هذه الأخبار عنه أنه أخبر بها عن نفسه في كتبه أو على السنة رساله. فتعارض هذه الأمور، مع طلبه معرفة ذاته تعالى-، أو الجمع بين الدليلين المتعارضين، أوقعهم في الحيرة.

فرجال الحيرة هم الذين نظروا في هذه الدلائل، واستقصوها غاية الاستقصاء، إلى أن أدام ذلك النظر إلى العجز والحيرة فيه من نبي أو صديق. قال ﷺ: «اللهم زدني فيك تحييراً» فإنه كلما زاده الحق علماً به، زاده ذلك العلم حيرة، ولا سيما أهل الكشف لاختلاف الصور عليهم عند الشهود. فهم أعظم حيرة من أصحاب النظر في الأدلة بما لا يتقارب.

قال النبي ﷺ بعد ما بذل مجده في الثناء على خالقه بما أوحى به إليه: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وقال أبو بكر الصديق² ﷺ في هذا المقام وكان من رجاله: "العجز عن درك الإدراك

1 ص 66

2 [الحجر : 99]

3 [آل عمران : 5]

4 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش مكتوب بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهير الدين محمود، عليّ. كتبه ابن العربي".

إدراك" أي إذا علمت أن شئ من لا يعلم: ذلك هو العلم بالله تعالى. فكان الدليل على العلم به: عدم العلم به.

والله قد أمرنا بالعلم بتوحيده، وما أمرنا بالعلم بذاته. بل نهى عن ذلك بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾¹ ونهى رسول الله ﷺ عن التفكير في ذات الله تعالى - إذ من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² كيف يؤصل إلى معرفة ذاته. فقال الله تعالى - آمراً بالعلم بتوحيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾³. فالمعرفة به من كونه إلهاً: والمعرفة بما ينبغي للإله أن يكون عليه من الصفات، التي يمتاز بها عن ليس بإله، وعن المألوه. (تلك) هي الأمور بها شرعاً، فلا يعرف الله إلا الله.

فقامت الأدلة العقلية القاطعة على أنه إله واحد، عند أهل النظر وأهل الكشف. فلا إله إلا هو. ثم بعد هذا الدليل العقلي على توحيده، والعلم الضروري العقلي بوجوده، رأينا أهل طريق الله تعالى؛ من رسول ونبي وولي قد جاءوا بأمر من المعرفة بنعوت الإله في طريقهم، أحاثها الأدلة العقلية، وجاءت بصحتها الألفاظ النبوية، والأخبار الإلهية. فبحث أهل الطريق عن هذه المعاني ليحصلوا منها على أمر يميزون به⁴ عن أهل النظر الذين وقفوا حيث بلغث بهم أفكارهم، مع تحققتهم صدق الأخبار. فقالوا: نعلم أن شئ طوراً آخر، وراء طور إدراك العقل الذي يستقل به، وهو للأنبيا؛ وكبار الأولياء به يقبلون هذه الأمور الواردة عليهم في الجنب الإلهي.

فعملت هذه الطاقة في تحصيل ذلك بطريق الخلوات والأذكار المشروعة، لصفاء القلوب وطهارتها من دس الفكر، إذ كان المفكر لا يفكر إلا في المحدثات، لا في ذات الحق، وما ينبغي أن يكون عليه في نفسه، الذي هو مسمى الله. ولم يجد صفة إثبات نفسية. فأخذ ينظر في كل صفة يمكن أن يقبلها المحدث الممكن، يسلبها عن الله، لئلا يلزمه حكم تلك الصفة، كما لزمت الممكن الحادث، مثل ما فعل بعض النظائر من المتكلمين في أمور أثبتوها وطردوها شاهداً وغائباً.

ويستحيل على ذات الحق أن تجتمع مع الممكن في صفة. فإن كل صفة يتصف بها الممكن يزول وجودها بزوال الموصوف بها، أو تزول هي مع بقاء الممكن، كصفات المعاني، والأولى كصفات النفس. ثم إن كل صفة منها ممكنة، فإذا طردوها شاهداً وغائباً؛ فقد وصفوا واجب الوجود لنفسه، بما هو ممكن

1 [آل عمران : 28]
2 [الشورى : 11]
3 [محمد : 19]
4 ص 68

لنفسه. والواجب الوجود لنفسه لا يقبل ما¹ يمكن أن يكون، ويمكن أن لا يكون. فإذا بطل الاتصاف به من حيث حقيقة ذلك الوصف لم يبق إلا الاشتراك في اللفظ، إذ قد بطل الاشتراك في الحد والحقيقة. فلا يجمع صفة الحق وصفة العبد حد واحد أصلاً. فإذا بطل طرد ما قالوه، وطردوه شاهداً وغائباً.

فلم يكن قولنا في الله: "إنه عالم"، على حد ما نقول في الممكن الحادث: "إنه عالم"، من طريق حد العلم وحقيقته. فإن نسبة العلم إلى الله تخالف نسبة العلم إلى الخلق الممكن. ولو كان عين العلم القديم هو عين العلم المحدث لجمعها حد واحد، ذاتي - أعني العلمين - واستحال عليه ما يستحيل على مثله من حيث ذاته، ووجدنا الأمر على خلاف ذلك.

فتعملت هذه الطاقة في تحصيل شيء مما وردت به الأخبار الإلهية من جانب الحق، وشرعت في صقالة قلوبها بالأذكار، وتلاوة القرآن، وتفرغ الحل من النظر في الممكنات، والحضور والمراقبة، مع طهارة الظاهر بالوقوف عند الحدود المشروعة؛ من غص البصر - عن الأمور التي نهى أن ينظر إليها من العورات، وغيرها، وإرساله في الأشياء التي تعطيه الاعتبار والاستبصار. وكذلك سمعه ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه وقلبه، وما² تم في ظاهره سوى هذه السبعة والقلب ثابته. ويزيل التفكير عن نفسه جملة واحدة؛ فإنه مفرق ليهته، ويعتكف على مراقبة قلبه عند باب ربه، عسى الله أن يفتح له الباب إليه، ويعلم ما لم يكن يعلم، مما علمته الرسل وأهل الله، مما لم تستقل العقول بإدراكه وإحاطته.

فإذا فتح الله لصاحب هذا القلب هذا الباب؛ حصل له تجل إلهي، أعطاه ذلك التجلي بحسب ما يكون حكمه. فينسب إلى الله منه أمراً، لم يكن قبل ذلك يجراً على نسبته إلى الله - سبحانه - ولا يصفه به إلا قدر ما جاءت به الأنباء الإلهية، فيأخذها تقليداً، والآن يأخذ ذلك كشفاً، موافقاً مؤيداً عنده لما نطق به الكتب المنزل، وجاء على السنة الرسل - عليهم السلام - فكان يطلقها إيماناً حاكياً من غير تحقيق لمعانيها، ولا يزيد عليها. والآن يطلق في نفسه، عليه تعالى ذلك علماً محققاً من أجل ذلك الأمر الذي تجلى له، فيكون بحسب ما يعطيه ذلك الأمر، ويعرف معنى ما يطلقه، وما حقيقة ذلك.

فيتخيل في أول تجل، أنه قد بلغ المقصود، وحاز الأمر، وأنه ليس وراء ذلك شيء يطلب سوى دوام ذلك، فيقوم له تجل آخر بحكم آخر، ما هو ذلك الأول³، والمتجلي واحد، لا يشك فيه. فيكون حكمه فيه حكم الأول، ثم تتوالى عليه التجليات باختلاف أحكامها فيه، فيعلم عند ذلك أن الأمر ما له نهاية، يوقف

1 ص 68
2 ص 69
3 ص 69

عندها. ويعلم أن الإتيّة الإلهيّة ما أدركها، وأنّ الهويّة لا يصحّ أن تتجلّى له، وأنّها روح كلّ تجلّ. فيزيد خيرة، لكن فيها لذة. وهي أعظم من حيرة أصحاب الأفكار بما لا يتقارب.

فإنّ أصحاب الأفكار ما برحوا بأفكارهم في الأكوان، فلهم أن يحاروا ويعجزوا. وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان، وما بقي لهم شهود إلّا فيه. فهو مشهودهم، والأمر بهذه المثابة. فكانت حيرتهم باختلاف التجليات، أشدّ من حيرة النظار في معارضات الدلالات عليه. فقلوه ﷺ، أو قول من يقول من هذا المقام: «زدني فيك تحيّرًا» طلب لتوالي التجليات عليه. فهذا (هو) الفرق بين حيرة أهل الله، وحيرة أهل النظر. فصاحب العقل ينشد:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد
وصاحب التجليّ ينشد قولنا في ذلك:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه عينه
فبينها ما بين كلمتيها.

فما في الوجود إلّا الله، ولا يعرف الله¹ إلّا الله. ومن هذه الحقيقة قال من قال: "أنا الله" كأبي يزيد و"سبحاني" كغيره من رجال الله المتقدمين. وهي من بعض تحريجات أقوالهم ﷺ. فمن وصل إلى الحيرة من الفريقين؛ فقد وصل.

غير أنّ أصحابنا اليوم يحدون غاية الألم حيث لا يقدرّون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه، كما أرسلت الأنبياء عليهم السلام، فما أعظم تلك التجليات.

وإنما منعهم أن يطلقوا عليه، ما أطلقت الكتب المنزلة والرسل عليهم السلام، عدم إنصاف السامعين من الفقهاء وأولي الأمر؛ لما يسارعون إليه في تكفير من يأتي بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام. في جنب الله، وتركوا معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾² كما قال له ﷺ ربه ﷻ عند ذكره الأنبياء والرسل عليهم السلام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدُ﴾³.

فأغلّق الفقهاء هذا الباب، من أجل المدّعين الكاذبين في دعواهم، ونعم ما فعلوا، وما على الصادقين في هذا من ضرر. لأنّ الكلام والعبارة عن مثل هذا ما هو ضربة لازب. وفي ما ورد عن رسول الله ﷺ في

1 ص 70
2 [الأحزاب : 21]
3 [الأنعام : 90]

ذلك كفاية لهم فيوردونها، يستريحون إليها: من تعجّب وفرح وضحك وتبشّش ونزول¹ ومعية ومحبّة وشوق، وما أشبه ذلك، بما لو انقرد بالعبارة عنه الوحي كثر وربما قُتل.

وأكثر علماء الرسوم، عدموا علم ذلك ذوقًا وشرابًا. فأنكروا مثل هذا من العارفين، حسدا من عند أنفسهم؛ إذ لو استحال إطلاق مثل هذا على الله تعالى، ما أطلقه على نفسه، ولا أطلقته رسالته عليهم السلام. عليه. ومنعهم الحسد أن يعلموا أنّ ذلك ردّ على كتاب الله، وتحجير على رحمة الله، أن تنال بعض عباد الله، وأكثر العامة تابعون للفتهاء في هذا الإنكار، تقليدا لهم لا بل بحمد الله - أقلّ العامة.

وأما الملوك فالغالب عليهم عدم الوصول إلى مشاهدة هذه الحقائق، لشغلهم بما دفعوا إليه. فساعدوا علماء الرسوم فيما ذهبوا إليه، إلّا القليل منهم؛ فإنهم اتهموا علماء الرسوم في ذلك، لما رأوه من انكبابهم على حطام الدنيا - وهم في غنى عنه - وحبّ الجاه والرئاسة، وتمشية أغراض الملوك فيما لا يجوز. وبقي العلماء بالله تحت ذلّ العجز والحصر معهم؛ كرسول كذبته قومه، وما آمن به واحد منهم. ولم يزل رسول الله ﷺ يُخرس حتى نزل: ﴿وَاللَّهُ يَفْصَلُكَ مِنَ النَّاسِ﴾².

فانظر ما يقاسيه في نفسه العالم بالله. فسبحان من أعمى بصائرهم حيث أسلموا وسلّموا³، وآمنوا بما به كفروا. فالله يجعلنا ممن عرف الرجال بالحق، لا ممن عرف الحق بالرجال. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

1 ص 70
2 [المائدة : 67]
3 ص 71
4 [الصفّات : 182]
5 [الأحزاب : 4]

الباب الحادي والخمسون
في معرفة رجال من أهل الورع
قد تحقّقوا بمنزل نفس الرحمن

يا مَنْ تَحَقَّقَ بِالنَّفْسِ إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْقَبَسِ
وَكَذَا الْهَيَاثُ مِنَ الْعُلُومِ لَدَى الْمُحَقِّقِ فِي الْبَلَسِ
لِلَّهِ قَوْمٌ مَا لَهُمْ فِي نَفْسٍ نَفْسُهُمْ نَفْسُ
وَهُمُ الَّذِينَ هُمْ هُمْ أَهْلُ الْمَشَاهِدِ فِي الْفَلَسِ
فَهُمُ الْخَلَائِفُ فِي الْغُيُوبِ وَفِي الشَّهَادَةِ كَالْعَسَسِ
أَعْلَى الْإِلَهِ مَقَامُهُمْ فِي سُورَةِ ثُلَى "عَبَسَ"
فِيهَا لَطَائِفُ سِرِّهِمْ فَابْحَثْ وَلَا تَكُ تُخْتَلِسُ
مَنْ كَانَ ذَا عِلْمٍ بِهَا فِي حَالِهِ لَمْ يَتَنَبَّسْ

اعلم أيّديك الله بروح القدس - أنّ رجال هذا الباب؛ هم الزّهاد الذين كان الورع سبب زهدهم. وذلك أنّ القوم تورّعوا¹ في المكاسب على أشدّ ما يكون من عزائم الشريعة. فكلّ ما حاك له في نفوسهم شيء، تركوه عملاً على قوله ﷺ: «دع ما يريّئك إلى ما لا يريّئك» وقوله: «استفت قلبك» وقال بعضهم: "ما رأيت أسهل عليّ من الورع: كلّ ما حاك له في نفسي شيء تركته". إلى أن جعل الله لهم علامات يعرفون بها الحلال من الحرام، في المطاعم وغيرها، إلى أن ارتقوا عن العلامات، إلى خرق العوائد عندهم في الشيء المتورّع فيه، فيستعملونه. فيظنّ من لا علم له بذلك أنّه أتى حراماً وليس كذلك. فاتّسع عليهم ذلك الضيق والحرّج - وقد ذقنا هذا من نفوسنا - وزال عنهم ما كانوا يجدونه في نفوسهم من البحث والتفتيش عن ذلك.

وهذه العلامة، وهذا الحال التي ارتقوا إليها، لا تكون أبداً إلّا من نفس الرحمن. رحّمهم بذلك "الرحمن" لما رآهم فيه من التعب والضيق والحرّج، وتهمة الناس في مكاسبهم، وما يؤدّبهم إليه هذا الفعل من سوء الظنّ بعباد الله. فنفس الرحمن عنهم، بما جعل لهم من العلامات في الشيء، وفي حقّ قوم بالمقام الذي ارتقوا إليه الذي ذكرناه: فيأكلون طيباً ويستعملون طيباً؛ فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات،

واستراحوا إذ كانوا على بينة من ربهم، في مطاعمهم ومشاربهم.

وأذا هم التحقّق بالورع إلى الزهد في الكسب، إذ كان مبنى اكتسابهم الورع، ليأكلوا مما يعلمون أنّ ذلك حلال لهم استعماله. ثمّ عملوا على ذلك الورع في المنطق من أجل الغيبة والكلام فيما يخوض الإنسان فيه من الفضول، فرأوا أنّ السبب الموجب لذلك، مجالسة الناس ومعاشرتهم. وربما قدروا على مسك نفوسهم عن الكلام بما لا ينبغي.

لكنّ بعضهم أو أكثرهم عجز أن يمنع الناس بحضوره عن الكلام بالفضول وما لا يعينهم، فأذا هم أيضاً هذا الحرّج إلى الزهد في الناس، فأثروا العزلة والانتطاع عن الناس باتّخاذ الحلوات، وغلق بابهم عن قصد الناس إليهم. وآخرون بالسياحة في الجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية. فنفس الله عنهم من اسمه الرحمن بوجوه مختلفة من الأنس به، أعطاهم ذلك نفس الرحمن؛ فأسمعهم أذكار الأحجار، وخرير المياه، وهبوب الرياح، ومناطق الطير، وتسبيح كلّ أمة من المخلوقات، ومحادثتهم معه وسلامهم عليه، فأيس بهم من وحشته، وعاد في جماعة وخلق:

ما لهم كلام إلّا في تسبيح أو تعظيم أو ذكر آلاء الهيّة، أو تعريف بما ينبغي، وهو جليس لهم. ويسمع جوارحه، وكلّ جزء فيه، يكلمه بما أنعم الله عليه به، فتغمره النعم، فيزيد في العبادة. ومنهم من ينفس عنه بالأنس بالوحوش - رأينا ذلك - فتغدو عليه وتروح مستأنسة به وتكلمه بما يزيد حرصاً على عبادة ربه.

ومنهم من يجالس الروحانيّون من الجانّ؛ ولكن هو دون الجماعة في الرتبة، إذا لم يكن له حال سيوى هذا. لأنّهم (أي الروحانيّون من الجانّ) قريب من الإنس في الفضول، والكيس من الناس من يهرب منهم، كما يهرب من الناس. فإنّ مجالستهم رديئة جدّاً، قليل أن تنتج خيراً. لأنّ أصلهم نار، والنار كثير الحركة، ومن كثرت حركته، كان الفضول أسرع إليه في كلّ شيء. فهم أشدّ فتنة على جليستهم من الناس؛ فإنّهم قد اجتمعوا مع الناس، في كشف عورات الناس، التي ينبغي للعاقل أن لا يطلع عليها.

غير أنّ الإنس لا تؤثر مجالسة الإنسان إيّاهم تكبراً، ومجالسة الجنّ ليست كذلك. فإنّهم بالطبع يؤثرون في جليستهم التكبر على الناس، وعلى كلّ عبد لله. وكلّ عبد لله رأى لنفسه شفوفاً على غيره تكبراً، فإنّه يفتنه الله في نفسه من حيث لا يشعر. وهذا من المكر الخفي. وعين مقت الله إيّاه، هو ما يجده من

التكبر على¹ مَنْ ليس له مثل هذا، ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفات.

ثم اعلم أن الجآن هم أجهل العالم الطبيعي بالله، ويتخيل جليسه بما يخبرونه به من حوادث الأكوان، وما يجري في العالم مما يحصل لهم في استراق السمع من الملاء الأعلى، فيظن جليسه أن ذلك من كرامة الله به. وهيات لما ظنوا. ولهذا ما ترى أحدا قطة جالسهم، فحصل عنده منهم علم بالله جملة واحدة. غاية الرجل الذي تعتني به أرواح الجآن أن يمنحوه من علم خواص النبات والأشجار والأسماء والحروف، وهو علم السيمياء، فلم يكتسب منهم إلا العلم الذي ذمته السنة الشرائع. ومن ادعى صحبتهم، وهو صادق في دعواه، فاسألوه عن مسألة في العلم الإلهي، ما تجد عنده من ذلك ذوقا أصلا.

فرجال الله يفرون من صحبتهم، أشد فرارا منهم من الناس، فإنه لا بد أن تحصل صحبتهم في نفس من يصحبهم، تكبرا على الغير بالطبع، وازدراء بمن ليس له في صحبتهم قدم. وقد رأينا جماعة ممن صحبهم حقيقة، وظهرت لهم براهين على صحة ما ادعوه من صحبتهم، وكانوا أهل جد واجتهاد وعبادة، ولكن لم يكن عندهم من حجتهم شمة من العلم بالله، ورأينا فيهم عزرة² وتكبرا، فما زلنا بهم، حتى حُلنا بينهم وبين صحبتهم، لإنصافهم وطلبهم الأنفس. كما، أيضا، رأينا ضد ذلك منهم. فما أفلح، ولا يفلح من هذه صفته إذا كان صادقا، وأما الكاذب فلا نشتغل به.

ومنهم من نفس الرحمن عنه بمجالسة الملائكة، ونعم الجلساء هم. هم أنوار خالصة لا فضول عندهم، وعندهم العلم الإلهي الذي لا مزية فيه؛ فترى جليسه في مزيد علم بالله دائما مع الأنفاس. فمن ادعى مجالسة الملاء الأعلى، ولم يستفد في نفسه علما برّيه، فليس بصحيح الدعوى، وإنما هو صاحب خيال فاسد.

ومنهم من ينفس الرحمن عنه بأئس بالله في باطنه، وتجليات دائمة معنويات، فلا يزال في كل نفس، صاحب علم بخال جديد بالله وأنس جديد.

ومنهم من ينفس الرحمن عنه ذلك الضيق، بمشاهدته عالم الخيال، يستصحه ذلك دائما، كما تستصحب الرؤيا النائم، فيخاطب ويخاطب، ولا يزال في صور دائما في لذة وفي نكاح، إن جاءت شهوة جماع. ولا تكليف عليه مادام في تلك الحال؛ لغيبته عن إحساسه في الشاهد، فينكح ويلتذ. ويولد له في عالم الخيال أولاد، فمنهم من يبقى له ذلك في عالمه، ومنهم من³ يخرج ولده إلى عالم الشهادة، وهو خيال

على أصله، مشهود للحس. وهذا من الأسرار الإلهية العجيبة، ولا يحصل ذلك إلا للأكابر من الرجال.

وما من طبقة ذكرناها، إلا وقد رأينا منهم جماعة من رجال ونساء، بأشيلية وتلمسان ومكة ومواقع كثيرة، وكانت لهم براهين تشهد بصحة ما يقولونه. وأما نحن فلا نحتاج مع أحد منهم لبرهان فيما يدعيه، فإن الله قد جعل لكل صنف علامة يعرف بها، فإذا رأينا تلك العلامة عرفنا صدق صاحبها، من حيث لا يشعر. وكم رأينا ممن يدعي ذلك كاذبا أو صاحب خيال فاسد. فإن علمنا منه أنه يرجع نصحنه، وإن رأيناه عاشقا لحاله محجوبا بخياله الفاسد، تركناه.

وأصدق من رأينا في هذا الباب من النساء: فاطمة بنت ابن المفتي بأشيلية، خدمتها وهي بنت خمس وتسعين سنة، وشمس أم الفقراء بمرشانة، وأم الزهراء بأشيلية أيضا، وكلها بمكة تدعى ست غزالة. ومن الرجال: أبو العباس بن المنذر من أهل أشيلية وأبو الحجاج الشبرئيلي من قرية بشرف أشيلية تسقى شبرئيل ويوسف بن صخر بقرطبة.

وهذا قد أعربنا لك عن أحوال رجال هذا الباب، وما أنتج لهم الزهد في الناس، وما وجدوه من نفس الرحمن لذلك. وعلى هذا الحد تكون أعمال الجوارح كلها؛ يجمعها ترك الفضول، في كل عضو، بما يستحقه ظاهرا وباطنا. فأولها الجوارح وأعلاها في الباطن الفكر؛ فلا يتفكر فيما لا يعنيه، فإن ذلك يؤديه إلى الهوس والأمانى، وعدم المسابقة بخضور النية في أداء العبادات. فإن الإنسان لا يخلو فكره في أحد أمرين: إما فيما عنده من الدنيا، وإما فيما ليس عنده منها. فإن فكر فيما عنده فليس له دواء عند الطائفة، إلا الخروج عنه، والزهد فيه. صرح بذلك أبو حامد²، وغيره. وإن فكر فيما ليس عنده، فهو عند الطائفة عديم العقل، أخرج لا دواء له، إلا المداومة على الذكر، ومجالسة أهل الله، الذين الغالب على ظواهرهم المراقبة والحياء من الله. «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»³.

الباب الثاني والخمسون
في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف
إلى عالم الشهادة إذا أبصره

كُلُّ مَنْ خَافَ عَلَى هَيْكَلِهِ لَمْ يَرَ الْحَقَّ جَهَارًا عَلَنًا
فَرَّاهُ¹ عِنْدَمَا يَشْهَدُهُ رَاجِعًا لِلْكَوْنِ يَنْفِي الْبَدَنَ
وَتَرَى الشُّجْعَانَ قَدَمًا طَلَبْنَا لِلَّذِي يُخَذِّرُ مِنْهُ الْجُبْنَ

اعلم أيديك الله بروح منه - أن النفوس الإنسانية قد جبلها الله على الجزع في أصل نشأتها، فالشجاعة والإقدام لها أمرٌ عرضي، والجزع في الإنسان أقوى منه في الحيوانات، إلا الصرصر. تقول العرب: "أجبن من صرصر". وسبب قوته في الإنسان: العقل والفكر الذي ميزه الله بها على سائر الحيوان. وما يشجع الإنسان إلا القوة الوهمية. كما أنه، أيضا، بهذه القوة يزيد جبنا وجزعا في مواضع مخصوصة، فإن الوهم سلطان قوي. وسبب ذلك أن اللطيفة الإنسانية متولدة بين الروح الإلهي، الذي هو النفس الرحاني، وبين الجسم المسوي المعتدل من الأركان المعدلة من الطبيعة التي جعلها الله مقهورة تحت النفس الكلية، كما جعل الأركان مقهورة تحت حكم سلطان الأفلاك.

ثم إن الجسم الحيواني مقهور تحت سلطان الأركان؛ التي هي العناصر؛ فهو مقهور لمقهور عن مقهور، وهو النفس عن مقهور، وهو العقل. فهو في الدرجة الخامسة من القهر من وجه، فهو أضعف الضعفاء. قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ فالضعف أصله²، ثم جعل له قوة عارضة وهو قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ ثم رده إلى أصله من الضعف، فقال ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْئَةً﴾ فهذا الضعف الأخير إنما أعده لإقامة النشأة الآخرة عليه، كما قامت نشأة الدنيا على الضعف ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى﴾³.

وإنما كان هذا ليلازم ذاته النلة والافتقار، وطلب المعونة والحاجة إلى خالقه، ومع هذا كله يذهل عن

1 ص 75
2 ص 75
3 [الروم: 54]
4 [الزوجة: 62]

أصله، ويتبين بما عرض له من القوة، فيدعي ويقول: أنا، ويمتي نفسه بمقابلة الأهوال العظام، فإذا قرصه برغوث؛ أظهر الجزع لوجود الألم، وبادر لإزالة ذلك الضرر، ولم يقر به قرار، حتى يجده فيقتله. وما عسى أن يكون البرغوث، حتى يعتني به هذا الاعتناء، ويزلزله عن مضجعه ولا يأخذه نوم؟! فأين تلك الدعوى والإقدام على الأهوال العظام، وقد فصخت قرصه برغوث أو بعوضة؟! هذا أصله ذلك؛ ليعلم أن إقدامه على الأهوال العظام، إنما هو بغيره لا بنفسه؛ وهو ما يؤيده الله به من ذلك، كما قال: ﴿وَأَيُّدَاهُ¹ أَي قُوَّيَاهُ. وَلِهَذَا شَرَعَ ﴿وَأَيُّدَاكَ تَشْتَعِينُ﴾² فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، "وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ".

ولما علم الإنسان أنه لولا جود الله ﷻ لم يظهر له عين في الوجود، وأن أصله ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾³ قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾⁴ فللوجود لذة وحلاوة، وهو الخير. ولتوهم عدم العيني ألم شديد عظيم في النفوس. لا يعرف قدر ذلك إلا العلماء. ولكن كل نفس تجزع من عدم، أن تلحق به كما هو حالها. فبها رأت أمرا تتوهم فيه أنه يلحقها بعدم عينا، أو بما يقاربه، هربث منه وارتاعث وخافت على عينا. وبما كانت أيضا عن الروح الإلهي الذي هو نفس الرحمن. ولهذا كنى عنه بالنفخ لمناسبة النفس، فقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾⁵ وكذا جعل عيسى ينفخ في صورة طينية كهيئة الطير.

فما ظهرت الأرواح إلا من الأتقاس، غير أن للمحل الذي تمر به أثرا فيها، بلا شك. ألا ترى الريح إذا مرث على شيء من، جاءت ريح منتنة إلى مشمك؟ وإذا مرث بشيء عطر، جاءت برائح طيبة؟ لذلك اختلفت أرواح الناس: فروح طيبة لجسد طيب؛ ما أشرك قط، ولا كانت محلا لسفساف الأخلاق. كأرواح الأنبياء والأولياء والملائكة. وروح خبيث لجسد خبيث، لم تزل مشرقة، محلا لسفساف الأخلاق. وذلك إنما كان لغلبة بعض الطباع - أعني الأخلاق - على بعض في أصل نشأة الجسد، التي هي سبب طيب الروح ووجود مكارم الأخلاق وسفسافها - وخبت الروح.

فصحة الأرواح وعافيتها: مكارم أخلاقها، التي اكتسبتها من نشأة بدنها العنصري، فجاءت بكل طيب ومليح. ومعرض الأرواح: سفساف الأخلاق ومذمومها التي اكتسبتها أيضا من نشأة بدنها العنصري؛ فجاءت بكل خبيث وقبيح. ألا ترى الشمس إذا أفاضت نورها على جسم الزجاج الأخضر، ظهر النور في الحائط

1 [البقرة: 87]
2 [الفاتحة: 5]
3 [الإنسان: 1]
4 ص 76
5 [مريم: 9]
6 [الحجر: 29]
7 ص 76

أو في الجسم الذي تطرح الشعاع عليه أخضر؟ وإن كان الزجاج أحمر طرح الشعاع أحمر في رأي العين، فانصبغ في الناظر بلون المحل؟ وذلك للطفاته يقبل الأشياء بسرعة.

ولما كان الهواء من أقوى الأشياء وكان الروح نفسا وهو شبيه بهواء - كانت القوة له. فكان أصل نشأة الأرواح من هذه القوة، واكتسبت الضعف من المزاج الطبيعي البدني، فإنه ما ظهر لها عين إلا بعد اثر المزاج الطبيعي فيها، فخرجت ضعيفة لأنها إلى الجسم أقرب، في ظهور عينها. فإذا قبلت القوة، فإنما تقبلها من أصلها الذي هو النفس الرحاني، المعبر عنه بالروح المنفوخ منه، المضاف إلى الله. فهي قابلة للقوة، كما هي قابلة للضعف. وكلاهما بحكم الأصل وهي إلى البدن أقرب لأنها أحدث عهدا به، فغلب ضعفها على قوتها.

فلو تجردت عن المادة ظهرت قوتها الأصلية، التي لها من النفخ الإلهي، ولم يكن شيء أشد تكبرا منها. فالرما الله الصورة الطبيعية دائما: في الدنيا وفي البرزخ، في النوم وبعد الموت. فلا ترى نفسها أبدا مجردة عن المادة. وفي الآخرة لا تزال في أجسادها، يبعثها الله من صور البرزخ في الأجساد التي أنشأها لها يوم القيامة، وبها تدخل الجنة والنار، ذلك ليلزمها الضعف الطبيعي، فلا تزال فقيرة أبدا.

ألا تراها في أوقات غفلتها عن نفسها، كيف يكون منها التهجم والإقدام على المقام الإلهي، فتدعي الربوبية كفرعون، وتقول في غلبة ذلك الحال عليها: "أنا الله" و"سبحاني" كما قال ذلك بعض العارفين، وذلك لغلبة الحال عليه. ولهذا لم يصدر مثل هذا اللفظ من رسول ولا نبي ولا ولي كامل، في علمه وحضوره ولزومه باب المقام الذي له، وأدبه ومراعاة المادة التي هو فيها وبها ظهر.

فهو زدم، ملآن بضعفه وفقره، مع شهوده أصله، علما وحالا وكشفا، وعلمه بأصله ومقام خلافته من وجه آخر، لو كان حالا له لادعى الألوهة. فإن الأمر الخارج في النفخ من النافخ: له من حكمه بقدر ذلك؛ فلو ادعى ما ادعى محالا، وبذلك القدر الذي فيه من القوة الإلهية التي أظهرها النفخ، توجه عليه التكليف، فبته عين المكلف، وأضيفت الأفعال إليه وقيل له: قل: ﴿وَإِلَّا كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾¹ "ولا حول ولا قوة إلا بالله" فإنه أصلك الذي إليه ترجع.

فصدقت المعتزلة في إضافة الأفعال إلى العباد من وجه، بدليل شرعي. وصدق الخالف في إضافة الأفعال كلها إلى الله تعالى، من وجه، بدليل شرعي أيضا وعقلي. وقالت بالكسب في أفعال العباد للعباد

1 ص 77
2 ص 77
3 [الجامعة: 15]

بقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾¹ وقال في المصورين على لسان رسوله ﷺ: «أين من ذهب يخلق كخلقى» فأضاف الخلق إلى العباد.

وقال في عيسى ﷺ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾² فنسب الخلق إليه ﷺ وهو إيجاد صورة الطائر في الطين، ثم أمره أن ينفخ فيه، فقامت تلك الصورة التي صورها عيسى - ﷺ طائرا حيا، وقوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾³ يعني الأمر الذي أمره الله به من خلقه صورة الطائر والنفخ وإبراء الأكمة والأبرص وإحيائه الميت. فأخبر أن عيسى ﷺ لم ينبعث إلى ذلك من نفسه، وإنما كان عن أمر الله، ليكون ذلك. وإحياء الموقى من آياته على ما يدعيه، فلولا أن الإنسان من حيث حقيقته، من ذلك النفس الرحاني، ما صح ولا ثبت أن يكون عن نفخه ﴿طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾⁴.

ولما كانت حقيقة الإنسان هكذا، خوفا لله بما ذكر من صفة المتكبرين ومآلهم واسوداد وجوههم، كل ذلك دواء للأرواح، لتتق مع ضعف مزاجها الأقرب في ظهور عينها. فالإنسان ابن أمه حقيقة بلا شك. فالروح ابن طبيعة بدنه، وهي أمه التي أرضعته، ونشأ في بطنها، وتغذى بدما. فحكمه حكمها، فلا يستغني عن غذاء في بقاء هيكله.

تتم: (المكاشف الذي يهرب إلى عالم الشهادة)
فلما كان الغالب هذا على الإنسان، رجعا إلى المكاشف الذي يهرب إلى عالم الشهادة، عندما يرى ما يهوله في كشفه مثل صاحبنا أحمد العصا الحريري رحمه الله - فإنه كان إذا أخذ سريع الرجوع إلى حسه، باهتزاز واضطراب. فكنت أعتبه وأقول له في ذلك، فيقول: "أخاف وأجبن، من عدم عيني، لما أراه". ولو علم المسكين أنه لو فارق المواد؛ رجع النفس إلى مستقره، وهو عينه، ورجع كل شيء إلى أصله، ولكن لو كان ذلك لانعدمت الفائدة في حق العبد فيما يظهر، وليس الأمر كذلك، ولذلك قلنا: "وهو عينه" أي عين العبد.

فالبقاء الذي أراده الحق، أولى به بوجود هذا الهيكل؛ العنصري في الدنيا، الطبيعي في الآخرة. والذي يثبت هنالك أعني عند الوارد - إنما يثبت إذا دخل عبدا، كما أن الذي لا يثبت، إنما دخل وفي نفسه شيء من الربوبية، فحاف من زوالها هناك، فهرب إلى الوجود، الذي ظهر فيه ربانته. ولهذا تكون

1 [البقرة: 286]
2 [المائدة: 110]
3 [آل عمران: 49]
4 [الأنعام: 38]
5 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
6 ص 78

فأندته قليلة. والثابت يدخل عبدا قابلا¹، بهمة محترقة إلى أصله، ليهبه من عوارفه ما عودده، فإذا خرج خرج نورا يُستضاء به.

فمثل الداخل إلى ذلك الجناح العالي ربوبيته، مثل من يدخل بسراج موقود. ومثل الذي يدخل بعبوديته، مثل من يدخل بفتيلة لا ضوء فيها، أو بقبضة حشيش فيها نار غير مشتعلة، فإذا دخلا بهذه المثابة، هب عليها نفس من الرحمن، فطفئ لذلك الهبوب السراج، واشتعل الحشيش. فخرج صاحب السراج في ظلمة، وخرج صاحب الحشيش في نور يُستضاء به. فانظر ما أعطاه الاستعداد.

فكل هارب من هناك، إنما يخاف على سراجِه أن ينطفئ، فهو يخاف على ربوبيته أن تزول، فيفر إلى محل ظهورها، ولكن ما يخرج إلا وقد طفى سراجُه. ولو خرج به موقدا كما دخل، ولم يؤثر فيه ذلك الهبوب؛ لادعى الربوبية حقا، ولكن من عصمة الله له كان ذلك. ومن دخل عبدا لا يخاف، وإذا اشتعلت فتيلته هنالك عرف من أشعلها، ورأى المنة له سبحانه في ذلك، فخرج عبدا منورا كما قال - تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾² يعني عبدا. فكان في خروجه إلى أمته ﴿دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾³ كما دخل عبدا ذليلا، عارفا بما دخل، وعلى من دخل.

فمن وفقه الله تعالى -، ولزم عبوديته في جميع أحواله، وإن عرف أصله، فيرجح الأصل الأقرب إليه، جانب أمه. فإنه ابن أمه بلا شك. ألا ترى إلى السنة، في تلقين الميت عند حصوله في قبره، يقال له: يا عبد الله؛ ويا ابن أمه الله؛ فينسب إلى أمه ستر من الله عليها. فأضيف إلى أمه لأنها أحق به لظهور نشأته ووجود عينه، فهو لأبيه ابن فراش، وهو ابن لأمه حقيقة، فافهم ما أعطيناك من المعرفة بك، في هذا الباب. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

- 1 ص 78
- 2 الإسراء: 1
- 3 الأحزاب: 46
- 4 ص 79
- 5 الأحزاب: 4

الباب الثالث والخمسون في معرفة ما يلقي المريد على نفسه من الأعمال قبل وجود الشيخ

إِذَا لَمْ تَلَقْ أَسْتَاذًا فَكُنْ فِي نَعْتٍ مَنْ لَإِذَا
وَقَطَّعَ نَفْسَهُ وَاللَّيْلَ أَفْلَاذًا فَأَفْلَاذًا
وَتَشْيِيحًا وَفَرَاتًا فَأَشْهَدَ بِمَنْ حَادَى
وَأَضَعَهُ وَأَحْيَاهُ فَلَمَّا لَمْ يَقُلْ: مَاذَا؟
فَكَانَ لَهُ الَّذِي يَنْغِيهِ تَلْمِيذًا وَأَسْتَاذًا
وَجَاءَتْهُ مَعَارِفُهُ زُرَافَاتٍ وَأَفْذَاذًا
فَهَذَا قَدْ أَبْهَتْ لَهُ فَلَا يَنْفُكُ عَنْ هَذَا

اعلم¹ أيديك الله وتورك - أنه أول ما يجب على الداخل في هذه الطريقة الإلهية المشروعة، طلب الأستاذ حتى يجده. ويعمل في هذه المدة، التي يطلب فيها الأستاذ، الأعمال التي أذكرها له، وهي أن يلزم نفسه تسعة أشياء؛ فإتيها بسائط الأعداد، فيكون له في التوحيد - إذا عمل عليها - قدم راسخة، ولهذا جعل الله الأفلاك تسعة أفلاك. فانظر ما ظهر من الحكمة الإلهية في حركات هذه التسعة، فاجعل منها أربعة في ظاهرك وخمسة في باطنك.

فالتى في ظاهرك: الجوع والسهر والصمت والعزلة. فاثان فاعلان؛ وهما الجوع والعزلة. واثان منفعلان، وهما: السهر والصمت. وأعني بالصمت: ترك كلام الناس، والاشتغال بذكر القلب ونطق النفس عن نطق اللسان، إلا فيما أوجب الله عليه، مثل قراءة أم القرآن، أو ما تيسر - من القرآن في الصلاة، والتكبير فيها، وما شرع من التسبيح والأذكار والدعاء، والشهد والصلاة على رسول الله ﷺ إلى أن تسلم منها، فتتفرغ لذكر القلب بصمت اللسان. فالجوع يتضمن السهر، والصمت تتضمن العزلة.

وأما الخمسة الباطنة، فهي: الصدق والتوكل² والصبر والعزيمة واليقين. فهذه التسعة أمهات الخير

تتضمن الخير كله. والطريقة مجموعة فيها، فالزما حتى تجد الشيخ.

وَصْلٌ شَارِحٌ

وأنا أذكر لك من شأن كل واحدة من هذه الحصال، ما يحرضك على العمل بها والمؤوب عليها، والله ينفعا وإياك ويجعلنا من أهل عنايته. ولنبتدئ بالظاهرة أولا، ولنقل:

أما العزلة: وهي رأس الأربعة المعبرة التي ذكرناها عند الطائفة. أخبرني أخي في الله - تعالى - عبد المجيد بن سلمة، خطيب مرشاة الزيتون، من أعمال أشبيلية، من بلاد الأندلس، وكان من أهل الجد والاجتهاد في العبادة، فأخبرني سنة ست وثمانين وخمسائة، قال:

كنت بمنزلي بمرشاة، ليلة من الليالي، فقممت إلى حزبي من الليل، فبينما أنا واقف في مصلاي، وباب الدار وباب البيت، علي مغلق، وإذا بشخص قد دخل علي وسلم، وما أدري كيف دخل، فجذعت منه، وأوجزت في صلاتي، فلما سلمت، قال لي:

يا عبد المجيد؛ من تأنس بالله لم يجزع. ثم نفذ الثوب الذي كان تحتي أصلي عليه ورمى به، وبسط تحتي حصيرا صغيرا، كان عنده. وقال لي: صل على هذا، قال: ثم أخذني وخرج بي من الدار، ثم من البلد، ومشى بي في أرض لا أعرفها، وما كنت أدري أين أنا من أرض الله؟ فذكرنا الله - تعالى - في تلك الأماكن، ثم رُدني إلى بيتي حيث كنت.

قال: فقلت له: يا أخي؛ بماذا يكون الأبدال أبدالاً؟ فقال لي: بالأربعة التي ذكرها أبو طالب² في "التوت" ثم سماها لي: الجوع والسهر والصمت والعزلة. قلنا: ثم قال لي عبد المجيد: هذا هو الحصر. فصليت عليه. وهذا الرجل كان من أكابرهم يقال له: معاذ بن أشرس.

فأما العزلة: فهي أن يعتزل المرید كل صفة مذمومة، وكل خلق دنيء. هذه عزلته في حاله. وأما في قلبه؛ فهو أن يعتزل بقلبه عن التعلق بأحد من خلق الله؛ من أهل ومال وولد وصاحب، وكل ما يحول بينه وبين ذكر ربه بقلبه حتى عن خواطره، ولا يكن له هم إلا واحد وهو تعلقه بالله.

وأما في جسده: فعزلته في ابتداء حاله؛ الانقطاع عن الناس وعن المألوفات: إما في بيته، وإما بالسياحة في أرض الله. فإن كان في مدينة، فبحيث لا يعترف. وإن لم يكن في مدينة فيلزم السواحل

1 ص 80

2 المقصود أبو طالب المكي، صاحب "توت القلوب".

والجبال والأماكن البعيدة من الناس. فإن أنست به الوحوش وتألفت به، ونطنتها الله في حقه؛ فكلمته أولم تكلمه، فليعتزل عن¹ الوحوش والحيوانات، ويرغب إلى الله - تعالى - في أن لا يشغله بسواه، وليشابر على الذكر الخفي. وإن كان من حفاظ القرآن فيكون له منه حزب في كل ليلة يقوم به في صلاته لئلا ينساه، ولا يكثر الأوراد ولا الحركات، وليرد اشتغاله إلى قلبه، دائما هكذا يكون دأبه وديدنه.

وأما الصمت: فهو أن لا يتكلم مع مخلوق من الوحوش والحشرات، التي لزمتها في سياحته أو في موضع عزلته. وإن ظهر له أحد من الجن أو من الملائ الأعلى فيغض عينه عنهم، ولا يشغل نفسه بالحديث معهم، وإن كلموه. فإن تفرض عليه الجواب، أجاب بقدر أداء الفرض، بغير مزيد. وإن لم يتفرض عليه سكوت عنهم واشتغل بنفسه. فإنهم إذا رأوه على هذه الحالة، اجتنبوه، ولم يتعرضوا له، واحتجبوا عنه. فإنهم قد علموا أنه من شغل مشغولا بالله عن شغله به عاقبه الله أشد عقوبة.

وأما صمته في نفسه عن حديث نفسه؛ فلا يحدث نفسه بشيء مما يرجو تحصيله من الله فيما انقطع إليه، فإنه تضییع للوقت فيما ليس بحاصل، فإنه من الأماني. وإذا عود نفسه بحديث نفسه حال بينه وبين ذكر الله في قلبه، فإن القلب لا يتسع للحديث والذكر معا، فيفوت السبب المطلوب منه في عزلته وصمته، وهو ذكر الله - تعالى -² الذي تتجلي به مرآة قلبه، فيحصل له تجلي ربه.

وأما الجوع: فهو التقليل من الطعام، فلا يتناول منه إلا قدر ما يقيم صلبه لعبادة ربه، في صلاة فريضته. فإن التنقل في الصلاة قاعدا بما يجده من الضعف لقلة الغذاء أنفع وأفضل وأقوى في تحصيل مراده من الله، من القوة التي تحصل له من الغذاء لأداء النوافل قائما، فإن الشبع داع إلى الفضول، فإن البطن إذا شبع طغى الجوارح، وتصرفت في الفضول من الحركة والنظر والسعاسع والكلام. وهذه كلها قواطع له عن المتصود.

وأما السهر: فإن الجوع يولده لقلة الرطوبة والأبخرة الجالبة للنوم، ولا سيما شرب الماء فإنه نوم كله، وشهوته كاذبة. وفائدة السهر؛ التيقظ للاشتغال مع الله بما هو بصدده دائما، فإنه إذا نام انتقل إلى عالم البرزخ، بحسب ما نام عليه، لا يزيد. فيفوت خیر كثير مما لا يعلمه إلا في حال السهر، وأنه إذا التزم ذلك سرى السهر إلى عين القلب، وانجلى عين البصيرة، بملازمة الذكر، فيرى من الخير ما شاء الله - تعالى -.

وفي حصول هذه الأربعة، التي هي أساس المعرفة لأهل الله، وقد اعتنى بها الحارث بن أسد الحاسبي

1 ص 81

2 ص 81

أكثر من غيره، وهي: معرفة الله ومعرفة النفس¹ ومعرفة الدنيا ومعرفة الشيطان. وقد ذكر بعضهم؛ معرفة الهوى بدلا من معرفة الله، وأنشدوا في ذلك:

إِنِّي لَيْسْتُ بِأَزِيعٍ يَزْمِينَنِي بِالنَّبْلِ مِنْ قَوْسٍ لَهَا تَوْتِيرُ
إِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى يَا رَبِّ أَنتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرُ

وقال الآخر:

إِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَغْدَائِي

وأما الخمسة الباطنة: فإنه حدثتني المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي، قالت: رأيت في منامي شخصا كان يتعاهدني في وقائي، وما رأيت له شخصا قط في عالم الحس. فقال لها: تتصددين الطريق؟ قالت: فقلت له: أي والله أقصد الطريق، ولكن لا أدري بماذا. قالت: فقال لي: بخمسة، وهي: التوكل واليقين والصبر والعزيمة والصدق. فعرضت رؤياها علي، فقلت لها: هذا مذهب القوم. وسيأتي الكلام عليها - إن شاء الله تعالى - في داخل الكتاب، فإن لها أبوابا تخصها. وكذلك الأربعة التي ذكرناها لها أيضا أبواب تخصها في الفصل الثاني من فصول هذا الكتاب. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

انتهى الجزء السادس والعشرون، يتلوه في الجزء السابع والعشرين.

الجزء السابع والعشرون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الرابع والخمسون في معرفة الإشارات

عِلْمُ الْإِشَارَةِ تَقَرُّبٌ وَإِتْعَادُ وَسَيْرُهَا فِيكَ تَأْوِيلٌ وَإِسْتِثْنَاءُ³
فَانْحَثْ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ صَيَّرَهُ لِمَنْ يَقُومُ بِهِ إِفْكَ وَالْحَادُ
تَنْبِيْهُ عِصْمَةٍ مَنْ قَالَ الْإِلَهَ لَهُ "كُنْ" فَاسْتَوَى كَائِنًا وَالْقَوْمُ أَشْهَادُ

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه - أن الإشارة عند أهل طريق الله، تؤذن بالبعد أو حضور الغير. قال بعض الشيوخ⁴ في "محاسن المجالس": الإشارة نداء على رأس البعد، وتوحي بعين العلة. يريد أن ذلك تصريح بحصول المرض؛ فإن العلة مرض، وهو قولنا: "أو حضور الغير". ولا يريد بالعلة، هنا، السبب، ولا العلة التي اصطلح عليها العقلاء من أهل النظر. وصورة المرض فيها أن المشير غاب عنه وجه الحق في ذلك الغير، ومن غاب عنه وجه الحق في الأشياء، تمكنت منه الدعوى؛ والدعوى عين المرض. وقد ثبت⁵ عند المحققين: أنه ما في الوجود إلا الله. ونحن، وإن كنا موجودين، فإنما كان وجودنا به.

ومن كان وجوده بغيره؛ فهو في حكم العدم. والإشارة قد ثبتت، وظهر حكمها. فلا بد من بيان ما هو المراد بها.

فاعلم أن الله تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ؛ خَلَقَ الْإِنْسَانَ أَطْوَارًا: فَمِنَّا الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ، وَمِنَّا الْمُنْصَفُ وَالْمُعَانِدُ، وَمِنَّا الْقَاهِرُ وَمِنَّا الْمَقْتُورُ، وَمِنَّا الْحَاكِمُ وَمِنَّا الْمَحْكُومُ، وَمِنَّا الْمُتَحَكِّمُ وَمِنَّا الْمُتَحَكَّمُ فِيهِ، وَمِنَّا الرَّئِيسُ وَالْمَرْوُوسُ، وَمِنَّا الْأَمِيرُ وَالْمَأْمُورُ، وَمِنَّا الْمَلِكُ وَالْمُسَوَّقَةُ، وَمِنَّا الْحَاسِدُ وَالْمَحْسُودُ. وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله، المختصين بخدمته، العارفين به، من طريق الوهب الإلهي، الذين منحهم أسرارهم في

1 العنوان ص 82 ب

2 البسملة ص 83

3 التأويل هنا هو التأخر ببطء. والإستناد هنا هو التقدم بسرعة.

4 هو أبو العباس بن العزيف الصنهاجي

5 ص 83 ب

خلقه، وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه. فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام¹.

ولما كان الأمر في الوجود الواقع، على ما سبق به العلم القديم، كما ذكرناه. عدل أصحابنا إلى الإشارات، كما عدلت مريم عليها السلام - من أجل أهل الإفك والإلحاد، إلى الإشارة. فكلما هم في شرح كتابه العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾² إشارات، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيراً³ لمعانيه النافعة، ورد ذلك كله إلى نفوسهم، مع تقريرهم إياه في العموم، وفيما نزل فيه. كما يعلمه أهل اللسان، الذي نزل ذلك الكتاب بلسانهم، فعم به سبحانه - عندهم الوجدان، كما قال تعالى: ﴿سُتْرِيبُهُمْ آيَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾⁴ يعني الآيات المنزلة في الآفاق وفي أنفسهم.

فكل آية منزلة، لها وجهان: وجه يرويه في نفوسهم ووجه آخر يرويه فيما خرج عنهم. فيستوون ما يرويه في نفوسهم: إشارة، ليأس النقيض صاحب الرسوم إلى ذلك ولا يقولون في ذلك: "إنه تفسير"، وقاية لبشرهم، وتضييعهم في ذلك بالكفر عليه. وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق. واقتدوا في ذلك بسنن الهدى، فإن الله كان قادراً على تخصيص ما تأوله أهل الله في كتابه، ومع ذلك فما فعل. بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامة علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده، حين فتح لهم فيها عين الفهم الذي رزقهم.

ولو كان علماء الرسوم ينصفون، لاعتبروا في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم، فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك، ويعلو بعضهم على بعض في الكلام، في معنى تلك الآية، ويقرئ القاصر بفضل غير القاصر فيها، وكلهم في مجرى واحد، ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك، ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشيء مما يغمض عن إدراكهم. وذلك لأنهم يعتقدون فيهم، أنهم ليسوا بعلماء، وأن العلم لا يحصل إلا بالتعلم المعتاد في العرف⁵، وصدقوا؛ فإن أصحابنا ما حصل لهم ذلك العلم إلا بالتعلم، وهو الإعلام الرحماني الرباني. قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁶ فإنه القائل: ﴿أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا

1 لفظ "السلام" ثبت في الهامش قلم آخر وخطابه حرف ط.
2 (صلى: 42)
3 ص 84
4 (صلى: 53)
5 ثبت في الهامش مع إشارة التصويب.
6 ص 84
7 المعتاد في العرف - مكتوبة في الهامش قلم الأصل.
8 (العلق: 1-5)

تَعْلَمُونَ﴾¹ وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾² فهو سبحانه - معلم الإنسان.

فلا نشك أن أهل الله هم ورثة الرسل عليهم السلام - والله يقول في حق الرسول: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾³ وقال في حق عيسى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾⁴ وقال في حق خضر - صاحب موسى عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾⁵ فصدق علماء الرسوم عندنا، فيما قالوا: إن العلم لا يكون إلا بالتعلم. وأخطؤوا في اعتقادهم أن الله لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول، يقول الله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾⁶ وهي العلم، وجاء به (من) وهي نكرة.

ولكن علماء الرسوم، لما آثروا الدنيا على الآخرة، وآثروا جانب الخلق على جانب الحق، وتعودوا أخذ العلم من الكتب، ومن أفواه الرجال الذين من جنسهم، ورأوا في زعمهم، أنهم من أهل الله، بما علموا وامتنازوا به عن العامة، حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن الله عباده، تولى الله تعليمهم في سرائرهم، بما أنزله في كتبه وعلى السنة رسله، وهو العلم الصحيح عن العالم المعلم، الذي لا يشك مؤمن في كمال علمه ولا غير مؤمن.

فإن الذين قالوا: إن الله لا يعلم الجزئيات. ما أرادوا نفي العلم عنه بها، وإنما قصدوا بذلك أنه تعالى - لا يتجدد له علم بشيء، بل علمها مندرجة في علمه بالكلية، فأثبتوا له العلم سبحانه - مع كونهم غير مؤمنين، وقصدوا تنزيهه سبحانه - في ذلك، وإن أخطؤوا في التعبير عن ذلك. فتولى الله بعنايته ببعض عباده، تعليمهم بنفسه بإلهامه وإفهامه إياهم ﴿فَاللَّهُمَّ فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾⁷ في أثر قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾⁸ فبين لها الفجور من التقوى، إلهاماً من الله لها، لتجنب الفجور وتعمل بالتقوى.

كما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه، كان تنزيل الفهم من الله على قلوب بعض المؤمنين به. فالأنبياء عليهم السلام - ما قالت على الله ما لم يقل لها، ولا أخرجت ذلك من نفوسها، ولا من أفكارها، ولا تعمّلت فيه، بل جاءت به من عند الله كما قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁹ وقال¹⁰ فيه إنه ﴿لَا

1 [النحل: 78]
2 [الرحمن: 3، 4]
3 ق: عليه
4 [النساء: 113]
5 [آل عمران: 48]
6 [الكهف: 65]
7 [البقرة: 269]
8 ص 85
9 [الشمس: 8]
10 [الشمس: 7]
11 [فصلت: 42]

يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ². وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله، لا من فكر الإنسان، وزَوَيْتُهُ، وعلماء الرسوم يعلمون ذلك، فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه، وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم. فيكون شرحه أيضا تنزيلا من عند الله، على قلوب أهل الله، كما كان الأصل.

وكذا قال علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الباب: "ما هو إلا فهم يؤتبه الله من شاء من عباده في هذا القرآن" فجعل ذلك عطاء من الله، يعبر عن ذلك العطاء بالفهم عن الله، فأهل الله أولى به من غيرهم.

فلما رأى أهل الله، أن الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا، لأهل الظاهر من علماء الرسوم، وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتنون به، وألقاهم بالذين «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ»³. وهم في إنكارهم على أهل الله «يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»⁴ سلم أهل الله لهم أحوالهم، لأنهم علموا من أين تكلموا، وصانوا عنهم أنفسهم، بتسميتهم الحقائق إشارات، فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات، فإذا كان في غد يوم القيامة، يكون الأمر في الكل؛ كما قال القائل⁵:

سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْعُبَارُ
أَفَرَسَ تَحْتِكَ أُمَّ حَجَارُ
كما يميز الحق من أهل الله، من المدعي في الأهلية، غدا يوم القيامة. قال بعضهم⁷:

إِذَا اسْتَبَكَّتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ
تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

أمن عالم الرسوم، من قول علي بن أبي طالب عليه السلام حين أخبر عن نفسه "أنه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرا⁶" (هل) هذا إلا من الفهم الذي أعطاه الله في القرآن؟ فاسم الفقيه أولى بهذه الطائفة، من صاحب علم الرسوم. فإن الله يقول فيهم: «لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»⁸ فأقامهم مقام الرسول في التفقه في الدين والإنذار. وهو الذي يدعو إلى الله على

1 ص 85

2 [فصل: 42]

3 [الروم: 7]

4 [الكهف: 104]

5 القائل هو بدع الزمان الهذلي (358-398هـ) أحد أئمة الكتاب صاحب المقامات الشهيرة وله ديوان شعر.

6 ص 86

7 هناك شبه إجماع (في الموسوعة الشعرية) أن هذا البيت للمصنعي (303-354هـ) مع تغيير لفظ "استبكت" بـ "اشتبهت" من قصيدة

طويلة مطلعها:

كما أن البيت جاء في قصيدة لأبي بكر الشبلي (247-334هـ) مع تغيير لفظ "استبكت" بـ "انسكبت" في قصيدة مطلعها:
فَمَا لَكَ مِنْ يَنْقَرِ عَنْ مَدَاكَ
فَلَا مَلِكَ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ
أرواح وقد ختمت على فؤادي
بجك أن يجلب به سواك

8 [النوبة: 122]

بصيرة، كما يدعو رسول الله ﷺ على بصيرة، لا على غلبة ظن، كما يحكم عالم الرسوم. فشتان بين من هو فيما يفتي به، ويقول على بصيرة منه، في دعائه إلى الله، وهو على بينة من ربه، وبين من يفتي في دين الله بغلبة ظنه.

ثم إن من شأن عالم الرسوم، في الذب عن نفسه، أنه يجهل من يقول: "فهمني ربي" ويرى أنه أفضل منه، وأنه صاحب العلم إذ يقول من هو من أهل الله¹: إن الله ألتى في سري مراده، بهذا الحكم في هذه الآية. أو يقول: رأيت رسول الله ﷺ في واقعتي، فأعلمني بصحة هذا الخبر المروي عنه، وبحكمه عنده. قال أبو يزيد البسطامي عليه السلام في هذا المقام وصحته، يخاطب علماء الرسوم: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قال: مات. عن فلان. وأين هو؟ قالوا: مات."

وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله - إذا قيل له: "قال فلان عن فلان عن فلان". يقول: "ما تريد ناكل قديدا، هاتوا اثنوني بلحم طري" يرفع هم أصحابه "هذا قول فلان، أي شيء قلت أنت؟ ما خصك الله به من عطايه، من علمه اللدني؟" أي حدثوا عن ربكم، وتركوا فلانا وفلانا. فإن أولئك أكلوه لحما طريا. والواهب لم يمت وهو أقرب إليكم من حبل الوريد.

والفيض الإلهي والمبشرات ما سد بابها، وهي من أجزاء النبوة. والطريق واضحة، والباب مفتوح، والعمل مشروع، والله يهول لتلقي من أتى إليه يسعى و«مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ»² وهو معهم أينما كانوا؛ فمن كان معك بهذه المثابة من القرب، مع³ دعواك العلم بذلك، والإيمان به، لم تترك الأخذ عنه، والحديث معه؟ وتأخذ عن غيره ولا تأخذ عنه، فتكون حديث عهد بربك؟! يكون المطر فوق ربتك حيث برز إليه رسول الله ﷺ بنفسه حين نزل، وحسر- عن رأسه حتى أصابه الماء، فقيل له في ذلك، فقال: «إنه حديث عهد بربه» تعليمنا لتبنيها.

ثم لتعلم، أن أصحابنا ما اصطالحوا على ما جاءوا به في شرح كتاب الله، بالإشارة دون غيرها من الألفاظ، إلا بتعليم إلهي، جملة علماء الرسوم. وذلك أن الإشارة لا تكون إلا بقصد المشير بذلك أنه يشير، لا من جهة المشار إليه. وإذا سألتهم عن شرح مرادهم بالإشارة، أجروها عند السائل من علماء الرسوم، مجرى الفأل. مثال ذلك: الإنسان يكون في أمر ضاق به صدره، وهو مفكر فيه، فينادي رجلا رجلا آخر

1 ص 86

2 [الجادلة: 7]

3 ص 87

اسمه فرج، فيقول: يا فرج. فيسمعه هذا الشخص الذي ضاق صدره، فيستبشر ويقول: جاء فرج الله - إن شاء الله. يعني من هذا الضيق الذي هو فيه، ويشرح صدره.

كما فعل رسول الله ﷺ في مصالحة المشركين، لما صدّوه عن البيت، فجاء رجل من المشركين اسمه سهيل، فقال رسول الله ﷺ: «سَهْلُ الْأَمْرِ» أخذه فألا. فكان كما تفاعل به رسول الله ﷺ فانظم الأمر على يد سهيل. وما كان أبوه قصّد ذلك حين سَمّاه به، وإنما جعله له اسماً علماً يُعرف به من غيره، وإن كان ما قصّد أبوه تحسين اسم ابنه إلا لخير.

ولما رأى أهل الله، أنه قد اعتبر الإشارة، استعملوها فيما بينهم، ولكنهم بيّنوا معناها ومحلّها ووقتها، فلا يستعملونها فيما بينهم ولا في أنفسهم، إلا عند مجالسة مَنْ ليس من جنسهم، أو لأمر يقوم في نفوسهم. واصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم. وسلّكوا طريقة فيها، لا يعرفها غيرهم، كما سلّكت العرب في كلامها من التشبيهات والاستعارات، ليفهم بعضهم عن بعض. فإذا خلّوا بأبناء جنسهم، تكلموا بما هو الأمر عليه، بالنص الصريح. وإذا حضر معهم من ليس منهم، تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطَلَحُوا عليها، فلا يعرف الأجنبيّ الجليس، ما هم فيه ولا ما يقولون.

ومن أعجب الأشياء في هذه الطريقة - ولا يوجد إلا فيها - أنه ما من طائفة تحمل علماً، من المنطقيّين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والتعاليم والمتكلمين والفلاسفة، إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم³، إلا بتوقيف من الشيخ أو من أهله، لا بدّ من ذلك، إلا أهل هذه الطريقة خاصّة: إذا دخلها المريد الصادق، وبهذا يُعرّف صدّقه عندهم، وما عنده خبر بما اصطَلَحُوا عليه.

فإذا فتح الله له عين فهمه، وأخذ عن ربّه في أوّل ذوقه، وما يكون عنده خبر بما اصطَلَحُوا عليه، ولم يعلم أنّ قوماً من أهل الله اصطَلَحُوا على ألفاظ مخصوصة. فإذا قعد معهم وتكلّموا باصطلاحهم على تلك الألفاظ التي لا يعرفها سواهم، أو من أخذها عنهم، فهم هذا المريد الصادق، جميع ما يتكلّمون به، حتى كأنّه الواضع لتلك الاصطلاح، ويشاركهم في الكلام بها معهم، ولا يستغرب ذلك من نفسه، بل يجد علم ذلك ضرورياً، لا يقدر على دفعه، وكأنّه ما زال يعلمه، ولا يدري كيف حصل له. والدخيل من غير هذه الطائفة لا يجد ذلك إلا بموقّف.

فهذا معنى الإشارة عند القوم، ولا يتكلّمون بها إلا عند حضور الغير، أو في تواليفهم ومصنّفاتهم لا

1 ص 87
2 آية في الهامش بقلم الأصل.
3 ص 88

غير. «وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ»¹.

1 [الأحزاب: 4]. وكتب في الهامش: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه كتيبه علي النشبي". يليه السماع الثاني: "سمع من البلاغ عند الطبقة إلى هنا على مصتفه الإمام العالم محي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأئمة: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وأبناء عبد الواحد، وأحمد، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، وضمر الله بن أبي العز الصغار، ومحمد بن يرقش المعظمي، وأبو بكر محمد البلخي، وإسماعيل بن سودكين النوري، ويعقوب بن معاذ الزبي، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وعمران بن محمد بن عمران، وعلي بن عبد العزيز بن تميم، ومحمد بن علي المطرز، وعلي بن محمود بن أبي الرجا، وأحمد بن محمد بن أبي الفتح الحريري، ومحمد بن أحمد بن زرقاة، وأحمد بن عبد محمد -ابن المصنف-، وعبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ أبوه، وإبراهيم بن أبي الفتح الحريري، ومحمد بن أحمد بن زرقاة، وأحمد بن عبد الرحيم، وعبد الرحمن بن سالم بن أبي النجا الحموي، ومحمد بن علي الخلاطي، وإسماعيل بن يحيى الملقبي، وعيسى بن إسحق الهلباني، وأحمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي الدمشقي، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وأبو بكر بن يونس الخلال، وابنه إبراهيم، ويوسف بن الحسن النابلسي، وكتب السماع: إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في سادس عشر جمادى الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستائة بمثل المصنف بدمشق. وجمع من موضع اسمه إلى هنا محمد بن يوسف البرزاني، وابنه أحمد."

الباب الخامس والخمسون في معرفة الخواطر الشيطانية

لَوْ أَنَّ اللَّهَ يُفْهَمُ الْإِنْسَانِيَّةَ فِيهَا مِنَ الْحِكْمِ
رَأَيْتُ الْأَمْرَ يَغْلُو عَنْ مَجَالِ الْفِكْرِ وَالْهَمِّ
يَدْبِقُ فَلَيْسَ تُظْهِرُهُ إِلَيْكَ جَوَامِعُ الْكَلِمِ

الخواطر أربعة، لا خامس لها: خاطر رباني، وخطر ملكي، وخطر نفسي، وخطر شيطاني، ولا خامس هناك. وقد ذكرنا معرفة الخواطر في هذا الكتاب، وفي بعض كتبنا. فلنذكر في هذا الباب الخاطر الشيطاني خاصة.

اعلم أن الشياطين قسمان: قسم معنوي وقسم جسدي. ثم القسم الحسي من ذلك على قسمين: شيطاني إنسي وشيطاني جسدي. يقول الله تعالى: ﴿الشَّيَاطِينُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾¹ فجعلهم أهل افتراء على الله. وحدث فيما بينهما في الإنسان، شيطان معنوي، وذلك أن شيطان الإنس والجن، إذا التقى من التقى منهم في قلب الإنسان أمرا ما يبعده عن الله به، فقد يلتقي أمرا خاصا، وهو خصوص مسألة بعينها، وقد يلتقي أمرا عاما ويتركه. فإن كان أمرا عاما، فتح له في ذلك طريقا إلى أمور لا يفتن لها الجسدي ولا الإنسي، تتفقه فيه النفس³، وتستنبط من تلك الشبه أموراً، إذا تكلم بها تعلم إبليس الغواية.

فتلك الوجوه التي تنتفع له في ذلك الأسلوب العام الذي ألقاه إليه أولاً شيطان الإنس أو شيطان الجن تُنسَى الشياطين المعنوية. لأن كل واحد من شياطين الإنس والجن يجهلون ذلك، وما قصدوه على التعمين. وإنما أرادوا بالقصد الأول فتح هذا الباب عليه. لأنهم علموا أن في قوته وفطنته، أن يدقق النظر فيه، فينتدح له من المعاني المهلكة، ما لا يقدر على ردها بعد ذلك. وسبب ذلك الأصل الأول؛ فإنه اتخذ أصلاً صحيحاً وعقلاً عليه، فلا يزال التفقه فيه يسرقه حتى خرج به عن ذلك الأصل.

وعلى هذا جرى أهل البدع والأهواء. فإن الشياطين ألقت إليهم أصلاً صحيحاً لا يشكون فيه، ثم

1 ص 88
2 [الأعم: 112]
3 ص 89

طرات عليهم التلبسات من عدم الفهم، حتى ضلوا. فينسب ذلك إلى الشيطان بحكم الأصل. ولو علموا إن الشيطان في تلك المسائل تلميذ له يتعلم منه.

وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة، ولا سيما في الإمامية منهم. فدخلت عليهم شياطين الجن أولاً، بحب أهل البيت، واستفراغ الحب¹ فيهم، ورأوا أن ذلك من أسنى القربات إلى الله، وكذلك هو، لو وقفوا ولا يزيدون عليه. إلا أنهم تعدوا من حب أهل البيت إلى طريقين: منهم من تعدى إلى بغض الصحابة وسبهم، حيث لم يقدموهم، وتخلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنياوية، فكان منهم ما قد عرف واستفاض.

وطائفة زادت إلى سب الصحابة، القدح في رسول الله ﷺ، وفي جبريل عليه السلام، وفي الله جل جلاله، حيث لم ينصوا على رتبهم، وتقديهم في الخلافة للناس، حتى أشد بعضهم:

مَا كَانَ مِنْ بَعَثِ الْأَمِينِ آمِينًا

وهذا كله واقع من أصل صحيح، وهو حب أهل البيت، أنتج في نظرهم فاسداً. فضلوا وأضلوا. فانظر ما أدى إليه الغلو في الدين: أخرجهم عن الحد، فانعكس أمرهم إلى الضد، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾².

وطائفة ألقت إليهم الشياطين أصلاً صحيحاً لا يشكون فيه، أن النبي ﷺ قال: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» ثم تركهم بعد ما حبيث إليهم العمل على هذا. فجعل بعض الناس لإحرصه على الخير، يتفقه لكونه يريد تحصيل أجور من عمل بها، فإذا سن سنة حسنة، يخاف³ إذا نسبها إلى نفسه لا تقبل منه، فيضع لأجل قبولها حديثاً عن رسول الله ﷺ في ذلك، ويتأول أن ذلك داخل في حكم قوله: «من سن سنة حسنة» فأجاز الكذب على رسول الله ﷺ وأن يقول عليه ﷺ ما لم يقوله، ولا فاه به لسانه. ويرى أن ذلك خير، فإن الأصول تعضده.

فإذا أخطر له الملك قوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وأخطر له أيضاً قوله ﷺ: «ليس كذب علي ككذب علي أحد؛ إنه من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» يتأول ذلك كله - بلقاء الشيطان في خاطره - فيقول له: إنما ذلك إذا دعا إلى ضلالة، وأنا ما سننت إلا خيراً. فهو

1 ص 89
2 [المائدة: 77]
3 ص 90

ما جور بالضرورة، من كونه سنّ سنة حسنة، وما زور من كونه كذب على رسول الله ﷺ وقال عنه إنّه صرح بما لم يقله ﷺ.

وكذلك إن كان من أهل الخلوّات والرياضات، واستعجل الرئاسة من قبل أن يفتح الله عليه بابا من أبواب عبوديته، فيلزم طريق الصدق، ولا يتقف مع رسول الله ﷺ مثل ما وقف الأول، وأنّه يجري إلى الافتراء على الله، فينسب ذلك الذي سنّه إلى الله تعالى، ويتأول أنّه "لا فاعل إلا الله" وأنّه¹ تعالى المنطق عباده، ويصير من وقته لذلك أشعريا مجبورا. ويقول هذا كلّ خير، فإنّي ما قصدت إلا أن أعضد تلك السنّة الحسنة، فلم أر أشدّ في تقويتها من أنّي أسندها إلى الله تعالى، كما هي في نفس الأمر، خلّق الله تعالى أجراها الله على لساني.

هذا كلّه يحدث به نفسه، لا يقول ذلك لأحد. فإذا كان مع الناس يريهم أنّ ذلك جاءه من عند الله. كما يحيى لأولياء الله على تلك الطريق؛ فإذا أخطر له الملك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾² يتأول ذلك مع نفسه، ويقول: ما أنا مخاطب بهذه الآية، وإنما خوطب بها أهل الدّعوة، الذين ينسبون الفعل إلى أنفسهم، فإنّه قال: "افتري" فنسب فعل الافتراء إلى هذا القائل. وأنا أقول: إنّ الأفعال كلّها لله تعالى - لا إليّ، فهو الذي قال على لساني. ألا ترى النبي ﷺ قال في الصلاة: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمْدَهُ» فكذلك هذا. ثم قال: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ فأضاف القول إليه، وكذلك قوله: ﴿إِلَيَّ﴾ ومن أنا حتى أقول: ﴿إِلَيَّ﴾ إذ الله هو المتكلّم وهو السميع، ثم قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وما أقول أنا ذلك، بل الإنزال كلّ من الله. فإذا تفقّه في نفسه في هذا كلّه، افتري على الله كذبا، ورزق له سوء عمله فرآه³ حسنا⁴.

فهذا أصل صحيح لهاتين الطائفتين، قد ألقاه الشيطان إليهما وتركه عندهما، وبقي يتفقّه في ذلك فقها نفسيا. فإن لم يكن الإنسان على بصيرة وتمييز من خواطره، حتى يفرّق بين إلقاء الشيطان، وإن كان خيرا، وبين إلقاء الملك والنفس، ويميّز بينهما ميّزا صحيحا، وإلا فلا يفعل؛ فإنّه لا يفلح أبدا؛ فإنّ الشيطان لا يأتي إلى كلّ طائفة إلا بما هو الغالب عليها. وليس غرضه من الصالحين إلا أن يجهلوه في الأخذ عنه، فإذا جهلوه ونسبوا ذلك إلى الله، ولم يعرفوا على أيّ طريق وصل إليهم، كأنه قنع منهم بهذا القدر من

الجهل، وعرف أنّهم تحت سلطانه، فلا يزال يستدرجه في خيريته حتى يتمكن منه في تصديق خواطره، وأنّها من الله، فيسلخه من دينه، كما تنسلخ الحيّة من جلدها. ألا ترى صورة الجلد المسلوخ منها على صورة الحيّة، كذلك هذا الأمر.

جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام في صورة شخص شيخ في ظاهر الحس، لأنّ الشيطان ليس له إلى باطن الأنبياء عليهم السلام - من سبيل؛ فخواطر الأنبياء عليهم السلام - كلّها إمّا ربّانية، أو ملكيّة، أو نفسيّة، لا حظّ للشيطان في قلوبهم. ومن يحفظ من الأولياء في علم الله يكون هذه المثابة في العصمة مما يلتقي، لا في العصمة من وصوله إليه¹. فالولي المعنى به على علامة من الله، فيما يلتقي إليه الشيطان. وسبب ذلك أنّه ليس بمشرّع، والأنبياء مشرّعون؛ فذلك عصمت بواطنهم. فقال لعيسى عليه السلام: يا عيسى؛ قل: "لا إله إلا الله". ورضي منه أن يطيع أمره في هذا القدر، فقال عيسى عليه السلام: أقولها لا لقولك "لا إله إلا الله"، فرجع خاسئا.

ومن هنا تعلم الفرق بين العلم بالشيء وبين الإيمان به. وأنّ² السعادة في الإيمان وهو أن تقول ما تعلمه، وما قلته لتقول رسولك الأول، الذي هو موسى عليه السلام لتقول هذا الرسول الثاني الذي هو محمد ﷺ لا لعلمك ولا لتقول الأول. فحينئذ يشهد لك بالإيمان، ومالك السعادة. وإذا قلت ذلك لا لقوله وأظهرت أنّك قلت ذلك لقوله، كت منافقا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾³ يريد أهل الكتاب حيث قالوا ما قالوه، لأمر ذلك لقوله، كت منافقا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁴ أي قولوا: "لا إله إلا الله" لتقول محمد ﷺ: "لا لعلمكم بذلك، نبينهم عيسى أو موسى، أو من كان من أهل الإيمان بذلك من الكتب المتقدمة. ولهذا قال لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁵ ثم قال لهم: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾، أي قولوا: "لا إله إلا الله" لتقول محمد ﷺ: "لا لعلمكم بذلك، ولا لإيمانكم بنبيناكم الأول، فتجمعوا بين الإيمانين، فيكون لكم أجران".

فيقنع الشيطان من الإنسان أن يلبس عليه بهذا القدر، فلا يفرّق بين ما هو من عند الله من حيث ما هو من عند الله - ولا بين طريق الملك والنفس⁵ والشيطان. فالله يجعل لك علامة تعرف بها مراتب خواطرك.

ومما تعرف به الخواطر الشيطانيّة - وإن كانت في الطاعة - بعدم الثبوت على الأمر الواحد، وسرعة الاستبدال من خاطر بأمر ما إلى خاطر بأمر آخر، فإنّه حريص، وهو مخلوق من لهب النار. ولهب النار

1 ص 91
2 من هنا يختلف قلم الكاتب حتى نهاية ص 92 ب.
3 [النساء: 136]
4 [النساء: 136]
5 ص 92

1 ص 90
2 [الأعام: 93]
3 ص 91
4 انظر الآية الكريمة: أفنئ رزق له سوء عمله فرآه حسنا.. [فاطر: 8]

سريع الحركة. فأصل إبليس عدم البقاء على حالة واحدة، في أصل نشأته، فهو بحكم أصله. والإنسان له الثبوت، فإنه من التراب فله البرد واليبس، فهو ثابت في شغله، ولذلك الخواطر النفسية ثابتة ما لم يزلزلها الملك أو الشيطان.

ومتعلق أصل الخواطر الشيطانية إنما هو المحذور، فعلا كان أو تركا، ثم يليه المكروه، فعلا كان أو تركا. فالأول في العامة والثاني في العباد من العامة. وقد يتعلّق بالمباح في حق المبتدي من أهل طريق الله. ويأتي بالمندوب في حق المتوسطين من أهل الله، أصحاب السماع. فإنه يستدرج كل طائفة من حيث ما هو الغالب عليها. فإنه عالم بمواقع المكر والاستدراج.

ويأتي العارفين بالواجبات، فلا يزل بهم، حتى ينووا مع الله فعل أمر ما من الطاعات، وهو في نفس الأمر عهد يعهده مع الله، فإذا استوثق منه في ذلك، وعزم، وما بقي إلا الفعل، أقام له عبادة أخرى أفضل منها شرعا. فيرى العارف أن يقطع زمانه بالأولى، فيترك الأول ويشرع في الثاني، فيفرح إبليس حيث جعله ينقض عهد الله من بعد ميثاقه. والعارف لا خبر له بذلك. فلو عرف، من أول، أن ذلك من الشيطان، عرف كيف يرده وكيف يأخذه، كما فعل عيسى - عليه السلام - وكل متمكن من أهل الله، من ورثة الأنبياء، فيراها مع كونها حسنة؛ هي خواطر شيطانية.

وكذا جاء للمنافق من أهل الكتاب، قال له: ألم تعلم أن نبيك قد بشر- بهذا الرجل، وقد علمت أنه هو، والنبوة تجمعهما؟ فقل له: إنك رسول الله، لتقول نبيك لا لقوله، ولا فرق بينهما. فيقول المنافق عند ذلك: إنك رسول الله. فأكذبهم الله، فقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ على ما قرّر معهم الشيطان، فقال الله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾² في أنهم قالوا ذلك لتوكل لا في قولهم إنك رسول الله، ولو أراد ذلك كان نفيًا لرسالته ﷺ.

فقد أعلمتك بمدخل الشيطان إلى نفوس العالم لتحذره، وتسأل الله أن يعطيك علامة تعرفه بها. وقد أعطاك الله في العامة ميزان الشريعة، وميز لك بين فرائضه ومندوباته ومباحه ومحظوره ومكروهه، ونص على ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله. فإذا خطر لك خاطر في محذور أو مكروه، فتعلم أنه من الشيطان بلا شك. وإذا خطر لك خاطر في مباح فتعلم أنه من النفس بلا شك. فخطر الشيطان بالمحذور والمكروه اجتنابه³، فعلا كان أو تركا، والمباح أنت مخير فيه، فإن غلب عليك طلب الأرباح،

فاجتنب المباح واشتغل بالواجب أو المندوب.

غير أنك إذا تصرف في المباح، فتصرف فيه على حضور أنه مباح، وأن الشارع لولا ما أباحه لك ما تصرف فيه، فتكون مأجورا في مباحك، لا من حيث كونه مباحا، إلا من حيث إيمانك به، أنه شرع من عند الله. فإن الحكم لا ينتقل بعد موت رسول الله ﷺ. فإن الحكم هو عين الشرع، وقد سد ذلك الباب. فالمباح مباح لا يكون واجبا ولا محظورا أبدا، وكذلك كل واحد من الأحكام.

وإن خطر لك خاطر في فرض، فقم إليه بلا شك، فإنه من الملك. وإذا خطر لك خاطر في مندوب، فاحفظ أول الخاطر فإنه قد يكون من إبليس - فاثبت عليه. فإذا خطر لك أن تتركه لمندوب آخر هو أعلى منه وأولى، فلا تعدل عن الأول واثبت عليه، واحفظ الثاني، وافعل الأول ولا بد. فإذا فرغت منه اشرع في الثاني، فافعله أيضا، فإن الشيطان يرجع خاسئا بلا شك، حيث لم يتفق له مقصوده.

وهذا الدواء يذهب مرض الشيطان من نفسك، وتكون عمري المقام، ما يلقيك الشيطان في فج إلا سلك فجاً غير فجك، إذا عاملته بمثل هذا¹. فحافظ على ما نهيك عليه فإن الله قد أثنى على الذين ﴿يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾² ويكفي هذا القدر، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

الباب السادس والخمسون

في معرفة الاستقراء، وصحته من سقمه

للاستقراء حد في المعاني
لَهُ حُكْمٌ وَلَا يُعْطِيكَ عِلْمًا
مُزَاحِمَةً لِلدَّلِيلِ يَقُومُ فِيهَا
مُنَازَلَةُ الظُّنُونِ وَإِنْ مِنْهَا
فَلَا تَحْكُمُ بِالْاِسْتِقْرَاءِ قَطْعًا
وَإِنْ ظَهَرَتْ بِالْاِسْتِقْرَاءِ عُلُومٌ

يَلْزِمُهُ الْقَوِيُّ مِنَ الرِّجَالِ
فَصُورَتُهُ كَمَنْزِلَةِ الظُّلَالِ
وَأَيْنَ الْعَيْنُ مِنْ شَخْصِ الْمِثَالِ
لَمُعْطِيكَ التَّرْوَلَ إِلَى سِفَالِ
فَمَا عَيْنُ الْعَزَالَةِ كَالْفَزَالِ
فَمَا حُكْمُ التَّضَمُّرِ كَالْهَزَالِ

خرج¹ مسلم في صحيحه أن الله يقول: «شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين» فسقى نفسه بذلك: أرحم الراحمين. وقال إنه: «خير الغافرين»² وقال في الصحيح «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا».

فإذا استقرأننا الوجود (رأينا) أن الكرام الأصول لا يصدر منهم إلا مكارم الأخلاق: من الإحسان للمحسن، والتجاوز عن المسيء والعفو عن الزلة، وإقالة العثرة، وقبول المَعْدِرَةِ، والصنع عن الجاني، وأمثال هذا مما هو من مكارم الأخلاق، واستقرأننا ذلك فوجدناه لا يخطئ، يقول شاعر العرب في ذلك:

إِنَّ الْجِيَادَ عَلَى أَغْرَاقِهَا تَجْرِي

والحق أولى بصفة مكارم الأخلاق من المخلوقين، فهنا تكون صحة الاستقراء في الإلهيات.

وأما سقم الاستقراء فلا يصح في العقائد، فإن مبناها على الأدلة الواضحة. فإنه لو استقرأننا كل من ظهرت منه صنعة وجدناه جسما، وتقول: «إن العالم صنعة الحق وفعاله، وقد تتبعا الصناعات فما وجدنا صانعا إلا ذا جسم، فالحق جسم». تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. «وتتبعنا الأدلة في الحداثات، فما وجدنا عالما لنفسه، وإنما الدليل يعطي أن لا يكون عالم إلا بصفة زائدة على ذاته، تُسَمَّى علما، وحكمها فيمن قامت به

أن يكون عالما¹. وقد علمنا أن الحق عالم، فلا بد أن يكون له علم، ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته، قائمة به².

كلا، بل هو الله العالم الحي القادر القاهر الخبير، كل ذلك لنفسه لا بأمر زائد على ذاته؛ إذ لو كان ذلك بأمر زائد على نفسه، وهي صفات كمال، لا يكون كمال الذات إلا بها، فيكون كماله بزائد على ذاته، وتتصف ذاته بالنقص، إذا لم يقم به هذا الزائد. فهذا من الاستقراء، وهذا الذي دعا المتكلمين، أن يقولوا في صفات الحق: «لا هي هو، ولا هي غيره». وفيما ذكرناه ضرب من الاستقراء، الذي لا يليق بالجناب العالي.

ثم إنه لما استشعر القائلون بالزائد، سلكوا في العبارة عن ذلك مسلكا آخر، فقالوا: ما عقلناه بالاستقراء، وإنما قلنا: أعطى الدليل أنه لا يكون عالم³ إلا من قام به العلم، ولا بد أن يكون أمرا زائدا على ذات العالم، لأنه من صفات المعاني، يتقدر رفعه مع بقاء الذات، فلما أعطى الدليل ذلك، طردناه شاهدا وعاقبا، يعني في الحق والخلق. وهذا هرب منهم وعدول عن عين الصواب. ثم إنهم أكدوا ذلك بقولهم ما ذكرناه عنهم: أن صفاته لا هي هو ولا هي غيره، وحدوا الغيرين بحد يمنعهم غيرهم، وإذا سألتهم: هل هي أمر زائد؟ اعترفوا بأنها أمر زائد، وهذا هو عين الاستقراء.

فلهذا قلنا: إن الاستقراء في العلم بالله لا يصح، وإن الاستقراء على الحقيقة لا⁴ يفيد علما. وإنما أثبتناه في مكارم الأخلاق شرعا وعرفا لا عقلا. فإن العقل يدل عليه سبحانه - أنه «فَعَلَّ لِمَا يُرِيدُ»⁵ لا يقاس بالخلق، ولا يقاس المخلوق عليه. وإنما الأدلة الشرعية أتت بأمر تقرر عندنا منها؛ أنه يعامل عباده بالإحسان وعلى قدر ظنهم به قال تعالى: «وَتَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ»⁶ في الطرفين، للوازم قررها الشارع.

قال رسول الله ﷺ في شأن النائم عن الصلاة إذا استيقظ، أو الناسي إذا تذكر، وقد خرج وقت الصلاة، فيصليها؛ هل يثبتها دائما في كل يوم، في ذلك الوقت؟، فلما سئل رسول الله ﷺ عن ذلك، قال رسول الله ﷺ: «ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم» فبين أنه سبحانه - ما يَحْفَدُ خُلُقًا من مكارم الأخلاق إلا والحق تعالى - أولى به، أن يعامل به خلقه، ولا يذم شيئا من سفاسف الأخلاق إلا وكان

الجناب الإلهي أبعد منه. ففي مثل هذا الفن يسوغ الاستقراء، بهذه الدلالات الشرعية، وأما غير ذلك فلا يكون. فقد أبنت لك صحة الاستقراء من سقمه في المعاملات.

وأما الاستقراء في التجليات، فرأينا أن الهيولي الصناعية تقبل بعض الصور لا كلها. فوجدنا الخشب يقبل صورة الكرسي والمنبر والتخت والباب، ولم نره يقبل صورة القميص¹ ولا الرداء ولا السرلويل. ورأينا الشقة تقبل ذلك، ولا تقبل صورة السكين والسيف. ثم رأينا الماء يقبل صورة لون الأوعية وما يتجلى فيها من التلونات، فينصف بالزرقة والبياض والحمرة. سئل الجنيد رحمه الله - عن المعرفة والعارف، فقال: "لون الماء لون إنائه".

ثم استقرنا عالم الأركان كلها والأفلاك، فوجدنا كل ركن منها، وكل فلك يقبل صوراً مخصوصة، وبعضها أكثر قبولاً من بعض. ثم نظرنا في الهيولي الكل فوجدناها تقبل² جميع صور الأجسام والأشكال، فنظرنا في الأمور فرأيناها، كلما لطف قبِلت الصور الكثيرة فنظرنا في الأرواح، فوجدناها أقبل للتشكل في الصور من سائر ما ذكرناه، ثم نظرنا في الخيال فوجدناه يقبل ما له صورة، ويصور ما ليست له صورة، فكان أوسع من الأرواح في التنوع في الصور.

ثم جئنا إلى الغيب في التجليات، فوجدنا الأمر أوسع مما ذكرناه، ورأيناه قد جعل ذلك أسماء؛ وكل اسم منها يقبل صوراً لا نهاية لها في التجليات. وعلمنا أن الحق وراء ذلك كله ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾³ فجاء في عدم الإدراك بالاسم اللطيف، إذ كانت اللطافة مما ينبو الحس عن إدراكها، فتعقل ولا تشهد. فتسمى في وصفه الذي تنزه أن يدرك فيه بـ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أي تلطف عن إدراك الحداثات، ومع هذا فإنه يعلم ويعقل، أن ثم أمراً يستند إليه، فأق بالاسم الخبير على وزن فعيل، وفعل يرد معنى المفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح. وهو المراد هنا والأوجه. وقد يرد معنى الفاعل؛ كعلم بمعنى عالم، وقد يكون أيضاً هو المراد هنا، ولكنه يبعد. فإن دلالة مساق الآية لا يعطي ذلك؛ فإن مساقها في إدراك الأبصار، لا في إدراك البصائر. فإن الله قد ندبنا إلى التوصل بالعلم به، فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁴ ولا يعلم حتى ينظر في الأدلة، فيؤدبنا النظر فيها إلى العلم به، على قدر ما تعطى القوة في ذلك. فلها رجحنا "خبير" هنا بمعنى المفعول، أي أن الله يعلم ويعقل، ولا تدركه الأبصار.

1 ص 95

2 فقه في الهامش علم الأصل.

3 الأنعام: 103

4 ص 96

5 محمد: 19

فهذا القدر مما يتعلق بهذا الباب من الاستقراء. وأما كونه لا يفيد العلم في هذا الموطن، فإنه ما من أصل ذكرناه يقبل صوراً ما إلا يجوز، بل يقع. وقد وقع أنه يتكرر في تلك الصور مرات عديدة. وهذا قد ورد في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل مراراً على صورة دحية الكلبي. ولما لم يصح عندنا في التجلي الإلهي، أن يتكرر تجلٍ إلهي لشخص واحد مرتين، ولا يظهر في¹ صورة واحدة لشخصين، علمنا أن الاستقراء لا يفيد علماً، فإن جناب التجلي لا يقبل التكرار، فخرج عن حكم الاستقراء، من وجه عدم التكرار، ولحق به من حيث التحول في الصور. وقد ورد التحول في حديث مسلم في حديث الشفاعة، من كتاب الإيمان. فلا تعول على الاستقراء في شيء من الأشياء، لا في الأحوال، ولا في المقامات، ولا في المنازل، ولا في المنازلات. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾²

الباب السابع والخمسون
في معرفة تحصيل علم الإلهام
بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس

لَا تَحْكُمَنَّ بِالْإِلْهَامِ تَجِدُهُ فَقَدْ
وَاجْعَلْ شَرِيعَتَكَ الْمَثْلَى مُصَحَّحَةً
لَهُ الْإِسَاءَةُ وَالْحُسْنَى مَعًا فَكَمَا
فَاخْذُرْهُ إِنَّ لَهُ فِي كُلِّ طَائِفَةٍ
لَا تَطْلُبَنَّ مِنَ الْإِلْهَامِ صُورَتَهُ
فِي شَكْلِهِ وَعَلَى تَرْتِيبِ صُورَتِهِ
يَكُونُ فِي غَيْرِ مَا يَرْضَاهُ وَاهِبُهُ
فَائِدَتَهَا تَمَرُّ بِخَبْرِهِ كَالسَّيْبِ
تُغْلِي طَرِيقَهُ تُرْدِي مَذَاهِبَهُ
حُكْمًا إِذَا تَجَلَّتْ فِينَا مَكَاسِبُهُ
فَابْنَ وَسْوَاسَ إِبْلِيسَ يُصَاحِبُهُ
وَإِنْ تَمَيَّزَ فَلَا مَعْنَى يَقَارِبُهُ

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾² من قوله أيضا: ﴿كَلَّا نَبْدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾³ فجعل النفس محلاً قابلاً لما تلهمه من الفجور والتقوى، فتميز الفجور فتجنبه، والتقوى فتسلك طريقه. ومن وجه آخر تطلبه الآية، وهو أنه بما ألهمها عزها أن يكون لها في الفجور والتقوى كسب أو تعطل، وإنما هي محل لظهور الفعل، فجوراً كان أو تقوى شريعاً، فهي برزخ وسط بين هذين الحكيمين.

ولم ينسب سبحانه إلى نفسه خاطر المباح ولا إلهامه فيها به، وسبب ذلك أن المباح ذاتي لها، فبنفس ما خلق عينها ظهر عين المباح، فهو من صفاتها النفسية، التي لا تعقل النفس إلا به. فهو على الحقيقة أعني⁴ خاطر المباح. نعت خاص كالضحك للإنسان، وإن لم يكن من الفصول الموقومة، فهو حد لازم رسمي. فإنه من خاصة النفس دفع المضار واستجلاب المنافع وهذا لا يوجد في أقسام أحكام الشرع إلا في قسم المباح خاصة، فإنه الذي يستوي فعله وتركه؛ فلا أجر فيه ولا وزر شرعاً، وهو قوله: ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ من التسوية وهو الاعتدال في الشيء ﴿فَسَوَّاهُكَ فَعَدْلُكَ﴾⁵ يمتن بذلك على الإنسان. وما في

1 ص 97
2 [النفس : 18, 7]
3 [الإسراء : 30]
4 ص 97
5 [الإسراء : 7]

أقسام أحكام الشريعة قسم يقتضي العدل ويعطي الاعتدال إلا قسم المباح، فهي تطلبه بذاتها وخاصيتها، فذلك لم يصفها بأنها ملهمة فيه.

وما ذكر سبحانه من الملهم لها بالفجور والتقوى، فأضمر الفاعل. فالظاهر أن الضمير المضمر يعود على المضمر في ﴿سَوَّاهَا﴾ وهو الله تعالى. ومن نظر في قول رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ لِلْمَلَكِ فِي الْإِنْسَانِ لَقَّةً، وللشيطان لَقَّةً﴾ يعني بالطاعة وهي التقوى، والمعصية وهي الفجور، فيكون الضمير في ألهمها للملك في التقوى، وللشيطان في الفجور، ولم يجمعهما في ضمير واحد، لبعد المناسبة بينهما، وكل بقضاء الله وقدره.

ولا يصح أن يقال في هذا الموضع: "إن الله هو الملهم بالتقوى"، وإن الشيطان هو الملهم بالفجور" لما في هذا من الجهل وسوء الأدب، لما في ذلك من غلبة أحد الخاطرين، والفجور أغلب من التقوى. وأيضاً لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾² فإنه في تلك الآية ظاهر الاسم؛ والسنة فيها ما هي شرعاً فتكون فجوراً وإلما هي مما يسوءه ولا يوافق غرضه. وهو في الظاهر قوطم، فإنهم كانوا يتطيرون به ﷺ أعني الكافرين - فأمّره سبحانه - أن يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَنْتَهُونَ حَدِيثًا﴾³ أي ما يحدث فيهم من الكوائن، يقول الله عنهم إيتهم يقولون: ﴿إِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾⁴ أي ما يسوءهم فمن عندك قل كل من عند الله ﷻ وهو قوله: ﴿طَائِفٌ مِّنْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾⁶

فالفاعل في ﴿أَلْهَمَهَا﴾⁷ مضمر؛ فإن كان الله هنا في الضمير هو الملهم بالتقوى، والشيطان هو الملهم بالفجور، فقد جمع الله والشيطان ضميراً واحداً. وهذا غايته في سوء الأدب مع الله. وما أحسن ما جاء بالواو للعاطفة في قوله: ﴿وَتَقَوَّاهَا﴾ فتعالى الله الملك القدوس أن يجتمع مع المطرود من رحمة الله في ضمير مع احتمال الأمر في ذلك. وقد قال رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أنت» لئلا سمعه قد جمع بين الله تعالى - ورسوله ﷺ في ضمير واحد؛ فقال: "ومن يعصها". وما قال ذلك رسول الله ﷺ إذ جمع بين الله

1 ص 98
2 [النساء : 79]
3 [النساء : 78]
4 [النساء : 78]
5 [النساء : 78]
6 [النمل : 47]
7 [الشمس : 8]
8 ص 98

وبين نفسه¹ في ضمير واحد إلا بوحى من الله وهو قوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾² وقال: ﴿وَمَا يُنْطَلِقُ غَيْرَ الْهَوَىٰ﴾³.

ونحن يلزمنا ملازمة الأدب، فيما لم نؤمر به ولا نهينا عنه، كما فعل رسول الله ﷺ في قوله: «بئس الخطيب أنت». وكذلك لا يرجح أن تنسب الإلهام بالفجور إلى الله. فلم يبق بعد هذا الاستقصاء أن يكون الضمير في ﴿أَلَهْمَا﴾ بالفجور إلا الشيطان، وبالواو بالتقوى إلا الملك. فمقابلة مخلوق بمخلوق أولى من مقابلة مخلوق بخالق. وفي قول رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب» كفاية لمن أبان الله بصيرته.

فقد أعلمك برتبة نفسك، وأنها ليست بأمارة بالسوء من حيث ذاتها، وإنما ينسب إليها ذلك، من حيث أنها قابلة للإلهام الشيطان بالفجور، ولجهلها بالحكم المشروع في ذلك، كنفس أمرت صاحبها بارتكاب أمر لم تعلم تحريمه في الشرع، أو قامت عندها شبهة بإباحة ذلك، فيراه من مذهبه التحريم فيقول: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁴ كسرب النبذ بين محلله ومخرمه، ونكاح الربيبة التي⁵ لم يجتمع فيها الشرطان، ومثل هذا في الشريعة كثير. وكلا المذهبين شرع مقرر صحيح، إذا كانا عن اجتهاد، مع أن أحدهما أخطأ دليل الشارع الذي حكم به في تلك المسألة، أو لو حكم فيها. واجتهدان مأجوران. وقد يكون في المسألة أحد المجتهدين مصيبا، وقد يكون كل واحد منهما مخطئا. فإن الحكم في تلك المسألة شرعا ليس بمنحصر.

ثم إن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ فما هو حكم الله عليها بذلك، وإنما الله حكى ما قالته امرأة العزيز في مجلس العزيز، وهل أصابت في هذه الإضافة أو لم تصب، هذا حكم آخر مسكوت عنه، بل الذي هو لها أنها لؤامة نفسها، إذا قبلت من الشيطان ما يأمرها به. فهذا الإخبار عن النفس أنها "أمارة بالسوء" ما هو حكم الله عليها ولا من قول يوسف عليه السلام فبطل التمسك بهذه الآية لما دل عليه الظاهر. والليل إذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به.

وأما قوله تعالى: ﴿كَلَّا بُدْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ فهو إبانة عن حقيقة صحيحة بما هو الأمر عليه في نفسه، من أنه "لا حول ولا قوة إلا بالله" وقوله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾⁶ أي ممنوعا يقول: إن الله يعطي على الدوام، والمحال قبل⁷ على قدر حقائق استعداداتها. كما

1 وفي الهامش: فيه، وكعب "صح" فوق كل من نفسه، وفيه ليشير إلى صواب كل منها.

2 [النساء: 80]

3 [النجم: 3]

4 [يوسف: 53]

5 ص 99

6 [الإسراء: 20]

7 ص 99

تقول: إن الشمس تنبسط أنوارها على الموجودات، وما تبخل بنورها على أحد، وتقبل المحال ذلك النور على قدر استعدادها.

وكل محل يضيف الأثر إلى الشمس ويغفل عن استعدادها، فالشخص المبرود يلتذ بحرارتها، والجسم الخروير يتألم بحرارتها، والنور من حيث ذاته واحد، وكل واحد من الشخصين يتألم بما به يتنعم صاحبه، فلو كان ذلك للنور وحده، لأعطى حقيقة واحدة، وكذلك أعطى ما في قوته. غير أنه للقابل حكم في ذلك ولا بد. فإن النتيجة لا تكون إلا عن مقدمتين، فيسود (نور الشمس) وجه التصار الذي (به) يبيض الثوب، فإن استعداد الثوب تعطي الشمس فيه التبييض، ووجه التصار تعطي الشمس فيه السواد. وكذلك النفخة الواحدة من النافخ، وهي الهواء، تطفئ السراج، وتشعل النار الذي في الحشيش، والهواء في نفسه واحد.

فتد الآيات من كتاب الله واحدة العين على الأسماع؛ فسامع يفهم منها أمرا واحدا، وسامع آخر لا يفهم منها ذلك الأمر، ويفهم منها أمرا آخر، وآخر يفهم منها أمورا كثيرة. ولهذا يستشهد كل واحد من الناظرين فيها بها، لاختلاف استعداد الأفهام. وهكذا في التجليات الإلهية¹: فالمتجلى من حيث هو في نفسه واحد العين، واختلفت التجليات - أعني صورها - بحسب استعدادات المتجلى لهم، وكذلك في العطايا الإلهية سواء.

فإذا فهمت هذا علمت أن عطاء الله ليس بممنوع، إلا أنك تحب أن يعطيك ما لا يقبله استعدادك، وتنسب المنع إليه فيما طلبته منه، ولم تجعل بالك إلى الاستعداد؛ فقد يستعد الشخص للسؤال، وما عنده استعداد لقبول ما سأل فيه، لو أعطيه بدلا من المنع، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾² ويصدق في ذلك. ولكنك تغفل عن ترتيب الحكمة الإلهية في العالم وما تعطيه حقائق الأشياء، والكل من عند الله؛ فننعه عطاء، وعطاؤه منع، ولكن بقي لك أن تعلم لكذا ومن كذا.

فقد عرفتك بالنفس، وأنها الحركة للجوارح بما يغلب عليها؛ إما من ذاتها أو مما تقبله من الملك أو الشيطان فيما يلهمها به. فعلم الإلهام هو أن تعلم أن الله أهلك بما أوقره في نفسك. ولكن بقي عليك أن تنظر على يدي من أهلك، وعلى أي طريق جاءك ذلك الإلهام؛ من ملك أو شيطان. وما يخرج عن قبيل الأمر والنهي المشروع؛ فهو العلم اللدني، ما هو الإلهام. فالعلم بالطاعة الإلهائي، والعلم بنتائج الطاعة لادني. ففرق ما بين العلم اللدني والإلهام.

فالإلهام¹ عارض طارئ يزول ويحيى غيره، والعلم اللدني ثابت، لا يبرح. فنه ما يكون في أصل الخلقة والجلية، كعلم الحيوانات والأطفال الصغار ببعض منافعهم ومضارهم. فهو علم ضروري لا إلهام. وأما قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾² فإنه يريد في أصل نشأتها؛ فطرها الله على ذلك. والإلهام هو ما يُلهمه العبد من الأمور التي لم يكن يعرفها قبل ذلك. والعلم اللدني الذي لا يكون في أصل الخلقة. فهو العلم الذي تنتجه الأعمال، فيرحم الله بعض عباده، بأن يوفقه لعمل صالح فيعمل به، فيورثه الله من ذلك علما من لدنه لم يكن يعلمه قبل ذلك. ولا يلزم من العلم اللدني أن يكون في مادة، والإلهام لا يكون إلا في مواد. والعلم يصيب ولا بد، والإلهام قد يصيب وقد يخطئ؛ فالمصيب منه يستقى علم الإلهام، وما يخطئ منه يسمى إلهاما لا علما، أي لا علم إلهام. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

الباب الثامن والخمسون

في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين¹
ومعرفة علم إلهي فاض على القلب ففرق² خواطره وشئتها

إذا أعطاك بالإلهام علما	تحققه فأنت به سعيد
كمثل النحل مختلف المعاني	قوي في مبادئه شديد
فتلقي طيبا عن طيب أصل	وأنت لحالها أبدا سعيد
وفي الأشجار والشم الرواسي	لها من فعلها قصر مشيد
فلا تعجزك الغلغلة نحل	وأنت السيد الذئب الجليد
فميك القصد جبرا واختيارا	كما لك في منازلك التصود
فحقق والتبس علما وجيدا ³	كذلك إنك الخلق الوحيد ⁴

اعلم -أيذك الله بروح منه- أن الله ﷻ أمرنا بالعلم بوحديته في ألوهته، غير أن⁵ النفوس لما سمعت ذلك منه، مع كونها قد نظرت بفكرها، ودلت على وجود الحق بالأدلة العقلية، بل بضرورة العقل يعلم وجود الباري تعالى، ثم دلت على توحيد هذا الموجود الذي خلقها، وأنه من المحال أن يوجد واجبا الوجود لنفسه، ولا ينبغي أن يكون إلا واحدا. ثم استدلوا على ما ينبغي أن يكون عليه من هو واجب الوجود لنفسه، من النسب التي ظهر عنه بها ما ظهر من الممكنات ودل على إمكان الرسالة. ثم جاء الرسول وأظهر من الدلائل على صدقه أنه رسول من الله إلينا، فعرفنا بالأدلة العقلية أنه رسول الله، فلم نشك، وقام لنا الدليل العقلي على صدق ما يخبر به، فيما ينسب إليه. وراه قد أتى في إخباره عنه تعالى - بنسب وأمور كان الدليل العقلي يحيلها ويرمي بها، فتوقف العقل واتهم معرفته وقدر في دليله هذا الإنباء الإلهي بما نسبته لنفسه ولا يقدر على تكذيب الخير.

1 كانت في ق: "المستقلين"، وصحت هنا وفي داخل الباب، وفقا لما جاء في الفهرسة الرئيسية في السفر الأول، وكذلك في س، هـ.

2 ص 101

3 ق: كتب مقابلها في الهامش: "جديدا" من دون إشارة التصويب أو الإدخال.

4 ق: كتب فوقها: "الجديد" من دون إشارة التصويب أو الإدخال.

5 ص 101 ب

ثم كان من بعض ما قال له هذا الشارع: «إعرف ربك» وهذا العاقل لو لم يعلم ربه، الذي هو الأصل المعول عليه، ما صدّق هذا الرسول. فلا بد أن يكون العلم الذي طلب منه الرسول أن يعلم به ربه، غير العلم الذي أعطاه دليله، وهو أن يتعلّم في تحصيل علم من الله بالله، يقبل به على بصيرة، هذه الأمور التي نُسبها الله إلى نفسه، ووصف نفسه¹ بها التي أحالها العقل بدليله، فانقدح له بتصديقه الرسول؛ أن ثم وراء العقل، وما يعطيه بفكره أمراً آخر، يعطي من العلم بالله ما لا تعطيه الأدلة العقلية، بل تخيله قولاً واحداً.

فإذا علمه بهذه القوة، التي عرف أنها وراء طور العقل، هل يبقى له الحكم فيما كان² يجيله العقل من حيث فكره أولاً على ما كان عليه أم لا يبقى؟ فإن لم يبق له الحكم بأن ذلك محال، فلا بد أن يعثر على الوجه الذي وقع له منه الغلط، بلا شك. وإن ذلك الذي اتخذ دليله على إحالة ذلك على الله، لم يكن دليلاً في نفس الأمر. وإذا كان هذا؛ فما ذلك الأمر مما هو وراء طور العقل؟

فإن العقل قد يصيب وقد يخطئ. وإن بقي للعقل بعد كشفه وتحقيقه لصحة هذا الأمر الذي نُسبه الله لنفسه، ووصف به نفسه، وقبّلته عقول الأنبياء، وقبّلته عقل هذا المكاشف، بلا شك ولا ريب، ومع هذا فإنه يحكم على الله بأن ذلك الأمر محال عقلاً، من حيث فكره، لا من حيث قبوله. حينئذ يصح أن يكون ذلك المقام وراء طور العقل، من جهة أخذه عن الفكر لا من جهة أخذه عن الله.

وهذا من أعجب الأمور عندنا أن يكون الإنسان يقلّد فكره ونظره، وهو محدث مثله، وقوة من قوى الإنسان التي خلقها الله فيه، وجعل تلك القوة خديمة للعقل، ويقلّدها العقل فيما تعطيه هذه القوة، ويعلم أنها لا تتعدى مرتبتها³، وأنها تعجز في نفسها، عن أن يكون لها حكم قوة أخرى؛ مثل القوة الحافظة والمصورة والمنتخيلة، والقوى التي هي الحواس؛ من لمس وطعم وشم وسمع وبصر. ومع هذا التصور كله يقلّدها العقل في معرفة ربه، ولا يقلّد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط.

وكل صاحب فكر تحت حكم هذا الغلط، بلا شك. إلا من نور الله بصيرته فعرف أن الله قد «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ»⁴، فأعطى السمع خلقه فلا يتعدى إدراكه، وجعل العقل فقيراً إليه يستمد منه معرفة الأصوات وتطويع الحروف وتغيير الألفاظ وتنوع اللغات؛ فيفرّق بين صوت الطير وهبوب الرياح

1 ص 102
2 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
3 ص 102 ب
4 [طه: 50]

وصرير الباب وخرير الماء وصياح الإنسان وبعار الشاة وثجاج الكباش وخوار البقر ورغاء الإبل وما أشبه هذه الأصوات كلها. وليس في قوة العقل من حيث ذاته إدراك شيء من هذا ما لم يوصله إليه السمع.

وكذلك القوة البصرية جعل الله العقل فقيراً إليها فيما توصله إليه من المبصرات، فلا يعرف الحضرة ولا الصفرة ولا الزرقة ولا البياض ولا السواد، ولا ما بينها من الألوان، ما لم يُنعم البصر. على العقل بها، وهكذا جميع القوى المعروفة بالحواس.

ثم إن الخيال فقير إلى هذه الحواس، فلا يتخیل أصلاً إلا ما تعطيه هذه القوى. ثم إن القوة الحافظة إن لم تمسك على الخيال ما حصل عنده من هذه القوى لا يبقى في الخيال منها شيء، فهو فقير إلى الحواس وإلى القوة الحافظة.

ثم إن القوة الحافظة قد تطرأ عليها موانع، تحول بينها وبين الخيال، فيفوت الخيال أمور كثيرة من أجل ما طرأ على القوة الحافظة من الضعف، لوجود المانع. فافتقر إلى القوة المذكورة، فتذكره ما غاب عنه، فهي مُعِينة للقوة الحافظة على ذلك.

ثم إن القوة المفكرة إذا جاءت إلى الخيال، افتقرت إلى القوة المصورة، لتركب بها مما ضبطه الخيال من الأمور، صورة دليل على أمر ما، وبرهان تستند فيه إلى المحسوسات أو الضرورات، وهي أمور مركوزة في الجبلة. فإذا تصوّر الفكر ذلك الدليل، حينئذ يأخذه العقل منه فيحكم به على المدلول. وما من قوة إلا ولها موانع وأغاليط، فيحتاج إلى فصلها من الصحيح الثابت.

فانظر يا أخي - ما أفقر العقل، حيث لا يعرف شيئاً مما ذكرناه، إلا بوساطة هذه القوى، وفيها من العلل ما فيها. فإذا اتفق للعقل أن يحصل شيئاً من هذه الأمور بهذه الطرق، ثم أخبره الله بأمر ما توقّف في قبوله، وقال إن الفكر يردّه. فما أحمل هذا العقل بقدر ربه، كيف قلّد فكره وجرح ربه.

فقد علمنا² أن العقل ما عنده شيء من حيث نفسه، وأن الذي يكتسبه من العلوم إنما هو من كونه عنده صفة القبول.

فإذا كان بهذه المثابة، فقبوله من ربه لما يخبر به عن نفسه تعالى، - أولى من قبوله من فكره. وقد عرّف أن فكره مقلّد لخياله، وأن خياله مقلّد لحواسه. ومع تقليده فهو غير قوي على إمساك ما عنده، ما لم تساعد على ذلك القوة الحافظة والمذكّرة.

1 ص 103
2 ص 103 ب

ومع هذه المعرفة، بأن القوى لا تتعدى خلقها، وما تعطيه حقيقتها، وأنه بالنظر إلى ذاته لا علم عنده إلا الضروريات التي فطر عليها، لا يقبل قول من يقول له: إنَّ ثمَّ قوة أخرى وراءك تعطيك خلاف ما أعطتك القوة المفكرة، نالها أهل الله من الملائكة والأنبياء والأولياء، ونطقت بها الكتب المنزلة، فاقبل منها هذه الأخبار الإلهية، فتقليد الحق أولى. وقد رأيت عقول الأنبياء على كثرتهم والأولياء قد قبلتها وآمنت بها وصدقها، ورأت أن تقليدها ربها في معرفة نفسه أولى من تقليد أفكارها؛ فمالك أيها العاقل المنكر لها- لا تقبلها ممن جاء بها، ولا سيما عقول تقول: إنها في محل الإيمان بالله ورسوله وكتبه؟

ولما رأت عقول أهل الإيمان بالله تعالى- أن الله قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية، علمت أن ثمَّ علما آخر بالله لا تصل إليه من طريق الفكر، فاستعملت الرياضات والحلوات والمجاهدات وقطعت العلائق والانفراد والجلوس مع الله بتفريغ الحلق وتقديس القلب عن شوائب الأفكار- إذ كان متعلق الأفكار الأكوان- واتخذت هذه الطريقة من الأنبياء والرسول، وسمعت أن الحق تعالى ينزل إلى عباده ويستعطفهم، فعلمت أن الطريق إليه من جهة، أقرب إليه من الطريق من فكرها، ولا سيما أهل الإيمان وقد سمعت قوله تعالى: «من أتاني يسعى أتيت هرولة»، وإن قلبه وسع جلال الله وعظمته.

فتوجه إليه بكله، وانقطع من كل ما يأخذه عنه من هذه القوى. فعند هذا توجه أفاض الله عليه من نوره علما إلهيا، عرفه بأن الله تعالى- من طريق المشاهدة والتجلي، لا يقبله كون ولا يرده، ولذلك قال: «إنَّ في ذلك» يشير إلى العلم بالله من حيث المشاهدة «لذكرى لمن كان له قلب»¹ ولم يقل غير ذلك.

فإن القلب معلوم بالتقليب في الأحوال دائما، فهو لا يبقى على حالة واحدة. فكذلك التجليات الإلهية. فمن لم يشهد التجليات بقلبه ينكرها (بعقله)، فإن العقل يقيد، وغيره من القوى إلا القلب فإنه لا يتقيد، وهو سريع التقليب، في كل حال. ولذا قال الشارع: «إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقبله كيف يشاء» فهو يتقلب بتقلب التجليات، والعقل ليس كذلك. فالقلب هو القوة التي وراء طور العقل. فلو أراد الحق في هذه الآية بالقلب أنه العقل، ما قال: «لمن كان له قلب»، فإن كل إنسان له عقل. وما كل إنسان يعطى هذه القوة التي وراء طور العقل، المسماة قلبا في هذه الآية، فلذلك قال: «لمن كان له قلب».

فالتقليب في القلب، نظير التحول الإلهي في الصور. فلا تكون معرفة الحق من الحق إلا بالقلب، لا

بالعقل. ثم يقبلها العقل من القلب، كما يقبل من الفكر. فلا يسعه سبحانه- إلا أن يقبل ما عندك؛ ومعنى قلب ما عندك هو أنك علقت المعرفة به ^ب وضبطت عندك في علمك أمرا ما، وأعلى أمر ضبطته في علمك به، أنه لا ينضبط سبحانه- ولا يتقيد ولا يشبه شيئا ولا يشبه شيء، فلا ينضبط مضبوط لتمييزه عما ينضبط، فقد انضبط ما لا ينضبط، مثل قولك: "العجز عن درك الإدراك إدراك" والحق إنما وسعه القلب.

ومعنى ذلك أن لا يحكم على الحق تعالى- بأنه لا يقبل ولا لا يقبل، فإن ذات الحق وإنيته مجهولة عند الكون، ولا سيما وقد أخبر ^ع عن نفسه بالقيضين في الكتاب والسنّة؛ فشبه في موضع ونزه في موضع. بـ «ليس كشيء شيء»¹ وشبهه بقوله: «وهو السميع البصير»². فتفرقت خواطر التشبيه وتشئت خواطر التنزيه. فإن المنزه على الحقيقة: قد قيده، وحصره في تنزيهه، وأخلى عنه التشبيه. والمشبّه أيضا قيده وحصره في التشبيه، وأخلى عنه التنزيه. والحق في الجمع بالقول بحكم الطائفتين، فلا ينزهه تنزيها يخرج عن التشبيه، ولا يشبهه تشبيها يخرج عن التنزيه. فلا تطلق ولا تقيد، لتمييزه عن التقيد ولو تميز تقيد في إطلاقه، ولو تقيد في إطلاقه لم يكن هو، فهو المقيّد بما قيّد به نفسه من صفات الجلال، وهو المطلق بما سمي به نفسه من أسماء الكمال، وهو الواحد الحق الجلي الخفي لا إله إلا هو العلي العظيم.

وَضَلَّ

(أسرار أهل الإلهام المستدلين)

وأما أسرار أهل الإلهام المستدلين، فلا تتجاوز سدرة المنتهى، فإن إليها تنتهي أعمال بني آدم، ونهاية كل أمر إلى ما منه بدأ. فإن قال لك عارف من لا علم له بهذا الأمر: إن الكرسي موضع القدمين. فقل له: ذلك عالم الخلق والأمر. والتكليف إنما انقسم من السدرة، فإنه قطع أربع مراتب، والسدرة هي المرتبة الخامسة، فنزل (الحكم الشرعي) من قلم (=عقل كلي) إلى لوح (=نفس كلية) إلى عرش (=طبيعة كلية) إلى كرسي (=هيولي، هباء، مادة كلية) إلى سدرة (=جسم كلي).

فظهر الواجب من القلم، والمندوب من اللوح، والمحظور من العرش، والمكروه من الكرسي، والمباح من السدرة. والمباح قسم النفس، وإليها تنتهي نفوس عالم السعادة. ولأصولها وهي الزقوم- تنتهي نفوس أهل الشقاء، وقد بيناها في كتاب "التنزيلات الموصليّة" في باب يوم الاثنين.

1 [الشورى : 11]

2 [الشورى : 11]

3 ص 105

وإذا ظهرت قسمة الأحكام من السدرة. فإذا صعدت الأعمال التي لا تخلو من أحد هذه الأحكام، لا بد أن تكون نهايتها إلى الموضع الذي منه ظهرت، إذ لا تعرف² من كونها منقسمة إلى السدرة، ثم يكون من العقل الذي هو القلم نظر إلى الأعمال المفروضة، فيمدها بحسب ما يرى فيها، ويكون من اللوح نظر إلى الأعمال المندوب إليها، فيمدها بحسب ما يرى فيها. ويكون من العرش نظر إلى المخطورات وهو مستوى الرحمن فلا ينظرها إلا بعين الرحمة ولهذا يكون مآل أصحابها إلى الرحمة. ويكون من الكرسي نظر إلى الأعمال المكروهة فينظر إليها بحسب ما يرى فيها، وهو تحت حيطه العرش، والعرش مستوى الرحمن، والكرسي موضع القدمين، فيسرع العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الأعمال. ولهذا يؤجر تاركها ولا يؤخذ فاعلها.

فكتاب الأبرار في عليين؛ ويدخل فيهم العصاة أهل الكبار والصغائر. وأما كتاب الفجار ففي سبعين، وفيه أصول السدرة التي هي شجرة الرقوم، فهناك تنتهي أعمال الفجار في أسفل سافلين. فإن رحمهم الرحمن من عرش الرحمانية بالنظرة التي ذكرناها، جعل لهم نعيما في منزلهم، فلا يموتون فيه ولا يحيون. فهم في نعيم النار دائمون مؤبدون، كنعيم النائم بالرؤيا التي يراها في حال نومه من السرور. وربما يكون في فراشه مريضا ذا بؤس وفقير، ويرى نفسه في المنام ذا سلطان ونعمة³ ومُلك.

فإن نظرت إلى النائم، من حيث ما يراه في منامه ويلتذ به، قلت إنه في نعيم وصدقته، وإن نظرت إليه من حيث ما تراه في فراشه الحشن ومرضه وبؤسه وفقره وكُومته، قلت إنه في عذاب. هكذا يكون⁴ أهل النار، في ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾⁵ أي لا يستيقظ أبدا من نومه. فتلك الرحمة التي يرحم الله بها أهل النار، الذين هم أهلها، وأمثالها كالحرور منهم يتنعم بالزحرير، والمقرور منهم يجعل في الحرور. وقد يكون عذابهم توهم وقوع العذاب بهم، وذلك كله بعد قوله: ﴿لَا يَقْتَرُّ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾⁶. ذلك زمان عذابهم وأخذهم بجرائمهم، قبل أن تلحفهم الرحمة التي سبقت الغضب الإلهي.

فإذا اطلع أهل الجنان، في هذه الحالة على أهل النار، ورأوا منازلهم في النار، وما أعد الله فيها، وما هي عليه من قبح المنظر قالوا: معذبون. وإذا كوشفوا على الحسن المعنوي الإلهي في خلق ذلك المسقى قُبْحًا، ورأوا ما هم فيه في نومتهم، وعلموا أحوال أمزجتهم، قالوا: منعمون. فسبحان القادر على ما يشاء

1 ص 105 ب
2 ق: "ظهور" وصححت في الهامش بقلم الأصل.
3 ص 106
4 ق، س: "يكونون" والترجيح من ه
5 طه: 74
6 الزخرف: 75

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾¹ فقد فهمت قول الله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾² وقول رسول³ الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون» ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

1 [آل عمران: 6]
2 [طه: 74]
3 ص 106 ب
4 [الأحزاب: 4]

الباب التاسع والخمسون في معرفة الزمان الموجود والمقدر

إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا حَقَّقْتَ حَاصِلَهُ
مِثْلُ الطَّبِيعَةِ فِي التَّأْثِيرِ قُوَّتُهُ
بِهِ تَعَيَّنَتِ الْأَشْيَاءُ وَلَيْسَ لَهُ
النَّعْلُ يَعْجَزُ عَنْ إِذْزَاكِ صُورَتِهِ
لَوْ لَا التَّنَزُّهُ مَا سَمِيَ الْإِلَٰهَ بِهِ
أَصْلُ الزَّمَانِ إِذَا أَنْصَفَتْ مِنْ أَرْزَلٍ
مِثْلُ الْخَلَاءِ؛ ائْتِدَادًا مَا لَهُ طَرَفٌ
مُحَقَّقٌ فَهُوَ بِالْأَوْهَامِ مَعْلُومٌ
وَالْعَيْنُ، مِنْهَا وَمِنْهُ، فِيهِ مَعْدُومٌ
عَيْنٌ عَلَيْهِ يَكُونُ مِنْهُ تَحَكُّيمٌ
إِذَا تَقُولُ بِأَنَّ الدَّهْرَ مَوْهُومٌ
وَجُودُهُ فَلَهُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمٌ
فُحْكُمُهُ أَرَيْتِ وَهُوَ مَحْكُومٌ
فِي غَيْرِ جِسْمٍ يَوْهَمُ فِيهِ تَجَسُّيمٌ

اعلم أولا أن الله تعالى هو الأول الذي لا أولية لشيء قبله، ولا أولية لشيء يكون قائما به أو غير قائم به معه. فهو الواحد سبحانه - في أوليته، فلا شيء واجب الوجود لنفسه إلا هو، فهو الغني بذاته على الإطلاق عن العالمين قال تعالى: ﴿اللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾¹ بالدليل العقلي والشرعي.

فوجود العالم لا يخلو إما أن يكون وجوده عن الله لنفسه سبحانه، أو لأمر زائد ما هو نفسه. إذ لو كان نفسه لم يكن زائدا، ولو كان نفسه أيضا لكان مركبا في نفسه، وكانت الأولية لذلك الأمر الزائد. وقد فرضنا أنه لا أولية لشيء معه ولا قبله.

فإذا لم يكن ذلك الأمر الزائد نفسه، فلا يخلو إما أن يكون وجودا، أو لا وجودا. محال أن يكون لا وجود؛ فإن لا وجود لا يصلح أن يكون له أثر إيجاد، فيما هو موصوف بأن لا وجود، وهو العالم. فليس أحدهما بأولى بتأثير الإيجاد من الآخر، إذ كلاهما أن لا وجود. فإن لا وجود لا أثر له، لأنه عدم.

ومحال أن يكون وجودا. فإنه لا يخلو عند ذلك، إما أن يكون وجوده لنفسه، أو لا يكون. محال أن يكون وجوده لنفسه، فإنه قد قام الدليل على إحالة أن يكون في الوجود اثنان³ واجبا الوجود لأنفسهما. فلم يبق إلا أن يكون (العالم) وجوده بغيره، ولا معنى لإمكان العالم، إلا أن وجوده بغيره. فهو العالم إذن، أو

1 ص 107
2 [آل عمران: 97]
3 ص 107 ب

من العالم.

ولو كان وجود العالم عن الله لنسبة ما، لولاها ما وجد العالم، تُسمى تلك النسبة إرادة أو مشيئة أو علما أو ما شئت، مما يطلبه وجود الممكن؛ فيكون الحق تعالى - بلا شك، لا يفعل شيئا إلا بتلك النسبة، ولا معنى للافتقار إلا هذا. وهو محال على الله، فإن الله له الغنى على الإطلاق، فهو كما قال: ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

فإن قيل: إن المراد بالنسبة عين ذاته. قلنا: فالشيء لا يكون مفتقرا إلى نفسه، فإنه غني لنفسه فيكون الشيء الواحد فقيرا من حيث ما هو غني، كل ذلك لنفسه وهو محال. وقد نفينا الأمر الزائد. فافتضى ذلك أن يكون وجود العالم من حيث ما هو موجود بغيره، مرتبطا بالواجب الوجود لنفسه، وأن عين الممكن، محل تأثير الواجب الوجود لنفسه بالإيجاد، ولا يعقل إلا هكذا.

فمشيئته وإرادته وعلمه وقدرته (هـن) ذاته. تعالى الله أن يتكثر في ذاته علوا كبيرا. بل له الوحدة المطلقة وهو الواحد الذي أحده. الله الصمد. لم يلد. فيكون مقدما ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيكون نتيجة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾¹ فيكون به وجود العالم نتيجة عن مقدمتين عن الحق والكفاء، تعالى الله.

وبهذا وصف نفسه سبحانه - في كتابه لما سئل النبي ﷺ عن صفة ربه فنزلت سورة الإخلاص، تخلصت من الاشتراك مع غيره تعالى الله في تلك النعوت المقدسة والأوصاف. فما من شيء نفاه في هذه السورة، ولا أثبتته، إلا وذلك المنفي أو المثبت مقالة في الله لبعض الناس.

وبعد أن بينا لك ما ينبغي أن يكون عليه من نحن مفتقرون إليه وهو الله - سبحانه -، فلنبين ما بوبنا عليه.

فاعلم أن نسبة الأزل إلى الله نسبة الزمان إلينا، ونسبة الأزل نعت سلب لا عين له. فلا يكون عن هذه الحقيقة وجود فيكون الزمان للممكن نسبة متوهم الوجود لا موجودة، لأن كل شيء نرضه يصح عنه السؤال، متى. ومتى: سؤال عن زمان. فلا بد أن يكون الزمان أمرا متوهما لا وجودا، ولهذا أطلقته الحق على نفسه في قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾³ و﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾⁴ وفي الشئة تقرير قول السائل: «أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟» ولو كان الزمان أمرا وجوديا في نفسه ما صح تنزيه

1 [الإخلاص: 1 - 4]
2 ص 108
3 [الأحزاب: 40]
4 [الروم: 4]

الحق عن التقيد إذ كان حكم الزمان يقيد. فعرفنا أن هذه الصيغ ما تحتها أمر وجودي.

ثم نقول: إن لفظة الزمان، اختلف الناس في معقولها ومدلولها. فالحكماء تطلقه بإزاء أمور مختلفة، وأكثرهم¹ على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك. والمتكلمون يطلقونه بإزاء أمر آخر، وهو مقارنة حادث لحادث، يُسأل عنه متى؟

والعرب تطلقه وتريد به الليل والنهار، وهو مطلوبنا في هذا الباب. والليل والنهار فصلان² اليوم: فمن طلوع الشمس إلى غروبها يستقى نهارا، ومن غروب الشمس إلى طلوعها يستقى ليلا. وهذه العين المفصلة تستقى يوما؛ وأظهر هذا اليوم وجود الحركة الكبرى، وما في الوجود العيني إلا وجود المتحرك لا غير. وما هو عين الزمان. فرجع محصول ذلك إلى أن الزمان أمر متوهم لا حقيقة له.

وإذا تقرر هذا، فالיום المعقول المقدر هو المعبر عنه بالزمان الموجود، وبه تظهر الجمعات والشهور والسنون والدهور وتستقى أياما. وتقدر بهذا اليوم الأصغر المعتاد الذي فصله الليل والنهار. فالزمان المقدر هو ما زاد على هذا اليوم الأصغر الذي تقدر به سائر الأيام الكبار، فيقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾³، وقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾⁴.

وقال النبي في أيام الدجال: «يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم». فقد يكون هذا لشدة الهول، فرفع الإشكال ظاهرا، تمام الحديث في قول عائشة: فكيف يفعل في الصلاة في ذلك اليوم؟ قال⁵: «يقدر لها» فلو لا أن الأمر في حركات الأفلاك على ما هو عليه باق، ما اختلف؛ ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التي يعمل صورتها أهل هذا العلم، فيعلمون بها الأوقات في أيام الغيم، إذ لا ظهور للشمس.

فيكون في أول خروج الدجال، تكثر الغيوم وتنوأل، بحيث أن يستوي في رأي العين وجود الليل والنهار. وهو من الأشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان، فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء. والحركات كما هي، فتظهر الحركات في الصنائع العملية التي عملها أهل صنعة العلماء بالهيئة، ومجاري النجوم. فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلوات بلا شك.

1 ص 108 ب

2 ق: فصل.

3 [السجدة: 5]

4 [المعارج: 4]

5 ص 109

ولو كان ذلك اليوم، الذي هو كسنة، يوما واحدا، لم يلزمنا أن تقدر للصلوات، فإننا ننتظر زوال الشمس. فما لم تزل لا نصلي الظهر المشروع، ولو أقامت لا تزول ما مقداره عشرون ألف سنة، لم يكلفنا الله غير ذلك. فلما قرر الشارع العبادة بالتقدير، عرفنا أن حركات الأفلاك على بابها لم يختل نظامها.

فقد أعلمتك ما هو الزمان، وما معنى نسبة الوجود إليه ونسبة التقدير. فالأيام كثيرة، ومنها كبير وصغير، فأصغرها الزمن الفرد، وعليه يخرج ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾¹. فستقى الزمن الفرد يوما، لأن الشأن يحدث فيه، فهو أصغر الأزمان² وأدقها. ولا حد لأكبرها، يوقف عنده. وبينها أيام متوسطة؛ أولها اليوم المعلوم في العرف، وتفصله الساعات، والساعات تفصلها الدقائق، والدرج تفصله الدقائق، هكذا إلى ما لا يتناهى، عند بعض الناس. فإنهم ينصلون الدقائق إلى ثوان. فلما دخلها حكم العدد، كان حكمها العدد، والعدد لا يتناهى، فالتفصيل في ذلك لا ينتهي.

وبعض الناس يقولون بالتناهي في ذلك، وينظرونه من حيث المعدود. وهم الذين يثبتون أن للزمان عينا موجودة، وكل ما دخل في الوجود، فهو متناه بلا شك. والمخالف يقول: المعدود من كونه يُعدّ، ما دخل في الوجود، فلا يوصف بالتناهي. فإن العدد لا يتصف بالتناهي. وبهذا يحتج منكر الجوهر الفرد. وأن الجسم ينقسم إلى ما لا نهاية له في العقل، وهي مسألة خلاف بين أهل النظر، حدثت من عدم الإنصاف والبحث عن مدلول الألفاظ. وقد ورد في الخبر الصحيح أن من أساء الله؛ الدهر. ومعقولية الدهر معلومة، نذكر ذلك -إن شاء الله- في هذا الكتاب. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

اتهى الجزء السابع والعشرون يتلوه في الجزء الثامن والعشرين⁴. بسم الله الرحمن الرحيم الباب الستون في معرفة العناصر وسلطان العالم العلوي على العالم السفلي.

1 [الرحمن: 29]

2 ص 109 ب

3 [الأحزاب: 4]

4 "يتلوه... والعشرون" في الهامش بقلم الأصل.

الجزء الثامن والعشرون من الفتح المكي¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الستون

في معرفة العناصر، وسلطان العالم العلوي³ على العالم السفلي، وفي أي دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصى؟ وأية روحانية لنا؟

إِنَّ الْعَنَاصِرَ أُمّهَاتُ أَرْزَعُ
عَنْهَا تَوَلَدْنَا فَكَانَ وُجُودُنَا
جَعَلَ إِلَهُ غِذَاءَنَا بِسَنَابِلِ
وَكَذَلِكَ ضَاعَفَ أَجْرَنَا بِسَنَابِلِ
وَرَمَانَنَا سَبْعَ مِّنَ الْأَلْفِ
فَانْظُرْ⁴ بِعَيْنِكَ سَبْعَةً فِي سَبْعَةٍ
وَانْظُرْ بِفِكَرِكَ فِي تَنَاسُبِ حُكْمِهَا

أراد بالأملاك الأول من الملائكة - جمع ملك. وأراد بالأملاك الثاني - من الملوك جمع ملك. يقول: هم مسخرون والمسخر لا يستحق اسم الملك. والسبعة المذكورة هي السبعة الدراري، في السبعة الأفلاك، الموجودة من السبعة الأيام التي هي أيام الجمعة وهي للحركة التي فوق السماوات، وهي حركة اليوم للفلك الأقصى.

اعلم أن كل شيء من الأكوان لا بد أن يكون استناده إلى حقائق إلهية. فكل علم مدرج في العلم الإلهي، ومنه تفرعت العلوم كلها. وهي منحصرة في أربع مراتب؛ وكل مرتبة تنقسم إلى أنواع معلومة، محصورة عند العلماء وهو: العلم المنطقي والعلم الرياضي، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي.

والعالم يطلب من الحقائق الإلهية أربع نسب: الحياة والعلم والإرادة والقدرة. إذا ثبتت هذه الأربع

1 العنوان ص 110 ب، أما ص 110 فيضاء.

2 البسملة ص 111

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

4 ص 111 ب

النسب للواجب الوجود، صح أنه الموجد للعالم بلا شك. فالحياة¹ والعلم أصلان في النسب والإرادة، والقدرة دونهما. والأصل: الحياة. فإنها الشرط في وجود العلم. والعلم له عموم التعلق؛ فإنه يتعلق بالواجب الوجود وبالممكن وبالحال. والإرادة دونه في التعلق؛ فإنه لا تعلق لها إلا بالممكن في ترجيحه بإحدى الحالتين من الوجود والعدم. فكأن الإرادة تطلبها الحياة، فهي كالمفعلة عنها؛ فإنها أعم تعلقاً من القدرة. والقدرة أخص تعلقاً؛ فإنها تتعلق بإيجاد الممكن لا بإعدامه، فكأنها كالمفعلة عن العلم لأنها من الإرادة بمنزلة العلم من الحياة.

فلما تميزت المراتب في هذه النسب الإلهية، تميز الفاعل عن المنفعل، خرج العالم على هذه الصورة، فاعلا ومنفعلا. فالعالم بالنسبة إلى الله، من حيث الجملة، منفعل محدث. وبالنظر إلى نفسه فله فاعل و(منه) منفعل.

فأوجد الله سبحانه - العقل الأول من نسبة الحياة، وأوجد النفس من نسبة العلم. فكان العقل شرطاً في وجود النفس، كالحياة شرط في وجود العلم. وكان المنفعلان عن العقل والنفس الهباء والجسم الكل. فهذه الأربعة أصل ظهور الصور في العالم.

غير أن بين النفس والهباء مرتبة الطبيعة، وهي على أربع حقائق، منها: اثنان فاعلان واثنان منفعلان، وكلها في رتبة الانفعال، بالنظر إلى من صدرت عنه؛ فكانت الحرارة والبرودة² والرطوبة واليبوسة. فاليبوسة منفعة عن الحرارة، والرطوبة منفعة عن البرودة. فالحرارة من العقل، والعقل عن الحياة. ولذلك طبع الحياة في الأجسام العنصرية الحرارة، والبرودة من النفس، والنفس من العلم ولهذا يوصف العلم إذا استقر يبرد اليقين والتلج. ومنه قوله ﷺ حين وجد يرد الأنامل بين ثدييه، فعلم علم الأولين والآخرين.

ولما افعلت اليبوسة والرطوبة عن الحرارة والبرودة، طلبت الإرادة اليبوسة لأنها في مرتبتها، وطلبت القدرة الرطوبة لأنها في مرتبتها. ولما كانت القدرة ما لها تعلق إلا بالإيجاد خاصة، كان الأحق بها طبع الحياة وهي الحرارة والرطوبة في الأجسام - وظهرت الصور والأشكال في الهباء والجسم الكل؛ فظهرت السماء والأرض مرققة غير متميزة.

ثم إن الله تعالى - توجه إلى فتح هذا الرق، ليميز أعيانها، وكان الأصل الماء في وجودها. ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾³ ولحياته ووصف بالتسيح. فنظم الله أولاً هذه الطبائع الأربع نظماً

1 ص 112

2 ص 112 ب

3 [الأنبياء: 30]

وينتقل الحكم إلى الميزان، وهو زمان القيامة. وفيه يضع الله الموازين القسط ليوم¹ القيامة فلا تظلم نفس شيئاً. ولما لم يكن الحكم له بما أودع الله فيه من العدل في الدنيا، شرع الموازين، فلم يعمل بها إلا القليل من الناس، وهم النبيون خاصة، ومن كان محفوظاً من الأولياء. ولما كانت القيامة محل سلطان الميزان، لم تظلم نفس شيئاً قال الله - تعالى: ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ يعني من العمل ﴿أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾².

ولما كان للعداء السبعة من الأعداد، كانت لها السبعة والسبعون والسبعائة من الأعداد، في تضاعف الأجور وضرب الأمثال في الصدقات، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾³ إلى سبعة آلاف، إلى سبعين ألفاً، إلى سبعائة ألف، إلى ما لا نهاية له، ولكن من حساب السبعة.

وإنما كانت الفروض المقدرة في الفلك الأطلس اثنا عشر فرضاً؛ لأن منتهى أسماء العدد إلى اثني عشر- اسماً. وهو من الواحد إلى العشرة إلى المائة، وهو الحادي⁴ عشر- إلى الألف، وهو الثاني عشر-، وليس وراءه مرتبة أخرى، ويكون التركيب فيها بالتضعيف إلى ما لا نهاية له بهذه الأسماء خاصة.

ويدخل الناس الجنة والنار، وذلك في أول الحادية، إحدى⁵ عشرة درجة من الجوزاء. وتستقر كل طائفة في دارها، ولا يبقى في النار من يخرج بشفاعته، ولا بعناية إلهيته. ويذبح الموت بين الجنة والنار. ويرجع الحكم في أهل الجنة بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الذي أودع الله في حركات الفلك الأقصى؛ وبه يقع التكوين في الجنة بحسب ما تعطيه نشأة الدار الآخرة. فإن الحكم أبداً في القوابل، فإن الحركة واحدة، وآثارها تختلف بحسب القوابل. وسبب ذلك حتى لا يستقل أحد من الخلق، بفعل ولا بأمر دون مشاركة. فيتميز بذلك فعل الله الذي يفعل، لا بمشاركته من فعل المخلوق. فالمخلوق أبداً في محل الافتقار والعجز، والله الغني العزيز.

ويكون الحكم في أهل النار بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الذي أودع الله - تعالى- في حركات الفلك الأقصى، وفي الكواكب الثابتة، وفي سباحة الدراي السبعة المظلومة الأنوار، فهي كواكب لكنها ليست

مخصوصاً: فضم الحرارة إلى اليبوسة فكانت النار البسيطة المعقولة، فظهر حكمها في جسم العرش، الذي هو الفلك الأقصى والجسم الكل، في ثلاثة أماكن منها؛ المكان الواحد سماء حملاً، والمكان الثاني وهو¹ الخامس من الأمكنة المقدرة فيه سماء أسداً، والمكان الثالث وهو التاسع من الأمكنة المقدرة فيه سماء قوساً.

ثم ضم البرودة إلى اليبوسة، وأظهر سلطانها في ثلاثة أمكنة من هذا الفلك، وهو التراب البسيط المعقول. فسقى المكان الواحد ثوراً، والآخر سنبله، والثالث جدياً. ثم ضم الحرارة إلى الرطوبة، فكان الهواء البسيط، وأظهر حكمه في ثلاثة أمكنة، من هذا الفلك الأقصى-. سقى المكان الواحد الجوزاء، والآخر الميزان، والثالث الدالي. ثم ضم البرودة إلى الرطوبة فكان الماء البسيط وأظهر حكمه في ثلاثة أمكنة من الفلك الأقصى، سقى المكان الواحد السرطان، وسقى الآخر بالعقرب، وسقى الثالث بالحوث. فهذا تقسيم فلك البروج على اثني عشر قسماً مفروضة، نعيها الكواكب الثانية والعشرون، وذلك بتقدير العزيز العليم.

فلما أحكم صنعها وترتيبها وأدارها، فظهر الوجود متوقفاً، فأراد الحق فتحه؛ ففصل بين السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَكُنَّا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾² أي ميز بعضها عن بعض. فأخذت السماء علواً دخاناً، فحدث فيما بين السماء والأرض ركنان من المركبات؛ الركن الواحد الماء المركب مما يلي الأرض، لأنه بارد رطب، فلم يكن له قوة الصعود، فبقي على الأرض تمسكه بما³ فيها من اليبوسة عليها. والآخر النار، وهي أكرة الأثير مما يلي السماء، لأنه حار يابس فلم يكن له طبع النزول إلى الأرض، فبقي مما يلي السماء من أجل حرارته واليبوسة تمسكه هناك.

وحدث ما بين النار والماء ركن الهواء، من حرارة النار ورطوبة الماء فلا يستطيع أن يلحق بالنار، فإن تقل الرطوبة يمنع أن يكون بحيث النار، وإن طلبت الرطوبة (أن) تنزله إلى أن يكون بحيث الماء؛ تمنعه الحرارة من النزول. فلما تماعنا لم يبق إلا أن يكون (الهواء) بين الماء والنار؛ لأنهما يتجاذبان على السواء، فذلك المستوى هواء. فقد بان لك مراتب العناصر وماهيته، ومن أين ظهرت، وأصل الطبيعة.

ولما دارت الأفلاك، ونحضت الأركان بما حملته مما ألقث فيها في هذا النكاح المعنوي، وظهرت المولدات من كل ركن بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الركن، فظهرت أمم العالم، وظهرت الحركة المنكوسة والحركة الأفقية. فلما انتهى الحكم إلى السنبله ظهرت النشأة الإنسانية بتقدير العزيز العليم. فأنشأ الله ﷻ الإنسان من حيث جسمه خلقاً سوياً، وأعطاه الحركة المستقيمة، وجعل الله لها من الولاية في العالم

1 ص 114
2 [الأنبياء : 47]
3 [البقرة : 261]
4 الحادي أحد
5 ص 114 ب

1 ص 113
2 [الأنبياء : 30]
3 ص 113 ب

بشواقب. فالحكم في النار خلاف الحكم في الجنة، فيقرب حكم النار من حكم الدنيا، فليس بعذاب خالص، ولا بنعيم خالص. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾¹ فلم يخلصه إلى أحد الوجهين، وكذلك قال ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون».

وقد قدمنا في الباب الذي قبل هذا، صورة² النعيم والعذاب. وسبب ذلك، أنه بقي ما أودع الله عليهم في الأفلاك وحركات الكواكب من الأمر الإلهي، وتغير منه على قدر ما تغير من صور الأفلاك بالتبديل، ومن الكواكب بالطمس والانتثار، فاختلف حكمها بزيادة ونقص، لأن التغير وقع في الصور لا في النوات.

واعلم أن الله تعالى لما تسمى بالملك؛ رتب العالم ترتيب المملكة؛ فجعل له خواص من عباده وهم الملائكة المهيمة، جلساء الحق تعالى بالذكر ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾³، ثم اتخذ حاجبا من الكروبيين؛ واحدا أعطاه علمه في خلقه، وهو علم مفصل في إجمال، فعمله سبحانه كان فيه مجلى له، وسمي ذلك الملك: "نون" فلا يزال معتكفا في حضرة علمه ﷻ وهو رأس الديوان الإلهي، والحق من كونه علما لا يحتاج عنه.

ثم عين من ملائكته ملكا آخر دونه في المرتبة، سماه القلم. وجعل منزلته دون النون، واتخذ كاتباً، فعمله الله سبحانه من علمه ما شاءه في خلقه، بوساطة النون، ولكن من العلم الإجمالي. ومما يحوي عليه العلم الإجمالي، علم التفصيل. وهو من بعض علوم الإجمال. لأن العلوم لها مراتب من جملتها علم التفصيل، فما عند القلم الإلهي من مراتب العلوم المجملة إلا علم التفصيل مطلقاً وبعض العلوم المفصلة لا غير.

واتخذ (الله) هذا الملك كاتب ديوانه، وتجلى له من اسمه القادر. فأمدّه من هذا التجلي الإلهي، وجعل نظرة إلى جهة عالم التدوين والتسطير؛ فخلق له لوحاً وأمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه إلى يوم القيامة خاصة، وأنزله منه منزلة التلميذ من الأستاذ، فتوحيث عليه هنا الإرادة الإلهية، فخصص له هذا القدر من العلوم المفصلة، فله تجليان من الحق بلا واسطة، وليس للنون سوى تجلٍ واحد، في مقام أشرف، فإنه لا يدل تعدد التجليات ولا كثرتها على الأشرفية، وإنما الأشرف من له المقام الأعم.

[طه : 74]

2 ص 115

3 [الأنبياء : 19، 20]

4 ص 115 ب

فأمر الله النون أن يمد القلم بثلاثمائة وستين علماً من علوم الإجمال، تحت كل علم تفاصيل، ولكن معينة منحصرة، لم يعطه غيرها. يتضمن كل علم إجمالي من تلك العلوم، ثلاثمائة وستين علماً من علوم التفصيل. فإذا ضربت ثلاثمائة وستين في مثلها فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالى في خلقه إلى يوم القيامة خاصة، ليس عند اللوح من العلم الذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من هذا، لا يزيد ولا ينقص. ولهذه الحقيقة الإلهية جعل الله الفلك الأقصى ثلاثمائة¹ وستين درجة، وكل درجة جملة لما تحوي عليه من تفصيل الدقائق والثواني والثالث إلى ما شاء الله سبحانه مما يظهره في خلقه إلى يوم القيامة، وسمي هذا القلم الكاتب.

ثم إن الله ﷻ أمر أن يولى على عالم الخلق اثني عشر والياً، يكون مقرهم في الفلك الأقصى ممّا في بروج. فقسم الفلك الأقصى اثني عشر قسماً، جعل كل قسم منها برجاً لسكنى هؤلاء الولاة، مثل أبراج سور المدينة. فأنزلهم الله إليها فنزلوا فيها؛ كل وال على تحت في برجه. ورفع الله الحجاب الذي بينهم وبين اللوح المحفوظ، فأروا فيه مسطراً أسماءهم ومراتبهم، وما شاء الحق أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة. فارتقم ذلك كله في نفوسهم، وعلموه علماً محفوظاً لا يتبدل ولا يتغير.

ثم جعل الله لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجتين، ينفذان أوامرهم إلى نوابهم، وجعل بين كل حاجبين سفراً يمشي بينهما بما يلقي إليه كل واحد منهما، وعين الله لهؤلاء الذين جعلهم الله حجاباً لهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنونها، وأنزلهم إليها، وهي الثانية والعشرون منزلة، التي تسمى المنازل التي ذكرها الله في كتابه، فقال: ﴿وَالْقَمَرُ قَدْرَاهُ مَنَازِلُ﴾² يعني في سيره، ينزل كل ليلة منزلة منها إلى أن ينتهي إلى آخرها، ثم يدور دورة أخرى ﴿لَتَعْلَمُوا﴾ بسيره وسير الشمس فيها والخمس ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾³ وكل شيء فصله الحق لنا تفصيلاً، فأسكن في هذه المنازل هذه الملائكة، وهم حجاب أولئك الولاة الذين في الفلك الأقصى.

ثم إن الله تعالى أمر هؤلاء الولاة، أن يجعلوا نواباً لهم، وتنبأ في السماوات السبع، في كل سماء نقيباً، كالخارج لهم، ينظر في مصالح العالم العنصري، بما يلقون إليهم هؤلاء الولاة ويأمرهم به، وهو قوله: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁴ فجعل الله أجسام هذه الكواكب النقباء، أجساماً نيرة مستديرة، ونفخ فيها أرواحها، وأنزلها في السماوات السبع، في كل سماء واحد منهم، وقال لهم: قد جعلتكم

1 ص 116

2 ص 116 ب

3 [يس : 39]

4 [يونس : 5]

5 [صلت : 12]

تستخرجون ما عند هؤلاء الاثني عشر واليا بواسطة الحجاب الذين هم ثمانية وعشرون، كما يأخذ أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ.

ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء السبعة النقباء، فلما يسبح فيه، هو له كالجواد للراكب. وهكذا الحجاب لم أفلاك يسبحون فيها، إذ كان لهم التصرف في حوادث العالم والاستشراق عليه، ولهم سدة وأعوان يزيرون¹ على الألف، وأعطاهم الله مراكب سماها أفلاك، فهم أيضا يسبحون فيها وهي تدور بهم على المملكة في كل يوم مرة، فلا يفوتهم من المملكة شيء أصلا من ملك السماوات والأرض. فيدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدة كلهم في خدمة هؤلاء الولاة، والكل مسخرون في حقنا، إذ كنا المقصود من العالم، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾² وأنزل الله في التوراة: "يا ابن آدم؛ خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي".

وهكذا ينبغي أن يكون الملك يستشرف كل يوم على أحوال أهل ملكه، يقول تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾³ لأنه يسأله من في السماوات والأرض بلسان حال ولسان مقال: ﴿وَلَا يَتُودُّهُ﴾ حفظ العالم ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁴ فما له شغل إلا بها. يقول تعالى: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾⁵ ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ يَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾⁶.

ولولا وجود الملك ما سُمي الملك ملكا، فحفظه لملكه حفظه لبقاء اسم الملك عليه. وإن كان كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾⁷ فما جاء باسم الملك. فإن أسماء الإضافة لا تكون إلا بالمضاف. فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته، ولا يمشي بالعدل فيهم، ولا يعاملهم بالإحسان الذي يليق بهم؛ فقد عزل نفسه في نفس الأمر.

يقول الفقهاء: "إن الحاكم إذا فسق أو جار فقد انعزل شرعا" ولكن عندنا: انعزل شرعا فيما فسق فيه خاصة، لأنه ما حكم بما شرع له أن يحكم به. فقد أثبتهم رسول الله ﷺ ولاة مع جورهم فقال ﷺ: "فإن عدلوا فلکم ولهم وإن جاروا فلکم وعليهم" ونهى أن تُخرج يدا من طاعة⁸، وما خص بذلك

واليا من وال. فلذلك زدنا "في عزله شرعا" إنما ذلك فيما فسق فيه.

فالمملك مأمور أن يحفظ نفسه من الخروج مما حد له من الأحكام في رعاياه وفي نفسه، فإنه وال على نفسه «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» فالإنسان راع على نفسه فما زاد. ولذلك قال ﷺ: «إن لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا» الحديث. فمن لم يَف لمن بايعه بما بايعه عليه، فقد عزل نفسه وليس بمملك، وإن كان حاكما. فما كل حاكم يكون سلطانا؛ فإن السلطان من تكون له الحجة لا عليه.

ولهذا جعل الله الأفلاك تدور علينا كل يوم دورة لتتغير الولاة ما تدعو حاجة الخلق إليهم، فيستدعون الخلل وينفذون أحكام الله من كونه مريدا في خلقه لا من كونه آمرا. فينفذون أحكامه التي أمرهم سبحانه أن ينفذوها فيهم وهو القضاء والقدر في أزمان مختلفة - ف«كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس» ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾¹ في اللوح المحفوظ، فما فيه إلا ما يقع. ولا ينفذ هؤلاء الولاة في العالم إلا ما فيه، والله على كل شيء رقيب.

ومع هذا كله فإن الله له مع كل واحد من المملكة³ أمر خاص في نفسه، يعلمه الولاة والحجاب والنقباء. فهم لا يفقدون مشاهدة ذلك الوجه، ذلك ليعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁴ وأنه رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾⁵ و﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾⁶.

ولما جعل الله زمام هذه الأمور بأيدي هؤلاء الجماعة من الملائكة، وأقعد من أقعد منهم في برجه، ومسكنه الذي فيه تخت ملكه، وأنزل من أنزل من الحجاب والنقباء إلى منازلهم في مساكنهم، وجعل في كل سماء ملائكة مسخرة تحت أيدي هؤلاء الولاة، وجعل تسخيرهم على طبقات: فمنهم أهل العروج بالليل والنهار من الحق إلينا، ومنا إلى الحق في كل صباح ومساء، وما يقولون إلا خيرا في حقنا. ومنهم المستغفرون لمن في الأرض، ومنهم المستغفرون للمؤمنين، لغلبة الغيرة الإلهية عليهم، كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن في الأرض. ومنهم الموكلون بإيصال الشرائع، ومنهم أيضا الموكلون باللمات، ومنهم الموكلون بالإلهام، وهم الموصولون العلوم إلى القلوب. ومنهم الموكلون بالأرحام، ومنهم الموكلون بتصوير ما يكون الله في الأرحام، ومنهم الموكلون بنفخ الأرواح، ومنهم الموكلون بالأرزاق، ومنهم الموكلون بالأمطار؛ ولذلك

1 ص 118

2 [الفر: 53]

3 ق: "الملائكة" وصحت في الهامش: "المملكة".

4 [الطلاق: 12]

5 [الرعد: 33]

6 [صلت: 54]

7 ص 118 ب

1 ص 117

2 [الحج: 13]

3 [الرحمن: 29]

4 [البقرة: 255]

5 [السجدة: 5]

6 [الرعد: 2]

7 [آل عمران: 97]

8 ص 117 ب

9 "ونهى طاعة" ناهية في الهامش بقلم الأصل.

قالوا: ﴿وَمَا مِثْلُ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾¹.

وما من حادث يُحدث الله في العالم، إلا وقد وُكِّلَ الله بإجرائه ملائكة، ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة. كما منهم أيضا الصافات، والزاجرات، والتاليات، والمقسمات، والمرسلات، والناشرات، والنازعات، والناشطات، والسابقات، والساجات، والمُلقيات، والمدبرات. ومع هذا فما يزالون تحت سلطان هؤلاء الولاة، إلا الأرواح المهمة فهم خصائص الله، ومن دونهم فإنهم ينفذون أوامر الله في خلقه. ثم إن العامة ما تشاهد إلا منازلهم، والخاصة يشهدونهم في منازلهم، كما، أيضا، تشاهد العامة أجرام الكواكب ولا تشاهد أعيان الحجاب ولا النقباء.

وجعل الله في العالم العنصري خلقا من جنسهم؛ فمنهم² الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة أمور العالم. وجعل الله بين أرواح هؤلاء الذين جعلهم الله ولاة في الأرض من أهلها، بينهم وبين هؤلاء الولاة في الأفلاك مناسبات ورفاق تمتد إليهم من هؤلاء الولاة بالعدل، مطهرة من الشوائب، مقدسة عن العيوب. فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الأرضيين³ منهم بحسب استعداداتهم: فمن كان استعداده قويا حسنا، قبل ذلك الأمر على صورته طاهرا مطهرا، فكان والي عذلي وإمام فضل. ومن كان استعداده رديئا، قبل ذلك الأمر الطاهر، وردّه إلى شكله من الرداءة والفسح، فكان والي جور ونائب ظلم وبخل؛ فلا يلومن إلا نفسه.

فقد أُنْتُ لك سلطنة العالم العلوي على العالم السفلي، وكيف رتب الله ملكه هذا الترتيب العجيب. وما ذكرنا من ذلك إلا الأمهات لا غير، يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁴ وقال: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيْنِهِنَّ﴾⁵ ويكفي هذا القدر من هذا الباب، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

وفي كتاب "التنزيلات الموصليّة" ذكرنا حديث هؤلاء الولاة والنواب والحجاب، وما ولاهم الله عليه من التأثير في العالم العنصري الروحاني، من ذلك ما تعرضنا لما تعطيه من الطبيعة والأمور البدئية، وتكلمنا فيها على كل ما ذكرناه منفصلا في باب يوم الأحد، وهو باب الإمام. وبيننا ما بيد كل نائب من السبعة النقباء في باب يوم الأحد وسائر الأيام إلى يوم السبت، وبيننا مقامات أرواح الأنبياء عليهم

1 [الصافات : 164]

2 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

1193

4 [فصلت : 12]

5 [الطلاق : 12]

6 [الأحزاب : 4]

السلام- في ذلك، وجعلنا هذه الألقاب الروحانية لأرواح الأنبياء عليهم السلام، وبيننا مراتبهم⁷ في الرؤية والحجاب يوم القيامة، وما يتكلمون به في أتباعهم من أهل السعادة والشقاء، وذلك منه في باب يوم الاثنين بلسان آدم وترجمة القمر، وجاء بدبعا في شأنه. والله المؤيد والموفق لا رب غيره.

الباب الحادي والستون في معرفة جهنم، وأعظم المخلوقات فيها عذابا، ومعرفة بعض العالم العلوي

إِنَّ السَّمَاءَ تَقُودُ زُلْفًا مِثْلَ مَا
هَذَا لِيُنْصِفَكَ الْمُقِيمُ بِأَرْضِهَا
فَأَشَدُّ خَلْقِ اللَّهِ أَلَمًا بِهَا
تَكْسُوهُ حُلَّةٌ نَارِهِ مِنْ نُورِهَا
كَأَنَّهُ وَأَنْجُمُهَا يَزُولُ ضِيَاؤُهَا
وَعَلَيْهِ قَامَ عِمَادُهَا وَبَنَازُهَا
مَنْ كَانَ مِنْهَا خَلْقُهُ، فَسَمَاؤُهَا
فَإِذَاكَ يَعْظُمُ فِي الثُّفُوسِ بِلَاؤُهَا

اعلم عصمتنا الله وإياك - أن جهنم من أعظم المخلوقات، وهي ¹ سجن الله في الآخرة، يُسَجَرُ فيه المعتلة والمشركون، وهي لهاتين الطائفتين دار مقامه، والكافرون والمنافقون وأهل الكبائر من المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ² ثم يخرج بالشفاعة من ذكرنا، وبالايمان الإلهي من جاء النص الإلهي فيه.

وُسْمِيَتْ جَهَنَّمُ جَهَنَّمُ، لِيُعْدَّ قَعْرُهَا. يقال: بئر جَهَنَّم؛ إذا كانت بعيدة التعر. وهي تحوي على حرور وزمهرير؛ ففيها البرد على أقصى درجاته، والحرور على أقصى درجاته. وبين أعلاها وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين.

واختلف الناس في خلقها؛ هل خُلِقَتْ بَعْدَ أَمٍّ لَمْ تُخْلَقْ؟ والخلاف مشهور فيها. وكل واحد من الطائفتين يحتاج فيما ذهب إليه بما يراه حجة عنده، وكذلك اختلفوا في الجنة. وأما عندنا وعند أصحابنا أهل الكشف والتعريف؛ فهي مخلوقتان غير مخلوقتين.

فَأَمَّا قَوْلُنَا: مخلوقة؛ فمكرجل أراد أن يبني دارا، فأقام حيطانها كلها، الحاوية عليها خاصة. فيقال قد بنى دارا، فإذا دخلها لم ير إلا سورا، دائرا على فضاء وساحة. ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها، من بيوت وغرف وسرايب وممالك ومخازن، وما ينبغي أن يكون فيها مما يريده الساكن، أن ³ يجعل فيها من الآلات التي تستعمل في عذاب الداخل فيها.

1 ص 120
2 [الإسراء: 8]
3 ص 120 ب

وهي دائر، حرورها هواء محترق، لا جمر لها سوى بني آدم، والأججار المتخذة آلهة. والجنُّ لَهَا. قال - تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِجَارَةُ﴾ ¹ وقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ² وقال تعالى: ﴿فَكُنْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ. وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ ³ وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجن والإنس الذين يدخلونها.

وأوجدها الله بطالع الثور، ولذلك كان خَلْقُهَا في الصورة، صورة الجاموس، سواء. هذا الذي يعول عليه عندنا، وهذه الصورة رآها أبو الحكم بن بَرْجَان في كشفه. وقد تُثَمِّلُ لبعض الناس من أهل الكشف، في صورة حية، فيتخيل أن تلك الصورة هي التي خلقها الله عليها، كأبي القاسم بن قسي وأمثاله.

ولمَّا خلقها الله تعالى - كان زحل في الثور، وكانت الشمس والأحر في الثور، وكان سائر البراري في الجدي، وخلقها الله تعالى - من تجلّي قوله في حديث مسلم: «جَعْتُ فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقي، ومرضت فلم تُعْذِنِي» وهذا أعظم نزول نزله الحق إلى عباده في اللطف بهم. فمن هذه الحقيقة خُلِقَتْ جَهَنَّمُ، أعادنا الله وإياكم منها. فلذلك تجبرث على الجبابة وقصمت المتكبرين.

وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدونها، الداخلون فيها، فمن صفة الغضب الإلهي. ولا يكون ذلك إلا عند دخول الخلق فيها من الجن والإنس متى دخلوها. وأما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها، فلا ألم فيها في نفسها، ولا في نفس ملائكتها، بل هي ومن فيها من زبانتها في رحمة الله، منغمسون ملتذون يسبحون لا يفترون، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَخْلُ عَيْنِي غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ ⁴ أي ينزل بكم غضبي. فأضاف الغضب إليه، وإذا نزل بهم كانوا محلا له. وجهنم إنما هي مكان لهم، وهم النازلون فيها، وهم محل الغضب، وهو النازل بهم. فإن الغضب هنا، هو عين الألم.

فمن لا معرفة له ممن يدعي طريقتنا، ويريد أن يأخذ الأمر بالتمثيل والقوة والمناسبة في الصفات، فيقول: إن جهنم مخلوقة من القهر الإلهي، وإن الاسم القاهر هو ربها، والمتجلى لها. ولو كان الأمر كما قاله، لَشَغَلَهَا ذلك بنفسها، عما وجدت له من التسلط على الجبابة، ولم يتمكن لها أن تقول: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ⁵ ولا أن تقول: «أكل بعضي بعضا». فنزول الحق برحمته إليها التي ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ⁶ وحنانه، وَسَّعَ لها

1 [البقرة: 24]
2 [الأنبياء: 98]
3 [الشعراء: 94، 95]
4 ص 121
5 [طه: 81]
6 [لق: 30]
7 [الأعراف: 156]

الجال في الدعوى، والتسلط على من تجبر على من أحسن إليها هذا الإحسان. وجميع ما تفعله بالكفار من باب شكر المنعم، حيث أنعم عليها. فما تعرف منه سبحانه - إلا النعمة المطلقة التي لا يشوبها ما يقابلها. فالناس غالطون في شأن خلقها.

ومن أعجب ما روي عن رسول الله ﷺ: «أن رسول الله ﷺ كان قاعدا مع أصحابه في المسجد، فسمعوا هذه عظمة، فارتاعوا. فقال رسول الله ﷺ: أتعرفون ما هذه الهدّة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: حَجَرٌ أُلْتِي مِنْ أَعْلَى جَهَنَّمَ مِنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، الْآنَ وَصَلَ إِلَى قَعْرِهَا، فَكَانَ وَصُولُهُ إِلَى قَعْرِهَا وَسُقُوطُهُ فِيهَا هَذِهِ الْهَدَّةُ».

فما فرغ من كلامه ﷺ إلا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات، وكان عمره سبعين سنة. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر»؛ فلم علماء الصحابة، أن هذا الحجر هو ذاك المنافق، وأنه منذ خلقه الله يهوي في نار جهنم، وبلغ عمره سبعين سنة، فلما مات حصل في قعرها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾² فكان سماعهم تلك الهدّة التي أسمعوها الله ليعتبروا. فانظر ما أعجب كلام النبوة!، وما ألطف تعريفه، وما أحسن إشارته، وما أعذب كلامه ﷺ.

ولقد سألت الله أن يمثل لي من شأنها ما شاء، فمثل لي حالة خصام فيها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاضِعُ أَهْلُ النَّارِ﴾³ وقوله تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ. تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁴ لصلالهم والتهيم⁵ ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾⁶ وهم أهل النار الذين هم أهلها، الذين يقول الله فيهم: ﴿وَأَمَّا نَارُ الْيَوْمِ أَمْهَا الْمُجْرِمُونَ﴾⁷ يريد بالمجرمين؛ أهل النار الذين يعمرونها، ولا يخرجون منها. يمتازون عن الذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين، وسابق العناية الإلهية في الموحدين.

فهذا مثل لي في وقت منها، فما شبّهت خصام فيها إلا كخصام أصحاب الخلاف في مناظرتهم، إذا استدلّ أحدهم. فإذا رأيت ذلك تذكرت الحالة التي أطلعني الله عليها، ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقّي من النبوة، والوقوف عند الكتاب والسنة. ولقد عمي الناس عن قوله ﷺ: «عند نبي لا ينبغي تنازع»، وحضور حديثه ﷺ كحضوره، لا ينبغي أن يكون عند إيراده تنازع، ولا يرفع السامع صوته عند

1 ص 121 ب
2 [النساء : 145]
3 [ص : 64]
4 [الشعراء : 96، 97]
5 ص 122
6 [الشعراء : 98، 99]
7 [يس : 59]
8 من س، ه فقط

سرد الحديث النبوي، فإن الله يقول: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾¹ ولا فرق عند أهل الله بين صوت النبي، أو حكاية قوله.

فما لنا إلا التهيؤ لقبول ما يرد به الحديث من كلام النبوة من غير جدال، سواء كان ذلك الحديث جوابا عن سؤال أو ابتداء كلام؛ فالوقوف عند كلامه في المسألة أو في النازلة واجب². فمتى ما قيل: قال الله، أو قال رسول الله ﷺ ينبغي أن يقبل ويتأدّب السامع، ولا يرفع صوته على صوت الحديث إذا³ قال ما قال الله، أو سرد الحديث عن رسول الله ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿فَأَجْزُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾⁴ وما تلاه إلا رسول الله ﷺ وما سمعه السامع إلا منه. ثم إذا شاركه السامع في حال كلامه، فهو⁵ ليس بسامع، فإنه من الآداب التي أدب الله نبيه ﷺ قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾⁶ والله يقول: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾⁷ وتوعد على ذلك بحبط العمل من حيث لا يشعر الإنسان، فإنه يتخيل في زده وخصامه، أنه يذب عن دين الله. وهذا من مكر الله الذي قال فيه: ﴿سَلَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁸ وقال: ﴿وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁹.

فالعاقل المؤمن الناصح نفسه، إذا سمع من يقول، قال الله تعالى: -، أو قال رسول الله ﷺ فلينصت، ويضع ويتأدّب ويتفهم ما قال الله أو ما قال رسوله ﷺ. يقول الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹⁰، فأوقع الترجي مع هذه الصفة، وما قطع بالرحمة. فكيف حال من خاصم ورفع صوته، وداخل التالي وسارد الحديث النبوي في الكلام. وأرجو أن يكون الترجي الإلهي واجبا، كما يراه العلماء.

(رويا غيبية واكتشافات علمية):
ولما عاينت هذا الحل رأيت عجا؛ وفي هذه الرؤية¹¹، رأيت اعتداد الماء على الهواء، وهو من أعجب

1 [الحجرات : 2]
2 من ه فقط
3 ص 122 ب
4 [التوبة : 6]
5 من ه فقط
6 [طه : 114]
7 [الحجرات : 2]
8 [الأعراف : 182]
9 [الغل : 50]
10 [الأعراف : 204]
11 ص 123

الأشياء في عمارة الأحياز. وأن جوهري لا يكونان في حيز واحد. وأن الحيز لمن شغله. وفي هذه الرؤية علمت إبطال التوالد، وأن الخرك للأشياء هو الله تعالى، وأن السبب لا أثر له في الفعل جملة واحدة. وفي هذه الرؤية علمت أن الأطف أقوى من الأكثف، فإن الهواء أطف من الماء بلا شك، وقد منعه، ولم يقاومه الماء في القوة، ومنعه من النزول. فلن رأيت نفسي في الهواء والماء فوق، ومنعه الهواء من النزول إلى الأرض. وفي هذه الرؤية علمت علوما جمّة كثيرة.

وفي هذه الرؤية، رأيت من دركات أهل النار، من كونها جحّم لا من كونها نارا، ما شاء الله أن يطلعني منها. ورأيت فيها موضعا يستقى المظلمة، نزلت في درجه نحو خمسة أدرج، ورأيت محالها، ثم رُجّ بي في الماء علوا فاخترقته، وقد رأيت عجبا. وعلمت في أحوال مخاصمتهم، حيث يختصمون من الجحيم، وأن ذلك الخصام هو نفس عذابهم في تلك الحال، وأن عذابهم في جحّم ما هو من جحّم، وإنما جحّم دار سكنهم وسجنهم، والله يخلق الآلام فيهم متى شاء، فعذابهم من الله وهم محلّ له.

وخلق الله لجحّم ^١ (سبعة أبواب لكل باب منهم جزء) من العالم ومن العذاب (مقسوم) ^٢ وهذه الأبواب السبعة مفتحة، وفيها باب ثامن مغلق لا يفتح، وهو باب الحجاب عن رؤية الله تعالى. وعلى كل باب ملك من الملائكة؛ ملائكة السماوات السبع، عرفت أسماءهم هنالك، وذهبت عن حفظي إلا إسماعيل، فهو بقي على ذكرى.

وأما الكواكب كلّها، فهي في جحّم مظلمة الأجرام، عظيمة الخلق. وكذلك الشمس والقمر، والطلوع والغروب لهما في جحّم دائما. فشمسها شارقة لا مشرقة، والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار من الكائنات، وما تغير فيها من الصور، في التبديل والانتثار، ولهذا قال تعالى: ^٣ (النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) والحالة مستمرة. ففي البرزخ يكون الغرض، وفي الدار الآخرة يكون الدخول.

فدوات الكواكب فيها صورتها صورة الكسوف عندنا سواء. غير أن وزن تلك الحركات في تلك الدار خلاف ميزانها اليوم. فإن كسوفها ما ينجلي، وهو كسوف في ذاتها لا في أعيننا، والهواء فيها فيه تطفيف، فيحول بين الأبصار وبين إدراك الأنوار كلّها. فتبصر - الأعين الكواكب المنتثرة، غير نيرة الأجرام. كما نعلم قطعا أن الشمس هنا في ذاتها نيرة، وأن الحجاب القمري هو الذي منع البصر - أن يدركها أو يدرك نور القمر أو ما كان مكسوبا. ولهذا في زمان كسوف شيء منها في موضع يكون في موضع آخر أكثر من ^٤

١ [الخجر : 44]
٢ ص 123
٣ [غافر : 46]
٤ ص 124

ذلك، وفي موضع آخر لا يكون منه شيء.

فلما اختلفت الأبصار في إدراك ذلك لاختلاف الأماكن، علمنا قطعا أن ثم أمرا عارضا عرض في الطريق، حال بين البصر وبينها، أو بين نورها، كالقمر يحول بينك وبين إدراك جرم الشمس، وظل الأرض يحول بينك وبين نور القمر، لا بينك وبين جرمه، مثل ما حال القمر بينك وبين جرم الشمس، وذلك بحسب ما يكون منك وتكون منه. وهكذا سائر الكواكب ^١ (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) كما أن أكثر الناس لا يؤمنون. فإن ذلك الكسوف كلّ على اختلاف أنواعه خشوع من المكسوف عن تجلّ الهي حصل له.

وخذ جحّم، بعد الفراغ من الحساب، ودخول أهل الجنة الجنة من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين. فهذا كلّ يزيد في جحّم، مما هو الآن ليس مخلوقا فيها، ولكن ذلك معدّ حتى يظهر. إلا الأماكن التي قد عتيها الله من الأرض فإنها ترجع إلى الجنة يوم القيامة، مثل الروضة التي بين منبر رسول الله ﷺ وبين قبره ﷺ، وكل مكان عتيه الشارع، وكل نهر، فإن ذلك كلّ يصير إلى الجنة، وما بقي فيعود نارا كلّ، وهو من جحّم.

ولهذا كان يقول عبد الله بن عمر، إذا رأى البحر، يقول: "يا بحر؛ متى تعود نارا؟"، وقال تعالى: ^٢ (وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ) أي ^٣ أُجِّجَتْ نارا، من سُجِّرَتْ التتور؛ إذا أوقدته. وكان ابن عمر يكره الوضوء بماء البحر، ويقول: التيم أعجب إليّ منه.

ولو كشف الله عن أبصار الخلق اليوم، لرأوه يتأجج نارا. ولكن الله يظهر ما يشاء ويخفي ما يشاء، لنعلم ^٤ (أن الله على كل شيء قدير) وأن الله قد أحاط بكل شيء علما. وأكثر ما يجري هذا لأهل الورع، فيرى الطعام الحرام صاحب الورع، المحفوظ - خنزيرا، أو عذرة، والشراب خمرًا، لا يشكّ فيها يراه. ويراه جليسه قُرصة خبز طيبة، ويرى الشراب ماء عذبا.

فيا ليت شعري من هو صاحب الحسّ الصحيح من صاحب الخيال؟ هل الذي أدرك الحكم الشرعي صورة؟ أو هل الذي أدرك المحسوس في العادة على حاله؟ وهذا مما يقوي مذهب المعتزلة، في أن التبيخ قبّح لنفسه، والحسن حسن لنفسه، وأن الإدراك

١ [غافر : 57]
٢ [التكوير : 6]
٣ ص 124
٤ [الطلاق : 12]

الصحيح إنما هو لمن أدرك الشراب الحرام خمرًا. فلو لا أنه قبيح لنفسه، ما صحَّ هذا الكشف لصاحبه. ولو كان فعله عين تعلُّق الخطاب بالحرمة والقبح، ما ظهر ذلك الطعام خنزيرًا، فإنَّ الفعل ما وقع من المكلف فإنَّ الله أظهر له صورته، وأنه قبيح حتى لا يُقَدِّم على أكله، وهذا بعينه يُتَصَوَّر فيمن يدركه طعاما على حاله في العادة، ولكن هذا أحقُّ في الشرع.

فيعلم قطعاً أنَّ الذي يراه طعاما على عادته، قد¹ حيل بينه وبين حقيقة حكم الشرع فيه بالقبح. ولو كان الشيء قبيحا بالتقبيح الوضعي، لم يصدق قول الشارع في الإخبار عنه أنه قبيح أو حسن. فإنه خبر بالشيء على خلاف ما هو عليه. فإنَّ الأحكام أخبارٌ بلا شكٍّ، عند كلِّ عاقل عارف بالكلام. فإنَّ الله أخبرنا أنَّ هذا حرام وهذا حلال، ولذا قال تعالى - في ذمِّ مَنْ قال عن الله ما لم يقل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾² فإنه ألحق الحكم بالخبر، لأنه خبر بلا شكٍّ.

إلا أنه ليس في قوة البشر - في أكثر الأشياء، إدراك قبح الأشياء ولا حُسْنِهَا. فإذا عَرَفْنَا الحقَّ بها عرفناها، ومنها ما يُدْرِك قُبْحُهُ عقلا، في عَرَفْنَا مثل الكذب وكفر المنعم - وحُسْنُهُ عقلا: مثل الصدق وشكر المنعم.

وكون الإثم يتعلَّق ببعض أنواع الصدق، والأجر يتعلَّق ببعض أنواع الكذب، فذلك الله؛ يعطي الأجر على ما شاءه من قبح وحسن. ولا يدلُّ ذلك على حسن الشيء ولا قبحه. الكذب في نَجَاةِ مؤمنٍ من هلاكٍ يُوجِرُ عليه الإنسان، وإن كان الكذب قبيحا في ذاته. والصدق، كالغيبة يَأْثُمُ بها الإنسان، وإن كان الصدق حسنا في ذاته. فذلك أمر شرعي يعطي فضله مَنْ شاء، ويمنعه مَنْ شاء، كما قال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾³.

واعلم⁴ أنَّ أشدَّ الخلق عذابا في النار إبليس الذي سنَّ الشرك، وكلَّ مخالفة. وسبب ذلك أنه مخلوق من النار، فعذابه بما خُلِقَ منه.

ألا ترى النَّفْسَ؛ به تكون حياة الجسم الحساس، فإذا مُنِعَ بالشَّنَقِ أو الخنق خروج ذلك النَّفْسِ، انعكس راجعا إلى القلب، فأحرقه من ساعته، فهلك لحينه. فبالنَّفْسِ كانت حياته وبه كان هلاكه، وهلاكه

1 ص 125
2 [النحل: 116]
3 [البقرة: 105]
4 ص 125 ب

على الحقيقة بالنَّفْسِ من كونه متنفسا لا من كونه ذا نَفْسٍ، ولا من كونه متنفسا فقط بل من كونه يجذب بالقوة الجاذبة نَفْسَ الهواء البارد إلى قلبه، ويخرج بالقوة الدافعة النَّفْسَ الحارَّ المحرق من قلبه، فسبب هذه الأحوال بها تكون حياته.

فإنَّ الذي يُرمَى في النار هو متنفس، ولكن لا يخلو من أحد الوجهين: إمَّا أنه لا يتنفس في النار، فتكون حالته حالة المشنوق، الذي يخنق بالحبل، فيقتله نَفْسُهُ. وإمَّا أن يتنفس، فيجذب بالقوة الجاذبة هواء ناريا محرقا، إذا وصل إلى قلبه أحرقه. فلهذا قلنا في سبب الحياة، هذه الأمور كلها.

فعذاب إبليس في جهنم بما فيها من الزمير، فإنه يقابل النار الذي هو أصل نشأة إبليس، فيكون عذابه بالزمير، وبما هو نار مركبة. ففيه من ركن الهواء والماء والتراب. فلا بدَّ أن يتعذب بالنار على قدر مخصوص. وعامة عذابه بما يناقض ما هو الغالب عليه¹ في أصل خلقه. والنار ناران: نار جسيمة وهي المسالطة على إحساسه وحيوانيته وظاهر جسمه وباطنه. ونار معنوية: وهي التي تطلع على الأفتدة، وبها يتعذب روحه المدبر لهيكله، الذي أُمِرَ فعصى. فخالفت عذبتُهُ، وهي عين جملته بمن استكبر عليه.

فلا عذاب على الأرواح أشدَّ من الجهل، فإنه عُتِبَ كَلَمَةً. ولهذا سميَّ "يوم التغابن" يريد يوم عذاب النفوس، فيقول: ﴿يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾²، وهو "يوم الحسرة" يقول: يوم الكشف، من حَسَرْتُ عن الشيء إذا كشفت عنه، فكأنه يقول: يا ليتني حسرتُ عن هذا الأمر في الدنيا، فأكون على بصيرة من أمري، فيغتنب في نفسه.

والتغابن يدرك في ذلك اليوم الكلُّ: الطائع والعاصي. فالطائع يقول: يا ليتني بذلت جهدي، ووفيت حقَّ استطاعتي، وتديرتُ كلام ربِّي، فعملت بمقتضاه. مع كونه سعيدا. والمخالف يقول: يا ليتني لم أخالف ربِّي، فيما أمرني به ونهاني. فذلك يوم التغابن. وسيأتي هذا في باب يوم القيامة إن شاء الله.

ولمَّا أعلمناك بمرتبة النَّفْسِ والتنفس، إمَّا جننا به لتعلم أنَّ جهنم، لمَّا اختصَّ بآلام أهلها صفة الغضب الإلهي، واختصَّ بوجودها التنزل الرحاني الإلهي، وجاء في الخبر الصحيح: «نفس الرحمن» مشعرا بصفة الغضب، فكان التنفس ملحقا³ صفة الغضب بمن حلَّ به. ولهذا لمَّا أتى: «نفس الرحمن من قبل اليمن» حلَّ الغضب الإلهي بالكفار بالقتل والسيوف الذي أوقع بهم الأنصار، فنفس الله بذلك عن دينه ونيته ﷺ فإنَّ ذا الغضب، إذا وَجَدَ على مَنْ يرسل غضبه، تنفس عنه ما يجده من ألم الغضب.

وأكل الصورة في محمد ﷺ فقام به على الكفار، لأجل ردِّهم كلمة الله، صفة الغضب. فنفس الرحمن

1 ص 126
2 [الزمر: 56]
3 ص 126 ب

عنه بما أمره به من السيف، ونفس عنه بأصحابه وأنصاره، فوجد الراحة. فإنه وجد حيث يرسل غضبه. فافهم من هذا آلام أهل النار، والصورة الحجابية المحمدية على الغضب الإلهي على أعداء الله، وأن الآلام أرسلت على الأعداء فقامت بهم، ونفس الله عن دينه وهو أمره وكلامه، وهو عين عليه في خلقه، وعلمه ذاته، جلّ وتعالى. وقد بينا لك أمر جحّم من حيث ما هي دار؛ فلنبيّن إن شاء الله - في الباب الذي يلي هذا الباب، مراتب أهل النار.

ثم اعلم أن الله قد جعل فيها مائة درك، في مقابلة درج الجنة. ولكل درك قوم مخصوصون، لهم من الغضب الإلهي الحال بهم، آلام مخصوصة. وإن المتوّلّي عذابهم من الولاة الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا من هذا الكتاب: القائم، والإقليد، والحامد¹، والنائب²، والسادن، والجابر. فهؤلاء الأملاك من الولاة، هم الذين يرسلون عليهم العذاب، بإذن الله تعالى. ومالك هو الخازن. وأما بقية الولاة مع هؤلاء الذين ذكرناهم، وهم: الخائر، والسائق، والماتخ، والعاذل، والدائم، والحافظ.

فإن جميعهم يكونون مع أهل الجنان، وخازن الجنان: رضوان. وإمدادهم³ إلى أهل النار مثل إمدادهم إلى أهل الجنة. فإنهم يمدّونهم بحقائقهم. وحقائقهم لا تختلف. فتقبل كل طائفة من أهل الدارين منهم بحسب ما تعطيههم نشأتهم، فيقع العذاب بما به يقع النعيم، من أجل المحل، كما قلنا في المبرود: إنه يتنعم بحر الشمس، والحرور يتعذب بحر الشمس. فنفس ما وقع به النعيم، به عينه وقع به الألم عند الآخر.

فالله ينشئنا نشأة النعماء، كما قال تعالى - في حق الأبرار: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾⁴ أي هم في خلقهم على هذه الصفة، ونشأة أهل النار تخالف نشأة أهل الجنان. فإن نشأة الجنة إنما هو من الحق - سبحانه - على أيدي الولاة خاصة، ونشأة أهل النار على أيدي الولاة والحجاب والنباء والسدنة على كثرتهم، فإنه لا يحصي عددهم إلا الله. ولكل ملك منهم في هذه النشأة الدنياوية ونشأة النار ونشأة أهلها حكم معطاه الله في ذلك، فهم كالنحلة في المملكة، وإنشاء الدار المبنية. وسيأتي إن شاء الله - ذكر⁵ الجنة وما فيها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁶.

الباب الثاني والستون في مراتب أهل النار

وَلَيْسَ فِيهَا اخْتِصَاصَاتٌ وَإِنِّجَارُ
fulfil
بُشْرَى وَإِنْ عَذَّبُوا فِيهَا بِمَا حَازُوا
تَعَذَّبُوا فَلَهُمْ ذُلٌّ وَإِعْزَازُ
وِعِزُّهُمْ مَا لَهُ حَدٌّ إِذَا جَازُوا
مُحَقِّقٍ فِي عُلُومِ الزَّهَبِ، إِنِّجَارُ
فِيهِ لَطَائِفُ آيَاتٍ وَإِنِّجَارُ
يَا أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ الْيَوْمَ، فامْتِازُوا
وَلْيُسْهِمُوا عِنْدَ أَهْلِ الْكَشْفِ أَخْزَارُ²
silk
كَأَنَّهُمْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ: إِنِّجَارُ³
trunk
54:20

مَرَاتِبُ النَّارِ بِالْأَعْمَالِ تَقْتَضِرُ
يُوزَنُ "أَفْعَالٌ" قَدْ جَاءَ الْعَذَابُ لَهُ
لَا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ خَرَجُوا
فَذَلُّهُمْ كَوْنُهُمْ فِي النَّارِ مَا يَرْخُوا
continue
فِي قَوْلِنَا، إِنْ تَأَمَّلْتُمْ لِإِذِي نَظَرٍ
فِيهِ اخْتِصَارٌ بَدِيعٌ لِنُظْمِهِ حَسَنٌ
قَالَ الْجَلِيلُ لِأَهْلِ الْحَقِّ يَنْبَغُهُمْ
مِثْلُ¹ الْمُلُوكِ تَرَاهُمْ فِي نَعِيمِهِمْ
وَمِنْ جُسُومِهِمْ فِي النَّارِ تَحْسِبُهُمْ

قولنا "بوزن أفعال" أريد قوله تعالى: ﴿لَا يَبْتَغِي فِيهَا أَجْزَارًا﴾⁴ وهو من أوزان جمع القلة، فإن أوزان جمع القلة أربعة: أفعل مثل أكلب، وأفعل مثل أحقاب، وفعل مثل فنية، وأفعل مثل أحرة. وجمع ذلك بعض الأدباء في بيت من الشعر قال:

بِأَفْعَلٍ وَأَفْعَالٍ وَأَفْعَالَةٍ
وَفَعْلَةٍ يَجْمَعُ الْأَذَى مِنَ الْعَدَدِ
يقول الله تعالى - من كرمه لإبليس، وعموم رحمته، حين قال له: ﴿أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ يَأْخُزَنِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنْتَ بَكْرٌ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ بَعْدَكَ مِنْهُمْ فَلَنْ يَجْهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءَ مَوْفُورًا. وَاسْتَفْتَرَزَ مِنْ اسْتِطْلَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارَكَهُمْ فِي الْأُمُودِ وَالْأَوْلَادِ وَعِزَّهُمْ⁵ ﴿فَمَا جَاءَ إِبْلِيسَ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى - فَهُوَ أَمْرٌ إِلَهِيٌّ يَتَضَمَّنُ وَعِيدًا وَتَهْدِيدًا، وَكَانَ ابْتِلَاءً شَدِيدًا فِي حَقِّهَا، لِيرِيهِ تَعَالَى - أَنْ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ لَيْسَ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ وَلَا قُوَّةٌ.﴾

1 ص 128
2 أخزاز من الحز: الحزير
3 إشارة إلى الآية الكريمة: كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ نَغَلٌ مُنْتَجِرٌ [القمر: 20]
4 [النبا: 23]
5 [الإسراء: 62 - 64]

1 ص 127
2 ق، س: الحروف المعجمة محملة على نقطة تحت الحرف قبل الأخير في ق، ونقطة فوق الحرف الأخير في س. وما أثبتناه فن هـ.
3 ق: "وموادهم" ومقابلها في الهامش بقلم الأصل: "وإمدادهم".
4 [المطففين: 24]
5 ص 127 ب
6 [الأحزاب: 4]

ثم إن الذين خذلهم الله من العباد، جعلهم طائفتين: طائفة لا تضرهم الذنوب التي وقعت منهم، وهو قوله: ﴿وَاللَّهُ يَغْفِرُ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾² فلا تفسد النار بما تاب الله عليهم، واستغفار الملأ الأعلى لهم، ودعائه لهذه الطائفة. وطائفة أخرى ﴿أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾³ والذين أخذهم الله بذنوبهم، قسمهم بقسمين: قسم أخرجهم الله من النار بشفاعاة الشافعين، وهم أهل الكبائر من المؤمنين، وبالعبادة الإلهية؛ وهم أهل التوحيد بالنظر العقلي. وقسم آخر أبقاهم الله في النار.

وهذا القسم، هم أهل النار الذين هم أهلها. وهم المجرمون خاصة، الذين يقول الله فيهم: ﴿وَأَمَّا تَزُولُ الْيَوْمَ أُيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾⁴ أي المستحقون بأن يكونوا أهلًا لسكنى هذه الدار، التي هي جهنم يعمرونها، ممن يخرج منها إلى الدار الآخرة، التي هي الجنة.

وهؤلاء المجرمون أربع طوائف، كلها في النار لا يخرجون منها: وهم المتكبرون على الله، كفرعون وأمثاله من ادعى الربوبية لنفسه، ونفاها عن الله فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾⁵ وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁶ يريد أنه ما في السماء إله غيري، وكذلك غمروذ، وغيره.

والطائفة الثانية: المشركون، وهم الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر، فقالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾⁷ وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ﴾⁸.

والطائفة الثالثة المعطلة، وهم الذين نفوا الإله جملة واحدة، فلم يثبتوا إلهًا للعالم، ولا من العالم.

والطائفة الرابعة المنافقون، وهم الذين أظهروا الإسلام، من إحدى هؤلاء الطوائف الثلاث¹⁰، للتعهر الذي حكم عليهم، فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم، وهم في نفوسهم على ما هم عليه، من اعتقاد هؤلاء الطوائف الثلاث.

فهؤلاء أربعة أصناف، هم الذين هم أهل النار لا يخرجون منها، من جن وإنس. وإنما كانوا أربعة؛ لأن

1 ص 128 ب
2 [البقرة : 268]
3 [آل عمران : 11]
4 [يس : 59]
5 [التقصص : 38]
6 [الأنعام : 24]
7 [الزمر : 3]
8 [ص : 5]
9 ص 129
10 ق: "الثلاثة" ثم صححت.

الله تعالى - ذكر عن إبليس، أنه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شئنا. فيأتي للمشارك من بين يديه، ويأتي للمعطّل من خلفه، ويأتي إلى المتكبر من عن يمينه، ويأتي إلى المنافق من عن شماله، وهو الجانب الأضعف، فإنه أضعف الطوائف. كما أن الشمال أضعف من اليمين. وجعل المتكبر من اليمين لأنه محلّ القوة، فتكبر لقوته التي أحسها من نفسه. وجاء للمشارك من بين يديه، فإنه رأى، إذ كان بين يديه، جمّة غنيّة، فأثبت وجود الله، ولم يقدر على إنكاره، فجعله إبليس يشرك مع الله في ألوهيته. وجاء للمعطّل من خلفه؛ فإن الخلف ما هو محلّ النظر، فقال له: "ما شئ شيء" أي: ما في الوجود إله.

ثم قال الله تعالى - في جهنم: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾¹ فهذه أربع² مراتب لهم، من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم؛ وهي منازل عذابهم. فإذا ضربت الأربعة التي هي المراتب التي دخل عليهم منها إبليس، في السبعة الأبواب، كان الخارج ثمانية وعشرين منزلاً. وكذلك جعل الله المنازل التي قدرها الله للإنسان المفرد، وهو القمر وغيره من السيارة الخس الكس تسير فيها وتنزلها، لإيجاد الكائنات. فيكون عند هذا السير ما يتكوّن من الأفعال، في العالم العنصري. فإن هذه السيارة قد انحصرت في أربع طبائع، مضروبة في ذواتها، وهنّ سبعة. فخرج منها منازلها الثمانية والعشرون. ذلك بتقدير العزيز العليم، كما قال: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾³.

وكان مما ظهر عن هذا التسيير الإلهي في هذه الثمانية والعشرين، وجود ثمانية وعشرين حرفاً، ألف الله الكلمات منها، وظهر الكفر في العالم والإيمان، بأن تكلم كل شخص بما في نفسه من إيمان وكفر وكذب وصدق، لتقوم الحجة لله على عباده ظاهراً بما تلفظوا به، ووكل بهم ملائكة يكتبون ما تلفظوا به، قال - تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾⁴ وقال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁵.

فجعل منازل النار ثمانية وعشرين منزلاً. وجمع كلها مائة ذك، من أعلاها إلى أسفلها؛ نظائر دَرَج الجنة التي ينزل فيها السعداء. وفي كل ذك⁶ من هذه الدرجات ثمانية وعشرون منزلاً. فإذا ضربت ثمانية وعشرين في مائة كان الخارج من ذلك ألفين وثمانمائة منزل، فهي الثمانية والعشرون مائة. فما برحت الثمانية والعشرون تصحبنا وهذه منازل النار.

فلكل طائفة من الأربع، سبعمائة نوع من العذاب. وهم أربع طوائف، فالجموع ثمان وعشرون مائة نوع

1 [الحجر : 44]
2 ص 129 ب
3 [الأنبياء : 33]
4 [الإنفاطار : 11]
5 [ق : 18]
6 ص 130

من العذاب، كما لأهل الجنة سواء، من الثواب يبين ذلك في صدقاتهم: ﴿كَتَلَّ حَبَّةً أَتَيْتَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ﴾¹ فالجموع سبعة مائة. وهم أربع طوائف: رسل، وأنبياء، وأولياء، ومؤمنون. فلكل متصدق من هؤلاء الأربعة سبعة مائة ضعف من النعيم في عملهم. فانظر ما أعجب القرآن في بيانه الشافي، وموازنته في خلقه في الدارين - الجنة والنار - لإقامة العدل على السواء: في باب جزاء النعيم وجزاء العذاب!

فهذا القدر يقع الاشتراك بين أهل الجنة وأهل النار، للتساوي في عدد البرج والبركة. ويقع الامتياز بأمر آخر؛ وذلك أن النار امتازت عن الجنة، بأنه ليس في النار دركات اختصاص إلهي، ولا عذاب اختصاص إلهي من الله. فإن الله ما عرفنا قط أنه اختص بنقمة من يشاء، كما أخبرنا أنه ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾³ وبفضله. فالجنة في نعيمها مخالف⁴ لميزان عذاب أهل النار. فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير، وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم، وبغير أعمالهم، في جنات الاختصاص.

فلأهل السعادة ثلاث جنات: جنة أعمال، وجنة اختصاص، وجنة ميراث. وذلك أنه ما من شخص من الجن والإنس إلا وله في الجنة موضع، وفي النار موضع، وذلك لإمكانه الأصلي. فإنه قبل كونه؛ يمكن أن يكون له البقاء في العدم، أو يوجد. فمن هذه الحقيقة له قبول النعيم وقبول العذاب. فالجنة تطلب الجميع، والجميع يطلبها. والنار تطلب الجميع والجميع يطلبها. فإن الله يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁵ أي أتم قابلون لذلك، ولكن حقت الكلمة، وسبق العلم ونفذت المشيئة. فلا راد لأمره، ولا معقب لحكمه.

فينزل أهل الجنة في الجنة على أعمالهم، ولهم جنات الميراث؛ وهي التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة، ولهم جنات الاختصاص. يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾⁶ فهذه الجنة التي حصلت لهم بطريق الورث من أهل النار الذين هم أهلها، إذ لم يكن في علم الله أن يدخلوها. ولم يقل في أهل النار: إنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنة لو دخلوا النار، وهذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه.

فما⁷ نزل من نزل في النار من أهلها إلا بأعمالهم. ولهذا يبقى فيها أماكن خالية، وهي الأماكن التي لو دخلها أهل الجنة عمروها. فيخلق الله خلقا يعمرونها، على مزاج لو دخلوا به الجنة تعذبوا. وهو قوله تعالى:

1 [البقرة: 261]

2 ق: أربعة.

3 [البقرة: 105]

4 ص 130 ب

5 [النحل: 9]

6 [مريم: 63]

7 ص 131

«فيضع الجبار فيها قدمه، فتقول: قط قط» أي حسي حسي.

فإنه تعالى - يقول لها: ﴿هَلْ امْتَلَأْتَ وَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾¹ فإنه قال للجنة والنار: «لكل واحدة منك ما ملؤها»، فما اشترط لها إلا أن يملأها خلقا، وما اشترط عذاب من يملأها بهم، ولا نعيمهم. وإن الجنة أوسع من النار بلا شك، فإن ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾² فما ظنك بطولها. فهي للنار كحيط الدائرة، بما يحوي عليه. وفي «التنزيلات الموصلية» رسمناها وبينناها على ما هي عليه، في نفسها في باب يوم الاثنين. والنار عرضها قدر الخط الذي يميز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة. فأين هذا الضيق من تلك السعة؟

وسبب هذا الاتساع؛ جنات الاختصاص الإلهي. فورد في الخبر؛ أنه يبقى أيضا في الجنة أماكن ما فيها أحد، فيخلق الله خلقا للنعيم، يعمرها بهم. وهو أن يضع الرحمن فيها قدمه. وليس ذلك إلا في جنات الاختصاص. ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾³ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁴. فمن كرمه أنه تعالى - ما أنزل أهل النار إلا على أعمالهم خاصة.

وأما قوله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾⁶ فذلك لطائفة مخصوصة، وهم «الأمم المضلّون» يقول تعالى: ﴿وَلِيُخِيطَ أَثْقَالَهُمْ وِثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾⁷ وهم الذين أضلوا العباد، وأدخلوا عليهم الشبهة المضلة، فحادوا بها عن سواء السبيل، فضلّوا وأضلّوا. وقالوا لهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ يقول الله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾⁸ في هذا القول، بل هم حاملون خطاياهم. والذين أضلّوهم يحملون أيضا خطاياهم، وخطايا هؤلاء مع خطاياهم. ولا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء.

يقول تعالى: ﴿مَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً فَلَهُ زُرْهَا وَوزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا» فهو قوله: ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾⁹ فهؤلاء قيل فيهم: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾¹⁰ فما أنزلوا من النار إلا منازل استحقاق. بخلاف الجنة؛ فإن أهل الجنة أنزلوا فيها منازل استحقاق مثل الكفار في النار

1 [ق: 30]

2 [آل عمران: 133]

3 [غافر: 12]

4 [البقرة: 105]

5 ص 131 ب

6 [النحل: 88]

7 [العنكبوت: 13]

8 [العنكبوت: 12]

9 [آل عمران: 90]

10 [النحل: 88]

بأعمالهم، وأنزلوا أيضا منازل وراثة، ومنازل اختصاص. وليس ذلك في أهل النار.

ولا بد لأهل النار من فضل الله ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل، فيفقدون الإحساس بالآلام في نفس النار¹، لأنهم ليسوا بخارجين من النار أبدا، فلا يموتون فيها ولا يحيون. فتتخدر جوارحهم بإزالة الروح الحساس منها. وتَمَّ طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد، بين العذاب والعمل، نعيمًا خياليًا مثل ما يراه النائم، وجلده كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ²﴾ هو كما قلنا خدرها، فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلام، لأنه إذا انتضى زمان الإنضاج، خمدت النار في حثهم، فيكونون في النار «كالأمة التي دخلتها وليست من أهلها، فأماهم الله فيها إماتة، فلا يحسبون بما تفعله النار في أبدانهم» الحديث بكامله ذكره مسلم في صحيحه، وهذا من فضل الله ورحمته.

وأما أبواب جهنم؛ فقد ذكر الله من صفات أصحابها بعض ما ذكر. ولكن من هؤلاء الأربع الطوائف الذين هم أهلها ومن خرج بالشفاعة أو العناية من دخلها، فقد جاء ببعض ما وصف الله به من دخلها من الأسباب الموجبة لذلك، وهي: باب الجحيم، وباب سقر، وباب السعير، وباب الحطمة، وباب لظى، وباب الحامية، وباب الهاوية.

وسميت الأبواب بصفات ما وراءها، مما أعدت له. ووُصِفَ الداخلون فيها بما ذكر الله تعالى - في مثل قوله في لظى إنما ﴿تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى. وَجَمَعَ فَأَوْعَى³﴾ وقال ما يقول أهل سقر إذا قيل لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمُسْكِينِ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَافِضِينَ. وَكُنَّا نَكْذِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ⁴﴾. وقال في أهل الجحيم: إنهم ﴿يَكْذِبُونَ⁵ يَتُومُ الدِّينَ. وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ⁶﴾ فوصفهم بالإثم والاعتداء، ثم قال فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ. ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ⁷﴾ وهكذا في الحطمة والسعير، وغير ذلك مما جاء به القرآن أو السنة.

فهذا قد ذكرنا الأمهات والطبقات. وأما مناسبات الأعمال لهذه المنازل، فكثيرة جدًا، يطول الشرح فيها، ولو شرعنا في ذلك طال علينا المدى، فإن المجال رحب، ولكن الأعمال المذكورة، والعذاب عليها

1 ص 132

2 [النساء : 56]

3 ص 132 ب

4 [المعارج : 17، 18]

5 [المدثر : 42 - 46]

6 "إنهم يكذبون" في ق: إنه يكذب.

7 [المطففين : 11، 12]

8 ق: فوصفه

9 [المطففين : 16، 17]

مذكور. فتى وقفت على شيء من ذلك، وكنت على نور من ربك وبينتة، فإن الله يطالعك عليه بكرمه.

والذي شرطنا في هذا الباب وترجمنا عليه، إنما كان ذكر المراتب، وقد ذكرناها وبينناها على مواضع يحول فيها نظر الناظر، من كتابي هذا، من الآيات التي استشهدنا بها في هذا الباب من أوله، بمن أمر الله إبليس بما ذكر له، فهل له من امتثال ذلك الأمر الإلهي أمر يعود عليه منه، من حيث ما هو ممثّل أم لا؟ وأشبه هذه التنبيهات¹، إن وقفت لذلك، عثرت على علوم جمّة إلهية مما يختص بأهل الشقاء والنار، وهذا القدر في هذا الباب كافٍ، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ²﴾.

1 ص 133
2 [الأحزاب : 4]. وفي الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهير الدين محمود، عليّ. وكتب ابن العربي".

الباب الثالث والستون

في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا والبعث

بَيْنَ الْقِيَامَةِ وَالْأَيَّامِ الَّذِي نَظَرِ
تُخَوِّي عَلَى حُكْمٍ مَا قَدْ كَانَ صَاحِبَهَا
لَهَا عَلَى الْكُلِّ أَقْدَامٌ وَسُلْطَانَةٌ
لَهَا مَجَالٌ رَحِيبٌ فِي الْوُجُودِ بِلا
تَقُولُ لِلْحَقِّ: "كُنْ" وَالْحَقُّ خَالِقُهَا
فِيهَا الْعُلُومُ وَفِيهَا كُلُّ قَاصِمَةٍ
لَوْلَا الْخَيَالُ لَكُنَّا الْيَوْمَ فِي عَدَمٍ
"كَأَنَّ" سُلْطَانُهَا إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُهَا
مِنْ الْحُرُوفِ لَهَا كَافُ الصِّفَاتِ فَمَا

مَرَاتِبَ بَرَزَخِيَّاتٍ لَهَا سُورُ
قَبْلَ الْمَمَاتِ عَلَيْهِ الْيَوْمَ فَاعْتَبِرُوا
تُبْدِي الْعَجَائِبَ لَا تَبْقِي وَلَا تَذُرُ
تَقِيدُ وَهِيَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
فَكَيْفَ يَخْرُجُ عَنْ أَحْكَامِهَا بَشَرًا!
فِيهَا الدَّلَائِلُ وَالْإِعْجَازُ وَالْعَبْرُ
وَلَا انْقَضَى عَرَضٌ فِينَا وَلَا وَطَرُ
الشَّرْعُ جَاءَ بِهِ وَالْعَقْلُ وَالنَّظَرُ
تَنَفَّكَ عَنْ صُورٍ إِلَّا أَتَتْ صُورُ

قولنا: "كَأَنَّ سُلْطَانُهَا" برفع سلطانها، أي "سلطان الخيال" هو عين "كَأَنَّ" وهو معنى قوله عليه السلام: «اعبد الله كأنك تراه» فهي (كَأَنَّ) خبرٌ وسلطانها مبتدأ، تقدير الكلام: سلطان حضرة الخيال من الألفاظ هو "كَأَنَّ".

اعلم أنَّ البرزخ عبارة عن أمرٍ فاصل بين أمرين، لا يكون متطرفاً أبداً. كالخط الفاصل بين الظل والشمس وكقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾² ومعنى لا يبغيان: أي لا يختلط أحدهما بالآخر، وإن عجز الحس عن الفصل بينهما، والعقل يقضي - أن بينهما حاجزاً³ يفصل بينهما. فذلك الحاجز المعقول، هو البرزخ. فإن أدرك بالحس فهو أحد الأمرين؛ ما هو البرزخ. وكل أمرين يفتقران - إذا تجاوزا - إلى برزخ، ليس هو عين أحدهما، وفيه قوة كل واحد منهما.

ولمَّا كان البرزخ أمراً فاصلاً بين معلوم وغير معلوم، وبين معدوم وموجود، وبين منفي ومثبت، وبين معقول وغير معقول؛ سُمِّيَ برزخاً اصطلاحاً. وهو معقول في نفسه، وليس (ذاك) إلا الخيال. فإنك إذا

1 ص 133 ب
2 [الرحمن: 19، 20]
3 ق: حاجز
4 ص 134

أدركته - وكنت عاقلاً - تعلم أنك أدركت شيئاً وجودياً، وقع بصرك عليه، وتعلم قطعاً بدليل أنه ما ثم شيء رأساً وأصلاً. فما هو هذا الذي أثبت له شئنيّة وجوديّة، ونفيته عنه في حال إثباتك إيّاها؟

فالخيال لا موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا منفي ولا مثبت. كما يدرك الإنسان صورته في المرآة يعلم قطعاً أنه أدرك صورته بوجه، ويعلم قطعاً أنه ما أدرك صورته بوجه، لما يرى فيها من الدقة إذا كان جُزْمَ المرآة صغيراً، ويعلم أن صورته أكبر من التي رأى بما لا يتقارب. وإذا كان جُزْمَ المرآة كبيراً فيرى صورته في غاية الكبر، ويقطع أن صورته أصغر مما رأى، ولا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته، ويعلم أنه ليس في المرآة صورته، ولا هي بينه وبين المرآة، ولا هو انعكاس شعاع البصر إلى الصورة المرئية فيها من خارج، سواء كانت صورته أو غيرها. إذ لو كان كذلك لأدرك الصورة على قدرها، وما هي عليه. وفي رؤيتها في السيف من الطول أو العرض يتبين لك ما ذكرنا، مع علمه أنه رأى صورته بلا شك، فليس بصادق ولا كاذب، في قوله: "إنه رأى صورته، ما رأى صورته".

فما تلك الصورة المرئية؟ وأين محلّها؟ وما شأنها؟ فهي منفيّة ثابتة، موجودة معدومة، معلومة مجهولة. أظهر الله سبحانه - هذه الحقيقة لعبده ضَرْبَ مِثَالٍ، ليعلم ويتحقّق أنه إذا عجز وحرّ في درك حقيقة هذا - وهو من العالم، ولم يحصل عنده علم بحقيقته - فهو بخالفها أعجز، وأجمل، وأشدّ حيرة. ونبه بذلك أن تجليات الحق له أرقُّ وألطف معنى، من هذا الذي قد حارت العقول فيه، وعجزت عن إدراك حقيقته، إلى أن بلغ عجزها أن تقول: هل لهذا ماهيّة، أو لا ماهيّة له؟ فإنها لا تلحقه بالعدم المحض - وقد أدرك البصر شيئاً ما - ولا بالوجود المحض - وقد علمت أنه ما ثم شيء - ولا بالإمكان المحض.

والى مثل هذه الحقيقة يصير الإنسان في نومه وبعد موته، فيرى الأعراض صوراً قائمة بنفسها، تخاطبه ويخاطبها، أجساداً لا يشكّ فيها. والمكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه والميت بعد موته، كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضاً، ويرى الموت كبشا أملح يُذبح، والموت نسبة مفارقة عن اجتماع. فسبحان من يجهل فلا يعلم، ويعلم فلا يجهل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³.

ومن الناس من يدرك هذا التخيّل بعين الحس، ومن الناس من يدركه بعين الخيال، وأعني في حال اليقظة. وأمّا في النوم فبعين الخيال قطعاً. فإذا أراد الإنسان أن يفرّق في حال يقظته حيث كان، في الدنيا أو يوم القيامة، فليُنظر إلى التخيّل وليقيّده بنظره، فإن اختلفت عليه أكوام المنظور إليه، لاختلافه في

1 ص 134 ب
2 ص 135
3 [آل عمران: 6]

التكوينات، وهو لا ينكر أنه ذلك بعينه، ولا يقيده النظر عن اختلاف التكوينات فيه، كالناظر إلى الحباء في اختلاف الألوان عليها، فذلك عين الخيال بلا شك، ما هو عين الحس فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحس.

وقليل من ينتظن إلى هذا من يدعي كشف الأرواح النارية والنورية، إذا تمثلت لعينه صوراً مدركة، لا يدري بما أدركها: هل بعين الخيال أو بعين الحس؟ وكلاهما أعني الإدراكين - بحاسة العين، فإنها تعطي الإدراك بعين الخيال وبعين الحس، وهو علم دقيق، أعني العلم بالفصل بين العينين، وبين حاسة العين وعين الحس. وإذا أدركت العين المتخيل، ولم تغفل عنه، ورأته لا تختلف عليه التكوينات، ولا رأته في مواضع مختلفات معا في حال واحدة، والذات واحدة، لا يشك فيها، ولا انتقلت ولا تحولت في أكوام مختلفة¹، فيعلم أنها محسوسة لا متخيلة، وأنه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال.

ومن هنا تعرف إدراك الإنسان في المنام ربه تعالى، وهو مُنزّه عن الصورة والمثال، وضبط الإدراك إياه وتقييده. ومن هنا تعرف ما ورد في الخبر الصحيح من كون الباري يتجلى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، وفي تحوُّله في صورة يعرفونها، وقد كانوا أنكروه وتعوذوا منه. فتعلم بأي عين تراه. فقد أعلمتك أنّ الخيال يدرك بنفسه. نريد بعين الخيال، أو يدرك بالبصر، وما الصحيح في ذلك حتى نعلم عليه؟ ولنا في ذلك:

إذا تجلّى خبيبي
بأيّ عين أراه
بعينه لا بعيني
فأبصره سواه

تنزهها لمقامه، وتصديقا بكلامه، فإنه القائل: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ»² ولم يخص داراً من دار. بل أرسلها آية مطلقة ومسألة معينة محققة، فلا يدركه سواه، فبعينه سبحانه - أراه، في الخبر الصحيح: «كنت بصره الذي يبصر به».

فتنقّط أيها الغافل النائم - عن مثل هذا واتبه، فلقد فتح عليك باباً من المعارف، لا تصل إليه الأفكار، لكن تصل إلى قبوله العقول: إما بالعناية الإلهية، أو بجلاء القلوب بالذكر والتلاوة. فيقبل العقل ما³ يعطيه التجلي، ويعلم أنّ ذلك خارج عن قوة نفسه من حيث فكره، وأنّ فكره لا يعطيه ذلك أبداً. فيشكر الله تعالى - الذي أنشأه نشأة يقبل بها مثل هذا، وهي نشأة الرسل والأنبياء، وأهل العناية من

1 ص 135 ب
2 [الأنعام: 103]
3 ص 136

الأولياء. وذلك ليعلم أنّ قبوله أشرف من فكره. فتحقق يا أخي - بعد هذا من يتجلى لك من خلف هذا الباب، فهي مسألة عظيمة حارت فيها الأبواب.

ثم إنّ الشارع وهو الصادق، سمى هذا الباب الذي هو الحضرة البرزخية التي تنتقل إليها بعد الموت، ونشهد نفوسنا فيها بالصّور والناقور. والصّور هنا جمع صورة بالصاد - فَيَنْفَخُ في الصّور، ويُنْقَرُ في الناقور، وهو هو بعينه واختلفت عليه الأسماء لاختلاف الأحوال والصفات، واختلفت الصفات باختلاف الأسماء، فصارت أسماؤه كـ"هو" يحار فيها من عاداته (أن) يُقْلِي الحقائق ولا يرمي منها بشيء. فإنه لا يتحقق له أنّ انقر أصل في وجود اسم الناقور، أو الناقور أصل في وجود اسم النقر. كمسألة النحوي: هل الفعل مشتق من المصدر، أو المصدر مشتق من الفعل. ثم فارق (الصوفي المحقق) مسألة النحوي بشيء آخر، حتى لا يشبه مسألة النحوي في الاشتقاق، بقوله: «نُفَخَ في الصّور»¹ ولم يقل في المنفوخ فيه. فهل كونه صوّراً أصل في² وجود النفخ؟، أو وجود نفخ أو هل النفخ أصل في وجود اسم الصّور؟.

ولما ذكر الله تعديل صورة الإنسان قال: «وَنَفَخْتُ فِيهِ»³ وقال في عيسى عليه السلام: «وَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا»⁴ فظهرت الصورة، فوقعت الحيرة: ما هو الأصل؟ هل الصورة (أصل) في وجود النفخ، أو النفخ (أصل) في وجود الصورة؟ فهذا من ذلك القبيل، ولا سيما وجبريل عليه السلام في الوقت المذكور (كان) في حال التمثيل بالبشر، ومريم قد تخيلت أنه بشر. فهل أدركه بالبصر - الحسي، أو بعين الخيال؟ فتكون⁵ (عليها السلام) ممن أدرك الخيال بالخيال. وإذا كان هذا، فينفتح عليك ما هو أعظم، وهو: هل في قوة الخيال أن يعطي صورة حسية حقيقية؟ (وعندئذ) فلا يكون للحس فضل على الخيال، لأنّ الحس يعطي الصّور للخيال، فكيف يكون المؤثر فيه مؤثراً فيمن هو مؤثر فيه؟ فما هو مؤثر فيها هو مؤثر فيه. وهذا محال عقلاً. فتنتظن لهذه الكنوز، فإن كنت حصلت ما يكون في العالم أغنى منك، إلا من يساويك في ذلك.

واعلم أنّ رسول الله ﷺ لما سئل عن الصّور؛ ما هو؟ فقال ﷺ: «هو قرن من نور ألقمه إسماعيل» فأخبر أنّ شكله شكل القرن، فوصف بالسعة والضيق، فإن القرن واسع ضيق. وهو عندنا على خلاف ما يتخيّله أهل النظر، في الفرق بين ما هو أعلى القرن وأسفله، ونذكره إن شاء الله - بعد هذا في هذا

1 [المؤمنون: 101]

2 ص 136 ب

3 [الحجر: 29]

4 [الأنبياء: 91]

5 في: "فكن" وصححت في الهامش بقلم الأصل: فتكون.

6 ص 137

فاعلم أنَّ سعة هذا القرن في غاية السعة، لا شيء من الأكوان أوسع منه، وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء، ويتصور عدم الخض، والمحال والواجب والإمكان، ويجعل الوجود عدما وعدم وجودا، وفيه يقول النبي ﷺ: «أي من حضرة هذا: «اعبد الله كأنك تراه» «والله في قبلة المصلي» أي تخيله في قبلك، وأنت تواجهه لتراقبه وتستحي منه، وتلزم الأدب معه في صلاتك، فإنك إن لم تفعل هذا أسأت الأدب.

فلولا أنَّ الشارع علم أنَّ عندك حقيقة تسمى الخيال، لها هذا الحكم، ما قال لك: «كأنك تراه» بصرك، فإنَّ الدليل العقلي يمنع من «كأن» فإنه يحيل بدليله التشبيه، والبصر- ما¹ أدرك شيئا يسوى الجدار. فعلمنا أنَّ الشارع خاطبك، أن تتخيل أنك تواجه الحق في قبلك، المشروع لك استقبالها، والله يقول: ﴿فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ² وَوَجْهُ الشَّيْءِ حَقِيقَتُهُ وَعَيْنُهُ، فَقَدْ صَوَّرَ الْخَيَالَ مَنْ تَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ بِالْأَدِلِّ الْعَقْلِيِّ الصُّورَةَ وَالتَّصَوُّرَ، فَهَذَا كَانَ وَاسِعًا.

وأما³ ما فيه (أي الخيال) من الضيق، فإنه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمرا من الأمور الحسية والمعنوية والنسب والإضافة وجلال الله وذاته، إلا بالصورة. ولو رام أن يدرك شيئا من غير صورة، لم تعط حقيقته ذلك، لأنه عين الوهم، لا غيره. فمن هنا هو ضيق في غاية الضيق، فإنه لا يجرد المعاني عن المواد أصلا. ولهذا كان الحس أقرب شيء إليه، فإنه من الحس أخذ الصورة، وفي الصور الحسية يجلي المعاني، فهذا من ضيقه. وإنما كان هذا حتى لا يتصف بعدم التقيد، وبإطلاق الوجود، وبالفعل لما يريد، إلا الله تعالى- وحده ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ⁴».

فالخيال أوسع المعلومات، ومع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء، قد عجز أن يقبل المعاني مجردة عن المواد كما هي في ذاتها. فيرى العلم في صورة لبن أو عسل وخمر ولؤلؤ، ويرى الإسلام في صورة قبة وعمد، ويرى القرآن في صورة سمن وعسل، ويرى الدين في صورة قيد، ويرى الحق في صورة إنسان، وفي صورة نور، فهو الواسع الضيق، والله واسع على الإطلاق، عليم بما أوجد الله عليه خلقه، كما قال تعالى:- ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى⁵﴾ أي بين الأمور على ما هي عليه بإعطاء كل شيء

وأما كون القرن من نور، فإنَّ النور سبب الكشف والظهور، إذ لولا النور ما¹ أدرك البصر- شيئا، فجعل الله هذا الخيال نورا يدرك به تصوير كل شيء، أي أمر كان، كما ذكرناه. فنوره ينفذ في عدم الخض فيصوره وجودا، فالخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنورية. فنوره لا يشبه الأنوار، وبه تدرك التجليات، وهو نور عين الخيال، لا نور عين الحس، فافهم. فإنه ينفعك معرفة كونه (أي الخيال) نورا، فتعلم الإصابة فيه، ممن لا يعلم ذلك وهو الذي يقول هذا خيال فاسد، وذلك لعدم معرفة هذا القائل بإدراك النور الخيالي الذي أعطاه الله تعالى- كما أنَّ هذا القائل يُخطئ الحس في بعض مدركاته، وإدراكه صحيح، والحكم لغيره (وهو الفكر) لا إليه. فالحكم أخطأ لا الحس. كذلك الخيال؛ أدرك بنوره ما أدرك، وما له حكم، وإنما الحكم لغيره وهو العقل. فلا ينسب إليه الخطأ، فإنه ما ثمَّ خيال فاسد قط، بل هو صحيح كله.

وأما أصحابنا فغلطوا في هذا "القرن" فأكثر العقلاء جعل أضيئته المركز، وأعلاه (=أوسع) النلك الأعلى، الذي لا نلك فوقه. وأنَّ الصور التي يحوي عليها (هي) صور العالم، فجعلوا واسع القرن (هو) الأعلى، وضيئته (هو) الأسفل من العالم. وليس الأمر كما زعموا. بل لما كان الخيال كما قلنا، يصور الحق فمن دونه من العالم حتى عدم، كان أعلاه الضيق² وأسفله الواسع، وهكذا خلقه الله. فأول ما خلق منه الضيق، وآخر ما خلق منه ما اتسع، وهو الذي يلي رأس الحيوان.

ولا شك أنَّ حضرة الأفعال والأكوان أوسع، ولهذا لا يكون للعارف اتساع في العلم، إلا بقدر ما يعلمه من العالم. ثمَّ إنه إذا أراد أن ينتقل إلى العلم بأحدية الله تعالى-، لا يزال يرق من السعة إلى الضيق، قليلا قليلا، فتقلُّ علومُه كلما رقى في العلم بذات الحق كشفا، إلى أن لا يبقى له معلوم إلا الحق وحده، وهو أضيئ ما في القرن. فضيئته هو الأعلى على الحقيقة، وفيه الشرف التام. وهو الأول الذي يظهر منه إذا أُنبت الله في رأس الحيوان، فلا يزال يصعد على صورته من الضيق، وأسفله يتسع، وهو لا يتغير عن حاله، فهو المخلوق الأول.

ألا ترى الحق سبحانه- أول ما خلق القلم، أو قلَّ العتل، كما قال. فما خلق إلا واحدا، ثمَّ أنشأ الخلق من ذلك الواحد، فاتسع العالم. وكذلك العدد: منشؤه من الواحد، ثمَّ الذي يقبل الثاني لا من الواحد الوجود، ثمَّ يقبل التضعيف والتركيب في المراتب، فيتسع اتساعا عظيما إلى ما لا يتناهى، فإذا انتهت فيه

1 ق: فا

2 [البقرة: 115]

3 ص 137 ب

4 [الزورى: 11]

5 [طه: 50]

من الاتساع إلى حدٍّ ما من الآلاف، وغيرها، ثمَّ تطلب الواحد الذي نشأ منه العدد، لا تزال في ذلك ثقل العدد، ويزول عنك ذلك الاتساع الذي كنت فيه¹، حتى تنتهي إلى الاثنين، التي بوجودها ظهر العدد، إذ كان الواحد أولاً لها. فالواحد أضيق الأشياء، وليس (هو) بالنظر إلى ذاته بعدد في نفسه، ولكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة، فلا يجمع بين اسمه وعينه أبداً، فاعلم ذلك.

والناس في وصف الصُّور بالقرن على خلاف ما ذكرناه. وبعد ما قرَّرناه، فلتعلم أنَّ الله سبحانه - إذا قبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعيَّة، حيث كانت، والعنصريَّة؛ أودَّعها صوراً جسدِيَّة في مجموع هذا القرن النوري. فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت، في البرزخ من الأمور، إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن، وبنورها. وهو إدراك حقيقي. ومن الصُّور هنالك ما هي مقيَّدة عن التصرُّف، ومنها ما هي مطلَّقة، كأرواح الأنبياء كلَّهم، وأرواح الشهداء. ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا، في هذه الدار. ومنها ما يتجلَّى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه، وهو الذي تصدق رؤياه أبداً. وكلُّ رؤيا صادقة ولا تخطئ. فإذا أخطأت الرؤيا، فالرؤيا ما أخطأت، ولكنَّ العابر الذي يعبرها هو الخطئ، حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة. ألا تراه ﷺ ما قال لأبي بكر حين عبر رؤيا الشخص المذكور: «أصبت بعضاً وأخطأت² بعضاً».

وكذلك قال في الرجل الذي رأى في النوم (قد) ضُربت عنقه، فوقع رأسه، فجعل الرأس يتدهده، وهو يكلمه، فذكر له رسول الله ﷺ: «أنَّ الشيطان يلعب به». فعلم رسول الله ﷺ صورة ما رآه وما قال له: "خيالك فاسد"، فإنَّه رأى حقاً، ولكنَّ أخطأ في التأويل. فأخبره ﷺ بحقيقة ما رآه ذلك النائم. وكذلك قوم فرعون يُعرَّضون على النار في تلك الصور غدوة وعشيَّة ولا يدخلونها، فإنَّهم محبوسون في ذلك القرن، وفي تلك الصورة، ويوم القيامة يدخلون أشدَّ العذاب، وهو العذاب المحسوس لا المتخيَّل، الذي كان لهم في حال موتهم بالعرَّض.

فيدرك بعين الخيال الصور الخياليَّة والصور المحسوسة معاً. فيدرك المتخيَّل الذي هو الإنسان بعين خياله وقتاً ما هو متخيَّل، كقوله ﷺ: «مُثِّلْتُ لي الجنَّة في عُرْض هذا الحائط» فأدرك ذلك بعين حسِّه. وإنَّما قلنا: بعين حسِّه، لأنَّه تقدَّم حين رأى الجنَّة ليأخذ قطعاً منها. وتأخَّر حين رأى النار، وهو في صلاته. ونحن نعرف أنَّ عنده من القوَّة بحيث أنَّه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسِّه، ما أثر في جسمه تقدُّماً

ولا تأخُّراً، فإنَّنا نجد ذلك وما نحن¹ في قوَّته ولا في طبقتِه ﷺ.

وكلُّ إنسان في البرزخ مرهون بكسبه، محبوس في صور أعماله، إلى أن يُبعث يوم القيامة من تلك الصور، في النشأة الآخرة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².
انتهى الجزء الثامن والعشرون، يتلوه في الجزء التاسع والعشرين³.

3 في الهامش: "بلغ قراءة". وفي أسفل الصفحة: "سمع من البلاغ عند طبقة السماع إلى هنا على مصنفه الإمام العالم الأوحد العارف محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأئمة: عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم الأربلي، وأبو بكر بن سليمان الحموي الواعظ، وأبناء عبد الواحد، وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وأبو الفتح نصر الله بن أبي الغز بن الصغار، ومحمد بن يرقش المعظمي، وإسماعيل بن سركين النوري، وأبو بكر بن محمد البلخي، وأحمد بن محمد بن سليمان، ويعقوب بن معاذ الوري، وأحمد بن أبي الهيجاء البمشقي، وعلي بن يوسف بن صدقة، وعلي بن أبي الغنائم بن الغسال، وبركة بن حسن بن مالك الهلالي، ومحمد بن علي المطرز، وعمران بن محمد بن عمران، وإبراهيم بن خضر - البمشقي، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود، وأحمد بن محمد التكريتي - الحنفيون -، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي، ومحمد بن نصر بن هلال، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان البمشقي. ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ومحيي بن إسماعيل المظلي، وعيسى بن إسحاق الهناتفي، وأيوب بن إبراهيم بن حسن الأعزاري، وحسين بن محمد الموصلي، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وعلي بن عبد العزيز بن عمير الحميري، وأحمد بن عبد الخالق بن عبد الله البمشقي، ويوسف بن الحسن النابلسي، وإبراهيم بن أبي بكر الحلال، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرافة، وذلك في تاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستائة بمثل المصنف بدمشق، والحمد لله وصلاته على محمد وآله وصحبه وسلم. وسمع مع الجماعة بالقراءة والتأريخ أبو المعالي محمد وأبو سعد محمد ابنا المصنف، كتبه إبراهيم".

الجزء التاسع والعشرون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

الباب الرابع والستون

في معرفة القيامة، ومنازلها، وكيفية البعث

يَوْمُ الْمَآرَجِ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ
وَالْأَرْضُ، مِنْ حَذَرٍ عَلَيْهِ، سَاهِرَةٌ
فَكُنْ غَرِيْبًا وَلَا تَرْكُنْ لِطَائِفَةٍ
وَأَنْ رَأَيْتَ امْرَأَةً يَسْعَى لِمُفْسَدَةٍ
وَلَتُعْتَصِمَ حَذَرًا، بِالْكَهْفِ، مِنْ رَجُلٍ
قَدْ مَدَّ خَطْوَتَهُ فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ
يُطَيِّرُ عَنْ كُلِّ نَوْمٍ بِهِ وَسَنَتُهُ
لَا تَأْخُذْنَهَا، لِمَا يَقْضِي الْإِلَهِ، سِنَتُهُ
مِنْ الْخَوَارِجِ أَهْلُ الْأَلْسُنِ اللَّسِنَةُ
فَخُذْ عَلَى يَدِهِ تَجْزَى بِهِ حَسَنَتُهُ
ثَرِيكَ فِتْنَتُهُ يَوْمًا كَيْثَلِ سَنَتُهُ
وَلَمْ يَزَلْ فِي هَوَاهُ خَالِعًا رَسَنَتُهُ³

اعلم أنه لما سمي هذا اليوم يوم القيامة، لقيام الناس فيه من قبورهم لرب العالمين في النشأة الآخرة التي ذكرناها في البرزخ، في الباب الذي قبل هذا الباب. ولقيامهم أيضا إذا جاء الحق للفصل والقضاء ﴿وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾⁴ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁵ أي من أجل رب العالمين حين يأتي. وجاء بالاسم الرب إذ كان الرب المالك؛ فله صفة القهر، وله صفة الرحمة. ولم يأت بالاسم الرحمن لأنه لا بد من الغضب في ذلك اليوم، كما سيرد في هذا الباب. ولا بد من الحساب والإتيان بجهنم والموازن. وهذه كلها ليست من صفات الرحمة المطلقة التي يطلبها الاسم الرحمن. غير أنه سبحانه- أتى باسم إلهي تكون الرحمة فيه أغلب، وهو الاسم الرب؛ فإنه من الإصلاح والتربية، فيتقوى ما في المالك والسيد من فضل الرحمة على ما فيه من صفة القهر، فتسبق رحمته غضبه، ويكثر التجاوز عن سيئات أكثر الناس.

فأول ما أُبين وأقول، ما قال الله في ذلك اليوم، من امتداد الأرض وقبض السماء، وسقوطها على الأرض، ومجيء الملائكة، ومجيء الرب في ذلك اليوم، وأين يكون الخلق حين تمد الأرض وتبدل صورتها،

1 العنوان ص 140 ب

2 البسلة ص 141

3 الرسن: الحبل. والرسن: ما كان من الأتمة على الأف، والجمع أرسان وأرسن. [لسان العرب]

4 ص 141 ب

5 [الفجر: 22]

6 [الطغفين: 6]

وتخيء جهنم وما يكون من شأنها؟ ثم أسوق حديث مواقف القيامة في خمسين ألف سنة، وحديث الشفاعة.

اعلم يا أخي- أن الناس إذا قاموا من قبورهم على ما سنورده- إن شاء الله-، وأراد الله أن يبدل الأرض غير الأرض، وتمدد الأرض بإذن الله، ويكون الجسر- دون "الظلمة"، فيكون الخلق عليه عندما يبدل الله الأرض كيف يشاء، إما بالصورة وإما بأرض أخرى، ما ينعم عليها، تُسمى الساهرة. فيمدّها- سبحانه- مدّ الأديم. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾² ويزيد في سعتها ما شاء أضعاف ما كانت من أحد وعشرين جزءا إلى تسعة وتسعين جزءا، حتى ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾³.

ثم إنه سبحانه- يقبض السماء إليه، فيطويها بيمينه ﴿كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾⁴ ثم يرميها على الأرض التي مدّها هاوية؛ وهو قوله: ﴿وَأُشْقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾⁵ ويترد الخلق إلى الأرض التي مدّها، فيفتقون منتظرين ما يصنع الله بهم، فإذا وهت السماء، نزلت ملائكتها على أرجائها، فيرى أهل الأرض خلقا عظيما، أضعاف ما هم عليه عددا، فيتخيلون أن الله نزل فيهم لما يرون من عظم المملكة، ثم لم يشاهدوه من قبل. فيقولون: أفيكم ربنا؟ فتقول الملائكة: سبحان ربنا، ليس فينا، وهو آت. فتصطف الملائكة صفًا مستديرا على نواحي الأرض، محيطين بالعالم: الإنس والجن. وهؤلاء هم عمّار السماء الدنيا.

ثم ينزل أهل السماء الثانية، بعد ما يقبضها الله أيضا، ويرى بكوكبا في النار، وهو المسقى: "كاتب"⁹. وهم أكثر عددا من السماء الأولى. فتقول الخلائق: أفيكم ربنا؟ فنزع الملائكة من قولهم. فيقولون: سبحان ربنا، ليس هو فينا، وهو آت. فيفعلون فعل الأولين من الملائكة، يصطفون خلفهم صفًا ثانيا مستديرا.

ثم ينزل أهل السماء الثالثة، ويرى بكوكبا المسقى: "زهرة" في النار، ويقبضها الله بيمينه. فتقول الخلائق: أفيكم ربنا؟ فتقول الملائكة: سبحان ربنا، ليس هو فينا، وهو آت. فلا يزال الأمر هكذا ساء بعد ساء، حتى ينزل أهل السماء السابعة، فيرون خلقا أكثر من جميع من نزل. فتقول الخلائق: أفيكم ربنا؟

1 ص 142

2 [الإنشاق: 3]

3 [طه: 107]

4 [الأنبياء: 104]

5 [الحاقة: 16]

6 ق. س. فيرون

7 رسمها في ق أقرب إلى: عظيم

8 ص 142 ب

9 الكاتب: عطار

فتقول الملائكة: سبحان ربنا، قد جاء ربنا، و﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾¹.

فيأتي الله في ظُلم من الغمام والملائكة. وعلى المُجَنَّبَةِ السرى جهم. ويكون إتيانه إتيان الملك؛ فإنه يقول: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾² وهو ذلك اليوم. فسَمِّيَ بالملك. ويصطفُ الملائكة عليهم السلام - سبعة صفوف، محيطة بالخلائق. فإذا أبصر الناس جهم، لها فوران وتغيظ على الجبابرة المتكبرين، فيفر³ الخلق بأجمعهم منها، لعظيم ما يروونه خوفا وفزعا، وهو "الفرع الأكبر". إلا الطائفة التي ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَنَلُّهُمْ الْمَلَائِكَةُ﴾⁴ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ⁵ فهم الآمنون مع النبيين على أنفسهم غير أن النبيين تفرغ على أممها، للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق، فيقولون في ذلك اليوم: "سَلِّمْ سَلِّمْ".

وكان الله قد أمر أن تُنْصَبَ لِلآمِنِينَ من خلقه منابر من نور، متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف، فيجلسون عليها آمنين مبشرين، وذلك قبل مجيء الرب تعالى. فإذا فرَّ الناس خوفا من جهم وقرقا، لعظيم ما يرون من الهول في ذلك اليوم، يجدون الملائكة صفوفًا، لا يتجاوزونهم. فتطردهم الملائكة؛ وَزَعَةُ الْمَلِكِ الْحَقِّ⁶ إِلَى الْحَشْرِ. وتناديهم أنبياءهم: "ارجعوا ارجعوا". فينادي بعضهم بعضا، فهو قول الله تعالى: ، فيما يقول رسول الله ﷺ: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِي. يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾⁷ والرسول تقول: "اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ" ويخافون أشد الخوف على أممهم، والأُم يخافون على أنفسهم، والمطهرون المحفوظون الذين ما تدسست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم أيضا بالخالفات الشرعية، آمنون: يغطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن، ليا هم النبيون عليه من الخوف على أممهم.

فينادي⁷ منادٍ من قبل الله يسمعه أهل الموقف لا يدرون، أو لا أدري، هل ذلك نداء الحق - سبحانه - بنفسه، أو نداء عن أمره سبحانه، يقول في ذلك النداء: «يا أهل الموقف؛ ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم» فإنه قال لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَاكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾⁸ تعلما له وتنبيها، ليقول: كرمك. ولقد سمعت شيخنا الشَّيْخَةَ يقول يوما، وهو يبكي: يا قوم؛ لا تفعلوا (ما لا يليق) بكرمه، أخرجنا ولم نكن شيئا، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وامتق علينا ابتداء بالإيمان به وكتبه ورسله، ونحن لا نقول. أفترأه يعدبنا بعد أن عقلنا وآمننا، حاشى كرمه سبحانه - من ذلك. فأبكاني بكاء فرح، وبكى الحاضرون.

ثم نرجع ونقول: فيقول الحق في ذلك النداء: أين الذين كانت ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾¹ فيؤتى بهم إلى الجنة. ثم يسمعون من قبل الحق نداء ثانيا - لا أدري هل ذلك نداء الحق بنفسه، أو نداء عن أمر الحق؟ - أين الذين كانوا ﴿لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزَيِّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾² وتلك الزيادة كما قلنا، من جنات الاختصاص³. فيؤمر بهم إلى الجنة. ثم يسمعون نداء ثالثا، لا أدري هل هو نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق: يا أهل الموقف؛ ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الذين ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾⁴ ﴿لِيُجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾⁵ فيؤمر بهم إلى الجنة.

فبعد هذا النداء يخرج عُتُقُ من النار، فإذا أشرف على الخلائق، له عيان ولسان فصيح، يقول: يا أهل الموقف؛ إِنِّي وَكَّلْتُ مِنْكُمْ بثلاث، كما كان النداء الأول ثلاث مرّات، لثلاث طوائف من أهل السعادة. وهذا كله قبل الحساب، والناس وقوف، قد أجمعهم العرق واشتد الخوف، وتصدعت القلوب لهول المَطْلَع. فيقول ذلك العنق المستشرف من النار عليهم:

إِنِّي وَكَّلْتُ بِكَ "جَبَّارَ عَنِيد" فيلقطهم من بين الصفوف، كما يلتقط الطائر حبَّ السمسم. فإذا لم يترك أحدا منهم في الموقف، نادى نداء ثانيا: يا أهل الموقف؛ إِنِّي وَكَّلْتُ بِمَنْ آذَى اللَّهَ ورسوله. فيلقطهم كما يلتقط الطائر حبَّ السمسم من بين الخلائق. فإذا لم يترك منهم أحدا. نادى ثالثة: يا أهل الموقف؛ إِنِّي وَكَّلْتُ بِمَنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِ اللَّهِ. فيلقط أهل التصاوير، وهم الذين يصوّرون صورا في الكنائس، لِيُتَعَبَّدَ تِلْكَ الصُور، والذين⁷ يصوّرون الأصنام، وهو قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُمُونَ﴾⁸ فكانوا ينحتون لهم الأخشاب والأجار ليعبدوها من دون الله، فهؤلاء هم المصوّرون. فيلقطهم من بين الصفوف كما يلتقط الطير حبَّ السمسم. فإذا أخذهم الله عن آخرهم، وبقي الناس وفيهم المصوّرون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصدها أولئك من عباداتها، حتى يسألوا عنها لينفخوا فيها أرواحا تحيا بها وليسوا بناحقين، كما ورد في الخبر في المصوّرين. فيقفون ما شاء الله، ينتظرون ما يفعل الله بهم، والعرق قد أجمعهم.

1 [السجدة : 16]
2 [النور : 37، 38]
3 ص 144
4 [الأحزاب : 23]
5 [الأحزاب : 24]
6 "صورا في" من ه فقط
7 ص 144 ب
8 [الصفوات : 95]

1 [الإسراء : 108]
2 [الفاحة : 4]
3 في: فيفرون
4 ص 143
5 [الأنبياء : 103]
6 [آافر : 32، 33]
7 ص 143 ب
8 [الإفطار : 6]

حدثنا شيخنا القصار بمكة، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة، وهو يونس بن يحيى بن الحسين بن أبي البركات الهاشمي العباسي، من لفظه، وأنا أسمع. قال: ثنا (=حدثنا) أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، قال: ثنا أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الحيات المغربي، قال: قرئ على أبي سهل محمود بن عمر بن إسحق العكبري، وأنا أسمع. قيل له: حدثكم رضي الله عنكم - أبو بكر محمد بن الحسن النقاش، فقال: نعم حدثنا أبو بكر، قال: ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطبري البزوري، قال: 1: ثنا محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله قال: ثنا سلمة بن صالح قال: أنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل عن غياث بن المسيب عن عبد الرحمن بن غنم وزيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود، قال:

كنت جالسا عند علي بن أبي طالب عليه السلام وعنده عبد الله بن عباس عليه السلام وحوله عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إن في القيامة لحسين موقفا، كل موقف منها ألف سنة. فأول موقف إذا خرج الناس من قبورهم، يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة عراة حفاة جياعا عطاشا. فمن خرج من قبره مؤمنا بربه، مؤمنا بنبيه، مؤمنا بجنته وناره، مؤمنا بالبعث والقيامة، مؤمنا بالقضاء والقدر خيره وشره، مصدقا بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله من عند ربه؛ نجا وفاز وغنم وسعد. ومن شك في شيء من هذا؛ بقي في جوعه وعطشه وغمه وكره ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثم يساقون من ذلك المقام إلى المحشر، فيقفون على أرجلهم ألف عام، في سرادقات النيران؛ في حر الشمس. والنار عن أيمنهم، والنار عن شمالكهم، والنار من بين أيديهم ²، والنار من خلفهم، والشمس من فوق رؤوسهم، ولا ظل إلا ظل العرش. فمن لقي الله تبارك وتعالى - شاهدا له بالإخلاص، مقرا بنبيه صلى الله عليه وآله برينا من الشرك ومن الشحر، وبرينا من إهراق دماء المسلمين، ناصحا لله ولرسوله، محبا لمن أطاع الله ورسوله، مبغضا لمن عصى الله ورسوله؛ استظل تحت ظل عرش الرحمن، ونجا من غمه. ومن حاد عن ذلك، ووقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة، أو تغير قلبه، أو شك في شيء من دينه؛ بقي ألف سنة في الحر والهم والعذاب، حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثم يساق الخلق إلى النور والظلمة، فيقيمون في تلك الظلمة ألف عام. فمن لقي الله تبارك وتعالى - لم يشرك به شيئا، ولم يدخل في قلبه شيء من النفاق، ولم يشك في شيء من أمر دينه، وأعطى الحق من

نفسه، وقال الحق، وأنصف الناس من نفسه، وأطاع الله في السر والعلانية، ورضي بقضاء الله، وقنع بما أعطاه الله؛ خرج من الظلمة إلى النور، في مقدار طرفة العين، مبيضا وجهه، قد نجا من الغيوم كلها. ومن خالف في شيء منها؛ بقي في الغم والهم ألف سنة، ثم خرج منها مسودا وجهه، وهو في مشيئة الله يفعل به ما يشاء.

ثم يساق الخلق إلى سرادقات الحساب، وهي عشر - سرادقات: يقفون في كل سرادق منها ألف سنة. فيسأل ابن آدم عند أول سرادق منها عن المحارم. فإن لم يكن وقع في شيء منها؛ جاز إلى السرادق الثاني. فيسأل عن الأهواء؛ فإن كان نجا منها جاز إلى السرادق الثالث. فيسأل عن عقوب الوالدين؛ فإن لم يكن عاقا جاز إلى السرادق الرابع. فيسأل عن حقوق من فوض الله إليه أمورهم، وعن تعليمهم القرآن، وعن أمر دينهم وتأديبهم؛ فإن كان قد فعل جاز إلى السرادق الخامس. فيسأل عما ملكته يمينه؛ فإن كان محسنا إليهم جاز إلى السرادق السادس. فيسأل عن حق قرابته؛ فإن كان قد أدى حقوقهم جاز إلى السرادق السابع. فيسأل عن صلاة الرجم؛ فإن كان وصولا لرحمه جاز إلى السرادق الثامن. فيسأل عن الحسد؛ فإن كان لم يكن حاسدا جاز إلى السرادق التاسع. فيسأل عن المكر؛ فإن لم يكن مكر بأحد جاز إلى السرادق العاشر. فيسأل عن الخديعة؛ فإن لم يكن خدع أحدا نجا ونزل في ظل عرش الله تعالى -، قارة عينه ²، فرحا قلبه، ضاحكا فوه. وإن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال، بقي في كل موقف منها ألف عام؛ جائعا عطاشا حزنا مغموما محموما ³ لا تنفعه شفاعة شافع.

ثم يحشرون إلى أخذ كتبهم بأيمنهم وشمالكهم، فيحبسون عند ذلك في خمسة عشر - موقفا: كل موقف منها ألف سنة. فيسألون في أول موقف منها عن الصدقات، وما فرض الله عليهم في أموالهم، فمن أداها كاملة جاز إلى الموقف الثاني. فيسأل عن قول الحق والعفو عن الناس، فمن عفا عفا الله عنه، وجاز إلى الموقف الثالث. فيسأل عن الأمر بالمعروف، فإن كان آمرا بالمعروف جاز إلى الموقف الرابع. فيسأل عن النهي عن المنكر، فإن كان ناهيا عن المنكر جاز إلى الموقف الخامس. فيسأل عن حسن الخلق؛ فإن كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السادس. فيسأل عن الحب في الله والبغض في الله؛ فإن كان محبا في الله مبغضا في الله جاز إلى الموقف السابع. فيسأل عن مال الحرام؛ فإن لم يكن أخذ شيئا جاز إلى الموقف الثامن. فيسأل عن شرب الخمر؛ فإن لم يكن شرب من الخمر شيئا جاز إلى الموقف التاسع. فيسأل عن الفروج الحرام؛ فإن لم يكن أتاها جاز إلى الموقف العاشر. فيسأل عن قول الزور؛ فإن لم يكن قاله جاز

1 ص 146
2 ق: "مقزة" ومصححة في الهامش مع إشارة النصب: "قارة".
3 ص 146 ب
4 ق: "قالها" وصححت في الهامش مع حرف ظ.

إلى الموقف الحادي عشر. فيُسأل عن الأيمان الكاذبة؛ فإن لم يكن حلفها جاز إلى الموقف الثاني عشر. فيُسأل عن أكل الربا¹ فإن لم يكن أكله جاز إلى الموقف الثالث عشر. فيُسأل عن قذف المحصنات؛ فإن لم يكن قذف المحصنات أو اقترى على أحد جاز إلى الموقف الرابع عشر. فيُسأل عن شهادة الزور؛ فإن لم يكن شهادتها جاز إلى الموقف الخامس عشر. فيُسأل عن البهتان؛ فإن لم يكن بهت مسلما، مَرَّ فنزل تحت لواء الحمد، وأُعطي كتابه بيمينه، ونجا من غم الكتاب وهولِهِ، وحوسب حسابا يسيرا. وإن كان قد وقع في شيء من هذه الذنوب، ثم خرج من الدنيا غير تائب من ذلك، بقي في كل موقف من هذه الخمسة عشر. موقفا، ألف سنة في الغم والهول والحزن والجوع والعطش، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء.

ثم يُقام الناس في قراءة كتبهم ألف عام، فمن كان سخيّا قد قَدَّم ماله ليوم فقره وحاجته وفاقته؛ قرأ كتابه وهُوّن عليه قراءته، وكسي من ثياب الجنة وتَوَجَّ من تيجان الجنة، وأُفْعِد تحت ظلّ عرش الرحمن، آمنا مطمئنا. وإن كان بخيلا؛ لم يقدّم ماله ليوم فقره وفاقته، أُعطي كتابه بشياله، ويُشَطَّع له من مقطعات النيران، ويقام على رؤوس الخلائق ألف عام في الجوع والعطش والعري والهَمُّ والغمُّ والحزن والفضيحة، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء.

ثم يُحشَر الناس² إلى الميزان، فيقومون عند الميزان ألف عام. فمن ربح ميزانه بحسناته فاز ونجا في طرفة عين، ومن خَفَّ ميزانه من حسناته وتقلت سيئاته؛ حبس عند الميزان ألف عام، في الغمُّ والهَمُّ والحزن والعذاب والجوع والعطش حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثم يدعى بالخلق إلى الموقف بين يدي الله في اثني عشر. موقفا، كل موقف منها مقدار ألف عام³. فيُسأل في أول موقف عن عتق الرقاب؛ فإن كان أعتق رقبة أعتق الله رقبته من النار، وجاز إلى الموقف الثاني. فيُسأل عن القرآن وحقّه وقراءته، فإن جاء بذلك تامّا، جاز إلى الموقف الثالث. فيُسأل عن الجهاد، فإن كان جاهد في سبيل الله محتسبا، جاز إلى الموقف الرابع. فيُسأل عن الغيبة، فإن لم يكن اغتاب، جاز إلى الموقف الخامس. فيُسأل عن النجاسة، فإن لم يكن نماما، جاز إلى الموقف السادس. فيُسأل عن الكذب، فإن لم يكن كذابا جاز، إلى الموقف السابع.

فيُسأل عن طلب العلم، فإن كان طلب العلم وعمل به، جاز إلى الموقف الثامن. فيُسأل عن العُجب، فإن لم يكن معجبا بنفسه في دينه ودنياه، أو في شيء من عمله، جاز إلى الموقف التاسع. فيُسأل عن

التكبر؛ فإن لم يكن تكبر على أحد جاز إلى الموقف العاشر. فيُسأل عن التثبوت من رحمة الله؛ فإن لم يكن قنط من رحمة¹ الله جاز إلى الموقف الحادي عشر. فيُسأل عن الأمن من مكر الله، فإن لم يكن أمن من مكر الله، جاز إلى الموقف الثاني عشر. فيُسأل عن حقّ جاره، فإن كان أدّى حقّ جاره، أُقيم بين يدي الله تعالى-، قيرا (=قريرة) عينه، فرحا قلبه، مبيضا وجهه، كاسيا ضاحكا مستبشرا، فيرحب به ربه وببشره برضاه عنه. فيفرح عند ذلك فرحا لا يعلمه أحد إلا الله. فإن لم يأت واحدة منهم تامّة، ومات غير تائب، حبس عند كل موقف ألف عام، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء.

ثم يؤمر بالخلّاق إلى الصراط، فينتهون إلى الصراط، وقد صُرِبَت عليه الجسور على جمهم أدق من الشعر، وأخذ من السيف. وقد غابت الجسور في جمهم مقدار أربعين ألف عام، ولهب جمهم بجانيها تلهب، وعليها حسك وكلايب وخطاطيف. وهي سبعة جسور يُحشَر العباد كلهم عليها، وعلى كل جسر- منها عقبة، مسيرة ثلاثة آلاف عام: ألف عام صعود، وألف عام استواء، وألف عام هبوط. وذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلِرَصَادٍ﴾² يعني على تلك الجسور، وملائكة يرصدون الخلق عليها، لِتَسْأَلَ العبد عن الإيمان بالله، فإن جاء به مؤمنا مخلصا لا شك فيه ولا زيف، جاز إلى الجسر الثاني.

فيُسأل عن الصلاة، فإن جاء بها تامّة، جاز إلى الجسر الثالث. فيُسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الرابع.

فيُسأل عن الصيام فإن جاء به تامّا جاز إلى الجسر الخامس. فيُسأل عن حجة الإسلام فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر السادس. فيُسأل عن الطهر فإن جاء به تامّا جاز إلى الجسر- السابع. فيُسأل عن المظالم فإن كان لم يظلم أحدا جاز إلى الجنة. وإن كان قصّر في واحدة منهم حبس على كل جسر منها ألف سنة، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء. وذكر الحديث إلى آخره، وستأتي بقية الحديث إن شاء الله- في باب الجنة، فإنّه يختص بالجنة، ولم نذكر النشأة الأخرى التي يحشَر فيها الإنسان، في باب البرزخ. لأنّها نشأة محسوسة غير خيالية، والقيامة أمر محقق موجود حسي، مثل ما هو الإنسان في الدنيا، فذلك أخرنا ذكرها إلى هذا الباب.

وصل

(اختلاف الناس في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام)

اعلم أنَّ الناس اختلفوا في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام، ولم تتعرض لمذهب مَنْ يحمل الإعادة والنشأة الآخرة على أمور عقلية غير محسوسة، فإنَّ ذلك على¹ خلاف ما هو الأمر عليه. لأنَّه جميل أنَّ ثمَّ نشأتين: نشأة الأجسام ونشأة الأرواح، وهي النشأة المعنوية. فأثبتوا المعنوية ولم يثبتوا المحسوسة. ونحن² نقول بما قاله هذا المخالف من إثبات النشأة الروحانية المعنوية، لا بما خالف فيه، وأنَّ عين موت الإنسان هو قيامته، لكن القيامة الصغرى. فإنَّ النبي ﷺ يقول: «من مات فقد قامت قيامته» وإنَّ الحشر؛ جمع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية. هذا كله أقول به كما يقول المخالف، وإلى هنا ينتهي حديثه في القيامة.

ويختلف في ذلك بعينه من يقول بالتناسخ، ومن لا يقول به. وكلُّهم عقلاء أصحاب نظر. ويحتجُّون في ذلك كله بظواهر آيات من الكتاب وأخبار من السنة، إنَّ أوردناها وتكلّمنا عليها، طال الباب في الخوض معهم في تحقيق ما قالوه. وما منهم مَنْ نَحَلَّ نَحْلَةً في ذلك، إلَّا وله وجه حقٌّ صحيح، وإنَّ القائل به فهم بعض مراد الشارع، ونَقَصَهُ عِلْمُ ما فهمه غيره، من إثبات الحشر المحسوس، في الأجسام المحسوسة، والميزان المحسوس، والصراط المحسوس، والنار والجنة المحسوستين³، كلَّ ذلك حقٌّ وأعظم في القدرة.

وفي علم الطبيعة، بقاء الأجسام الطبيعية في الدارين إلى غير مدّة متناهية، بل مستمرة الوجود، وإنَّ الناس ما عرفوا من أمر الطبيعة، إلَّا قدر ما أطلعهم الحقُّ عليه من ذلك، مما ظهر لهم في مُدَد حركات الأفلاك والكواكب⁴ السبعة، ولهذا جعلوا العمر الطبيعي مائة وعشرين سنة، الذي اقتضاه هذا الحكم. فإذا زاد الإنسان على هذه المدّة وقع في العمر المجهول، وإنَّ كان من الطبيعة ولم يخرج عنها، ولكن ليس في قوّة علمه أن يقطع عليه بوقت مخصوص. فكما زاد على العمر الطبيعي سنة وأكثر، جاز أن يزيد على ذلك آلافا من السنين، وجاز أن يمتدَّ عمره دائما.

ولولا أنَّ الشرع عَرَفَ باقضاء مدّة هذه الدار، وأنَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾⁵ وعَرَفَ بالإعادة، وعَرَفَ بالدار الآخرة، وعَرَفَ بأنَّ الإقامة فيها في النشأة الآخرة إلى غير نهاية؛ ما عرفنا ذلك، وما خرجنا في كلِّ حالٍ من موت، وإقامة، وبعث أخراوي ونشأة أخرى، وجنان ونعيم، ونار وعذاب، بأكل

محسوس، وشرب محسوس، ونكاح محسوس، ولباس على المجرى الطبيعي. فعلم الله أوسع وأتمَّ، والجمع بين العقل والحسّ والمعتول والمحسوس، أعظم في القدرة وأتمَّ في الكمال الإلهي. ليستمرَّ له سبحانه في كلِّ صنف من الممكنات، حكم¹ عالم الغيب والشهادة، وثبت حكم الاسم الظاهر والباطن، في كلِّ صنف.

فإن فهمت فقد وفقت، وتعلم أنَّ العلم الذي أطلع عليه النبتون والمؤمنون، من قبل² الحق، أمُّ تعلُّقا من علم المنفردين بما تقتضيه العقول مجردة عن الفيض الإلهي. فالأوّل بكلِّ ناصح نفسه الرجوع إلى ما قالته الأنبياء والرسل على الوجهين المعتول والمحسوس. إذ لا دليل للعقل يحيل ما جاءت به الشرائع على تأويل مثبني (المعاد) المحسوس من ذلك والمعتول، فالإمكان باقي حكمه، والمرجح موجود، فبماذا يحيل؟ وما أحسن قول القائل³:

رَعَمَ الْمُنْجَمُ وَالطَّيْبُ كِلَاهُمَا لَا تُبْعَثُ الْأَجْسَامُ قُلْتُ الْيَنَكَمَا
إِنْ صَحَّ قَوْلُكَمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْخَسَارُ عَلَيْنَكَمَا

فقلوه: "فالخسار عليكم" يريد حيث لم يؤمنوا بظاهر ما جاءتهم به الرسل عليهم السلام - وقوله: "فلسنت بخاسر" فإنِّي مؤمن أيضا بالأمور المعنوية المعقولة مثلكم، وزدنا عليكم بأمر آخر لم تؤمنوا أنتم به. ولم يرد القائل به أنَّه يشكُّ بقوله: "إنَّ صحَّ" وإنما ذلك على مذهبك أيها الخاطب - وهذا يستعمل مثله كثيرا. فتدبر كلامي هذا، وألزم الإيمان نفسك، ترجع وتسعد. إن شاء الله تعالى.

وبعد أن تقرّر هذا، فاعلم أنَّ الخلاف الذي وقع بين⁴ المؤمنين القائلين في ذلك بالحسّ والمحسوس، إنما هو راجع إلى كيفية الإعادة. فمنهم مَنْ ذهب إلى أنَّ الإعادة تكون في الناس مثل ما بدأهم: بنكاح وتناسل، وابتداء خلق من طين، ونفخ كما جرى من خلق آدم وحواء، وسائر البنين من نكاح واجتماع إلى آخر

1 ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب.

2 ص 150

3 البيهقي لأبي الفداء المغربي (363 - 449 هـ / 973 - 1057 م) أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المغربي. شاعر وفيلسوف، ولد ومات في مرة النعان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجذري صغيرا فعفي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة 398 هـ فاقام بها سنة وسبعة أشهر، وهو من بيت كبير في بلده، ولما مات وقف على قبره 84 شاعرا برثوته، وكان يلعب بالشطرنج والرد، وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم، وكان يجرم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمسًا وأربعين سنة، وكان يلبس خشن الثياب، أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: (الروم ما لا يلزم ط) ويعرف بالزروميات، و(سقط الزندط)، و(ضوء السقط خ) وقد ترجم كثير من شعره إلى غير العربية وأما كتبه فكثيرة وفهرسها في بحر الأدياء. وقال ابن خلكان: وكثير من الباحثين تصانيف في آراء المغربي وفلسفته. من تصانيفه كتاب (الأيك والنصون) في الأدب ربو على مائة جزء، (تاج الحرة) في النساء وأخلاقهن وعظائهن، أربع مائة كراس، و(عبث الوليدط) شرح به ونقد ديوان البحري، و(رسالة الملايكة ط) صغيرة، و(رسالة الغفران ط)، و(النصول والقايات ط)، و(رسالة الصاهل والشاحج). [الموسوعة الشعرية]

4 ص 150 ب

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 149

3 ق: المحسوسات.

4 ص 149 ب

5 آل عمران: 185

مولود في العالم البشري الإنساني. وكلّ ذلك في زمان صغير ومدة قصيرة، على حسب ما يقدّره الحق - تعالى -. هكذا زعم الشيخ أبو القاسم بن قسيّ في "خلع النعلين" له، في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾¹ فلا أدري: هل هو مذهبه؟ أو هل قصد شرح المتكلم به، وهو "خلف الله" الذي جاء بذلك الكلام، وكان من المؤمنين.

ومنهم من قال بالخبر المروي: «إن السماء تمطر مطرا شبه المنيّ، تمخض به الأرض، فتنشأ منه النشأة الآخرة». وأما قوله تعالى - عندنا: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ هو قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾² وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَظَا عَلَيْنَا﴾³. وقد علمنا أنّ النشأة الأولى أوجدها الله - تعالى - على غير مثال سبق، فهكذا النشأة الآخرة يوجدها الله - تعالى - على غير مثال سبق، مع كونها محسوسة بلا شك. وقد ذكر رسول الله ﷺ من صفة نشأة أهل الجنة والنار ما يخالف ما هي عليه هذه النشأة الدنيا، فعلمنا أنّ ذلك راجع إلى عدم مثال سابق ينشأ عليه، وهو أعظم في القدرة.

وأما قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾⁵ فلا يقدر فيها قلنا، فإنه لو كانت النشأة الأولى عن اختراع: فكّر وتدبّر ونظر إلى أن خلق أمرا، فكانت إعادته إلى أن يخلق خلقا آخر، مما يقارب ذلك ويزيد عليه، أقرب للاختراع والاستحضار في حق من يستفيد الأمور بفكره. والله منزّه عن ذلك ومتعالٍ علوا كبيرا. فهو الذي يفيد العالم ولا يستفيد، ولا يتجدّد له علم بشيء، بل هو عالم بتفصيل ما لا يتناهى بعلم كليّ. فعلم التفصيل في عين الإجمال، وهكذا ينبغي لجلاله أن يكون.

فينشئ الله النشأة الآخرة، على عَجَبِ الذَّنْبِ، الذي يبقى من هذه النشأة الدنيا، وهو أصلها. فعليه تركب النشأة الآخرة. فأما "أبو حامد" فرأى⁷ أنّ العَجَبَ المذكور في الخبر أنّه النفس، وعليها تنشأ النشأة الآخرة. وقال غيره مثل أبي زيد الرقراقي: هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة الدنيا، لا يتغيّر عليه، تنشأ النشأة الأخرى. وكلّ ذلك محتمل ولا يقدر في شيء من الأصول، بل كلّها توجيهات معقولة، يحتمل كلّ توجيه منها أن يكون مقصودا. والذي وقع لي به الكشف، الذي لا أشك فيه: أنّ المراد بعَجَبِ الذَّنْبِ هو ما تقوم عليه النشأة، وهو لا يتلى أي لا يقبل البلى.

1 [الأعراف : 29]

2 [الواقعة : 62]

3 [الأنبياء : 104]

4 ص 151

5 [الروم : 27]

6 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

7 ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

فإذا أنشأ الله النشأة الآخرة، وسوّاها وعدلها، وإن كانت هي الجواهر بأعيانها، فإنّ الذوات الخارجة إلى الوجود من العدم، لا تنعدم أعيانها بعد وجودها، ولكن تختلف فيها الصور بالامتزاجات. والامتزاجات التي تعطي هذه الصور أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم. فإذا تهيأت هذه الصور كانت كالحشيش المحرق - وهو الاستعداد لقبول الأرواح، كاستعداد الحشيش بالنار التي فيه، لقبول الاشتعال؛ - والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها: فينفخ إسرائيل نفخة واحدة، فتمرّ تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها، وتمرّ النفخة التي تليها - وهي الأخرى - إلى الصورة المستعدة للاشتعال - وهي النشأة الأخرى - فتشتعل بأرواحها ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾².

فتقوم تلك الصور، أحياء ناطقة بما ينطقها الله به، فمن ناطق بالحمد لله. ومن ناطق يقول: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾³ ومن ناطق يقول: "سبحان من أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" وكلّ ناطق ينطق بحسب علمه، وما كان عليه، ونسي - حاله في البرزخ. ويتخيّل أنّ ذلك الذي كان فيه منام، كما تخيّل المستيقظ. وقد كان، حين مات، وانتقل إلى البرزخ، كان كالمستيقظ هناك، وأنّ الحياة الدنيا كانت له كالمنام.

وفي الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ أنّه منام في منام، وأنّ اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة. وهو في ذلك الحال يقول: إنّ الإنسان في الدنيا كان في منام، ثمّ انتقل بالموت إلى البرزخ، فكان في ذلك بمنزلة من يرى في المنام أنّه استيقظ في النوم. ثمّ بعد ذلك في النشأة الآخرة، هي اليقظة التي لا نوم فيها، ولا نوم بعدها لأهل السعادة. لكن لأهل النار وفيها راحتهم، كما قدّمنا. وقال رسول الله ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا». فالدنيا بالنسبة إلى البرزخ نوم ومنام، فإنّ البرزخ أقرب إلى الأمر الحق، فهو أولى باليقظة. والبرزخ بالنظر إلى النشأة الأخرى يوم القيامة منام، فاعلم ذلك.

فإذا قام الناس، ومُدّت الأرض، وانشقت السماء، وانكدرت النجوم، وكورت الشمس، وحُسف القمر، وحُشِرَ الوحوش، وسُجّرت البحار، ورُوجت النفوس بأبدانها، ونزلت الملائكة على أرجائها، أعني أرجاء السماوات، وأتى ربنا ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ﴾⁵ ونادى المنادي: يا أهل السعادة؛ فأخذ منهم الثلاث الطوائف الذين ذكرناهم. وخرج العنق من النار، فقبض الثلاث الطوائف الذين ذكرناهم. وماج الناس،

1 ص 151 ب

2 [الزمر : 68]

3 [يس : 52]

4 ص 152

5 [البقرة : 210]

واشتد الحر، وألجم الناس العرق، وعظم الخطب، وجل الأمر، وكان¹ البهت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾² وجيء بجهمهم، وطال الوقوف بالناس، ولم يعلموا ما يريد الحق بهم، فقال رسول الله ﷺ:

«فيقول الناس بعضهم لبعض: تعالوا ننطلق إلى أيننا آدم، فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا مما نحن فيه، فقد طال وقوفنا. فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك. فيقول آدم: إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر خطيئته، فيستحي من ربه أن يسأله. فيأتون إلى نوح بمثل ذلك، فيقول لهم مثل ما قال آدم، ويذكر دعوته على قومه، وقوله: ﴿وَلَا يَلْبُؤُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾³ فوضع المواخذة عليه قوله: ﴿وَلَا يَلْبُؤُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاء. ثم يأتون إلى إبراهيم عليه السلام بمثل ذلك، فيقولون له مثل مقاتلتهم لمن تقدم، فيقول كما قال من تقدم، ويذكر كذباته الثلاث.⁴ ثم يأتون إلى موسى وعيسى، ويقولون لكل واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم، فيجيبونهم مثل جواب آدم».

فيأتون إلى محمد ﷺ وهو سيد الناس يوم القيامة، فيقولون له مثل ما قالوه للأنبياء عليهم السلام، فيقول محمد ﷺ: «أنا لها». وهو المقام الحمود الذي وعده الله به يوم القيامة. فيأتي ويسجد⁵ ويحمد الله بحماد يلهمه الله تعالى - إياها في ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك. ثم يشفع إلى ربه أن يفتح باب الشفاعة للخلق. فيفتح الله ذلك الباب: فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والأنبياء والمؤمنين. فهذا يكون سيد الناس يوم القيامة؛ فإنه شفع عند الله أن تشفع الملائكة والرسل.

ومع هذا تأدب ﷺ وقال: «أنا سيد الناس» ولم يقل: سيد الخلائق. فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع، وذلك أنه ﷺ جمع له بين مقامات الأنبياء عليهم السلام - كلهم ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السلام من اختصاصه بعلم الأسماء كلها. فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع، من الملائكة والناس من آدم فمن دونه، في فتح باب الشفاعة، وإظهار ما له من الجاه عند الله؛ إذ كان التهر الإلهي والجبروت الأعظم قد أخرس الجميع. وكان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السلام وأعظم في يوم اشتدت الحاجة فيه، مع ما ذكر من الغضب الإلهي الذي تجلّى فيه الحق في ذلك اليوم، ولم تظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قضية آدم. فدلّ بالجموع على عظيم قدره ﷺ، حيث⁶

1 ص 152 ب
2 [طه : 108]
3 [نوح : 27]
4 ق: الثلاثة
5 ص 153
6 ص 153 ب

أقدم مع هذه الصفة الغضبية الإلهية على مناجاة الحق، فيما سئل فيه.

فأجابه الحق سبحانه. فعلقت الموازين، ونشرت الصحف، ونصب الصراط، وبدئ بالشفاعة. فأول ما شفعت الملائكة، ثم النبيون، ثم المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين. وهنا تفصيل عظيم يطول الكلام فيه؛ فإنه مقام عظيم. غير أن الحق يتجلّى في ذلك اليوم فيقول: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد»، حتى تبقى هذه الأمة، وفيها منافقوها. فيتجلّى لهم الحق في أدنى صورة من الصور¹ التي كان تجلّى لهم فيها قبل ذلك، فيقول: «أنا ربكم» فيقولون: «نعوذ بالله منك، هذا نحن منتظرون، حتى يأتينا ربنا» فيقول لهم جلّ وتعالى: «هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها؟» فيقولون: «نعم» فيتحوّل لهم في الصورة التي عرفوه فيها بتلك العلامة، فيقولون: «أنت ربنا».

فيأمرهم بالسجود، فلا يبقى من كان يسجد لله إلا سجد. ومن كان يسجد انشاء ورياء، جعل الله فيهم نغصاً، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ... وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾² يعني في الدنيا. والساق التي كشفت لهم؛ عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة. تقول العرب: كشفت الحرب عن ساقها. إذا اشتدت الحرب وعظم أمرها. وكذلك «التفت الساق بالساق»³ أي دخلت الأهوال والأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة.

فإذا وقعت الشفاعة، ولم يبق في النار مؤمن شرعي أصلاً، ولا من عمل عملاً مشروعاً من حيث ما هو مشروع بلسان نبي، ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك في الصغر، إلا خرج بشفاعة النبيين والمؤمنين. وبقي أهل التوحيد الذين علموا التوحيد بالأدلة العقلية، ولم يشركوا بالله شيئاً، ولا آمنوا إيماناً شرعياً، ولم يعملوا خيراً قط، من حيث ما اتبعوا فيه نبياً من الأنبياء، فلم يكن عندهم ذرة من إيمان فما دونها، فيخرجهم أرحم الراحمين، وما عملوا خيراً قط، يعني مشروعاً من حيث ما هو مشروع، ولا خير أعظم من الإيمان، وما عملوه.

وهذا حديث عثمان بن عفان في الصحيح لمسلم بن الحجاج قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم» ولم يقل: يؤمن - «أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» ولا قال: «يقول» بل أفرد العلم. ففي هؤلاء تسبق عناية الله في النار، فإن النار بذاتها لا تقبل تخليد موحد لله، بأي وجه كان. وأتم وجهه الإيمان عن علم، فجمع

1 ق: الصورة ويبدو أثر مسح للشاء المربوطة.
2 [القلم : 42-43]
3 ص 154
4 [القيامة : 29]

فإن قلت: فإن إبليس يعلم أن الله واحد. قلنا: صدقت، ولكنه أول من سنّ الشرك. فعليه إثم المشركين، وإثمهم أنهم لا يخرجون من النار. هذا إذا ثبت أنه مات موحدًا، وما يدريك لعله مات مشركًا، لشبهة طرأت عليه في نظره. وقد تقدّم الكلام على هذه المسألة، فيما مضى. من الأبواب. فإبليس ليس بخارج من النار، فالله يعلم أي ذلك كان.

وهنا علوم كثيرة، وفيها طول يخرجنا، عن المقصود من الاختصار، إيرادها. ولكن مع هذا، فلا بد أن أذكر نبذة من كل موطن مشهور من مواطن القيامة: كالعرض، وأخذ الكتب، والموازين، والصراف، والأعراف، وذبح الموت، والمأدبة التي تكون في ميدان الجنة. فهذه سبعة مواطن لا غير، وهي أمهات للسبعة الأبواب التي للنار، والسبعة الأبواب التي للجنة. فإن الباب الثامن هو لجنّة الرؤية، وهو الباب المغلق الذي في النار، وهو باب الحجاب فلا يفتح أبداً، فإن أهل النار محبوبون عن ربهم.

الأول: وهو العرض:

اعلم أنه قد ورد في الخبر «أن رسول الله ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾¹ فقال: ذلك العرض يا عائشة؛ من نوقش الحساب عذب» وهو مثل عرض الجيش، أعني عرض الأعمال: لأنها رزق² أهل الموقف، والله الملك: فيعرف المجرمون بسيماهم، كما يعرف الأجناد هنا بنبيهم.

الثاني: الكتب:

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾³ وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾⁴ وهو المؤمن السعيد ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾⁵ وهو المنافق. فإن الكافر لا كتاب له. فالمنافق سلب عنه "الإيمان"، وما أخذ منه "الإسلام" فقليل في المنافق: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾⁶ فيدخل فيه المعطل والمشرك والمتكبر على الله، ولم يتعرض للإسلام. فإن المنافق ينقاد ظاهراً ليحفظ ماله وأهله ودمه، ويكون في باطنه واحداً من هؤلاء الثلاثة.

وإنما قلنا: "إن هذه الآية تعم الثلاثة" فإن قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ معناه لا يصدق بالله، والذين لا يصدقون بالله هم طائفتان: طائفة لا تصدق بوجود الله؛ وهم المعطلة. وطائفة لا تصدق بتوحيد الله؛ وهم المشركون. وقوله: ﴿الْعَظِيمِ﴾ في هذه الآية؛ يدخل فيها المتكبر على الله: فإنه لو اعتقد عظمة الله، التي يستحقها من تسمّى بالله، لم يتكبر عليه. وهؤلاء الثلاثة مع هذا المنافق الذي تميّز عنهم بخصوص وصف؛ هم أهل النار، الذين هم أهلها.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾⁷ فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً. فإذا كان يوم القيامة: قيل له: "خذ من وراء ظهرك". أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا⁸، فهو كتابهم المنزل عليهم، لا كتاب الأعمال. فإنه حين نبذه وراء ظهره ﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ﴾⁹ أي يتقن، قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهُمْ طُنُّوا بِالْفِي مَدَجِّجٍ

أي تيقنوا. ورد في الصحيح، يقول¹⁰ الله له يوم القيامة: «أظننت أنك ملاقي؟» وقال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَاكُمْ¹¹﴾

الثالث: الموازين:

فتوضع الموازين لوزن الأعمال، فيجعل فيها الكتب بما عملوا. وآخر ما يوضع في الميزان، قول الإنسان: "الحمد لله". ولهذا قال ﷺ: «الحمد لله تملأ الميزان» فإنه يلتقي في الميزان جميع أعمال العباد من الخير¹²، إلا كلمة "لا إله إلا الله" فيبقى من ملئه تحميدة، فتُجعل، فيمتلئ بها. فإن كفة ميزان كل أحد (هي) بقدر عمله من غير زيادة ولا نقصان، وكل ذكر وعمل يدخل الميزان، إلا "لا إله إلا الله" كما قلنا. وسبب ذلك أن كل عمل خير له مقابل من ضده، فيجعل هذا الخير في موازنته. ولا يقابل "لا إله إلا الله" إلا الشرك، ولا يجمع توحيد وشرك في ميزان أحد. لأنه إن قال: "لا إله إلا الله" معتقدا لها فما أشرك، وإن أشرك فما

1 [الإنشاق: 10]

2 "في حياتك الدنيا" ثابتة في هامش ق بخط آخر مع إشارة التصويب.

3 [الإنشاق: 14]

4 الشاعر هو دريد بن الصمة: (؟ - 8 هـ / ؟ - 629 م) من هوازن. شجاع من الأبطال الشعراء المعبرين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفارسهم وقادهم، وغزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها. وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين. وقد استصحبته هوازن معها حينما به وهو أعشى. والبيت هو: فقتلت لهم طنونا بالتي مدجج سرائيم في الفارسي المسرد وهو من قصيدة يرثي فيها أخاه عبد الله، مطلعها: عاقبة وأخلفت كل موعد (الموسومة الشعرية) أرت جديد الحبل من أم معبد

5 ص 155 ب

6 [فصلت: 23]

7 "من الخير" ثابتة في الهامش.

1 ص 154 ب

2 [الإنشاق: 8]

3 ق: رفق وصححت في الهامش "رئ" مع لفظ: بيان. وهي كلمة ليست عربية ومعناها العلامة أو الرمز، شبيهة بالراية.

4 [الإسراء: 14]

5 [الإنشاق: 7]

6 [الحاقة: 25]

7 ص 155

8 [الحاقة: 33]

اعتقد "لا إله إلا الله". فلما لم يصح الجمع بينهما، لم يكن لكلمة "لا إله إلا الله" من يعادلها في الكفة الأخرى، ولا يرجحها شيء. فهذا لا تدخل الميزان.

وأما المشركون ﴿فَلَا تَقِيَمُ لَهُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾¹، أي لا قدر لهم، ولا يوزن لهم عمل. ولا من هو من أمثالهم: ممن كذب بقاء الله، وكفر بآياته. فإن أعمال خير المشرك محبوبة، فلا يكون لشرهم ما يوازنه ﴿فَلَا تَقِيَمُ لَهُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾.

وأما صاحب السجلات، فإنه شخص لم يعمل خيرا قط، إلا أنه تلفظ يوما بكلمة "لا إله إلا الله" مخلصا، فتوضع له في مقابلة التسعة والتسعين سجلا من أعمال الشر؛ كل سجل منها كما بين المغرب والمشرق. وذلك لأنه ما له عمل خير غيرها. فترجح كفتها بالجميع وتطيش السجلات؛ فيتعجب من ذلك. ولا يدخل الموازين إلا أعمال الجوارح، شرها وخيرها: السمع، والبصر، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل. وأما الأعمال الباطنة³ فلا تدخل الميزان المحسوس. لكن يقام فيها العدل، وهو الميزان الحكمي المعنوي؛ فمحسوس لمحسوس، ومعنى لمعنى، يقابل كل شيء بمثله. فهذا توزن الأعمال من حيث ما هي مكتوبة.

الرابع؛ الصراط:

وهو الصراط المشروع الذي كان هنا معنى، يُنصب هنالك حسا محسوسا، يقول الله لنا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾⁴ ولما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية خطا خطا خطأ، وخطا عن جنبتيه خطوطا هكذا:



وهذا هو صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه. قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» أراد بقوله: بقوله: «وحسابهم على الله» أنه لا يعلم أنهم قالوها معتقدين لها إلا الله.

فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد، وله قدم على صراط الوجود. والمعتل لا قدم له على صراط

الوجود. فالمشرك ما وحّد الله هنا. فهو من الموقف إلى النار مع المعطلة. ومن هو من أهل النار الذين هم أهلها إلا المنافقين، فلا بد لهم أن ينظروا إلى الجنة وما فيها من النعيم، فيطمعون. فذلك نصيبهم من نعيم الجنان. ثم يُصرفون إلى النار، وهذا من عدل الله فقبلوا بأعمالهم.

والطائفة التي لا تغاد في النار، إنما تُسلك وتُسأل وتُعذب على الصراط، والصراط على متن جهنم؛ غائب فيها. والكلايب التي فيه بها يمسكهم الله عليه. ولما كان الصراط في النار، وما ثم طريق إلى الجنة إلا عليه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾¹ ومن عرف معنى هذا القول، عرف مكان جهنم ما هو، ولو قاله النبي ﷺ لما سئل عنه، لقلته. فما سكت عنه، وقال في الجواب: «في علم الله» إلا بأمر إلهي؛ فإنه ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾² وما هو من أمور الدنيا؛ فسكوتنا عنه هو³ الأدب.

وقد أتى في صفة الصراط، أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف. وكذا هو علم الشريعة في الدنيا، لا يعلم وجه الحق في المسألة عند الله، ولا من هو المصيب من المجتهدين بعينه. ولذلك تُعبدنا بغلبات الظنون، بعد بذل الجهود في طلب الدليل، لا في المتواتر ولا في خبر الواحد الصحيح المعلوم. فإن المتواتر، وإن أفاد العلم، فإن العلم المستفاد من التواتر إنما هو عين هذا اللفظ، أو العلم أن رسول الله ﷺ قاله، أو عميل. ومطلوبنا بالعلم؛ ما ينهم من ذلك القول والعمل، حتى نحكم في المسألة على القطع. وهذا لا يوصل إليه إلا بالنص الصريح المتواتر. وهذا لا يوجد إلا نادرا، مثل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾⁴ في كونها عشرة خاصة. فحكمها بالشرع أحد من السيف وأدق من الشعر في الدنيا. فالمصيب للحكم واحد لا بعينه، والكل مصيب للأجر.

فالشرع هنا، هو الصراط المستقيم. ولا يزال (العبد) في كل ركعة من الصلاة يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁵. فهو أحد من السيف وأدق من الشعر. فظهوره في الآخرة محسوس، أبين وأوضح من ظهوره في الدنيا، إلا لمن دعا إلى الله على بصيرة، كالرسول وأتباعه؛ فألحقهم الله بדרجات⁶ الأنبياء في الدعاء إلى الله على بصيرة، أي على علم وكشف. وقد ورد في خبر: «أن الصراط يظهر يوم القيامة منه للأبصار على قدر نور المازين عليه». فيكون دقيقا في حق قوم، وعريضا في حق آخرين. يصدق هذا الخبر قوله تعالى-

1 [مریم: 71]

2 [النجم: 3]

3 ص 157

4 [البقرة: 196]

5 [الناتحة: 6]

6 ص 157 ب

1 [الكهف: 105]

2 ص 156

3 نائبة في الهامش بقلم الأصل.

4 [الأعام: 153]

5 ص 156 ب

: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾¹ والسعي مشي، وما تمَّ طريق إلا الصراط. وإنما قال: ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ لأنَّ المؤمن في الآخرة لا شمال له، كما أنَّ أهل النار لا يمين لهم. هذا بعض أحوال ما يكون على الصراط.

وأما الكلاليب والخطاطيف والحسك كما ذكرنا، هي من صور أعمال بني آدم، تمسكهم أعمالهم تلك على الصراط. فلا ينتهضون إلى الجنة ولا يقعون في النار، حتى تدرهم الشفاعة والعناية الإلهية، كما قررنا. فمن تجاوز هنا تجاوز الله عنه هناك، ومن أنظر معسيرا أنظره الله، ومن عفا الله عنه، ومن استقصى حقه هنا من عباده استقصى الله حقه منه هناك، ومن شدد على هذه الأمة شدد الله عليه، «وإنما هي أعمالكم ترد عليكم» فالتزموا مكارم الأخلاق، فإنَّ الله غدا يعاملكم بما عاملتم به عباده؛ كان ما كان وكانوا ما كانوا.

الخامس: الأعراف:

وأما الأعراف فسور بين الجنة والنار، ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ وهو ما يلي الجنة منه ﴿وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾² وهو ما يلي النار منه، يكون عليه³ من تساوت كفتا ميزانه. فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة، وما لهم رجحان بما يدخلهم أحد البارين. فإذا دُعوا إلى السجود، وهو الذي يتقى يوم القيامة من التكليف، فيسجدون. فيرجح ميزان حسناتهم، فيدخلون الجنة. وقد كانوا ينظرون إلى النار بما لهم من السيئات، وينظرون إلى الجنة بما لهم من الحسنات، ويرون رحمة الله فيطمعون. وسبب طمعهم أيضا، أنهم من أهل "لا إله إلا الله" ولا يرونها في ميزانهم. ويعلمون أنَّ الله ﴿لَا يَظْلُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾⁴. ولو جاءت ذرة لإحدى الكتفين لرجحت بها؛ لأنها في غاية الاعتدال. فيطمعون في كرم الله وعده. وأنه لا بد أن يكون لكلمة "لا إله إلا الله" عناية بصاحبها، يظهر لها أثر عليهم.

يقول ﴿يَعْلَمُ فِيهِمْ﴾: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾⁵ كما نادوا أيضا ﴿إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلَقَّاءُ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁶ والظلم هنا (هو) الشرك لا غير.

السادس: دُج الموت:

الموت وإن كان نسبة، فإنَّ الله يظهره يوم القيامة في صورة كبش أملح، وينادي: يا أهل الجنة؛

فيشرَّبون. وينادي: يا أهل النار؛ فيشرَّبون. وليس في النار في ذلك الوقت إلا أهلها، الذين هم أهلها. فيقال للفريقين: أتعرفون هذا؟ وهو بين الجنة والنار. فيقولون: هو الموت. ويأتي¹ يحيى النبي ويبيد الشفرة، فيضجعه ويدبجه، وينادي مناد: يا أهل الجنة؛ خلود فلا موت، ويا أهل النار؛ خلود فلا موت، وذلك هو يوم الحسرة.

فأما أهل الجنة إذا رأوا الموت، سُرُّوا برؤيته سرورا عظيما، ويقولون له: بارك الله لنا فبك، لقد خلصتنا من نكد الدنيا، وكنت خير وارد علينا، وخير تحفة أهداها الحق إلينا. فإنَّ النبي ﷺ يقول: «الموت تحفة المؤمن». وأما أهل النار، إذا أبصروه يترقون منه، ويقولون له: لقد كنت شرَّ وارد علينا، خلَّت بيننا وبين ما كنا فيه من الخير والدعة. ثم يقولون له: عسى (أن) نتميتنا فنستريح مما نحن فيه.

وإنما سمي (دُج الموت) يوم الحسرة، لأنه حسر للجميع، أي ظهر عن صفة الخلود الدائم للطائفتين. ثم تغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده، وتطبق النار على أهلها، ويدخل بعضها في بعض، ليعظم انضغاط أهلها فيها، ويرجع أسفلها أعلاها وأعلىها أسفلها، ويرى الناس والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر، إذا كان تحتها النار العظيمة، تغلي كغلي الحميم، فتدور من فيها علوا وسفلا ﴿كُلَّمَا حَبَّثَ رِذْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾² بتبديل الجلود.

السابع: المأدبة:

وهي مأدبة الملك لأهل الجنة. وفي ذلك الوقت يجتمع أهل النار في³ مُنْدَبَةٍ. فأهل الجنة في المآدب، وأهل النار في المنادب. وطعامهم في تلك المأدبة "زيادة كبد النون". وأرض الميدان دَرَمَكَةٌ⁴ بيضاء مثل القرصة. ويخرج من الثور الطحال لأهل النار. فيأكل أهل الجنة من زيادة كبد النون، وهو حيوان بحريّ مائي، فهو من عنصر الحياة المناسبة للجنة. والكبد بيت الدم، وهو بيت الحياة، والحياة حارة رطبة، وبخار ذلك الدم هو النفس المعبر عنه بالروح الحيواني الذي به حياة البدن؛ فهو بشارة لأهل الجنة ببقاء الحياة عليهم.

وأما الطحال في جسم الحيوان، فهو بيت الأوساخ؛ فإنَّ فيه تتجمع أوساخ البدن، وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد، فيعطى لأهل النار يأكلونه. وهو من الثور، والثور حيوان ترابي، طبعه البرد واليبس.

1 ص 158 ب

2 [الإسراء: 97]

3 ص 159

4 في الحديث: "تراب الجنة دَرَمَكَةٌ بيضاء مشك". والتَرَمَكُ: الذي يُدْرَمَكُ حتى يكون دَقَاقًا من كل شيء. الدقيق، والكحل، وغيرها. وكذلك: التراب الدقيق: دَرَمَكٌ. [أنهيب اللغة]

1 [التحریم: 8]

2 [الحديد: 13]

3 ص 158

4 [النساء: 40]

5 [الأعراف: 46]

6 [الأعراف: 47]

وجهم على صورة الجاموس. والطحال من الثور لغذاء أهل النار أشد مناسبة فيما في الطحال من الدميّة لا يموت أهل النار، وبما فيه من أوساخ البدن، ومن الدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا ينعمون، فيورثهم آكله سقما ومرضا. ثم يدخل أهل الجنة الجنة، فما هم منها بمخرجين. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

انتهى السفر الرابع باتهاء الجزء، يتلوه² الجزء الثلاثون، والحمد لله رب العالمين.³

الفهارس

1 [الأحزاب : 4]

2 ص 159 ب

3 مكتوب وسط الصفحة: "سمع جميع هذا الجزء على مصنفه الشيخ الإمام العالم العامل محيي الدين شيخ الطائفة أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي: أبنا المصنف أبو المعالي محمد وأبو سعد محمد، وأبو طاهر إسماعيل بن سودكين النوري، وابن أخيه يوسف بن درياس بن يوسف الحميدي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد، وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم الأربلي، وضرب الله بن أبي العز بن الصغار، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، وموسى بن زيد بن جابر، ومحمد بن يوسف البرزالي، ويعقوب بن معاذ الوري، ومحمد بن يرتقش المعظمي، ومحمد بن صديق الأهري، ومهران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي المطرز، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد التكريتي، وبركة بن حسن بن مالك الهلالي، وعلي بن عبد العزيز بن تميم الحميري، وعيسى بن إسحاق الهنباقي، ويونس بن عثمان البمشقي، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن محمد بن سليمان الحريري، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وعلي بن أحمد بن علي، وإبراهيم بن محمد القرطبيان، وعبد الله بن محمد اللخمي الأندلسي، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، وأحمد بن موسى التركاني، ومحمد بن أحمد بن زرافة، ومحمد بن علي الخلاطي، وأبو زكريا بن إسماعيل الملقبي، وأحمد بن أبي الهيجاء البمشقي، وحسين بن محمد الموصلي، وأحمد بن أبي طالب البمشقي، وإبراهيم بن علي بن أحمد السنجاري، وإبراهيم بن أبي بكر الحلال، ومحمد بن محمد بن جمعة البلسي، وإبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وهذا خطه في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستائة بمزل المصنف بدمشق حرسه".

بنيته: "قرأت وأنا محمود بن عبيد الله بن أحمد الزنجاني جميع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مولفه الشيخ الإمام العلامة الحق المدقق محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الحاتمي الطائي في مجالس آخرها يوم الأحد ثاني شوال سنة ست وثلاثين وستائة بمدينة السلام دمشق في منزله صلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين".

ويلي ذلك بخط الشيخ الأكبر: "صغت القراءة والسماع كما ذكر لمن ذكر علي. وكتب منشييه محمد بن علي بن محمد بن العربي بخطه وتاريخه".

بنيته بخط الشيخ كذلك: "قرأت علي البنت أم دلال بنت شيخنا الزكي أحمد بن مسعود بن شاذ القري الموصلي هذه المجلدة. وكتب منشيها محمد بن علي بن محمد بن العربي بخطه، وأذنت لها أن تحدث بها عني، وذلك في العشرين من محرم سنة ست وثلاثين وستائة".

يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1746

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
132ب	4	1	الفاتحة	62	245	2	البقرة
75ب	5	1	الفاتحة	117	255	2	البقرة
77ب	5	1	الفاتحة	114	261	2	البقرة
157	6	1	الفاتحة	130	261	2	البقرة
100	20	2	البقرة	128ب	268	2	البقرة
120ب	24	2	البقرة	84ب	269	2	البقرة
21	30	2	البقرة	38	281	2	البقرة
53ب	31	2	البقرة	35ب	282	2	البقرة
54ب	67	2	البقرة	77ب	286	2	البقرة
75ب	87	2	البقرة	3ب	22، 21	2	البقرة
125	105	2	البقرة	66ب	5	3	آل عمران
130	105	2	البقرة	45ب	6	3	آل عمران
131	105	2	البقرة	52ب	6	3	آل عمران
137	115	2	البقرة	106	6	3	آل عمران
53	167	2	البقرة	135	6	3	آل عمران
40ب	175	2	البقرة	128ب	11	3	آل عمران
43	183	2	البقرة	30	21	3	آل عمران
157	196	2	البقرة	67ب	28	3	آل عمران
152	210	2	البقرة	84ب	48	3	آل عمران
38	245	2	البقرة	77ب	49	3	آل عمران

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
66	49	9	التوبة
66	58	9	التوبة
40ب	111	9	التوبة
65ب	111	9	التوبة
86	122	9	التوبة
17ب	128	9	التوبة
116ب	5	10	يونس
46ب	7	11	هود
29ب	17	11	هود
65ب	41	11	هود
55ب	56	11	هود
63	56	11	هود
95	107	11	هود
38	123	11	هود
98ب	53	12	يوسف
44	75	12	يوسف
30	108	12	يوسف
48ب	2	13	الرعد
117	2	13	الرعد
4ب	24	13	الرعد
118	33	13	الرعد

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
70	90	6	الأنعام
90ب	93	6	الأنعام
95ب	103	6	الأنعام
135ب	103	6	الأنعام
88ب	112	6	الأنعام
156	153	6	الأنعام
26	12	7	الأعراف
150ب	29	7	الأعراف
158	46	7	الأعراف
158	47	7	الأعراف
24ب	143	7	الأعراف
13ب	151	7	الأعراف
94	155	7	الأعراف
121	156	7	الأعراف
63	172	7	الأعراف
122ب	182	7	الأعراف
122ب	204	7	الأعراف
24	198	7	الأعراف
	199		
45ب	29	8	الأنفال
122ب	6	9	التوبة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
131ب	90	3	آل عمران
62	97	3	آل عمران
107	97	3	آل عمران
117	97	3	آل عمران
3ب	102	3	آل عمران
131	133	3	آل عمران
149ب	185	3	آل عمران
36	40	4	النساء
158	40	4	النساء
39	48	4	النساء
132	56	4	النساء
54ب	59	4	النساء
54ب	59	4	النساء
55	59	4	النساء
55	59	4	النساء
5	69	4	النساء
98	78	4	النساء
98	78	4	النساء
98	78	4	النساء
18ب	79	4	النساء
98	79	4	النساء
54ب	80	4	النساء
54ب	80	4	النساء
98ب	80	4	النساء
84ب	113	4	النساء
91ب	136	4	النساء
91ب	136	4	النساء
121ب	145	4	النساء
43ب	164	4	النساء
38	18	5	المائدة
56ب	48	5	المائدة
70ب	67	5	المائدة
89ب	77	5	المائدة
3ب	105	5	المائدة
4	105	5	المائدة
4	105	5	المائدة
77ب	110	5	المائدة
55ب	18	6	الأنعام
35ب	35	6	الأنعام
77ب	38	6	الأنعام
13ب	83	6	الأنعام
14	83	6	الأنعام

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
13ب	63	21	الأنبياء
14	63	21	الأنبياء
136ب	91	21	الأنبياء
120ب	98	21	الأنبياء
143	103	21	الأنبياء
142	104	21	الأنبياء
150ب	104	21	الأنبياء
115	19، 20	21	الأنبياء
14ب	65-64	21	الأنبياء
3	1	22	الحج
5	2	22	الحج
23ب	2	22	الحج
22	18	22	الحج
13ب	14	23	المؤمنون
93ب	61	23	المؤمنون
136	101	23	المؤمنون
143ب	37، 38	24	النور
59ب	63	25	الفرقان
39	70-68	25	الفرقان
18ب	80	26	الشعراء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
37	46	20	طه
102ب	50	20	طه
137ب	50	20	طه
106	74	20	طه
106	74	20	طه
114ب	74	20	طه
120	81	20	طه
142	107	20	طه
152ب	108	20	طه
122ب	114	20	طه
62ب	121	20	طه
63ب	121	20	طه
63	20	21	الأنبياء
52	22	21	الأنبياء
112ب	30	21	الأنبياء
113	30	21	الأنبياء
57ب	33	21	الأنبياء
129ب	33	21	الأنبياء
114	47	21	الأنبياء
13ب	60	21	الأنبياء
13ب	63	21	الأنبياء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
36	85	17	الإسراء
158ب	97	17	الإسراء
142ب	108	17	الإسراء
59ب	110	17	الإسراء
128	64-62	17	الإسراء
27ب	30	18	الكهف
14ب	60	18	الكهف
34ب	65	18	الكهف
84ب	65	18	الكهف
18ب	79	18	الكهف
18ب	82	18	الكهف
85ب	104	18	الكهف
155ب	105	18	الكهف
76	9	19	مريم
130ب	63	19	مريم
156ب	71	19	مريم
59ب	85	19	مريم
64	85	19	مريم
66	5	20	طه
66	8	20	طه
33ب	14	20	طه

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
76	29	15	الحجر
136ب	29	15	الحجر
123	44	15	الحجر
129	44	15	الحجر
66ب	99	15	الحجر
130ب	9	16	النحل
47ب	40	16	النحل
57	40	16	النحل
55ب	50	16	النحل
100ب	68	16	النحل
84ب	78	16	النحل
131ب	88	16	النحل
132	88	16	النحل
125	116	16	النحل
78ب	1	17	الإسراء
120	8	17	الإسراء
154ب	14	17	الإسراء
97	20	17	الإسراء
99	20	17	الإسراء
22	44	17	الإسراء
34	85	17	الإسراء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
138			
128ب	5	38	ص
54	26	38	ص
12ب	27	38	ص
121ب	64	38	ص
26	85	38	ص
13ب	3	39	الزمر
20	3	39	الزمر
128ب	3	39	الزمر
95	47	39	الزمر
39	53	39	الزمر
126	56	39	الزمر
64	67	39	الزمر
151ب	68	39	الزمر
131	12	40	غافر
123ب	46	40	غافر
124	57	40	غافر
142	32، 33	40	غافر
63ب	11	41	فصلت
116ب	12	41	فصلت
119	12	41	فصلت

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
133	4	33	الأحزاب
140	4	33	الأحزاب
159	4	33	الأحزاب
70	21	33	الأحزاب
144	23	33	الأحزاب
144	24	33	الأحزاب
5	35	33	الأحزاب
108	40	33	الأحزاب
29ب	45، 46	33	الأحزاب
78ب	46	33	الأحزاب
3ب	70	33	الأحزاب
116ب	39	36	يس
151ب	52	36	يس
122	59	36	يس
128ب	59	36	يس
14ب	95	37	الصفات
144ب	95	37	الصفات
45	164	37	الصفات
118ب	164	37	الصفات
71	182	37	الصفات
9	137،	37	الصفات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
122	98، 99	26	الشعراء
120ب	94، 95	26	الشعراء
121ب	96، 97	26	الشعراء
98	47	27	النمل
122ب	50	27	النمل
128ب	38	28	التقصص
131ب	12	29	العنكبوت
131ب	13	29	العنكبوت
42	45	29	العنكبوت
108	4	30	الروم
85ب	7	30	الروم
151	27	30	الروم
10	54	30	الروم
10	54	30	الروم
13	54	30	الروم
75ب	54	30	الروم
38	22	31	لقمان
3ب	33	31	لقمان
108ب	5	32	السجدة
117	5	32	السجدة
143ب	16	32	السجدة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
155ب	23	41	فصلت
39	42	41	فصلت
83ب	42	41	فصلت
85	42	41	فصلت
85ب	42	41	فصلت
3ب	53	41	فصلت
84	53	41	فصلت
118	54	41	فصلت
43	11	42	الشورى
55	11	42	الشورى
55ب	11	42	الشورى
67ب	11	42	الشورى
104ب	11	42	الشورى
104ب	11	42	الشورى
137ب	11	42	الشورى
43ب	51	42	الشورى
64	32	43	الزخرف
106	75	43	الزخرف
22	29	44	الدخان
117	13	45	الجاثية
53ب	9	46	الأحقاف
42ب	19	47	محمد
67ب	19	47	محمد
96	19	47	محمد
122	2	49	الحجرات
122ب	2	49	الحجرات
58	15	50	ق
55ب	16	50	ق
129ب	18	50	ق
121	30	50	ق
131	30	50	ق
104	37	50	ق
3ب	21	51	الذاريات
62	56	51	الذاريات
10	58	51	الذاريات
13	58	51	الذاريات
98ب	3	53	النجم
156ب	3	53	النجم
37	14	54	القمر
118	53	54	القمر
34ب	2	55	الرحمن
26	15	55	الرحمن

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
56ب	29	55	الرحمن
109	29	55	الرحمن
117	29	55	الرحمن
56ب	31	55	الرحمن
4ب	54	55	الرحمن
84ب	4، 3	55	الرحمن
133ب	20، 19	55	الرحمن
75ب	62	56	الواقعة
150ب	62	56	الواقعة
55ب	85	56	الواقعة
4ب	44 - 42	56	الواقعة
7ب	4	57	الحديد
30ب	4	57	الحديد
55ب	4	57	الحديد
157ب	13	57	الحديد
86ب	7	58	المجادلة
54ب	7	59	الحشر
42ب	9	59	الحشر
64ب	22	59	الحشر
64ب	22	59	الحشر
64ب	23	59	الحشر
65	24	59	الحشر
92ب	1	63	المنافقون
118	12	65	الطلاق
119	12	65	الطلاق
124ب	12	65	الطلاق
62ب	6	66	التحریم
157ب	8	66	التحریم
153ب	43-42	68	القلم
142	16	69	الحاقة
154ب	25	69	الحاقة
155	33	69	الحاقة
108ب	4	70	المعارج
42ب	19	70	المعارج
132ب	18، 17	70	المعارج
42ب	21، 20	70	المعارج
57	17	71	نوح
152ب	27	71	نوح
4	7	73	المزمل
132ب	46 - 42	74	المدثر
154	29	75	القيامة
75ب	1	76	الإنسان

فهرس الأحاديث النبوية

الحدث	مخرج الحديث	صفحة
أندري ما يقول هذا الطائر في نقره في الماء؟ قال موسى - عليه السلام- لا أدري. قال: يا موسى؛ يقول هذا الطائر: ما تنص علمي وعلمك من علم الله، إلا ما نقص من هذا البحر منقاري	صحیح البخاري 3149، مسند أحمد 2415، مسند أبي يعلى الموصلي 2274	34
أرأيت ربك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: نور أنى أراه	صحیح مسلم 261، سنن الترمذي 3204	43
استفت قلبك	مسند أحمد 17320، سنن الدارمي 2588	71ب
استفت قلبك وإن أفتاك المفتون	مسند أحمد 17320، سنن الدارمي 2588	19ب
أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً	صحیح البخاري 6524، صحیح مسلم 4214	139ب
أظننت أنك ملاقي	صحیح مسلم 5270، شعب الإيمان للبيهقي 264	155ب
اعبد الله كأنك تراه	صحیح البخاري 48، صحیح مسلم 9	133ب، 137
إعرف ربك	صحیح البخاري 1، سنن أبي داود 1882	101ب، 42ب
الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى	المستدرک على الصحيحين 924، صحیح مسلم 744	55ب
أقرب ما يكون العبد من الله في سجوده	صحیح البخاري 504، صحیح مسلم 977	121
أكل بعضي بعضاً		

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
128	23	78	النبا
128ب	24	79	النازعات
5	34 - 37	80	عبس
124	6	81	التكوير
3ب	6	82	الإنطار
143ب	6	82	الإنطار
97ب	7	82	الإنطار
129ب	11	82	الإنطار
141ب	6	83	المطففين
127	24	83	المطففين
4ب	25	83	المطففين
4ب	27	83	المطففين
132ب	11، 12	83	المطففين
132ب	16، 17	83	المطففين
142	3	84	الإنشاق
154ب	7	84	الإنشاق
154ب	8	84	الإنشاق
155	10	84	الإنشاق
155	14	84	الإنشاق
148	14	89	الفجر
59ب	22	89	الفجر
141ب	22	89	الفجر
85	7	91	الشمس
85	8	91	الشمس
98	8	91	الشمس
97	7، 8	91	الشمس
65ب	1	96	العلق
37	14	96	العلق
41ب	19	96	العلق
55ب	19	96	العلق
84ب	1 - 5	96	العلق
4ب	3 - 5	101	القارعة
4ب	9	104	الهمزة
4ب	5 - 8	104	الهمزة
107ب	1 - 4	112	الإخلاص

الحديث	مخرج الحديث	صفحة اخطوط
أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ	صحيح مسلم 271، سنن 106ب، ابن ماجه 4299	114ب
أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ	صحيح البخاري 24، وصحيح مسلم 33	156ب
إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَا وَرَّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ	سنن أبي داود 3157، سنن الترمذي 2605	29
إِنَّ النَّاسَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ	سنن ابن ماجه 4240، المعجم الكبير للطبراني 10128	39
إِنَّ السَّيِّئَ تَطَرَّطَ مَطَرًا شَبَّهَ الْمُنِيِّ، تَمَخَّضَ بِهِ الْأَرْضُ، فَتَنَشَأُ مِنْهُ النَّشْأَةُ الْآخِرَةُ		150ب
أَنَّ الشَّيْطَانَ يَلْعَبُ بِهِ		139ب
أَنَّ الصَّرَاطَ يَظْهَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُ لِلْأَبْصَارِ عَلَى قَدَرِ نُورِ الْمَازِينَ عَلَيْهِ		157ب
إِنَّ الْقَلْبَ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يَقْبَلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ	سنن ابن ماجه 3824، مسند أحمد 6321	104
إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ	صحيح مسلم 612، مسند أحمد 18834	90ب
إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُ	صحيح البخاري 6856، صحيح مسلم 4851	41
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سئل عن قوله - تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَخَاسِبُ حَسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال: ذَلِكَ الْعَرَضُ بِأَعَانَتِهِ؛ مِنْ نَوْقِ الْحَسَابِ عُدْبُ	صحيح البخاري 100، صحيح مسلم 5122	154ب
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ قَاعِدًا مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعُوا هَذَةَ عَظِيمَةً، فَارْتَاعُوا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعْرِفُونَ مَا هَذِهِ الْهَذَّةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ	مصنف ابن أبي شيبة - (8) 121 / (96) 32	121

الحديث	مخرج الحديث	صفحة اخطوط
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: حَجَّرَ أَلْقَى مِنْ أَعْلَى جَهَنَّمَ مِنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، الْآنَ وَصَلَ إِلَى قَعْرِهَا، فَكَانَ وَصُولُهُ إِلَى قَعْرِهَا وَسُقُوطُهُ فِيهَا هَذِهِ الْهَذَّةُ		145
إِنَّ فِي الْقِيَامَةِ لِلْحَسَنِ مَوْقِفًا، كُلِّ مَوْقِفٍ مِنْهَا أَلْفُ سَنَةٍ. فَأَوَّلُ مَوْقِفٍ إِذَا خَرَجَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، يَقُومُونَ عَلَى أَبْوَابِ قُبُورِهِمْ أَلْفُ سَنَةٍ عَرَاةَ خِفَاءَ جِيعًا عَطَاشًا. فَمَنْ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ مُؤْمِنًا بِرَبِّهِ، مُؤْمِنًا بِنَبِيِّهِ، مُؤْمِنًا بِحُجَّتِهِ وَنَارِهِ، مُؤْمِنًا بِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ، مُؤْمِنًا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، مُصَدِّقًا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؛ نَجَا وَفَازَ وَغَنِمَ وَسَعَدَ.	سنن الترمذي 2914، سنن المستدرك على الصحيحين للحاكم 6056	97ب
إِنَّ لِلْمَلَكِ فِي الْإِنْسَانِ لَقَمَةً، وَلِلشَّيْطَانِ لَقَمَةً	المعجم الكبير للطبراني 5670، مسند أبي يعلى الموصلي 7359	43
إِنَّ اللَّهَ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ وَظِلْمَةٍ.. أَوْ سَبْعِينَ أَلْفًا	سنن أبي داود 1162، مسند أحمد 25104	117ب
إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا	شعب الإيمان للبيهقي 699	39ب
أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِي	صحيح البخاري 4343، صحيح مسلم 287	153
أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ	مسند أحمد 15442، المستدرك على الصحيحين للحاكم 7711	94
أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي خَيْرًا		60
إِنَّا قَدْ أَمَرْنَاهُ بِأَمْرٍ؛ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: انْهَضْ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ. وَاصْبِرْ أَنْتَ، فَإِنَّكَ تَنْتَفِعُ بِصَحْبَتِهِ. وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: امْتَدِّحِ الْأَنْصَارَ، وَلْتَعَيِّنْ مِنْهُمْ سَعْدَ بْنَ		

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
عبادة، ولا بدّ		
إنّه حديث عهد بربه	صحيح مسلم 1494، 87	
إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن	المستدرک على الصحيحين للحاکم 7876	
	مسند الشاميين للطبراني 59، 1053، كنز العمال 33951	59ب، 64
أول ما يُنظر فيه من عمل العبد، الصلاة. فيقول الله: انظروا في صلاة عبدي، أتمّها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كُنيت له تامة. وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أكلوا لعبدي فريضته من تطوعه. ثمّ تؤخذ الأعمال على ذاك أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه	سنن أبي داود 733، 40	
أين من ذهب يخلق كخلتي	المستدرک على الصحيحين للحاکم 922	
بئس الخطيب أنت	مسند أحمد 15599، سنن الترمذي 3034	108
بيده الميزان يخفض ويرفع	صحيح البخاري 5497، 77ب	
جعت فلم تطعمني، وظلمت فلم تسقني، ومرضت فلم تغذني	مسند أحمد 7209	
هجاه النور	صحيح مسلم 1438، مسند أحمد 17536	98
الحمد لله تملأ الميزان	صحيح البخاري 4316، 56ب	
خادم القوم سيدهم	مشكاة المصابيح 92	
	صحيح مسلم 4661، شعب الإيمان للبيهقي 8879	120ب
	صحيح مسلم 263، سنن ابن ماجه 192	43
	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي 3439	155ب
	شعب الإيمان للبيهقي 8173	15

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
دع ما يربيك إلى ما لا يربيك	سنن الترمذي 2442، سنن النسائي 5302	19ب، 71ب
زدني فيك تحيّرًا	تفسير حقي - (1 / 352)	69ب
زملوني زملوني	صحيح البخاري 3، صحيح مسلم 231	24ب
سبقت رحمتي غضبي	صحيح البخاري 6998، صحيح مسلم 4940	53
سهل الأمر	صحيح مسلم 4940	87ب
شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين	مسند أحمد 11463، 94	
الصدقة برهان	ومصنف عبد الرزاق 20858	
الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها العلماء ورثة الأنبياء	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي 3439	42ب
علمت علم الأولين والآخرين	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي 3439	40ب
عليك بالصوم فإنه لا مثيل له	سنن أبي داود 3157، سنن الدارمي 351	29
عند نبي لا ينبغي تنازع	مسند أحمد 3304، المعجم الكبير للطبراني 16640	54، 36
فأحمد ربّي بمحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن	سنن النسائي 2190، 43	
فإن عدلوا فلکم ولهم وإن جاروا فلکم وعليهم	مصنف عبد الرزاق 7899	
	صحيح البخاري 2825، صحيح مسلم 3089	122
	صحيح البخاري 6861، صحيح مسلم 286	54
		117ب

الحديث	مخرج الحديث	صفحة اخطوط
فلسي- آدم فنسيث ذريته، ومحمد آدم فحدث ذريته، إلا من رحم ربك فعصمه	سنن الترمذي 3002، المستدرک على الصحيحين للحاكم 3215	63ب
في علم الله		156ب
فيضع الجبار فيها قدمه، فنقول: قط قط	مسند أحمد 7393، السنن الكبرى للنسائي 11522	131
فيقول الناس بعضهم لبعض: تعالوا ننطلق إلى أبينا آدم، فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا مما نحن فيه، فقد طال وقوفنا. فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك. فيقول آدم: إن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر خطيئته، فيستحي من ربه أن يسأله. فيأتون إلى نوح بمثل ذلك	صحيح البخاري 3092، صحيح مسلم 287	152ب
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل. يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: حمدني عبدي	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	43ب
كالأمة التي دخلتها وليست من أهلها، فأماهم الله فيها إمامة، فلا يحسون بما تشعل النار في أبدانهم	صحيح مسلم 271، سنن ابن ماجه 4299	132
كذب من ادعى محبتي فإذا جثه الليل نام عني. أليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه، ها أنا ذا قد تجليت لعبادي: هل من داع فاستجيب له، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له	صحيح مسلم 852، مسند أحمد 3528، المستدرک على الصحيحين للحاكم 1830	53ب
كذبي ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك	المعجم الكبير للطبراني 10602	62ب
كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس	موطأ مالك 1396، صحيح مسلم 4799	117ب
كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به	صحيح البخاري 1771، صحيح مسلم 1944	43

الحديث	مخرج الحديث	صفحة اخطوط
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	صحيح البخاري 844، صحيح مسلم 3408	117ب
كنت بصره الذي يبصر به	صحيح البخاري 6021، المعجم الكبير للطبراني 7738	135ب
لا أحد أصبر على أدنى من الله	صحيح البخاري 5634، صحيح مسلم 5016	62ب
لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك	صحيح مسلم 751، سنن النسائي 169	67
لا إله إلا الله لا يزيها شيء		40ب
لكل واحدة منكم ملؤها	صحيح البخاري 4472، صحيح مسلم 5081	131
للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه	صحيح البخاري 1771، صحيح مسلم 1944	43ب
لما خلق الأرض وجعلت تميد... يا رب؛ فهل خلقت شيئا أشد من الريح؟ قال: نعم؛ المؤمن يتصدق بيمينه ما تعرف بذلك شماله	مسند أحمد 11805، تفسير ابن أبي حاتم 12936	10
الله في قبلة المصلي	صحيح البخاري 391، صحيح مسلم 852	137
اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم غيبك	مسند أحمد 3528، المستدرک على الصحيحين للحاكم 1830	53ب
اللهم زدني فيك تحيرا		67
لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني	مسند أحمد 14104، مسند أبي يعلى الموصلي 2081	15
ليس كذب علي ككذب علي أحد؛ إنه من كذب علي	صحيح البخاري 1209،	90

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
متعمداً فليتبوأ مقعده من النار	صحيح مسلم 5	
ما ترددت في شيء أنا فاعله	صحيح البخاري 6021، مسند أحمد 24997	48ب
ما كان الله لينهاكم عن الربا وبأخذه منكم	سنن الدارقطني 1461	95
ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي	الزهدي لأحمد بن حنبل 429	55ب
متى كنت نبياً؟ فقال: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين	المستدرك على الصحيحين 4174، دلائل النبوة للبيهقي 434	14ب
مُثلت لي الجنة في غرض هذا الحائط	صحيح البخاري 707، مسند أحمد 13222	139ب
من أتاني يسعى أتيتته هرولة	صحيح البخاري 6982، صحيح مسلم 4832	104
من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها	سنن ابن ماجه 199، مسند أحمد 18406	89ب
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً	سنن ابن ماجه 199، مسند أحمد 18406	131ب
من عمل بما علم فأورثه الله علم ما لم يكن يعلم	تفسير ابن كثير - (8) / (437)، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة - (1) / (20)	35ب
من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار	صحيح البخاري 1209، صحيح مسلم 5	90
من مات فقد قامت قيامته	كشف الخفاء 2618، كنز العمال 42748	149
من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة	صحيح مسلم 38، مسند أحمد 467	154

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
من يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يركع ركعتين لا يحدث نفسه فيها بشيء، فتحت له الثمانية الأبواب من الجنة، يدخل من أيها شاء	صحيح مسلم 345، سنن أبي داود 145	32ب
الموت تحفة المؤمن	المستدرك على الصحيحين 9535، للحاكم 8014، شعب الإيمان للبيهقي 9535	158ب
الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا	فيض القدير 6433، حديث أبي الفضل الزهري 710	152
نفس الرحمن من قبل اليمن	مسند الشاميين للطبراني 33951، كنز العمال 1053	126
هو قرن من نور ألقمه إسرافيل والخير كله بيدك، والشر ليس إليك	صحيح مسلم 1290، سنن الترمذي 3344	136ب
والصبر ضياء	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي 3439	18ب
وإنما هي أعمالكم ترد عليكم	المستدرك على الصحيحين 7714، شعب الإيمان للبيهقي 6823	44
يا أهل الموقف؛ ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ينزل ربنا إلى السماء الدنيا	صحيح البخاري 1077، صحيح مسلم 1261	157ب
يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم... يقدر لها	صحيح مسلم 5228، سنن أبي داود 3764	143ب

فهرس الشعر

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر
119ب	إِنَّ السَّمَاءَ تَعُوذُ رُفْقًا مِثْلَ مَا	ضياؤها	4	الكامل
96ب	لَا تَحْكُمَنَّ بِالْهَامِ تَجِدُهُ فَقَدْ	واهيه	6	البسيط
33ب	الْعِلْمُ بِالْأَشْيَاءِ عِلْمٌ وَاحِدٌ	ذاته	4	الكامل
16	أَنَا حَتْمُ الْوَلَايَةِ دُونَ شَكٍّ	المسيح	7	الوافر
101	إِذَا أَعْطَاكَ بِالْإِلْهَامِ عِلْمًا	سعيد	7	الوافر
83	عِلْمُ الْإِشَارَةِ تَقْرِيبٌ وَإِعْزَازٌ	وإسئاد	3	الكامل
59	نَفْسُ الرَّحْمَنِ لَيْسَ لَهُ	مستند	6	المديد
79	إِذَا لَمْ تَلَقُ أَسْتَأْذِنَا	لاذا	7	الهرج
133	بَيْنَ الْقِيَامَةِ وَالْدُنْيَا لِيَذِي نَظَرٍ	سور	9	البسيط
60ب	قَالَ ابْنُ ثَابِتٍ الَّذِي فَخَّرَتْ بِهِ	الأشعار	17	الكامل
127ب	مَرَاتِبُ النَّارِ بِالْأَعْمَالِ تَمْتَازُ	والنجاز	9	البسيط
71	يَا مَنْ تَحَقَّقَ بِالنَّفْسِ	القبس	8	مجزوء الكامل
37	وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَقَّ بِالْأَوَّلِ انْتَصَفُ	أعترف	9	الطويل
111	إِنَّ الْعُنَاصِرَ أُمُهَاثَ أَرْبَعٍ	الأفلاك	7	الكامل
23	إِذَا كُنْتَ فِي طَاعَةٍ رَاغِبًا	الآجل	11	المتقارب
2	أَلَا إِنَّ أَهْلَ اللَّيْلِ أَهْلُ تَنْزِيلٍ	تنقل	9	الطويل
93ب	لِلْإِسْتِقْرَاءِ حَدٌّ فِي الْمَعَانِي	الرجال	6	الوافر
66ب	مَنْ قَالَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ	جمها	4	البسيط
28ب	وُجُودُكَ عَنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ مُحَقِّقٍ	تعقل	12	الطويل

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر
106ب	إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا حَقَّقَتْ حَاصِلَهُ	معلوم	7	البسيط
49ب	إِنَّمَا كَانَ هَكَذَا يَكْذَا	الحكم	3	الخفيف
88ب	لَوْ أَنَّ اللَّهَ يَفْهَمُنَا	الحكم	3	الهرج
52ب	إِنَّمَا عَلَّلُوا الَّذِي	لكونه	6	مجزوء الخفيف
74ب	كُلُّ مَنْ خَافَ عَلَى هَيْكَلِهِ	علنا	3	الرمل
69ب	وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ	عينه	1	المتقارب
135ب	إِذَا تَجَلَّى حَبِيبِي	أراه	2	المجتث
9	وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَا مَلَالَةَ عِنْدَهُمْ	ومكرمة	9	الطويل
141	يَوْمَ الْمَعَاجِرِ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	وسنه	6	البسيط
مجموع الأبيات 185				

استشهاد

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر	الشاعر
82	إيليس والدنيا ونسي والهوى	اعدائي	1	الكامل	
128	بأفعل وبأفعال وأفعلة	العدد	1	البسيط	
155	فقلت لهم طئثوا بالقي مدجج	المسرد	1		دريد بن الصمة
69ب	وفي كل شيء له آية	واحد	1	المتقارب	أبو العتاهية
94	إن الجياد على أعراقها تجري	تجري	1	البسيط	
82	إني بليت بأن يعزمني	توتير	2	الكامل	
85ب	سوف ترى إذا انجلي الغبار	حمار	1	الرجز	بديع الزمان
60	شغف السهاد بمفاتي ومزاري	ومشاري	1	الكامل	الحمداني
6	يا مؤنسي بالليل إن هجج الوري	بنهاري	1	الكامل	حسان بن ثابت
86	إذا اشتبكك دموع في خدود	تباكي	1	الوافر	المتنبي
38ب	وحبب أوطان الرجال إليهم	هنالكا	2	الطويل	ابن الرومي
39	أخل من الأمن عند الخائف الوجلي	الوجل	1	البسيط	الوآواء
150	زعم المنجم والطبيب كلاهما	إليكما	2	الكامل	الدمشقي
64	إذا ما رايته رفعت لمجد	باليمن	1	الوافر	أبو العلاء المعري
89ب	ما كان من بعث الأمين أميننا	أمينا	1		الذياني
مجموع الأبيات					18

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الإشارة	83	إبراهيم	10ب، 13ب، 14،
اصل الجوهر الفرد	109		18ب، 29، 152ب،
الإلهية	59ب	إيليس	26، 62، 63ب، 82،
إلياس	36		89، 91، 92، 93،
أم القرآن	79ب		97، 120ب، 125ب،
الأمانة	29ب		128، 129، 12ب، 9ب،
الأنس	72	الأثر - المؤثر -	132ب، 154، 154ب
الإنسان الكامل	49، 48ب، 47	المؤثر فيه	21، 51ب، 52، 99ب
الإيتية	69ب	الأحدية - أحدية	14ب، 138ب
أهل الوجود	4ب	الأحد - أحدية	
أول - آخر	107، 49ب،	الكثرة	
الإيثار	61	إدريس	36
الإيمان/تصديق	67	آدم	7، 14ب، 15، 21،
بحر	37		36، 43، 46، 53ب،
بدل	80ب		54، 62ب، 63ب،
البرزخ	133، 133ب، 134	الإرث - الوارث	105، 117، 119ب،
البرق	33، 32ب،	استدراج	120ب، 146، 150ب،
بينة الله	14، 29ب، 72، 86،	الاستواء/السواء	152ب، 153، 157ب
التجلي	132ب، 138	إسراء - معراج	6ب
تجلي غيب - تجلي	74، 73ب،	اسم ذات - اسم مرتبة	31

المصطلح	صفحة المخطوط
شهادة	
التداني	2
التدلي	2
ترجمان الحق	18، 6
التزقي	2
التسبيح/ذكر	41ب، 42ب، 79ب
التصريف	13
التلقي	2
التوجه الإلهي	47ب، 57ب
التوحيد	44ب، 79ب، 128ب، 154، 156، 156ب
التوكل	18ب، 80، 82
الثبوت	67، 92
جبريل	11ب، 24ب، 89ب، 96
الجسد	76، 76ب
جنة اختصاص	130ب
جنة الأعمال	130ب
جنة الكتيب /	41
حضرة الحق	35، 36، 84ب
جنة عدن	41
جنة ميراث	130ب
المصطلح	صفحة المخطوط
جنس الاجناس /	48
الجنس الأعم	
جهم	120، 124
الجوع	44ب
حاجب الحق	115، 116
حب جزاء- حب	12ب
عناية	
الحجاب	15
الحضرة اكن	47
الحضرة الإلهية	47
الحقيقة الكلية	48ب
حواء	150ب
الحيرة	66ب، 67، 67ب
الحيوان - الحيوانية	23ب، 24
الخاطر	46ب، 47
ختم الحتم	16
ختم الولاية	16
الخاصة	
الخضر	18ب، 34، 34ب، 35، 36، 84ب
الخط الفاصل	133ب، 134
الخلافة- خليفة	54، 54ب
الخيال/كأن/حضرة	103، 133ب، 137

المصطلح	صفحة المخطوط
الخير	75ب، 76
دقيقة	35، 36ب
دولة السنبلة	113ب
ديوان	11ب، 115ب
الديوان الإلهي	115
الرؤية	43ب
رجال المراتب	33
الرزق	23
الرضى	44ب
الروح/العقل	75
الزمان/السلطان	106ب
سر القدر	45ب
السراج	8
سفير الحق	116، 116ب
السماء	3، 119ب
السمسة	9ب
الشريب/الوسط	37ب
من التجلي	
الشريعة	157
الشعر	148، 157
الصبر	43، 43ب
صراط الهدى	156
المصطلح	صفحة المخطوط
الصفة	6، 7ب، 19، 29ب، 51، 51ب، 62، 62ب، 67، 68، 122ب، 127، 153، 153ب
الصلاة	40ب، 41
الصمت	81
الصورة/الأمر	48ب، 49
الطائفة	10ب، 13، 21ب، 30ب، 44ب، 58، 58ب، 68، 68ب، 74ب، 80، 83ب، 86، 88
طرح الرقاع /	44ب
موت أخضر	
طريق/السلوك	4ب
الظاهر والباطن	149
ظل الرحمن	145ب، 147
الظلمة	43، 7ب
العالم	94ب، 94ب
عالم الخلق	105، 14ب
العدل/الميزان	146
الحكمي المعنوي/	
الحق/الميل	
العذاب / الجهل /	123، 123ب، 126

المصطلح	صفحة المخطوط
حجاب حتي	127 ب
عذراء	114
العرش	66
عرش	6 ب، 145 ب
عرش الحياة/الماء	112 ب
عرش الرحمن	145 ب، 147
العرش العظيم	28
عرش القرآن	146، 147
عرش الله	146
العصمة	91
العقل (الأول)	7، 112
العاة	83
العماء	7، 7 ب
العموم	30 ب
عين القلب	81 ب
الغبية	72
الغيرة	118
فتح	32، 32 ب، 33
الفتوة	9، 9 ب، 10، 10 ب
	12، 13 ب، 14 ب
	15، 15 ب
الفتن	77

المصطلح	صفحة المخطوط
فوق	7، 55 ب، 87، 111 ب
الفيض	48 ب، 49 ب، 86 ب
	150
القبض	27، 65
القطب	14 ب
القوت	80 ب
القيامة الصغرى -	149
القيامة الكبرى	
كرامة	73
الكرسي	105، 105 ب
كلمة التوحيد	156
كلمة الحضرة	47
الكمال	30، 31، 45 ب، 105، 149
	75
اللطفنة	
اللوح (الحفوظ)	116، 116 ب، 118
ليل	2 ب
مجلى النعوت	108
المقدسة	
مجمع البحرين	133 ب، 134
المجل	115
مرآة وجود	134
الانسان	

المصطلح	صفحة المخطوط
المراقبة	68 ب، 74 ب
المسامرة	3
مستوى الرحمن -	6 ب، 105 ب
مستوى الأسماء	
المقيدة	
مشاهدة ثبوتية	66 ب، 67
المشاهدون للوجه	118
المشيئة/ عرش	130
الذات	
مطلع	144
مقام القرية	32، 41 ب
المكر	72 ب، 92، 146
الملامية - الملامتية	13
المهم	7، 31، 115، 118 ب
الموت الأبيض	44 ب
الموت الأحمر	44 ب
الموت الأخضر	44 ب
الموت الأسود	44 ب
الموت المعنوي	149
ميشاق - ميشاق	92 ب
الذرية	
الميزان	20، 56 ب، 113، 147 ب، 149، 155 ب

المصطلح	صفحة المخطوط
	156
نار أعمال	130 ب، 131، 131 ب
	156 ب، 157 ب
النار/دار الغضب	125 ب، 132، 154 ب
نبي اتباع - نبي	21، 21 ب، 157
شريعة	157 ب
النفس	7، 112
النفس	66
النفس الرحاني	75، 76 ب، 77 ب
نقيب	116 ب
النكاح المعنوي	113 ب
نهر	124
النور	26
النون	115، 115 ب
الهياء	49، 112، 112 ب
الهمة	6 ب، 15 ب، 16، 47
الهوية	69 ب
وارد	24 ب، 25، 25 ب
	27، 38 ب، 39 ب
	68، 78
وجه الحق - وجه	30 ب، 83، 157
الحق في الأشياء	
وجه الشئ	137

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
أبو العباس بن المنذر	74	إبراهيم الخليل	10ب، 13ب، 14
أبو الفضل محمد بن 144ب			18ب، 29، 152ب،
عمر بن يوسف		إيليس	26، 62، 63ب، 82،
الأرموي			89، 91، 92، 93،
أبو القاسم بن قسي	120ب، 150ب		97، 120ب، 125ب،
أبو المعالي الجويني	34ب		128، 129، 12ب، 9ب،
أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطيري	144ب	ابن الخياط المغربي	132ب، 154، 154ب
أبو بكر الصديق	67، 139	(أبو بكر محمد بن علي بن محمد)	144ب
أبو بكر محمد بن الحسن النقاش	10ب، 144ب	ابن الرومي	38ب
أبو زيد الرقراقي	151	أبو البدر التماشي	24ب
أبو سليمان الداراني	30، 30ب	أبو الحجاج الغليري	27
أبو سهل محمود بن عمر بن إسحق العكبري	144ب	أبو الحجاج يوسف الشبريلي	74
أبو طالب المكي	58، 80ب	أبو الحسن علي السلاوي	27
أبو عبد الله الدقاق	15ب، 16	أبو الحكم بن برجان=أبو الحكم	120ب
أبو عبد الله محمد بن القاسم بن عبد الكريم التميمي النفاسي	15ب، 16	عبد السلام بن برجان	
أبو عبد الله محمد	145	أبو السعود بن الشبل البغدادي	24
		أبو العباس الحريري	78
		أبو العباس العريبي	15ب

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الوحداني - 101، 14		الوهم	60، 113ب
الوحدانية		يد الله - اليدان	75، 137ب
الوحدة	35، 107ب	اليقظة	9ب، 18ب، 63
الوحي	16ب، 24ب، 25ب	يقين	152
الوقت / الوقت	24ب		5ب، 31ب، 66ب،
المعلوم			80، 82، 112ب
ولي - الولاية	16، 49ب، 59ب،		

الاسم	صفحة المخطوط
بن حميد الرازي	
أبو عقيل المغربي	31، 25
أبو مدين	17، 30، 31ب، 34
أبو وهب الفاضل	86ب
أحمد بن الحسين بن علي	27
أحمد بن حنبل	130
أخت بشر الحافي	19ب، 20، 21ب
إدريس (النبي)	36
آدم	7، 14ب، 15، 21
	36، 43، 46، 53ب
	54، 62ب، 63ب
	105، 117، 119ب
	120ب، 146
	150ب، 152ب
	153، 157ب
إسرافيل (النبي)	136ب، 151ب
إسماعيل (النبي)	36
إسماعيل (من الملائكة)	123ب
الأشعري (أبو الحسن)	33ب، 58ب
إلياس (النبي)	36
أم الزهراء	74
الاسم	صفحة المخطوط
امراة العزيز	99
البسطامي (أبو يزيد)	16، 31، 31ب، 32
بشر الحافي	86ب
بلال الحبشي	19ب، 20
جبريل	4
	11ب، 24ب، 89ب
الجعيد (أبو القاسم)	96
الحارث بن أسد المحاسبي	95، 28
حسان بن ثابت	81ب، 16ب
حواء	60
خديجة بنت خويلد	150ب
الحضر	24ب
داود (النبي)	18ب، 34، 34ب
الذجال	35، 36، 84ب
دحية الكلبي	54، 63ب
رضوان	107ب، 109
روح القدس	96
زكريا (النبي)	127
زيد بن وهب	71
سعدون الجنون	36
	145
	27

الاسم	صفحة المخطوط
سلام الطويل	152ب
سلمة بن صالح	145
سليمان (النبي)	145
سهيل (رجل من المشركين)	65ب
الشبلي	87، 87ب
شمس أم الفقراء	28
الشنخنة (شيخ المؤلف)	74
الطبري	143ب
عائشة (أم المؤمنين)	144ب
عبد الرحمن بن غنم	154ب، 108ب
عبد الله بن عباس	145
عبد الله بن عمر	145
عبد الله بن مسعود	124
عبد المجيد بن سلمة	145
عثمان بن عفان	80، 80ب
عراة الأوسي	154، 60
العزيز	64
علي بن أبي طالب	99
عيسى (النبي)	145، 86، 85ب
	33، 36، 76، 77ب
	84ب، 91، 91ب
	92ب، 136ب
الاسم	صفحة المخطوط
الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)	145
غياث بن المسيب	74
فاطمة بنت ابن المنق	74
الفخر الرازي (ابن الخطيب محمد بن عمر)	34ب، 10ب
فرعون	77، 128ب، 139ب
القاسم بن الحكم	145
القصار (يونس بن يحيى بن الحسين)	144ب
قضيبة البان	47
كلبهار (ست غزالة)	74
مالك (من الملائكة)	127
محمد بن العربي (المصنف)	60
محمد بن القاسم بن عبد الرحمن التميمي	15ب
مريم (عليها السلام)	83ب، 136ب
مريم بنت محمد بن عبدون	82
مسعود الحبشي	27

الاسم	صفحة المخطوط
مسلم (الإمام)	58ب، 94، 96ب، 120ب، 132، 154
معاذ بن أشرس	80ب
موسى (النبي)	14ب، 15، 24ب، 33، 33ب، 34، 37، 43ب، 84ب، 91ب، 152ب
النفري (محمد بن 4)	
عبد الجبار	
نمرود	128ب
نوح (النبي)	152
هارون (النبي)	37
الاسم	صفحة المخطوط
هود (النبي)	55ب
وحشي	39
يحيى (النبي)	158ب، 36
يحيى بن الأخفش	60ب، 60
يعقوب الكوراني	27
يوسف (النبي)	99، 44
يوسف بن صخر	74
يوسف بن خلف	30ب
الكومي	
يونس بن يحيى	144ب
العباسي	

فهرس الأماكن

الاسم	صفحة المخطوط
أشبيلية	74ب، 74، 80
أفريقية	47
الأندلس	80
بابل	62ب
البحرين	133ب
بيت الله	87ب
الحرام	
تلمسان	74
تنس	27ب
جامع دمشق	60
الجسر الأبيض	27
جنة عدن	41
حراء	29، 30، 37ب
دمشق	27، 60
الركن اليماني	144ب
السدة	105، 105ب
سدة المنتهى	105
شبريل	74
الاسم	صفحة المخطوط
شرف	74
شرف إشبيلية	74
غار حراء	29، 30
فاس	15ب، 16
قرطبة	74
قرن	136ب، 137، 137ب، 138، 138ب، 139
الكعبة	144ب
مراكش	60
مرشانة	74، 80
مرشانة	80
الزيتون	
المشرق	156
المغرب	156
مكة المكرمة	25، 74، 144ب
اليمن	59، 59ب، 64، 126ب

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحة المخطوط
الإنجيل		84ب
التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية	ابن العربي	58ب
التنزلات الموصلية	ابن العربي	45، 105، 119، 131
التوراة		84ب، 117
خلع النعلين	أبو القاسم بن قسي	150ب
رسالة الأخلاق	ابن العربي	10ب
صحيح مسلم بن الحجاج	مسلم	58ب، 94، 132، 154
قوت القلوب	أبو طالب المكي	58، 80ب
محاسن المجالس	أبو العباس بن العريف	83
الصنهاجي		
المستفاد في ذكر الصالحين من العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد	أبو عبد الله محمد بن قاسم	16
مواقع النجوم	الشمسي الفاسي	
	ابن العربي	32ب، 33

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
الأشعرية	33ب، 50ب، 58ب، 90ب
الفلاسفة	87ب
المعتزلة	77ب، 124ب
المعتلة	120، 129، 155، 156ب

المحتويات

رموز مستخدمة في التحقيق	3
الباب الحادي والأربعون في معرفة أهل الليل، واختلاف طبقاتهم، وتباينهم في مراتبهم، وأسرار أقطابهم	9
الباب الثاني والأربعون في معرفة الفتوة والفتيان، ومنزلهم وطبقاتهم، وأسرار أقطابهم	17
الباب الثالث والأربعون في معرفة جماعة من أقطاب الورعين، وعامة ذلك المقام	25
الباب الرابع والأربعون في البهاليل، وأنتمهم في البهلة	31
الباب الخامس والأربعون في معرفة من عاد بعد ما وصل، ومن جعله يعود	37
الباب السادس والأربعون في معرفة العلم القليل، ومن حصله من الصالحين	43
الباب السابع والأربعون في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية، ومقاماتها، وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحن إليها مع علو مقامه، وما السر الذي يتجلى له حتى يدعوه إلى ذلك	47
فصل بل وصل سر الهي: (وما مينا إلنا له مقام معلوم)	55
وصل سر الهي: (نهاية الدائرة مجاورة لبدايتها)	57
وصل سر الهي: (كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساو لصاحبه)	58
وصل سر الهي: (الطبيعة بين النفس والهباء)	60
الباب الثامن والأربعون في معرفة إنما كان كذا وكذا، وهو إثبات العلة والسبب	61
أول مسألة من هذا الباب: (ما السبب الموجب لوجود العالم)	61
مسألة أخرى: إنما كان كذا وكذا: (إنما انقسم العالم إلى شقي وسعيد للأسماء الإلهية)	64
مسألة أخرى من هذا الباب: (إنما صحت الصورة لأدم لخلقه باليدين)	65
مسألة أخرى من هذا الباب: (إنما كانت الخلافة لأدم للخليفة لكون الله تعالى خلقه على صورته)	66
مسألة أخرى من هذا الباب: (القربة مع السجود)	67
الباب التاسع والأربعون في معرفة قوله ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من قبيل اليمن» ومعرفة هذا المنزل ورجاله	72
الباب الخمسون في معرفة رجال الخيرة والعجز	81
الباب الحادي والخمسون في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن	86
الباب الثاني والخمسون في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف إلى عالم الشهادة إذا أبصره	90
تتمة: (المكاشف الذي يهرب إلى عالم الشهادة)	93
الباب الثالث والخمسون في معرفة ما يلقي المرید على نفسه من الأعمال قبل وجود الشيخ	95
وصل شارح	96
الباب الرابع والخمسون في معرفة الإشارات	99
الباب الخامس والخمسون في معرفة الخواطر الشيطانية	106

السفر الخامس من الفتوحات المكية¹

1 العنوان ص 1 ب. ويلي به بقلم الشيخ ابن العربي: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي"، رواية مالك هذه الجلية محمد بن إسحق التونوي عنه. يلي ذلك بخط آخر: "وقد هذا الكتاب الشيخ المعروف المذكور بخط المؤلف رضي الله عنها وعن سلفها- فوق هذا المكتوب على الموضع المذكور في باقي الجلبات والشرط المذكور أيضا- قبل الله منه وأتابه الجنة- لا يخرج منها أبدا لا يرهق ولا يغيره بل يرفع به في الزاوية، فمن يلقه بعد ما سمعه فإبنا إله على الدين يملونه إن الله جميع علم". ثم ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1761، وطابع دغلة يحمل رقم 1849، وإشارة أن عدد الصفحات 287 (=144 صفحة مزدوجة).

الباب السادس والخمسون في معرفة الاستقراء، وصحته من سقمه.....	112
الباب السابع والخمسون في معرفة تحصيل علم الإلهام بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس.....	116
الباب الثامن والخمسون في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين ومعرفة علم الهي فاض على القلب ففرق خواطره وشقتها.....	121
وصل (أسرار أهل الإلهام المستدلين).....	125
الباب التاسع والخمسون في معرفة الزمان الموجود والمقتدر.....	128
الباب الستون في معرفة العناصر، وسلطان العالم العلوي على العالم السفلي، وفي أي دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصى؟ وآية روحانية لنا؟.....	132
الباب الحادي والستون في معرفة جهنم، وأعظم المخلوقات فيها عذابا، ومعرفة بعض العالم العلوي.....	142
(رؤيا غيبية واكتشافات علمية):.....	145
الباب الثاني والستون في مراتب أهل النار.....	151
الباب الثالث والستون في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا والبعث.....	158
الباب الرابع والستون في معرفة القيامة، ومنازلها، وكيفية البعث.....	166
وصل (اختلاف الناس في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام).....	174
الأول؛ وهو العرض:.....	180
الثاني؛ الكتب:.....	180
الثالث؛ الموازين:.....	181
الرابع؛ الصراط:.....	182
الخامس؛ الأعراف:.....	184
السادس؛ ببح الموت:.....	185
السابع؛ المأدبة:.....	185
فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات.....	189
فهرس الأحاديث النبوية.....	199
فهرس الشعر.....	208
استشهاد.....	210
مصطلحات صوفية.....	211
فهرس الأعلام.....	217
فهرس الأماكن.....	221
فهرس الكتب.....	222
فهرس الفرق.....	222

رموز مستخدمة في التحقيق

آيات قرآنية	﴿ 》
حديث شريف	« »
إضافات أدخلت على الأصل	()
نسخة قونية*	ق
نسخة السليمانية	س
نسخة القاهرة	هـ

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تنويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كمرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيّناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنّية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنّية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).

أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم
 الباب الخامس
 والسنون في معرفة الجنة ومقارنتها
 ودرجاتها وما يتعلق بهذا الباب
 مراتب الجنة الخمسة التي هي
 المنازل والاعمال تطابقها
 وكل ذات عمل بحسب ركنه
 به اليها ورسل الله تحجبها
 ورجة الامتصاصات التي انقضت
 للمؤمنين من الجورث تعقبها
 نور القواب كمن استنشى بها
 ونورنا البصر في عظم ملكها
 لول عن صراط الشرع مركبها
 لزال عن رواد الشرع مركبها
 يصلح العمل الشرع بحفرها
 نور او من ذاته الا جلال كسبها
 واعلم ان الله وانما ان الجنة جنات كسبها

الباب الخامس والستون

الباب الخامس والستون

مَرَاتِبِ الْجَنَّةِ الْحَسُوسَةِ انْقَسَمَتْ
فَكُلُّ ذِي عَمَلٍ تَجْرِي رَكَائِبُهُ
وَجَنَّةُ الْاِخْتِصَاصَاتِ الَّتِي انْتَهَتْ
نُورُ الْكَوَاكِبِ كُنَّا نَسْتَضِيءُ بِهَا
لَوْ اَنَّ غَيْرَ صِرَاطِ الشَّرْعِ مَرْكَبُنَا
فَصَالِحُ الْعَمَلِ الْمَشْرُوعِ يَظْهَرُهَا
إِلَى مَنَازِلِ الْأَعْمَالِ تَطْلُبُهَا
بِهِ إِلَيْهَا وَرُسُلُ اللَّهِ تَحْجُبُهَا
لِلْمُكْرِمِينَ جَنَّاتُ الْوَرِثِ تَغْشَى
وَنُورُنَا الْيَوْمَ فِي عَدْنٍ مُكْوَبُهَا
لَزَالَ عِنْدَ وُرُودِ الشَّرْعِ مَرْكَبُهَا
نُورًا وَمِنْ ذَاتِهِ الْإِجْلَالُ يَكْسِبُهَا

اعلم -أيُّدنا الله وإياك- أنَّ الجنَّةَ جَنَّتان: جَنَّةٌ مُحَسَّسَةٌ وَجَنَّةٌ مُعْنَوِيَّةٌ. والعقل يعتقلها معاً. كما أنَّ العالمَ عالَمَان: عالَمٌ لطيفٌ وعلالمٌ كثيفٌ، وعلالمٌ غيبٌ وعلالمٌ شهادة. والنفسُ الناطقةُ الخاطبةُ المُكَلِّفَةُ لها نعيمٌ بما تحمله من العلوم والمعارف من طريقِ نظرها وفكرها وما وصلت إليه من ذلك بالأدلة العنليَّة. ونعيمٌ بما تحمله من اللذات والشهوات مما تتاله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسِّية: من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح، ونبغات طيبة تتعلَّق بها الأساع، وجمال حسيّ في صورة حسنة معشوقة يعطيها البصر. في نساء كاعبات، ووجوه حسان، وألوان متنوّعة، وأشجار وأنهار.

كلّ ذلك تنقله الحواس إلى النفس الناطقة؛ فتلتذّ به من حمة طبيعتها. ولو لم يلتذّ به إلا الروح الحساس الحيواني، لا النفس الناطقة، لكان الحيوان يلتذّ بالوجه الجميل من المرأة المستحسنة، والغلام الحسن الوجه، والألوان، والمصاغ. فلما لم ير شيئا من الحيوان يلتذّ بشيء من ذلك؛ علمنا قطعاً أنّ النفس الناطقة هي التي تلتذّ بجميع ما تعطيه القوّة الحسيّة مما تشاركها في إدراكه الحيوانات ومما لا تشاركها فيه.

واعلم أنّ الله خلق هذه الجنة المحسوسة بطالع الأسد الذي هو الإقليد، وبرجه هو الأسد. وخلق الجنة المعنوية³؛ التي هي روح هذه الجنة المحسوسة، من الفرح الإلهي من صفة الكمال والابتهاج والسرور.

1 البسطة ص 2

2 ص 2ب

3 ص 3

لهم ان يماروا بل ينفقوا عند الراس النسر عنه فان السراج هو الله على
يستعمل هذا السراج المحل والورد في استعمال العقل بالاحكام
واستدبار ولا هي عند ذلك فترثتها هذا الباب من اصول الكليات
ما نحو محي الاصول والعقل الجامع والكليات
هو ان يقول الكليات من الانسان العقول المعنى ما نزلها الى سبي كل من
المراد من قوله ذات اوجوده فان الغرض ان الله لا ياتزال ما لم يكن
الذي تزال به بشر فباسم في المحل ما في امان الله العباسه وما لا ياتي
في غير عقوله المعنى فكما هو موجوده على ما هو الله تعالى في ذلك
او رسوله فربما نزلت فلن سالك عرفه معناه ونسبته منكون
ان الله احدث علم محض وان لم يضر ذلك هو المسيح بالتقدير
وهو المعنى المطلق في جميع الكليات وهو العلة الجامعة
والله يقول الحق وهو على السبيل

اسی احمر الحامر والعلی

وإن شاء الله تعالى انتهى السمع الخامس من هذا الكتاب

مسلوہ ہے لیکن اس کے ساتھ ساتھ

الباب التاسع والستون في امور الصلاة

(Handwritten Arabic script)

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

فكانت الجنة المحسوسة كالجسم، والجنة المعقولة كالروح وقواه. ولهذا سماها الحق تعالى - الدار الحيوان لحياتها. فأهلها يتنعمون فيها حساً ومعنى، فالمعنى الذي هو اللطيفة الإنسانية.

والجنة أيضاً أشد تنعماً بأهلها الداخلين فيها، ولهذا تطلب ملاًها من الساكنين. وقد ورد خبر عن النبي ﷺ: «إن الجنة اشتاقت إلى بلال وعليّ وعمرار وسلمان» فوصفها بالشوق إلى هؤلاء، وما أحسن موافقة هذه الأسماء، لما في شوقها من المعاني. فإن الشوق من المشتاق فيه ضرب ألم لطلب اللقاء. وبلال: من أبل الرجل من مرضه واستبل، ويقال: بل الرجل من دائه، وبلال معناه. وسلمان: من السلامة من الآلام والأمراض. وعمرار: أي بعمارتها بأهلها يزول ألمها، فإن الله سبحانه - يتجلى لعباده فيها. فعليّ: يعلو بذلك التجلي شأنها على النار التي هي أختها، حيث فازت بدرجة التجلي والرؤية إذ كانت النار دار حجاب. فانظر في موافقة هذه الأسماء الأربعة لصورة حال الجنة، حين وصفها بالشوق إلى هؤلاء الأصحاب من المؤمنين.

والناس على أربع مراتب، في هذه المسألة: فمنهم من يشتهي ويشتهي¹: وهم الأكابر من رجال الله من رسول ونبي ووليّ كامل. ومنهم من يشتهي ولا يشتهي: وهم أصحاب الأحوال من رجال الله المهيمون في جلال الله الذين غلب معانهم على جسّهم، وهم دون الطبقة الأولى؛ فإنهم أصحاب أحوال. ومنهم من يشتهي ولا يشتهي: وهم عصاة المؤمنين. ومنهم من لا يشتهي ولا يشتهي: وهم المكذبون بيوم الدين، والقائلون بنفي الجنة المحسوسة. ولا خامس لهؤلاء الأربعة الأصناف.

واعلم أنّ الجنّات ثلاث جنّات: جنة اختصاص إلهي، وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حدّ العمل، وخدمهم من أول ما يولد إلى أن يستهلّ صارخاً إلى انقضاء ستّة أعوام. ويعطي الله من شاء من عباده من جنّات الاختصاص ما شاء. ومن أهلها: المجانين الذين ما عقلوا، ومن أهلها: أهل التوحيد العلمي، ومن أهلها: أهل الفترات، ومن لم تصل إليهم دعوة رسول.

والجنة الثانية: جنة ميراث: ينالها كل من دخل الجنة من ذكرنا ومن المؤمنين، وهي الأماكن التي كانت معيّنة لأهل النار لو دخلوها.

والجنة الثالثة: جنة الأعمال: وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم؛ فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر²، وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن، غير أنه فضله في هذا المقام بهذه الحالة. فما من عمل من الأعمال إلا وله جنة، ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم.

ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لبلال: «يا بلال؛ بم سبقتني إلى الجنة؟ فما وطئت منها موضعاً إلا سمعت خشخشتك أمامي. فقال: يا رسول الله؛ ما أحدثت قط إلا توصّات، ولا توصّات إلا صليت ركعتين. فقال رسول الله ﷺ: «بهما» فعلمنا أنّها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل.

فكان رسول الله ﷺ يقول لبلال: بم نلت أن تكون مطوّقاً بين يديّ تحببني؛ من أين لك هذه المسابقة إلى هذه المرتبة؟ فلمّا ذكر له ذلك، قال له ﷺ: «بهما». فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرّم ومكروه، إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها.

والتفاضل على مراتب؛ فمنها بالسنن ولكن في الطاعة والإسلام. فيفضل الكبير السنّ على الصغير السنّ، إذا كانا على مرتبة واحدة من العمل، بالسنن؛ فإنّه أقدم منه فيه. وفضل أيضاً بالزمان؛ فإنّ العمل في رمضان، وفي يوم الجمعة، وفي ليلة القدر، وفي عشر ذي الحجة، وفي عاشوراء، أعظم من سائر الأزمان. وكذلك حكم كلّ زمان عيّنه الشارع. وتقع المفاضلة بالمكان؛ فالمصلي في المسجد الحرام أفضل من صلاة المصلي في مسجد المدينة. وكذلك الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى. وهكذا فضل الصلاة في المسجد الأقصى على سائر المساجد.

ويتفاضلون أيضاً بالأحوال؛ فإنّ الصلاة في الجماعة في الفريضة أفضل من صلاة الشخص وحده، وأشبه هذا ويتفاضلون بالأعمال؛ فإنّ الصلاة أفضل من إمطة الأذى، وقد فضّل الله الأعمال بعضها على بعض. ويتفاضلون أيضاً في نفس العمل الواحد: كالتصدّق على رجه، فيكون صاحب صلة رجم وصدقة، والتصدّق على غير رجه دونه في الأجر. وكذلك من أهدى هدية لشريف من أهل البيت (فهو) أفضل من أهدى لغير شريف أو بزة أو أحسن إليه. ووجوه المفاضلة كثيرة في الشرع، وإن كانت محصورة. ولكن أرائك منها أنموذجاً تعرف به ما قصدناه بالمفاضلة.

والرسل عليهم السلام - إنما ظهر فضلها في الجنة، على غيرها، بجنة الاختصاص؛ وأمّا بالعمل فهم في جنّات الأعمال بحسب الأحوال، كما ذكرنا. وكل من فضل غيره من ليس في مقامه فمن جنّات الاختصاص، لا من جنّات الأعمال.

ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة؛ فيصرف سمعه فيما ينبغي، في زمان تصريفه بصره، في زمان تصريفه يده، في زمان صومه، في زمان صدقته، في زمان صلاته، في زمان ذكره، في زمان نيته من فعل وترك، فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة؛ فيفضل غيره من ليس له ذلك. ولذلك لمّا ذكر

رسول الله ﷺ الثمانية الأبواب من الجنة أن يدخل من أيها شاء. قال أبو بكر: «يا رسول الله؛ وما على الإنسان أن يدخل من الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر» فأراد أبو بكر بذلك القول ما ذكرنا، أن يكون الإنسان في زمان واحد في أعمال كثيرة تَعْمُ أبواب الجنة.

ومن هنا، أيضا، تعرف النشأة الآخرة؛ فكما لا تشبه الجنة الدنيا في أحوالها كلها، وإن اجتمعت في الأسماء، كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا، وإن اجتمعت في الأسماء والصورة الشخصية؛ فإن الروحية على نشأة الآخرة أغلب من الحسية. وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا، مع كثافة هذه النشأة. فيكون الإنسان بعينه، في أماكن كثيرة، وأما عامة الناس فيدركون ذلك في المنام.

ولقد¹ رأيت رؤيا لنفسي في هذا النوع، وأخذتها بشري من الله؛ فإنها مطابقة لحديث نبوي عن رسول الله ﷺ حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السلام- فقال ﷺ: «مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطاً، فأكماله إلا لبنة واحدة؛ فكنت أنا تلك اللبنة، فلا رسول بعدي ولا نبي» فشبه النبوة بالحائط، والأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط. وهو تشبيه في غاية الحسن؛ فإن مسمى الحائط هذا المشار إليه لم يصح ظهوره إلا باللبن، فكان ﷺ خاتم النبيين.

فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسائة، أرى، فيما يرى النائم، الكعبة مبنية، بلبن فضة وذهب؛ لبنة فضة ولبنة ذهب، وقد كملت بالبناء وما بقي فيها شيء، وأنا أنظر إليها وإلى حسناتها، فالتفت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي هو إلى الركن الشامي أقرب- (فوجدت) موضع لبنتين: لبنة فضة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفين: في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب، وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة. فرأيت نفسي قد انطعت في موضع تلك اللبنتين، فكنت أنا عين تينك اللبنتين²، وكل الحائط، ولم يبق في الكعبة شيء ينقص، وأنا واقف أنظر، وأعلم أنني واقف، وأعلم أنني عين تينك اللبنتين، لا أشك في ذلك، وأنها عين ذاتي. واستيقظت، فشكرت الله تعالى.

وقلت متأولاً: إني في الأتباع في صنفين، كرسول الله ﷺ في الأنبياء عليهم السلام-، وعسى- أن أكون ممن ختم الله الولاية بي «وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ»³ وذكرت حديث النبي ﷺ في ضربه المثل بالحائط، وأنه كان تلك اللبنة. فقصصت رؤيائي على بعض علماء هذا الشأن بمكة، من أهل توزير، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، وما تميمت له الرأي من هو؟ فאלله أسأل أن يتمها علي بكرمه. فإن الاختصاص الإلهي

لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل، وأن ذلك من فضل الله ﷻ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»¹.

واعلم أن جنة الأعمال مائة درجة لا غير، كما أن النار مائة درك. غير أن كل درجة تنقسم إلى منازل؛ فلندكر من منازلها ما يكون لهذه الأمة المحمدية، وما تفضل به على سائر الأمم، فإنها «خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»² بشهادة الحق في القرآن وتعريفه. وهذه المائة درجة في كل جنة من الثمان الجنات، وصورتها؛ جنة في جنة.

وأعلاها جنة عدن؛ وهي قصبة الجنة. فيها الكتيب الذي يكون اجتماع الناس فيه لرؤية الحق تعالى-، وهي أعلى جنة في الجنات. هي في الجنات بمنزلة دار الملك، يدور عليها ثمانية أسوار، بين كل سورين جنة. فالتالي جنة عدن إنما هي جنة الفردوس؛ وهي أوسط الجنات التي دون جنة عدن وأفضلها، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، ثم جنة المأوى، ثم دار السلام، ثم دار المقامة.

وأما الوسيلة؛ فهي أعلى درجة في جنة عدن. وهي لرسول الله ﷺ حصلت له بدعاء أمته، فعل ذلك الحق سبحانه- حكمة أخفاها. فإنما بسببه لنا السعادة من الله، وبه كنا «خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» وبه ختم الله بنا الأمم، كما ختم به النبيين. وهو ﷺ بشر، كما أمر أن يقول. ولنا وجه خاص إلى الله ﷻ نناجيه منه ويناجينا. وهكذا كل مخلوق له وجه خاص إلى ربه. فأمرنا، عن أمر الله، أن ندعوه بالوسيلة، حتى ينزل فيها وينالها بدعاء أمته، فافهم هذا الفضل العظيم. وهذا من باب الغيرة الإلهية، إن فهمت. فلقد كرم الله هذا النبي وهذه الأمة.

فتحتوي درجات الجنة من الدرج فيها، على خمسة آلاف⁴ درج ومائة درج وخمسة أدراج، لا غير. وقد يزيد على هذا العدد بلا شك، ولكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف مما يجري مجرى الأنواع من الأجناس.

والذي اختصت به هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم من هذه الأدراج اثنا عشر- درجا لا غير لا يشاركها فيها أحد من الأمم، كما فضل ﷺ غيره من الرسل في الآخرة بالوسيلة، وفتح باب الشفاعة. وفي الدنيا يستلم يطلعها نبي قبله، كما ورد في الحديث الصحيح من حديث مسلم بن الحجاج. فذكر منها:

عموم رسالته، وتحليل الغنائم، والنصر- بالرعب، وجعلت له الأرض كلها مسجداً، وجعلت شربها له طهوراً، وأعطى مفاتيح خزائن الأرض.

ثم أعلم أنّ أهل الجنة، أربعة أصناف: الرسل وهم الأنبياء. والأولياء وهم أتباع الرسل على بصيرة وبيّنة من ربهم. والمؤمنون وهم المصدّقون بهم -عليهم السلام-. والعلماء بتوحيد الله أنّه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ من حيث الأدلة العقلية. قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾¹ وهؤلاء هم الذين أريده بالعلماء، وفيهم يقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾².

والطريق الموصلة إلى العلم بالله طريقان لا ثالث لهما، ومن وحد الله من غير هذين الطريقين فهو مقلّد في توحيده. الطريق الواحدة: طريق الكشف، وهو علم ضروري يحصل عند الكشف، يجده الإنسان في نفسه لا يقبل معه شبهة، ولا يقدر على دفعه، ولا يعرف لذلك دليلاً يستند إليه، سوى ما يجده في نفسه. إلا بعضهم فإنه قال: يعطى الدليل والمدلول في كشفه، فإنه ما لا يعرف إلا بالدليل، فلا بد أن يكشف له عن الدليل. وكان يقول بهذه المقالة صاحبنا أبو عبد الله بن الكتاني بمدينة فاس. سمعت ذلك منه. وأخبر عن حاله، وصدق. وأخطأ في أنّ الأمر لا يكون إلا كذلك؛ فإن غيره يجد ذلك في نفسه ذوقاً من غير أن يكشف له عن الدليل. وإما أن يحصل له عن تجلّ إلهي يحصل له، وهم الرسل والأنبياء وبعض الأولياء.

والطريق الثاني: طريق الفكر والاستدلال بالبرهان العقلي. وهذا الطريق دون الطريق الأول، فإن صاحب النظر في الدليل قد تدخل عليه الشبهة القادحة في دليله فيتكلّف الكشف عنها، والبحث على وجه الحق في الأمر المطلوب. وما تمّ طريق ثالث.

فهؤلاء هم أولو العلم، الذين شهدوا بتوحيد الله. ولنفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد الله دلالة ونظراً، زيادة⁴ علم على التوحيد، بتوحيد في الذات بأدلة قطعية لا يعطاها كل أهل الكشف، بل بعضهم قد يعطاها.

وهؤلاء الأربع الطوائف يميّزون في جنّات عدن، عند رؤية الحق في الكتيب الأبيض، وهم فيه على أربعة مقامات: طاقة منهم أصحاب منابر، وهي الطبقة العليا: الرسل والأنبياء. والطائفة الثانية هم الأولياء

1 [آل عمران: 18]

2 [المجادلة: 11]

3 ص 7

4 ص 8

ورثة الأنبياء قولاً وعملاً وحالاً، وهم على بيّنة من ربهم، وهم أصحاب الأسيّة والعرش. والطبقة الثالثة (هم) العلماء بالله من طريق النظر البرهاني العقلي وهم أصحاب الكراسي. والطبقة الرابعة: وهم المؤمنون المقلّدون في توحيدهم، ولهم المراتب، وهم في الحشر- مقدّمون على أصحاب النظر العقلي، وهم في الكتيب عند النظر، يتقدّمون على المقلّدين.

فإذا أراد الله أن يتجلّى لعباده في الزّور العام؛ نادى منادي الحق في الجنّات كلّها: "يا أهل الجنان؛ حيّ على المنة العظمى والمكانة الزّلى والمنظر الأعلى، هلمّوا إلى زيارة ربكم في جنة عدن". فيبادرون إلى جنة عدن، فيدخلونها، وكلّ طاقة قد عرفت مرتبتها ومنزلتها؛ فيجلسون.

ثم يؤمر بالموائد فتُنصب¹ بين أيديهم؛ موائد اختصاص، ما رأوا مثلاً، ولا تخيلوه في حياتهم ولا في جنّاتهم جنّات الأعمال. وكذلك الطعام ما ذاقوا مثله في منازلهم، وكذلك ما تناولوه من الشراب. فإذا فرغوا من ذلك خلّعت عليهم من الخلع ما لم يلبسوا مثلاً فيما تقدّم. ومصدق ذلك قوله ﷺ في الجنة: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فإذا فرغوا من ذلك، قاموا إلى كتيب من المسك الأبيض، فأخذوا منازلهم فيه على قدر علمهم بالله، لا على قدر عملهم. فإنّ العمل مخصوص بنعيم الجنان، لا بمشاهدة الرحمن.

فبينما هم على ذلك، إذا بنور قد بهّروهم، فيخرون سجّداً، فيسري ذلك النور في أبصارهم ظاهراً، وفي بصائرهم باطناً، وفي أجزاء أبدانهم كلّها، وفي لطائف نفوسهم. فيرجع كل شخص منهم عينا كلّه وشمعاً كلّه، فيرى بذاته كلّها، لا تقيده الجهات، ويسمع بذاته كلّها². فهذا (ما) يعطيهم ذلك النور: فبه يطبقون المشاهدة والرؤية، وهي أتم من المشاهدة.

فيأتيهم رسول من الله يقول لهم: «تأهبوا لرؤية ربكم ﷻ فيها هو يتجلّى لكم» فيتأهبون، فيتجلّى الحق ﷻ، وبينه وبين خلقه ثلاثة حجب: حجاب العزة، وحجاب الكبرياء، وحجاب العظمة. فلا يستطيعون نظراً³ إلى تلك الحجب. فيقول الله ﷻ لأعظم الحجة عنده: «ارفعوا الحجب بيني وبين عبادي حتى يروني» فترفع الحجب.

فيتجلّى لهم الحق ﷻ خلف حجاب واحد، في اسمه الجميل اللطيف، إلى أبصارهم. وكلّهم بصر- واحد. فينفق عليهم نور يسري في ذواتهم؛ فيكونون به سمعاً كلّهم، وقد أبهتهم جمال الرب، وأشرقت ذواتهم بنور ذلك الجمال الأقدس.

1 ص 8

2 هناك إضافة فوق السطر بخط آخر وهي: "كما سمع موسى كلام ربه من جميع الجهات، وجميع أعضائه".

3 ص 9

قال رسول الله ﷺ من حديث النقّاش في مواقف القيامة وهذا تمامه: «يقول الله ﷻ: سلام عليكم عبادي، ومرحبا بكم، حيّاكم الله، سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحيّ القيوم، ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾¹، طابت لكم الجنة، فطيبوا أنفسكم بالنعم المقيم، والثواب من الكريم، والخلود الدائم. أتم المؤمنون الآمنون، وأنا الله المؤمن المهيمن. شققت لكم أسما من أسامي، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾². أنتم أوليائي، وجبراني، وأصفيائي، وخاصتي، وأهل محبتي، وفي داري، سلام عليكم.

يا معشر عبادي المسلمين؛ أتم المسلمون وأنا السلام وداري دار السلام، سأريكم وجهي كما سمعتم كلامي. فإذا تجلّيت لكم، وكشفت عن وجهي الحجب، فاحمدوني وادخلوا إلى داري غير محجوبين عني، بسلام³ آمنين. فَرِدُوا عَلَيَّ، واجلسوا حولي، حتى تنظروا إليّ، وتروني من قريب؛ فاتحنكم بشحفي، وأجيزكم بجوازري، وأخصكم بنوري، وأغشيكم بجوالي، وأهب لكم من ملكي، وأفاهكم بضحكي، وأغلقكم بيدي، وأثبّتكم روحي.

أنا ربكم الذي كنتم تعبدوني ولم تروني، وتحتوني وتخافوني. وعزّي وجلالي، وعلوي وكبريائي، وبهائي وسنائي، إني عنكم راض، وأحبكم وأحب ما تحبون، ولكم عندي ما تشتهي أنفسكم وتلدّ أعينكم، ولكم عندي ما تدعون، وما شئتم وكل ما شئتم أشياء؛ فاسألوني ولا تحشموا، ولا تستحيوا، ولا تستوحشوا، وإني أنا الله الجواد الغني المنيّ الوفيّ الصادق.

وهذه داري قد أسكنتكموها، وجنتي قد أحتكموها، ونفسي- قد أريتكموها، وهذه يدي ذات الندى والطلّ مبسوطة ممتدة عليكم لا أقبضها عنكم، وأنا أنظر إليكم لا أصرف بصري عنكم. فاسألوني ما شئتم واشتيتتم، فقد آستكم بنفسي، وأنا لكم جليس وأنيس. فلا حاجة ولا فاقة بعد هذا، ولا بؤس ولا مسكنة، ولا ضعف ولا هرم، ولا سخط ولا حرج ولا تحويل؛ أبدا سرمدا.

نعميكم نعيم الأبد، وأتم الآمنون المقيمون الماكثون، المكرمون المنعمون، وأنتم السادة الأشراف الذين أطعتموني واجتنبتم محاربي⁴؛ فارفعوا إليّ حوائجكم أقضها لكم وكرامة ونعمة.

قال: «فيقولون: ربنا ما كان هذا أملنا ولا آمينتنا، ولكن حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم، أبدا أبدا، ورضاء نفسك عنا. فيقول لهم العليّ الأعلى، مالك الملك السخيّ الكريم تبارك وتعالى: فهذا وجهي

بارز لكم أبدا سرمدا؛ فانظروا إليه وأبشروا، فإن نفسي عنكم راضية. فتمتعوا، وقوموا إلى أزواجكم فعانقوا وانكحوا، وإلى ولائدكم ففاكهوا، وإلى عُرفكم فادخلوا، وإلى بساتينكم فتنزهوا، وإلى دوابكم فاركبوا، وإلى فرشكم فاتكثوا، وإلى جواريك وسراريكم في الجنان فاستأنسوا، وإلى هداياكم من ربكم فاقبلوا، وإلى كسوتكم فالبسوا، وإلى مجالسكم فتحدثوا.

ثمّ قبلوا قائلة (=قبيلة) لا نوم فيها ولا غائاة، في ظلّ ظليل، وأمن مقيم، ومجاورة الجليل. ثمّ روحوا إلى نهر الكوثر والكافور، والماء المطهر، والتسليم والسلسيل والزنجيل؛ فاعطسوا وتنعّموا؛ طوبى لكم وحسن مآب. ثمّ روحوا فاتكثوا على الرفارف الحضرة والعبري الحسنان، والفرش المرفوعة، في ظلّ ممدود، والماء المسكوب، والفاكهة الكثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

ثمّ تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ. سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾² ثمّ تلا هذه الآية: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾³. إلى هنا انتهى حديث أبي بكر النقّاش الذي أسندناه في باب القيامة قبل هذا في حديث المواقف.

ثمّ إن الحقّ تعالى- بعد هذا الخطاب يرفع الحجاب، ويتجلّى لعباده؛ فيخرون سجدا، فيقول لهم: "ارفعوا رؤوسكم فليس هذا موطن سجود. يا عبادي؛ ما دعوتكم إلا لتنعّموا بمشاهدتي. فمسكهم في ذلك ما شاء الله. فيقول لهم: هل بقي لكم شيء بعد هذا؟ فيقولون: يا ربنا؛ وأي شيء بقي، وقد نجيتنا من النار، وأدخلتنا دار رضوانك، وأنزلتنا بجوارك، وخلعت علينا ملابس كرمك، وأريتنا وجهك. فيقول الحقّ ﷻ: بقي لكم. فيقولون: يا ربنا؛ وما ذاك الذي بقي؟! فيقول: دوام رضاي عنكم؛ فلا أسخط عليكم أبدا.

فما أحلاها من كلمة، وما ألذها من بشرى. فبدأ سبحانه- بالكلام خلقتنا، فقال: ﴿كُنْ﴾ فأول شيء كان لنا منه السماع، فحتم بما به بدأ. فقال هذه المقالة، فحتم بالسماع. وهو هذه البشرية. ويتفاضل الناس في رؤيته - سبحانه-، ويتفاوتون فيها تفاوتا عظيما، على قدر علمهم⁴، فمنهم ومنهم.

ثمّ يقول سبحانه- للملائكة: «ردّوهم إلى قصورهم». فلا يبتدون، لأنهم: لما طرأ عليهم من سُكر الرؤية، ولما زادهم من الخير في طريقهم فلم يعرفوها. فلولا أن الملائكة تدلّ بهم، ما عرفوا منازلهم. فإذا

1 [الزمر : 73]

2 [الأعراف : 49]

3 ص 9ب

4 ص 10

1 ص 10ب

2 [يس : 55 - 58]

3 [الفرقان : 24]

4 ص 11

وصولاً إلى منازلهم تلقاهم أهلهم؛ من الحور والولدان. فيرون جميع ملكهم قد اكتسى بهاء وجمالاً ونورا من وجوههم، أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم. فيقولون لهم: لقد زدتم نورا وبهاء وجمالاً ما تركناكم عليه. فيقول لهم أهلهم: وكذاكم أنتم قد زدتم من البهاء والجمال ما لم يكن فيكم عند مفارقتكم إيانا؛ فينعم بعضهم ببعض.

واعلم أن الراحة والرحمة مطلقة في الجنة كلها. وإن كانت الرحمة ليست بأمر وجودي، وإنما هي عبارة عن الأمر الذي يُلْتَمَذُ ويتَّعَمُّ به المرحوم، وذلك هو الأمر الوجودي. فكل من في الجنة منتعم، وكل ما فيها نعيم؛ فحركتهم ما فيها نصب، وأعمالهم ما فيها لغوب. إلا راحة النوم ما عندهم؛ لأنهم ما ينامون. فما عندهم من نعيم النوم شيء. ونعيم النوم هو الذي ينتعم به أهل النار خاصة، فراحة النوم محلها جهنم.

ومن رحمة الله بأهل النار في أيام عذابهم؛ خمود النار¹ عنهم، ثم تسعّر بعد ذلك عليهم؛ فيخف عنهم بذلك من آلام العذاب على قدر ما خبت النار، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾². وهذا يدل على أن النار محسوسة، بلا شك. فإن النار ما تتصف بهذا الوصف، إلا من كون قيامها بالأجسام. لأن حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها، ولا الزيادة ولا النقص، وإنما هو الجسم المحرق بالنار هو الذي يُشْجَرُ بالنارية.

وإن حملنا هذه الآية على الوجه الآخر، قلنا: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ يعني النار المسلطة على أجسامهم ﴿زِدْنَاهُمْ﴾ يعني المعذنين ﴿سَعِيرًا﴾ فإنه لم يقل: "زدناها" ومعنى ذلك أن العذاب ينقلب إلى بواطنهم، وهو أشد. العذاب الحسي يشغلهم عن العذاب المعنوي. فإذا خبت النار في ظواهرهم، ووجدوا الراحة من حيث حسّهم، سلط الله عليهم في بواطنهم التفكير فيما كانوا فرطوا فيه من الأمور، التي لو عملوا بها لنالوا السعادة، وتسلط عليهم الوهم بسلطانه. فيتوهمون عذاباً أشد مما كانوا فيه، فيكون عذابهم بذلك التوهم في نفوسهم، أشد من حلول العذاب المقرون بتسلط النار المحسوسة على أجسامهم. وتلك النار التي أعطاهها الوهم، هي النار التي تطلع على الأفئدة، وهي التي قلنا فيها:

النَّارُ نَارُ زَانٍ نَارٌ كُلُّهَا لَهَبٌ وَهِيَ الَّتِي مَا لَهَا سَفْعٌ وَلَا لَهَبٌ
وَنَارٌ مَعْنَى عَلَى الْأَزْوَاجِ تَطْلُعُ لَكِنْ لَهَا أَلَمٌ فِي الْقَلْبِ يَنْطَلِعُ

وكذلك أهل الجنة؛ يعطيهم الله من الأماني والنعيم المتوهم فوق ما هم عليه. فما هو إلا أن الشخص

منهم يتوهم ذلك أو يتمناه، فيكون فيه بحسب ما يتمناه أو يتوهمه. إن تمناه معنى كان معنى، أو توهمه حساً كان محسوساً، أي ذلك كان². وذلك النعيم من جنات الاختصاص ونعيمها. وهو جزاء لما كان يتوهم هنا ويتمنى أن لو قدر وتمكن أن يكون، ممن لا يعصي الله طرفة عين، وأن يكون من أهل طاعته، وأن يلحق بالصالحين من عباده، ولكن قصرت به العناية في الدنيا. فيعطى هذا التمني في الجنة؛ فيكون له ما تمناه وتوهمه وأراحه الله في الدنيا من تلك الأعمال الشاقة، ولحق في الآخرة بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات العلى.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في الرجل الذي لا قوة له ولا مال له، فيرى رب المال الموفق يتصدق ويعطي في فك³ الرقاب، ويوسع على الناس، ويصل الرحم، ويبنى المساجد، ويعمل أعمالاً لا يمكن أن يصل إليها إلا رب المال، ويرى أيضاً من هو أجلد منه على العبادات، التي ليس في قوة جسمه أن يقوم بها، ويتمنى أنه لو كان له مثل صاحبه من المال والقوة، لعمل مثل عمله؛ قال ﷺ: «فهما في الأجر سواء» ومعنى ذلك أنه يعطى في الجنة مثل ذلك التمني من النعيم الذي أنتجته تلك الأعمال؛ فيكون له ما تمنى. وهو أقوى في اللذة والتنعيم مما لو وجدته في الجنة قبل هذا التمني، فلما اشغل عن تمنيه، كان النعيم به أعلى.

فمن جنات الاختصاص ما يخلق الله له من همته وتمنيه؛ فهو اختصاص عن عمل معقول متوهم، وتمن لم يكن له وجود ثمره في الدنيا، وهو الذي عيننا بالاختصاص في قولنا:

مَرَاتِبُ الْجَنَّةِ مَقْسُومَةٌ مَا بَيْنَ أَعْمَالٍ وَبَيْنَ اخْتِصَاصٍ
فِي أُولَى الْأَبْوَابِ سَبَقًا عَلَى نَجَبٍ مِنْ أَعْمَالِكُمْ لَا مَنَاصَ
إِنْ "بَلَى" لَمْ تَغَطِ أَطْفَالَنَا مِنْ أَثَرِ الْأَعْمَالِ غَيْرِ الْخَلَاصِ
لَأَنَّهُ لَمْ يَكْ شَرَعًا لَهُمْ فَهُوَ اخْتِصَاصٌ مَا لَدَيْهِ انْتِقَاصُ

فأردنا⁴ بالاختصاص الثاني ما لا يكون عن تمن ولا توهم، وأردنا بالاختصاص الأول ما يكون عن تمن وتوهم، الذي هو جزاء عن تمن وتوهم في الدنيا.

1 "يقناه أو" من س فقط
2 في هامش ق، ومن س: أضاف إن تحصل تكن أحسن المني
3 ق: "وبفك" وصححت بقلم الأصل.
4 ص 12 ب
5 ص 13

1 ص 11 ب
2 الإسراء: 97
3 ص 12
4 مسغته النار: لفحته

وأما الأمانى المذمومة؛ فهي التي لا تكون لها ثمرة، ولكن صاحبها يتنعم بها في الحال كما قيل¹:

أمانى إن تحصل تكن أحسن المنى
والأفقد عشنا بها زمنا رغدا

ولكن تكون حسرة في المال، وفيها قال الله تعالى: ﴿وَعَرَّيْكُمْ أَمْثِلَ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾² وفيها يقال: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾³ لأنه لا مفاضلة بين الخير والشر، فما كان خيرا يتوهمه في الدنيا، ويظن أنه يصل إليه بكفره، لجهله. فلماذا قال فيه: "خير.. وأحسن" فأقى ببنية المفاضلة وهي: أفعل من كذا، فافهم هذا المعنى ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

الباب السادس والستون في معرفة سر الشريعة¹ ظاهرا وباطنا وأي اسم إلهي أوجدها

طَلَبَ الْجَلِيلُ مِنَ الْجَلِيلِ جَلَالًا
لَمَّا رَأَى عِزَّ الْإِلَهِ وَجُودَهُ
وَقَدْ اطْمَأَنَّ بِنَفْسِهِ مُتَعَزِّزًا
أَنْهَى إِلَيْهِ شَرِيعَةَ مَعْصُومَةٍ
فَأَذَلَّهُ سُلْطَانُهَا إِذْ لَالًا
يَا مَنْ تَبَارَكَ جَدُّهُ وَتَعَالَى

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾²
وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾³.

فاعلم أن الأسماء الإلهية لسان حال تعطيلها الحقائق، فاجعل بالك لما تسمع، ولا تتوهم الكثرة ولا الاجتماع الوجودي. وإنما أورد في هذا الباب ترتيب حقائق معقولة كثيرة من جهة النسب، لا من جهة وجود عيني. فإن ذات الحق واحدة من حيث ما هي ذات. ثم إنه لما علمنا من وجودنا وافتقارنا وإمكاننا أنه لا بد لنا من مرجح نستند إليه، وأن ذلك المستند لا بد أن يطلب وجودنا منه بسبا مختلفة، كنى الشارع عنها بالأسماء الحسنى، فسقي بها من كونه متكلمًا في مرتبة وجوبية وجوده الإلهي، الذي لا يصح أن يشارك فيه، فإنه إله واحد لا إله غيره.

فأقول بعد هذا التقرير في ابتداء هذا الأمر، والتأثير والترجيح في العالم الممكن: إن الأسماء اجتمعت بخضرة المسمى، ونظرت في حقائقها ومعانيها، فطلبت ظهور أحكامها حتى تتميز أعيانها بآثارها، فإن الخالق الذي هو المقدر، والعالم، والمدبر، والمفضل، والباري، والمصور، والرازق، والحيي، والمحيي، والوارث، والشكور، وجميع الأسماء الإلهية؛ نظروا في ذواتهم، ولم يروا مخلوقا، ولا مدبرا، ولا مفصلا، ولا مصورا،

1 القائل هو ابن ميادة: (٩ - 149 هـ / ٧٦٦ م) الرقاح بن أبرد بن ثوبان الذيباني الغطفاني المؤدبي، أبو شريحيل، ويقال أبو حرمة. وميادته أمه ونسبته إليها اشتهر. شاعر رقيق هجاء، من مخضري الدولة الأموية والعباسية، قالوا: كان متعرضا للنشر طالبا لمهاجرة الناس ونسابة الشعراء، مدح من الأمويين الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومن الهاشميين المنصور وجعفر بن سليمان. وفي العلماء من سمط اللآل: شعراء غطفان الجاهلية والإسلام وأنه كان خيرا لقومه من التابعة، وقد أفرد الزبير بن بكار أخباره في كتاب. قال صاحب وأبو رعر. ومطلع القصيدة هو:

أين أمي النفس من لاج الهوى
إذا كاذ برح الشوق يلقفها وجدا [الموسوعة الشعرية]

2 [الحديد: 14]
3 [الفرقان: 24]
4 [الأحراب: 4]

1 ص 13 ب
2 [الإسراء: 95]
3 [الإسراء: 15]
4 ص 14

ولا مرزوقا، فقالوا: كيف العمل حتى تظهر هذه الأعيان التي تظهر أحكامنا فيها؛ فيظهر سلطاننا.

فلجأت الأسماء الإلهية التي تطلبها بعض حقائق العالم¹، بعد ظهور عينه، إلى الاسم الباري، فقالوا له: عسى توجد هذه الأعيان لتظهر أحكامنا ويثبت سلطاننا، إذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا؟ فقال الباري: ذلك راجع إلى الاسم القادر؛ فإنني تحت حيطته.

وكان أصل هذا أن الممكنات في حال عدمها، سألت الأسماء الإلهية سؤال حال ذلة وافتقار، وقالت لها: إن العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضاً، وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا، فلو أنكم أظهرتم أعياننا، وكسوتونا حلة الوجود، أنعمت علينا بذلك، وقمنا بما ينبغي لكم من الإجلال والتعظيم. وأنتم أيضاً كانت السلطنة تصح لكم في ظهورنا بالفعل، واليوم أنتم علينا سلاطين بالقوة والصلاحيّة، فهذا الذي نطلبه منكم هو في حَقِّكم، أكثر منه في حقنا. فقالت الأسماء: أن هذا الذي ذكرته الممكنات صحيح، فتحرّكوا في طلب ذلك.

فلما لجؤوا إلى الاسم "القادر"، قال "القادر": أنا تحت حيطه "المريد"، فلا أوجد عينا منكم إلا باختصاصه، ولا يمكنني الممكن من نفسه، إلا أن يأتيه أمر الأمر من ربه، فإذا أمره بالتكوين وقال له: "كن" مكّني من نفسه وتعلّق بإيجاده، فكوّثه من حينه. فالجؤوا إلى الاسم "المريد"، عسى- أنه يُزجّج ويخصّ جانب² الوجود على جانب العدم. فحينئذ نجتمع أنا و"الأمر" و"المتكلم" ونوجدكم.

فلجؤوا إلى الاسم "المريد"، فقالوا له: إن الاسم "القادر" سألناه في إيجاد أعياننا، فأوقف أمر ذلك عليك، فما ترسم؟ فقال "المريد": صدق "القادر"، ولكن ما عندي خبر ما حكم الاسم "العالم" فيكم: هل سبق علمه بإيجادكم فنخصّص، أو لم يسبق؟ فأنا تحت حيطه الاسم "العالم"، فسيروا إليه واذكروا له قضيتكم.

فساروا إلى الاسم "العالم"، وذكروا ما قاله الاسم "المريد"، فقال "العالم": صدق "المريد"، وقد سبق علمي بإيجادكم، ولكن الأدب أولى، فإن لنا حضرة محمّية علينا، وهي الاسم "الله". فلا بدّ من حضورنا عنده، فإنها حضرة الجمع.

فاجتمعت الأسماء كلّها في حضرة "الله"، فقال: ما بالكم؟ فذكروا له الخبر. فقال: أنا اسم جامع لحقائقكم، وإنّي دليل على مسّتي، وهو ذات مقدّسة، له نعوت الكمال والتنزيه. ففقوا حتى أدخل على مدلولي.

فدخل على مدلوله، فقال له ما قالته الممكنات، وما تحاورت فيه الأسماء. فقال: اخرج، وقل لكل واحد من الأسماء بتعلّق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات، فإنّي الواحد لنفسي من حيث نفسي، والممكنات إنما تطلب مرتبتي، وتطلبها مرتبتي. والأسماء الإلهية كلّها للمرتبة، لا لي. إلا "الواحد" خاصّة؛ فهو اسم خصيص بي¹، لا يشاركني في حقيقته من كلّ وجه أحد: لا من الأسماء، ولا من المراتب، ولا من الممكنات.

فخرج الاسم "الله" ومعه الاسم "المتكلم" يترجم عنه للممكنات والأسماء، فذكر لهم ما ذكره المسّس. فتعلّق "العالم" و"المريد" و"القاتل" و"القادر"، فظهر الممكن الأول من الممكنات، بتخصيص "المريد" وحكم "العالم".

فلما ظهرت الأعيان والآثار في الأكوان، وتسلب بعضها على بعض، وقهر بعضها بعضاً، بحسب ما تستند إليه من الأسماء، فأدّى إلى منازعة وخصام. فقالوا: إننا نخاف علينا أن يفسد نظامنا، ونلحق بالعدم الذي كُنا فيه. فنبّهت الممكنات الأسماء بما ألقى إليها الاسم "العليم" و"المدير"، وقالوا: أنتم أيّها الأسماء- لو كان حكمكم على ميزان معلوم وحدّ مرسوم بإمام ترجعون إليه يحفظ علينا وجودنا، وتحفظ عليكم تأثيراتكم فينا، لكان أصلح لنا ولكم؛ فالجؤوا إلى الله عسى يقبّل من يحدّ لكم حدّاً تنفون عنده، وإلا هلكنّا وتعطلتم. فقالوا: هذا عين المصلحة، وعين الرأي. ففعلوا ذلك فقالوا: إن الاسم "المدير" هو ينهي أمركم؛ فانهوا إلى "المدير" الأمر، فقال: أنا لها.

فدخل، وخرج بأمر الحق إلى الاسم "الرب" وقال له: افعل ما تقتضيه المصلحة في بقاء أعيان هذه الممكنات. فاتخذ² وزيرين يعينانه على ما أمر به؛ الوزير الواحد: الاسم "المدير"، والوزير الآخر "المفضل". قال تعالى: ﴿يَدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾³ الذي هو الإمام. فانظر ما أحكم كلام الله تعالى- حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون الأمر عليه.

فحدّ الاسم "الرب" لهم الحدود، ووضع لهم المراسم لإصلاح المملكة، وليبلوهم أيّهم أحسن عملاً، وجعل الله ذلك على قسمين؛ قسم يسّى سياسة حكّمية، ألقاها في فطر نفوس الأكابر من الناس؛ فحدّوا حدوداً، ووضعوا نوااميس، بقوة وجدوها في نفوسهم؛ كلّ مدينة وجهة وإقليم بحسب ما يقتضيه مزاج تلك الناحية وطبائعهم، لعلهم بما تعطيه الحكمة. فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلهم وأرحامهم وأنسابهم، وسبّوها نوااميس. ومعناها: أسباب خير؛ لأنّ الناموس في العرف الاصطلاحي هو الذي يأتي بالخير، والجاسوس يُستعمل في الشر.

فهذه هي النواميس الحكيمية التي وضعها العقلاء، عن إلهام من الله من حيث لا يشعرون، لمصالح العالم ونظمه وارتباطه، في مواضع لم يكن عندهم شرع إلهي منزل. ولا علم لواضعي هذه النواميس بأن هذه الأمور مقررة إلى الله، ولا ثورث جنة ولا ناراً، ولا شيئاً من أسباب الآخرة. ولا علموا أن ثم آخرة، وبعثاً محسوساً بعد الموت في أجسام طبيعية، وداراً فيها أكل وشرب ولباس ونكاح وفرح، وداراً فيها عذاب وآلام. فإن وجود ذلك ممكن، وعدمه ممكن، ولا دليل لهم في ترجيح أحد الممكنين، بل رهبانية ابتدعوها. فلماذا كان مبنى نواميسهم ومصلحتهم على إبقاء الصلاح في هذه الدار.

ثم اشردوا في نفوسهم بالعلوم الإلهية من توحيد الله، وما ينبغي لجلاله من التعظيم والتقديس وصفات التنزيه، وعدم المثل والشبيه، وبأنه من يدري ومن علم ذلك من لا يدري، وحرّضوا الناس على النظر الصحيح، وأعلموهم أن للعقول من حيث أفكارها حدّاً تقف عنده لا تتجاوزه، وأن الله على قلوب بعض عباده فيضاً إلهياً، يعلمهم فيه من لدنه علماً، ولم يبعد ذلك عندهم، وأن الله قد أودع في العالم العلويّ أموراً استدلّوا عليها بوجود آثارها في العالم العنصري وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾².

فبحثوا عن حقائق نفوسهم، لما رأوا أن الصورة الجسدية إذا ماتت ما نقص من أعضائها شيء، فعلموا أن المدرك والحرك لهذا الجسد، إنما هو أمر آخر زائد عليه، فبحثوا عن ذلك الأمر الزائد؛ فعرفوا نفوسهم، ثم رأوا أنه يعلم بعد ما كان يجهل؛ فعلموا³ أنها وإن كانت أشرف من أجسادها، فإن الفقر والفاقة يصحبها. فاعتلوا بالنظر من شيء إلى شيء، وكلما وصلوا إلى شيء رأوه مفتقراً إلى شيء آخر. حتى انتهى بهم النظر إلى شيء لا يفتقر إلى شيء ولا مثله شيء ولا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء؛ فوقفوا عنده، وقالوا: هذا هو "الأول"، وينبغي أن يكون واحداً لذاته من حيث ذاته، وأن أوليته لا تقبل الثاني، ولا أحديته؛ لأنه لا شبه له ولا مناسب. فوحدوه توحيداً وجوداً. ثم لما رأوا أن الممكنات لأنفسها لا ترجح لذاتها؛ علموا أن هذا "الواحد" أفادها الوجود؛ فافتقرت إليه، وعظمت؛ بأن سلبت عنه جميع ما تصف ذواتها به؛ فهذا حدّ العقل.

فبينما هم كذلك؛ إذ قام شخص من جنسهم، لم يكن عندهم من المكنة في العلم، بحيث أن يعتقدوا فيه أنه ذو فكر صحيح ونظر صائب، فقال لهم: "أنا رسول الله إليكم" فقالوا: الإنصاف أوّل؛ انظروا في نفس دعواه: هل ادّعى ما هو ممكن؟ أو ادّعى ما هو محال؟ فقالوا: إنه قد ثبت عندنا بالدليل، أن الله فيضاً إلهياً يجوز أن يمنحه من يشاء، كما أفاض ذلك على أرواح هذه الأفلاك وهذه العقول، والكل قد اشتركوا

في الإمكان، وليس بعض الممكنات بأوّل من بعض فيما هو ممكن. فما بقي لنا نظراً إلا في صدق هذا المدّعي أو كذبه، ولا تقدّم على شيء من هذين الحكيمين بغير دليل، فإنه سوء أدب مع علمنا. فقالوا: هل لك دليل على صدق ما تدّعيه؟ فجاءهم بالدلائل. فنظروا في دلالته وفي أدلته، ونظروا أن هذا الشخص ما عنده خبر مما تنتج الأفكار، ولا عرف منه. فعلموا أن الذي أوحى في كل ساء أمرها، كان مما أوحى في كل ساء وجود هذا الشخص، وما جاء به. فأسرعوا إليه بالإيمان به وصدّقه، وعلموا أن الله قد أطلعه على ما أودعه في العالم العلويّ من المعارف ما لم تصل إليه أفكارهم، ثم أعطاه من المعرفة بالله² ما لم يكن عندهم.

ورأوا نزوله في المعارف بالله إلى العامي الضعيف الرأي بما يصلح لعقله من ذلك، وإلى الكبير العقل، الصحيح النظر، بما يصلح لعقله من ذلك، فعلموا أن الرجل عنده من الفيض الإلهي ما هو وراء طور العقل، وأن الله قد أعطاه من العلم به والقدرة عليه ما لم يعطه إياهم. فقالوا بفضلته وتقدّمه عليهم، وآمنوا به وصدّقه واتبعوه. فعين لهم الأفعال المقررة إلى الله تعالى، وأعلمهم بما خلق الله من الممكنات، فيما غاب عنهم، وما يكون منه سبحانه- فيهم في المستقبل، وجاءهم بالبعث والنشور، والجنّة والنار. ثم أنه تنابعت الرسل على اختلاف الأزمان³ واختلاف الأحوال. وكل واحد منهم يصدّق صاحبه ما اختلفوا قط، في الأصول التي استندوا إليها وعبروا عنها، وإن اختلفت الأحكام. فتنزّلت الشريعة ونزلت الأحكام، وكان الحكم بحسب الزمان والحال، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾⁴. فاتفقت أصولهم من غير خلاف في شيء من ذلك.

وفرّقوا في هذه السياسات النبوية المشروعة من عند الله، بينها وبين ما وضعت الحكماء، من السياسات الحكيمية التي اقتضاها نظرهم، وعلموا أن هذا الأمر آتم، وأنه من عند الله بلا شك. فقبلوا ما أعلمهم به من الغيوب، وآمنوا بالرسل. وما عاند أحد منهم، إلا من لم ينصح نفسه في علمه، واتبع هواه، وطلب الرئاسة على أبناء جنسه، وجعل نفسه وقدره، وجعل ربه.

فكان أصل وضع الشريعة في العالم وسببها، طلب صلاح العالم، ومعرفة ما مجل من الله، بما لا يقبله العقل، أي لا يستقل به العقل من حيث نظره. فنزلت بهذه المعرفة الكتب المنزلّة، ونطقت بها السنة الرسل والأنبياء عليهم السلام- فعملت العقلاء عند ذلك أنها تنصّها من العلم بالله أموراً تمّمها لهم الرسل.

1 ص 17 ب
2 نائية في الهامش بقلم الأصل
3 ص 18
4 [المائدة : 48]

ولا أعني بالعقلاء، المتكلمين اليوم¹ في الحكمة. وإنما أعني بالعقلاء؛ مَنْ كان على طريقتهم من الشغل بنفسه والرياضات والمجاهدات والخلوات، والتهَيُّؤ لواردات ما يأتيهم في قلوبهم عند صفائها من العالم العلوي الموحى في السماوات العلى؛ فهو لائق أعني بالعقلاء. فإن أصحاب اللقطة والكلام والجدل، الذين استعملوا أفكارهم في مواد الألفاظ، التي صدرت عن الأوائل، وغابوا عن الأمر الذي أخذها² عنه أولئك الرجال. وأمّا أمثال هؤلاء الذين عندنا اليوم، لا قدر لهم عند كل عاقل، فإنهم يستهزئون بالدين، ويستخفون بعباد الله، ولا يُعْظَم عندهم إلّا مَنْ هو معهم على مدرجتهم، قد استولى على قلوبهم حبُّ الدنيا، وطلبُ الجاه والرئاسة، فأذلهُم الله كما أذلوا العلم، وحقرهم وصغرهم، وأجأهم إلى أبواب الملوك والولاة من الجهال؛ فأذلهُم الملوك والولاة.

فأمثال هؤلاء لا يُعْتَبَر قولهم؛ فإن قلوبهم قد ختم الله عليها وأصمهم وأعمى أبصارهم، مع الدّعى العريضة أنهم أفضل العالم عند نفوسهم. فالفقيه المفتي في دين الله مع قلّة ورعه بكل وجه أحسن حالا من هؤلاء. فإن صاحب الإيمان مع كونه أخذه تقليدا، هو أحسن حالا من هؤلاء العقلاء³ على زعمهم، وحاشا العاقل أن يكون بمثل هذه الصفة.

وقد أدركنا مَنْ كان على حالهم قليلا، وكانوا أعرف الناس بمقدار الرسل، ومن أعظمهم تبعا لسنن الرسول ﷺ وأشدّهم محافظة على سننه، عارفين بما ينبغي لجلال الحق من التعظيم، عالمين بما خصّ الله عباده من النبيين وأتباعهم من الأولياء من العلم بالله، من جهة الفيض الإلهي الاختصاصي الخارج عن التعلم المعتاد من الدرس والاجتهاد ما لا يقدر العقل من حيث فكره أن يصل إليه.

ولقد سمعتُ واحدا من أكابرهم⁴، وقد رأى مما فتح الله به عليّ من العلم به سبحانه، من غير نظر ولا قراءة، بل من خلوة خلوت بها مع الله، ولم أكن من أهل الطلب، فقال: الحمد لله الذي أنا في زمان رأيت فيه من آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما. فالله يختص مَنْ يشاء برحمته والله ذو الفضل العظيم ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْلَ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁵.

الباب السابع والستون في معرفة لا إله إلّا الله، محمد رسول الله وهو الإيمان

شَهِدَ¹ اللهُ لَمْ يَزَلْ أَرْلَا
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ
ثُمَّ أَمْلَأَهُ بِذَا شَهِدَتْ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ
وَأَوَّلُو الْعِلْمَ كُلَّهُمْ شَهِدُوا
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ
ثُمَّ قَالَ الرَّسُولُ: قُولُوا مَعِيَ
أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ وَقَالَ بِهِ مَنْ
قَبْلَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ
مَا عَدَا الْإِنْسِ كُلَّهُمْ شَهِدُوا
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: اللهُ

قال الله جلّ ثناؤه- في كتابه العزيز: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾² ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾³ وقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدا رسول الله» الحديث. فقال⁴ سبحانه: ﴿وَأَوَّلُو الْعِلْمِ﴾ لم يقل: "وأولو الإيمان" فإن شهادته بالتوحيد لنفسه ما هي عن خبر فيكون إيمانا. ولهذا الشاهد فيما يشهد به لا يكون إلّا عن علم، وإلّا فلا تصحّ شهادته.

ثُمَّ إِنَّهُ ﷻ عَطَفَ الْمَلَائِكَةَ وَأَوَّلِي الْعِلْمِ عَلَى نَفْسِهِ بِالْوَاوِ، وَهُوَ حَرْفٌ يُعْطَى الْإِشْتِرَاكُ، وَلَا إِشْتِرَاكُ هُنَا إِلَّا فِي الشَّهَادَةِ قَطْعًا، ثُمَّ أَضَافَهُمْ إِلَى الْعِلْمِ لَا إِلَى الْإِيمَانِ. فَعَلِمْنَا أَنَّهُ أَرَادَ مَنْ حَصَلَ لَهُ التَّوْحِيدُ مِنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ النَّظَرِيِّ أَوْ الضَّرُورِيِّ لَا مِنْ طَرِيقِ الْخَبَرِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: وَشَهِدَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَوْحِيدِي بِالْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ مِنَ التَّجَلِّي الَّذِي أَفَادَهُمُ الْعِلْمَ، وَقَامَ لَهُمْ مَقَامُ النَّظَرِ الصَّحِيحِ فِي الْأَدَلَّةِ؛ فَشَهِدَتْ لِي بِالتَّوْحِيدِ، كَمَا شَهِدَتْ لِنَفْسِي. وَأَوَّلُو الْعِلْمَ بِالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي جَعَلْتُهُ فِي عِبَادِي.

1 ص 19 ب
2 [آل عمران : 18]
3 [آل عمران : 19]
4 ص 20

1 ص 18 ب
2 ق: أخذوها
3 ص 19
4 يقصد به الفيلسوف ابن رشد، وقد ذكر قصته معه في الباب الخامس عشر
5 [الأحراب : 4]

ثم جاء بالإيمان بعد ذلك في الرتبة الثانية من العلماء، وهو الذي يعول عليه في السعادة. فإن الله به أمر. وسمّيه علماً لكون الخبر هو الله. فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾¹ وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾² حين قسّم المراتب في آخر سورة إبراهيم من القرآن العزيز. وقال رسول الله ﷺ في الصحيح: «من مات وهو³ يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» ولم يقل هنا: «يؤمن». فإن الإيمان موقوف على الخبر، وقد قال (تعالى): ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾⁴.

وقد علمنا أن الله عبادة كانوا في فترات وهم موحدون علماً، وما كانت دعوة الرسل قبل رسول الله ﷺ عامّة، فيلزم أهل كل زمان الإيمان. فعمّ بهذا الكلام جميع العلماء بتوحيد الله: المؤمن منهم من حيث ما هو عالم به من حجة الخبر الصدق، الذي يفيد العلم لا من حجة الإيمان - وغير المؤمن.

فالإيمان لا يصح وجوده إلا بعد مجيء الرسول. والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ثمّ إلهاً، وأنّ ذلك الإله واحد لا بدّ من ذلك، لأنّ الرسول من جنس من أرسل إليهم. فلا يختص واحد من الجنس دون غيره، إلا لعدم المعارض، وهو الشريك. فلا بدّ أن يكون عالماً بتوحيد من أرسله وهو الله - تعالى -، ولا بدّ أن يتقدّمه العلم بأنّ هذا الإله هو على صفة يمكن أن يبعث رسولا، بنسبة خاصّة ما هي ذاته، وحينئذ يُنظر في صدق دعوى هذا الرسول أنّه رسول من عند الله لإمكان ذلك عنده.

وهذه في العلم مراتب معقولة، يتوقف العلم ببعضها على بعض. وليس هذا كلّها حظّ المؤمن؛ فإنّ مرتبة الإيمان - وهو التصديق بأنّ هذا رسول من عند الله - لا تكون إلا بعد حصول هذا العلم الذي ذكرناه. فإذا جاءت الدلالات على صدقه بأنّه رسول الله، لا بتوحيد مرسله، حينئذ تتأهّب العقلاء وأولو الألباب والأحلام والنهي، لما يورده في رسالته هذا الرسول. فأول شيء قال في رسالته: إنّ الله الذي أرسلني يقول لكم قولوا: «لا إله إلا الله».

فعلّم أولو الألباب، أنّ العالم بتوحيد الله لا يلزمه أن يتلفظ به. فلما سمع من الرسول الأمر بالتلفظ به، وأنّ ذلك ليس من مدلول دليل العلم بتوحيد الله، تلفّظ به هذا العالم الموحد، إيماناً وتصديقاً بهذا الرسول. فإذا قال العالم: «لا إله إلا الله» لقول رسول الله ﷺ له: «قل لا إله إلا الله» عن أمر الله، سمّي مؤمناً. فإنّ الرسول أوجب عليه أن يقولها، وقد كان في نفسه عالماً بها، ومخيراً في نفسه في التلفّظ بها وعدم التلفّظ بها. فهذه مرتبة العالم بتوحيد الله من حيث الدليل.

1 [محمد: 19]

2 [إبراهيم: 52]

3 ص 20 ب

4 [الإسراء: 15]

5 ص 21

«فمن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»، بلا شك ولا ريب. وهو من السعداء. فأما في الفترات فبعثه الله أمةً وحده كقَسّ بن ساعدة، لا تابع؛ لأنّه¹ ليس بمؤمن، ولا هو متبوع؛ لأنّه ليس برسول من عند الله. بل هو عالم بالله، وما علم من الكوائن الحادثة في العالم، بأيّ وجه علمها. وليس لخلق أن يشرّع ما لم يأذن به الله، ولا أن يوجب وقوع ممكن من عالم الغيب، يجوز خلافه في دليله، على حجة القرية إلى الله، إلا بوحى من الله وإخبار.

وهنا نكتّ لمن له قلب وفطنة، لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾² وقوله: «إنّه أودع اللوح الخفوظ جميع ما يجريه في خلقه إلى يوم القيامة» وما أوحى الله في سماواته، وأودعه في لوحه: بعثة³ الرسل؛ فتؤخذ من اللوح كشفاً واطّلاعاً، وتتوخّد من السماء نظراً واختباراً. وعلمهم بعثة⁴ الرسل (هو) علمهم بما يجيئون به من القربات إلى الله، وبأزمانهم وأمكنتهم وحلّاهم، وما يكون من الناس بعد الموت، وما يكون منهم في البعث والحشر، ومآلهم إلى السعادة والشقاء من جنّة ونار.

وإنّ الله جعل بروج الفلك ومنازله، وسباحة كواكبه، أدلّة على حكم ما يجريه الله في العالم الطبيعي والعنصريّ من حرّ وبرد ويبس ورطوبة في حارّ وبارد ورطب ويابس. فمنها ما يقتضي وجود الأجسام في حركات معلومة، ومنها ما⁵ يقتضي وجود الأرواح، ومنها ما يقتضي بقاء مدّة السماوات؛ وهو العلم الذي أشار إليه أبو طالب المكي: من أنّ الفلك يدور بأنّفاً العالم. ومع رؤيتهم لذلك كلّهم، هم فيه متفاضلون، بعضهم على بعض؛ فمنهم الكامل المحقّق المدقّق، ومنهم من يتزلّ عن درجته بالتفاضل في النزول.

وقد رأينا جماعة من أصحاب خطّ الرمل، والعلماء بتقادير حركات الأفلاك وتفسير كواكبها، والاقترانات ومقاديرها، ومنازل اقتراناتها، وما يحدث الله عند ذلك من الحكم في خلقه، كالأسباب المعتادة في العامّة التي لا يجهلها أحد، ولا يكفر القائل بها، فهذه أيضاً معتادة عند العلماء بها. فإنّها تعطي بحسب تأليف طباعها، مما لا يعطيه حالها في غير اقترانها بغيرها. فيخبرون بأمر جزئية تقع على حدّ ما أخبروا به، وإن كان ذلك الأمر واقعاً بحكم الاتفاق، بالنظر إليه. وإن كان علماً في نفس الأمر. فإنّ الناظر فيه ما هو على يقين - وإن قطع به في نفسه - لغموض الأمر. فما يصحّ أن يكون مع الإنصاف على يقين من نفسه أنّه ما فاتته دقيقة في نظره، ولا فات لمن محدّد له السبيل قبله، من غير نبيّ يخبر عن الله. فإنّ المتأخّر على حساب المتقدّم يعتمد.

1 ص 21 ب

2 [فصلت: 12]

3 الحرف الأول والأخير مملّان

4 الحروف مملّاة عدا حرف التاء

5 ص 22

فلما رأينا ذلك، علمنا أن الله أسراراً في خلقه. ومن حصل في هذه المرتبة من العلم، لم يكن أحد أقوى في الإيمان منه، بما جاءت به الرسل، وما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله، إلا من يدعو إلى الله على بصيرة كالرسول وأتباعه². وإن كلامنا في المفاضلة، إنما هو بين هؤلاء وبين المؤمنين أهل التقليد، لا بين الرسل وأولياء الله وخاصته، الذين تولى الله تعليمهم؛ فآتاهم رحمة من عنده، وعلمهم من لدنه علماً. فهم فيما علموه بحكم القطع لا بحكم الاتفاق.

يقول رسول الله ﷺ في علم الخطأ: «إن نبياً من الأنبياء بعث به» قيل: هو إدريس عليه السلام فأوحى الله إليه في تلك الأشكال، التي أقامها الله له مقام الملك لغيره. وكما يحيى الملك من غير قصد من النبي لجيئه، كذلك يحيى شكل الخطأ من غير قصد الضارب صاحب الخطأ إليه. وهذه هي الأمهات خاصة. ثم شرع له أن يشرع، فهي السنة التي يرى الرسول أن يضعها في العالم، وأصلها الوحي. كذلك ما يولد صاحب الخطأ عن الأمهات من الأولاد وأولاد الأولاد، فتفصح له تلك الأشكال عن الأمر المطلوب على ما هو عليه، والضمير فيه كالنية في العمل، فلا³ يخطئ.

قال ﷺ في العلماء العاملين بالخطأ: «من وافق خطئه» يعني خطأ ذلك النبي «فذاك». يقول: «فقد أصاب الحق». فهذا مثل من يدعو إلى الله على بصيرة من أتباع الرسل، فقوله: «فإن وافق» فما جعله علماً عنده، لكونه لا يقطع به، وإن كان علماً في نفس الأمر. فهذا (هو) الفرق بين هؤلاء، وبين من يدعو إلى الله على بصيرة، ومن هو على بينة من ربه.

فأعلم العلماء بالله بعد ملائكة الله، رسل الله، وأوليائه، ثم العلماء بالأدلة، ومن دونهم. وإن وافق (صاحب الإيمان) العلم في نفس الأمر فليس هو عند نفسه بعالم، للتردد الإمكان، الذي يجده في نفسه المنتصف. فما هو مؤمن إلا بما جاء في كتاب الله على التعيين، وما جاء عن رسوله على الجملة لا على التفصيل، إلا ما حصل له من ذلك تواتراً. ولهذا قيل للمؤمنين⁴: «آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»⁵ فقد بان لك مراتب الخلق في العلم بالله.

فإذا جاء الرسول وبين يديه العلماء بالله وغير العلماء بالله، وقال للجميع: «قولوا لا إله إلا الله». علمنا على التطلع أنه ﷺ في ذلك القول معلّم لمن لا علم له بتوحيد الله من المشركين، وعلمنا أنه في ذلك القول،

أيضاً، معلّم للعلماء بالله وتوحيده؛ أن التلّفظ به واجب، وأنه العاصم لهم من سفك دماءهم وأخذ أموالهم وسبي ذرارهم. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» ولم يقل: «حتى يعلموا» فإنّ فيهم العلماء.

فالحكم هنا للقول لا للعلم، والحكم «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»² في هذا، للعلم لا للقول. فقالها هنا: العالم والمؤمن والمنافق الذي ليس بعالم ولا مؤمن. فإذا قالوا هذه الكلمة؛ عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها في الدنيا والآخرة. وحسابهم على الله في الآخرة: من أجل المنافق، ومن ترتب عليه حق لأحد، فلم يؤخذ منه. وأما في الدنيا فمن أجل الحدود الموضوعة؛ فإنّ قول: «لا إله إلا الله» لا يستقطبها في الدنيا ولا في الآخرة. وأما حسابهم على الله في الآخرة «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ» فيعلمون بقرينة الحال أنه سؤال واستفهام عن إجاباتهم بالقلوب. فيقولون: «لَا عِلْمَ لَنَا» أي لم نطلع على القلوب «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»³ (فهذا) تأكيد وتأييد لما ذكرنا.

ثم قال ﷺ من اسمه الملك: «بني الإسلام على خمس» فصيّرهُ ملكاً: «شهادة أن لا إله إلا الله» وهي القلب «وأنّ محمداً رسول الله» حاجب الباب، «وإقام الصلاة» المُجَنَّبَةُ اليمنى «وإيتاء الزكاة» المُجَنَّبَةُ اليسرى «وصيام رمضان» التقدمة «والحج» الساقية.

وربما كانت الصلاة (هي) التقدمة، لكونها نورا، فهي تحجب الملك، وقد ورد في الخبر: «إنّ حجاب النور». وتكون الزكاة الميمنة، لأنها إضاق يحتاج إلى قوّة لإخراج ما كان يملكه عن ملكه. ويكون الحج الميسرة لما فيه من الإتفاق والقربان، حيث تجمع بالزكاة في الصدقة والهدية، وكلاهما من أعمال الأيدي. ويكون الصوم في الساقية، فإنّ الخلف نظير الأمام، وهو ضياء، فإنّ الصبر ضياء، يريد الصوم، والضياء من النور، فهو أولى بالساقية للموازنة، فإنّ الآخر يمشي على أثر الأول.

وهكذا يكون الإيمان الإلهي يوم القيامة. فيأتي الإيمان يوم القيامة في صورة ملك على هذه الصفة. فأهل لا إله إلا الله في القلب، وأهل الصلاة في التقدمة، وأهل الزكاة وهي الصدقة في الميمنة، وأهل الحج في الميسرة، وأهل الصيام في الساقية، جعلنا الله من قام بناء بيته على هذه القواعد؛ فكان بيته الإيمان؛ وخدّه من القبلة الصلاة، ومن الشمال الصوم، ومن الغرب صدقة السرّ، ومن الشرق الحج، فلقد سعد ساكنه.

1 ص 23 ب
2 [الطارق : 9]
3 [المائدة : 109]
4 ص 24

1 ص 22 ب
2 «كالرسول وإنّ» هي في س: كالرسل والأولياء عليهم السلام وإنما
3 ص 23
4 ق: للمؤمنين.
5 [الحديد : 7]

واعلم¹ أن لا إله إلا الله كلمة نفي وإثبات، وهي أفضل كلمة قالتها الأنبياء. قال رسول الله ﷺ: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة» فيه إشارة لدعاء العارفين بالله «وأفضل ما قلته أنا والنبيتون من قبلي: لا إله إلا الله» وهو حديث صحيح، رواية ومعنى.

فالنفي لابد أن يرد على ثابت فينفيه، فإنه إن ورد النفي على ما ليس بثابت وهو النفي؛ أثبتته، لأن ورود النفي على النفي إثبات. كما أن عدم الوجود. فما نفي هذا النافي بقوله: "لا إله؟" أخبرونا فقد استفهمنا؟ والمثبت، أيضاً؛ هل حكمه حكم المنفي من أنه لا يثبت إلا المنفي؟ أو حكمه حكم آخر يميز به عن حكم النفي؟ فأي شيء نفي هذا النافي؟ وأي شيء أثبت هذا المثبت؟ هذا كله لابد من تحقيقه - إن شاء الله -.

فاعلم أن النفي ورد على أعيان من المخلوقات، لما وصفت بالألوهية، وتُسبِّت إليها، وقيل فيها: آلهة. ولهذا تعجب من تعجب من المشركين لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله الواحد، فأخبرنا الله عنه أنه قال: «أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ»² فاتهموه فسبَّوها آلهة، وهي ليست بهذه الصفة، فورد حكم النفي على هذه النسبة الثابتة عندهم إليها، لا في نفس الأمر، لا على نفي الألوهة³.

لأنه لو نفي النفي، لكان عين الإثبات لما زعمه المشرك. فكأنه يقول للمشرك: هذا القول الذي قلت لا يصح، أي ما هو الأمر كما زعمت، ولا بد من إله، وقد انتفت الكثرة من الآلهة بحرف الإيجاب، الذي هو قوله: "إلا" وأوجبوا هذه النسبة إلى المذكور بعد حرف الإيجاب، وهو مسمى "الله" فقالوا: "لا إله إلا الله". فلم تثبت نسبة الألوهة لله بإثبات المثبت، لأنه سبحانه - إله لنفسه. فأثبت المثبت بقوله: "إلا الله" هذا الأمر في نفس من لم يكن يعتقد انفراده سبحانه - بهذا الوصف، فإن ثبت الثبوت محال، وليس نفي النفي محال.

فعلى الحقيقة ما عبد المشرك إلا الله، لأنه لو لم يعتقد الألوهة في الشريك ما عبده؛ «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»⁴ ولذلك غار الحق لهذا الوصف، فعاقبهم في الدنيا إذا لم يحترموا، ورزقهم وسَّع دعاءهم وأجابهم إذا سألوا إلههم في زعمهم، لعلهم سبحانه - أنهم ما لجؤوا إلا لهذه المرتبة، وإن أخطؤوا في النسبة، فشقوا في الآخرة شقاء الأبد. حيث نهىهم الرسول على توحيد من تجب له هذه النسبة. فلم ينظروا ولا نصحوا نفوسهم. ولهذا كانت دلالة كل رسول، بحسب ما كان الغالب على أهل زمانه، لتقوم عليهم الحجة فتكون لله الحجة البالغة.

1 ص 24
2 ص 15
3 ص 25
4 الإسراء: 23

فعمت¹ هذه الكلمة مرتبة العدم والوجود. فلم تبقى مرتبة إلا وهي داخلية تحت النفي والإثبات، فلها الشمول. فمن قائل: لا إله إلا الله بنفسه، ومن قائل: لا إله إلا الله بنعته، ومن قائل: لا إله إلا الله بربِّه، ومن قائل: لا إله إلا الله بنعت ربِّه، ومن قائل: لا إله إلا الله بحاله، ومن قائل: لا إله إلا الله بحكمه، وهو المؤمن خاصة؛ والخمسة الباقون ما لهم في الإيمان مدخل.

أما من قال: "لا إله إلا الله" بنفسه؛ فهو الذي قالها من تجليته لنفسه، فرأى استفادة وجوده من غيره، فأعطته رؤية نفسه أن يقول: "لا إله إلا الله" وهو التوحيد الذاتي الذي أشارت إليه طائفة من المحققين.

وأما القائل: "لا إله إلا الله" بنعته؛ فهو الذي وحده بعلمه، فإن نعت العلم بتوحيد الله وأحدثته. فنتطقه علمه. والفرق بينه وبين الأول؛ أن الأول عن شهود، وهذا الثاني عن وجود، والوجود قد يكون عن شهود، وقد لا يكون.

وأما القائل: "لا إله إلا الله" بربِّه؛ فهو الذي رأى أن الحق عين الوجود، لا أمر آخر. وأن انصاف الممكنات بالوجود هو ظهور الحق لنفسه بأعيانها، وذلك أن استفادتها الوجود لها من الله، إنما هو من² حيث وجوده. فإن الوجود المستفاد، هو الظاهر، وهو عين الحكم به على هذه الأعيان؛ فقال: "لا إله إلا الله" بربِّه.

وأما القائل: "لا إله إلا الله" بنعت ربِّه، فإنه رأى أن الحق سبحانه - من حيث أحدثته وذاته ما هو مسمى الله والرب، فإنه لا يقبل الإضافة. ورأوا أن مسمى الرب يقتضي - المربوب، ومسمى الله يطلب المألوه. ورأوا أنهم لما استفادوا منه الوجود ثبت له اسم الرب؛ إذ كان المربوب يطلبه. فالمربوب أصل في ثبوت الاسم الرب، ووجود الحق أصل في وجود الممكنات. ورأوا أن "لا إله إلا الله" لا تطلبه عين الذات، فقالوا: "لا إله إلا الله" بنعت الرب الذي نعت به المربوب. فالعلم بنا أصل في علمنا به. يقول ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» فوجودنا موقوف على وجوده، والعلم به موقوف على العلم بنا³. فهو أصل في وجهه، ونحن أصل في وجهه.

وأما القائل: "لا إله إلا الله" بحاله، فهو الذي يستند في أموره إلى غير الله، فإذا لم يتفق له حصول ما طلب تحصيله من استند إليه، وسدَّت الأبواب في وجهه من جميع الجهات، رجع إلى الله اضطراراً فقال: "لا إله إلا الله" بحاله.

1 ص 25
2 ص 26
3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

وهؤلاء الأصناف كلهم لا يتصفون بالإيمان؛ لأنه ما فهم من قالها عن تقليد.

وأما¹ من قال: "لا إله إلا الله" بحكمه، فهو الذي قالها لقول الشارع، حيث أوجب عليه أن يقولها، وحكم عليه أن يقولها، ولولا هذا الحكم ما قالها على جهة التورية إلى الله، وربما لو قالها؛ قالها مغلما ومُعَلِّما.

دخلت على شيخنا أبي العباس العربي من أهل الثُلُيا، وكان مستهترا بذكر الاسم "الله" لا يزيد عليه شيئا. فقلت له: يا سيدي؛ لم لا تقول: "لا إله إلا الله"؟ فقال لي: يا ولدي؛ الأنفاس بيد الله ما هي بيدي، فأخاف أن يقبض الله روعي عندما أقول: "لا" أو "لا إله" فأقبض في وحشة النفي. وسألت شيخا آخر عن ذلك، فقال لي: ما رأيت عيني ولا سمعت أذني من يقول: "أنا الله" غير الله، فلم أجد من أنفي، فأقول كما سمعته يقول: الله الله.

وإنما تُعبدنا بهذا الاسم في التوحيد، لأنه الاسم الجامع للنعوت بجميع الأسماء الإلهية. وما نُقل أنه وقعت من أحد من المعبودين فيه مشاركة، بخلاف غيره من الأسماء، مثل "إله" وغيره. وبهذا القدر من القول، إذا قيل (لا إله إلا الله) لقول الشارع يثبت الإيمان. وإنما قال الشارع: «حتى يقولوا: لا إله إلا الله». ولم يقل: «محمد رسول الله» لتضمن هذه الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة. فإن القائل: "لا إله إلا الله" لا يكون مؤمنا²، إلا إذا قالها لقول رسول الله ﷺ، فإذا³ قالها لقوله فهو عين إثبات رسالته.

فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة بالشهادة بالرسالة، لهذا لم يقل: قولوا "(محمد) رسول الله". وقال في غير القول وهو الإيمان، والإيمان معنى من المعاني، ما هو مما يترك بالحس، فقرن بالإيمان بالله؛ الإيمان به وما جاء به، يعني من عنده، مما له أن يشرعه من غير نقل عن الله. فقال في حديث ابن عمر، لما ذكر الإيمان بالله وبالصلاة والزكاة والحج والصوم، وكل هذا جاء من عند الله، قال في حديث ابن عمر: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وما جئت به» من أجل المناق المقلد؛ فإنه يقولها من غير إيمان بقلبه ولا اعتقاد، والجاحد المناق يقولها لا لقوله، مع علمه بأنه رسول الله من كتابه، لا من دليله العقلي.

واعلم أن المتلفظ بشهادة الرسالة المقرونة بشهادة التوحيد، فيه سر إلهي عرفنا به الحق سبحانه، وهو أن الإله الواحد الذي جاء بوصفه ونعته الشارع، ما هو التوحيد الإلهي الذي أدركه العقل، فإن ذلك لا يقبل اقتران الشهادة بالرسالة، مع الشهادة بالتوحيد. فهذا التوحيد من حيث ما يعلمه الشارع، ما هو

1 ص 26

2 في متن ق: "إيمانا" واستبدلت بجائها: صوابه "مؤمنا"

3 ص 27

التوحيد من حيث ما أثبتته النظر العقلي. وإذا كان الإله الذي دعانا الشرع إلى عبادته وتوحيده إنما هو في رتبة كونه إلها لا في ذاته، صح أن نعتنه بما نعتنه به؛ من النزول والاستواء والمعية والتردد والتدبر وما أشبه ذلك من الصفات، التي لا يقبلها توحيد العقل المحض، المجرد عن الشرع. فهذا المعبود ينبغي أن تقرر شهادة الرسول برسالته بشهادة توحيد مرسله، ولهذا يضاف إليه فيقال: "أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله"، كل يوم ثلاثين مرة، في أذان الخمس الصلوات وفي الإقامة. والمتلفظون بهذه الشهادة الرسالية؛ التفضيل فيهم كالتفضيل في شهادة التوحيد. فلمش بها على ذلك الأسلوب من المراتب.

وفي الإيمان بالله ورسوله، الإيمان بكل ما جاء به من عند الله، ومن عنده، مما سنه وشرعه. ويدخل فيما سنه: الإيمان بسنة من سن سنة حسنة. فاستمر الشرع، وحدوث العبادة المرغوب فيها، مما لا ينسخ حكما ثابتا إلى يوم القيامة.

وهذا الحكم خاص بهذه الأمة، وأعني بالحكم: تسميتها سنة؛ تشريفا لهذه الأمة، وكانت في حق غيرهم من الأم السالفة تسمى رهبانية. قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾¹ فمن قال "بدعة" في هذه الأمة مما سماها الشارع "سنة"، فما² أصاب السنة. إلا أن يكون ما بلغه ذلك. والاتباع أولى من الابتداع. والفرق بين الاتباع والابتداع معقول، ولهذا جرح الشارع إلى تسميتها سنة وما سماها بدعة. لأن الابتداع إظهار أمر على غير مثال، هذا أصله. ولهذا قال الحق تعالى- عن نفسه: ﴿يَدْعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾³ أي موجدتها على غير مثال سبق. فلو شرع الإنسان اليوم أمرا، لا أصل له في الشرع؛ لكان ذلك إبداعا، ولم يكن يسوغ لنا الأخذ به. فعدل الشارع من لفظ الابتداع إلى لفظ السنة؛ إذ كانت السنة مشروعة. وقد شرع الله لحمد ﷺ الاقتداء بهدي الأنبياء عليهم السلام- ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴.

انتهى الجزء الثلاثون، يتلوه في الجزء الحادي والثلاثين.⁵

1 ص 27

2 [الحديد: 27]

3 ص 28

4 [البقرة: 117]

5 [الأحزاب: 4]

6 أسفل المتن: "سمع جميع هذا الجزء على مصنفه الإمام العلامة محي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي: ابنا المصنف أبو المعالي محمد وأبو سعد محمد، وإساعيل بن سودكين النوري، وأبو بكر بن سنان الحموي، وابناء عبد الواحد وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم البريلي، ونضر الله بن أبي العز بن الصفار، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، وموسى بن زيد بن جابر الخوراني، ومحمد بن يوسف البرزالي، ويعقوب بن معاذ الوري، ومحمد بن بركش المعظمي، ومحمد بن صديق شهران الاهدي، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي المطرز، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد التكريتي، وبركة بن حسن بن مالك الهلالي، وعلي بن عبد العزيز بن نجم، وعيسى بن إسحق الهذلي، ويونس بن عثمان البغدادي، ويوسف بن الحسن النابلسي، وأبو بكر محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن

الباب الثامن والستون
في أسرار الطهارة

تَبَصَّرَ تَرَى سِرَّ الطَّهَارَةِ وَاضِحًا
فَكَمْ طَاهِرٍ لَمْ يَتَّصِفْ بِطَهَارَةٍ
وَلَوْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ الْأَجَاجَ حَيَاتُهُ
إِذَا اسْتَجَمَرَ الْإِنْسَانُ وَثَرًا فَقَدْ مَشَى
فَإِنْ شَفَعَ اسْتِجْمَارُهُ عَادَ خَاسِرًا
وَإِنْ غَسَلَ الْكَفَّيْنِ وَثَرًا وَلَمْ يَزَلْ
فَمَا غَسَلَتْ كَفَّيَّ خَصِيْبٍ وَمَغْصَمٍ
إِذَا صُحَّ غَسَلَ الْوَجْهَ صَحَّ حَيَاؤُهُ
وَإِنْ لَمْ يَغْسِلِ الْمَاءَ لِقَّةً رَأْسَهُ
فَمَا أَقْلَكَ مِنْ رِقِّ الْغُبُودِيَّةِ الَّتِي
وَإِنْ لَمْ يَرِ الْكَرْسِيُّ فِي غَسَلِ رِجْلِهِ
إِذَا مَضَى الْإِنْسَانُ فَاهُ وَلَمْ يَكُنْ

يَسِيرًا عَلَى أَهْلِ التَّيَقُّظِ وَالذِّكْرِ
إِذَا جَانَبَ الْبَحْرَ الْمَلْدِيَّ وَاحْتَمَى
وَلَمْ يَقْنِ عَنْ بَحْرِ الْحَقِيقَةِ مَا زَكَ
عَلَى السُّنَّةِ الْمُثَلَّى حَلِيقًا لِمَنْ مَضَى
وَفَارَقَ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ بَاطِنِ الرِّدَا
بِخِيَالٍ بِمَا يَهْوَى عَلَى فِطْرَةِ الْأَوَّلَى
إِذَا لَمْ يَلُحْ سَيْفُ التَّوَكُّلِ مُتَضَيًّا
وَصَحَّ لَهُ زَفْعُ السُّتُورِ مَتَى يَشَا
وَلَا وَقَفَتْ كَفَّاهُ فِي سَاحَةِ الْقَفَا
تَشْخَرُهَا الْأَغْيَارُ فِي مَنْزِلِ التَّوَى⁵
تَنَاقُضُ مَعْنَى الطَّهْرِ لِلْجِبِينِ وَاشْتَقَى
بَرِيئًا مِنَ الدَّعْوَى وَفِيًّا بِمَا ادَّعَى

سليمان الحريري، وأحمد بن عبد الرحمن بن بيان، وعلي بن أحمد القرطبي، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي، ومحمد بن نصر - الله بن هلال، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، ومحمد بن أحمد بن زرارة، ومحمد بن علي الأخطلي، وإسماعيل بن يحيى المظلي، وأحمد بن أبي الهيثم الدمشقي، وحسين بن محمد الموصلي، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وأحمد بن موسى التركماني، وأحمد بن أبي طالب الدمشقي، ويوسف بن درباس بن يوسف الحميري - ابن أخت ابن سودكين -، وإبراهيم بن علي بن أحمد السنجاري، وإبراهيم بن أبي بكر بن الحلال، ومحمد بن محمد بن جمعة البلسي، وإبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي - وهذا خطأ - وعلي بن أبي الغنم بن الغسال، وذلك في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، بمنزل المصنف بدمشق".

1 العنوان ص 28

2 البسملة ص 29

3 ص 39 ب

4 اللمة: الشعر إذا جاوز شعبة الأذنين

5 التوى: الهلاك

وَمُسْتَشْتَقٍ مَا شَمَّ رِيحَ اتِّصَالِهِ
صِمَاحُهُ مَا تَنَفَّكَ تَطَهَّرُ إِنْ صَغَا
وَإِنْ لَبَسَ الْجُرْمُوقُ¹ وَهُوَ مُسَافِرٌ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَإِنْ كَانَ خَاجِرًا
وَفِي² الْمَسْحِ سِرٌّ لَا أُبَوِّحُ بِذِكْرِهِ
وَيَتَلَوُّهُ مَسْحٌ فِي الْجَبَائِرِ بَيْنَ
وَإِنْ عَدِمَ الْمَاءَ الْقُرَاحُ فَإِنَّهُ
يُؤَيِّرُهُ كُفًا وَوَجْهًا فَإِنْ أَبَى
إِذَا أَجَنَّبَ الْإِنْسَانُ عَمَّ طُهُورُهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ تَبَّهَ خُلُقُهُ
فَذَاكَ الَّذِي أَجْنَى عَلَيْهِ طُهُورُهُ
فَإِنْ نَسِيَ الْإِنْسَانُ رُكْنًَا فَإِنَّهُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُكْنًَا وَعَطَّلَ سُنَّةَهُ
وَذَلِكَ⁴ فِي كُلِّ الْعِبَادَاتِ شَائِعٌ
فَهَذَا طُهُورُ الْعَارِفِينَ فَإِنْ تَكُنْ
إِذَا كَانَ هَذَا⁵ ظَاهِرُ الْأَمْرِ فَالَّذِي

وَمُسْتَشْتَقٍ أَوْدَى بِهِ كِبَرُهُ الرَّدَى
إِلَى أَحْسَنِ الْأَقْوَالِ وَكَثِفَ وَاقْتَفَى
عَلَى طَهْرِهِ يَمْسَحُ فِي سِرِّهِ خَفَا
بِمَنْزِلِهِ فَلَمَسْخُ يَوْمٍ بِلا قَضَا
وَلَوْ قُطِعَتْ مِنِّي الْمَفَاصِلُ وَالْكُلَى
بِكُلِّ مُرِيدٍ لَمْ يَرِدْ ظَاهِرُ الدُّنَا
تَيَمُّمُهُ يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ التُّرَى
وَصِيرُهُ شَفْعًا فَنِعْمَ الَّذِي أَتَى
كَمَا عَمَّتِ اللَّذَاتُ أَجْزَاءَهُ الْعُلَى
بِإِخْرَاجِهِ بَيْنَ التَّرَائِبِ وَالْمَطَا³
وَلَوْ غَابَ بِالذَّاتِ التَّزْيِينَةُ مَا جَنَى
يُعِيدُ وَيُضِي مَا تَضَنَّ وَاحْتَوَى
فَلَمْ يَأْتِسِ الرُّلْفَى وَمَا بَلَغَ الْمَتَى
وَلَيْسَ جَهْوَلٌ بِالْأُمُورِ كَمَنْ دَرَى
مِنْ اخْزَائِهِمْ تَخْطَى بِتَقَرُّبٍ مُصْطَلَى
تَوَارَى عَنِ الْأَبْصَارِ أَعْظَمُ مُتَشَلَّى

اعلم - أيدينا الله وإياك بروح منه - أنه لما كانت الطهارة (هي) النظافة. علمنا أنها صفة تنزيه؛ وهي معنوية وحسية: طهارة قلب وطهارة أعضاء معينة. فالمعنوية: طهارة النفس من سفساف الأخلاق ومذمومها، وطهارة العقل من دنس الأفكار والشبه، وطهارة السر - من النظر إلى الأغيار. و(أما) طهارة

1 الجرْمُوق: معرب سرْمُوزة، وهي الحفّ الواسع الذي يلبس فوق الحفّ.

2 ص 30

3 المطا: الظهر

4 ص 30 ب

5 ثابتة في الهامش

الأعضاء فاعلم أن لكل عضو طهارة معنوية ذكرناها¹ في كتاب "التنزيلات الموصليّة" في أبواب الطهارة منه. وطهارة الحسّ (تكون) من الأمور المستقدرة التي تستخبها النفوس طبعاً وعادة، وهاتان الطهارتان مشروعتان.

فالطهارة الحسيّة الظاهرة نوعان: النوع الواحد قد ذكرناه، وهو النظافة. والنوع الآخر أفعال معيّنة² مخصوصة، في محال معيّنة مخصوصة، لأحوال موجبة مخصوصة، لا يزداد فيها ولا ينقص منها شرعاً. ولهذه الطهارة المذكورة ثلاثة أسماء شرعاً: وضوءٌ وغسلٌ وتيمّمٌ. وتكون هذه الطهارة بثلاثة أشياء: اثنان مُجمَعٌ عليهما وواحد مُختلَفٌ فيه. فالمُجمَعُ عليهما (هما) الماء المطلق والتراب، سواءً فارق الأرض أو لم يفارقها. والواحد المُختلَفُ فيه، في الوضوء خاصة، (هو) نبيذ التمر. وما فارق الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض، إذا كان في الأرض فإنه مختلف فيه ما عدا التراب كما ذكرنا.

وهذه الطهارة قد تكون عبادة مستقلة كما قال ﷺ فيها: «نور على نور» وقد تكون شرطاً في صحّة عبادة مشروعة مخصوصة، لا تصحّ تلك العبادة شرعاً إلا بوجودها، أو الأفضليّة. فالأول كالوضوء على الوضوء نورٌ على نور. والثاني لرفع المانع عن فعل العبادة التي لا تصحّ إلا بهذه الطهارة، واستباحة فعلها، وهو الأصل، في تشريعها.

ومما تقع به هذه الطهارة ما يكون رافعاً للمانع مبيحاً للفعل معاً، وهو الماء بلا خلاف، ونبيذ التمر في الوضوء بخلاف³. ومنه ما تقع به الإباحة للفعل المعين في الوقت المفروض وقوعه، ولا يرفع المانع بخلاف، وهو التراب. وعندني أنه يرفع المانع في الوقت ولا بدّ. وكون الشارع حكم بالطهارة إذا وجد الماء (فهذا) حكم آخر منه، كما عاد حكم المانع بعد ما كان ارتفع، وما عدا التراب بما فارق الأرض بخلاف.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام وخفضه ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾⁴.

وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ وَيُدْهَبَ عَنْكُمْ رَجَرُ الشَّيْطَانِ﴾⁵ و"زاي"

- 1 في ذكرها
- 2 ص 31
- 3 ص 31 ب
- 4 [المائدة: 6]
- 5 [الأخلاق: 11]

الرجز هنا، بدل من السنين على قراءة من قرأ "الزراط" بالزاي وهي لغة، قرأ ابن كثير بها، أعني بالسين وحمزة بالزاي، وباقي القراء بالصاد.

سمعت شيخنا، وكنت أقرأ عليه القرآن، يقال له: محمد بن خلف بن صاف اللخمي بمسجده¹ المعروف به، بقوس الحنية بأشبيلية من بلاد الأندلس سنة ثمان وسبعين وخمسائة، فقرأت السراط بالسين لابن كثير، فقال لي: "سأل بعض ناقلي اللغة بعض الأعراب؛ كيف تقولون صرّ أو سقرّ؟ فقال له: ما أدري ما تقول، ولكنّي أطنك تسأل عن الزقر. فقال: فزادني لغة ثالثة ما كنت أعرفها".

قال الفراء: الرّجس؛ القذر. ولا شك أن الماء يزيل القذر، والظهور الشرعيّ يذهب قذر الشيطان، قال تعالى: ﴿وَيُنَازِلُ عَلَيْكُمْ قَطَرًا مَوْءِيًا قَطِرًا﴾²، قال امرؤ القيس³:

وإن كنت قد ساءتكم مبيّ خليقة فسلّي ثيابي من ثيابك تشلّ

فكنى بالثوب عن الودّ والوصلة. وقال رسول الله ﷺ في خبر عن ربه سبحانه: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» ومن أسمائه سبحانه: "المؤمن". فمن تخلّق به فقد طهر قلبه، لأن القلب محل الإيمان؛ وكانت السعة الإلهيّة والتجلي الربانيّ.

والطهارة عامّة: وهي الغسل للفناء الذي عمّ ذاته، لوجود اللبّة بالكون، عند الجماع:

أرهبها السهوى وشريتي القمّر⁴

و(الطهارة) خاصّة¹: وهو الوضوء المخصّص بعض الأعضاء بالاغتسال والمسح، وهو تنبيه على مقامات

3 امرؤ القيس: (130 - 80 ق. هـ / 496 - 544 م) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي. شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمازي الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر. قال الشعر وهو غلام، وجعل يشب ويبلو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فبناه عن سيرته فلم يشته، فابعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويبلو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيراً وحلني دمه كبيراً، لا يحضر اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمر وغنا أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً. كانت حكومة فارس ساخطة على بني أكل المزار (آباء امرؤ القيس) فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه فابتعد وشرق عنه أنصاره، فطاف قاتل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره ومكث عنده مدة. ثم قصد الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيره الحارث إلى قصر الروم بوسيتينافس في القسطنطينية فوعده وماطله ثم ولاه إمارة فلسطين، فرحل إليها، ولما كان بأقصر ظهرت في جسمه قروح، فأقام فيها إلى أن مات. [الموسوعة الشعرية]

4 أرهبها السهوى وشريتي القمّر: السهوى بالضم والتصر نغم خفي في بنات نغم الصغرى. والقمر معروف. وجمع بينه وبين السهوى لما بين وصفيهما من المقابلة بالضاد، لأن القمر غاية الظهور، والسهوى في غاية الخفاء. فضرب بها المثل في الأمر الجلي والخبّي. وهذا المثل يصح لك إن تضر به من ترمز له وتشير وهو يفصح، أو في من تحو به منحى اللطائف والبقائق وهو يتبع الظواهر، أو من تأتبه بالأمر المستغرب العزيز ويأتيك بالأمر المبتذل المطروق، ونحو ذلك، والله أعلم. [زهر الأمّ في الأمثال والحكم لبيوسي]

معلومة وتحليلات شريفة منها: القوة، والكلام، والأنفاس، والصدق²، والتواضع، والحياء، والسماح، والنبات. فهذه أعضاء الوضوء، (وهي) مقامات شريفة لها نتائج في القرب إلى الله.

وهذه الطهارة الروحية بأحد أمرين؛ إما سر الحياة أو بأصل النشء الطبيعي العنصري. فالوضوء سر الحياة (هو) لمشاهدة الحي القيوم، وبأصل النشء في الأب الذي هو أصل الأبناء وهو الأرض والتراب، وليس إلا النظر والتفكير في ذاتك³ لتعرف من أوجدك، فإنه أحالك عليك في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁴ وفي قول رسوله ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ».

أحالك عليك بالتفصيل، وأخفاك عنك بالإجمال، لتنظر وتستدل. فقال في التفصيل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾⁵ وهو آدم عليه السلام هنا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾⁶ وهي نشأة الأبناء في الأرحام مساقط النطف ومواقع النجوم. فكفى عن ذلك بالقرار المكين ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾⁷ وقد تم البدن على التفصيل، فإن اللحم يتضمن العروق والأعصاب:

وفي كل طور له آية تُلَّ على أتى مُفْتَقِرٌ

ثم أجمل خلق النفس الناطقة الذي هو بها إنسان في هذه الآية، فقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾⁹.

عرفك بذلك أن المزاج لا أثر له في لطيفتك، وإن لم يكن نصاً، لكن هو ظاهر وأبين منه، قوله: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾¹⁰ وهو ما ذكره في التفصيل من الثقلب في الأطوار فقال: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾¹¹ فقرنه بالمشيئة. فالظاهر أنه لو اقتضى المزاج روحاً خاصاً معيناً ما قال: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ﴾ و"أي" حرف نكرة، مثل حرف "ما" فإنه حرف يقع على كل شيء.

فأبان لك أن المزاج لا يطلب صورة بعينها، ولكن بعد حصولها تحتاج إلى هذا المزاج، وترجع (تعمل)

- 1 ص 32 ب
- 2 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
- 3 "في ذاتك" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
- 4 [الناربات : 21]
- 5 [المؤمنون : 12]
- 6 [المؤمنون : 13]
- 7 ص 33
- 8 [المؤمنون : 14]
- 9 [المؤمنون : 14]
- 10 [الإسطار : 7]
- 11 [الإسطار : 8]

به، فإنه بما فيه من القوى التي لا تدبره (الصورة) إلا بها. فإنه بقواه لها كالات لصانع النجارة أو البناء مثلاً؛ إذا هيئت وأقيمت وفرغ منها تطلب بذاتها وحالها صانعاً، يعمل بها ما صُنِعَتْ له. وما تُعَيَّنُ زيدا ولا عمرا ولا خالدا ولا واحدا بعينه.

فإذا جاء من جاء من أهل الصنعة، مكنته¹ الآلة من نفسها تمكيناً ذاتياً لا تتصف بالاختيار فيه، فجعل يعمل بها صنعته بصرف كل آلة لما هيئت له. فمنها مكملّة، وهي الخلقّة يعني التامة الخلقّة. ومنها غير مكملّة، وهي غير الخلقّة، فينتقص العامل من العمل على قدر ما نقص من جودة الآلة، ذلك ليُعلم أن الكمال الذاتي لله سبحانه.

فبين لك الحق مرتبة جسدك وروحك، لتنظر وتفتكر، فتعتبر أن الله ما خلقك سدى، وإن طال المدى.

وأما القصد الذي هو النية، (هو) شرط في صحة هذا النظر بخلاف. قال تعالى: ﴿فَتَتَّبِعُونَا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾² أي اقصدوا التراب الذي ما فيه ما يمنع من استعماله في هذه العبادة من نجاسة، ولم يقل ذلك في طهارة الماء³، فإنه أحال على الماء المطلق لا المضاف. فإن الماء المضاف مقيد بما أُضيف إليه عند العرب. فإذا قلت للعربي: "أعطني ماء" جاء إليك بالماء الذي هو غير مضاف، ما تفهم العرب منه غير ذلك. وما أرسل رسولاً ولا أنزل كتاباً إلا بلسان قومهم⁴ يقول رسول الله ﷺ: «إنما أنزل القرآن بلساني؛ لسان عربي مبين». يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁵.

فهذا⁶ لم يقل بالتصد في الماء، لأنه سر الحياة. فيعطي الحياة بذاته سواء قصد أو لم يقصد. بخلاف التراب، فإنه إن لم يقصد الصعيد الطيب فليس بنافع، لأنه جسد كثيف لا يسري، فروحه القصد. فإن القصد معنى روحاني. فافتقر المتيمم للقصد الخاص في التراب أو الأرض بخلاف أيضاً⁷. ولم يفتقر المتوضئ بالماء بخلاف، فقال: ﴿اغْسِلُوا﴾⁸ ولم يقل: "تيمموا ماء طيباً".

فإن قالوا: «إنما الأعمال بالنيات» وهو القصد، والوضوء عمل. قلنا: سلمنا ما تقول، ونحن نقول به،

- 1 ص 33 ب
- 2 [النساء : 43]
- 3 ثابت في الهامش في مع إشارة الإدخال
- 4 [إبراهيم : 4]
- 5 [الزخرف : 3]
- 6 ص 34
- 7 "بخلاف أيضاً" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
- 8 [المائدة : 6]

ولكن النية هنا متعلّقة بالعمل، لا الماء. والماء ما هو العمل. والقصد هنالك للصعيد. فيفتقر الوضوء بهذا الحديث للنية، من حيث ما هو عمل، لا من حيث ما هو عمل بماء. فالماء هنا تابع للعمل، والعمل هو المتصور بالنية. وهنالك القصد للصعيد الطيب، والعمل به تبع يحتاج إلى نية أخرى عند الشروع في الفعل، كما يفتقر العمل بالماء في الوضوء والغسل وجميع الأعمال المشروعة إلى الإخلاص بالمأمور به، وهو النية، بخلاف. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾¹ وفي هذه الآية نظر، وهذه مسألة ما حقّقها الفقهاء على الطريقة التي سلكنا فيها² وفي تحقيقها، فافهم.

ولم يقل في الماء: "تيمّموا الماء"، فيفتقر إلى روح من النية، والماء في نفسه روح، فإنّه يعطي الحياة من ذاته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾³، وكل شيء حي؛ فإن كل شيء يسبح بحمد الله، ولا يسبح إلا حي. فالماء أصل الحياة في الأشياء. ولهذا وقع الخلاف بين علماء الشريعة، في النية في الوضوء: هل هي شرط في صحته، أو ليست بشرط في صحته؟ والسّر ما ذكرناه.

فإن قيل: إنّ الإمام الذي لا يرى النية في الوضوء، يراها في غسل الجنابة، وكلا العبادتين بالماء، وهو سرّ الحياة فيها. قلنا: لئلا كانت الجنابة ماء، وقد اعتبر الشرع الطهارة منها لندس حكيم فيها، لامتزاج ماء الجنابة بما في الأخطا، وكون الجنابة ماء مستحيلا من دم؛ فشاركت الماء في سرّ الحياة، فتمانعا، فلم يقو الماء وحده على إزالة حكم الجنابة، لما ذكرنا. فافتقر (الجنب) إلى روح مؤيّد له عند الاغتسال، فاحتاج إلى مساعدة النية. فاجتمع حكم النية، وهي روح معنوي، وحكم الماء؛ فأزالا بالغسل حكم الجنابة، بلا شك، كأبي حنيفة ومن قال بقوله في هذه المسألة.

ومن راعى كون ماء الجنابة، لا يقوى قوّة الماء المطلق، لأنّه ماء استحلال من دم، كماء الجنابة إلى تمازجه بالأخطا ومفارقته إياه بالكثافة⁴ واللويّة، قال: قد ضعف ماء الجنابة عن مقاومة الماء المطلق، فلم ينتفر عنه إلى نية، كالحسن بن حي⁵، والخالف لها من العلماء ما تقطنوا لها رأياه هذان الإمامان، ومن ذهب مذهبهما. فاجعل بالك، لما بينته لك، ورجّح ما شئت.

وَصَلَّى

(الماء ماءً)

وبعد أن تحقّقت هذا، فاعلم أنّ الماء ماءً: ماء مُلَطَّفٌ مقطّر في غاية الصفاء والتخليص، وهو ماء الغيث؛ فإنّه ماء مستحيل من أبخرة كثيفة، قد أزال التقطير ما كان تعلّق به من الكثافة. وذلك هو العلم الشرعي اللدني؛ فإنّه عن رياضة ومجاهدة وتخليص؛ فطهر به ذاتك لمناجاة ربك. والماء الآخر ماء لم يبلغ في اللطافة هذا المبلغ؛ وهو ماء العيون والأنهار، فإنّه ينبع من الأحجار، ممتزجا بحسب البقعة التي ينبع بها ويجري عليها. فيختلف طعمه: فمنه عذب فرات، ومنه ملح أجاج وقعام¹، ومُرّ وزعاق². وماء الغيث على حالة واحدة؛ ماء نير خالص سلسال سائغ شراؤه. وهذه علوم الأفكار الصحيحة والعقول. فإن علوم العقل المستفادة من الفكر يشوبها التغيير؛ لأنها بحسب مزاج³ المتفكر من العقلاء؛ لأنّه لا ينظر إلا في مواد محسوسة كونيّة في الخيال، وعلى مثل هذا تقوم براهينها. فتختلف مقالاتهم في الشيء الواحد، أو تختلف مقالة الناظر الواحد في الشيء الواحد في أزمان مختلفة، لاختلاف الأمزجة والتخليط والأمشاج الذي في نشأتهم، فاختلّفت أقاويلهم في الشيء الواحد، وفي الأصول التي ينبون عليها فروعهم.

والعلم اللدني الإلهي المشروع ذو طعم واحد، وإن اختلفت مطاعمه، فما اختلفت في الطيب، فطيب وأطيب. فهو خالص ما شأبه كدّر، لأنّه تخلّص من حكم المزاج الطبيعي، وتأثير المنايع فيه. فكانت الأنبياء والأولياء، وكل من خبر عن الله، على قول واحد في الله، إن لم يزد فلا ينقص، ولا يخالف. يصدق بعضهم بعضا، كما لم يختلف ماء السماء حال النزول.

فليكن اعتقادك وطهورك في قلبك، بمثل هذا العلم، وليس إلا العلم بالشرع، المشبّه بماء الغيث. وإن لم تفعل فما نصحت نفسك، وتكون في ذاتك وطهورك، بحسب ما تكون البقعة التي نبع منها ذلك الماء. فإن فرقت بين عذبه وملحه، فاعلم أنّك سليم الحاسة. وهذه مسألة لم أجد أحدا نبّه عليها. فإن أكل⁴ الشكر بالحلاوة في الشكر، وكذلك في مرارة الصبر؛ ليس بصحيح، ولا يقتضيه الدليل العقلي. وقد نبّهناك إن تنبّهت فانظر.

ثم يا ولي؛ استدرك استعجال علوم الشريعة في ذاتك، وعلوم الأولياء والعقلاء الذين أخذوها عن الله بالرياضات والحلوات والمجاهدات والاعتزال عن فضول الجوارح وخواطر النفوس. وإن لم تفرّق بين هذه

1 ماء قعام: ماء فاسد مويوه
2 ماء زعاق: منح غليظ لا يطاق شربه.
3 ص 35 ب
4 ص 36

1 البينة: 5

2 ص 34 ب

3 الأنبياء: 30

4 ص 35

5 الحسن بن صالح بن حي: أبو عبد الله الكوفي العابد (100-169)، الطبقة: 7 من كبار أتباع التابعين. روى له: مخ م دت س ق (البخاري في الأدب المفرد - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه) [رواة التهذيبين]
264

المياه؛ فاعلم أنك سيء المزاج، قد غلب عليك خلط من أخلاطك، فما لنا فيك من حيلة إلا أن يتدارك الله برحمته نفسك.

فإذا استعملت من ماء هذه العلوم في طهارتك ما دلتك عليه، وهو العلم المشروع؛ طهرت صفاتك وروحانيتك به، كما طهرت أعضائك بالماء ونظفتها. فأول طهارتك غسل يديك قبل إدخالها في الإناء عند قيامك من نوم الليل بلا خلاف، ووجوب غسلها من نوم النهار بخلاف. واليد محل القوة والتصرف؛ فطهورها (هو) بعلم "لا حول" في اليسرى "ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" في اليمنى.

واليدان: محل القبض والإمساك، بخلا وشعاً. فطهرهما بالبسط والإنفاق، كرماً وجوداً وسخاء. ونوم الليل غفلتك عن علم عالم غيبك. ونوم النهار غفلتك عن علم عالم شهادتك. فهذا عين تخلُّك² وتحققك بعالم الغيب والشهادة من الأسماء الحسنى المضافة.

ثم بعد هذا؛ الاستنجاء والاستجمار، والجمع بينهما أفضل من الإفراد؛ فهما طهارتان: نور في نور، مرغَّب فيهما سنة وقرآناً. فإن استنجيت؛ وهو استعمال الماء في طهارة السوءتين لما قام بهما من الأذى، وهما محل الستر والصون، كما هما محل إخراج الحبث والأذى القائم بباطنك؛ وهو ما تعلق بباطنك من الأفكار الرديئة والشبه المضلة، كما ورد في الصحيح: «أن الشيطان يأتي إلى الإنسان في قلبه فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: فمن خلق الله؟» فطهارة هذا القلب من هذا الأذى ما قال له رسول الله ﷺ: الاستعاذة والانتباه.

وهما عورتان، أي مائتان إلى ما يوسوس به نفسه من الأمور القاذحة في الدين أصلاً وفرعاً، فإن الثبر هو الأصل في الأذى، فإنه ما وجد إلا لهذا، والفرجان الآخران في الرجل والمرأة فرعان عن هذا الأصل، ففنيهما وجهاً إلى الخير ووجهاً إلى الشر وهو النكاح والسفاح.

ألا ترى النجاسة إذا وردت على الماء القليل، أثرت فيه فلم يستعمل؟ وإذا ورد الماء على النجاسة أذهب حكمها؟ كذلك الشبه إذا وردت على القلوب³ الضعيفة الإيمان، الضعيفة الرأي أثرت فيها. وإذا وردت على البحر استهلكته فيه. كذلك القلوب القوية المؤيدة بالعلم وروح القدس، كذلك الشبه إذا جاء بها شيطان الإنس والجن إلى المتضلع من العلم الإلهي الريان منه قلب غيبتها، وعرف كيف يرد نجاسها ذهباً، وفرديرها فضة يكسير العلم اللدني الذي عنده، من عناية الرحمة الإلهية التي آتاه الله بها، وعرف

1 "خلا وخلا" تاج في الهامش علم الأصل
2 ص 36 ب
3 ص 37

وجه الحق منها، وأثر فيها. فهذا سر الاستنجاء الروحاني.

فإن استجمر هذا المتوضي ولم يستنج، فاعلم أن ذلك طهور المتلذ. فإن الجمرة (هي) الجماعة، ويد الله مع الجماعة». و«لا يأكل الذئب إلا القاصية»، وهي التي بعدت عن الجماعة وخرجت عنها، وذلك مخالفة الإجماع. والاستجمار معناه جمع أحجار، أقلها ثلاثة إلى ما فوقها من الأوتار، لأن الوتر هو الله. فلا يزال الوتر مشهودك، والوتر طلب الثار، وهو هنا ما ألقاه الشيطان من الشبه في إيمانك، فتجمع الأحجار للإتقاء من ذلك الحبث القائم بالعضو.

فالمتلذ إذا وجد شبهة في نفسه، هرب إلى الجماعة أهل السنة، فإن يد الله، كما جاء، مع الجماعة. ويد الله تأييده وقوته. وقد نهى رسول الله ﷺ¹ عن مفارقة الجماعة. ولهذا قام الإجماع في الدلالة على الحكم المشروع مقام النص من الكتاب أو السنة المتواترة التي تفيد العلم. فهذا يكون استجمارك في هذه الطهارة.

ثم مضميض بالذكر الحسن، لتزيل به الذكر القبيح؛ من النيمة والغيبة والجهر بالسوء من القول. فلتكن مضمضتك بالتلاوة، وذكر الله، وإصلاح ذات البين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾² وقال: ﴿مَسَاءً بَيْنَهُمْ﴾³ وقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾⁴ وما أشبه ذلك.

فهذه طهارة فيك. وقد فتحت لك الباب. فاجر في وضوئك وغسلك وتميمك في أعضائك على هذا الأسلوب، فهو الذي طلبه الحق منك. وقد استوفينا الكلام على هذه الطهارة في "التنزيلات الموصلية" فانظرها هنالك ثراً ونظماً، وقد رميت بك على الطريق.

ولتصرف هذه الطهارة بكمالها في كل مكلف منك؛ فإن كل مكلف منك مأمور بجميع العبادات كلها: من طهور وصلاة وزكاة وصيام وحج وجماد، وغير ذلك من الأعمال المشروعة. وكل مكلف فيك تصرفه في هذه العبادات بحسب⁵ ما تطلبه حقيقته ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾⁶ وقد ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَقَّهُ﴾⁷ ثم هدى أي بين كيف تستعمله فيها.

1 ص 37 ب
2 [النساء : 148]
3 [القلم : 11]
4 [النساء : 114]
5 ص 38
6 [الطلاق : 7]
7 [طه : 50]

وهم ثمانية أصناف لا يزيدون؛ لكن قد ينتقصون في بعض الأشخاص؛ وهم: العين والأذن واللسان واليد¹ والبطن والفرج والرجل والقلب، لا زائد في الإنسان عليهم. لكن قد ينتقصون في بعض أشخاص هذا النوع الإنساني؛ كالأكمة والأخرس والأصم وأصحاب العاهات. فمن بقي من هؤلاء المكلفين منك فالخطاب يترتب عليه.

ومن خطاب الشارع، تعلم جميع ما يتعلق بكل عضو من هؤلاء الأعضاء من التكليف، وهم كالألة للنفس الخاطبة المكلفة بتدبير هذا البدن، وأنت المسئول عنهم في إقامة العدل فيهم. فلقد «كان رسول الله ﷺ إذا انقطع شئ من نعله، خلع الأخرى حتى يعدل بين رجله، ولا يمشي في نعل واحد». وقد بيناها بكمالها، وما لها من الأنوار والكرامات والمنازل والأسرار والتجليات في كتابنا المسمى "مواقع النجوم". ما سبقنا، في علمنا، في هذا الطريق، إلى ترتيبه أصلا. وقد تدته في أحد عشر يوما في شهر رمضان بمدينة المربة سنة خمس وتسعين وخمسة، يغني عن² الأستاذ بل الأستاذ محتاج إليه، فإن الأستاذين فيهم العالي والأعلى، وهذا الكتاب على أعلى مقام يكون الأستاذ عليه، ليس وراءه مقام في هذه الشريعة، التي تُعبدنا بها. فمن حصل لديه، فليعتمد بتوفيق الله عليه، فإنه عظيم المنفعة. وما جعلني أن أعرفك بمنزلته، إلا أني رأيت الحق في النوم مرتين، وهو يقول لي: انصح عبادي. وهذا من أكبر نصيحة نصحتك بها، والله الموفق، وبيده الهداية، وليس لنا من الأمر شيء.

ولقد صدق الكذوب إبليس رسول الله ﷺ حين اجتمع به، فقال له رسول الله ﷺ: "ما عندك؟ فقال إبليس: ليتعلم يا رسول الله؛ أن الله خلقك للهداية وما بيدك من الهداية شيء، وأن الله خلقتي للغواية وما بيدي من الغواية شيء. لم يزد على ذلك وانصرف. وحالت الملائكة بينه وبين رسول الله ﷺ.

وَضَلَّ

(الله خاطب الإنسان بجملته)

وبعد أن تبهت على ما تبهت عليه، مما تقع لك به الفائدة، فاعلم أن الله خاطب الإنسان بجملته، وما خص ظاهره من باطنه ولا باطنه من ظاهره، فتوقرت دواعي الناس أكثرهم إلى³ معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم، وغفلوا عن الأحكام المشروعة في بواطنهم إلا القليل. وهم أهل طريق الله؛ فإنهم بحثوا في ذلك ظاهرا وباطنا. فما من حكم قرروه شرعا في ظواهرهم إلا ورأوا أن ذلك الحكم له نسبة إلى بواطنهم، أخذوا

1 ثمانية في الهامش بقلم الأصل

2 ص 38 ب

3 ص 39

على ذلك جميع أحكام الشرع، فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهرا وباطنا. ففازوا حين خسر الآخرون.

ونبت طائفة ثالثة، ضلت وأضلت. فأخذت الأحكام الشرعية، وصرفتها في بواطنهم، وما تركت من حكم الشريعة في الظواهر شيئا؛ تسمى الباطنية. وهم في ذلك على مذاهب مختلفة. قد ذكر الإمام أبو حامد في كتاب "المستظهوري" له في الرد عليهم شيئا من مذاهبهم، وبين خطأهم فيها. والسعادة إنما هي مع أهل الظاهر، وهم في الطرف والنتيضة من أهل الباطن. والسعادة كل السعادة مع الطائفة التي جمعت بين الظاهر والباطن، وهم العلماء بالله وبأحكامه.

وكان في نفسي، إن أخر الله في عمري أن أضع كتابا كبيرا، أقرر فيه مسائل الشرع كلها، كما وردت في أماكنها الظاهرة، وأقررها. فإذا استوفينا المسألة المشروعة في ظاهر الحكم، جعلنا إلى جانبها حكمها في باطن الإنسان، فيسري¹ حكم الشرع في الظاهر والباطن. فإن أهل طريق الله، وإن كان هذا غرضهم ومقصدهم، ولكن ما كل أحد منهم يفتح الله له في النهم، حتى يعرف ميزان ذلك الحكم في باطنه².

فَقَصَدْنَا في هذا الكتاب إلى الأمر العام من العبادات؛ وهي الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والتلفظ بلا إله إلا الله محمد رسول الله. فاعتنيت بهذه الخمسة لكونها من قواعد الإسلام التي بُني الإسلام عليها. وهي كالأركان للبيت: فالإيمان هو عين البيت ومجموعه، وباب البيت الذي يدخل منه إليه هذا الباب، وله مصراعان، وهما: التلفظ بالشهادتين. وأركان البيت أربعة، وهي: الصلاة والزكاة والصيام والحج.

فَجَرَدْنَا العناية في إقامة هذا البيت لنسكن فيه، وبقينا من زحمة نفس جهم وخرورها. قال النبي ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب؛ أكل بعضي بعضا. فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف» فما كان من سموم وحرور فهو من نفسها، وما كان من برد ومهدير فهو من نفسها، فاتخذ الناس البيوت لتقيهم حر الشمس وبرد الهواء.

فينبغي للعاقل أن يقيم لنفسه بيتا يَكُنُّه يوم القيامة من هذين النفسين في ذلك اليوم، لأن جهم في ذلك اليوم تأتي³ بنفسها تسعى إلى الموقف ثور ﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ على أعداء الله. فمن كان في مثل هذا البيت وقاه الله من شرها وسطوتها.

1 ص 39 ب

2 ثابت في الهامش بقلم الأصل: عمران (إشارة إلى حضور أحد أصحابه وهو عمران بن حبيش بن علي السماع من هنا، وهو ما ذكر في البلاغ نهاية هذا الجزء).

3 ص 40

4 [الملك: 8]

ولما كانت الطهارة شرطاً في صحة الصلاة، أفردنا لها باباً قدمناه بين يدي باب الصلاة، ثم يتلوها الزكاة، ثم الصوم، ثم الحج. ويكني في هذا الكتاب هذا القدر من العبادات. فأتتبع أمهات مسائل كل باب منها، وأقترها بالحكم الكلي باسمها في الظاهر، ثم أنتقل إلى حكم تلك المسألة عينها في الباطن، إلى أن أفرغ منها، والله يؤيد ويعين.

بيان وإيضاح

فأول ذلك: تسميتها طهارة. وقد ذكرنا ذلك في أول الباب ظاهراً وباطناً. فلنشرع إن شاء الله - في أحكامها، وهو أن ننظر في وجوبها، وعلى من تجب؟ ومتى تجب؟ وفي أفعالها، وفيما به تفعل؟. وفي نواقضها. وفي صفة الأشياء التي تفعل من أجلها، كما فعلته علماء الشريعة وقرّزته في كتبها. وقد انحصر في هذا أمر الطهارة. ولننظر ذلك ظاهراً وباطناً. وإنما نوصي إليه ظاهراً حتى لا يفتقر الناظر فيها إلى كتب الفقهاء، فيغنيه ما ذكرناه. ولا نتعرض للأدلة التي للعلماء على ثبوت هذا الحكم، من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس، في مذهب من¹ يقول به، لطرد علة جامعة يراها بين المنطوق به² والمسكوت عنه. لا أتعرض إلى أصول الفقه في ذلك، ولا إلى الأدلة. إذ العاقبة ليس منصّبها النظر في الدليل. فنحن نذكر أمهات فروع الأحكام، ومذاهب الناس فيها من وجوب وغير وجوب.

وَضَلُّ

(وجوب الطهارة)

فنتول أولاً: أجمع المسلمون قاطبة من غير مخالف، على وجوب الطهارة، على كل من لزمته الصلاة إذا دخل وقتها. وأنها تجب على البالغ حدّ الحلم، العاقل. واختلف الناس؛ هل من شرط وجوبها الإسلام أم لا؟ هذا حكم الظاهر.

فأما الباطن في ذلك؛ وهي الطهارة الباطنة؛ فنقول:

إن باطن الصلاة وروحها إنما هو مناجاة الحق تعالى - حيث قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث.

1 ص 40
2 ق: عيه، وكُتبت فوقها: به

فذكر المناجاة؛ يقول العبد: كذا، فيقول الله: كذا. فمتى أراد العبد مناجاة ربه في أي فعل كان، تعيّنث عليه طهارة قلبه من كل شيء، يخرج به عن مناجاة ربه في ذلك الفعل. ومتى لم يتصف بهذه الطهارة في وقت مناجاته، فما ناجاه، وقد أساء الأدب. فهو بالطرده أحق. وسأذكر في أفعالها تقاسيم هذه الطهارة في الحكم إن شاء الله.

وأما قول العلماء: إنها تجب على البالغ العاقل بالإجماع، واختلفوا في الإسلام، فكذلك عندنا: تجب هذه الطهارة على العاقل، وهو الذي يعقل عن الله أمره ونهيته، وما يليق به إليه في سرّه، ويفترق بين خواطر قلبه؛ فيما هو من الله أو من نفسه، أو من لمة الملك أو من لمة الشيطان، وذلك هو الإنسان. فإذا بلغ في المعرفة والتمييز إلى هذا الحدّ، وعقل عن الله ما يريد منه، وسمع قول الله تعالى: «وسعني قلب عبدي»؛ وجب عليه عند ذلك استعمال هذه الطهارة في قلبه، وفي كل عضو تتعلّق به على الحدّ المشروع.

فإن طهارة البصر مثلاً في الباطن، هو النظر في الأشياء بحكم الاعتبار، وعينه: فلا يرسل بصره عبثاً. ولا يكون مثل هذا إلا لمن تحقّق باستعمال الطهارة المشروعة في محالها كلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾² فجعلها للأبصار. والاعتبار إنما هو للبصائر. فذكر الأبصار، لأنها الأسباب المؤدية إلى الباطن، ما يعتبر فيه عين البصيرة. وهكذا جميع الأعضاء كلها.

وأما قول العلماء في هذه الطهارة: هل من شرط وجوبها الإسلام؟ فهو قولهم: هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؟ وإن³ المنافق إذا توضأ؛ هل أدى واجبا أم لا؟ وهي مسألة خلاف تعم جميع الأحكام المشروعة.

فذهبننا: أن جميع الناس كافة من مؤمن وكافر ومنافق، مكلفون بمخاطبة بأصول الشريعة وفروعها. وأنهم مؤخّذون يوم القيامة بالأصول والفروع. ولهذا كان المنافق في الدرك الأسفل من النار، وهو باطن النار. وإن المنافق معذب بالنار التي ﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾⁴ إذا أتى في الدنيا بصورة ظاهر الحكم المشروع من التلقظ بالشهادة، وإظهار تصديق الرسل، والأعمال الظاهرة. وما عندهم في بواطنهم من الإيمان مثقال ذرة. فهذا القدر تميّزوا من الكفار، وقيل فيهم: إنهم منافقون. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ ذُرَّةً

1 ص 41
2 [آل عمران: 13]
3 ص 41
4 [الحزبة: 7]

وَالْكَافِرِينَ فِي تَحْتَمٍّ جَمِيعًا¹ فذكر الدار. فالمنافقون يُعَذَّبُونَ في أسفل جهنم، والكافرون لهم عذاب في الأعلى والأسفل.

فإن الله قد رتب مراتب وطبقات للعذاب في نار جهنم لأعمال مخصوصة، بأعضاء مخصوصة، على ميزان معلوم لا تتعداه. فالمؤمن ليس للنار اطلاع على محل إيمانه ألبتة، فما له نصيب في النار التي ﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأُفُقِ﴾. وإن خرج عنه هناك، فإن عنايته سارية في محله من الإنسان، وإنما يخرج عنه ليحميه، ويرد عنه من² عذاب الله ما شاء الله، كما خرج عنه في الدنيا إذا أوقع المعصية.

قال رسول الله ﷺ في المؤمن يشرب الخمر ويسرق ويزني؛ إنه لا يفعل شيئاً من ذلك وهو مؤمن حال فعله. وقال إن الإيمان يخرج عنه في ذلك الوقت حال الفعل. وتأول الناس هذا الحديث على غير وجهه، لأنهم ما فهموا مقصود الشارع، وفسروا الإيمان بالأعمال، فقالوا: إنه أراد العمل. فأبان النبي ﷺ مراده بذلك في الحديث الآخر، فقال ﷺ: «إن العبد إذا زنى خرج عنه الإيمان حتى يصير³ عليه كالظلة؛ فإذا أقبل رجع إليه الإيمان».

فاعلم أن الحكمة الإلهية في ذلك، أن العاصي لما علم الله أن العبد إذا شرع في مخالفة التي هو بها مؤمن أنها مخالفة ومعصية، فقد عرض نفسه بفعله إيّاها لنزول عذاب الله عليه، وإيقاع العقوبة به، وأن ذلك الفعل يستدعي وقوع البلاء به من الله، فيخرج عنه إيمانه الذي في قلبه، حتى يكون عليه مثل الظلة. فإذا نزل البلاء من الله يطلبه، تلقاه إيمانه فيرده عنه، فإن الإيمان لا يقاومه شيء. ويمنعه من الوصول إليه رحمة من الله، وما بعد بيان رسول⁴ الله ﷺ ببيان.

ولهذا قلنا: إن العبد المؤمن لا تخلص له أبداً معصية لا تكون مشوية بطاعة، وهي كونه مؤمناً بها أنها معصية. فهو من الذين ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾⁵ فقال الله: ﴿عَسَى - اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ والتوبة (هي) الرجوع. فمعناه: أن يرجع عليهم بالرحمة، فإنه تعالى - تم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقال العلماء: إن "عسى" من الله واجبة، فإنه لا مانع له.

ثم نرجع ونقول: إنه لما كان الإيمان عين طهارة الباطن لم يتمكن أن يتصور الخلاف فيه، كما تصور في الطهارة الظاهرة، إلا بوجه دقيق، يكون حكم الظاهر فيه في الباطن، حكم الباطن في طهارة الظاهر.

1 [النساء: 140]

2 ص 42

3 كذب في الهامش مقابلها: صار، ووضع إشارة "صح" عليها معاً.

4 ص 42 ب

5 [التوبة: 102]

فنقول من ذلك الوجه: هل من شرط طهارة الباطن بالإيمان، التلطف به، فينطق اللسان بما يعتقده القلب من ذلك أم لا؛ فيكون في عالم الغيب إذا لم يظهر بما يعتقده في الباطن منافقاً، كمنافق الظاهر في عالم الشهادة؟.

فإن المؤمن يعتقد وجوب الصلاة مثلاً، ولا يصلي ولا يتطهر، كما أن المنافق يصلي ويتطهر ولا يؤمن بوجودها عليه بقلبه، ولا يعتقده، أو لا يفعله لقول ذلك الرسول الذي شرعه له. فهذا معنى ذلك إذا حققت النظر فيه حتى يسري الحكم في الظاهر والباطن¹ على صورة ما هو في الظاهر من الخلاف والإجماع فاعلم ذلك.

وصل

(للطهارة شروط وأركان وصفات وعدد وحدود)

وأما أفعال هذه الطهارة فقد ورد بها الكتاب والسنة، وبين فرضها من سُنَنِهَا من استحباب أفعال فيها. ولهذه الطهارة شروط وأركان وصفات وعدد وحدود معينة في محالها.

فمن شروطها: النية، وهي التقصد بفعلها (على)² جهة القرية إلى الله تعالى - عند الشروع في الفعل. فمن الناس من ذهب إلى أنها شرط في صحة ذلك الفعل الذي لا يصح إلا بوجدها، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب، ولا بد. وهو مذهبنا، وبه نقول في الطهارة الظاهرة والباطنة. وهي عندنا في الباطن أكد وأوجب؛ لأن النية من صفات الباطن أيضاً. فحكمها في طهارة الباطن أقوى؛ لأنها تحكم في موضع سلطانيها، والظاهر غريب عنها. فلهذا لم يختلف، في علمنا، (في عملها) في الباطن، واختلف في ذلك في الظاهر. وقد تقدم من الكلام في النية طرف يغني.

وذهب آخرون إلى أنها ليست بشرط صحة، وأعني ما ذكرناه في طهارة الوضوء بالماء.

وصل

(غسل اليد)

اختلف³ علماء الشريعة في غسل اليد قبل إدخالها في الإناء الذي يريد الوضوء منه على أربعة أقوال.

1 ص 43

2 لم ترد في ق ووردت في ه، س

3 ص 43 ب

فمن قائل: إنَّ غسلها سنة بإطلاق، ومن قائل: إنَّ ذلك مستحب لمن يشك في طهارة يده. ومن قائل: إنَّ غسل اليد واجب على القائم من النوم في الإناء الذي يريد الوضوء منه. ومن قائل: إنَّ ذلك واجب على المنتبه من نوم الليل خاصة. وهذا حصر مذاهب العلماء، في علمي، في هذه المسألة. ولكل قائل حجة من الاستدلال يدل بها على قوله. وليس كتابنا هذا موضع إيراد أدلتهم.

تتم

حكم هذه المسألة في الباطن:

غسل اليد هو طهارتها بما كلفه الشارع فيها بتركه، وذلك على قسمين: منه ما هو واجب، ومنه ما هو مندوب إليه. والواجب عندنا والفرض على السواء لفظان متواردان على معنى واحد، فلا فرق عندنا إذا قلت: أوجب، أو فرض.

ثم نقول: فالواجب؛ إذا كانت اليد على شيء يحكم الشرع فيه عليها أنها غاصبة، أو بكونه مسروقا، أو بكونه وقعت فيه خيانة، وكل ما لم يجوز لها الشارع أن تتصرف فيه، والفروق في هذه الأحوال بيّنة. فوجب طهارتها عن هذا الكل، وسيرد بماذا تظهر في موضعه إن شاء الله-، فواجبة عليها هذه الطهارة.

وأما الطهارة المندوب إليها فهي؛ ترك ما في اليد من الدنيا مما هو مباح له إمساكه. فندبه الشرع إلى إخراجها عن يده، رغبة فيما عند الله. وذلك هو الزهد. وهي تجارة؛ فإن لها عوضا عند الله على ما تركته، والترك أعلى من الإمساك. وهذه مسألة إجماع في كل ملة ونحلة، شرعا وعقلا. فإن الناس مجمعون على أنَّ الزهد في الدنيا، وترك جمع حطامها، والخروج عما بيده منها، أولى عند كل عاقل. هذا هو المندوب إليه في طهر اليد، وهو السنة.

وأما المذهب في الاستحباب في طهارة اليد، عند الشاك في طهارتها؛ فهو الخروج عن المال الذي في يده لشبهة قامت له فيه، قدح في جلّه، فليس له إمساكه. وهذا هو الورع، ما هو الزهد. وإن كان له وجه إلى الخلل، فالمستحب تركه ولا بد. فإن مراعاة الحرمة أولى. فإنك في إمساكه مسئول، وفي تركه، للشبهة التي قامت عندك فيه، غير مسئول. بل أنت إلى المثوبة على ذلك أقرب. وهذا في الطهارة المندوب إليها أولى، والاستحباب في الترك للمباح أولى.

وأما اختلافهم في وجوب غسلها من¹ النوم مطلقا، وفيمن قيّد ذلك بنوم الليل. فاعلم أنَّ الليل غيب لأنه محل الستر، ولذلك جعل الليل لباسا، والنهار شهادة، لأنه محل الظهور والحركة. ولذلك جعله معاشا لا ابتغاء الفضل؛ يعني طلب الرزق هنا من وجهه. فالفضل المبتغى فيه (أي في النهار) من الزيادة ومن الشرف، وهو زيادة الفضائل، فإنه يجمع ما ليس له برزق، فهو فضول لأنه يجمعه لوارثه، أو لغيره. فإن رزق الإنسان ما هو ما يجمعه، وإنما هو ما يتغذى به.

فاعلم أنَّ النائم في عالم الغيب، بلا شك. وإذا كان النوم بالليل فهو غيب في غيب، فيكون حكمه أقوى. والنوم بالنهار غيب في شهادة فيكون حكمه أضعف. ألا تراه جعل النوم سباتا، فهو راحة بلا شك. وهو بالليل أقوى فإنه أشد استغراقا من نوم النهار. والغيب أصل، فالليل أصل. والشهادة فرع؛ فالنهار فرع. ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ تَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾² فالنهار مسلوخ من الليل. فالليل لما كان يستر الأشياء ولا يبين حقائق صورها للأبصار، أشبه الجهل. فإن الجهل بالشيء لا يبين حكمه، فمن جهل الشرع في شيء لم يعلم حكمه فيه.

ولما كان النائم في حال نومه لا يعلم شيئا من أمور الظاهر في عالم الشهادة في حق الناس؛ كان النوم جملا محضا، إلا في حق من تمام عينه ولا³ ينم قلبه كرسول الله ﷺ ومن شاء الله من ورثته في الحال. ولما كان النهار يوضح الأشياء، ويبين صور ذواتها، ويظهر للمتي ما يتتي من الأمور المضرة وما لا يتقيه؛ أشبه العلم؛ فإن العلم هو المبين حكم الشرع في الأشياء.

ولما كان النائم بالنهار متصفا بالجهل لأجل نومه، لأن النوم من أضداد العلم ربما مدّ يده وهو لا علم له، أو رجليه، فيفسد شيئا مما لو كان مستيقظا لم يتعرض إلى فساد- أوجب عليه الشرع الطهارة بالعلم من نوم الجهل إذا استيقظ. فيعلم ييقظته حكم الشرع في ذلك؛ فإنه ما كان يدري في حال نوم جهالته حيث جالت يده: هل فيما أبيح له ملكه؟ أو في ما لم ينبح له ملكه كالمغصوب وأمثاله، كما ذكرنا؟. كما راعى المخالف قوله: «أين باتت يده» واشتركا في النوم.

وإنما ذكر الشارع المبيت، لأن غالب النوم فيه، وهو أبدا يراعي الأغلب، فجعل هذا الحكم في نوم الليل. ومراعاة النوم (مطلقا) أولى من مراعاة نوم الليل، ويقول مراعي نوم الليل ليذكر المبيت⁴، فإنه لما كان الإنسان إذا نام بالنهار، قد يكون هناك إنسان أو جماعة إذا رأوا النائم يتحرك بيده أو برجليه، فتؤديه

1 ص 44

2 [يس: 37]

3 ص 45

4 "ويقول مراعي...المبيت" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

حركته تلك إلى كسر جرة أو غيرها، أو صبي صغير رضيع تحصل يده على فيه فتؤذيه، أو يمسك عنه خروج النفس فيموت، وقد رأينا ذلك، فيكون¹ المستيقظ الحاضر يمنع من ذلك بإزالة الطفل القريب منه، أو الجرة أو ما كان، من أجل ضوء النهار الذي كشفه به، ويقتضيه. كذلك العالم مع الجاهل إذا رآه يتصرف بما لا علم له به بحكم الشرع فيه، أو حال الشرع بينه وبين ذلك الفعل.

فوجب غسل اليد عندنا، ولا بد، باطنا على الغافل² وهو النائم بالنهار، الجاهل وهو النائم بالليل. وأما اعتبارنا بالطهارة قبل إدخالها في الإناء، فإنه بالعلم والعمل خوطبنا. فالعلم (هو) الماء، والعمل (هو) الغسل، وبها تحصل الطهارة. فغسلها قبل إدخالها في إناء الوضوء، هو ما يقرره في نفسه من القصد الجميل في ذلك الفعل، إلى جناب الحق الذي فيه سعاده عند الشروع في الفعل على التفصيل. فهذا معنى غسل اليد قبل إدخالها في إناء الوضوء في طهارة الباطن³.

وَضَلَّ

المضمضة والاستنشاق

اختلف علماء الشريعة فيها على ثلاثة أقوال: فمن قائل: إنها سنتان، ومن قائل: إنها فرض، ومن قائل: إن المضمضة سنة والاستنشاق فرض. هذا حكمها في الظاهر قد نقلناه.

فأما حكمها في الباطن: فمنها ما هو فرض، ومنها ما هو سنة. فأما⁴ المضمضة، فالفرض منها: التلظظ بلا إله إلا الله. فإن بها يتطهر لسانك من الشرك وضدك، فإن حروفها من الصدر واللسان. وكذلك في كل فرض أوجب الله عليك التلظظ به، مما لا ينوب فيه عنك غيرك. فيسقط عنك كفرض الكفاية؛ كرجل أبصر أعمى على بُعد، يريد السقوط في حفرة يتأذى بالسقوط فيها أو يهلك. فيتعين عليه فرضاً أن ينادي به يحذره من السقوط بما يفهم عنه، لكونه لا يلحظه. فإن سبقه إنسان إلى ذلك؛ سقط عنه ذلك الفرض الذي كان تعين عليه. فإن تكلم به فهو خير له وليس بفرض عليه.

فإذا تمضمض في باطنه بهذا وأمثاله، فقد أصاب خيراً، وقال خيراً. وهو؛ حُسْنُ القول، وصِدْقُ اللسان، طهور من الكذب. والجهير بالقول الحسن، طهور من الجهر بالسوء من القول، وإن كان جزاء

بقوله: «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ»¹ ولكن السكوت عنه أفضل. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طهور من تقيضها. فمثل هذا فرض المضمضة وسنتها، وكذلك الاستنشاق.

فاعلم أن الاستنشاق في الباطن، لَمَّا كان الأنف في عُرف العرب محلَّ العزة والكبرياء، ولهذا تقول العرب في دعائها: أرغم الله أنفه، وقد اتفق هذا على رغم أنفه، والرغام (هو) التراب. أي² حطَّك الله من كبريائك وعزِّك إلى مقام الذلَّة والصغار، فكفى عنه بالتراب. فإن الأرض سَمَّاها الله ذلولا على المبالغة. فإنَّ أذلَّ الأذلاء من وطئه الذليل. والعبيد أذلاء وهم يطؤون الأرض بالمشي عليها في منكها. فلهذا سَمَّاها بِنِية المبالغة.

ولا يندفع هذا، ولا تزول الكبرياء من الباطن، إلَّا باستعمال أحكام العبودية والذلَّة والافتقار. ولهذا شرع الاستنشاق في الاستنشاق. فقيل له: اجعل في أنفك ماء، ثم لَتْنِثْر. والماء هنا عَلَمُك بعبوديتك، إذا استعملته في محلَّ كبريائك، خرج بالكبرياء من محلَّه وهو الاستنشاق. ومنه فرض؛ واستعماله في الباطن فرض بلا شك. وأما كونه سنة؛ فعنه أنك لو تركته صحَّ وضوؤك. ومحله في هذا القدر، أنك لو تركت معاملتك لعبدك، أو لمن هو تحت أمرك -وهنا سرٌّ خفي يتضمَّنُه: "رب اعطني كذا"- أو لمن هو دونك، بالتواضع، وأظهرت العزة، وحكم الرئاسة لمصلحة تراها، أباحها لك الشارع، فلم تستنشق؛ جاز حكم طهارتك دون استعمال هذا الفعل، وإن كان استعمالها أفضل. فهذا موضع سقوط فرضها.

فلهذا قلنا: قد يكون سنة، وقد يكون³ فرضاً، لعلنا أنه لو أجمع أهل مدينة على ترك سنة، وجب قتالهم. ولو تركها واحد لم يقتل. فإن النبي ﷺ كان لا يغير على مدينة، إذا جاءها ليلاً حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار. وكان يتلو إذا لم يسمع أذاناً: «إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ».

وما من حكم من أحكام فرائض الشريعة وسننها واستجاباتها، إلَّا ولها في الباطن حكم، أو أزيد، على قدر ما يفتح للعبد في ذلك، فرضاً كان أو سنة أو مستحباً، لا بد من ذلك. وخذ ذلك في سائر العبادات المشروعة كلها. وبهذا يتميز حكم الظاهر من الباطن؛ فإن الظاهر يسري في الباطن، وليس في الباطن أمر مشروع يسري في الظاهر، بل هو عليه مقصور. فإن الباطن معاني كلها، والظاهر أفعال محسوسة. فينتقل (الأمر) من المحسوس إلى المعنى، ولا ينتقل المعنى إلى الحس.

1 [النساء: 148]

2 ص 46

3 ص 47

4 تاجية في الهامش بقلم الأضل

1 ص 45

2 رويها في ق: الغافل. وفي س: الغافل

3 في الهامش: "بلغ قراءة علي لظهور البين محمود، وكتب ابن العربي".

4 ص 46

التحديد في غسل الوجه

لا خلاف أن غسل الوجه فرض. وحكمه في الباطن: المراقبة والحياء من الله مطلقا، وذلك أن لا تتعدى حدود الله تعالى. واختلف علماء الرسوم في تحديد غسل الوجه في الوضوء، في ثلاثة مواضع: منها البياض الذي بين العذار والأذن، والثاني ما سدل من اللحية، والثالث غسل اللحية. فأما البياض المذكور فمن قائل: إنه من الوجه، ومن قائل: إنه ليس من الوجه. وأما ما انسدل من اللحية؛ فمن قائل بوجوب إمرار الماء عليه، ومن قائل بأن ذلك لا يجب. وأما تخليل اللحية فمن قائل بوجوب تخليلها، ومن قائل: إنه لا يجب.

وصل: في حكم ما ذكرناه في الباطن:

أما غسل الوجه مطلقا من غير نظر إلى تحديد الأمر في ذلك، فإن منه ما هو فرض ومنه ما ليس بفرض. فأما الفرض: فالحياء من الله أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك. وأما السنة منه: الحياء من الله أن تكشف عورتك في خلوتك. فالله أولى أن تستحي منه، مع علمك أنه ما من جزء فيك، إلا وهو يراه منك. ولكن حكمه في أفعالك، من حيث أنت مكلف، ما ذكرناه، وقد ورد به الخبر. وكذلك النظر إلى عورة امرأتك، وإن كان قد أبيع لك ذلك، ولكن استعمال الحياء فيها أفضل وأولى. فيسقط الفرض فيه أعني في الحياء، في مثل قوله: «وَاللَّهِ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ»² فما يتعين منه³ فهو فرض عليك، وما لا يتعين عليك فهو سنة واستحباب. فإن شئت فعلته وهو أولى، وإن شئت لم تفعله.

فيراقب الإنسان أفعاله وترك أفعاله؛ ظاهرا وباطنا. ويراقب آثار ربه في قلبه، فإن وجه قلبه هو الاعتبار. ووجه الإنسان وكل شيء حقيقته وذاته وعينه. يقال: وجه الشيء ووجه المسألة ووجه الحكم، ويريد بهذا الوجه حقيقة المستحق وعينه وذاته. قال تعالى: «وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَجُودَ الظِّلِّ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ؛ ف«الحياء خير كله»، و«الحياء من الإيمان»، و«الحياء لا يأتي إلا بخير».

وأما البياض الذي بين العذار والأذن، وهو الحد الفاصل بين الوجه والأذن، فهو الحد بين ما كلف الإنسان من العمل في وجهه، والعمل في سماعه. فالعمل في ذلك: إدخال الحد في الحدود. فالأولى بالإنسان

أن يصرف حياءه في سماعه كما صرفه في بصره.

فكما أنه من الحياء غش البصر عن محارم الله، قال تعالى: لِرَسُولِهِ ﷺ: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ»¹ «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ»² باطل هاتين الآيتين خطاب النفس والعقل. كذلك يلزمه الحياء من الله أن يسمع ما لا يحل له سماعه: من غيبة وسوء قول من متكلم بما لا ينبغي ولا يحل له التلقظ به، فإن ذلك البياض هو بين العذار والأذن، وهو محل الشبهة. وصورة الشبهة في ذلك أن يقول: إنما أصغيت إليه لأرد عليه، وعن الشخص الذي اغتیب، وهذا من فقه النفس. فقلوه هذا هو من العذار، فإنه من العذر، أي الإنسان إذا عوتب في ذلك يعتذر بما ذكرناه وأمثاله. ويقول: إنما أصغيت لأحقق سماعي قوله حتى أنهاه عن ذلك على يقين، فكفى عنه بالعذار. ويكون فيمن لا عذار له موضع العذار.

فمن رأى وجوب ذلك عليه غسله بما قال تعالى: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ» أي بين لهم الحسن من ذلك من التبيح «وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ» أي عقلوا ما أردنا، وهو من لب الشيء المصون بالقشر. ومن لم ير وجوب ذلك عليه؛ إن شاء غسل وإن شاء ترك. كمن يسمع ممن لا يقدر على رد الكلام في وجهه من ذي سلطان يخاف من تعديده عليه، فإن قدر على القيام من مجلسه انصرف، فذلك غسله إن شاء. وإن ترجع عنده الجلوس لأمر يراه مظنون عنده؛ جلس ولم يبرح، وهذا عند من لا يرى وجوب ذلك عليه.

وأما غسل ما انسدل⁵ من اللحية وتخليلها، فهي الأمور العوارض. فإن اللحية شيء يعرض في الوجه، ما هي من الوجه، ولا تؤخذ في حده. مثل ما يعرض لك في ذاتك من المسائل الخارجة عن ذاتك، فأنت فيها بحكم ذلك العارض؛ فإن تعين عليك طهارة نفسك من ذلك العارض، فهو اعتبار قول من يقول بوجوب غسل ذلك. وإن لم يتعين عليك طهارته؛ فطهرته استحبابا، أو تركته لكونه ما تعين عليك، ولكن هو نقص في الجملة. فهذا قول من يقول: ليس بواجب، وهو مذهب الآخرين.

وقد بينا لك فيما تقدم من مثل هذا الباب أن حكم الباطن في هذه الأمور (هو) بخلاف حكم الظاهر فيما فيه وجه إلى الفرضية، ووجه إلى السنة والاستحباب. فالفرض لا بد من العمل به، فعلا كان أو

1 [النور: 30]

2 [النور: 31]

3 ص 48

4 [الزمر: 18]

5 ص 49

1 ص 48

2 [الأحراب: 53]

3 ص 48

4 [القيامة: 22 - 25]

تركها. وغير الفرض فيه أن تنزله في الامتثال منزلة الفرض وهو أولى، فعلا وتركها، وذلك سار في سائر العبادات.

بَابُ

في غسل اليدين والذراعين في الوضوء إلى المرافق

أجمع العلماء بالشرعة على غسل اليدين والذراعين في الوضوء بالماء، واختلفوا في إدخال المرافق في الغسل. ومذهبنا الخروج إلى محل الإجماع في الفعل. فإن الإجماع في الحكم لا يتصور. فمن قائل بوجوب إدخالها في الغسل، ومن قائل بترك الوجوب. ولا خلاف عند القائلين بترك الوجوب، في استحباب إدخالها في الغسل.

وَصُلِّ: حكم الباطن في ذلك:

أقول بعد تقرير حكم الظاهر الذي تعبدنا الله: إن غسل اليدين والذراعين، وهما المعصمان. فغسل اليدين بالكرم والجود والسخاء والإيثار والهيئات وأداء الأمانات، وهو الذي لا يصح عنده الإيثار. كما يغسلها أيضا مع الذراعين بالاعتصام إلى المرافق بالتوكل والاعتصام، فـ"إن المؤمن كثير بأخيه"، فإن رسول الله ﷺ «كان إذا غسل ذراعيه في الوضوء يجوز المرفقين حتى يشرع في العضد» وإن هذا وأشباهه من نعوت اليدين. والخلاف في حد اليدين أكثره إلى الآباط وأقله إلى الفصل الذي يستوى منه الذراع؛ فبقي إدخال المرافق.

والمرافق في الباطن هي رؤية الأسباب التي يرتفق بها العبد وتأنس بها نفسه. فإن الإنسان في أصل خلقه خلق هلوفا، يخاف الفقر الذي تعطيه حقيقته، من حيث إمكانه، فيجئ إلى ما يرتفق به ويميل إليه. فمن رأى إدخال المرافق في غسله واجبا، رأى أن الأسباب إنما وضعها الله حكمة منه في خلقه، لما علم من ضعف يقينهم، فيريد أن لا يعطل حكمة الله لا على طريق الاعتماد² عليها، فإن ذلك يقدر في اعتماده على الله.

ومن رأى أنه لا يوجبها في الغسل، رأى سكون النفس إلى الأسباب، أنه لا يخلص له مقام الاعتماد على الله حالا، مع وجود رؤية الأسباب. وكل من يقول إنها لا تجب، يستحب إدخالها في الغسل. كذلك

رؤية الأسباب مستحبة عند الجميع، وإن اختلفت أحكامهم فيها؛ فإن الله ربط الحكمة بوجودها.

بَابُ

في مسح الرأس

اتفق علماء الشريعة على أن مسحه من فرائض الوضوء، واختلفوا في القدر الواجب منه. فمن قائل بوجوب مسحه كله، ومن قائل بوجوب مسح بعضه. واختلفوا في حد البعض. فمن قائل بوجوب الثلث، ومن قائل بوجوب الثلثين، ومن قائل بالربع، ومن قائل: لا حد للبعض. وتكلم بعض هؤلاء في حد القدر الذي يمسح به من اليد. فمن قائل: إن مسحه بأقل من ثلاثة أصابع لم يجزه، ومن قائل: لا حد للبعض: لا في الممسوح ولا فيما يمسح به.

وأصل هذا الخلاف وجود الباء في قوله تعالى: ﴿يُرْغَسِكُمْ﴾¹.

وَصُلِّ: حكم المسح في الباطن:

فأما² حكم مسح الرأس في الباطن اعتبارا؛ فإن الرأس من الرأسية وهي العلو والارتفاع، ومنه رئيس القوم، أي سيدهم الذي له الرئاسة عليهم. ولما كان أعلى ما في البدن في ظاهر العين وجميع البدن تحته سمي رأسا، إذ كان الرئيس فوق الرؤوس بالمرتبة، وله جهة فوق. وقد وصف الله نفسه بال فوقية لشرفها، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾³ وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾⁴ فكان الرأس أقرب عضو في البدن إلى الحق لمناسبة الفوق.

ثم له شرف آخر، بالمعنى الذي رأس به على أجزاء البدن كلها؛ وهو كونه محلا جامعاً حاملا لجميع القوى كلها: المحسوسة، والمعقولة المعنوية. فلما كانت له أيضا هذه الرئاسة من هذه الجهة سمي رأسا. ثم إن العقل الذي جعله الله أشرف ما في الإنسان، جعل محله أعلى ما في الرأس وهو الياقوت، فجعله مما يلي جهة الفوقية.

ولما كان الرأس محلا لجميع القوى الظاهرة والباطنة، ولكل قوة منها حكم وسلطان وحر يورثه ذلك

عزّة على غيره، كقصر الملك على سائر دور الشؤفة، وجعل¹ الله محالّ هذه القوى من الرأس مختلفة، حتى عمّت الرأس كلّ: أعلاه ووسطه ومقدمه ومؤخره. وكلّ قوّة كما ذكرنا لها عزّة وسلطان وكبرياء في نفسها ورئاسة، فوجب أن يمسح² كلّ، وهو اعتبار من يقول بوجوب مسح الرأس كلّ، لهذه الرئاسة السارية فيه كلّ، من جهة حملها لهذه القوى المختلفة الأماكن فيه، بالتواضع والإقناع لله. فيكون لكلّ قوّة إذا عمّ المسح، مسح مخصوص من مناسبة دعواها، فيردعها بما يخصّها من المسح، فيعمّ بالمسح جميع الرأس.

ومن يرى أنّ للرأس رأسا عليه، كما أنّ الولاة من جهة السلطان يرجع أمرهم إليه، فإنّه الذي ولّاهم؛ رأى كلّ والٍ أنّ فوقه والٍ عليه، هو أعلى منه، له سلطان على سلطانه. كالقوّة المصوّرة لها سلطان على القوّة الخياليّة، فهي رئيسة عليها، وإن كانت لها رئاسة - أعني القوّة الخياليّة - فمن رأى هذا من العلماء قال بمسح بعض الرأس، وهو التهنّئ بالأعلى.

ثمّ اختلف أصحابنا في هذا البعض؛ فكلّ عارف قال بحسب ما أعطاه الله من الإدراك، في مراتب هذه القوى؛ فهو بحسب ما يراه ويعتبره. فأخذ يمسح في هذه العبادة وهي التذلّل، وإزالة الكبرياء والشموخ بالتواضع والعبوديّة. لأنّه في طهارة العبادة يطلب الوصلة بربه. لأنّ المصلّي في مقام مناجاة ربه، وهي الوصلة المطلوبة بالطهارة.

والعزيز الرئيس، إذا دخل على من ولّاه تلك العزّة والرئاسة؛ نزل عن رءاسته، وذلّ عن عزّه، بعزّ من دخل³ عليه؛ وهو سيّده الذي أوجده. فيقف بين يديه وقوف⁴ غيره من العبيد، الذين أنزلوا نفوسهم بطلب الأجرة، منزلة الأجانب. فوقف هذا العبد في محلّ الإذلال لا بصفة الإذلال، بالذلّ اليابسة. فمن غلب على خاطره رئاسة بعض القوى على غيرها؛ وجب عليه مسح ذلك البعض من أجل الوصلة التي يطلبها بهذه العبادة.

ولهذا لم يُشرع مسح الرأس في التيمّم، لأنّ وضع التراب على الرأس من علامة الفراق، وهو المصيبة العظمى. إذ كان الفارق حبيبه بالموت، يضع التراب على رأسه. فلمّا كان المطلوب بهذه العبادة الوصلة لا الفُرقة، لهذا لم يُشرع مسح الرأس في التيمّم. فامسح على حدّ ما ذكرناه لك وتبّهك عليه. وتفصيل رئاسات القوى معلوم عند الطائفة، لا احتاج إلى ذكره.

وأما التبعض في اليد التي يمسح بها، واختلافهم في ذلك، فاعمل فيه كما تعمل في المسوح سواء. فإنّ المزيل لهذه الرئاسة أسباب¹ مختلفة في القدرة على ذلك، ومحلّ ذلك اليد. فمن مزيل بصفة التهرّ، ومن مزيل بسياسة وترغيب، كما يمسح الإنسان بيده رأس اليتيم جبرا لانكساره بلطف وحنان، فلهذا ترجع بعضيّة اليد في المسح وكليّته، فاعلم ذلك.

ولمّا كان الموجب لهذا الخلاف² عند العلماء وجود الباء في قوله: ﴿يَرْعُوسِكُمْ﴾ فمن جعلها للتبعض بعض المسح، ومن جعلها زائدة للتوكيد في المسح عمّ بالمسح جميع الرأس. وإنّ الباء في هذا الموضع هو وجود القدرة الحادثة، فلا يخلو إمّا أن يكون لها أثر في المقدور، فتصحّ البعضية، وهو قول المعتزلي وغيره. وإمّا أن لا يكون لها أثر في المقدور، بوجه من الوجوه، فهي زائدة كما يقول الأشعري، فيسقط حكمها، فتعمّ القدرة القديمة مسح الرأس كلّ، لم تبعض مسحه القدرة الحادثة. ويكون حدّ مراعاة التوكيد من كونها زائدة للتوكيد، هو الاكتساب الذي قالت به الأشاعرة، وهو قوله - تعالى - في غير موضع من كتابه بإضافة الكسب والعمل إلى المخلوق، فلهذا جعلوا زيادتها لمعنى يستلزم التوكيد.

ألا ترى العرب تقابل الزائد بالزائد في كلامها؟ تريد بذلك التوكيد، وتجيّب به القائل إذا أكّد قوله. يقول القائل: إنّ زيدا قائم. أو يقول: ما زيد قائم. فيقول السامع في جواب إنّ زيدا قائم: ما زيد قائم. وفي جواب "ما": إنّ زيدا قائم. فيثبت ما نفاه القائل، أو ينفي ما أثبتته القائل. فإنّ أكّد القائل إيجابه، فقال: "إنّ زيدا قائم"، فأدخل اللام لتأكيد ثبوت القيام. أدخل الجيب الباء، في مقابلة اللام، لتأكيد نفي³ ما أثبتته القائل، فيقول: ما زيد بقائم. ويستلزم مثل هذا: "زائد" لأنّ الكلام يستقلّ دونه.

ولكن متى إذا قصد المتكلم خلاف التبعض، وأتى بذلك الحرف للتأكيد، فإن قصد التبعض لم يكن زائداً ذلك الحرف جملة واحدة. والصورة واحدة في الظاهر، ولكن تختلف في المعنى. والمراعاة إنّما هي لقصد المتكلم، الواضع لتلك الصورة.

فإذا حملنا المعنى الذي لأجله خلق سبحانه - التمكن من فعل بعض الأعمال، نجد ذلك من نفوسنا ولا نكرهه، وهي الحركة الاختيارية. كما جعل سبحانه - فينا المانع من بعض الأفعال الظاهرة فينا، ونجد ذلك من نفوسنا؛ كحركة المرتعش، الذي لا اختيار للمرتعش فيها، لم ندر لما يرجع ذلك التمكن الذي نجده من نفوسنا: هل يرجع إلى أن يكون للقدرة الحادثة فينا أثر في تلك العين الموجودة عن تمكّنا؟ أو عن الإرادة

1 ق: أسبابا، وصححت في الهامش بقلم الأصل
2 ص 52
3 ص 52

1 ق: وجعله

2 ص 51

3 ص 51 ب

4 رسم الكلمة في ق يمسح بقراءتها: وفوق

الخلوقة فينا، فيكون التمكن أثر الإرادة، لا أثر القدرة الحادثة؟ من هنا منشأ الخلاف بين أصحاب النظر في هذه المسألة.

وعليه ينبغي كون الإنسان مكلفاً، لعين التمكن الذي يجده من نفسه، ولا يحقق بعقابه لماذا يرجع ذلك التمكن: هل لكونه قادراً؟ أو لكونه مختاراً؟ وإن كان مجبوراً في اختياره. ولكن بذلك القدر من التمكن، الذي يجده من نفسه يصح أن يكون مكلفاً ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾² فقد أعطاه أمراً وجودياً، ولا يقال: أعطاه لا شيء. وما رأينا شيئاً أعطاه -بلا خلاف- إلا التمكن الذي هو وسعها ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾³.

وما ندري لماذا (=إلى ماذا) يرجع هذا التمكن، وهذا الوسع: هل لأحدهما، أعني الإرادة أو القدرة؟ أو لأمر زائد عليهما؟ أو لهما؟ ولا يعرف ذلك إلا بالكشف، ولا يتمكن لنا إظهار الحق في هذه المسألة، لأن ذلك لا يرفع الخلاف من العالم فيه، كما ارتفع عندنا الخلاف فيها بالكشف. وكيف يرتفع الخلاف من العالم، والمسألة معقولة، وكل مسألة معقولة لا بد من الخلاف فيها لاختلاف الفطر في النظر.

فقد عرفت مسح الرأس ما هو في هذه الطريقة، وبقي من حكمه المسح على العمامة، وما في ذلك من الحكم.

وصل

في المسح على العمامة

فإن علماء الشريعة من أجاز المسح على العمامة، ومنع من ذلك جماعة. فالذي منع لأنه خلاف مدلول الآية، فإنه لا يثبت من الرأس العمامة، فإن تغطية الرأس أمر عارض. والجيز ذلك لأجل ورود الخبر الوارد في مسلم، وهو حديث قد شكك فيه، وقال فيه أبو عمر بن عبد البر إنه معلول.

وصل: مسح العمامة في الباطن:

وأما حكم المسح على العمامة في الباطن، فاعلم أن الأمور العوارض لا يعارض بها الأصول، ولا تقدر فيها. فالذي ينبغي لك أن تنظر: ما السبب الموجب لطرد ذلك العارض؟ فلا يخلو إما أن يكون مما

يستغنى عنه، أو يكون مما يحصل الضرر بفقده، فلا يستغنى عنه. فإن استغنى عنه، فلا حكم له في إزالة حكم الأصل. وإن لم يستغنى عنه، وحصل الضرر بفقده، كان حكمه حكم الأصل، وناب منابه. وإن بقي من الأصل جزء ما، ينبغي أن يراعى ذلك الجزء الذي بقي ولا بد. ويبقى ما بقي من الأصل ينوب عنه هذا الأمر العارض، الذي يحصل الضرر بفقده. هذا مذهبا فيه.

ولهذا ورد في الحديث الذي ذكرنا، أنه معلول عند بعض علماء هذا الشأن، أن المسح وقع على الناصية والعمامة معا، فقد مس الماء الشعر. فقد حصل حكم الأصل في مذهب من يقول بمسح بعض الرأس. فلو لبس العمامة للزينة لم يجز له المسح عليها، بخلاف المريض الذي يشد العمامة على رأسه لمرضه. فما ورد ما يقاوم نص القرآن في هذه المسألة.

إيضاح:

فإذا عرض لأهل هذه الطريقة عرض يقدر في الأصل، كفعل السبب للمتجرد عن الأسباب، أو التبخر والرئاسة في الحرب، فإن كلامنا في مسح الرأس، وله التواضع والتكبر؛ ضرب المثل به أولى، ليصل فهم السامع إلى المقصود مما يريد في هذه العبادة. فإن أثر ذلك الزهو إظهار الكبر في عبودية الإنسان؛ فبسيان كبرياء ربه عليه وعزته سبحانه -وحجبه عن ذلك، فلا يفعل ويطرح الكبرياء عن نفسه، ولا بد، ولا يجوز له التكبر في ذلك الموطن، لثبوته في الأصل.

وإن لم يؤثر في نفسه، بل ذلك أمر ظاهر في عين العدو، وهو في نفسه في ذلته وافتقاره؛ جاز له صورة التكبر في الظاهر لقريته الحال بحكم الموطن. فإنه لم يؤثر في الأصل. هكذا حكم المسح على العمامة عندنا، فاعلم ذلك.

فقد علمت حكم المسح على العمامة في الباطن؛ ما هو؟ وكذلك المسح ببعض اليد على العمامة؛ وهو إن قدح أخذك للسبب في اعتمادك على الله بقلبك، فلا تأخذه ولا تستعمله، ما لم يؤد إلى ما هو أعظم منه في البعد عن الله. وإن لم يؤثر في الاعتماد عليه، فامسح ببعض يدك، ولا حرج عليك. فإن طرح السبب من اليد بعض أفعال اليد، لأن مجموع اليد في المعنى أمور كثيرة؛ فإنها تصرف تصرفات كثيرة، مختلفات المعاني في الأمور المشروعة والأحكام، فإن لها القبض والبسط والاعتدال.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وهو كناية عن البخل ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾¹ وهو كناية عن السرف. وكذلك مَدَحَ قوما بمثل هذا، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾² وهو العدل في الإنفاق. وكذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾³ وهو هنا البخل. فنسب ذلك كله إلى الأيدي. فلهذا قلنا: "لها أفعال كثيرة"، ولولا وجود الكثرة ما صحت البعضية، لأن الواحد لا يتبعص.

وصل: في توقيت المسح على الرأس

بقي من تحقُّق هذه المسألة التوقيت في المسح على الرأس: هل في تكراره فضيلة أم لا؟ فمن الناس من قال: "إنه لا فضيلة فيه"، ومنهم من قال: "إن فيه فضيلة". وهذا يستحب في جميع أفعال الوضوء في جملة أعضائه سواء. غير أنه يقوى في بعض الأعضاء ويضعف في بعض الأعضاء. أعني التكرار. ولا خلاف في وجوب الواحدة، إذا عمّت العضو.

فأما مذهبنا في الأصل فلا تكرار في العالم، للاتساع الإلهي. فمنع هذا اللفظ، ولا⁴ يمنع وجود الأمثال بالتشابه الصوري. فنعلم قطعاً أن الحركات يشبه بعضها بعضاً في الصورة، وإن كانت كل واحدة منها ليست عين الأخرى. فمذهبنا أن ننظر حكم الشارع في ذلك؛ فإن عدّد بالأمثال، عدّدنا بالأمثال. كما نقول عقيب الصلاة: "سبحان الله" ثلاثاً وثلاثين، فمثل هذا لا نمنعه. فقد يقع التعدّد في عمل الوضوء تأكيداً لإزالة حكم الغفلات، السرعة الحكم في الإنسان. فعلى هذا يكون في التكرار فضيلة، فإن تيقن بالحضور فلا فضيلة. فإن الفضل هو الزائد، وما زاد هذا المتوضّي حكماً، بوجود غفلة أو سهو فيكرّر، فلم تصح الزيادة.

ولكن الصحيح عندنا أن التكرار فيه فضيلة، لأنه نور على نور، على قدر ما حدّه الشارع، المبين للأحكام. وقد ورد في الكتاب والسنة في تشبيه نور الله بالمصباح في الزجاجة في المشكاة، الآية بكمالها. وقال في آخرها: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾⁵ أي ورد في نور على نور، كالدليلين والثلاثة على المدلول الواحد. وقال رسول الله ﷺ في الوضوء على الوضوء: «نُورٌ عَلَى نُورٍ» ولا فرق بين ورود الوضوء على الوضوء، وبين

1 [الإسراء : 29]
2 [الفرقان : 67]
3 [البقرة : 195]
4 ص 55
5 [النور : 35]

ورود الغرفة الثانية الواردة¹ على الأولى في الوضوء، وتكرار العمل من العامل يوجب تكرار الثواب والتجلي. فأما في الأعضاء كلها فالثابت التكرار، وما كان الخلاف إلا في الرأس والأذنين والرجلين، وقد أومأنا إلى ما ينبغي في ذلك.

باب

مسح الأذنين وتجديد الماء لهما

اختلف الناس في مسح الأذنين وتجديد الماء لهما. فمن قائل: إنّه سنة، ومن قائل: إنّه فرض، ومن قائل: بتجديد الماء لهما، ومن قائل: لا يجدد لهما الماء. وهل تُفرد (الأذنان) بالمسح وحدهما، أو تُمسحان مع الرأس خاصّة، أو تُمسحان² مع الوجه خاصّة، أو يُمسح ما أقبل منها مع الوجه، وما أدبر منها مع الرأس، ولكل حالة من هذه الأحوال قائل بها.

وصل: في حكمها في الباطن:

فأما حكمها في الباطن، فإنه عضو مستقل، يجب تجديد الماء له. فيُمسح باستماع القول الأحسن ولا بد. ويقع التفاضل في الأحسن: فتمّ حسن وأحسن، وأعلاه حسناً: ذكر الله بالقرآن، فيجمع بين الحسينين. فليس أعلى من سماع ذكر الله من القرآن³. مثل كل آية لا يكون مدلولها إلا الله، هذا (ما) أعني بذكر الله من القرآن.

وما كل آي القرآن يتضمن ذكر الله، فإن فيه الأحكام المشروعة، وفيه قصص الفرائع، وحكايات أقوالهم وكفرهم. وإن كان فيه الأجر العظيم من حيث ما هو قرآن، بالإصغاء إلى القارئ إذا قرأه، أو بإصغاء الإنسان إلى نفسه إذا تلاه.

ولكن ذكر الله في القرآن أحسن وأتم من حكاية قول الكافر في الله ما لا ينبغي له، في القرآن أيضاً. وأما ما أقبل من ظاهر الأذن وما أدبر؛ فهو ما ظهر من حكم ذلك الذكر من القرآن وما بطن، وما أَسْر منه وما أُعْلِن، وما فهم منه وما جُمِل. فسلم كلمات المتشابه في حق الله إلى الله، فهي مما أدبر من باطن الأذن، فُتَسَلَّم إلى مراد الله تعالى فيها، حين تسمعها الأذن تُتلى. وما علم كآليات الحكميات في

1 ص 55
2 "أو تمسحان...أو تمسح" في ق: "أو تمسح...أو تمسح".
3 ص 56

حق الله، وما تدلُّ عليه من الأكوان- فهي مما أقبل من ظاهر الأذن، فيعلم مراد الله بها، فيكون الحكم بحسب ما تعلّق به العلم. فاعمل بحسب ما أشرنا به إليك في هذا التفصيل. والأوّل أن يكون حكم الأذنين حكم المضضة والاستنشاق والاستنثار.

باب¹

غسل الرجلين

اعلم أنّ صورتها في توقيت الغسل بالأعداد، صورة الرأس. وقد ذكرنا ذلك.

اتّق العلماء على أنّ الرجلين من أعضاء الوضوء، واختلفوا في صورة طهارتهما²: هل ذلك بالغسل أو بالمسح أو بالتخير بينهما؟ فأَيُّ شيء فعل منها، فقد سقط عنه الآخر، وأدى الواجب، هذا إذا لم يكن عليهما خُفٌّ. ومذهبنا التخير، والجمع أوّل. وما من قول إلا وبه قائل. فالمسح بظاهر الكتاب، والغسل بالسنة، ومحتمل الآية بالعدول عن الظاهر منها.

وصل: حكم الرجلين في الباطن:

وأما حكم ذلك في الباطن، فاعلم أنّ السعي إلى الجماعات، وكثرة الحُطى إلى المساجد، والثبات يوم الزحف، مما تظهر به الأقدام. فلتكن طهارتك رجليك بما ذكرناه وأمثاله، ولا تمس بالنيمة بين الناس، ﴿وَلَا تَشْهَدُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾³، ﴿وَأَقِصْ فِي مَشْيِكَ﴾⁴. ومن هذا ما هو فرض- أعني من هذه الأفعال- بمنزلة المرة الواحدة في غسل عضو الوضوء، الرجل وغيره. ومنها ما هو سنة⁵- وهو ما زاد على الفرض- وهو مَشْيُكَ فيما تدبك الشرع إلى السعي فيه، وما أوجبه عليك.

فالواجب عليك نقل الأقدام إلى مُضَلَّاتك، والمندوب والمستحب والسنة- وما شئت فقل من ذلك- مثل نقل الأقدام إلى المساجد من قُرْبٍ وَبُعْدٍ، فإنّ ذلك ليس بواجب. وإن كان الواجب من ذلك عند بعض الناس مسجدا لا بعينه وجماعة لا بعينها. فعلى هذا يكون غسل رجليك في الباطن من طريق المعنى.

واعلم أنّ الغسل يتضمّن المسح بوجه، فمن غسل فقد اندرج المسح فيه، كاندراج نور الكواكب في نور الشمس، ومن مسح فلم يغسل، إلا في مذهب من يرى، وينقل عن العرب، أنّ المسح لغة في الغسل. فيكون من الألفاظ المترادفة. والصحيح في المعنى، في حكم الباطن، أن يستعمل المسح فيما يقتضي الخصوص من الأعمال. والغسل فيما يقتضي العموم، هذه هي الطريقة المثلى.

ولهذا ذهبنا إلى التخير بحسب الوقت، فإنّه قد يكون يسعى إلى فضيلة خاصة في حاجة معينة لشخص بعينه، فذلك بمنزلة المسح. وقد يسعى إلى الملك في حاجة تعمّ جميع الرعايا أو حاجات، فيدخل ذلك الشخص في هذا العموم، فهذا بمنزلة الغسل الذي اندرج فيه المسح.

بيان¹ وإتمام

وأما القراءة في قوله: ﴿وَأَزْجُلُكُمْ﴾ بفتح اللام وكسرها، من أجل حرف الواو على أن يكون غُطِفَ على المسحوخ بالخفض وعلى المغسول بالفتح، فذهبنا أنّ الفتح في اللام لا يخرج عن المسحوخ، فإنّ هذه الواو قد تكون واو "مع"، وواو الميعة تُنْصَب. تقول: "قام زيد وعمرا"، و"استوى الماء والخشبة"، و"ما أنت وقصعة من ثريد"، و"مررت بزيد وعمرا"، تريد مع عمرو. وكذلك من قرأ: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُغُوبِكُمْ وَأَزْجُلُكُمْ﴾² بفتح اللام.

فحجّة من يقول بالمسح في هذه الآية أقوى، لأنّه يشارك القائل بالغسل، في الدلالة التي اعتبرها: وهي فتح اللام. ولم يشاركه من يقول بالغسل في خفض اللام. فإن أصحابنا من يرجّح الخاص على العام، ومنهم من يرجّح العام على الخاص، كلّ ذلك مطلقا.

ومذهبنا نحن على غير ذلك؛ إنما نمشي- مع الحقّ بحكم الحال: فنعمّم حيث عمّم، ونخصّص حيث خصّص، ولا نُحدِث حكما. فإنّه من أحدث حكما فقد أحدث في نفسه ربوبية، ومن أحدث في نفسه خصّص، ولا نُحدِث حكما. فإذا انتقص من عبودته، بقدر ذلك، ينتقص من تجلّي ربوبية فقد انتقص من عبودته بقدر تلك المسألة، وإذا انتقص من عبودته، جمل منه ³ بقدر ما الحقّ له، وإذا انتقص من تجلّي الحقّ له انتقص علمه بربه³، وإذا انتقص علمه بربه، جمل منه ⁴ بقدر ما نقصه. فإن ظهر لذلك الذي نقصه، حكم في العالم أو في عالمه؛ لم يعرفه. فلهذا كان مذهبنا أن لا نُحدث حكما جملة واحدة.

1 ص 57 ب

2 [المائدة : 6]

3 ص 58

1 ص 56 ب

2 ق: طهارتها

3 [الإسراء : 37]

4 [لقمان : 19]

5 ص 57

في ترتيب أفعال الوضوء

اختلف العلماء في ترتيب أفعال الوضوء على ما ورد في نسق الآية. فمن قائل بوجوب الترتيب، ومن قائل بعدم وجوبه. وهذا في الأفعال المفروضة. وأما في ترتيب الأفعال المفروضة مع الأفعال المسنونة فاختلافهم في ذلك بين سنة واستحباب.

وصل: في حكم ذلك في الباطن:

وأما حكم ذلك في الباطن فلا ترتيب، إنما تفعل¹ من² ذلك بحسب ما تعين عليك في الوقت. فإن تعين عليك ما يناسب رأسك فعلت به وبدأت به، وكذلك ما بقي، وسواء كان ذلك في السنن من الأفعال، أو الفرائض، فالحكم للوقت.

* * *

في الموالاة في الوضوء

فمن³ قائل: إن الموالاة فرض مع الذكر وعدم العذر، ساقطاً مع النسيان ومع الذكر عند العذر، ما لم يتفاحش التفاوت. ومن قائل: إن الموالاة ليست بواجبة. وهذا كله من حقيقة في نسق الآية. فقد يعطف بالواو في الأشياء المتلاحقة على الفور، وقد يعطف بها الأشياء المتراخية، وقد يعطف بها ويكون الفعلان معاً. وهذا لا يسوغ في الوضوء، إلا أن ينغمس في نهر، أو يصب عليه أشخاص الماء في حال واحدة لكل عضو.

وصل: الموالاة في الباطن:

ومذهبنا في حكم الموالاة في الباطن إنها ليست بواجبة، وذلك مثل الترتيب سواء. فإنما تفعل من ذلك بحسب ما يقتضيه الوقت. وقد ذكرنا نظير هذه المسألة في رسالة "الأنوار" فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار".

فأعمالنا في هذه الطريق، بحسب حكم الوقت، وما يعطي. فإن الإنسان قد كثرت عليه الغفلات، فلا

1 ق: تفعل

2 ق: "في" وكتب "من" فوقها بقلم الأصل.

3 ص 58 ب

تتمكن له مع ذلك الموالاة، ولكن ساعة وساعة. فليس في مقدور البشر مراقبة الله في السر والعلن مع الأنفاس. فالموالاة على العموم لا تحصل، إلا أنه يبذل المجهود من نفسه في الاستحضار والمراقبة في جميع أفعاله.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾¹ والمراد بها أنه كلما جاء وقتها فعلوها، وإن كان بين الصلاتين أمور. فلهذا حصل النوام في فعل خاص²، مربوط بأوقات متباعدة. وأما مع استصحاب الأنفاس، فذلك من خصائص الملأ الأعلى، الذين ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾³. فهذه هي الموالاة، وإن حصلت لبعض رجال الله، فنادر الوقوع.

وأما قول عائشة: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» فإن كان ثقلته عن رسول الله ﷺ فلا نشك فيه، وإن كانت أرادت بذلك أن أفعاله الظاهرة كلها ما وقع منه مباح قط، وأنه لم يزل في واجب أو مندوب فذلك ممكن. وهو ظاهر من مرتبته. فإنه معلّم أمته بحركاته وسكناته للاقتداء، فهو ذاكر على الدوام. وأما باطنه ﷺ فلا علم لها به إلا بإخباره ﷺ ومع هذا يتصور تحصيله عندنا مع التصرف في المباح، مع حضوره فيه أنه مباح. وكذا إذا أحضر. حكم الشرع، في جميع حركاته وسكناته، بهذه المثابة. فيكون ممن حصل الموالاة في عبادته.

انتهى الجزء الحادي والثلاثون، يتلوه في الجزء الثاني والثلاثين.⁴

1 [المعارج: 23]

2 ص 59

3 [الأنبياء: 20]

4 أسفل المتن: "سمع جميع هذا الجزء وإلى البلاغ بخط القارئ في الجزء الذي يليه على مصنفه الإمام العالم العارف محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي: أبو المعالي محمد وأبو سعد محمد ابنا المصنف - وإسماعيل بن سودكين النوري، وابن أخته يوسف بن درباس بن يوسف الحميدي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وإبناه عبد الواحد وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم الإربلي، ونصر الله بن أبي العز بن الصفار، ويوسف بن عبد الطيف البغداد، ومحمد بن يرقش المعظمي، ويعقوب بن معاذ الوري، وأبو بكر بن محمد البلخي، ويونس بن عثمان الدمشقي، وأحمد بن أبي الهيجاء، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي المطرز، وعيسى بن عبد الله الحبري، وعلي بن محمود، وأحمد بن محمد الحنفيان، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي، ومحمد بن علي بن حسين الخلاطي، ويعقوب بن إسماعيل الملقبي، وعيسى بن إسحق الهذلي، وحسين بن محمد الموصلي، وأبو بكر بن يونس بن الحلال، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وعلي بن أبي الغنم الغسال، ومحمد بن أحمد بن ذرافة، وإبراهيم بن علي بن أحمد السنجاري، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي. وتمع من موضع اسمه إلى البلاغ في الجزء الآخر: عمران بن حبيش بن علي، وذلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، بمنزل المصنف بدمشق، والحمد لله وصلواته على محمد وآله وصحبه".

الجزء الثاني والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

باب

في المسح على الخفين

أما المسح على الخفين، فاختلف علماء الشريعة فيه. فمن قائل بجوازه على الإطلاق. ومن قائل بمنع جوازه على الإطلاق، كابن عباس، ورواية عن مالك. ومن قائل بجواز المسح عليهما في السفر دون الحضر.

وصل: في حكم الباطن فيه:

فأما حكم الباطن في المسح على الخفين، فاعلم أنه أمر يعرض للشخص، يشقُّ على مَنْ عرض له انتزاعه، كما يشقُّ انتزاع الخف على لابس، فانتقل حكم الطهارة إليه فمسح عليه.

ولما كانت الطهارة تنزيها، وكان الحق هو الذي يقصده المنزه بالتنزيه كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾³، والعزة (هي) المنع، فذكر أنه امتنع ذات، أن تكون محلا لما وصفه به الملحدون.

فالحق منزه الذات لنفسه، ما تنزه بتنزيه عبده إياه. فتزيه العلماء بالله الحق سبحانه، إنما هو علم لا عمل. إذ لو كان التنزيه من الخلق إلههم عملا، لكان الله⁴، الذي هو المنزه سبحانه - محلا لأثر هذا العمل. فتفتن لهذه الإشارة، فإنها في غاية اللطف والحسن.

فهو سبحانه - لا يقبل تنزيه عباده، من حيث أنهم عاملون. فإنه لا يرى التنزيه عملا إلا الجاهل من العباد، فإن العالم يراه علما، وإذا تكلم به إنما تكلم به على جهة التعريف، مما هو الأمر عليه في نفسه، الذي هو قوله وذكره. فأثر عمله إنما هو في علمه بتنزيه خالقه، فأخرجه بالقول والذكر من القوة إلى الفعل. فرما أثر ذلك في نفوس السامعين، ممن كان لا يعتقد في الله أنه بذلك النعت من التنزيه.

فالعبد حجاب على الحق. فإن ظاهر الآثار إنما تُترك في العموم، وتُنسب للأسباب التي وضعها الحق. ولهذا يقول العبد: فعلتُ وصنعتُ وصممتُ وصليتُ، ويضيف إلى نفسه جميع أفعاله كلها، لحجابه عن خالقها

فيه، ومنه - ومجربها.

فكما صار الخف حجابا بين المتوضئ وبين إيصال الوضوء إلى الرجل، وانتقل حكم الطهارة إلى الخف؛ كذلك تنزيه الإنسان خالقه، وهو الطهارة والتقديس، لما لم يتمكن في نفس الأمر إيصال أثر¹ ذلك التنزيه إلى الحق، لأنه منزه لذاته، انتقل حكم أثر ذلك التنزيه إلى الإنسان المنزه؛ الذي هو² حجاب على خالقه؛ من حيث أن للتنزيه العملي أثرا في المنزه، وقبله الإنسان كما قبل الخف الطهارة بالمسح المشروع. فيكون العبد هو الذي نزه نفسه عن الجهل الذي قام بنفس الجاهل الذي نسب إلى الحق ما لا يليق به ولا تقبله ذاته.

يقول الله في الخبر الصحيح، إنه رجل العبد التي يسعى بها. والحس إنما يُبصر العبد يسعى برجله. فلما لبس الخف - وهو عين ذات العبد - انتقل حكم الطهارة إليه «إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم» فتعلق الحكم (هو) الخف.

ومن هذا الباب كان جواز المسح على الإطلاق، سفرا وحضرا. فالخضر - منه هو التنزيه الذي يعود عليك، فتقول: "سبحاني" في هذه الحالة، كما نقل عن رجال الله. فكان مشهد من قال: "سبحاني" هذا المقام الذي ذكرناه.

والسفر هو التنزيه الذي ينتقل من تلطُّك به في التعليم إلى سماع المتعلم السامع، فيؤثر في نفس السامع حصول ذلك العلم، فيتطهر³ محله من الجهل الذي كان عليه في تلك المسألة. هذا القدر من انتقاله من العالم المعلم إلى المتعلم يسمى سفرا، لأنه أسفر له بهذا التعليم بما هو الأمر عليه، فظهر محله.

ومن هذا الباب أيضا، أن لباس الخف وما في معناه، من جرموق وجورب مما⁴ يلبس ويستتر حد الوضوء من الرجل عرفا وعادة. ولما كان من أساء الرجل في اللسان، القدم. كان هذا مما يقوي القدمية في القدم، إذ كان القدم يقال في اللسان بالاشتراك؛ إذ هو عبارة عن الثبوت. يقال: لفلان في هذا الأمر سابقة قدم. يريد أن له أساسا ثابتا قديما في هذا الأمر، كما يقال في الرجل بالاشتراك أيضا أعني إطلاق هذه اللفظة في اللسان - يقال: رجل من جراد؛ أي قطعة وجماعة من جراد.

فإذا قال قائل: إن الرجل تسخن بالخف، يعلم قطعا أنه يريد العضو الخاص المعروف. فقرآن الأحوال

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

2 ص 61

3 ق: فتطهر

4 ص 61 ب

1 العنوان ص 59 ب

2 البسلة ص 60

3 [الصافات: 180]

4 ص 60 ب

ودلالات الألفاظ بالصفات تُعَيَّن¹ ما كان مبهماً بالاشتراك. فانتقل حكم الطهارة إلى الحفّ بعد ما كان متعلّقها الرجل. ولكن إذا كان ملبوساً فيطهر بما يمكن أن يتعلّق به مما يمنع من ذلك حكماً وعيناً.

وكذلك لما نُسِبَ القدم إلى الله تعالى - في حديث: «يضع الجبار فيها قدمه» ربما وقع في نفس بعض العقلاء، أنّ نسبة القدم إلى الله تعالى - ما هو على حدّ ما يُنسب إلى الإنسان، أو لكلّ ذي رجل وقدم. وأنّ المراد به مثلاً - أمّر آخر، وغفلوا عن أقدام المتجسّدين من الأرواح. فأزال الله سبحانه - هذا التوهّم من القائل به، بما نُسبَ إلى نفسه من الهرولة التي هي الإسراع في المشي. مع تقدّم وصف القدم. فألحق بمن يمشي على رجلين، لا بمن يمشي² على البطن، مع التحقق بدلالة³ كَيْثْلِهِ شَيْءٌ⁴ لا بدّ من ذلك.

فلا نَصِفُه ولا نُسب إليه إلّا ما نُسبَ إلى نفسه أو وصف نفسه به. فما نسب الهرولة إليه إلّا ليُعْلَمَ أنّه أراد القدم الذي يقبل صفة السعي، وحكمه على ما يليق بجلاله، لأنّه المجهول الذي لا يُعرف. ولا يقال: هو⁵ النكرة التي لا تعرّف، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾⁶.

وما نقول⁷: أراد بنسبة القدم ما عيّنته المنزّهة على زعمها، واقتصرت عليه. فجاء بالهرولة لإثبات القدميّة، وأقامه مقام الحفّ للقدم، في إزالة الاشتراك المتوهّم. فانتقل التنزيه إلى الهرولة من القدم. وقد كان القائل بالتنزيه مشتغلاً بتنزيه القدم، فلمّا جاءت الهرولة، انتقل التنزيه إليها. كما انتقل حكم طهارة القدم إلى الحفّ. فنزّه العبد ربّه عن الهرولة المعتادة في العُرف، وأنّها على حسب ما يليق بجلاله سبحانه. فإنّه لا يقدر أن لا يصفه بها، إذ كان الحقّ أعلم بنفسه. وقد أثبت لنفسه هذه الصفة. فمن ردّ نسبتها إليه، فليس بمؤمن. ولكنّ الذي يجب عليه؛ أن يردّ العلم بها إلى الله. أعني علم النسبة.

وأما معقوليّة الهرولة، فما خاطب أهل اللسان إلّا بما يعتقلونه. فالهرولة معقولة، وصورة النسبة مجهولة. وكذلك جميع ما وُصف به نفسه، بما توصف به المحدثات.

وليس الغرض مما ذكرنا إلّا جواز انتقال الطهارة⁸ من محلّ إلى محلّ آخر، بضرب من المناسبة والشبه. وإنّما قلنا بالجواز لا بالوجوب، فإنّ الوجوب يناقض الجواز. ولصاحب الحفّ أن يجرد حُفّه، ويغسل رجله شرعاً، أو يمسحها بالماء على ما يقتضيه مذهبه في ذلك، ولا مانع له من ذلك. وكذلك هذا العاقل:

1 بما كانت في ق: يعين

2 ص 62

3 [الشورى: 11]

4 "لا يقال هو" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

5 [طه: 110]

6 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

7 ص 62 ب

قد يبقى على تنزيهه للقدم، ولا ينتقل إلى الهرولة. ويزيلها عن هذه القدم بحكم ما يسبق إلى الفهم، إذا بيّن أنّ القدم ما تُشَبِّه نسبتها إلى الحقّ نسبة أقدامنا إلينا من كلّ الوجود. فلهذا لم يتعلّق الوجوب بالمسح، وكان حكمه الجواز.

وَضَلَّ

(من أجازه سفرًا ومنعه في الحضر)

وأما من أجازه سفرًا ومنعه في الحضر؛ فذلك إذا كان التنزيه عملاً، فلا أثر له إلّا في المتعلّم السامع القابل. فيسافر التنزيه من العالم المعلوم إلى المتعلّم على راحة التلفّظ والكلام بعبارة أو إشارة من المعلوم إلى المتعلّم.

وَضَلَّ

(من منع جوازه على الإطلاق)

وأما من منع جوازه على الإطلاق، فإنّ حقيقة التنزيه إنّما هي لله سبحانه، فإنّه المنزّه لذاته. والعبد لا يكون منزّها أبداً ولا يصحّ، وإنّ تنزّهه عن شيء ما، لم يتنزّه عن شيء آخر. فمن حقيقته أنّه¹ لا يقبل التنزيه على الإطلاق. وإذا كان بهذه الصفة لا يجوز تنزيهه، فإنّه خلاف العلم والأمور العارضة لا أثر لها في الحقائق، فإنّ قبول العبد لأثار التنزيه، يدلّ على عدم التنزيه عن قبول الآثار فيه. فهذا وجه منع جواز المسح على الحفّ، وما في معناه على الإطلاق إن فهمت.

وَضَلَّ وَتَمَيَّنَ

(الإشارة بالحفّين)

وأما الإشارة بالحفّين؛ فإنّ المراد بهما النشاطان: نشأة الجسم ونشأة الروح. وكلّ نشأة ما يليق بها من الطهارة فافهم.

باب

تحديد محل المسح من الخف وما في معناه

اختلف علماء الشريعة في تحديد المسح على الخف. فمن قائل: إنَّ القدر الواجب من ذلك مسح أعلى الخف، وما زاد على ذلك فمستحب، وهو مسح أسفل الخف. يقول علي بن أبي طالب عليه السلام: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح أعلى الخف».

ومن قائل بوجوب مسح ظهورها وبطونها. ومن قائل بوجوب مسح ¹ ظهورها فقط، ولا يستحب صاحب هذا القول مسح بطونها. ومن قائل: إنَّ الواجب مسح باطن الخف، ومسح الأعلى مستحب. وهو قول أشهب.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

اعلم أنَّ التنزيه المعبر عنه هنا بطهارة المسح، متعلّقه إمَّا بالحقِّ كما قدّمنا، وإمَّا العبد الذي نزّهه. والتسمية منحصرة: فما سُمَّ إلاَّ عبدٌ وربٌّ، وخالقٌ ومخلوق. ولنا في هذه المسألة لفظة أعلى وأسفل. وصفة العلوّ لله - تعالى - لأنّه رفيع الدرجات لذاته، قال - تعالى -: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ² وما في القرآن أقرب نسبة إلى مسح أعلى الخف من هذه الآية، والسفل لنا.

وكذلك أيضا ظاهر الخف وباطنه، أعني هاتين اللفظتين. قد يكون الحقُّ له حكم الظاهر والباطن، وقد يكون حكم الظاهر له في خرق العوائد، وحكم الباطن له في نفس العوائد، وهي أكثر الآيات الدالة على الله لقوم يعقلون.

فتارة يعلّق التنزيه بالأعلى صلى الله عليه وسلم حقيقة، وهو حدُّ الواجب من ذلك. ويستحبّ إطلاق التنزيه على العبد، من حيث إنَّ عمله لذلك يعود عليه. وهذا على مذهب من يرى أنَّ الواجب مسح أعلى الخف ويستحب مسح أسفله ³.

وتارة يعلّق التنزيه بالحقِّ سبحانه - ظاهرا وباطنا، وهو الذي لا يرى في الوجود إلاَّ الله، لغلبة سلطان المشاهدة والتجليات عليه. فيرى الحقُّ ظاهرا وباطنا، فلا يقع منه تنزيه إلاَّ على الحقِّ سبحانه. والتنزيه نسبة عدميّة لا وجوديّة، وهو الذي يوجب مسح ظهور الخفين وبطونها.

1 ص 63

2 [الأعلى : 1]

3 ص 64

وتارة يعلّق التنزيه بالله - تعالى - لكمالهِ في ذاته، ولا يستحبّ تنزيه الخلق للنقص الذاتي، الذي هو له. فيقع في الكذب إن نزّهه. فيرى أنّه لو نزّهه الممكن يوما ما من جهة ما، لصفة كمال هو عليها، لكن من حيث تلك الصفة غنيا عن الله، ومقاوما له. ومُحال على الخلق أن يكونوا على صفته، يكون لهم بها الغنى عن الله. فإنهم من جميع الوجوه، فقراء إلى الله، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ¹. فمنع من استحباب مسح أسفل الخف، وقال: ما سُمَّ منزّه إلاَّ الله العليّ الظاهر إلى عباده بنعوت الجلال. وهذا كما قلنا مذهب من يرى مسح أعلى الخف، ولا يستحب مسح أسفله.

وتارة يعلّق التنزيه، أعني وجوبه، من اسمه الباطن. ويقول: إنَّ الباطن محلّ يبعد العثور على ما يستحقّه من نعوت الجلال لبطونه، فيكون الواجب تنزيه الحقِّ في اسمه الباطن، من أثر الحجاب الذي حَكَمَ عليه، أن يكون باطنا لا يُدْرِك. والله ² أعلى وأجلّ أن يحوطه حجاب، فوجب تنزيهه من حيث اسمه الباطن. فهذا وجهٌ من أوجب مسح الباطن من الخف كأشهب، واستحب مسح أعلاه، وهو الاسم الظاهر. فيقول: "وأستحبّ تنزيه الحقِّ في اسمه الظاهر؛ وهو تجلّيه في الصورة لعباده". فينزّهه عن التقييد بها، ولكنّ التنزيه الذي لا يخرجُه عن العلم، أنّه عين تلك الصورة. فإنّه أعلم بنفسه من العقل به، ومن كلّ عالم سيّواه به. وقد قال عن نفسه إنّه هو الذي يتجلّى لعباده في تلك الصورة كما ذكره مسلم في صحيحه.

فيكون تنزيهه عند ذلك، أنّه لا يتقيّد بصورة، أي لا يتقيّد صورة. بل يتجلّى في أي صورة يظهر بها لعباده. ومن هذه الحقيقة التي هو عليها في نفسه، ذكر لنا في خَلَقْنَا، بعد تسويتنا وتعديلنا؛ في أي صورة ما شاء رَكَّبْنَا. كما أنّه في أي صورة شاء تجلّى لعباده. وهنا سرُّ الهيّتيّ نَبَهَكَ عليه لتعرفه به. فنزّهه صاحب هذا المذهب في ظهوره استحبابا عن دوام التجلّي في تلك الصورة بالإقامة فيها في عينك، فافهم. فهذا حكم الباطن في تحديد المحلّ.

باب

في نوع محلّ المسح، وهو ³ ما يُسْتَرّ به الرّجل من خف أو جورب

اعلم أنَّ الثّانين بالمسح على الخفين متفقون على المسح عليهما بلا شكّ، واختلفوا في المسح على الجوربين. فمن قائل بالمنع على الإطلاق، ومن قائل بالجواز على الإطلاق، ومن قائل بالجواز إذا كان على صفة خاصّة. فإمّا أن يكون من الكثافة والثخانة بحيث أن لا يصل ماء المسح إلى الرّجل، أو يكون مبطنًا

1 [فاطر : 15]

2 ص 64

3 ص 65

بجلد يجوز المشي فيه؛ أي يمكن المشي فيه.

وصل: حكمه في الباطن:

فأما حكم الباطن في ذلك، فقد تقدّم في الحفّ، وبقي حكم الجورب. فالمقرّر أنّ الجورب مثل الحفّ في الصفة الحجابيّة، فإنّ العبد حجابٌ دون خالقه. ولهذا ورد: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» فإنّه الدليل عليه. والدليل والمُدلول، وإن ارتبطا بالوجه الخاص، فهما ضِدّان لا يجتمعان.

وقد قلنا فيما تقدّم: إنّ الحفّ هو أدلّ على الرّجل في إزالة الاشتراك، من لفظة الرّجل التي تطلق عليه، وكذلك الهرولة. وقد مضى ذلك، إلّا أنّ الجورب، وإن ستر الرّجل، لا يقوى قوّة الحفّ، للتخلّل الذي فيه؛ فإنّ الماء ينفذه ويتخلّل مسامّته سريعاً¹، والحفّ ليس كذلك.

وحكمه في الباطن: إنّ من العباد، عباد الله، مَنْ يكون في الدلالة على الله أقوى من غيره. فهو بمنزلة الجورب، كما ثبت في الأثر عن الله في صفة أولياء الله. حدّثني غير واحد عن حدّثه يبلغ به النبي ﷺ أنّه قيل لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله؛ مَنْ أولياء الله؟ فقال رسول الله ﷺ: الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله» ذكره الحافظ أبو نعيم في كتاب "حلية الأولياء" له.

وذلك لما قلناه: مما يرى عليهم من قوّة الدلالة على الله تعالى، من الاستهتار بذكره سبحانه - وما هم عليه من الذلّة والطاعة والافتقار مع الأنفاس إلى الله. فإذا أراد الناس أن يزيههم، لم يتمكن لهم تنزيههم إلّا بتنزيه الله. فإنّهم ما يذكرونهم إلّا بالله، لما تعطيهم أحوالهم الصادقة مع الله.

فإن كان الحفّ مبطناً بجلد، فهو الملائي الذي يستر نفسه وحاله مع الله، عن العالم السفلي، أن يدركوا مرتبة ولايته عند الله. كما يستتر الجورب عن الأرض، أن تدركه وتصيبه، بالجلد الذي حال بين الأرض وبينه. وهو الصفة التي استتر بها هذا الملائي من المباحات عن العالم الأسفل المحجوب. فلم يدركوا منه إلّا تلك الصفة التي² لم يميّز بها عن عامّة المؤمنين، وهو من خلف تلك الصفة، في مقام الولاية مع الله. وبقي أعلى الجورب من جانب الأعلى، مع الله سبحانه - بلا حائل بينه وبين ربه ﷻ.

وقد فتحت لك باب الاعتبار شرعاً، وهو الجواز من الصورة التي ظهر حكمها في الحس، إلى ما يناسبه في ذاتك، أو في جناب الحقّ مما يدلّ على الحقّ، هذا معنى الاعتبار: فإنّه من عبرت الوادي إذا قطعته وجزّته.

باب

في صفة المسح عليه

أجمع مَنْ يقول بجواز المسح (على الرّجلين) على جواز المسح على الحفّ الصحيح. واختلفوا في المُتخَرّق. فمن قائل بجوازه إذا كان الخرق يسيراً من غير حدّ، ومن قائل بتحديد الخرق اليسير بثلاثة أصابع، ومن قائل بجوازه ما دام ينطلق عليه اسم الحفّ، وإن تفاحش خرقه، وهو الأوجه عندي. ومن قائل بمنع المسح إذا كان الخرق في مقدّم الحفّ وإن كان يسيراً.

والذي أقول به: إنّ هذه المسألة لا أصل لها ولا نصّ فيها في كتاب ولا سنة، فكان الأولى إهمالها وأن لا نستغل بها. فإنّ الحقّ في ذلك، إذ وقد وقع في ذلك من الخلاف بين¹ علماء الشريعة، ما أحوجنا إلى الكلام فيها، (تقول) وإنّ الحقّ في ذلك عندنا إنّما هو مع مَنْ قال: يجوز ما دام يستوى خفّاً.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

وهو أن تقول: إنّما سمي الحفّ خفّاً من الخفاء، لأنّه يستر الرّجل مطلقاً. فإذا انخرق وظهر من الرّجل شيء مسح على ما ظهر منه، ومسح على الحفّ، وذلك ما دام يستوى خفّاً لا بدّ من هذا الشرط. وفيه سرّ عجيب للفظن المصيب؛ أنّ الخافي هو الظاهر أيضاً، يقول امرؤ القيس:

خَفَاهُنَّ مِنْ أَتْقَاهُنَّ²

أي أبرزهنّ وأظهرهنّ.

وإنما قلنا بمسح ما ظهر؛ لأنّا قد أمرنا في كتاب الله بمسح الأرجل، فإذا ظهر مسحناه. وأمّا في الباطن فظاهر الشريعة سيّتر على حقيقة حكم التوحيد، بنسبة كلّ شيء إلى الله. فالطهارة في الشريعة متعلّقة: وهي أن تُصحّبها التوحيد، بأن تراها حكم الله في خلقه، لا حكم الخلق، مثل السياسات الحكّميّة.

فالشرع حكم الله، لا حكم العقل كما يراه بعضهم. فطهارة الشريعة رؤيتها من الله الواحد الحقّ. ولهذا لا ينبغي لنا أن نطعن في حكم مجتهد: لأنّ الشرع الذي هو حكم الله، قد قرّر ذلك الحكم؛ فهو شرع الله بتقريره إياه. وهي مسألة يقع في محظورها أصحاب³ المذاهب كلّهم، لعدم استحضارهم لما نبّهنا عليه، مع كونهم عالمين به، ولكنهم غفلوا عن استحضاره، فأساءوا الأدب مع الله في ذلك، حين فاز بذلك الأدباء

1 ص 66
2 من بيت لامرئ القيس: خَفَاهُنَّ مِنْ أَتْقَاهُنَّ كَأَنَّمَا
3 ص 67

من عباد الله. فمن خطأ مجتهدا بعينه، فقد خطأ الحق فيما قرّره حكما.

فإذا انخرق الشرع، فظهر في مسألة ما، حكم من أحكام التوحيد، مما يزيل¹ حكم الشرع مطلقا. انتقل الحكم، لطهارة ذلك التوحيد المؤثر في إزالة حكم الشريعة. كمن ينسب الأفعال كلها إلى الله من جميع الوجوه، فلا يبالي فيما يظهر عليه من مخالفة أو موافقة. فمثل هذا التوحيد يجب التنزيه منه: لظهور هذا الأثر، فإنه خرّق للشرعة ورفع لحكم الله. كما لا يجوز المسح مع زوال اسم الحفّ. فإن كان الخرّق يمتقي اسم الشريعة² عليه، كان الحكم كما قرّرناه من المسح على الحفّ، ومسح ما ظهر من الرجل. وهو أن يبين في ذلك التوحيد المعين في هذه المسألة الوجه المشروع، وهو أن يقول³: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁴ فالأعمال خلق لله، مع كونها منسوبة إلينا. فلم ينسبها إليه⁵ من جميع الوجوه. فلم يؤثر في المسح، ويكون الحكم في ذلك كما قرّرناه.

وأهل طريقنا اختلفوا في هذه المسألة، اختلافا كثيرا⁶، على صورة ما اختلف فيه أهل المسح على الحفّ سواء. فأما من حدّه بثلاثة أصابع فراعى ظهور التوحيد في ثلاث منازل، وهو حكم الشرع في الإنسان: في معناه، وفي حسّه، وفي خياله. فإذا عمّ التوحيد هذه الثلاثة، لم يجز الأخذ به، وانتقل (الحكم) إلى مسح الرجل أو غسله. كما ينتقل تنزيه الإنسان نفسه عن مثل هذا التوحيد، حيث أزال حكم الشرع منه، فحكمه⁷ حكم من زال عنه اسم الحفّ.

* * *

باب

في توقيت المسح

(اختلف في ذلك) فمن قائل بالتوقيت فيه ثلاثة أيام ولياليهنّ للمسافر، ويوما وليلة للمقيم. ومن قائل: بأن لا توقيت، ولیمسح ما بدا له، ما لم يثبّ مانع كالجنابة.

وصل: حكمه في الباطن:

فأما الحكم في ذلك في الباطن، على مذهب القائل بالتوقيت؛ فقد قرّرنا في المسح على الحفّ، في

1 ق: تزيل

2 كتب فوقها: "الحف" بقلم الأصل، مع بقاء كلمة "الشرعة" كما هي.

3 ق، ه: تقول

4 [الصفات: 96]

5 من مس فقط

6 ص 67 ب

7 ق، ه: حكم

باب العالم والمتعلّم، أنّ ذلك سفر، حيث انتقل الأمر من المعلّم إلى المتعلّم. وقد «كان رسول الله ﷺ إذا علّم الناس شرائعهم¹ كرّر الكلمة ثلاث مرّات، حتى تُثبّت عنده». لأنّه مأمور بالبيان والإبلاغ. هذا معنى مسح المسافر ثلاثا.

وأما توقيت الحاضر بيوم وليلة، فإنّه ليس له في نفسه إلّا قيام ذلك الأمر، فيعلمه فلا يعيد عليه لنفسه، لأنّه قد ظهر له وهو من نفسه على يقين، وما هو على يقين من قبول غيره لذلك عند التعليم. فيكرّره ثلاث مرّات، ليتيقّن أنّ قد فهم عنه.

ومن لم يقل بالتحديد، نظر إلى فطر المتعلّمين؛ فمنهم من يفهم بأوّل مرّة، ومنهم من لا يفهم إلّا بعد تفصيل وتكرار المرّة بعد المرّة، حتى يفهم، فلا يؤقّت عددا بعينه في حال تعليمه غيره الذي هو بمنزلة السفر ولا ينظره في نفسه الذي هو بمنزلة الحضر. فإنّه في نفسه قد يمكن أن يتصوّر فيما ظهر له أنّه ربما يكون شبهة؛ فيحقّق النظر فيه مرارا؛ فلا توقيت.

وأما حكم الجنابة في إزالة الحفّ، فالجنابة هي الغربة، والجنب (هو) الغريب. فإذا وقع في القلب أمر غريب يقدر في الشرع، جرّد النظر في ذلك بالعقل، دون الاستدلال بالشرع. مثل أن يخطر له خاطر البرهمي المنكر للشرعة، فلا يقبل دليل الشرع على إبطال هذا القول الذي خطر له؛ فإنّه محلّ النزاع. فلا بدّ أن ينزع من الاستدلال بالشرع، إلى الاستدلال بما تعطيه أدلة النظر. وسواء وقع ذلك له كالحضر أو لغيره كالسفر. كما أنّ الجنب، سواء كان مسافرا أو حاضرا، لا بدّ من إزالة الحفّ.

باب

في شرط المسح على الحفّين

فمن قائل: إنّ من شرط المسح أن تكون الرجلان طاهرتين بطهر الوضوء، ومن قائل: إنّ ليس من شرطه إلّا طهارتهما من النجاسة. وبه أقول. والقول الأوّل أحوط. وشرط آخر؛ (وهو) أن لا يكون حُفّ على حُفّ. فمن قائل بجواز المسح عليهما، وبه أقول. ومن قائل بالمنع. وهكذا حكم الجرّموق.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

وأما حكم الباطن في ذلك؛ فإنّ الطهر المعقول في الباطن هو التنزيه كما قرّرناه عقلا وشرعا. وهذه

1 ص 68

2 ص 68 ب

الطهارة الخاصة للرجلين طهارة شرعية، وقد وصف نفسه تعالى - بأن له الهرولة، لمن أقبل إليه يسعى. والسعي والهرولة من صفات الأرجل. فمن نزه الحق عن الهرولة، فقد أكذب الحق فما وصف به نفسه، وإن كان العقل لا يقبل من حيث دليله¹ هذه النسبة إليه تعالى - والإيمان بقبلها، وينفي التشبيه بقوله - تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² وبالدليل النظري.

ولا يتأول الهرولة الإلهية بتضعيف الإقبال الإلهي على العبد وتأكيده، ولا غير ذلك من ضروب التأويلات المترهنة، وإنما تأول ذلك من تأوله من العقلاء، بتضاعف الإقبال الإلهي بجزيل الثواب على العبد إذا أتى إلى ربه يسعى بالعبادات التي فيها المشي: كالسعي إلى المساجد، والسعي في الطواف، وإلى الطواف، وإلى الحج، وإلى عيادة المرضى، وإلى قضاء حوائج الناس، وتشجيع الجنائز، وكل عبادة فيها سعي؛ قرب محلها أو بعد. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾³.

فَطَهَّرَ الْوُضُوءَ وَصَفَ الْحَقَّ بِأَنَّهُ يَهْوِلُ، والطهر الذي هو النظافة، هو تنزيه الحق أن لا يرفع عنه ما وصف به نفسه. وأما ما لم يصف به نفسه مما هو من نعوت الممكنات، فتتزيهه عن أن يوصف بشيء من ذلك هو للعقل. فالعقل تحت حكم الشرع؛ إذا نطق الشرع في صفات الحق بما نطق؛ فليس له رد ذلك إن كان مؤمنا، ويكون المنطوق والموصوف بتلك الصفة قابلا، أي⁴ جائز القبول أو مجهول القبول. فيلزم العقل قبول الوصف المشروع، وإن حمل قبول الموصوف له.

ولهذا ذهبنا في طهر الرجلين، إلى الطهر اللغوي؛ الذي هو النظافة والتنزيه من النجاسة. فلا يلزمنا شيء مما يتفرع من هذه المسألة من المسائل على مذهب القائلين بطهر الوضوء. وأما إذا لبس خفا على خف، فهو وصف الحق نفسه بالهرولة، فإن الهرولة صفة للسعي، والسعي صفة للرجل. فقد يكون السعي بهرولة، وقد لا يكون. وإذا كان هذا؛ فالهرولة من صفات السعي. فبين الهرولة وبين القدم أمر آخر، وهو السعي. فهو كالحف على الخف، وقد تقدم الكلام عليه، فافهم.

* * *

باب

في معرفة ناقض طهارة المسح على الخف

الاتفاق على أن نواقضها (هي) نواقض الوضوء كلها، وسيأتي بابه في هذا الباب فيما بعد. واختلف العلماء في نزع الخف؛ هل هو ناقض للطهارة أم لا؟ فمن قائل: إن الطهارة تبطل، ويستأنف الوضوء. ومن قائل: تبطل¹ طهارة القدمين خاصة، فيغسلها ولا بد، على ما تقدم من الاختلاف في الموالاة. ومن قائل: لا يؤثر نزع الخف في طهارة القدم، وبه أقول. وإن استأنف الوضوء، فهو أحوط، ولا يؤثر في طهارته كلها إلا أن يحدث ما ينقض كما سيأتي.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

أما حكم الباطن فيمن قال: تبطل الطهارة كلها، فهو سريان التنزيه في الموصوف. فإذا قبل تنزيها بعينه، قبل سائر ما يعقل فيه التنزيه. كذلك إن بطل تنزيه ما في حق الموصوف، سرى البطلان في النعوت كلها، نعوت التنزيه.

ومن قال: "تبطل طهارة الرجل خاصة" هو أن يزيل الشرع عن الحق وصفا ما على التعيين، فلا يلزم منه إزالة كل وصف يقتضي التشبيه، فإن الله سبحانه - نزه نفسه أن يلد، وما نزه نفسه (عن) أن يتردد في الأمر يريد فعله، ولا نزه نفسه عن التدبر، ولا نزه نفسه عن الغضب.

ومن قائل: بأنه على طهره، وإن نزع الخف لا حكم له، ولا تأثير في الطهارة التي كان موصوفا بها في حال لباسه خفه، يقول: وإن نزه الحق نفسه عن أن يلد، فالوصف له باق، فإنه قال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْجِدَ وَلَدًا لَأَضَطَّى بِمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾² فأبقى الأمر على³ حكمه بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ﴾ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾⁴ وقوله: ﴿مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَنِي﴾⁵ وهذا رد على من يقول: إن الإله لذاته أوجد الممكن، لا لنسبة إرادة، ولا سبق علم. والصحيح ما قاله الشارع، وإن لم تكن تلك النسبة أمرا وجوديا زائدا، فاعلم ذلك.

1 ص 70

2 [الزمر : 4]

3 ص 70 ب

4 [الأفقال : 68]

5 [ق : 29]

1 ص 69

2 [الشورى : 11]

3 [الجمعة : 9]

4 ص 69 ب

أبواب المياه

قد تقدّم الكلام في أول الباب في الفرق بين ماء الغيث وماء العيون، وبينّا من ذلك ما فيه غنية، فلنذكر في هذه الأبواب حكم ما نزعث إليه علماء الشريعة في الظاهر بما يناسبه من طهارة الباطن.

باب: في مطلق المياه

أجمع العلماء على أنّ جميع المياه طاهرة في نفسها مطهّرة غيرها، إلّا ماء البحر، فإنّ فيه خلافا. وكذلك أيضا اتفقوا على أنّ ما يغيّر الماء بما لا ينفكّ عنه غالبا أنّه لا يسلب عنه صفة التطهير إلّا الماء الآجن، فإنّ ابن سيرين خالف¹ فيه. والذي أذهب إليه أنّ كلّ ما ينطلق عليه اسم الماء مطلقا فإنّه طاهر مطهّر؛ سواء كان ماء البحر أو الآجن.

واتفقوا أيضا على أنّ الماء الذي غيّرت النجاسة لونه أو طعمه أو ريحه أو كلّ هذه الأوصاف أنّه لا تجوز به الطهارة. فإن لم يتغيّر الماء ولا واحد من أوصافه، بقي على أصله من الطهارة والتطهير، ولم يؤثر ما وقع فيه من النجاسة. إلّا أنّي أعرف في هذه المسألة خلافا في قليل الماء يقع فيه قليل النجاسة بحيث أن لا يتغيّر من أوصافه شيء.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

فأمّا حكم الباطن فيما ذكرناه، فاعلم أنّ الماء هو الحياة التي تحيا بها القلوب، فتحصل به الطهارة لكلّ قلب من الجهل، قال تعالى: ﴿أَوْمِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾² هذا ضربٌ مثل في الكفر والإيمان، والعلم والجهل.

وأما ماء البحر الذي وقع فيه الخلاف الشاذّ، فكونه مخلوقا من صفة الغضب. والغضب يكون عنه الطرد والبعد في³ حقّ المغضوب عليه. والطهارة مؤدّية إلى القرب والوصلة. فهذا سبب الخلاف في الباطن. وأمّا النعّة في الظاهر فتغيّر الطعم. فمن رأى أنّ الغضب لله يؤدّي إلى القرب من الله والوصلة به، رأى الوضوء بماء البحر، وإليه أذهب.

ومن اتّسع في علم التوحيد، ولم يلزم الأدب الشرعيّ، فلم يغضب لله ولا لنفسه، لم ير الوضوء بماء البحر، لأنّه مخلوق من الغضب. فيخاف أن يؤثر فيه غضبا، فتقوم به صفة الغضب، وحاله لا تُغطّي ذلك.

فإنّ التوحيد يمنعه من الغضب؛ لأنّه في نظره ما تمّ على من (يغضب عليه) لأحدية العين عنده في جميع الأفعال المنسوبة إلى العالم، إذ لو كان عنده مغضوب عليه لم يكن توحيد، فإنّ موجب الغضب إنما هو الفعل، ولا فاعل إلّا الله.

وهذه المسألة من أشكال المسائل عند القوم، وإن كانت عندنا هيّة الخطب، لمعرفتنا بمواضع الأدب الإلهي الذي شرعه لنا، ثمّ التخلّق بالأخلاق الإلهيّة، ومنها الغضب الذي وصف به نفسه في كتابه فقال - تعالى: ﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾¹ وقوله في آية اللعان: ﴿وَالْحَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾² وقد جاءت السنة بأنّ «الله يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده³ مثله».

فهذا الذي لا يغضب؛ لا يرى إلّا الله، فيحكم عليه حاله، وهذا مقام الحيّرة. فالويل له إن غضب هنا، والويل له إن لم يغضب في الآخرة. فهو مججوج بكلّ حال، دنيا وآخرة. والغضب لله أسلم وأنجى وأحسن بالإنسان، فإنّ فيه لزوم الأدب المشروع. ولتأكد الغضب في أصل جبلّة الإنسان، كالجن والحرص والشره، بيّن الحقّ له مصارف إذا وقع من العبد وأنصف به، وللتسليم محال ومواضع قد شرّعت، التزم بها الأدباء حالا، وغاب عنها أصحاب الأحوال. ولعدم التسليم محال ومواضع قد شرّعت؛ فالأديب هو الواقف من غير حكم حتى يحكم الشارع الحقّ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾⁴. فإذا حكم وقف الأديب حيث حكم، لا يزيد ولا ينقص.

والغضب صفة باطنة في الإنسان، قد يكون لها أثر في الظاهر وقد لا يكون. فإنّ الحال أغلب، والأحوال تعلق بعضها على بعض في التهر والغلبة على من قامت بهم. فإن جمع بين وجود الرحمة على المغضوب عليه في قلبه، وحكم الغضب لله في حسنه وظاهره (كان ذلك أعلى وأحقّ). فإنّ أهل طريق الله نظروا: أيّ الطريقين أعلى وأحقّ؟ فمنّا من قال: بأنّ الغضب القائم بالنفس أعلى، ومنّا من قال: وجود⁵ الرحمة في القلب، وإرسال حكم الغضب لله في الظاهر أعلى.

وليس بيد العبد فيه شيء، وإنما العبد مصرّف، فهو بحسب ما يقام فيه ويراد به. وما للإنسان في تركه وعدم تركه للشيء فعل، بل هو مجبور في اختياره، إذا كان مؤمنا. فإنّا قيّدنا الغضب أن يكون لله. وأمّا الغضب لغير الله، فالطبع البشريّ يقتضي. الغضب والرضا. يقول رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر؛

[1] النساء : 93

[2] النور : 9

[3] ص 72

[4] الأعراف : 87

[5] ص 72 ب

[1] ص 71

[2] الأنعام : 122

[3] ص 71 ب

أغضب كما يغضب البشر، وأرضى كما يرضى البشر» الحديث. وقد عملنا به حالا وخُلُقًا، لله الحمد على ذلك.

وأما حكم الماء الآجن في الباطن دون غيره مما يغيّر الماء، مما لا ينفك عنه غالبًا، فاعلم أنّ الله - سبحانه - ما نزه الماء عن شيء يتغيّر به مما لا ينفك عنه غالبًا، إلّا الماء الآجن. فقال تعالى - في صفة أهل الجنة الموصوفة بالطهارة إنّ فيها أنهارًا من ماء غير آسن¹. يقال: آسن الماء وأجنّ إذا تغيّر، وهو الماء المخزون في الصهاريج، وكلّ ماء مخزون يتغيّر بطول المكث.

فإذا عرض للعلم الذي به حياة القلوب من المزاج الطبيعي أمر أثر فيه كالعلم بأنّ الله رحيم، فإذا رأى (العبد) رحمته بعباد² الله كما يراها من نفسه من الرقة والشفقة التي يجد ألّفها في نفسه، فيطلب العبد إزالة ذلك الألم الذي يجده في نفسه، برحمة هذا الذي أدركته الرحمة عليه من المخلوقين؛ قام له قيام الرقة به، وحلّ ذلك على رحمة الله، فتغيّرت عنده رحمة الله بالقياس على رحمته. فلم ينبغ له أن يطهر نفسه لعبادة ربه بمثل هذه الرحمة الإلهية، وقد تغيّرت عنده. وعلة ذلك أنّ الحق ما وصف نفسه بالرقة في رحمته. فالحق يقول لك هنا: لا تجعل طبيعتك حاكمة على حياتك الإلهية.

ومن يرى الوضوء بالماء الآجن لم يفرّق، فإنّ الحق قد وصف نفسه في مواضع بما يقتضيه الطبع البشري، فيجري الكلّ مجرى واحدًا، والأوّل ما ذكرناه أوّلًا: أن لا نزيد على حكم الله شيئًا فيما ذكر عن نفسه.

وأما حكم الباطن في العلم القليل إذا وردت عليه الشبهة المضلّة، وأثّرت فيه التغيّر، فإنّه لا يجوز له استعمال ذلك العلم؛ فإنّه غير واثق به. وإن كان عارفا بأنّ لذلك العلم وجهًا إلى الحق ولكن ليس في قوّته لضعف علمه معرفته تعيين ذلك الوجه. فيعدل عند ذلك إلى العلم الذي يستهلك³ الشبهة، وهو العلم الذي يأخذه عن الإيمان من طريق الشرع والعمل به، فإنّه العلم الواسع الذي لا يقبل الشبهة، لأنّه يقلب عينها بالوجه الحق الذي تحمله، فيصرّفها في موضعها، فتكون علمًا بعد ما كانت - بكونها شبهة - جهلاً.

فإنّ نور الإيمان تدرج فيه أنوار العلوم، اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس، وطريقة واضحة أيضا في رجوع الشبهة علمًا، لأنّه يزيل حكمها، ويريه نور الإيمان وجه الحق فيها، فيراها عدما، والعدم لا أثر له ولا تأثير في الوجود، فاعلم ذلك.

1 مستفاد من النص القرآني: فيها أنهار من ماء غير آسن [محمد: 15]
2 ص 73
3 ص 73 ب

واعلم أنّ نور الإيمان هنا عبارة عن أمر الشرع، أي: الزم ما قلت لك، وأمرتك به؛ سواء وجدت عليه دليلاً عقلياً أو لم تجد، كالإيمان في الجنب الإلهي بالهرولة والضحك والتبشيش والتعجب، من غير تكييف ولا تشبيه، مع معقولية ذلك من اللسان، لكن نجعل النسبة لاستنادنا إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹ وهي - أعني هذه الآية - أصل في التنزيه لأهله، وأصل في التشبيه لأهله.²

باب

في الماء تخالطه النجاسة، ولم يغيّر أحد أوصافه

اختلف³ علماء الشريعة في الماء تخالطه النجاسة ولم يغيّر أحد أوصافه. فمن قائل: إنّه طاهر مطهر، سواء كان قليلاً أو كثيراً، وبه أقول. إلّا أنّي أقول: إنّه مطهر غير طاهر في نفسه، لأنّا نعلم قطعاً أنّ النجاسة خالطته، لكن الشرع عفا عنها. ولا أعرف هذا القول لأحد وهو معقول، وما عندنا من الشرع دليل أنّه طاهر في نفسه لكنّه طهور.

وإن احتجّوا علينا بأنّ رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء» قلنا: ما قال: إنّه طاهر في نفسه، وإنما قال فيه: إنّه طهور؛ والطهور هو الماء والتراب الذي يطهر غيره.

فإنّا كما قلنا نعلم قطعاً أنّ الماء حامل النجاسة عقلاً، ولكنّ الشارع ما جعل لها أثراً في طهارة الإنسان به، ولا سمّاه نجساً، فقد يريد الشارع التعريف بحقيقة الأمر، وهو أنّ الماء في نفسه طاهر بكلّ وجه أبداً، لم يحكم عليه بنجاسة. أي أنّ النجاسة ليست بصفة له، وإنما أجزاء النجس تجاور أجزاءه. فلنّا عسر- الفصل بين أجزاء البول مثلاً، وبين أجزاء الماء، وكثرت أجزاء النجاسة على أجزاء الماء فغيّرت أحد أوصافه، مُنع من الوضوء به شرعاً على الحدّ المعتبر في الشرع. وإذا غلبت أجزاء الماء على أجزاء النجاسة، فلم يغيّر أحد أوصافه، لم يعتبرها الشارع، ولا جعل لها حكماً في الطهارة بها.

فإنّا نعلم قطعاً أنّ المتطهر استعمال الماء والنجاسة معاً في طهارته الشرعية، والحكم للشرع في استعمال الأشياء لا للعقل، ولم يردّ شرع قطّ بأنّه طاهر ليست فيه نجاسة، إلّا باعتبار ما ذكرناه من عدم تداخل الجواهر، وهو أمر معقول. فما بقي إلّا تجاورها. فاعتبر الشارع تلك المجاورة في موضع، ولم يعتبرها في موضع. فلذلك لم يجز الطهارة به في الموضع الذي اعتبرها، وأجاز الطهارة به في الموضع الذي لم يعتبرها، ولم يقل فيه: إنّه ليس فيه نجاسة.

1 [الشورى: 11]
2 مكتوب بالهامش: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه، كبه علي النشبي"

3 ص 74
4 ص 74 ب

فالحكم في الماء، على ما ذكرناه، على أربع مراتب إذا خالطته النجاسة، أو لم تخالطه: حُكْمٌ بَأَنَّهُ طاهر مطهر. وحكم بَأَنَّهُ طاهر غير مطهر، وحكم بَأَنَّهُ غير مطهر ولا طاهر، وحكم بَأَنَّهُ مطهر غير طاهر.

فالطاهر المطهر هو الماء الذي لم تخالطه نجاسة. والطاهر غير المطهر هو الماء الذي يخالطه ما ليس بنجس، بحيث أن يزيل عنه اسم الماء المطلق، مثل ماء الزعفران وغيره. وحكم بَأَنَّهُ غير طاهر ولا مطهر؛ وهو الماء الذي غيّرت النجاسة¹ أحد أوصافه. وصاحب هذا الحكم يردّ الحديث الذي احتجّ به علينا، فإنّ الشارع قال: «لا ينجسه شيء» فكيف اعتبره هذا المحتجّ به هنا ولم يعتبره في الوجه الذي ذهبنا إليه في أنّه مطهر غير طاهر، ويلزمه ذلك ضرورة. وليس عنده دليل شرعي يردّه. والحكم الرابع: إنّّه مطهر غير طاهر، وهو الفصل الذي نحن بسبيله، فإنّه الماء الذي خالطته النجاسة، ولم يتغير أحد أوصافه. ومن قائل بالفرق بين القليل والكثير؛ فقالوا: إن كان كثيرا لم ينجس، وإن كان قليلا كان نجسا. ولم يحدّ فيه حدّا، بل قال: بَأَنَّهُ ينجس، وإن² لم يتغير أحد أوصافه.

ثمّ اختلف هؤلاء في الحدّ بين القليل والكثير، والخلاف في نفس الحدّ مشهور في المذاهب، لا في نصّ الشرع الصحيح. فإنّ الأحاديث في ذلك قد تكلّم فيها؛ مثل حديث القلتين وحديث الأربعين قلّة. ثمّ الخلاف بينهم في حدّ القلّة. وتتفرّع على هذا الباب مسائل كثيرة، مثل ورود الماء على النجاسة، وورود النجاسة على الماء، والبول في الماء الدائم، وغير ذلك.

وللناس في ذلك مذاهب كثيرة، ليس هذا الكتاب موضعها. فإنّ ما قصدنا استقصاء جميع ما يتعلّق من الأحكام بهذه الطهارة من جهة تفريع المسائل، وإنّما القصد الأمّهات منها لأجل الاعتبار فيها بحكم الباطن. فجردنا في هذا الباب نحو من ثمانين بابا نذكرها - إن شاء الله - كلّها بابا بابا، وهكذا أفعل - إن شاء الله - في سائر العبادات التي عزمنا على ذكرها في هذا الكتاب من صلاة وزكاة وصيام وحجّ، والله المؤيّد لا ربّ غيره.

وصل: في حكم الباطن:

وأما حكم الباطن فيما ذكرناه في هذا الباب، وهو الماء الذي تخالطه النجاسة ولم يتغير أحد أوصافه. فهو العلم الإلهي الذي يقتضي التنزيه عن صفات البشر. فإذا خالطه من علم الصفات التي تنوّه منها المناسبة بينه وبين خلقه، فوقع في نفس العالم به من ذلك نوع تشويش، فاستهلك ذلك القدر من العلم بالصفات

1 ص 75
2 لم يرد في ق، وورد في س
3 ص 75 ب

التي يقع بها الاشتراك في العلم الذي يقتضي التنزيه، من جهة دليل العقل ومن «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»¹ في دليل السمع. فيبقى العلم بالله على أصله من طهارة التنزيه عقلا وشرعا، مع كوننا نصفه بمثل هذه الصفات التي توهم التشبيه، فإنّه ما غيّرت أوصافه تعالى، فيثبت كلّ ذلك له مع تحقق «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»².

وأما³ حكم القليل والكثير في ذلك، واختلاف الناس في النجاسة، إن كان الماء قليلا: فالقلّة والكثرة في الماء الطهور هو راجع إلى الأدلّة الحاصلة عند العالم بالله. فإن كان صاحب دليل واحد وطراث عليه في علمه بتنزيه الحق، في أي وجه كان، شبهة أثرت في دليله؛ زال كونه علما، كما زال كون هذا الماء طاهرا مطهرا. وإن كان صاحب أدلّة كثيرة على مدلول واحد؛ فإنّ الشبهة تستهلك فيه، فإنّها إذا قدحت في دليل منها لم يلتفت إليها، واعتمد على باقي أدلّته، فلم تؤثر هذه الشبهة في علمه، وإنما أثرت في دليل خاص لا في جميع أدلّته. فهذا معنى الكثرة في الماء الذي لا يغيّر النجاسة حكمه.

وأما من قال بترك الحدّ في ذلك، وأنّ الماء يفسد؛ فإنّه يعتبر أحديّة العين لا أحديّة الليل، فيقول: إنّ العلم تقدح فيه هذه الشبهة في زمان تصوّره إيّاها، والزمان دقيق. فربما مات في ذلك الزمان وهو غير مستحضر سائر الأدلّة لضيق الزمان، فيفسد عنده. وفي هذا الباب تفريع كثير لا يحتاج إلى إيراده، وهذا القدر قد وقع به الاكتفاء في المطلوب.

باب⁴

الماء يخالطه شيء طاهر مما ينفك عنه غالبا متى غيّر أحد أوصافه الثلاثة
أما الماء الذي يخالطه شيء طاهر مما ينفك عنه غالبا، متى غيّر أحد أوصافه الثلاثة، فإنّه طاهر غير مطهر، عند الجميع إلّا بعض الأئمّة؛ فإنّه عنده مطهر ما لم يكن التغير عن طبع.

وصل: حكم الباطن:

فأما حكم الباطن في ذلك، فهو أنّ العلم بالله من حيث العقل الذي حصل له من طريق الفكر، إذا خالطه وصّف شرعيّ ما جاء الشرع به، فإنّ ذلك العلم بالله طاهر في نفسه، غير مطهر، لما دلّ عليه من صفة التشبيه. كتولم في صفة كلام الله: "إنّه كسلسلة على صفوان"، فأقّى بكاف الصفة. والشرع كلّ

1 [الشورى : 11]
2 [الشورى : 11]
3 ص 76
4 ص 76 ب

ظاهراً مقبول ما جاء به. فلم يقدر العقل بيفك عن دليله في نفي التشبيه، وسلم - للشرع ما جاء به من غير تأويل.

ومن رأى أنه مطهر على أصله ما لم يطبخ، فأراد بالطبخ الأمر الطبيعي، وهو أن لا يأخذ ذلك الوصف من الشارع¹ الذي هو مخبر عن الله، وأخذه عن فهمه ونظره بضرب قياس على نفسه من حيث إمكانه وطبيعته، فهو طاهر غير مطهر، فاعلم ذلك.

* * *

باب

في الماء المستعمل في الطهارة

الماء المستعمل في الطهارة اختلف فيه علماء الشريعة، على ثلاثة مذاهب: فمن قائل: لا تجوز الطهارة به، ومن قائل: تجوز الطهارة به، وبه أقول. ومن قائل بكرهه الطهارة به، ولا يجوز التيمم بوجوده، وقول رابع شاذ وهو أنه نجس.

وَصُلِّ: حكم الباطن في ذلك:

فأما حكم الباطن فيه، فاعلم أن سبب هذا الخلاف هو أنه لا يخلو أن ينطلق على ذلك الماء اسم الماء المطلق أو لا ينطلق. فمن رأى أنه ينطلق قال بجواز الطهارة به، ومن رأى أنه قد أثر في إطلاقه استعماله لم يجز ذلك أو كرهه على قدر ما يقوى عنده. وأما من قال بنجاسته فقول غير معتبر، وإن كان القائل به من المعتبرين وهو أبو يوسف.

فاعلم أن العلم بتوحيد² الله هو الطهور على الإطلاق، فإذا استعملته في أحديّة الأفعال، ثم بعد هذا الاستعمال رددته إلى توحيد الذات. اختلف العلماء بالله بمثل هذا الاختلاف في الماء المستعمل. فمن العارفين من قال: إن هذا التوحيد لا يقبله الحق من حيث ذاته، فلا يستعمل بعد ذلك في العلم بالذات. ومن العارفين من قال: يقبله، لأننا ما أثبتنا عيناً زائدة، والنسب ليست بأمر وجودي فتوثر في توحيد الذات، فبقي العلم بالتوحيد على أصله من الطهارة.

وأما من قال بأنه نجس، فإن التوحيد المطلق لا ينبغي إلا لله تعالى. فإذا استعملت هذا التوحيد في أحديّة كل أحد التي بها يقع له التمييز عن غيره، فقد صار لها حكم الكون الممكن. فهذا معنى النجاسة. فلا

ينبغي أن ينسب إلى الله مثل هذا التوحيد، لأن تمييزه في أحديّته عن خلقه ليس عن اشتراك، كما تمييز الممكنات بعضها عن بعض بخصوص وصفها، وهي أحديّتها.

باب

في طهارة أسرار المسلمين وبهيمة الأنعام

اتفق¹ العلماء بالشريعة على طهارة أسرار المسلمين وبهيمة الأنعام، واختلفوا فيما عدا ذلك. فمن قائل بطهارة كل حيوان، ومن قائل: أستهني. واختلف أهل الاستثناء خلافاً كثيراً.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

فأما حكم الباطن في ذلك، فإن سور المؤمن وكل حيوان فهو طاهر، فإن الإيمان والحياة عين الطهارة في الحي والمؤمن. إذ بالحياة كان التسييح من الحي لله تعالى -، وإذ بالإيمان كان قبول ما يرد به الشرع، مما يحيله العقل أو لا يحيله من المؤمن بلا شك. وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» فما بقي للبعد من العلم بعد معرفته بنفسه الذي هو سورة، وكل حيوان فإنه مشترك للإنسان المؤمن في الدلالة، فسوره مثل ذلك. بذلك القدر مما بقي يعرف ربه.

وأما أصحاب الخلاف في الاستثناء، فما نظروا في المؤمن ولا في الحيوان من كونه حيواناً ولا مؤمناً، فهو بحسب ما نظر فيه هذا المستثنى ويجري معه الحكم، والتفصيل فيه يطول. وإنما اشترطنا المؤمن دون الإنسان وحده، إذ كان الإيمان يعطي من² المعرفة بالله ما يعطيه الحيوان والإنسان وزيادة مما لا يدركه الإنسان من حيث إنسانيته ولا حيوانيته، بل من كونه مؤمناً. فلهذا قلنا: سور المؤمن، فإنه أتم في المعرفة.

باب

في الطهارة بالأسرار

اختلف العلماء بالشريعة في الطهارة بالأسرار على خمسة أقوال. فمن قائل: إنها طاهرة بإطلاق، وبه نقول. ومن قائل: إنه لا يجوز للرجل أن يتطهر بسور المرأة، ومن قائل: إنه يجوز للرجل أن يتطهر بسور المرأة ما لم تكن جنباً أو حائضاً، ومن قائل: لا يجوز لكل واحد منها أن يتطهر بفضل طهور صاحبه، ولكن يشرعان معاً، ومن قائل: إنه لا يجوز أصلاً، ومن قائل: يجوز للرجل أن يتطهر بسور المرأة ما لم تخل به.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

فأما حكم الباطن في ذلك، فاعلم أن الرجل يزيد على المرأة درجة، فإذا اتُّخذ دليلًا على العلم بالله من حيث ما هما رجل وامرأة لا غير؛ فمن رأى أن لزيادة الدرجة في الدلالة فضلًا على من ليس لها تلك الدرجة نقصه من العلم بذلك القدر. فمن لم يجز الطهارة بذلك قال: إنما يدل من كونها² رجلًا وامرأة³، أي من كونها فاعلا ومنفعلا، على علم خاص في الإله، وهو العلم بالموثر والمؤثر فيه. وهذا يوجد في كل فاعل ومنفع. فلا يجوز أن يؤخذ مثل هذا في العلم بالله، ولا يتطهر به القلب من الجهل بالله.

ومن أجازة قال جُلُّ المعرفة بالله، أن يكون خالقًا وخالقًا الممكنات كلها. وإذا ثبت افتقارنا إليه وغناه عنا، فلا نبالي بما فاتنا من العلم به، فهذان قولان بالجواز وبعدم الجواز.

وهذا الاعتبار تأخذ ما بقي من الأقسام مثل الشروع معًا، غير أن في الشروع معًا زيادة في المعرفة، وهي عدم التقييد بالزمان، وهو حال الوقوف على وجه الدليل، وهو أيضا كالنظر في دلالتها، من حيث ما يشتركان فيه، وليس إلا الإنسانية.

ومثُل طهارة المرأة بفضل الرجل⁴، فإنه يعطي في الدلالة ما تعطي المرأة وزيادة. ومثُل طهور الرجل بفضل المرأة ما لم تكن جنبًا، بالتغرب عن موطن الأنوثة، وهو منفعل، فقد اشترك مع الأنثى التي انشغلت عنه. فإنه منفعل عن موجد. ومن تغرب عن موطن الأنوثة، من تشبيهها بالرجل، فإن ذلك يقدر في أنوثتها، أو (لم تكن) حائضا، وهي صفة تمنع من مناجاة الحق في الصلاة. والمطلوب من العلم بالله القربة، والحال في الحيض البعد من الله، من حيث تاجيه. فالمعرفة بهذه الصفة تكون معرفة حجابية من الاسم البعيد.

وأما قول القائل: "ما لم تخل به" فإن لم تخل به جازت الطهارة وإن خلت به لم تجز. فاعلم أن العالم بالله كما يعلم أن ذاته منفعة في وجود عينها عن الله، ولا يعرف أنه يرضي الله ويغضبه بأفعاله، إذ وقع التكليف، فما عرفه معرفة تامة. فقد خلى بالمعرفة، وهذا يقدر في طهارة تلك المعرفة. وإذا عثر على أن له أثرا في ذلك الجنب مثل قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاكَ﴾⁵ فأعطى الدعاء من الداعي في

1 ص 79

2 ن: كونه

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

4 بفضل: (هنا) بسور

5 ص 79 ب

6 [البقرة: 186]، ورسم الآية وقتا لقراءة ورش عن نافع.

نفس المدعو الإجابة، ولا معنى للانفعال إلا مثل هذا. فهذا حقيقة قوله: "ما لم تخل به".

باب

الوضوء بنبذ التمر

اختلف علماء الشريعة في الوضوء بنبذ التمر، فأجاز الوضوء¹ به بعضهم، ومنع به الوضوء أكثر العلماء، وبالمعنى أقول لعدم صحة الخبر النبوي فيه الذي اتُّخذ دليلًا. ولو صحَّ الحديث لم يكن قوله نصًّا في الوضوء به، فإنه قال ﷺ فيه: «تمر طيبة وماء طهور». أي جمع التبيذ بين التمر والماء فسقي نبذا. فكان الماء طهورا قبل الامتزاج. وإن صحَّ قوله فيه: «شراب طهور»، لم يكن نصًّا في الوضوء به، ولا بد. فقد يمكن أن يطهر به الثوب من النجاسة، فإن الله ما شرع لنا في الطهارة للصلاة عند عدم الماء إلا التيمم بالتراب خاصة.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

وأما حكم الباطن في ذلك، فإن الواقف في معرفته بالله على الدليل المشروع الذي هو فرع في الدلالة عن الدليل العقلي الذي هو الأصل. وليس عند صاحب الدليل المشروع علم بما ثبت به كون الشرع دليلًا في العلم بالإله، فضعف في الدلالة، وإن سُمِّد: «ماء طهور وتمر طيبة». فذلك لامتزاج الدليلين، والمقلد لا يقدر على الفصل بين الدليلين.

فمن حيث يتضمن ذلك الامتزاج الدليل العقلي، يجوز الأخذ به في الدلالة. فيجوز (بعض علماء الشريعة) الوضوء² بنبذ التمر. ومن حيث الجهل بما فيه من نقصه الدلالة العقلية، لا يجوز الأخذ به، وهو على غير بصيرة في ثبوت هذا الفرع. فلم يجز (البعض الآخر من العلماء) الوضوء بنبذ التمر. فإنه سُمِّد شرابا وأزال عنه اسم الماء، فافهم ﴿وَاللَّهُ يَتَوَلَّى الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

أبواب

نواقض الوضوء

حكم ذلك في الباطن - أعني نافض الوضوء - أنه كل ما يقدر في الأدلة العقلية والأدلة الشرعية في المعرفة بالله: أما في العقلية فمن الشبهة الواردة، وأما في الشرعية فمن ضعف الطريق الموصل إليها، وهو

1 ص 80

2 ص 80 ب

3 [الأحزاب: 4]

عدم الثقة بالرواية، أو غرائب المتن؛ فإن ذلك مما يضعف به الخبر.

فكل ما يخرجك عن العلم بالله وتوحيده وأسمائه الحسنى، وما يجب لله أن يكون عليه، وما يجوز، وما يستحيل عليه عقلاً - إلا أن يرد به خبر متواتر في كتاب أو سنة - فإن ذلك كله ناقض لطهارة القلب بمعرفة الله وتوحيده وأسمائه، فلنذكرها منفصلة كما وردت في الوضوء الظاهر إن شاء الله -.

* * *

باب¹

انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس

اختلف علماء الشريعة في انتقاض الوضوء، بما يخرج من الجسد من النجس، على ثلاثة مذاهب: فاعتبر قوم في ذلك الخارج وحده من أي موضع خرج، وعلى أي وجه خرج، وبين هؤلاء اختلاف في أمور - واعتبر قوم المخرجين: القبل والبئر - من أي شيء خرج؟ وعلى أي وجه خرج، من صحة ومرض؟. واعتبر آخرون الخارج والمخرج وصفة الخروج، وبه أقول.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

فأما حكم هذه المذاهب في المعاني في الباطن؛ فمن اعتبر الخارج وحده - وهو الذي ينظر في اللفظ الخارج من الإنسان - فهو الذي يؤثر في طهارة إيمانه، مثل أن يقول في يمينه: برئت من الإسلام إن كان كذا وكذا، أو ما كان إلا كذا وكذا. فإن هذا، وإن صدق في يمينه، وبر ولم يحتث، فإنه لا يرجع إلى الإسلام سالماً، كذا² قال ﷺ: «ومثل من يتكلم بالكلمة من سخط الله ليضحك بها الناس ما يظن أن تبلغ ما بلغت؛ فيهوي بها في النار سبعين خريفاً» ولا يراعي من خرجت منه من مؤمن وكافر.

ومن اعتبر المخرجين؛ فهو المنافق والمرتاب. فكل ما خرج منها لا ينفعها في الآخرة. فإن الخارج قد يكون نجساً - كالكفر - من التلفظ به، وقد يكون غير نجس كالإيمان. وما كان مثل هذا من المخرجين: المنافق والمرتاب - لأن المخرجين خبيثان - لم ينفع ما ليس بنجس: كظهور الإيمان، وما في القلب منه شيء، وهو قوله تعالى - عنهم حيث قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضِ﴾ وهو كخروج الطاهر، أعني الذي ليس بنجس، ﴿وَنُكْفَرُ بِبَعْضِ﴾³ وهو كخروج ما هو نجس، فقال تعالى - فيهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾⁴ فأثر في

الطهارة.

وأما من اعتبر الخارج والمخرجين، وصفة الخروج، فقد عرفت الخارج والمخرجين، وما بقي إلا صفة الخروج. فصفة الخروج في الطهارة كالخروج على صفة المرض كالمقعد في الكفر - أو الصحة، وهو العالم بالحق الصحيح وينجده فلا يؤمن. قال تعالى - في مثل هؤلاء الذين عرفوا الحق وحمدوا بما دلهم عليه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾¹ ثم ذكر العلة² فقال: ﴿ظَلَمْنَا وَعُلُوْنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾³.

انتهى الجزء الثاني والثلاثون، يتلوه في الجزء الثالث والثلاثين.

1 [العل: 14]

2 ص 82

3 [العل: 14]

1 ص 81

2 ص 81 ب

3 [النساء: 150]

4 [النساء: 151]

الجزء الثالث والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

باب

حكم النوم في تقض الوضوء

اختلف العلماء في النوم على ثلاثة مذاهب: فمن قائل: "إنه حدث" فأوجبوا الوضوء في قليله وكثيره، ومن قائل: "إنه ليس بحدث" فلم يوجب منه وضوءاً، إلا إن ثبت بالحدث. فالناقض للوضوء هو الحدث لا النوم. وإن شك في الحدث، فالشك غير مؤثر في الطهارة. فإن الشرع لم يعتبر الشك في هذا الموضع، وبه أقول. ومن قائل بالفرق بين النوم القليل الخفيف كالسنة، فلم يوجب منه وضوءاً، وبين الكثير المستثقل، فأوجب منه الوضوء.

وصل: حكمه في الباطن:

اعلم أن القلب له حالة غفلة، فذلك النوم القليل، وحالة موت ونوم عن التيقظ والانتباه لما كلفه الله به من النظر والاستدلال والذكر والتذكر. وهاتان الحالتان مزيلتان لطهارة³ القلب التي هي العلم بالله. ولنا في ذلك ما ينبت الغافل والسالك لرومته:

يَا نَائِمًا ذَا الزُّقَادِ	وَأَنْتَ تُدْعَى فَأَلْبِسْهُ
كَانَ الْإِلَهُ يُقَوْمُ عَنكَ	بِمَا دَعَا لَوُبَّتْ بِهِ
لَكِنَّ قَلْبَكَ غَافِلٌ	عَمَّا دَعَاكَ وَمُنْتَبِهٌ
فِي عَالَمِ الْكَوْنِ الَّذِي	يُرِيدُكَ مَهْمًا مَتَّ بِهِ
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ سَيْرِكَ	إِنَّ زَادَكَ مُشْتَبِهٌ

باب

الحكم في لمس النساء

اختلف علماء الشريعة في لمس النساء باليد أو بغير ذلك من الأعضاء الحساسة. فمن قائل: إنه من

لمس امرأته دون¹ حجاب أو قُبْلَها على غير حجاب، فعليه الوضوء، سواء التذ أو لم يلتذ. واختلف قول صاحب هذا المذهب في الملموس؛ فمرة سوى بينها في إيجاب الوضوء، ومرة فرق بينهما. وفرق أيضاً صاحب هذا القول بين أن يلمس ذوات المحارم والزوجة.

ومن قائل بإيجاب الوضوء من اللمس إذا قارنته اللذة، وعند أصحاب هذا القول تفصيل كثير. ومن قائل بأن لمس النساء لا ينقض الوضوء، وبه أقول. والاحتياط أن يتوضأ للخلاف الذي في هذه المسألة؛ اللامس والملموس.

وصل: حكم اللمس في الباطن:

فأما حكم اللمس في القلب. فالنساء عبارة وكناية عن الشهوات؛ فإذا لَمَسَتِ الشهوة القلب ولمسها، والتبس بها والتبس به، وحالت بينه وبين ما يجب عليه من مراقبة الله فيها، فقد انتقض وضوءه. وإن لم تخل بينه وبين مراقبة الله فيها، فهو على طهارته. فإن طهارة القلب الحضور مع الله. ولا يبالي في متعلق الشهوة من حرام أو حلال إذا اعتقد التحريم (في الحرام) والتحليل في الحلال فلا تؤثر في طهارته.

فإن اعتقد التحريم في² الحلال المنصوص عليه بالجل، أو التحليل في الحرام المنصوص عليه بالتحريم، من أجل الشهوة بالنظر إلى الرجوع في ذلك إلى قول إمام يرى ذلك، مع علمه أن الشارع قرّر حكم الاجتهاد، وقرّر قبول عمل المقلد له إذا عمل به، وقد كان قبل الشهوة يعرف ذلك القول ولا يعمل عليه ولا يقول به، وإنما رجع إليه بسبب لمس الشهوة قلبه، فثل هذا تؤثر في طهارته. فعليه الوضوء بلا خلاف، عند أهل القلوب. وأما في الظاهر فلنا في هذه المسألة نظر، وقد تصدعنا فيها مع علماء الرسوم.

باب

في لمس الذكر

اختلف العلماء فيه على ثلاثة مذاهب. فمن قائل: لا وضوء عليه، وبه أقول. والاحتياط الوضوء في كل مسألة مختلف فيها فإن الاحتياط الزوج إلى موطن الإجماع والاتفاق مما قدر على ذلك. ومن قائل: "فيه الوضوء". وقوم فرقوا بين لمسه بحال لذة أو باطن اليد وبين من مسه بظاهر كفه ولغير لذة وفضلوا في ذلك.

وصل: حكم ذلك في الباطن:

1 العنوان ص 82ب

2 البسلة ص 83

3 ص 83ب

اعلم¹ أَنَّ الله ما جعل سبب إيجاد الكائنات الممكنات إِلَّا الإرادة والأمر الإلهي. ولأجل هذا أخذ من أخذ الإرادة في حد الأمر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ² فَكَانَ بِالْإِرَادَةِ والأمر، ولم يذكر معنى ثالثا يسمى القدرة، فيخرج قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ³﴾ على أَنه عين قوله للأشياء ﴿وَكُنْ﴾ إذا أراد تكوينها.

ولا شك أَنَّ اليد محل القدرة. ولَمَّا كان النكاح سبب ظهور المولودات. فمن نسب القدرة إليه في إيجاد العين الممكنة التي ظهرت - وهو مَسَّ الذَّكَرَ باليد - فلا يخلو إما أن يغفل عن الاقتدار الإلهي في قول "كن" أو لا يغفل، فإن غفل انتقضت طهارته، حيث نسب وجود الولد للنكاح، وإن لم يغفل بقي على طهارته.

باب

الوضوء مما مسَّت النار

اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في الوضوء مما مسَّت النار. وما عدا الصدر الأول فلم يختلفوا في أَنَّ ذلك لا يوجب الوضوء إِلَّا في لحوم الإبل. وبالوضوء من لحوم الإبل أقول "تعبدًا، وهو عبادة مستقلة مع كونه ما انتقضت طهارته بأكل لحوم الإبل؛ فالصلاة بالوضوء المتقدم جائزة، وهو عاصٍ إن لم يتوضأ من لحوم الإبل.

وهذا القول ما قال به أحد، فيما أعلم، قبلنا. وإن نوى فيه (المتوضئ) رفع المانع فهو أحوط. واختلف الأئمة في الوضوء من لحوم الإبل. فمن قائل بإيجاب الوضوء منه، ومن قائل: لا يجب.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

النار الذي يجده الإنسان في نفسه - وهي التي تنضج كبده - هي مما يجري عليه من الأمور التي لا توافق غرضه الطبيعي. فإن تلقاها بالتسليم والرضا، أو الصبر مع الله فيها، كما تَسَمَّى الله تعالى - بالصبر لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ⁴﴾ وأعمالهم ولم يؤاخذهم، وقول رسول الله ﷺ: «ليس شخص أصبر على أذى من الله» جلما منه، وإذا كان العبد بهذه المثابة؛ لم تؤثر في طهارته.

فإن تسخَّط وأثر فيه، ولا سيما لحوم الإبل - فإن الشارع سمَّاها شياطين؛ فتلك لَمَّة الشيطان في القلب - فانتقضت طهارته؛ لأنَّ محلَّ اللَمَّة القلب، كما يظهر منها بَلَمَّة الملك. وإنما (اعتبرنا) لحوم¹ الإبل بَلَمَّة الشيطان؛ لأنَّ الشيطان خلق من مارج من نار، والمارج لهب النار. والشارع كما قلنا - سمى الإبل شياطين، ونهى عن الصلاة في معاطنها، وما علَّل إِلَّا بكونها شياطين، وهم البعداء. والصلاة حال قرينة ومناجاة. فاعتبرنا في الباطن حكم الوضوء من لحوم الإبل، ونقض الطهارة بهذا، ولو كانت لَمَّة بخير، فإنه أضمر في ذلك الخير شرًا لا يتفطن له إِلَّا العالم المحقق العارف بالأمور الإلهية كيف ترد على القلوب.

باب

الضحك في الصلاة من نوافض الوضوء

اعلم أَنَّ الضحك في الصلاة أوجب منه الوضوء بعضُهُم، ومنع بعضُهُم، وبالمع أقول.

وصل: حكم الباطن فيه:

إنَّ الإنسان في صلاته تختلف عليه الأحوال مع الله في تلاوته، إذا كان من أهل الله ممن يتدبَّر القرآن: فآية تحزنه فيبكي، وآية تُسرُّه فيضحك، وآية تنبِّهه فلا يضحك ولا يبكي، وآية تفيدُه علمًا، وآية تجعله مستغفرا وداعيا؛ فطهارته باقية² على أصلها.

وقد رأينا من أحواله دائما الضحك في صلاة وغير صلاة كالسلاوي وأمثاله - فعنا الله به - وكأبي يزيد، طيفور بن عيسى بن شروشان البسطامي، روى عنه أبو موسى الديلمي، أنه قال: "ضحكت زمانا وبكيت زمانا، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي".

وأما إذا غفل عن تلاوته وتدبُّرها ومناجاة ربِّه، بدكانه ولهوه، وأمثال ذلك مما يخرجُه عن الحضور مع الله في صلاته؛ فهذا ضحكه في الباطن في الصلاة في مذهب من يقول بنقض طهارته. ومن هذه حاله؛ فقد انتقضت طهارته، ووجب عليه استئناف طهارة قلبه مرة أخرى.

قالت به طائفة من العلماء، ومنع أكثر العلماء من ذلك، وبالمع أقول.

وصل: حكم الباطن فيه:

أما حكم الباطن في ذلك فإنه يتعلق بعلم المناسبة، فلا يجتمع شيء مع شيء إلا لمناسبة بينهما. قال أبو حامد الغزالي: "رأى بعض أهل¹ هذا الشأن بالحرم غربا وحمامة، ورأى أن المناسبة بينهما² تبعد؛ فتعجب، وما عرف سبب أنس كل واحد منهما بصاحبه. فأشار إليهما فدرجا. فإذا بكل واحد منهما عرج، فعرف أن العرج جمع بينهما".

وكان رجل من التجار يقول لشيخنا أبي مدين: أريد منك إذا رأيت فقيرا يحتاج إلى شيء تعرفني، حتى يكون ذلك على يدي. فجاء يوما فقير غريب يحتاج إلى ثوب، وكان مقام الشيخ وحاله في ذلك عدم الاعتماد على غير الله في جميع أموره، في حق نفسه وفي حق غيره. فإن الشيوخ قد أجمعوا على أنه من صحّ توكله في نفسه صحّ توكله في غيره. فتذكر أبو مدين رغبة التاجر، فخرج مع الفقير إلى دكان التاجر ليأخذ منه ثوبا. فمأشاه إنسان أنكره الشيخ. فسأله عن دينه، فإذا هو مشرك. فعرف المناسبة، وتاب إلى الله من ذلك الخاطر. فالتفت فإذا بالرجل قد فارقه، ولم يعرف حيث ذهب.

فلما أخبرت بحكايته وأنا أعرف بلادنا؛ ما في بلاد الإسلام منها دينان أصلا - فعملت أن الله أرسل إليه، من خاطره ذلك، شخصا يتبّه، فإن الله علمنا منه أنه يخلق من أنفاس العالم خلقا. فكذلك من هذا الباب من حمل ميتا، فلمناسبة بينهما وهو الموت. فإما موت عن الأكوان، وإما موت عن الحق. فالميت عن الحق يتوضأ، والميت عن الأكوان باق على وضوئه.

اتفق العلماء؛ علماء الشريعة أن زوال العقل ينقض الطهارة.

وصل: حكم الباطن فيه:

إنّ العقل إذا كان المزيل لحكمه في الإلهيات النص المتواتر من الشريعة الذي لا يدخله احتمال ولا إشكال فيه؛ فهو على أكمل الطهارة. لأن طهارة الإيمان مع وجود النص تعطى العلم الحق والكشف. وإذا أزال عقله شبهة فقد انتقضت طهارته، ويستأنف النظر في دليل آخر، أو في إزالة تلك الشبهة.

أبواب الأفعال التي تشترط هذه الطهارة في فعلها

اتفق العلماء على أن الوضوء شرط من شروط الصلاة. واختلفوا¹؛ هل هو شرط صحة، أو شرط وجوب. وأعني بالوضوء الطهارة المشروعة، وهي عندنا شرط وجوب. والطهارة عندنا عبادة مستقلة. وقد تكون شرطا في عبادة أخرى: شرط صحة، أو شرط وجوب. وقد تكون مستحبة وستة في عبادة أخرى.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

طهارة القلب شرط في مناجاة الحق أو مشاهدته؛ شرط وجوب وشرط صحة معا. وسبب ذلك أننا في موطن التكليف، وبطلب الإيمان منا بالله وما جاء من عنده بالرسول والرسول، وهذه إشارة أن الأمر ليس بمقتصور، إلا أنه عالٍ وأعلى، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ﴾² ﴿زُفِعَ لَدَرَجَاتٍ﴾³ يرفع درجات من يشاء⁴.

وتارة يكون العلم شرطا في صحة الإيمان، وشرط وجوب فيه. وتارة يكون الإيمان شرطا في صحة علم الكشف، وشرط وجوب فيه. إلا أن الإيمان فيه طهارة للقلب من الحجاب، والعلم طهارة للقلب من الجهل والشك والنفاق. فطهر قلبك بالطهارتين تشم بذلك في العالمين، وتحوز به علم القبضتين. فإن الله قد أوجب الإيمان علينا بنفسه - ومن نفسه أسأوه - ﴿وَمَلَأْنَاهُ وَكُتِبَ لَهُ رُسُلُهُ لَا تَقْرَأُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾⁵ مع علمنا بأن الله فضل بعضهم على بعض رسلا وأنبياء، ثم نهانا أن نفضل بين الأنبياء قياسا أو نظرا، فإن العبد لا يحكم على الله بشيء.

1 ص 88

2 [يوسف : 76]

3 [غافر : 15]

4 مستوحى من قوله تعالى: {زُفِعَ لَدَرَجَاتٍ مِنْ شَاءَ} [الأنعام : 83]

5 [البقرة : 285]

6 ص 88ب

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

2 ص 87

3 ص 87ب

الطهارة للصلاة الجنائز ولسجود التلاوة

اختلف أهل العلم ﷺ في الطهارة للصلاة على الجنائز ولسجود التلاوة. فمن قائل: إنها شرط من شروطها، ومن قائل: ليست بشرط، وبه أقول.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

أمّا حكم الباطن في ذلك كله، فإنّا نقول: كلّ عمل مشروع لا تتقدّمه طهارة الإيمان لا يصحّ ذلك العمل بفتقده؛ فيجب وجود الإيمان في كلّ عمل مشروع. فمن قال: لا يجب الوضوء لصلاة الجنائز وسجود التلاوة؛ لم ير استحضر الإيمان في الدعاء للموتى ولا في السجود للتلاوة. واكتفى بالإيمان الأصلي عن استحضاره عند الشروع في الفعل. وهذا سبب عدم الإجابة. ومن رأى أنّ الطهارة شرط؛ كانت الإجابة، ولا بدّ، فيما يدعو فيه.

* * *

باب¹

الطهارة لمسّ المصحف

اختلف أهل العلم في الطهارة؛ هل هي شرط في مسّ المصحف أم لا؟ فأوجبها قوم، ومنعها قوم، وبالمع أقول. إلّا أنّ فعلها بالطهارة أفضل - أعني مسّ المصحف -.

وصل: في حكم الباطن في ذلك:

هل يحترم الدليل لاحترام المدلول؟ فعندنا نعم. يحترم الدليل لاحترام المدلول، وعند غيرنا لا يلزم؛ فإنّ الدليل يضادّ المدلول، فلا يجتمعان. فإن احترم الدليل فلا أمر آخر، لا لكونه دليلاً على محترم. والمصحف دليل على كلام الله، وقد أمرنا باحترامه، ومسّه على الطهارة من احترامه.

فاعلم أنّا قد أخذ العالم دليلاً على الله، ونذهل عما يتضمّن مسّ العالم؛ من محمود ومذموم. وقد أخذ فرعون وأمّاله من المتكبرين دليلاً على وجود الصانع، لأنّه صنعة. واثق أنّ عيّنّه في الدلالة على الخصوص ولا يجب احترامه، بل يجب مقتته وعدم حرّمته. وقد أخذ موسى ﷺ من حيث أنّه صنعة، دليلاً على وجود الصانع. واثق أنّ عيّنّه في الدلالة على الخصوص، وقد² وجب علينا احترامه وتعظيمه من

وجه آخر لا من وجه كونه دليلاً. فلهذا عظّمنا المصحف لكون الشارع أمرنا باحترامه وتعظيمه، لا لكونه دليلاً. ثمّ له حرمة أخرى لكونه دليلاً وبه نعلّل احترامه في وقت ما؛ فإنّه نقول فيه: إنّ كلام الله، وإن كنا نحن الكاتبين له بأيدينا.

باب

إيجاب الوضوء على الجنب، عند إرادة النوم، أو معاودة الجماع، أو الأكل أو الشرب

اختلف علماء الشريعة فيما ذكرناه في هذه الترجمة. فمن قائل بإيجابه، ومن قائل باستحبابه، وبه أقول.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

وأمّا حكم الباطن في ذلك إحضار النية للذي انتقضت طهارته الشرعية لشهوة أغفلته عن رؤية الحقّ عند استحكامها، فإذا أراد أن ينام نوى في النوم إعطاء حقّ العين. فتلك طهارة الجنب، إذا أراد أن ينام. فإنّ الجنابة تنقض طهارته، وهي الغربة عن موطن الإيمان الذي كان يجب عليه الحضور معه، لولا استحكام سلطان الشهوة الذي أفناه عن نفسه وعن كلّ ما سواه. وكذلك إذا أراد أن يعاود الجماع ينوي الولد المؤمن لكثرة أتباع رسول الله ﷺ وليكثر الناكثين الله بهذا الجماع. وكذلك إذا أراد أن يأكل ويشرب ينوي إعطاء النفس حقّها. وهذه النية فيما ذكرناه هي طهارة لكلّ ذلك.

* * *

باب

الوضوء للطواف

اعلم أنّ الوضوء للطواف اشترطه قوم، ولم يشترطه قوم، وبه أقول. وإن كان الطواف بالطهارة أفضل.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

وذلك إنّّه من رأى أنّ الطواف بالبيت لكونه منسوباً إلى الله كالعرش المنسوب إلى استواء الرحمن، ورأى الملائكة حاقين به، وهم المطهرون الكرام البررة، اشترط الوضوء في الطواف بكعبة قلبه، الذي وسع الحقّ ﷻ. يقول تعالى: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبي» وهو نزوله في تجلّيه - تعالى - إلى قلب عبده، وقد بيّناه في "مواقع النجوم" في منزل التنزل الذاتي من فلك القلب.

ومن رأى أن الحق لا يتقيد بما أضاف إليه، وإنما قصد بذلك التشريف منفعة المكلف؛ لم يشترط الطهارة¹ للطواف. وأما في القلب؛ فعدم اشتراط الطهارة في وقت نظر العقل في إثبات الشرع في المعرفة الأولى؛ إما ابتداء، وإما إذا نزل إليها بالتعليم لمن أراد أن يعرف الله بالأدلة النظرية.

باب

الوضوء لقراءة القرآن

اختلف العلماء في الوضوء لقراءة القرآن. فمن قائل: إنه تجوز قراءة القرآن لمن هو على غير طهارة، وبه أقول. ومن قائل: لا يجوز أن يقرأ القرآن إلا على وضوء، وهو الأفضل بلا خلاف. وكذلك كل ما ذكرناه مما يجوز فعله عندنا وعند غيرنا على غير وضوء، إن الأفضل أن لا يفعل شيئاً من ذلك إلا على وضوء.

وصل: حكم الباطن في ذلك:

أما حكم الباطن في ذلك؛ فإن قارئ القرآن نائب الحق سبحانه - في الترجمة عنه بكلامه، ومن صفاته سبحانه - القدوس، ومعناه: الطاهر. فينبغي للعبد إذا ناب مناب الحق في كلامه بتلاوته أن يكون مقدساً أي طاهراً: في ظاهره بالوضوء المشروع، وفي باطنه بالإيمان والحضور والتدبر، وشبه ذلك. وأن يقدم تلاوة الحق عليه² ابتداء، ثم يتلو مترجماً عن الحق ما تلاه عليه وكلمه به.

فإنما (أن) يترجم في تلاوته تلك للحاضر عنده ليدكره، وإما أن يترجم بلسانه لسمعه فيحصل الآخر للسمع، كما لو كان المصحف بيده يتلو فيه: أخذ البصر - حقه من النظر إلى كلام الله من حيث ما هو مكتوب، كما أخذه السمع من حيث ما هو اللسان ناطقاً به مصوت. وكذلك لو ألقى المصحف في حجره، ومشى بيده على الحروف، لأخذت هذه الأعضاء حظها من ذلك. وهكذا كان يتلو شيخنا أبو عبد الله بن المجاهد وأبو عبد الله بن قشوم وأبو الحجاج الشيرازي، لم أر من أسيأخنا من يحافظ على مثل هذه التلاوة إلا هؤلاء الثلاثة.

أبواب الاغتسال

أحكام طهارة الغسل:

هذا الغسل المشروع في هذا الباب هو تعميم الطهارة بالماء لجميع ظاهر البدن بغير خلاف، وفيما يمكن إيصال الماء إليه من البدن. وإن لم يكن ظاهراً بخلاف كداخل الفم وما أشبهه. وسيأتي ذكره وذكر أسباب هذه الطهارة. ومنها واجب¹ وسنة² ومستحب.

الاعتبار في ذلك:

فإنما اعتبار هذه الطهارة (فهو) تعميم طهارة النفس من كل ما أضرَّ بالطهارة منه وبه من الأعمال: ظاهراً بما يتعلق بالأعضاء، وباطناً بما يتعلق بالنفس من مصارف صفاتها لا من صفاتها. وإنما قلنا: من مصارف صفاتها، فإن صفاتها لازمة لها في أصل خلقها لا تنفك عنها حتى إن بعض أصحابنا قد جعلها عين ذاتها، وأنها صفات نفسية لها: كالحرص والبخل والغيرة وكل وصف مذموم.

فتعلق الذم الذي أمرنا بالطهارة منه، ما هو عين الصفة، وإنما هو عين المصريف. فالإنسان لا يتطهر من الحرص وإنما يتطهر من صرف الحرص على جمع حطام الدنيا وحرامها. فيتطهر بالحرص عينه على حكم ما تطهر منه بالمصريف أيضاً، وهو أن يتطهر بالحرص على طلب العلم، وتحصيل أسباب الخير والأعمال النالحة، والحرص على جمع أسباب سعادته. فإن عين الحرص ما يتمكن زواله. فبالحرص بوجه تكون سعادة الحرص، وبالحرص بوجه تكون شقاوة الحرص. فلماذا قلنا بالمصريف لا بعين الصفة. وعلى² هذا نأخذ جميع الصفات التي علق الذم بها، إنما علق الذم بمصارفها لا بأعيانها.

فعموم طهارة الباطن والظاهر في هذا الاغتسال، إنما متعلّقه مصارف الصفات. ولا يعلم مصارف الصفات إلا من يعلم مكارم الأخلاق، فيتطهر بها. ويعلم سفاسف الأخلاق فيتطهر منها. وما خفي منها مما لا يدركه يتلقاه من الشارع وهو كل عمل يرضي الله فيتطهر به من كل عمل لا يرضيه فيتطهر منه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾³ ولهذا سقنا في هذا الكتاب أبواباً متقابلة، كالتوبة وتركها، والورع وتركه، والزهد وتركه مما ستأتي أبوابه إن شاء الله تعالى، وهي كثيرة.

وهذه الطهارة أيضاً واجبة كالنظير بإيتاء الزكاة مثلاً، فهو غسل واجب. وكإعطائها للفقراء من ذوي الأرحام وهو مندوب إليه. وكنخصيص أهل الدين منهم دون غيرهم من ذوي الأرحام، وهو مستحب.

1 ص 91 ب

2 ص 92

3 [الزمر: 7]

1 ص 90 ب

2 ص 91

وهكذا يسري حكم هذه الطهارة في جميع باطن الإنسان وظاهره من العلم والجهل والكفر والإيمان والشرك والتوحيد والإثبات والتعطيل وهكذا¹ في الأعمال كلها المشروعة يُطهَرها بالموافقة من المخالفة.

فهذا معنى الاغتسال الواجب منه وغير الواجب. وسأورد من تفصيل مسائل² هذه الطهارة ما يجري مجرى الأمتهات على حسب ما يذكر منها في ظاهر حكم الشرع في الاغتسال بالماء. وإنما تفرع هذه الطهارة لا يخص ولا يسعه كتاب لو ذكرناها مسألة مسألة، وقد أعطينا فيها وبيننا طريقة الأخذ بها، فخذها على ذلك الأنموذج، إن أردت أن تكون من عباد الله الذين اختصهم لخدمته واصطنعهم لنفسه ورضي عنهم فرضوا عنه، جعلنا الله من العلماء العمال، ولا حال بيننا وبين الاستعمال بما يرضيه سبحانه - من الأعمال في الأقوال والأفعال والأحوال.

فأما الاغتسالات المشروعة، فمنها ما اتفق على وجوبه، ومنها ما اختلف في وجوبه، ومنها ما اتفق على استحبابه. وهي اغتسالات كثيرة: كالغسل من التقاء الحتائين، والغسل من إنزال الماء الدافق على علم، والغسل من إنزاله على غير علم، كالذي يجد الماء ولا يذكر احتلاما، والغسل من إنزال الماء الدافق على غير وجه الالتذاذ، والغسل³ من الحيض، وغسل المستحاضة عند الصلوات، وغسل يوم الجمعة، والغسل لصلاة الجمعة، والغسل عند الإسلام، والغسل للإحرام، والاعتسالة لدخول مكة، والاعتسالة للوقوف بعرفة، والاعتسالة من غسل الميت. وأما الاعتبارات في هذه الأغسال، فأنا أذكرها قبل ذكر تفصيل أمتهات المسائل المشروعة في الاعتسالة بالماء واعتباراتها. فمن ذلك:

باب

الاعتسالة من غسل الميت

لَمَّا كَانَ الْمَيِّتُ شُرِعَ غَسْلُهُ، وَهُوَ لَا فَعْلَ لَهُ، إِذَا كَانَ غَيْرَهُ الْمَكْلَفُ بِغَسْلِهِ، تَنْبِيْهَا لِغَايِلِهِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ فِي تَطْهِيرِهِ بِتَوْفِيقِهِ، وَاسْتِعْمَالِهِ فِي طَاعَتِهِ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالٍ خَالَقَهُ بِهِ وَفِيهِ، كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيْ غَايِلِهِ. فَلَا يَرَى غَسْلُهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ بِغَسْلِهِ لِلْمَيِّتِ، وَإِنَّمَا يَرَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ مُطَهِّرُهُ، وَيَرَى نَفْسَهُ كَالْآلَةِ يَفْعَلُ بِهَا اللَّهُ ذَلِكَ الْفَعْلَ. كَمَا يَرَى الْغَايِلُ الْمَاءَ آلَةً⁴ فِي تَحْصِيلِ غَسْلِ الْمَيِّتِ، إِذْ لَوْلَا الْمَاءُ مَا صَحَّ اسْمُ الْغَايِلِ لِهَذَا الَّذِي يَغْسِلُهُ، وَالْمَاءُ لَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ الدَّعْوَى فِي أَنَّهُ غَسَلَ الْمَيِّتَ، فَإِنَّ الْمَاءَ مَا تَحْرَكُ إِلَيْهِ

1 ص 92 ب

2 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

3 ص 93

4 ص 93 ب

وَلَا قَصْدَ غَسْلِهِ، وَإِنَّمَا قَصْدُ بِالْمَاءِ غَسْلِ الْمَيِّتِ لِغَايِلِهِ.

كَذَلِكَ الْغَايِلُ لَا يَرَى فِي قَصْدِهِ أَنَّهُ قَصْدُ غَسْلِ الْمَيِّتِ بِالْمَاءِ، وَإِنَّمَا يَرَى نَفْسَهُ مَعَ الْمَاءِ الْتَيْنِ قَصْدُ اللَّهِ بِهَا غَسْلَ هَذَا الْمَيِّتِ، فَاللَّهُ الْمُطَهِّرُ، لَا هُوَ وَلَا الْمَاءُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ طَهَّرَ الْمَيِّتَ بِالْغَايِلِ وَالْمَاءِ. فَمَثَلُ هَذَا لَا يَغْتَسِلُ مِنْ غَسْلِ الْمَيِّتِ. فَهَذَا إِعْتِبَارٌ مِنْ يَرَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْغَسْلُ مِنْ غَسْلِ الْمَيِّتِ.

وَأَمَّا مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا، وَغَابَ فِي غَسْلِهِ عَنْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ مُطَهِّرُهُ، وَادَّعَى ذَلِكَ الْفَعْلَ لِنَفْسِهِ وَأَضَافَهُ إِلَيْهَا، وَرَأَى أَنَّهُ لَوْلَا مَا طَهَّرَ هَذَا الْمَيِّتَ؛ وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَغْتَسِلَ وَيَتَطَهَّرَ مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَى، بِالتَّوَجُّهِ وَالْحُضُورِ مَعَ اللَّهِ فِي الْمُسْتَأْنَفِ، وَالتَّذَكُّرِ لِمَا غَفَلَ عَنْهُ مِنْ تَطْهِيرِ اللَّهِ هَذَا الْمَيِّتَ عَلَى يَدِهِ. فَمَنْ إِعْتَبَرَ هَذَا أَوْجَبَ الْإِعْتِسَالَ مِنْ غَسْلِ الْمَيِّتِ.

وَأَمَّا حُكْمُ الْإِعْتِسَالِ مِنْ غَسْلِ الْمَيِّتِ بِالْمَاءِ، فِي ظَاهِرِ حُكْمِ الشَّرْعِ، فَلَيْسَ مَذْهَبِي الْقَوْلُ بِوَجُوبِهِ. وَلَكِنْ¹ إِنْ إِعْتَسَلَ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ أَوْلَى وَأَفْضَلُ بَلَا خِلَافٍ.

باب

الاعتسالة للوقوف بعرفة

لَمَّا كَانَ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ بِصِفَةِ الذَّلِّ وَالْإِفْتِقَارِ وَالِدُعَاءِ وَالِابْتِهَالِ، بِالتَّعَرُّيِّ مِنْ لِبَاسِ الْخَيْطِ، وَالْمَوْضِعِ الَّذِي يَقِفُ فِيهِ الْحَاجُّ يَسْمَى عَرَفَةَ، عَلِمْنَا إِعْتِبَارًا، أَنَّ ذَلِكَ مَوْقِفُ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ الْعَارِفِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾² وَقَالَ: ﴿عَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾³ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى هَذَا النُّوعِ فِي بَابِ الْحَجِّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

وَلَمَّا رَأَى هَذَا الْمَعْتَبِرُ الْعَالِمُ تَجَرُّدَهُ عَنِ الْخَيْطِ، إِعْتَبَرَ فِي تَأْلِيفِ الْأَدَلَّةِ وَتَرْكِيبِهَا لِحُصُولِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ الْفِكْرِيِّ، بِتَرْكِيبِ الْمَقْدَمَاتِ وَتَأْلِيفِهَا، فَتَظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ صُورَةُ الْمَعْرِفَةِ بِرَبِّهِ. كَالْخَائِطِ الَّذِي يُؤَلَّفُ قِطْعُ الْقَمِيصِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَظْهَرُ صُورَةُ الْقَمِيصِ، قِيلَ لَهُ بِتَجْرِيدِهِ الْخَيْطَ: حَصَلَ الْمَعْرِفَةُ بِرَبِّكَ، أَوِ الْعِلْمُ بِاللَّهِ مِنَ التَّجَلِّيِ الْإِلَهِيِّ أَوِ الرِّبَاطِيِّ، وَاطْرَحَ عَنْكَ، فِي هَذَا الْمَوْقِفِ وَهَذَا الْيَوْمِ، النَّظَرَ الْعَقْلِيَّ بِتَأْلِيفِ الْمَقْدَمَاتِ، وَاشْتَغَلَ الْيَوْمَ⁴ بِتَحْصِيلِ الْمَعْرِفَةِ بِرَبِّكَ مِنَ الْإِمْتِنَانِ الْإِلَهِيِّ وَالْوَهْبِ الرِّبَاطِيِّ مِنَ الْوَاهِبِ الَّذِي

1 ص 94

2 [فاطر : 28]

3 [المائدة : 83]

4 ص 94 ب

يعطي ليُنعم، فإنه الذي يقذف في نفسك العلم به على كل حال، سواء نظرت في تأليف المقدمات، أو لم تنظر. فعامله سبحانه - بالتجريد، فإنه أولى بك. ولا تلتفت إلى تأليفك المقدمات النظرية في العلم بالله، فإن للكسب ظلمة في المعرفة لا يراها إلا البصير. إذ لا مناسبة بين ما تؤلفه من ذلك، وبين ما تستحقه ذاته - جلّ وتعالى علواً كبيراً -.

ومن كان يُطلب منه هذه الحالة، في ذلك الموقف الكريم والمشهد الخطير العظيم، كيف لا يغتسل ويتطهر في باطنه وقلبه، عن التعلق في معرفته برّيه بغيره؟ فيزيل عنه قَدَرٌ مشاهدة الأغيار ودَرَئها، بعلم الحق بالحق، دون علمه بنفسه، إذ لا دليل عليه إلا هو.

لأن المعرفة تتعدى إلى مفعول واحد. وأنت في عرفة. والعلم يتعدى إلى مفعولين. ولهذا يحصل لصاحب هذا المشهد عند العَلَيْنِ إذا خرج من عرفة، يريد المزدلفة وهي جَمْعٌ، يحصل له علم آخر يكون معلومه الله، كما كان معلومه في عرفات الربّ تعالى. وهذا المفعول الواحد الحاصل لك في هذا اليوم؛ هو علمك برّيك لا بنفسك. فتعرف الحق بالحق. فيكون الحق¹ الذي اغتسلت به يُعطي تلك المعرفة به، ويكون المَغْتَسَلُ منه - اسم مفعول - عين نفسك في دعواها، في معرفة ربّها بنفسها، من طريق التعمّل في تحصيلها. وأين الدليل من الدليل! هيات وعزّة، ما تعرفه - إن عرفته - إلا به. فافهم. فهذا عُسْلك للوقوف بعرفة، إن وقفت له، والله المؤيد والملمم.

باب

الاعتسالة لدخول مكة - زادها الله تشريفاً

اعلم أنّ دخول مكة هو القدوم على الله في حضرته، فلا بدّ من تجديد طهارة قلبك مما اكتسبه من الغفلات من زمان إحرامك من الميقات: ظاهراً بالماء، وباطناً بالعلم والحضور. فطهارة الظاهر الاعتسالة بالماء عبادة وتطهيفاً، وطهارة الباطن - وهو القلب - بالتبرّي طلباً للولاء. فإنه لا ولاء للحق إلا بالبراءة من الخلق؛ حيث كان نظرك إليهم بنفسك لا بالله.

فمن كان حاله الحضور الدائم مع الله، لم يغتسل لدخول مكة، إلا الغسل الظاهر بالماء لإقامة السنّة. وأمّا بالباطن فلا، إلا عند رؤية البيت، فإنه يتطهر باطناً بجلاء خاصّ، لمشاهدة² بيته الخاص بيته - والطواف به، الذي هم الطائفون به كالأخافين من حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ مُحَمَّدَ رَبِّهِمْ³، إذ كان بيت

الله بلا واسطة، منذ خلق الله الدنيا ما جرت عليه يد مخلوق بكسب.

وليكن الاسم الإلهي الذي يتطهر به الاسم "الأول" من الأساء الحسنی، فإنه من نعوت البيت. فتحصل المناسبة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾¹ أي جعلت فيه البركة لعبادي والهدى. فمن رأى البيت ولم يجد عنده زيادة إلهية، فما نال من بركة البيت شيئاً، لأن البركة (هي) الزيادة. فما أضافه الحق. فدلّ على أنّ قصده غير صحيح، فإنّ تعجيل الطعام للضيف سنّة.

فليجعل اغتساله أولاً، لا يجعله ثانياً لما تقدّمه من غسل الإحرام. فإنه طهارة خاصّة² تليق بمشاهدة البيت والطواف به، لا مناسبة بينه وبين الاعتسالة للإحرام، إلا من وجه ما. فإذا زعم أنّه تطهر بهذا الطهر، وفرغ من طوافه؛ يتفقّد باطنه، فإن الله ما جعل البركة فيه والهدى وهو البيان، أي يتبين له ذلك الذي زاده ربّه من العلم به. فما جعلت البركة في البيت إلا أن يكون يعطي خازنهُ للطائف به القادم عليه من خَلْع البركة والقرب والعناية والبيان، الذي هو³ الهدى في الأمور المشككة، في الأحوال والمسائل المبهات الإلهية، في العلم بالله، ما يليق بمثل ذلك البيت المصطفى؛ محلّ يمين الحقّ المباعيّ المُقْبَل المسجود عليه.

فإنّ هذا البيت خزائن ما لله من البركات والهدى. وقد بته الشارع إشارة، بذكر الكنز الذي فيه، وأي كنز أعظم مما ذكر الله من البركة والهدى، حيث جعلها عين البيت. فكثرة من أضيف إليه، وهو الله.

فلينظر الطائف القادم إذا فرغ من طوافه إلى قلبه، فإن وجد زيادة من معرفة ربّه، وبيانا في معرفته، لم تكن عنده. فيعلم عند ذلك صحّة اغتساله لدخول مكة. وإن لم يجد شيئاً من ذلك، فيعلم أنّه ما تطهر وما قدم على ربّه ولا طاف ببيته. فإنه من المحال أن ينزل أحدٌ على كريم غنيّ، ويدخل بيته ولا يضيفه⁴. فإذا لم يجد الزيادة؛ فما زاد على غسله بالماء وقدمه على الأحجار المبنية؛ فهو صاحب عناء وخيبة في قلبه. وما له سوى أجر الأعمال الظاهرة في الآخرة في الجنان، وهو الحاصل لعامة المؤمنين. فإن جاور جاور الأحجار لا العين، وإن رجع إلى بلده رجع بخفي حنين. جعلنا الله من أصحاب القلوب، أهل الله وخاصته، آمين بعزّته. فإن اعترف المصاب بعدم⁵ الزيادة، وما رزى به، كان له أجر المصاب من الأجور في الآخرة، وحرّم المعرفة في العاجل.

1 [آل عمران: 96]

2 ق: خاص

3 ص 96

4 يضيفه هنا من الضيافة

5 ص 96

باب

الاعتسال للإحرام

اعتباره: تطهير الجوارح مما لا يجوز للمحرم أن يفعله، وتطهير الباطن من كل ما خلف وراءه. فكما تركه جسداً من أهل ومال وولد، وقدم على بيت الله بظاهرة، فلا يلتفت بقلبه إلا إلى ما توجه إليه. ويمنع أن يدخل قلبه أو يخطر له شيء مما خلفه وراءه، بالتوبة والرجوع إلى الله. ولهذا سمي غسل الإحرام؛ لما يحرم عليه ظاهراً وباطناً. فإن لم تكن هذه حالته، فليس بمحرم باطناً.

فإن البواب قد نام وغفل، وبقي الباب بلا حافظ. فلم تجد خواطر النفوس ولا خواطر الشياطين من يمنعهما من الدخول إلى قلبه، فهو يقول: "لبيك" بلسانه، ويتخيل أنه يجيب نداء ربه بالقدوم عليه. وهو يجيب نداء خاطر نفسه أو شيطانه الذي يناديه في قلبه: يا فلان؛ فيقول: لبيك. فيقول له الخاطر بحسب ما بعثه به صاحبه، من نفس أو شيطان وما جاءه به من غير ما شرع له من الإقبال عليه في تلك الحالة¹. فيقول له صاحب ذلك الخاطر عند قوله: "لبيك اللهم لبيك": أهلاً وسهلاً، لبيك من يعطيك الحرمان والحنية والخسران الممين، ويفرح بأن جعله إلهاً ولبناه.

فلولا فضل الله ورحمته² بلسان الباطن والحال، وما تقدم من النية ﴿لَتَسْكُنَ فِي مَا آفَضْتُمْ فِيهِ﴾ من وجودكم بقلوبكم إلى ما خلفتموه جسداً وراء ظهوركم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾³ فيغفر الله لهم ما حدثوا به أنفسهم. وما أخطر لهم الشيطان في تلك الحالة، بعناية التلبية الظاهرة لا غير، وما أعطاهم في قلوبهم ما أعطاه لأهل الاعتسال الباطن من المحرمين.

باب

الاعتسال عند الإسلام، وهو سنة بل فرض

الاعتسال عند الإسلام مشروع، وقد ورد به الخبر النبوي. وأما اعتباره في الباطن، فإن الإسلام الانتقادي، فإذا أظهر الإنسان القياد الظاهر، كان مُسلماً ظاهراً. فيجب عليه الانتقادي بباطنه حتى يكون مسلماً باطناً، كما كان ظاهراً. فهو هذا تطهير الباطن عند الإسلام بالإيمان⁴، قال تعالى- في حق طائفة قالت آمناً: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾⁵ وهو الطهارة الباطنة النافعة

1 ص 97

2 اقتباس من الآية: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [النور: 14]

3 [النور: 14]

4 ص 97 ب

5 [الحجرات: 14]

المنجية من التخليد في النار.

باب

الاعتسال لصلاة الجمعة

اعتباره في الباطن طهارة القلب لاجتماع بره، واجتماع همه عليه لمناجاته، برفع الحجاب عن قلبه. ولهذا قال من يرى أن الجمعة تصح بالاثنتين وتقام، وبه أقول. يقول تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث. وما ذكر ثالثاً، يقول العبد كذا، فأقول له كذا.

فلا بد من طلب¹ منه هذه الحالة، أن يتطهر لها طهراً خاصاً. بل أقول: إن لكل حالة للعبد مع الله - تعالى - طهارة خاصة، فإنه مقام وُضْعَةٍ. ولهذا شرعت الجمعة ركعتين. فالأولى من العبد لله بما يقول، والثانية من الله للعبد بما يخبر به في إجابته قول عبده، أو يخبر به الملائكة الأعلى، بحسب ما يفوه به العبد في صلاته. غير أنه في صلاة الجمعة بمقتضى ما شرع له أن يجهر بالقراءة ولا بد، فيقول الله للملائكة الأعلى: "حدني عبدي". أو ما قال من إجابة وثناء وتفويض وتمجيد.

باب²

الاعتسال ليوم الجمعة

الاعتبار: الطهارة بالأزل للزمان اليومي من السبعة الأيام التي هي أيام الجمعة. فإن الله قد شرع حقاً واجبا على كل عبد أن يغتسل في كل سبعة أيام. فغسل يوم الجمعة لليوم، لا للصلاة. فكانت الطهارة لصلاة الجمعة طهارة الحال، وهذه (أي الطهارة ليوم الجمعة) طهارة الزمان.

فإن العلماء اختلفوا؛ فمن قائل: إن الغسل إنما هو ليوم الجمعة، وهو مذهبنا. فإن أوقعه قبل صلاة الجمعة، ونوى أيضاً الاعتسال لصلاة الجمعة، فهو أفضل. ومن قائل: إنه لصلاة الجمعة في يوم الجمعة، وهو الأفضل بلا خلاف، حتى لو تركه قبل الصلاة، وجب عليه أن يغتسل، ما لم تغرب الشمس.

ولمّا قلنا: إن جمع العبد على الحق، في هذا اليوم الزماني، كانت بنسبة هذا اليوم إلى جناب الحق، ما يدخل الأزل من التقديرات الزمانية فيه، بتعيين توجهات الحق لإيجاد الكائنات، في الأزمان المختلفة، التي يصحبها القبل والبعد والآن ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾³ فاعلم ذلك، فإنه دقيق جداً.

1 ق: طلب

2 ص 98

3 [الروم: 4]

فمن اغتسل لصلاة الجمعة، فقد جمع بين الغسل للحال والزمان. ومن اغتسل ليوم الجمعة بعد الصلاة، فقد أفرد. وهو قدح في مستى الجمعة. فالأظهر أنه مشروع في يوم الجمعة ولصلاة الجمعة، وهو الأوجه. وما يتعد أن يكون مقصود الشارع به ذلك.

باب غسل المستحاضة

وسيرد، ونبين فيه مذهبننا.

وأما اعتباره: فالاستحاضة مرض، والعبد مأمور بتصحيح عبادته، لا يدخلها شيء من المرض. فهما اعتل في عبادة ما من عباداته، تطهر من تلك العلة وأزالها، حتى يعبد الله عبدا خالصا محضا، لا تشوبه علة ولا مرض في عبادته ولا في عبودته.

باب الاعتسال من الحيض

الحيض ركضة شيطان، فيجب الاعتسال منه. قال تعالى: ﴿رَجَسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾¹ فيجب تطهير القلب من لمة الشيطان، إذا نزلت به، ومسّه في باطنه. وتطهيرها بلمة الملك. والقصة البيضاء هي العلامة، أو من بعض العلامات على عناية الله بهذا القلب، حيث طرد عنه وأزال ركضة الشيطان. فيستعمل² لمة الملك عند ذلك، وهو تطهير القلب. وإن كنيث عن ذلك (أي عن اللمتين) بالإصبعين، وكلاهما رحمة، فإنه أضافهما إلى الرحمن. فلو لا رجم الله عبده بتلك اللمة الشيطانية، ما حصل له ثواب مخالفته، بالتبديل في العدول عنه، إلى العمل بلمة الملك، فله أجران. فلهذا قلنا: إنه أضافها إلى الاسم الرحمن.

فإذا أزاغه، جاهد نفسه أن لا يفعل ما أماله إليه، فجوزي أجر الجاهد. فإن عمل وتاب إثر الفعل بعد مجاهدة، فساعد الشيطان عليه القدر السابق بالفعل، فوقع منه الفعل، ورأى أن ذلك من الشيطان، مؤمنا بذلك مصدقا كما قال موسى عليه السلام: ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾³ وتاب عقيب

وقوع الفعل. وأعني بالتوبة هنا، الندم. فإنه معظم أركان التوبة، وقد ورد أن «الندم توبة»- كان له أجر شهيد، لوقوع الفعل منه، والشهيد حي ليس بميت.

وأي حياة أعظم أو أكمل من حياة القلوب مع الله، في أي فعل كان؟ فإن الحضور مع الإيمان، عند وقوع الخالفة، يرد ذلك العمل حيا، بحياة الحضور؛ يستغفر له إلى يوم القيامة. فهذا من عناية الاسم الرحمن، الذي أضاف الإصبعين إليه. فالشيطان يسعى في تضعيف الخير للعبد، وهو لا يشعر. فإن الحرص أعماه، ويحور⁴ الوبال وإثم تلك المعصية عليه. وهذا من مكر الله تعالى- بإبليس.

فإنه لو علم أن الله يسعد العبد بتلك اللمة من الشيطان، سعادة خاصة، ما ألقى إليه شيئا من ذلك. وهذا المكر الإلهي، الذي مكر الله به في حق إبليس، ما رأيت أحدا يتبه عليه. ولولا علمي بإبليس، ومعرفتي بجهله، وحرصه على التحريض على الخالفة، ما نهيت على هذا، لعلمي بأنه لولا هذا المانع، لاجتنب لمة الخالفة. فهذا هو الذي حملني على ذكرها، لأن الشيطان لا يتقف عندها، لحجابه: بحرصه على شقاوة العبد، وحمله بأن الله يتوب على هذا العبد الخاص. فإن كل ممكور به، إنما يمكر الله به من حيث لا يشعر. وقد يشعر بذلك المكر، غير الممكور به.

باب

الاعتسال من المني الخارج على غير وجه اللذة

فمن قاتل بوجوبه، ومن قاتل: لا يجب عليه غسل، وبه أقول.

وصل: حكم الباطن فيه:

اعتبار الجنابة (هو) الغربة، والغربة لا تكون إلا بمفارقة الوطن. وموطن الإنسان عبوديته. فإذا فارق موطنه، ودخل في¹ حدود الربوبية، فأنصف بوصف من أوصاف السيادة على أبناء موطنه، وأمثاله، ولم يجد لذة لذلك، فما وفي صفة السيادة حقها. فإن الكامل؛ لذته كماله لا تقارنها لذته أصلا، والابتهاج الكمال لا يشبهه ابتهاج، فلما لم يوف الصفة حقها، تعين عليه الاعتسال؛ وهو الاعتراف بما قصر به، في حق تلك الصفة الإلهية. فمن هنا أوجب الغسل من أوجبه، على من خرج منه المني في اليقظة، من غير التذاذ. ومن رأى أن صفة الكمال التي تنبغي للواجب الوجود بنفسه، إذا أنصف بها العبد في غيبته، لم يكن لها حكم فيه، لأنه ليس بمحل لها، لم يوجب عليه غسلا.

1 ص 99، يجوز: يرجع
2 ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
3 ص 100

1 ص 98
2 [المائدة : 90]
3 ص 99
4 [النقص : 15]

باب

الاعتسال من الماء يجده النائم إذا هو استيقظ ولا يذكر احتلاما

في مثل هذا بقي حكم قوله ﷺ: «إنما الماء من الماء» فهو مخصص، ما هو منسوخ كما يراه بعضهم.

وصل: اعتباره في الباطن:

العارف يجد قبضا أو بسطا، في حال من الأحوال، لا يعرف سببه. وهو¹ أمر خاطئ عند أهل الطريق. فيعلم أن ذلك لغفلة منه عن مراقبة قلبه في وارداته، وقلة نفوذ بصيرته في مناسبة حاله مع الأمر الذي أورثه تلك الصفة. فيتعين عليه التسليم لموارد القضاء، حتى يرى ما ينتج له ذلك في المستقبل.

فإذا عرفه وجب عليه الاعتسال، بالحضور التام مع الحق، في علم المناسبات. حتى لا يجهل ما يريد عليه، من الحق من واردات التقديس، وما الاسم الذي جاءه بذلك؟ وما الاسم الذي جيء به من عنده؟ وما الاسم الإلهي الذي هو، في الحال، حاكم عليه، وهو الذي استدعى ذلك الوارد؟ فهذه ثلاثة: الاسم المستدعي، والاسم المستدعى منه، والاسم الوارد به. فإن الحق، من حيث ذاته، لا سبيل لمناسبة تربطنا به، أو تربطه بنا: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»² فبأسائه تتعلق، وبها نتخلق، وبها نتحقق، والله الموفق.

باب

الاعتسال من التقاء الختانين من غير إنزال

قال رسول الله ﷺ: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل». واختلف العلماء في هذه المسألة؛ فمن³ قائل بأنه يجب الغسل من التقاء الختانين، ومن قائل بأنه لا يجب الغسل من التقاء الختانين، وبه أقول.

وصل: الاعتبار في ذلك:

إذا جاوز العبد حده، ودخل في حدود الربوبية، وأدخل ربه في الحد معه، بما وصفه به، مما هو من صفات الممكنات، فقد وجب عليه الطهر من ذلك. فإن تزنيه العبد، أن لا يخرج عن إمكانه، ولا يدخل

الواجب لنفسه في إمكانه، فلا يقول: يجوز أن يفعل الله كذا، ويجوز أن لا يفعله. فإن ذلك يطلب¹ المرجح، والحق له الوجوب على الإطلاق. والذي ينبغي أن يقال: يجوز أن توجد الحركة من المتحرك، ويجوز أن لا توجد، فتفتقر إلى المرجح. فإذا كان العالم بالله تعالى - بهذه المثابة، وجب عليه الاعتسال، وهو الطهر، من هذا العلم، بالعلم الذي لا يدخله تحت الجواز. وسترده هذه المسألة - إن شاء الله -

باب

الاعتسال من الجنابة على وجه اللذة

قد قررنا أن الجنابة هي الغربة، وهي هنا، غربة العبد عن موطنه² الذي يستحقه، وليس إلا العبودية. أو تقريب صفة ربانية عن موطنها؛ فيتصف بها، أو يصف بها ممكنا من الممكنات، فيجب الطهر في هذه المسألة بلا خلاف.

واعلم أن هذا الفصل الواحد المذكور في هذا الباب، يتفرع منه مائة وخمسون حالا، يجب الاعتسال على العبد في قلبه من كل حال منها. ونحن نذكر لك أعيانها كلها - إن شاء الله - في عشرة فصول، كل فصل منها يتضمن خمسة عشر - حالا، لتعرف كيف تلقاها، إذا وردت على قلب العبد، لأنه لا بد من ورودها على كل قلب، من العوام والخصوص. والله المؤيد والملمم، لا قوة إلا به، فمن ذلك:

الفصل الأول: الجبروت، والألوهية، والعزة، والهيمنة، والإيمان، والقيام، والشوق³، والولاء، والظلمة، والسخر، وعموم الرحمة، وخصوصها، والسلامة، والطهارة، والملك.

الفصل الثاني: الكبرياء، والستر، والصورة، والخلق، والبراءة⁴، والإخلاص، والإقرار، والبراء، والنصيحة، والحب، والقهر، والهيبة، والرزق، والفتوح، والعلم.

الفصل الثالث: البسط، والقبض، والإعزاز، ورفع الدرج، وخفض الميزان، والشرك، والإنصاف، والطاعة، والرضا، والتناعة، والإذلال، والأصوات، والرؤية، والقضاء، والعدالة.

الفصل الرابع: اللطف، والاختبار، ورفع الستور، والعظمة، والجلم، والشكر، والاعتلاء، والحافظة، والتقدير، والزيادة، والحدود، والهوى، والمنازعة، والولاية، والتخليك.

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

2 ص 101 ب

3 رسمها في ق: والنسوق، مع ثلاث نقاط تحت رؤوس السين.

4 ص 102

الفصل الخامس: الرُّحْم، وإدخال السرور، والتقطيع، والخداع، والاستدراج، والحسبان، والجلالة، والكرم، والمراقبة، والإجابة، والاتساع، والحكمة، والوداد¹، والبعث، والشرف.

الفصل السادس: الشهادة، والحق المخلوق به، والوكالة، والقوة، والصلابة في كل شيء، والنصرة، والثناء، والإحصاء، والابتداء، والإعادة، والصدقة، والقول، والعفو، والأمر، والنهي.

الفصل السابع: الأخلاق، والمال، والجاه، والزيارة، والأيمان، والحياة، والموت، والإحياء، والقيومية، والوجدان، والاستشراق، والوحدة، والصمداني، والقدرة، والاقتدار.

الفصل الثامن: التقديم، والتأخير، والدار الأولى، والآخرة، والاختفاء، وإشالة الحجب، والإحسان، والرجوع، والانتقام، والصنع، والحجر، والنكاح، والرياء، والاختلاق، والبهت.

الفصل التاسع: الرأفة، ومُلك المُلْك، والكرامات، والآجال، والتعالي، والمغالطة، والجمع، والاستغناء، والتعدي، والكفاية، والسخاء، والكذب، والتكذيب، والسياسة، والنواميس.

الفصل العاشر: المنع، والهداية، والانتفاع، والضرر، والنور، والابتداع، والبقاء، والتوارث، والرشد، والإيناس، والأذى، والامتنان، والحماسة، والمقاومة، والجلوس.

اعلم أيُّدنا الله وإياك بروح منه - أن جميع ما ذكرنا في هذه الفصول، وما تتضمنه كل حالة منها مما لم نذكره مخافة التطويل يجب على الإنسان طهارة باطنه وقلبه منه، في مذهب أهل الله وخاصته من أهل الكشف، بلا خلاف بين أهل الأذواق في ذلك. ولكن يحتاج المتطهر من أكثرها إلى علم غير، في كيفية الطهارة مما ذكرنا، وقد يكون بعضها طهورا لبعض.

ثم³ نرجع إلى مقصودنا من إيراد الأحكام المشروعة في هذه الطهارة، التي هي الاعتسال بالماء واعتباراتها، وأحكامها في الباطن. فأقول: قد ذكرنا في الوضوء على من تجب طهارته؟ ومتى يكون وجوبها؟ فلا نحتاج إلى ذكر ما تشترك فيه الطهارتان.

باب

التدلك باليد في الغسل في جميع البدن

اختلف الناس من علماء الشريعة في التدلك باليد في جميع الجسد، فمن قائل: إن ذلك شرط في كمال الطهارة، ومن قائل: ليس بشرط. وأما مذهبنا: في يصل الماء إلى الجسد حتى يعمه بأي شيء كان يمكن

يصله.

وصل: حكم ذلك في الباطن:

الاستقصاء في طهارة الباطن، لما فيها من الخفاء الذي تضره النفوس، من حب المحمدة عند الناس، بما يظهر عنها من الخير، فبأي وجه أمكن إزالة هذه الصفة، وكل مانع يمنع من عموم طهارة الباطن، فلم تحصل الطهارة.

باب

النية في الغسل

اختلف¹ العلماء في شرط النية في الغسل. فمن العلماء من اشترطها، وبه أقول. ومنهم من لم يشترطها.

وصل: اعتبارها في الباطن:

لا بد من شرطها في طهارة الباطن، فإنها روح العمل وحياته. والنية من عمل الباطن، فلا بد منها. وقد تقدم الكلام عليها، في أول الباب ظاهرا وباطنا.

باب

المضمضة والاستنشاق في الغسل

اختلف العلماء، علماء الشريعة، في المضمضة والاستنشاق في الغسل. فمن قائل بوجوبها، ومن قائل بعدم وجوبها. والذي نذهب إليه في ذلك: أن الغسل لما كان يتضمن الوضوء، كان حكمها، من حيث أنه متوضئ في اغتساله، لا من حيث أنه مغتسل. فإنه ما ورد أن النبي ﷺ ما تيمم ولا استنشق في غسله، إلا في الوضوء فيه. وما رأيت أحدا² تبه على مثل هذا في اختلافهم في ذلك.

فالحكم فيها عندي راجع إلى حكم الوضوء، والوضوء عندنا لا بد منه في الاغتسال من الجنابة. وعندنا في هذه المسألة نظر في حالتين: الحالة الواحدة فمن جامع ولم يزل، فعليه³ وضوءان في اغتساله. فإن جامع وأنزل فعليه وضوء واحد. إلا أن مذهبنا أن التقاء الحتاتين دون إنزال لا يوجب الغسل، ويوجب الوضوء. وبه قال أبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة والأعمش. وقد تقدم الكلام في شرط الترتيب والفور في الوضوء واعتباره.

1 ص 104

2 ثابتة في الهامش

3 ص 104 ب

1 ص 102 ب

2 ص 103

3 ص 103 ب

في ناقض هذه الطهارة التي هي الغسل

فناقضها الجنابة والحيض والاستحاضة والتقاء الحتاين. فالحيض بلا خلاف، وكذلك إنزال الماء على وجه اللذة في اليقظة بلا خلاف، وما عدا هذين بخلاف. فإن بعض الناس من المتقدمين لا يرى على المرأة غسلا إذا وجدت الماء من الاحتلام مع وجود اللذة.

* * *

في إيجاب الطهر من الوطء

فمن قائل بوجوبه، أنزل أو لم ينزل، إذا التقى الحتاين. ومن قائل بوجوبه مع إنزال الماء، وبه أقول. وإنزال الماء من غير وطء، وبه قال جماعة من أهل الظاهر: إنه يجب الطهر من الإنزال فقط.

وصل: في اعتباره في الباطن:

الوطء¹ (هو) توجه المؤثر على المؤثر فيه، بضرب من الوهب. فلا يخلو المؤثر فيه أن يكون حاضرا عارفا، بخصوص ذلك المؤثر، من الأسماء الإلهية، فلا يجب عليه الطهر. أو لا يكون فيجب عليه الطهر. وقد يعطي ذلك المؤثر نومة القلب. ثم لا يخلو هذا الاسم الإلهي أن يؤثر، علم كون من الأكوان، أو علما يتعلق بالله. وعلى الحالتين؛ فإن رأى نفسه مؤطئا، ولم يأخذ بالله، كالصدقة تقع بيد الرحمن، وإن أخذها السائل، والله المعطي؛ فيكون سبحانه المعطي والآخذ، فلا طهارة عليه في الباطن.

فإن بالحق تكون طهارة الأشياء. فإن غاب عن هذا الشهود، ورأى نفسه أنه هو الآخذ ما أنزله الله على قلبه من العلوم، وجبث عليه الطهارة من رؤية نفسه. وكذلك إذا وطئ غيره بمسألة يعلمه إياها بالحال أو بالقول؛ فإن كان عن حضور فلا طهارة عليه، فإنه ما زال على طهارته. وإن رأى نفسه في تعليمه غيره، بالحال أو بالقول، وجبث عليه الطهارة من رؤية نفسه، لابد من ذلك. فإن رجال الله في هذه الطريق: بالله يتحركون، وبه يسكنون، عن مشاهدة وكشف. وعامتهم عن حضور اعتقاد وإيمان، بما ورد، بأن الأمر بيده، وأن² نواحي عبادته وكل دابة، بيده³.

1 ص 105

2 ص 105 ب

3 ثابت في الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهر الدين محمود الرنخاني علي، وكتب ابن العربي".

في الصفة المعتبرة في كون خروج المني موجبا للاغتسال

اختلف العلماء في الصفة المعتبرة في كون خروج المني موجبا للاغتسال. فمن قائل باعتبار اللذة، ومن قائل بنفس الخروج؛ سواء كان عن لذة أو بغير لذة.

وصل: الاعتبار في هذا الباب:

اللذة من الملتذ بها، إما أن تكون نفسية، أو إلهية. فإن كانت نفسية طبيعية، فقد وجب الغسل. وإن كانت غير نفسية، فلا يخلو ذلك العلم، الذي هو بمنزلة الجنابة، إما أن يتعلق بالله، أو بتعلق بكون من الأكوان؛ فإن تعلق بالله، ولذته غير نفسية، فلا طهر عليه. وإن تعلق بالأكوان، فعليه الطهر، سواء التذ أو لم يلتذ.

ومعنى قولنا: اللذة الإلهية؛ أعني لذة الكمال، لا لذة الوارد. ولذة الكمال في العبد: أن يكون عبدا محضا، لا يتصف بالغربة، عن موطنه في باطنه. ولو خلع عليه الحق، من صفات السيادة، ما شاء من حضرته، لا يخرج ذلك عن¹ موطنه. وإذا كان كذلك، فما هو ذو جنابة، إذ لا غربة عنده، فإنه ما برح في موطنه، وهو غاية الكمال. والطهارة معرفة للنقص.

في دخول الجنب المسجد

فمن قائل بالمنع بإطلاق، ومن قائل بالمنع إلا لعابر فيه غير مقيم، ومن قائل بإباحة ذلك للجميع، وبه أقول.

وصل: الاعتبار في ذلك:

العارف من كونه عارفا، لا يبرح عند الله دائما. في الحديث: «جعلت لي الأرض كلها مسجدا». ولا ينفك الجنب، أن يكون في الأرض، وإذا كان في الأرض، فهو في المسجد العام المشروع، الذي لا يتقيد بشروط المساجد المعلومة بالعرف.

ثم إن العارف، بل العالم كله، علوه وسفله، لا تصح في حاله، الإقامة. فهو عابر أبدا مع الأنفاس.

الشريك لعينه؟ لا والله، إلا لكونه في اعتقادكم إلها. فאלله دعوتكم، لا تلك الصورة. ولهذا أوجب دعاؤكم، والصورة لا تضر ولا تنفع.

أنظر في قوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾¹ فإن سَمُّوهم بهم فهم عينهم. فلا يقولون في معبودهم حجر ولا شجر ولا كوكب ينحته بيده ثم يعبد. فما (=الذي) عَبَدَ جوهرة. والصورة من عمله. وإن سَمُّوهم بالإله، عرفت أن الإله عُبِدُوا². هذا تحقيق الأمر في نفسه. وقد أشارت الآية الواردة في القرآن إلى ما ذهبنا إليه، بقوله - تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾³ فهو عندنا بمعنى حكم. وعند من لا علم له من علماء الرسوم بالحقائق، بمعنى أمر. وبين المعنيين في التحقيق بون بعيد.

وفي قول محمد ﷺ معلما لنا: «أعبد الله كأنك تراه» وفي حديث جبريل معه ﷺ حين سأله عن الإحسان، بحضور جماعة من الصحابة: ما هو؟ فقال ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه» فجاء بـ «كأن» وقد علمت أن الخيال خزنة المحسوسات، وأن الحق ليس بمحسوس لنا، وما نعقل منه إلا وجوده، فجاء بـ «كأن» لندخله تحت قوة البصر، فنلحقه بالوهم بالمحسوسات، فقربنا من هؤلاء الذين عبدوه فيما نختوه.

فتدبر ما أشرنا إليه! فإن الأمر لا يكون إلا كما قرره الشارع. فقرر في موضع، ما أنكره في موضع آخر. فالعالم منا (ينبغي) أن يقرر ما قرره الحق، في الموضع الذي قرره الحق. ولننكر ما أنكره الحق، في الموضع الذي أنكره الحق، فما تم إلا الإيمان الصرف. فلا تأخذ من سلطان عقلك⁴، إلا القبول. فانظر ما أشرف حرف التمثيل الذي هو «كأن».

«كأن» سلطانها، فانظر له خبرا
فإنه خبر عنها مع الخبر
«كأن» خرفه في الكون سلطنة
إن كنت تعلم أن العلم في النظر
هو الإمام الذي فيه نصرة
ولا يقاومه خلق من البشر

ولا شك أن أهل الله جعلوا القلب كالمصحف الذي يحوي على كلام الله، كما أن القلب قد وسع الحق ﷻ، حين ضاق عنه السماء والأرض. فكما أمرنا بتنزيه القلب، عن أن يكون فيه دس من دخول الأغيار فيه، ورأينا أن المصحف قد حوى على كلام الله، وهو صفته والصفة لا تفارق الموصوف - فمن نزه الصفة نزه الموصوف. ومن راعى الدليل على أمر ما، فقد راعى المدلول، الذي هو ذلك الأمر. فعلى

[1] الرعد : 33

[2] ص 109

[3] الإسراء : 23

[4] ص 109 ب

كلا المذهبين ينبغي أن يتره المصحف أن يمسه جنب.

وقد نبينا أن نسافر بالقرآن إلى أرض العدو، فسقى المصحف قرآنا لظهوره فيه. وما¹ نهى حملة القرآن عن السفر إلى أرض العدو، وإن كان القرآن في أجوافهم محفوظا، مثل ما هو في المصحف، وذلك لبطونه فيهم. ألا ترى النبي ﷺ كان لا يحجزه شيء عن قراءة القرآن، ليس الجنابة، لظهور القرآن عند القراءة بالحروف التي ينطق بها التي أخبرنا الحق أنها كلامه تعالى -، فقال لنبيه ﷺ: ﴿فَأَجِزْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾² قتلاه عليه رسول الله ﷺ.

فلا ينبغي للجنب، وهو الغريب عما يستحقه الحق، فإن البعد بالحقائق والحدود، ما يكون فيه قرب أبدا. وبعد المسافة قد يقرب صاحبها من صاحبه الذي يريد قربه. فكما لا يكون الرب عبدا، كذلك لا يكون العبد رباً: لأنه لنفسه هو عبد³، كما أن الرب لذاته هو رب. فلا يتصف العبد بشيء من صفات الحق، بالمعنى الذي اتصف بها الحق. ولا الحق يتصف بما هو حقيقة للعبد. فالجنب لا يمسه المصحف أبدا بهذا الاعتبار، ولا ينبغي أن يقرأه في هذه الحال.

وينبغي للعبد أن لا تظهر عليه إلا العبادة المحضة، فإنه جنب كله، فلا يمسه المصحف. فإن تخلق، فينبذ تكون يد الحق تمس المصحف، فإنه قال عن نفسه في العبد إذا أحبه أنه يده التي يبطش بها. فانظر في هذا القرب المفرط، وهذا الاتجاه: أين هو من بعد الحقائق؟ والله، ما عرف الله إلا الله. فلا تتعب نفسك يا صاحب النظر - وذُر مع الحق كيف دار، وخذ منه ما يعرفك به من نفسه، ولا تقيس، فتفتلس. لا؛ بل تبتلس. وتعلم أن يد الحق طاهرة على أصلها، مقدسة كطهارة الماء المستعمل في العبادة. فتنبه لما عرفتك به في هذا الفصل.

باب

قراءة القرآن للجنب

اختلف علماء الشريعة في ذلك. فمن الناس من منع قراءة القرآن للجنب، بحد وغير حد. ومن الناس من أجاز ذلك. وأما الوارث عندي؛ فلا يقرأ القرآن جنبا، اقتداء بمن ورثه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

[1] ص 110

[2] التوبة : 6

[3] ق: عبدا

[4] ص 110 ب

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ¹ و«لم يكن يحجزه (ص) عن قراءة القرآن شيء ليس الجنب» ولكن الغالب عندي من قرينة الحال، أنه كره أن يذكر الله تالياً، إلا على طهارة كاملة. فإنه تيمم لرد السلام، وقال: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر²» أو قال: «على طهارة». ومن الناس من أجاز للجنب قراءة القرآن، بحدٍّ وبغير حدٍّ، وبه أقول؛ بغير حدٍّ أيضاً. ولكن أكرهه اقتداء برسول الله ﷺ.

وصل: الاعتبار في ذلك:

المقتدي بأفعال رسول الله ﷺ يمنع من قراءة القرآن في الجنب بغير حدٍّ. وقد أعلمناك أن الجنبه هي الغربة، والغربة نزوح الشخص عن موطنه الذي ربي فيه ووُلِدَ فيه. فمن اغترب عن موطنه، حرم عليه الاتصاف بالأساء الإلهية، في حال غربته. قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾³ كما كان عند نفسه في زعمه، فإنه تغرب عن موطنه، فهو صاحب دعوى.

والذي أقول في هذه المسألة لأهل التحقيق: إن القرآن ما سمي قرآناً إلا لحقيقة الجمعية التي فيه، فإنه يجمع ما أخبر الحق به عن نفسه، وما أخبر به عن مخلوقاته وعباده، مما حكاه عنهم. فلا يخلو هذا الجنب في تلاوته، إذا أراد أن يتلو، إما أن ينظر ويخضّر في أن الحق يترجم لنا بكلامه ما قال عباده. أو ينظر فيه من حيث المترجم عنه؛ فإن نظر من حيث⁴ المترجم عنه؛ فيتلو؛ وبالأول فلا يتلو حتى يتطهر في باطنه. وصورة طهارة باطنه، أن يكون الحق لسانه الذي يتكلم به، كما كان الحق يده في مس المصحف، فيكون الحق إذ ذاك، هو يتلو كلامه، لا العبد الجنب.

ثم إنه للعارف، فيما يتلوه الحق عليه، من صفات ذاته، مما لا يخبر به عن أحد من خلقه، ومن كونه كَلَمٌ عبده بهذا القرآن. فليس المقصود من ذلك التعريف إلا قبوله؛ وقبوله لا يكون إلا بالقلب. فإذا قبله الإيمان، لم يمتنع من التلفظ به. فإن القرآن في حقنا نزل. ولهذا هو مُحَدَّث الإتيان والنزول، قديم من كونه صفة المتكلم به، وهو الله.

وإنما قول من قال عن رسول الله ﷺ: «إنه لا يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنب» فما هو قول رسول الله ﷺ وإنما هو قول الراوي. وما هو معه في كل أحيانه. فالحاصل منه أن يقول: ما سمعته يقرأ القرآن في حال جنابته. أي ما جهر به. ولا يلزم قارئ القرآن الجهر به، إلا فيما شرع الجهر به: كتلقين

1 [الأحزاب: 21]

2 ص 111

3 [الدخان: 49]

4 ص 111ب

المتعلم، وكصلاة الجهر. والنهي ما صحَّ عن رسول الله ﷺ في ذلك، وما ورد. والخير لا يمنع منه.

باب¹

الحكم في الماء

اعلم أن الدماء ثلاثة: دم حيض، ودم استحاضة، ودم نفاس. وهذه كلها مخصوصة بالمرأة، لا حكم للرجل فيها. فليكن الاعتبار في ذلك للنفس؛ فإن الغالب عليها التأنيث. فإن الله قال فيها: "النفس اللوامة" و"المطمئنة" فأنثها. ولا حظ للقلب في هذه الدماء، ولا للروح.

فنقول: إن أهل الطريق من المتقدمين، وجماعة من غيرهم ممن اشترك مع أهل الله في الرياضات والمجاهدات من العقلاء، قد أجمعوا على أن الكذب؛ حيض النفوس. فليكن الصدق، على هذا، طهارة النفس من هذا الحيض.

فدم الحيض: ما خرج على وجه الصحة، ودم الاستحاضة: ما خرج على وجه المرض، فإنه خرج لعلّة. ولهذا حكم ولهذا حكم. فاعتباره أن حيض النفس، وهو الكذب، وهو كما قلنا: دم يخرج على وجه الصحة، فهو الكذب على الله الذي يقول الله تعالى: فيه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾² وقول رسول الله ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ» فقوله: «متعمداً» هو³ خروجه على وجه الصحة.

وأما صاحب الشبهة فلا. فهذا يكذب، ويعرف أنه يكذب. وصاحب الشبهة يقول إنه صادق عند نفسه، وهو كاذب في نفس الأمر.

وأما اعتبار دم الاستحاضة فهو الكذب لعلّة. فلا يمنع من الصلاة، ولا من الوطء. وهذا يدلّك على أنه ليس بأذى، فإن الحيض هو أذى. فيتأذى الرجل بالنكاح في دم الحيض، ولا يتأذى به في دم الاستحاضة، وإن كان عن مرض. فإن هذا الكذب، وإن كان يدلّ على الباطل وهو العدم- فإن له رتبة في الوجود، وهو التلفظ به. وكان المراد به دفع مضرّة عما ينبغي دفعها بذلك الكذب، أو استجلاب منفعة مشروعة، مما ينبغي أن يظهر مثل هذا فيها وسببها. فيكون قرينة إلى الله، حتى لو صدق في هذا الموطن، كان بُعداً عن الله. ألا ترى المستحاضة لا تمتنع من الصلاة، مع سبلان دما؟

وأما دم النفاس؛ فهو عين دم الحيض. فإذا زاد على قدر زمان الحيض، أو خرج عن تلك الصفة التي

1 ص 112

2 [الأنعام: 93]

3 ص 112ب

لدم الحيض، خرج عن حكم الحيض. والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس، فإن الله ما مسكه في الرحم ثم أرسله، إلا ليزلق به سبيل خروج الولد رفقا بأمه، فيسهل على المرأة خروج الولد. وخروج الولد هو النشء الطاهر الخارج على فطرة الله والإقرار بربوبيته التي كانت له في قبض النزع. فكان لدم النفاس بهذا القصد خصوص وصف، كالمعين لبقاء ذكر الله، بإبقاء الذكر من جهة وصف خاص. ولدم النفاس زمان ومدة في الشرع، كما لدم الحيض. ودُم الاستحاضة ما له مدة يوقف عندها.

باب

في أكثر أيام الحيض، وأقلها، وأقل أيام الطهر

اختلف العلماء في هذا. فمن قائل: أكثر أيام الحيض خمسة عشر يوما، ومن قائل: أكثره عشرة أيام، ومن قائل: أكثر أيام الحيض سبعة عشر يوما. وأما أقل أيام الحيض؛ فمن قائل: لا حد له في الأيام، وبه أقول؛ فإن أقل الحيض عندنا دفعة. ومن قائل: أقله يوم وليلة، ومن قائل: أقله ثلاثة أيام. وأما أقل أيام الطهر؛ فمن قائل: عشرة أيام، ومن قائل: ثمانية أيام، ومن قائل: خمسة عشر، ومن قائل: سبعة عشر، ومن قائل: ساعة، وبه أقول. ولا حد لأكثره.

وصل: اعتبار هذا الباب:

زمان كذب النفس النية؛ فيمتد بامتداد ما توثقه، حتى يظهر بالتوبة من ذلك. فلا حد لأكثره ولا لأقله. وكذلك زمان الطهر لا حد له جملة واحدة. فإنه لا حد للصدق، غير أنه تحكم عليه المواطن الشرعية بالحمد والذم، وأصله الحمد، كما أن الكذب تحكم عليه المواطن بالحمد والذم، وأصله الذم. فالواجب عليه أن يصدق دائما، إلا أن يحكم الحال. والواجب عليه ترك الكذب دائما، إلا أن يحكم عليه حال ما، وهو الكذب للعلّة. فأشبهه دم الاستحاضة.

باب

في دم النفاس؛ في أقله وأكثره

اختلف العلماء في هذه المسألة. فمن قائل: لا حد لأقله، وبه أقول. ومن قائل: حده خمسة وعشرون

يوما، ومن قائل: حده أحد عشر يوما، ومن قائل: عشرون يوما. وأما أكثر زمانه؛ فمن قائل: ستون يوما، ومن قائل: سبعة عشر¹ يوما، ومن قائل: أربعون يوما، ومن قائل: للذكر ثلاثون يوما، وللأنثى أربعون يوما. والأولى أن يرجع في ذلك إلى أحوال النساء، فإنه ما ثبتت فيه ستة يرجع إليها.

وصل: اعتباره في الباطن:

لا حد للنية من الزمان كما قلنا- في اعتبار دم الحيض، فإن دم الحيض هو عين دم النفاس وقد اعتبرناه، فإن النبي ﷺ قال للحائض: «أنقست؟» بهذا اللفظ.

باب

في الدم تراه الحامل

اختلف فيه؛ هل هو دم حيض، أو هو دم استحاضة؟ وحكم كل قائل فيه بحكم ما ذهب إليه.

وصل: اعتبار حكمه في الباطن:

الحامل صفة النفس، إذا امتلأ بالامر الذي تجده، فتبديه على غير وجهه، وهو الكذب. وقد يكون ذلك عن عادة اعتادها، كما قال بعضهم:

لا يكذب المرء إلا من مهائنه أو عادة الشؤء أو من قلة الأدب

أما² قوله: "من مهائنه" فإن الملوك لا تكذب، وقوله: "من قلة الأدب" لما جاء في الخبر: «أن الشخص إذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلا من ثن ما جاء به» فالكاذب فيما لم يجوز له الكذب فيه، أساء الأدب مع الملك، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. والإنسان يتأذى بالثمن، كذلك الملك، لقرب الشبهة بين نشء الملك ونشء روح الإنسان.

باب

في الصفرة والكثرة؛ هل هي حيض أم ليست بحيض؟

اختلف العلماء في الصفرة والكثرة، هل هي حيض أم لا؟ فمن قائل: إنها حيض في أيام الحيض، ومن قائل: لا تكون حيضا إلا بإثر الدم. ومن قائل: ليست حيضا، وبه أقول.

وصل: اعتباره في الباطن:

ما يلتقي المعلم من العلم في نفس المتعلم، إذا كان حديث عهد، بصفة الدعوى الكاذبة، لرعونة نفسه، فله أن يلتقي إليه، من العلم المتعلق بالتكوين، ما يؤديه إلى استعمال غسل واحدٍ فردٍ بينَين، فيكون له الأجر مرتين. وإن لم يتب من تلك الدعوى، إلا أنه غير قائل بها في الحال، فهو طاهر الحال بالغفلة في ذلك الوقت. فإن خطر له خاطر الرجوع عن تلك الدعوى، فهو بمنزلة المرأة تغسل فرجها، بعد رؤية الطهر، وإن لم تغتسل. فإن تاب من الدعوى، بالعمل بذلك الخاطر، كان كالاعتسال للمرأة بعد الطهر.

باب

من أتى امرأته وهي حائض؛ هل يكفر

فمن قائل: لا كفارة عليه، وبه أقول. ومن قائل: عليه الكفارة.

وصل: اعتباره في الباطن:

العالم يعطي الحكمة غير أهلها، فلا شك أنه قد ظلمها. فمن رأى¹ أن لهذا الفعل كفارة، فكفارته أن ينظر من فيه أهلية لعلم من العلوم النافعة عند الله الدينية - وهو متعطش لذلك - فيبادر من نفسه إلى تعليمه، وتبريد غلة عطشه؛ فيضع الحكمة² في محلها وعند أهلها. فيكون ذلك كفارة لما فترط في الأول. ومن لم ير لذلك كفارة، قال: يتوب ويستغفر الله، وليس عليه طلب تعليم غيره، على جهة الكفارة.

باب

حكم طهارة المستحاضة

اختلف علماء الشريعة في طهر المستحاضة؛ ما حكمها؟ فمن قائل: ليس عليها سوى طهر واحد، إذا عرفت أن حيضتها انقضت، ولا شيء عليها: لا وضوء ولا غسل، وحكمها حكم غير المستحاضة، وبه أقول. وقسم آخر ممن يقول: إنه ما عليها سوى طهر واحد؛ إن عليها الوضوء لكل صلاة، وهو أحوط. ومن قائل: إنها تغتسل لكل صلاة. ومن قائل: إنها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد.

وصل: اعتبار الباطن في ذلك:

في مذهبنا أنه ليس على المستحاضة، من كونها مستحاضة، طهر¹. كذلك النفس إذا كذبت لمصلحة مشروعة أوجب الشرع عليها فيها الكذب، أو أباحه. لا بل يكون عاصيا إن صدق في تلك الحالة. فلا توبة عليها من تلك الكذبة. فكما أن دم الاستحاضة ليس عين دم الحيض، وإن اشتركا في الدمية والحل، كذلك الكذب المشروع بإباحته، الحلال ليس عين الكذب المحرم وقوعه منه، وإن اشتركا في كونه كذبا، وهو الإخبار بما ليس الأمر عليه في نفسه.

فمن رأى التوبة من كون إطلاق اسم الكذب عليه بالحققة، وإن كان مباحا أو واجبا، كجيب العجبي، في حديثه مع الحسن البصري لما طلبه الحجاج للقتل، والحكاية مشهورة، قال بالتوبة منه، كما قال بغسل المستحاضة للاشتراك في اسم الحيض، فإن الاستحاضة استفعال من الحيض.

باب

في وطء المستحاضة

اختلف علماء الشريعة فيه على ثلاثة أقوال: قول بجوازه، وبه أقول. وقول بعدم جوازه. وقول بعدم جوازه، إلا أن يطول ذلك بها.

وصل: اعتباره في الباطن:

لا² يمتنع تعليم من تعلم منه أنه لا يكذب إلا لسبب مشروع، وعلة مشروعة. فإن ذلك لا يقدر في عدالته، بل هو نص في عدالته. وقد وقع مثل هذا من الأكابر الكمل من الرجال.

أبواب التيمم

التيمم (هو) التصد إلى الأرض الطيبة، كان ذلك الأرض ما كان، مما يسمى أرضا: ترابا كان أو رملا أو حجرا أو زرينخا. فإن فارق الأرض شيء من هذا كله وأمثاله، لم يجز التيمم بما فارق الأرض من ذلك، إلا التراب خاصة، لورود النص فيه وفي الأرض، سواء فارق الأرض أو لم يفارق.

وصل: اعتباره في الباطن:

القصد إلى الأرض من كونها ذلولا، وهو القصد إلى العبودية مطلقا: لأن العبودية هي الذلة، والعبادة منها. فطهارة العبد إنما تكون باستيفاء ما يجب أن يكون العبد عليه، من الذلة والافتقار، والوقوف عند مراسم سيده وحدوده، وامثال أوامره. فإن فارق النظر من كونه أرضا، فلا يتيمم إلا بالتراب من ذلك، لأنه من تراب خلق¹ من نحن أبنائوه، وبما بقي فيه من الفقر والفاقة من قول العرب: "تَرَبَّتْ يَدُ الرَّجُلِ" إذا افتقر.

ثم إن التراب أسفل العناصر. فوقوف العبد مع حقيقته، من حيث نشأته؛ ظهوره من كل حدث يخرج من هذا المقام. وهذا لا يكون إلا بعدم وجدان الماء، والماء العلم. فإن بالعلم حياة القلوب، كما بالماء حياة الأرض. فكأنه حالة المقلد في العلم بالله. والمقلد عندنا في العلم بالله، هو الذي قلده عقله في نظره في معرفته بالله، من حيث الفكر. فكأنه إذا وجد المتيمم الماء، أو قدر على استعماله، بطل التيمم. كذلك إذا جاء الشرع بأمر ما من العلم الإلهي، بطل تقليد العقل لنظره في العلم بالله في تلك المسألة. ولا سيما إذا لم يوافقه في دليله، كان الرجوع بدليل العقل إلى الشرع. فهو ذو شرع وعقل معا، في هذه المسألة، فاعلم ذلك.

* * *

باب كون التيمم بدلا من الوضوء بائناق، ومن الكبرى بخلاف

اتفق العلماء بالشرعة، أن التيمم بدل من الطهارة الصغرى. (واختلفوا) في الكبرى. ونحن لا نقول فيها: "إنها بدل من شيء"، وإنما نقول: "إنها طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع"، فإنه ما ورد شرع من النبي ﷺ ولا من الكتاب العزيز، أن التيمم بدل. فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة مشروعة. وإنما قلنا: "مشروعة"، لأنها ليست بطهارة لغوية. وسيأتي التفصيل في فصول هذا الباب، إن شاء الله تعالى.

فمن قائل: إن هذه الطهارة - أعني طهارة التراب - بدل من الكبرى. ومن قائل: إنها لا تكون بدلا من الكبرى، وإنما نسب لفظ الصغرى والكبرى للطهارة؛ لعموم الطهارة في الاغتسال لجميع البدن، وخصوصها ببعض الأعضاء في الوضوء. فالحدث الأصغر، هو الموجب للوضوء. والحدث الأكبر هو كل حدث يوجب الاغتسال.

وصل: اعتباره في الباطن:

إن كل حدث يقدر في الإيمان يجب منه الاغتسال بالماء؛ الذي هو تجديد الإيمان بالعلم، إن كان من أهل النظر في الأدلة العقلية، فيؤمن عن دليل عقلي. فهو كواجد الماء القادر على استعماله. وإن لم يكن من أهل النظر في الأدلة، وكان¹ مقلدا؛ لزمته الطهارة بالإيمان، من ذلك الحدث، الذي أزال عنه الإيمان، بالسيف أو حسن الظن. فهو المتيمم بالتراب عند فقد الماء، أو عدم القدرة على استعمال الماء.

وهذا على مذهب من يرى أن التيمم بدل أيضا من الطهارة الكبرى، فيرى التيمم للجنب. وأما على مذهب من يرى أن الجنب لا يتيمم كالمسعود وغيره، هو الذي لا يرى التقليد في الإيمان؛ بل لا بد من معرفة الله، وما يجب له ويجوز ويستحيل، بالدليل النظري، وقال به جماعة من المتكلمين.

وأما كونه - أعني التيمم - بدلا من الطهارة الصغرى، فهو أن يقدر له حدث في مسألة معينة، لا في الإيمان، لعدم النص، من الكتاب أو السنة أو الإجماع في ذلك. فكما جاز له التيمم في هذه الطهارة الصغرى على (سبيل) البدل، جاز له القياس في الحكم في تلك المسألة، لعلامة جامعة بين هذه المسألة، التي لا حكم فيها منطوقا به، وبين مسألة أخرى منطوق الحكم فيها من كتاب أو سنة أو إجماع.

ومذهبنا في قولنا: إن التيمم ليس بدلا، بل هو طهارة مشروعة²، مخصوصة معينة لحال مخصوص، شرعها الذي شرع استعمال الماء لهذه العبادة الخاصة، وهو الله تعالى - ورسوله ﷺ. فما هي بدل. وإنما هو عن استخراج الحكم في تلك المسألة، من نص ورد في الكتاب أو في السنة، يدخل الحكم في هذه المسألة، في مجمل ذلك الكلام، وهو الفقه في الدين. قال تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾³ ولا يحتاج إلى قياس في ذلك.

مثل ذلك: رجل ضرب أباه، بعضا أو بما كان. فقال أهل القياس: لا نص عندنا في هذه المسألة. ولكن لما قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَهْزُهَا﴾⁴ قلنا: فإذا ورد النهي عن التأفيف - وهو قليل - بالضرب بالعصا أشد. فكان تنبيهنا من الشارع بالأدنى على الأعلى، فلا بد من القياس عليه. فإن التأفيف والضرب بالعصا، يجمعها الأذى. فقسنا الضرب بالعصا المسكوت عنه، على التأفيف المنطوق به.

قلنا: نحن ليس لنا التحكم على الشارع في شيء مما يجوز أن نكلف به، ولا التحكم (بغير نص الشارع)، ولا سيما في مثل هذا. لو لم يرد في نطق الشارع غير هذا، لم يلزمنا هذا القياس، ولا قلنا به،

1 ص 119 ب

2 ص 120

3 [التوبة: 122]

4 [الإسراء: 23]

1 ص 118 ب

2 ص 119

ولا ألحقناه بالتأفيف¹. وإنما حكمنا بما ورد وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِحْسَانًا﴾² فأَجْمَلَ الخطاب. فاستخرجنا من هذا المَجْمَل، الحكم في كل ما ليس بإحسان، والضرب بالعصا ما هو من الإحسان المأمور به من الشرع في معاملتنا لآبائنا. فما حكمنا إلا بالنص، وما احتجنا إلى قياس.

فإن الدين قد كُمل، ولا تجوز الزيادة فيه. كما لم يُجْزِ النقص منه. فمن ضرب أباه بالعصا، فما أحسن إليه. ومن لم يحسن لأبيه، فقد عصى ما أمره الله به أن يعامل به أبويه. ومن ردّ كلام أبويه، وفعل ما لا يرضي أبويه، مما هو مباح له تركه، فقد عَفَّها. وقد ثبت أن عقوق الولدين من الكبائر. فلهذا قلنا: إن الطهارة بالتراب - وهو التيمم - ليس بدلا، بل هي مشروعة، كما شرع الماء، ولها وصف خاص في العمل. فإنه بين أن لا نعمل به، إلا للوجوه والأيدي. والوضوء والغسل ليسا كذلك. وينبغي للبذل أن يحل محلّ المبدل منه. وهذا ما حلّ محلّ المبدل منه في الفعل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾³.

باب: فمن تجوز له هذه الطهارة

اتَّفَقَ⁴ علماء الشريعة على أن التيمم يجوز للمريض والمسافر إذا عدما الماء. وعندنا: أو عديم استعمال الماء مع وجوده لمرض قام به يخاف أن يزيد به المرض أو يموت لورود النص في ذلك. وصل: اعتباره في الباطن:

المسافر (هو) صاحب النظر في الليل، فإنه مسافر بفكره في منازل مقدّماته وطريق ترتيبها، حتى ينتج له الحكم في المسألة المطلوبة. والمريض هو الذي لا تعطي فطرته النظر في الأدلة، لما يعلم من سوء فطرته، وقصوره عن بلوغ المقصود من النظر. بل الواجب أن يُزجر عن النظر ويؤمر بالإيمان تقليدا.

وقد قلنا فيما قبل: إن المقلد في الإيمان كالتيمم بالتراب، لأن التراب لا يكون في الطهارة - أعني النظافة - مثل الماء، ولكن نسّميه طهورا شرعا - أعني التراب - خاصة. بخلاف الماء فإنه أسّميه طهورا شرعا وعقلا. فصاحب النظر وإن آمن أولا تقليدا، فإنه يريد البحث عن الأدلة والنظر فيما آمن به، لا على الشك، ليحصل له العلم بالدليل الذي نظر فيه، فيخرج من التقليد إلى العلم، أو يعمل على ما قلّد فيه، فينتج له⁵ ذلك العمل العلم بالله، فيفترق به بين الحق والباطل عن بصيرة صحيحة، لا تقليد فيها، وهو علم الكشف.

1 ص 120 ب

2 [البقرة : 83]

3 [الأحراب : 4]

4 ص 121

5 ص 121 ب

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾¹ وهو عين ما قلناه، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾² وقال: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾³ وقال: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾⁴.

وقد ورد: «إن العلماء ورثة الأنبياء» فسمّاهم علماء. و«إن الأنبياء ما ورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم» والأخذ للعلم بالمجاهدة، والأعمال أيضا سفر. فكما سافر العقل بنظره الفكري في العالم، سافر العامل بعمله، واجتمعا في النتيجة. وزاد صاحب العمل أنه على بصيرة فيما علم، لا تدخله شبهة. وصاحب النظر ما يخلو عن شبهة تدخل عليه في دليله. فصاحب العمل أولى باسم العالم من صاحب النظر. وسيأتي الكلام فيما يجوز من السفر وفيما لا يجوز في صلاة المسافرين من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

باب

في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله

اختلف⁶ العلماء بالشريعة في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله. فمن قائل بجواز التيمم له، وبه أقول، ولا إعادة عليه.

ومن قائل: لا يتيمم مع وجود الماء سواء في ذلك المريض والحاقد. ومن قائل: في حقها: يتيمم ويعيد الصلاة إذا وجد الماء. ومن قائل: يتيمم، وإن وجد الماء قبل خروج الوقت توصّا وأعاد، وإن وجده بعد خروج الوقت لا إعادة عليه.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

المريض هو الذي لا تعطي فطرته النظر - وأنه مريض مزمن - مع وجود الأدلة، إلا أنه يخاف عليه من الهلاك والخروج عن الدين إن نظر فيها لتصوره. وقد رأينا جماعة منهم خرجوا عن الدين بالنظر، لما كانت فطرتهم معلولة، وهم يزعمون أنهم في ذلك على علم صحيح. فهم كما قال الله: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

1 [الأفقال : 29]

2 [البقرة : 282]

3 [الرحمن : 1 - 4]

4 [الكهف : 65]

5 لم ترد في ق

6 ص 122

صُنْعًا¹. فيأخذ مثل هذا، إن أراد النجاة، العقائد تقليدا كما أخذ الأحكام. وليقلّد أهل الحديث دون غيرهم، وهذا تقليد الحديث النبوي في الله على علم الله فيه، من غير تأويل فيه بتنزيه معين ولا تشبيه. وعلى هذا أكثر العامة² وهم لا يشعرون. فهذا هو المريض الذي يجد الماء ويخاف من استعماله في الاعتبار.

* * *

باب

الحاضر يعدم الماء؛ ما حكمه؟

فمن قائل بجواز التيمم له، وبه أقول. ومن قائل: لا يجوز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

الحاضر هو المقيم على عقده الذي ربط عليه من آبائه ومرتبته، ثم عقل ورجع إلى نفسه واستقل؛ هل يبقى على عقده ذلك، أو ينظر في الدليل حتى يعرف الحق؟ فمن قائل: يكتفيه ما رآه عليه أبواه أو مرتبه، ويشغل بالعمل. فإن النظر قد يخرج به إلى الحيرة فلا يؤمن عليه. فهو الذي قال بالتيمم عند عدم الماء. وقد قدّمنا أن الماء هو العلم للاشتراك في الحياة به. فإن هذا الحاضر؛ الدليل معدوم عنده على الحقيقة، فإنه لا يرى مناسبة بين الله وبين خلقه، فلا يكون الخلق دليلا سادّا على معرفة ذات الحق. فبقاؤه عنده على تقليده أولى.

ومن قال: لا يجوز له³ التيمم، وإن عدم الماء. يقول: لا يقلّد، وإن لم ينظر في الدليل. فإن الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب لزمت، واستحال رجوعها عنه، ولا يدري كيف حصل، ولا كيف هو. فهو علم ضروري عنده. فقد خرج عن حكم ما يعطيه التقليد، مع كونه ليس بناظر، ولا صاحب دليل. وعلى هذا أكثر الناس في عقائدهم. فعدم الماء في حق هذا الحاضر هو عدم الأمان على نفسه أن يوقعه النظر في شبهة تخرجه عن الإيمان.

* * *

باب

في الذي يجد الماء ويمنعه من الخروج إليه خوف عدو

اختلف العلماء فيمن هذه حالته. فمن قائل: يجوز له التيمم، وبه أقول. ومن قائل: لا يتيمم.

[الكهف : 104]

2 ص 122 ب

3 ص 123

وصل: اعتباره في الباطن:

الخوف من البحث عن الدليل، لينظر فيه ليؤدّيه إلى العلم بالمدلول، تجلّ بعين الدليل أنه دليل، فلا بدّ من أحد أمرين:

إمّا أن يقلّد أحدا في أن هذا دليل على أمر ما يعينه له، أو يفتقر إلى نظر وفكر¹ فيما ينبغي أن يتخذه دليلا على معرفة الله. فإن كان الأول فليبق على تقليده في معرفة الله، وهو الذي يقال له: تيمم. ومن قال: لا يجوز له التيمم، قال: إن هذا الخوف لا يلزمه أن لا ينظر؛ فلينظر ولا بدّ.

* * *

باب

الخائف من البرد في استعمال الماء

اختلف العلماء فيمن هذه حاله. فمن قائل بجواز التيمم إذا غلب على طنه أنه يمرض إن استعمل الماء. ومن قائل: لا يجوز له التيمم، وبالأول أقول.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

الصوفي ابن وقته؛ فإن كان وقته الصحة فهو غير مريض أو غير شديد المرض فلا يتيمم، فإن الوهم لا ينبغي (أن) يقتضي على العلم. والخوف هنا قد يكون وهما، فلا يبقى مع تقليده، ولينظر في الأدلة ولا بدّ. ومن قال: لا يجوز له التيمم، وإن كان وقته الخوف، فليس بصحيح، فإن الخوف علة وممرض، فليبق على تقليده ولا بدّ.

* * *

باب

النية في طهارة التيمم

اختلف² العلماء في النية في طهارة التيمم. فمن قائل: إنها تحتاج إلى نية، ومن قائل: لا تحتاج إلى نية. وبالأول أقول. فإن الله قال لنا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾³ والتيمم عبادة، والإخلاص عين النية.

1 ص 123 ب

2 ص 124

3 [البينة : 5]

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

إذا كان العقد عن علم ضروري، أو عن حسن ظن بعالم أو بوالد فلا يحتاج إلى نية. فإن شرط النية أن توجد منه عند الشروع في الفعل، مقارنة للشروع. ومن كانت عقيدته بهذه المثابة فما هو صاحب فعل حتى يفتقر إلى نية. فإن إرادة الحق تعالى - الذي هو الخالق لذلك الفعل كافية في الباب. فإنه لا يوجد شيئاً إلا عن تعلق إرادة منه سبحانه - لإيجاده، ولا يكونه إلا بها. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾¹. وهذا فعل يوجد في العبد، فلا بد من حكم ما ذكر فيه. فكان مذهب زفر² في هذه المسألة أوجه في باطن الأمر من مذهب الجماعة، إلا أن يكون كافراً أسلم، فهذا يفتقر إلى نية، لأنه ما استصحبه شيء من القرينة إلى الله بهذا الشرع الخاص المستقضى إسلاماً، ولا كان عنده قبل إسلامه، بل كان يرى أن ذلك كفر، والدخول فيه يُعَدُّ عن الله.

باب³

من لم يجد الماء؛ هل يُشترط فيه الطلب، أم لا يشترط؟

اختلف العلماء فمن هذه صفتة. فمن قائل: يُشترط الطلب ولا بد؛ ومن قائل: لا يُشترط الطلب، وبه أقول.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

لا يلزم المقلد البحث عن دليل من قلد في الفروع ولا في الأصول، وإنما الذي يتعين على المقلد إذا لم يعلم السؤال عن الحكم في الواقعة، لمن يعلم أنه يعلم من أهل الذكر فينتبه. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁴ ومن رأى أنه يُشترط طلب الماء، فهو الذي يطلب من المستول دليله على ما افتاه به في مسألته؛ هل هو من الكتاب أو السنة؟ أو يطلب منه أن يقول له: هذا حكم الله أو حكم رسوله؟ أخذ به. وإن قال له: "هذا رأيي" كما يقول أصحاب الرأي في كتبهم، فإنه يحرم عليه اتباعه فيه؛ فإن الله ما تعبد إلا بما شرع له في كتاب أو سنة، وما تعبد الله أحدا برأي أحد.

[النحل : 40]

2 زفر بن الهذيل العنبري الفقيه صاحب أبي حنيفة، (ت 158هـ). وكان ثقة في الحديث، موصوفاً بالعبادة. نزل البصرة وتفتها عليه.

العبر في خبر من غير - (1 / 42)

3 ص 124 ب

4 [النحل : 43]

باب

اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة

اختلف¹ أهل العلم في اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة. فمن قائل به، وبه أقول. ومن قائل بعدم هذا الشرط فيها.

وصل: اعتباره في الباطن:

الوقت هو عندنا إذا تعين، تعلق خطاب الشرع بالمكلف، فيما كلفه به ظاهراً وباطناً. فهو في الباطن محلّ الهيّ يرد على القلب فجأة، يستقضى "الهجوم" في الطريق.

باب

في حدّ الأيدي التي ذكر الله ﷻ في هذه الطهارة

فإن الله يقول: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾² فاختلف أهل العلم رضوان الله عليهم - في حدّ الأيدي في هذه الطهارة. فمن قائل: حدّها مثل حدّها في الوضوء. ومن قائل: هو مسح الكف فقط. ومن قائل: إن الاستحباب إلى المرفقين، والفرص الكفان. ومن قائل: إن الفرض إلى المناكب. والذي أقول به: إن أقل ما يستقضى يدا في لغة العرب يجب، فما زاد على أقل مستقضى اليد إلى غايته فذلك له، وهو مستحبّ عندي.

وصل³: اعتبار الباطن في ذلك:

لما كان التراب والأرض أصل نشأة الإنسان، وهو تحقيق عبوديته وذلته، ثم عرض له عارض الدعوى بكون الرسول قال فيه ﷺ: «إنه مخلوق على الصورة» وذلك عندنا لاستعداده الذي خلقه الله عليه؛ من قبوله للمخلوق بالأساء الإلهية على ما تعطيه حقيقته. فإن في مفهوم الصورة والضمير خلافاً⁴. فما هو نص في الباب. فاعتز (الإنسان) لهذه النسبة وعلا وتكبر، فأمر بطهارة نفسه من هذا التكبر، بالأرض وبالتراب، وهو حقيقة⁵ عبوديته. فتطهر بنظره في أصل خلقه؛ ثم خلق؟

1 ص 125

2 [المائدة : 6]

3 ص 125 ب

4 ق: خلاف

5 حروفها المعجمة في ق مملّة وفيها زيادة ويمكن قراءتها: حقيقية، حقيقته

كما قال تعالى- فيمن هذه صفته، في معرض الدواء لهذا الحاطر الذي أورثه التكبر: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾¹ وهم البنون، ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾² وهو الماء المهيّن. فإنه من جملة ما ادّعه الاقتدار والعتاء، وهو مجبول على العجز والبخل. وهذه الصفات من صفات الأيدي، فقليل له عند هذه الدّعوى، ورؤية نفسه في الاقتدار الظاهر منه والجود والكرم والعتاء: طهر نفسك من هذه الصفات بنظرك (إلى) ما مجئلت عليه من الضعف والبخل. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾³ وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾⁴ وإذا⁵ نظر في هذا الأصل زكّت نفسه وتطهر من الدّعوى.

باب

في عدد الضربات على الصعيد للمتيّم

اختلف العلماء في عدد الضربات على الصعيد للمتيّم. فمن قائل: واحدة. ومن قائل: اثنتين. والذين قالوا اثنتين، منهم من قال: ضربة للوجه وضربة لليدين، ومنهم من قال: ضربتان لليدين وضربتان للوجه. ومذهبنا: من ضرب واحدة أجزأت عنه، ومن ضرب اثنتين لا جناح عليه. وحديث الضربة الواحدة أثبت؛ فهو أحب إلي.

وصل: اعتبار الباطن في ذلك:

التوجه إلى ما تكون به هذه الطهارة؛ فمن غلب التوحيد في الأفعال قال بالضربة الواحدة، ومن غلب حكمة السبب الذي وضعه الله، ونسب سبحانه- الفعل إليه، مع تعريضه عنه، مثل قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁶ فأثبت وشي؛ قال بالضربتين. ومن رأى ذلك في كلّ فعل؛ قال بالضربتين لكلّ عضو، والله أعلم.

باب

في إيصال التراب إلى أعضاء المتيمّم

اختلف العلماء في ذلك. فمن قائل بوجوبه، ومن قائل بأنه لا يجب، وإنما يجب إيصال اليد إلى

1 [الطاريق : 5]

2 [الطاريق : 6]

3 [الحشر : 9]

4 [المعارج : 21]

5 ص 126

6 [الصفافات : 96]

7 ص 126 ب

عضو المتيمّم بعد ضربه الأرض بيده أو التراب. والظاهر الإيصال لقوله: ﴿مِنْهُ﴾.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

إذا قلنا بتطهير النفس بالذلة التي هي أصلها، من العزة التي ادّعتها حين اكتسبتها، لم يجب الإيصال. فإنّ الذلة لو قلناها إلى محلّ العزة، لامتنع حصول الذلة في ذلك المحلّ. لأنّ الذي في المحلّ أقوى في الدفع من الذي جاء يذهب. ولو شاركه في المحلّ لاجتمع الضدان، ولم يكن أحدهما أولى بالإزالة من الآخر.

وإنما الصحيح في ذلك؛ أنّ النفس مصروفة الوجه إلى حضرة العزّ، فاكستت من نور العزة ما أداها إلى ما ادّعته، فقليل لها: اصرف وجهك إلى ذلك وضعفك الذي خلقت منه، فإن بقيت عليك أنوار¹ هذه العزة، فأنت أنت. فقام عندها أنّه ربما يبقى عليها ذلك. فلما صرفت وجهها إلى ذلتها وضعفها، زالت عنها أنوار العزة بالذات، فافتقرت إلى بارئها وذلك تحت سلطانه. فلها قال من قال: إنّ لا يجب إيصال التراب إلى عضو التيمّم. ومن قال: إنّ كلمة "من" هنا للتبويض، وإنّه لا بدّ من إيصال التراب إلى العضو، قال: إنّ الصفة لا تقوم بنفسها، فلا بدّ لها من تقوم به، وليس إلّا حقيقة الإنسان. فلا بدّ أن تكون صفته الذلة، وحينئذ تصحّ طهارته، وهو قول من يقول بوجوب إيصال التراب إلى عضو التيمّم.

باب

فيما تصنع به هذه الطهارة

اختلف العلماء (بالتيمّم) فيما عدا التراب. فمن قائل: لا يجوز التيمّم إلّا بالتراب الخالص، ومن قائل: يجوز بكلّ ما صعد على وجه الأرض؛ من رمل وحصى وتراب. ومن قائل بمثل هذا، وزاد: وما تولّد من الأرض من نورة وزرنيخ وجصّ وطين ورخام. ومن قائل باشتراط كون التراب على وجه الأرض. ومن² قائل بغبار الثوب واللّين. وأمّا مذهبنا: فإنّه يجوز التيمّم بكلّ ما يكون في الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض، فإذا فارق الأرض لم يجز من ذلك إلّا التراب خاصّة.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

قد تقدّم؛ إنّ قد زال عنه بالانتقال اسم الأرض، وسمي زرينخا أو حجرا أو رملا أو ترابا. ولما ورد النصّ باسم التراب في التيمّم، فوجدنا هذا الاسم يستصحب مع الأرض، ومع مفارقة الأرض، ولم نجد غيره كذلك. أوجبنا التيمّم بالتراب سواء فارق الأرض أو لم يفارق. والأحكام الشرعيّة تابعة للأسماء والأحوال، وينتقل الحكم بانتقال الاسم أو الحال.

1 ص 127

2 ص 127 ب

اتفق العلماء عليهم السلام أنه ينقضها كل ما ينقض الوضوء والطهر، واختلفوا في أمرين: الأمر الواحد إذا أراد المتيّم صلاة مفروضة بالتيّم الذي صلى به غيرها. فمن قائل: إن إرادة الصلاة الثانية تنقضها، ومن قائل: لا تنقضها، وبه أقول. والأوّل عندني أن يتيّم، ولا بدّ. لأنّ مذهبنا أنّ التيمّم ليس¹ بدلا من الوضوء، وإنما هو طهارة أخرى عيّنها الشارع بشرط خاص لا على جهة البديل. وقد قلنا: إنّ الحكم يتبع الحال، وينتقل الحكم بانتقال الأحوال والأساء.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

كما لا يتكرر التجلي، كذلك لا تتكرر هذه الطهارة. بل لكلّ تجلّ طهارة، فلكلّ صلاة تيمّم. ومن نظر إلى التجلي نفسه، من حيث ما هو تجلّ، لا من حيث ما هو تجلّ في كذا، قال: يصلي بالتيّم الواحد ما شاء، كالمتموضّ لا فرق. وهو قولنا:

حَتَّى بَدَتْ لِلْعَيْنِ سُبْحَةُ وَجْهِهِ
وإِلَى هَلْمٍ لَمْ تَكُنْ إِلَّا هِي

فمن قائل: إنّ وجود الماء ينقضها، ومن قائل: إنّ الناقض لها هو الحدث.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

قلنا: المقلّد يقوم له دليل في مسألة خاصّة من الإلهيات، يناقض ما أعطاه تقليده للشرع، لا يخرج به ذلك الدليل عن تقليده، وإنما² يخرج به عن تقليده دليل العقل، الذي ثبت به الشرع عنده، لا هذا الدليل الخاص. فأظهر له نفس الحدث فيما كان يعتقد في تقليده في تلك المسألة. فيعلم لذلك أنّ الشارع لم يكن مقصوده هذا الظاهر في هذه المسألة. تبيّه على ذلك وجود هذا الدليل الطارئ الذي هو بمنزلة وجود الماء، فهكذا هي المسألة إذا حقّقتها.

اختلف العلماء عليهم السلام هل يستباح بها أكثر من صلاة واحدة فقط؟ فمن قائل: يستباح، وهو مذهبنا. والأوّل عندنا أنه لا يُستباح، ومن قائل: لا يستباح على خلافٍ يتفرّع في ذلك.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

قد تقدّم في تكرار التجلي. وقد انتهى الكلام في أمّهات مسائل التيمّم على الإيجاز والاختصار. وما ذهب إليه العلماء في ذلك «وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ»¹.

أبواب² الطهارة من النجس

اعلم أنّ الطهارة طهارتان. طهارة غير معقولة المعنى، وهي الطهارة من الحدث المانع من الصلاة. وطهارة من النجس، وهي معقولة المعنى، فإنّ معناها النظافة. وهل هي شرط في صحّة الصلاة كطهارة الحدث من الحدث، أم هي غير شرط؟ فمن قائل: إنّ الطهارة من النجس فرض مطلق، وليست شرطا في صحّة الصلاة. ومن قائل: إنّها واجبة كالطهارة من الحدث، التي هي شرط في صحّة الصلاة. ومن قائل: إنّها سنة مؤكّدة. ومن قائل: إنّ إزالتها فرض مع الذكر، ساقط مع النسيان.

وصل: اعتبار ذلك في الباطن:

اعلم أنّ الطهارة في طريقتنا طهارتان: طهارة غير معقولة المعنى، وهي الطهارة من الحدث. والحدث³ وصفت نفسي للعبد.

فكيف يمكن أن يتطهر الشيء من حقيقته؟ فإنّه لو تطهر من حقيقته، انتفت عيئه، وإذا انتفت عيئه، فمن يكون مكلفا بالعبادة؟ وما ثمّ إلا الله؟ فلهذا قلنا: إنّ الطهارة من الحدث غير معقولة المعنى⁴. فصورة الطهارة من الحدث عندنا: أن يكون الحقّ سمعك وبصرك وكلّك في جميع عباداتك. فأثبتك ونفّاك. فتكون أنت من حيث ذاتك، ويكون هو من حيث تصرفاتك وإدراكاتك.

1 [الأحزاب : 4]

2 ص 129

3 ثابتة في الهامش

4 ص 129 ب

فأنت مكلف من حيث وجود عينك، محل للخطاب. وهو العامل بك، من حيث أنه لا فعل لك. إذ الحدث لا أثر له في عين الفعل، ولكن له حكم في الفعل. إذ كان ما كلفه الحق من حركة وسكون، لا يعمل الحق إلا بوجود المتحرك والساكن. إذ ليس، إذا لم يكن العبد موجودا، إلا الحق، والحق تعالى عن الحركة والسكون، أو يكون محلا لتأثيره في نفسه، فلا بد من حدوث العبد حتى يكون محلا لأثر الحق.

فمن كونه حدثا، وجبت الطهارة على العبد منه. فإن الصلاة التي هي عين الفعل الظاهر فيه، لا يصح أن تكون منه، لأنه لا أثر له. بل هو سبب من حيث عينيته، لظهور الأثر الإلهي فيه. فبالطهارة من نظر الفعل لحدثه صحت الأفعال أنها لغيره، مع وجود العين لصحة الفعل الذي لا تقبله ذات الحق.

وليست هكذا الطهارة من النجس؛ فإن النجس هو سفساف الأخلاق، وهي معقولة المعنى. فإنها النظافة. فالطهارة¹ من النجاسات، هي الطهارة بمكارم الأخلاق، وإزالة سفسافها من النفوس. فهي طهارة النفوس. وسواء قصدت بذلك العبادة أو لم تقصد. فإن قصدت العبادة، ففضل على فضل، ونور على نور. وإن لم تقصد فضلا لا غير. فإن مكارم الأخلاق مطلوبة لذاتها. وأعلى منزلتها استعمالها عبادة بالطهارة من النجاسات. وإزالة النجاسات من النفوس، التي قلنا، هي الأخلاق المذمومة، فرض عندنا، ما هي شرط في صحة العبادة. فإن الله قد جعلها عبادة مستقلة مطلوبة لذاتها، فهي كسائر الواجبات؛ فرض مع الذكر، ساقطة مع النسيان. فمتى ما تذكرها وجبت. كالصلاة المفروضة. قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾² ثم نذكر الكلام في الأحكام المتعلقة بأعيانها فنقول:

بَابُ

فِي تَعْدَادِ أَنْوَاعِ النِّجَاسَاتِ

اتفق العلماء من أعيانها على أربع: على ميتة الحيوان ذي الدم، الذي ليس بمائي. وعلى لحم الخنزير بأي سبب اتفق أن تذهب حياته. وعلى الدم نفسه من الحيوان الذي ليس بمائي، انفصل من الحي أو من الميت، إذا كان مسفوحا، أعني كثيرا. وعلى³ بول ابن آدم ورجيعه، إلا الرضيع. واختلفوا في غير ذلك.

وصل: اعتبار الباطن في ميتة الحيوان ذي الدم البري:

اعلم أن الموت موتان: موت أصلي لا عن حياة متقدمة، في الموصوف بالموت، وهو قوله تعالى:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْوتًا﴾ فهذا هو الموت الأصلي، وهو العدم الذي للمكن. إذ كان معلوم العين لله، ولا وجود له في نفسه. ثم قال تعالى: ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾. وموت عارض، وهو الذي يطرأ على الحي، فيزيل حياته، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾¹.

وهذا الموت العارض هو المطلوب في هذه المسألة. ثم زاد وصفا آخر؛ فقال: ذي الدم الذي له دم سائل. يقول: أي الحيوان الذي له روح سائل، أي سار في جميع أجزائه، لا يريد من هي حياته عين نفسه التي هي لجميع الموجودات. ثم زاد وصفا آخر، فقال: "الذي ليس بمائي" يريد الحيوان البري، أي الذي في البر، ما هو حيوان البحر. إذ البحر عبارة عن العلم.

فيقول: لا أريد بالحيوان الموجود في علم الله، فإن في ذلك يقع الخلاف. وإنما أريد الحيوان الذي ظهرت عينه، وكانت حياته بالهواء. فهذه الشروط كلها ثبتت² نجاسته بلا خلاف. فإذا زال شرط منها؛ لم يكن المطلوب بالاتفاق.

فإذا كانت حياة العبد عارضة لا ذاتية، فينبغي أن لا يزهو بها ولا يدعي. فلما ادعى وقال: "أنا" وغاب عن شهود من أحياء؛ عرض له الموت العارض؛ أي هذا أصلك. فردّه إلى أصله، ولكن غير طاهر بسبب الدعوى، ونسيان من أحياء. ثم إننا نظرنا في السبب الموجب لهذه الدعوى، قال: "كونه بريّا" فقلنا: ما معنى كونه بريّا؟ فقال: "حياته من الهواء". فعلمنا أن الهوى هو الذي أراده. كما قال تعالى: ﴿وَتَمْنَى النَّفْسُ غَنَ الْهَوَى﴾³ فكل متردد بين هوائين لا بد من هلاكه، كما قال صاحبنا أبو زيد عبد الرحمن الفازري⁴ رحمه الله:-

هَوَى صَحِيحٌ وَهَوَاءٌ غَلِيْلٌ
صَلَاحٌ خَالِي بِهَمًا مُسْتَحِيلٌ

أنشدنيها لنفسه بتلمسان سنة تسعين وخمسة. فكل عيد اجتمعت فيه هذه الشروط، اتفق العلماء على أنه نجس.

وأما اعتبار لحم الخنزير؛ فإن لحمه مسرى الحياة الدائمة. فإن اللحم دم جامد. وصفة الخنزيرة؛ وهي التولع بالقاذورات التي تستخبها النفوس؛ وهي مذام الأخلاق، إذا ذهب الحياة⁵ من ذلك اللحم كان

1 [البقرة: 28]

2 ص 131

3 [النازعات: 40]

4 الفازري (ت 627هـ): نزيل تلمسان، شاعر، له اشتغال بعلم الكلام والفقه، كان شديدا على المبتدعة، استكتبه بعض أمراء وقته ولد بقرطبة ومات بمراكش. له: "العشرات" في المنايا النبوية، والوسائل المتقلبة.

5 ص 131 ب

نجسا. وذلك إذا اتفق أن يكون صاحب الخلق المذموم يغيب عن حكم الشرع فيه، الذي هو روحه، كان في حقه ميتة.

قال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ فقال: مثلها، ولم يقيد من وجه كذا. فألحقها بمذام الأخلاق. ثم قال فبين لم يفعلها: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾¹ فنبه على أن ترك الجزاء على السيئة من مكارم الأخلاق. ولهذا قلنا: بأي شيء ذهب حياته (= حياة الخنزير) إذ كانت التذكية لا تؤثر فيه طهارة.

وقد قال رسول الله ﷺ في الرجل الذي طلب القصاص من قاتل من هو وليه. «فطلب منه رسول الله ﷺ أن يعفو عنه أو يقبل الدية فأبى. فقال: خذه. فأخذه. فلما قفى؛ قال رسول الله ﷺ: أما إنه إن قتله كان مثله» يريد قوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾. فبلغ ذلك القول الرجل، فرجع إلى النبي ﷺ، وخلق عن قتله. وبنيني على هذا مسألة القبح والحسن، وهي مسألة كبيرة خاض الناس فيها، وليس هذا الباب موضع الكشف عن حقيقة ذلك، وإن كنا قد ذكرناها في هذا الكتاب.

والثالث من النجاسات المتفق عليها، الدم نفسه² من الحيوان البري، إذا انفصل عن الحي أو عن الميت، وكان كثيرا، أعنى بحيث أن يتفاحش. فقد أعلمناك أن الحيوان البري هو العين الموجودة لنفسها، ما هي الموجودة في علم الله، كحيوان البحر، وإن حياتها بالهواء، وأن الدم هو الأصل الذي يخرج من حرارته ذلك البخار الذي تكون منه حياة ذلك الحيوان، وهو الروح الحيواني. فلما كان الدم أصلا في هذه النجاسة، كان هو أولى بحكم النجاسة، مما تولد عنه.

فالذي أورث العبد الدعوى هو العزة، التي فطر الإنسان عليها؛ حيث كان مجموع العالم، ومضاهيا لجميع الموجودات على الإطلاق. فلما غاب عن العناية الإلهية به في ذلك، والموت الأصلي الذي تبه الله عليه في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْْوَآثًا﴾³ وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾⁴ وقوله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾⁵ لذلك اتفق العلماء على نجاسته إذا تفاحش، أي كثرت منه الغفلة عن هذا المقام. فإن لم يتفاحش؛ لم يقع عليه الاتفاق في هذا الحكم.

الرابع: بول ابن آدم ورجيعه. اعتباره: اعلم أنه من شرف مرتبته، وعلث منزلته، كبرث صغيرته. ومن

كان وضع المنزلة، خسيس المرتبة؛ صغرث كبرته. والإنسان¹ شريف المنزلة، رفيع المرتبة، نائب الحق، ومعلم الملائكة. فينبغي أن يظهر من عاشره، ويقدس من خالطه. فلما غفل عن حقيقته، اشتغل بطبيعته، فصاحبته الأشياء الطاهرة: من المشارب والمطاعم؛ أخذ طبيعتها بطبيعته لا بحقيقته، وأخرج خبيثها بطبيعته لا بحقيقته. فكان طبيعتها نجسا وهو الدم، وكان خبيثها نجسا وهو البول والرجيع. وكان الأولى أن لا يكسبه خبث الروائح، فإنه من عالم الأنفاس. فكانت نجاسته من حيث طبيعته، وكذلك هي من كل حيوان.

غير أن حقائق الحيوانات وأرواحها ليست في علو الشرف والمنزلة مثل حقيقة الإنسان، فكانت زلته كبيرة. فاتفقوا بلا خلاف على نجاسته من مثل هذا، واختلفوا في سائر أبوال الحيوانات ورجيعها، وإن كان الكل من الطبيعة. فمن راعى الطبيعة قال بنجاسة الكل، ومن راعى منزلة الشرف والاحتياط قال بنجاسة بول الإنسان ورجيعه. ولم ينف عنه لعظم منزلته، وعفا عن هو دونه من الحيوانات. فقد أبنت لك عن سبب الاتفاق والاختلاف.

والحمد لله ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾².

باب³

في ميتة الحيوان الذي لا دم له، وفي ميتة الحيوان البحري

اختلف العلماء في هاتين الميتتين. فمن قائل: إنها طاهرة، وبه أقول. ومن قائل بطهارة ميتة البحر، ونجاسة ميتة البر التي لا دم لها، إلا ما وقع الاتفاق على طهارتها، لكونها ليست ميتة. كدود الخلل، وما يتولد في المطعومات. ومن قائل بنجاسة ميتة البر والبحر إلا ما لا دم له.

وصل: اعتباره في الباطن:

قد أعلمناك فيما تقدم أنفا من هذه الطهارة، اعتبار الدم: فمن قائل بطهارة ميتة الحيوان الذي لا دم له، فهو البراءة من الدعوى. لأن الحياة المتولدة من الدم فيها تقع الدعوى، لا في الحياة التي لجميع الموجودات، التي يكون بها التسبيح لله بحمده. فإن تلك الحياة طاهرة على الأصل؛ لأنها عن الله، من غير سبب يحجبها عن الله. ومن قال بطهارة ميتة البحر، وإن كان ذا دم، فإنه في علم الله؛ ولا حكم على الأشياء في

1 [الشورى : 40]

2 ص 132

3 [البقرة : 28]

4 [مريم : 9]

5 [الإنسان : 1]

1 ص 132 ب

2 [الأحراب : 4]

3 ص 133

علم الله، وإنما تتعلّق بها الأحكام إذا ظهرت في أعيانها، وهو بروزها¹ من العلم إلى الوجود الحسيّ. وعلى مثل هذا تعتبر بقيّة ما اختلفوا فيه من ذلك في هذه المسألة.

انتهى الجزء الرابع والثلاثون، يتلوه في الجزء الخامس والثلاثين.²

الجزء الخامس والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

باب

الحكم في أجزاء ما اتفقوا عليه أنّه ميتة

اختلف العلماء عليه السلام في أجزاء ما اتفقوا عليه أنّه ميتة، مع اتفاقهم على أنّ اللحم من أجزاء الميتة ميتة. وقد بيّنا اعتبار اللحم في لحم الخنزير، واختلفوا في العظام والشعر. فمن قائل: إنّها ميتة. ومن قائل: إنّها ليست بميتة، وبه أقول. ومن قائل: إنّ العظم ميتة وإنّ الشعر ليس بميتة.

وَصُلِّ: اعتبار الباطن في ذلك:

لَمَّا كَانَ الموتُ المعتبر في هذه المسألة، هو الطارئ المزيل للحياة التي كانت في هذا الحلق. نظرنا إلى مسمّي الحياة؛ فمن جعل الحياة: "النمّو" قال إنّها ميتة، ومن جعل الحياة: "الإحساس" قال إنّها ليست بميتة، ومن فرق، قال: إنّ العظم يُحسّ فهو ميتة، والشعر³ لا يُحسّ فليس بميتة. فمن رأى نمّوه بالغذاء، وجسّه بالروح الحيواني، فهما ميتة، سواء عبّر بالحياة عن النمّو أو عن الحسّ. ومن كان يرى نمّوه برّيه لا بالغذاء، وإدراكه المحسوسات برّيه لا بالحواسّ، ولم يلتفت إلى الوساطة، لفناؤه بشهود الأصل، الذي هو خالقه وإن رأى أنّ الحقّ سمّعه وبصره، وهو عين حسّه - لم يصحّ عنده أنّه ميتة أصلاً. وسواء كانت الحياة عبارة عن النمّو أو عن الحسّ.

باب

الانتفاع بجلود الميتة

فمن قائل بالانتفاع بها أصلاً، دُبِغَتْ أو لم تُدبغ. ومن قائل بالفرق بين أن تُدبغ وبين أن لا تُدبغ. وفي طهارتها خلاف: فمن قائل: إنّ الدباغ مطهّر لها. ومن قائل: إنّ الدباغ لا يطهرها، ولكن تُستعمل في اليابسات. ثمّ إنّ الذين ذهبوا إلى أنّ الدباغ مطهّر، اتفقوا على أنّه مطهّر لما تعمل فيه الذكاة، يعني المباح الأكل من الحيوان.

1 العنوان ص 134ب، وهنا ص 134 بيضاء

2 بالبسملة ص 135

3 ص 135ب

1 ص 133ب
2 أسفل الورقة: "سمع من البلاغ بخط القارئ في الجزء الذي قبله إلى هنا على مصنفه الإمام العالم العارف محي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي: ابنا المصنف أبو المعالي وأبو سعد محمد، وإسماعيل بن سودكين الثوري. وابن اخته يوسف بن درباس الحميدي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناء عبد الواحد وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، والحسين بن إبراهيم الأربلي، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وضمر الله بن أبي العز بن الصغار، وعلي بن عز العرب بن قرشلة، وموسى بن زيد بن جابر، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنلسي، ويونس بن عثمان الدمشقي، ويعقوب بن معاذ الوري، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وأحمد بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم الحنفيون - وأحمد النلسي، ونعيم بن إسماعيل الملقط، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، وحسين بن محمد الموصلي، وإبراهيم بن محمد بن محمد بن جمعة القرشيان - وإبراهيم بن أبي بكر الخلال، وحسين بن الطوباء الأفضلي - يعرف بالرسولي - وإبراهيم بن علي السنجاري، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وكتب السماع إبراهيم عمر بن عبد العزيز القرشي - عفا الله عنه - وذلك في السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلث وللاثنين وسبعمائة بمنزل المصنف بدمشق وضع وثبت."

واختلفوا فيما لا تعمل فيه الذكاة: فمن قائل: إنَّ الدِّبَاغَ¹ لا يطهر إلا ما تعمل فيه الذكاة فقط، وإنَّ الدِّبَاغَ بدلًا من الذكاة في إفادة الطهارة. ومن قائل: إنَّ الدِّبَاغَ يعمل في طهارة ميتات الحيوانات ما عدا الخنزير. ومن قائل بأنَّ الدِّبَاغَ يطهر جميع ميتات الحيوان؛ الخنزير وغيره.

والذي أذهب إليه وأقول به: إنَّ الانتفاع جائز بجلود الميتات كلها، وإنَّ الدِّبَاغَ يطهرها كلها، لا أحاشي شيئًا من ميتات الحيوان.

وصل: الاعتبار في ذلك في الباطن:

قد عرفت أنك مسمى الميتة، فالانتفاع لا يحرم بجلدها، وهو استعمال الظاهر. فمن أخذ في الأحكام بالظاهر، من غير تأويل، ولا عدول عن ظاهر الحكم الذي يدل عليه اللفظ، فلا مانع له من ذلك. ولا حجة علينا لمن يقول بما تدل عليه بعض الألفاظ من التشبيه. فنقول: ما وقفت مع الظاهر، فإنه ما جاء الظاهر بالتشبيه، لأنَّ المثل وكاف الصفة ليست في الظاهر، فما ذلك الخطأ في المسألة إلا من التأويل. واللفظ إذ كان بهذه النسبة مع اللفظ الصريح² الذي لا يحتمل التأويل، كان إذا قرنته به بمنزلة الميتة من الحي. فلما لم نجد من الشارع مانعًا من الانتفاع؛ بقيت على الأصل، وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾³ ولم يفصل طاهرا من غير طاهر. فلا نحكم بطهارته، وإن انتفعنا به، إلا إذا دبغ: فهو، إذ ذاك، طاهر.

واعتباره: أنَّ اللفظ الوارد من الشارع المحتمل، فنحكم بظاهره ولا نقطع به أنَّ ذلك هو المراد. فإذا اتفق أن نجد نصًّا آخر في ذلك المحكوم به، يرفع الاحتمال الذي أعطاه ذلك اللفظ الآخر، طهر ذلك اللفظ الأول من ذلك الاحتمال، وكان له هذا الخبر الثاني، كالدِّبَاغَ لهذا الجلد. فجمعنا بين الطهارة له في نفسه، وهو صرفه بالخبر الثاني، إلى أحد محتملاته على القطع، وانتفعنا به، مثل ما كنا ننتفع به قبل أن يكون طاهرا من حيث انتفاعنا به (مطلقا)، لا من حيث انتفاعنا به من وجه خاص. فإنه قد يكون ذلك الخبر يصرفه عن الظاهر الذي كنا نستعمله فيه، إلى أمر آخر من محتملاته. فلها قلنا: "من حيث ما هو منتفع به، لا من حيث ما هو منتفع به في وجه خاص"، إذ كان غيرنا لا يرى الانتفاع به أصلا.

1 ص 136
2 ص 136 ب
3 [البقرة: 29]
4 ص 137

باب

في دم الحيوان البحري، وفي القليل من دم الحيوان البري

اختلف العلماء¹ في دم الحيوان البحري، وفي القليل من دم الحيوان البري. فمن قائل: دم السمك طاهر. ومن قائل: إنه نجس على أصل الدماء. ومن قائل: إنَّ القليل من الدماء والكثير واحد في الحكم. ومن قائل: إنَّ القليل معفو عنه.

والذي أذهب إليه: أنَّ التحريم ينسحب على كل دم مسفوح، من أي حيوان كان، ويحرم أكله. وأما كونه نجاسة فلا أحكم بنجاسة المحرمات، إلا أن ينص الشارع على نجاستها على الإطلاق، أو تقف على القدر الذي نص على نجاسته.

وليس النص بالاجتناب نصًّا في كل حال. فيفتقر إلى قرينة ولا بد. فما كل محرم نجس، وإنَّ اجتنابه. فما اجتنابه لنجاسته، فإنَّ كونه نجاسة حكم شرعي. وقد يكون غير مستقدر عقلا ولا مستحبث.

وصل: اعتباره في الباطن:

الحكم على الشيء الذي يقتضيه لنفسه، لا يشترط فيه وجود عينه، ولا تقدير وجود عينه. فسواء كان معدوم العين أو موجودا؛ الحكم فيه على السواء، سواء كان بطهارته أو عدم طهارته. فلا يؤثر فيه كونه في علم الله، أو كونه موجودا في عينه.

ألا ترى إلى الممكن قد رجح المرجح وجوده على عدمه، أو عدمه على وجوده؟ ومع ذلك ما زال عن حكم الإمكان عليه. وإنَّ الإمكان واجب له لذاته، كما أنَّ الإحالة للمحال واجبة له لذاته، كما أنَّ الوجوب للواجب واجب له لذاته. فينسحب معقول الوجوب على الواجب لنفسه. وكذلك حكم الممكن والمحال لا يتغير حكمه، وإن اختلفت المراتب.

باب

حكم أبوال الحيوانات كلها²، وبول الرضيع من الإنسان

اختلف أهل العلم في أبوال الحيوانات كلها وأروائها، ما عدا الإنسان، إلا بول الرضيع. فمن قائل: إنها كلها نجسة، ومن قائل بطهارتها كلها على الإطلاق، ومن قائل: إنَّ حكمها حكم لحومها؛ فما كان منها أكله

1 ص 137 ب
2 ص 138

حلالا، كان بولُه وروثه طاهرا؛ وما كان منها أكله حراما، كان بولُه وروثه نجسا؛ وما كان منها لحمه مكروها أكله، كان بولُه وروثه مكروها.

وصل: اعتباره في الباطن:

الطهارة في الأشياء أصل، والنجاسة أمر عارض. فنحن مع الأصل، ما لم يأت ذلك العارض، وهذا مذهبنا. فالعبد طاهر الأصل في عبوديته. لأنه مخلوق على النظرة؛ وهي الإقرار بالعبودية للرب سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ قَالِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَبَضَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ».

وكذلك العلم طاهر في تعلقه بمعلومه، فمهما عارض تحجيز من الحق، في أمر ما وعلم ما، وقفنا عنده. وكذلك الحياة لذاتها طاهرة مطهرة. وكل ما سوى الله حي، فكل ما سوى الله طاهر بالأصل، فباسمه القدوس خلق العالم كله.

وإنما قلنا: "كل ما سوى الله حي"، فإنه ما من شيء -والشيء أنكر النكرات- إلا وهو يسبح بحمد الله. ولا يكون التسبيح إلا من حي. وإن كان الله قد أخذ بأسماعنا عن تسبيح الجمادات والنبات والحيوان الذي لا يعقل، كما أخذ بأبصارنا عن إدراك حياة الجماد والنبات، إلا لمن خرق الله له العادة، كرسول الله ﷺ ومن حضر من أصحابه حين أسمعه الله تسبيح الحصى. فما كان خرق العادة في تسبيح الحصى، وإنما انخرقت العادة في تعلق أسماعهم به. وقد سمعنا بحمد الله في بدء أمرنا تسبيح حجر، ونطقه بذكر الله.

فمن الموجودات ما هو حي بجيانتين: حياة مدركة بالحس، وحياة غير مدركة بالحس. ومنها ما³ هو حي بحياة واحدة، غير مدركة بالحس عادة. ومنها ما هو حي بثلاثة أنواع من الحياة، وهو الإنسان خاصة؛ فإنه حي بالحياة الأصلية التي لا يدركها بالحس عادة؛ وهو أيضا حي بحياة روحه الحيواني، وهو الذي يكون به الحس؛ وهو حي أيضا بنفسه الناطقة.

فالعلم كله طاهر. فإن عارض له عارض إلهي يقال له: نجاسة؛ حكمنا بنجاسة ذلك المحل، على الحد المتدرج شرعا خاصة في عين تلك النسبة الخاصة. فالنجاسة في الأشياء عوارض نسبية. وأعظم النجاسات

1 ص 138 ب
2 [الأعراف: 172]
3 ص 139

الشرك بالله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾¹ فالشرك نجس العين، فإذا آمن فهو طاهر العين، أي عين الشرك وعين الإيمان، فافهم.

فإنه ما يصدر عن القدوس، إلا مقدس. ولذا قلنا في النجاسة: إنها عوارض نسبية. والنسب أمور عدمية. فلا أصل للنجاسة في العين. إذ الأعيان طاهرة بالأصل الظاهرة منه. وهنا أسرار لا يمكن ذكرها إلا شفافها لأهلها، فإن الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله. فمن فهم ما أشرنا إليه، فقد حصل على كنز عظيم، ينفع منه ما بقيت الدنيا والآخرة، أي إلى ما لا يتناهى² وجوده، والله المؤيد، معلم الإنسان البيان.

بَاب

حكم قليل النجاسات

اختلف أهل العلم في قليل النجاسات. فمن قائل: إن قليلها وكثيرها سواء، ومن قائل: إن قليلها معفو عنه. وهؤلاء اختلفوا في حد القليل. ومن قائل: إن القليل والكثير سواء إلا الدم. وقد تقدم الكلام في الدم.

وعندنا أن القليل والكثير سواء إلا ما لا يمكن الانفكاك عنه، ولا يعتبر في ذلك منع الصلاة بها أو وقوعها، فإن ذلك حكم آخر. والتفصيل في ذلك قد ورد في الشرع، فوقف عنده ولا يتعدى. فإنه لا يلزم من كونه نجاسة عدم صحة الصلاة بها. فقد يعفو الشرع عن بعض ذلك في موضع، وقد لا يعفو في موضع. وللاحوال في ذلك تأثير؛ فقد أزال رسول الله ﷺ نعله في الصلاة، من دم حَلَمَةٍ أصاب نعله، ولم يُطِلَّ صلاته، ولا أعاد ما صلى به.

وصل: اعتباره في الباطن:

أما³ اعتباره في الباطن فذم الأخلاق والجهالات، وإساءة الظنون في بعض المواطن، قليل ذلك وكثيره سواء، وفي ذلك حكايات وأقوال لأهل الله. والتفصيل الوارد في الخلاف في الطاهر، يعتبر بحسبه. فإنه قد تقدم في الفصول قبل هذا، كيف تؤخذ وجوه الاعتبار فيه في الباطن.

1 [التوبة: 28]
2 ص 139 ب
3 ص 140

باب حكم المني

اختلف علماء الشريعة في المني؛ هل هو طاهر، أو نجس؟ فمن قائل بطهارته، ومن قائل بنجاسته.

وصل: اعتباره في الباطن:

التكوين؛ منه طبيعي ومنه غير طبيعي، وبينهما فرقان؛ إن شئنا اعتبرنا وإن شئنا لم نعتبره. فإن التكوين الطبيعي لا فرق عندنا بينه وبين التكوين غير الطبيعي. فإن التكوين الطبيعي، من حيث الوجه الخاص المعلوم عند أهل الله، المنصوص عليه في القرآن؛ صادر عن حضرة التقديس والاسم القدوس، ومن¹ غير ذلك الوجه الخاص؛ فهو صادر عن مثله، وهو الذي أيضا نقول فيه: عالم الخلق وعالم الأمر.

فكل موجود، عند سبب مخلوق مما سوى الله، هو عالم الخلق. وكل ما لم يوجد، عند سبب مخلوق، فهو عالم الأمر. والكل على الحقيقة عالم الأمر. إلا أننا لا يمكننا رفع الأسباب من العالم، فإن الله قد وضعها، ولا سبيل إلى رفع ما وضعه الله.

فأقول: إنه من احتجب بنفسه عن ربه؛ فليس بطاهر. ولما كان خروج المني غالبا: يستغرق لذته الإنسان، بل الحيوان كله، حتى يفنى عن ربه، إلا عن حكم الخارج منه، وهو المني، كان المني غير طاهر. ولهذا أمرنا بالتطهير منه، التطهير العام لجميع أجزاء البدن، لأنه ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾². ومن راعى أن الحق ما تولى التكوين الطبيعي إلا به، حكم بطهارته، لأن الحال اختلف عليه. فإنه دم مقصور؛ قصرته المشاة، فتغير عن الدمية، فتغير الحكم وهو أولى. فالمني عندنا طاهر، إلا أن يخاطبه شيء نجس، لا يمكن تخليصه منه. حينئذ نحكم به أنه نجس، بما طرأ عليه. كما كان أصله وعينه دما. فلو بقي على صورته في أصله، من الدمية، إذا خرج: حكمنا بنجاسته شرعا.

باب³

في المحال التي تزل عنها النجاسة

أما المحال التي تزل عنها النجاسة شرعا، فهي ثلاثة: الثياب والأبدان؛ أبدان المكثفين، والمساجد.

1 ص 140 ب
2 [الطارق : 7]
3 ص 141

وصل: اعتباره في الباطن:

الثياب الباطنة الصفات؛ فإن لباس الباطن صفاته. يقول امرؤ القيس لعنيزة¹:

وإن كنت قد ساءت لك مني حليقة فسلني ثيابي من ثيابك تأسل

أراد ما لبسه من ثياب مودتها في قلبه. يقول الله: ﴿وَلْيَأْسُ الثَّقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾² وهو موجهٌ عندي لقرائن الأحوال، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ الثَّقَوَى﴾³ سواء، إن تقطعت لما أراد هنا بـ"الثقوى".

واعتبار الأبدان القلوب والأرواح، فاعلم. واعتبار المساجد مواطن المناجاة وأحوالها الإلهية.

باب⁴

في ذكر ما تزل به هذه النجاسات من هذه المحال

اتفق العلماء بالشريعة على أن الماء الطاهر المطهر يزيلها من هذه المحال الثلاثة. وعندنا: كل ما يزيل عنها فهو مزيل؛ من تراب وحجر⁵ ومائع. ويعتبر اللون في بقاء عينها، إن كانت ذا لون يدركه البصر. ولا يعتبر بقاء الرائحة مع ذهاب العين لعلم عندنا آخر.

وصل: الاعتبار في ذلك:

إن العلم الذي أنتجه التقوى، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾⁶ وقوله: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾⁷. فذلك العلم هو المزيل، المطهر هذه المحال الثلاثة التي ذكرناها. وهي في الباطن الصفات والقلوب والأحوال، التي قلنا: إنها الثياب والأبدان والمساجد.

واتفق العلماء أيضا، أن الحجارة تزيلها من الخرجين، وهو المعبر عنه في الشرع بالاستجار. ولا⁸ يصح عندي الاستجار بحجر واحد، فإنه تقيض ما سمي به الاستجار. فإن الجمرة الجماعة. وأقل الجماعة اثنان. والاعتبار هنا في محل الاتفاق؛ أن الحجارة، لما أوقع الله النسبة بينها وبين القلوب في أمور منها ﴿وَمُ

1 سبق تعريف امرؤ القيس في هذا السفر. وعنيزة هي ابنة عم له كان يهاها.

2 [الأعراف : 26]

3 [البقرة : 197]

4 ص 141 ب

5 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

6 [البقرة : 282]

7 [الأفقال : 29]

8 ص 142

قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً¹ والقسوة مما ينبغي أن يتطهر منها، كانت ما كانت، فإنها من نجاسات القلوب المأخوذ بها، والمعفو عنها.

﴿وَإِنَّ مِنَ الْجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾² وهي من القلوب: العلوم الغزيرة الواسعة، الخيطة بأكثر المعلومات. وتتجرها خروجها على السنة العلماء، للتعليم في الفنون المختلفة.

وإن من الجارة ﴿لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾³؛ وهي القلوب التي تغلب عليها الأحوال. فتخرج في انظارها على السنة أصحابها، بقدر ما يشقق منها، وبقدر العلم الذي فيها، فينتفع بها الناس.

وإن من الجارة ﴿لَمَا يَهْبُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾⁴؛ وهبوط⁵ القلوب المشبهة بالجارة في هبوطها؛ هو نزولها من عزتها إلى عبوديتها، ونظرها في عجزها وقصورها بالأصالة. وقد قلنا: إن الماء هو المطهر المزيل للنجاسات من هذه المحال. فالأجار التي هي منابع هذا الماء، حكمها في إزالة النجاسة⁶ من المخرجين، حكم ما خرج منها، وهو العلم في الاعتبار. كما أن الخشية (هي) مما يتطهر بها، فإن الخشية من خصائص العلماء بالله، المرئيين عنهم، المطلوب منهم الرضا عن الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁷ وقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾⁸.

والعلم طاهر مطهر، ولا سيما العلم الذي هو نتيجة التقوى. فإن غيره من العلوم، وإن كان طاهرا مطهرا، فما هو في القوة مثل هذا العلم الذي نشير إليه. فالخشية المنعوت بها الأججار، هي التي أدتها إلى الهبوط. وهو التواضع من الرفعة التي أعطاها الله. فإنه لما وصفها بالهبوط، علمنا أن الأججار التي في الجبال يريد؛ والجبال (هي) الأوتاد التي سكن الله بها مئيد الأرض. فلما جعلها أوتادا، أورثها ذلك فخرا لعلو منصبها. فنزلت هذه الأججار هابطة من خشية الله، لما سمعت الله يقول: ﴿تِلْكَ الْأَشْجارُ الْآخِرةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁹ والإرادة من صفات القلوب، فنزلت من علوها، وإن كان (علوها) برها، هابطة من خشية الله، حذرا أن لا يكون لها حظ في الدار الآخرة، التي

تنقل إليها. وأعني بالدار¹ الآخرة هنا، دار سعادتها؛ فإن في الآخرة منزل شقاوة ومنزل سعادة، فكانت لهذا طاهرة مطهرة.

وأما اختصاص تطهيرها (أي الجار- القلوب) المخرجين، واعتبر المخرجين، اللذين هما: مخرج الكيف وهو الرجيع، واللطيف وهو البول. فاعلم أن للحق سبحانه- في القلوب تجليين: التجلي الواحد في الكائنات، وهو تجليه في الصور التي تدركها الأبصار والخيال. مثل رؤية الحق في النوم؛ فأراه في صورة تشبه الصور المدركة بالحس، وقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² فيزيل هذا العلم من قلبك، تقييد الحق بهذه الصور، التي تجلي لك فيها، في حال نومك، أو في حال تخيلك في عبادتك. إذ قال لك رسوله ﷺ عنه تعالى، لا عن هواه فإنه ﷺ ﴿لَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾³. «اعبد الله كأنك تراه» فجاء بـ"كأن" وهي تعطي الحقائق.

فإن رسول الله ﷺ لما قال لمن قال: "أنا مؤمن حقا": «فما حقيقة إيمانك؟ فقال: كأنني أنظر إلى عرش ربي بارزا» فأتى بـ"كأن" و"الرؤية" وقال له رسول الله ﷺ: «عرفت فالزم». فشهد له بالمعرفة. وهذا هو التجلي الآخر. فإن تجلي⁴ الخيال اللطيف من تجلي الحس بما لا يتقارب. ولهذا يسرع إليه التقلب من حال إلى حال، كما هو باطن الإنسان هنا. كذلك يكون ظاهره في النشأة الآخرة.

وقد ورد أن «في الجنة سوقا لا يباع فيه ولا يشتري، لكنه مجلى الصور. فمن اشتهى صورة دخل فيها» كالذي هو باطن الإنسان اليوم.

فإذا جعل العابد معبوده بحيث يراه، كأنه أنزله من قلبه منزلة من يراه ببصره، من غير أن يكون هناك صورة من خارج، كما كانت في تجلي المنام. فإذا حدده هذا التخيل، والحق لا حد له سبحانه- يتقيد به-، فطهره علم الخشية؛ وهو الحجر الذي ذكرناه، من تقييد الحدود. فطهر القلب إنما هو بالخشية من مثل هذا التشبيه والتقييد إذ (هو) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁵.

فهذا اعتبار اتفاق العلماء بأن الجارة تطهر المخرجين، واختلفوا فيما عدا ما ذكرناه من الاشتاق عليه، من المانعات والجامدات التي تزيل النجاسات، من المحال التي ذكرناها. فمن قائل: إن كل مانع وجامد في

- 1 [البقرة: 74]
- 2 [البقرة: 74]
- 3 [البقرة: 74]
- 4 [البقرة: 74]
- 5 ق: وهبوطه
- 6 ص 142 ب
- 7 [فاطر: 28]
- 8 [البقرة: 8]
- 9 [التقصص: 83]

- 1 ص 143
- 2 [الشورى: 11]
- 3 [النجم: 3]
- 4 ص 143 ب
- 5 [الشورى: 11]

أي موضع كان، إذا كان طاهراً¹، فإنه يزيل عين النجاسة. وبه أقول. ومن قائل بالمنع على الإطلاق، إلا ما وقع عليه الاتفاق من الماء والاستنجار وقد ذكرناهما.

باب منه

واختلفوا في الاستنجار بالعظم والروث اليبس. فمنع من ذلك قوم، وأجازوا الاستنجار بغير ذلك، مما يُنقى. واستثنى من ذلك قوم: ما هو مطعوم ذو حرمة كالخبز. وقد جاء في العظم: «أنه طعام إخواننا من الجن».

واستثنت طائفة: أن لا يُستجمر بما في استعماله سُرف؛ كالذهب والياقوت. أمّا تقييدهم بأن في ذلك سُرفاً فليس بشيء، فلو علّوه بأمر آخر يُقلل كان أحسن. ولكن ينبغي أن يُنظر في مثل هذا: فإن كان الذهب مسكوكاً، وعليه اسم الله، أو اسم من الأسماء المجهولة عنده من طريق لسان أصحابها، خوفاً أن يكون ذلك من أسماء الله بذلك اللسان، أو يكون عليه صورة. فيجتنب الاستنجار به لأجل هذا، لا لكونه ذهباً ولا ياقوتاً.

وقومٌ قصرُوا الإتياء على الأحجار فقط. وقومٌ أجازوا الاستنجار بالعظم دون الروث، وإن كان مكروهاً عندهم. ومن قائل بجواز² الاستنجار بكل طاهر ونجس، انفرد به الطبري دون الجماعة.

وصل: في اعتبار ما ذكرناه في الباطن:

إذا صحَّ الإتياء من الأخلاق المذمومة والجهالات بأي شيء صحَّ؛ بخُلُق حسن أو بخُلُق آخر سفساف، ويعلم شريف لشرف معلومه، أو يعلم دون ذلك مما لا أثر له في المحلّ إلا الإتياء؛ جاز استعماله في إزالة هذه النجاسة. وإلى هذا منزع الطبري فيما شدّد فيه دون الجماعة.

ومن راعى في الإزالة ما يُزال به لا ما يُزال، وتبع الشرع وما فصله في ذلك المشرّع، فهو على حسب ما يفهم من الشارع في تقبّله في دين الله؛ فإنّ فطر الناس مختلفة في النهم عن الله، وهو محلّ الاجتهاد، فلا يزيل عين النجاسة إلا بالذي يغلب على فهمه من مقصود الشارع؛ ما هو؟ وهو الأولى. وهذا يسري في الحكم الظاهر والباطن سواء، فأغنى عن التفصيل.

باب

في¹ الصفة التي بها تُزال هذه النجاسات

وهي غسل ومسح ونضح وصبّ؛ وهو صبّ الماء على النجاسة، كما ورد في الحديث: «لَمَّا بَلَ الأعرابي في المسجد، فصاح به الناس. فقال رسول الله ﷺ لا تُزِرُّمُوهُ، حتى إذا فرغ من بوله؛ أمر رسول الله ﷺ، أو دعا بذنوبٍ من ماء فصَبَّه عليه» فهذه حالة لا تسمى غسلاً ولا مسحاً ولا نضحاً؛ فلهذا زدنا الصبّ. ولم يأت بهذه اللفظة العلماء، وأدخلوا هذا الفعل تحت الغسل، فاكثفوا بلفظ الغسل عن الصبّ؛ فرأينا أن الإفصاح به بلفظ الصبّ أولى، لأن الراوي ذكره بلفظ الصبّ، ولم يسمّه غسلاً.

واعلم أنّه ما اختلفت هذه المراتب إلا لاختلاف النجاسات، تخفيفاً عن هذه الأمة. فإنّ المقصود زوال عينها الموجود المعين أو المتوهم. فبأي شيء زال الوهم² أو العين من هذه الصفات، استعملت في إزالتها. واستعمال الأعم منها يدخل فيه الأخصّ، فيغني عن استعمال الأخصّ إن فهمت؛ كالغسل فإنّه أعمّها، فيغني عن الكلّ. والشارع قد صبّ وغسل ومسح ونضح؛ وهو الرشّ. وقد وردت في ذلك كلّ أخبار محلّها كتب الفقه.

وصل: اعتبار الباطن في ذلك:

إنّ الخُلُق المذموم؛ إن وجدنا صفة؛ إذا استعملناها أزالنا جميع الأخلاق المذمومة؛ استعملناها. فهي كالغسل الذي يعمّ جميع الصفات المزيلة لأعيان النجاسات وتوهمها، وهو الأولى والأيسر. وإن تعدّر ذلك؛ فينظر في كلّ خلق مذموم وينظر إلى الصفة المزيلة لعينه، فيستعملها في إزالة ذلك الخُلُق لا غير. هذا هو ربط هذا الباب.

وفي هذا الباب اختلاف كثير في المسح والنضح والعدد، ليس هذا موضعه. إلا إن فتح الله ويؤخّر في الأجل، فنعمل كتاباً في اعتبارات أحكام الشرع كلّها في جميع الصور، واختلاف العلماء فيه، لنجمع بين الطريقتين، ونظهر حكمة الشرع في النشأتين والصورتين، أعني الظاهر والباطن. ليكون كتاباً جامعاً لأهل الظاهر، وأهل³ الاعتبار في الباطن والموازن، الباحثين على النسب. والله المؤيد لا ربّ غيره.

1 ص 145

2 ص 145 ب، وفي ق: فهو الوهم

3 ص 146

1 ص 144

2 ص 144 ب

وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة وأوامر، مثل النهي عن الاستنجاء باليمين، ومس الذكر باليمين عند البول، وعدم الكلام على الحاجة، والتعوذ عند دخول الحلاء، وهي كثيرة جدًا. فمن قائل بأنها كلها محمولة على التدب، وعليه جماعة الفقهاء.

وأما في الاعتبار؛ فهي كلها واجبة. فإن الباطن ما حكمه في أوامر الحق حكم الظاهر. فإن الله ما ينظر من الإنسان إلا إلى قلبه. فيجب على العبد¹ أن لا يزال قلبه طاهرا أبدا، لأنه محل نظر الله منه. والشرع ينظر إلى ظاهر الإنسان، ويراعيه في الدار الدنيا، دار التكليف، أكثر من باطنه.

وفي الآخرة بالعكس، هنالك تُبلى السرائر. وهنا يراعي الشرع أيضا الباطن في أفعال مخصوصة، أوجب الشرع عليه فعلها، وأفعال مخصوصة ندبه الشرع إليها، وأفعال مخصوصة خيّر الشرع بين فعلها وتركها، وأفعال مخصوصة حرّم الشرع عليه فعلها، وأفعال مخصوصة كره الشرع له فعلها. والحكم في الترك كذلك.

واختلفوا من هذه الآداب، في استقبال القبلة بالغائط والبول واستدبارها؛ فكانوا فيها على ثلاثة مذاهب: فمن قائل إلى أنه لا يجوز استقبال القبلة لغائط أو بول أصلا في أي موضع كان، ومن قائل: إنه يجوز ذلك بإطلاق، وبه أقول. والتزّه عن ذلك أولى وأفضل. ومن قائل: إنه يجوز ذلك في الكنف المبنيّة، ولا يجوز في الصحارى. ولكل قائل حجة من خبر يستند إليه، ذكر ذلك علماء الشريعة في كتبهم.

وصل: اعتبار الباطن في ذلك:

لما أخبر النبي ﷺ: «أن الله في قبلة المصلي» و«أن العبد إذا صلى واجه ربه». فمن فهم من ذلك أن القبلة المعلومة إليها تُسب كونه الله، أو تُسب إليها في حال صلاة المصلي خاصة. فمن فهم أن المراد القبلة بتلك النسبة لم يجز استقبال القبلة عند الحاجة، لسوء الأدب. ومن فهم أن المراد حال المصلي أجاز استقبال القبلة عند الحاجة، فإنه غير مصلّ الصلاة المخصوصة، بالصفة المعلومة.

ومن رأى روح الصلاة وهو³ الحضور مع الله دائما ومناجاته- كانت جميع أفعاله صلاة: فلم يقل بالمنع من استقبال القبلة عند الحاجة، فإنه في روح الصلاة لا ينفك دائما. وهم أهل الحضور مع الله على الدوام،

1 تابعة في الهامش مع إشارة التصويب
2 ص 146 ب
3 ص 147

والمشار إليهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾¹ اعتبارا. فأما من لم يخطر له خاطر الحضور مع الله إلا في وقت الحاجة، فذلك خاطر شيطاني لا يعول عليه، ويحتجب استقبال القبلة، ولا بدّ عندنا، من هذه حالته، فإنه من عمل الشيطان، وقد أمرنا باجتناب عمل الشيطان في قوله إنه ﴿رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾².

وأما من يرى الاستقبال في الكنف المبنيّة دون الصحارى، فإن الكنف المبنيّة والمدن (هي) حال الجمعية، فتشبه جمعية الأسماء الإلهية. فما من شيء إلا وهو مرتبط بحقيقة إلهية، به كانت معتوليته³. فإن المدوم مرتبط بالتزّه. فلا يخلو صاحب هذا الحال عن مشاهدة ربه من حيث تلك الحقيقة. فإن البناء والمدن دلّتا على ذلك، فجاز له أن يستقبل القبلة، وأن يكون بحكم الموطن. وأما في الصحراء فهو وحده، فلا مانع له من ترك استقبال القبلة بالحاجة، فيتأدّب، ولا يستقبل، احتراماً لقول الشارع. فإنه ما في الصحراء حالة تقيد، لرؤية حقيقة إلهية، إلا اختياره. ولا ينبغي للعبد أن يكون له اختيار مع سيده، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾⁴ فمما اختار المدن والكنف المبنيّة ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾⁵ فيما لم يختاره لهم. فليس لهم⁵ أن يختاروا، بل يتقنون عند المراسم الشرعية. فإن الشارع هو الله تعالى. فيستعمل بهذا النظر جميع الأخبار الواردة في استقبال القبلة بالحاجة واستدبارها، والنهي عن ذنوبك.

فقد أثبتنا في هذا الباب من فصول الطهارة، ما يجري مجرى الأصول. والقول الجامع في الطهارات، هو أن نقول: الطهارة من الأشياء⁶ المعقولة المعنى بما يزيلها، أي شيء كان من البراهين؛ جدلية كانت أو وجودية، فإن الغرض إزالتها، لا بما تُزال، ما لم يكن الذي تُزال به، يؤثر نجاسة في المحل، فإذا ما زالت النجاسة.

وأما التي هي غير معقولة المعنى، فطهارتها موقوفة على ما ينص الله تعالى- في ذلك أو رسوله، فتزيلها بذلك. فإن شاء الحق عرفك بمعناه ونسبته، فتكون إزالتها في حقك عن علم محقق. وإن لم يكن ذلك، فهو المسعى بالتعبّد. وهو المعنى المطلق في جميع التكاليف، وهو العلة الجامعة ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁷.

1 [المعارج : 23]

2 [المائدة : 90]

3 ق: معقولة

4 [التقص : 68]

5 ص 147 ب

6 ق: الإنسان

7 [الأحزاب : 4]

انتهى الجزء الخامس والثلاثون، وبانتهائه انتهى السفر الخامس من هذا الكتاب، يتلوه في الجزء السادس والثلاثين، الباب التاسع والستون في أسرار الصلاة.¹

الفهارس

1 أسفل الورقة: "قرأت وأنا محمود بن عبد الله بن أحمد الزنجاني جميع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مولفه الشيخ الإمام العلامة محيي الدين شيخ الإسلام قدوة العلماء غير الفضلاء محمد بن علي بن محمد بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي أيد الله بركته، في مجالس آخرها يوم الخميس سادس ذي القعدة سنة ست وثلاثين وستمائة في منزله بدمشق. وسمع بقراءتي مجد (؟) الدين محمد بن أبي القاسم بن أبي تراب الأهوازي في مؤرخه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله".
وبليه بخط ابن العربي: "صححت القراءة علي كما ذكر وكتب محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي في تاريخه".
وفي هامش الصفحة ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1761

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
130ب	28	2	البقرة	41	13	3	آل عمران
132	28	2	البقرة	7	18	3	آل عمران
136ب	29	2	البقرة	19ب	18	3	آل عمران
142	74	2	البقرة	19ب	19	3	آل عمران
142	74	2	البقرة	95ب	96	3	آل عمران
142	74	2	البقرة	6	110	3	آل عمران
142	74	2	البقرة	33ب	43	4	النساء
120ب	83	2	البقرة	71ب	93	4	النساء
6	105	2	البقرة	37ب	114	4	النساء
28	117	2	البقرة	41ب	140	4	النساء
79ب	186	2	البقرة	37ب	148	4	النساء
54ب	195	2	البقرة	46	148	4	النساء
141	197	2	البقرة	81ب	150	4	النساء
116	222	2	البقرة	81ب	151	4	النساء
121ب	282	2	البقرة	108	171	4	النساء
141ب	282	2	البقرة	31ب	6	5	المائدة
85	284	2	البقرة	34	6	5	المائدة
88	285	2	البقرة	50	6	5	المائدة
53	286	2	البقرة	57ب	6	5	المائدة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
125	6	5	المائدة
18	48	5	المائدة
94	83	5	المائدة
98ب	90	5	المائدة
147	90	5	المائدة
23ب	109	5	المائدة
50ب	18	6	الأنعام
112	93	6	الأنعام
71	122	6	الأنعام
108ب	40، 41	6	الأنعام
141	26	7	الأعراف
9	49	7	الأعراف
72	87	7	الأعراف
138ب	172	7	الأعراف
31ب	11	8	الأنفال
121ب	29	8	الأنفال
141ب	29	8	الأنفال
70ب	68	8	الأنفال
110	6	9	التوبة
139	28	9	التوبة
42ب	102	9	التوبة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
120	122	9	التوبة
88	76	12	يوسف
16	2	13	الرعد
108ب	33	13	الرعد
33ب	4	14	إبراهيم
6	20	14	إبراهيم
20	52	14	إبراهيم
85	40	16	النحل
124	40	16	النحل
124ب	43	16	النحل
50ب	50	16	النحل
13ب	15	17	الإسراء
20ب	15	17	الإسراء
25	23	17	الإسراء
109	23	17	الإسراء
120	23	17	الإسراء
54ب	29	17	الإسراء
56ب	37	17	الإسراء
13ب	95	17	الإسراء
11ب	97	17	الإسراء
121ب	65	18	الكهف

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
122	104	18	الكهف
132	9	19	مريم
130	14	20	طه
38	50	20	طه
62	110	20	طه
59	20	21	الأنبياء
34ب	30	21	الأنبياء
32ب	12	23	المؤمنون
32ب	13	23	المؤمنون
33	14	23	المؤمنون
33	14	23	المؤمنون
71ب	9	24	النور
97	14	24	النور
48	30	24	النور
48	31	24	النور
55	35	24	النور
10ب	24	25	الفرقان
13	24	25	الفرقان
54ب	67	25	الفرقان
81ب	14	27	النمل
82	14	27	النمل

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
99	15	28	القصص
147	68	28	القصص
142ب	83	28	القصص
98	4	30	الروم
56ب	19	31	لقمان
108	27	31	لقمان
13	4	33	الأحزاب
19	4	33	الأحزاب
28	4	33	الأحزاب
80ب	4	33	الأحزاب
120ب	4	33	الأحزاب
128ب	4	33	الأحزاب
132ب	4	33	الأحزاب
147ب	4	33	الأحزاب
110ب	21	33	الأحزاب
47ب	53	33	الأحزاب
85ب	57	33	الأحزاب
108	10	35	فاطر
64	15	35	فاطر
94	28	35	فاطر
142ب	28	35	فاطر

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
33	8	82	الطارق
125ب	5	86	الطارق
125ب	6	86	الطارق
140ب	7	86	الطارق
23ب	9	86	الأعلى
63ب	1	87	العلق
115ب	14	96	البينة
34	5	98	البينة
124	5	98	البينة
142ب	8	98	البينة
41ب	7	104	الهمزة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
40	8	67	القلم
37ب	11	68	الحاقة
116	44 - 46	69	المعارج
125ب	21	70	المعارج
58ب	23	70	المعارج
147	23	70	المدثر
32	4	74	القيامة
48	22 - 25	75	الإنسان
132	1	76	النازعات
131	40	79	الإنفطار
33	7	82	الإنفطار

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
143ب	11	42	الشورى
131ب	40	42	الشورى
33ب	3	43	الزخرف
111	49	44	الدخان
20	19	47	محمد
97ب	14	49	الحجرات
70ب	29	50	ق
32ب	21	51	الذاريات
108	3	52	الطور
143	3	53	الرحمن
106	29	55	الرحمن
106ب	31	55	الرحمن
121ب	1 - 4	55	الحديد
23	7	57	الحديد
13	14	57	الحديد
27ب	27	57	المجادلة
7	11	58	الحشر
125ب	9	59	الثلاثاء
69	9	62	الطلاق
38	7	65	الطلاق
53	7	65	المالك

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
44ب	37	36	يس
10ب	55 - 58	36	يس
67	96	37	الصافات
126	96	37	الصافات
60	180	37	الصافات
24ب	5	38	ص
70	4	39	الزمر
92	7	39	الزمر
48ب	18	39	الزمر
9	73	39	الزمر
95ب	75	39	الزمر
88	15	40	غافر
16ب	12	41	فصلت
21ب	12	41	فصلت
62	11	42	الشورى
69	11	42	الشورى
73ب	11	42	الشورى
75ب	11	42	الشورى
75ب	11	42	الشورى
100ب	11	42	الشورى
143	11	42	الشورى

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
إذا التقى الختان الختان فقد وجب الغسل	سنن الترمذي 102، مسند أحمد 24832	100ب
الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله	صحيح مسلم 9، سنن أبي داود 4075	19ب
اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب؛ أكل بعضي بعضاً. فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف أعبد الله كأنك تراه	صحيح البخاري 504، صحيح مسلم 977	39ب
أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبئون من قبلي: لا إله إلا الله	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	109، 143
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وما جئت به	صحيح البخاري 24، وصحيح مسلم 33	27
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله	صحيح البخاري 24، وصحيح مسلم 33	23ب
إن الأنبياء ما ورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم	سنن أبي داود 3157، سنن الترمذي 2605	121ب
إن الجنة اشتاقت إلى بلال وعليّ وعمار وسلمان	المعجم الأوسط للطبراني 7784	3
إن الشخص إذا كذّب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلاً من ثن ما جاء به	المعجم الكبير للطبراني 56	114ب
إن الشيطان يأتي إلى الإنسان في قلبه فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: فمن خلق الله	صحيح مسلم 190، مسند أحمد 25006	36ب
إن العبد إذا زنى خرج عنه الإيمان حتى يصير عليه كالظلة؛ فإذا أفلح رجع إليه الإيمان	سنن أبي داود 4070، سنن الترمذي 2549	42
إن العبد إذا صلى واجه ربه	مسند الحميدي 763	146ب
إن العلماء ورثة الأنبياء	سنن أبي داود 3157، سنن الباري 351	121ب

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
إن الله في قبلة المصلي	صحيح البخاري 391، صحيح مسلم 852	146ب
إن الله لما خلق آدم قبض على ظهره فاستخرج منه كأمثال الذر فأشهدهم على أنفسهم	الإبانة الكبرى لابن بطّة 1330، تفسير ابن أبي حاتم 9301	138ب
إن حجاب النور	صحيح مسلم 263، سنن ابن ماجه 191	24
إن نبياً من الأنبياء بُعث به	صحيح البخاري 358، صحيح مسلم 2561	22ب، 47
إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين	صحيح البخاري 285، صحيح مسلم 444	114
أنفست	صحيح البخاري 1، سنن أبي داود 1882	34
إنما الأعمال بالنيات	صحيح مسلم 518، مسند أحمد 11010	100
إنما الماء من الماء	صحيح مسلم 4712، مسند أحمد 7010	72ب
إنما أنا بشر؛ أغضب كما يغضب البشر، وأرضى كما يرضى البشر	تفسير ابن أبي حاتم 14897، شعب الإيمان للبيهقي 1414	33ب
إنما أنزل القرآن بلساني؛ لسان عربي مبين	المستدرك على الصحيحين للحاكم 7714، شعب الإيمان للبيهقي 6823	61
إنما هي أعمالكم ترد عليكم	سنن الترمذي 18، مسند أحمد 3935	144
إنه طعام إخواننا من الجن	صحيح مسلم 4731، مسند أحمد 7021	125ب
إنه مخلوق على الصورة	المستدرك على الصحيحين للحاكم 548، صحيح ابن حبان	111
إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر.. أو على طهارة		

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
804		
أيزي المؤمن؟ قال: نعم. قيل: أيشرب المؤمن؟ قال: نعم. قيل: تهذيب الآثار للطبري 1470	115ب	
أيسرق المؤمن؟ قال: نعم. قيل له: أيكذب المؤمن؟ قال: لا أين باتت يده	صحيح البخاري 157، صحيح مسلم 416	45
بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج بيده الميزان يخفض ويرفع	صحيح البخاري 7، صحيح مسلم 19	23ب
تأهبوا لرؤية ربكم جلّ جلاله - فيها هو يتجلّى لكم.. ارفعوا الحجب بيني وبين عبادي حتى يروني ثمرة طيبة وماء طهور، أو شراب طهور	صحيح البخاري 4316، مشكاة المصابيح 92	106ب
جعلت لي الأرض كلها مسجدا	سنن أبي داود 77، مسند أحمد 3619	9
حتى يقولوا: لا إله إلا الله	صحيح البخاري 323، صحيح مسلم 810	80
الحياء خير كله	صحيح البخاري 24، وصحيح مسلم 33	106
الحياء لا يأتي إلا بخير	صحيح مسلم 54، سنن أبي داود 4163	26ب
الحياء من الإيمان	صحيح البخاري 5652، صحيح مسلم 53	48
خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء الراع حول المحي يوشك أن يقع فيه	صحيح البخاري 23، صحيح مسلم 52	48
فطلب منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يعفو عنه أو يقبل الدية فأبى. فقال: خذه. فأخذه. فلما قُتِيَ؛ قال رسول الله	صحيح مسلم 2996، مستخرج أبي عوانة 4443	74
	سنن أبي داود 3902، مستخرج أبي عوانة 5010	116
	131ب	

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
صلى الله عليه وسلم: - أما إنه إن قتله كان مثله فلا رسول بعدي ولا نبي	سنن الترمذي 2198، مسند أحمد 13322	5ب
فما حقيقة إيمانك؟ فقال: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا... عرفت فالزم فمن وافق خطه فذاك	المعجم الكبير للطبراني 3289، شعب الإيمان للبيهقي 10195	143
فها في الأجر سواء	صحيح مسلم 836، سنن أبي داود 795	23
في الجنة سوقا لا يباع فيه ولا يشتري، لكنه مجلى الصور. فمن اشتبه صورة دخل فيها	سنن ابن ماجه 4218، مسند أحمد 17336	12ب
فيقول الله جلّ جلاله: سلام عليكم عبادي، ومرحبا بكم، حيّاكم الله، سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحيّ القيوم، ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾....	سنن الترمذي 2473، مسند أحمد 1273	143ب
فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر	سنن أبي داود 3902، مستخرج أبي عوانة 5010	9
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	صحيح البخاري 3005، صحيح مسلم 5050	8ب
كان إذا غسل ذراعيه في الوضوء يجوز المرفقين حتى يشرع في العضد	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	40ب
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا انقطع شئع نعله، خلع الأخرى حتى يعدل بين رجليه، ولا يمشي في نعل واحد	صحيح مسلم 558، مسند أحمد 25172	49ب
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا علم الناس شرائعهم كرر الكلمة ثلاث مرّات، حتى تُفهم عنه	صحيح مسلم 558، مسند أحمد 25172	38
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر الله على كل أحيانه	سنن أبي داود 460، سنن النسائي 838	68
لا يأكل الذئب إلا القاصية	المستدرک علی الصحیحین	59
لم يكن يحجزه (ص) عن قراءة القرآن شيء ليس الجناية		110ب

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
للقا بال الأعراي في المسجد، فصاح به الناس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا تُزْرِمُوهُ، حتى إذا فرغ من بواه؛ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو دعا بذنوب من ماء فضبه عليه	للحاكم 7183، صحيح ابن حبان 800	111 ب
الله يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله	صحيح البخاري 3092، صحيح مسلم 287	145
لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - بمسح أعلى الخف	سنن أبي داود 140، سنن الدارقطني 797	63
ليس شخص أصبر على أذى من الله	صحيح البخاري 5634، صحيح مسلم 5016	85 ب
ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن	الزهدي لأحمد بن حنبل 429	32، 90
مثلي في الأنبياء كمثل رجل نبي حائطا، فأكله إلا لبنة واحدة؛ فكنت أنا تلك اللبنة	صحيح مسلم 4238، مسند أحمد 7173	5 ب
من عَرَفَ نفسه عَرَفَ ربه	أدب الدنيا والدين للماوردي - (1 / 86)، المحرر الوجيز - (6 / 353)	26، 78، 65
من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار	صحيح البخاري 1209، صحيح مسلم 5	112
من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة	صحيح مسلم 38، مسند أحمد 467	20 ب
الندم توبة	سنن ابن ماجه 4242، المستدرک على الصحيحين للحاكم 7720	99
نور على نور	صحيح مسلم 261، مسند أحمد 20427	31، 55 ب
وسعني قلب عبدي	الزهدي لأحمد بن حنبل 429	41

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
ومثل من يتكلم بالكلمة من سخط الله ليضحك بها الناس ما يظن أن تبلغ ما بلغت؛ فيهوي بها في النار سبعين خريفا	سنن ابن ماجه 3960	81 ب
يا بلال؛ بم سبقتني إلى الجنة؟ فما وطئت منها موضعا إلا سمعت خشخشتك أمامي. فقال: يا رسول الله؛ ما أحدثت قط إلا توضأت، ولا توضأت إلا صليت ركعتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بها	سنن الترمذي 3622، مسند أحمد 21918	4
يا رسول الله؛ من أولياء الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذين إذا زووا ذكر الله	مصنف ابن أبي شيبة 93، المعجم الكبير للطبراني 19900	65 ب
يا رسول الله؛ وما على الإنسان أن يدخل من الأبواب كلها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر	صحيح البخاري 1764، صحيح مسلم 1705	5
يد الله مع الجماعة	سنن الترمذي 2092، شعب الإيمان للبيهقي 7253	37 ب
يضع الجبار فيها قدمه	مسند أحمد 7393، السنن الكبرى للنسائي 11522	61 ب
يكلف أن يعتقد بين شعيرتين من نار	صحيح البخاري 6520، سنن الترمذي 2208	116

فهرس الشعر

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر
29	تَبَصَّرْتُ رَى سِرِّ الطَّهَارَةِ وَاحِخًا	والذكا	28	الطويل
2	مَرَاتِبُ الْجَنَّةِ الْحُسُوسَةِ انْقَسَمَتْ	تطلبها	6	البسيط
108ب	إِنَّ الْكِيَانَ عَجِيبٌ فِي تَقْلِبِهِ	وتجوير	3	البسيط
109ب	كَأَنَّ "سُلْطَانَهَا، فَانْظُرْ لَهُ خَبْرًا	الخبر	3	البسيط
33	وَفِي كُلِّ طَوْرِ لَهُ آيَةٌ	مفتقر	1	المستقارب
12ب	مَرَاتِبُ الْجَنَّةِ مَقْسُومَةٌ	اختصاص	4	السريع
12	النَّارُ نَارَانِ نَارًا كُلُّهَا لَهَبٌ	تطلع	2	البسيط
13ب	طَلَبَ الْجَلِيلُ مِنَ الْجَلِيلِ	الإجلالا	5	الكامل
128	حَتَّى بَدَتْ لِلْعَيْنِ سُبْحَةُ وَجْهِهِ	هي	1	الرجز
19ب	شَهِدَ اللَّهُ لَمْ يَزَلْ أَزَلًا	الله	6	الخفيف
83ب	يَا نَانَمَا كَمْ ذَا الرِّقَادُ	فانتبه	5	مجزوء الكامل
بمجموع الآيات				64

استشهاد

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الآيات	البحر	الشاعر
66ب	خَفَاهُنَّ مِنْ أَتْقَاهُنَّ	مجلب	1	الطويل	امروء القيس
114	لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ	الأدب	1	البسيط	
13	أَمَائِي إِنْ تَحْصُلْ تَكُنْ أَحْسَنَ	رغدا	1	الطويل	ابن ميادة
32	أُرِيهَا الشَّهَى وَثُرَيْي الْقَمَرِ	القمر	1	المستقارب	
131	هَوَى صَحِيحٌ وَهَوَاءٌ عَلِيلٌ	مستحيل	1	السريع	عبد الرحمن الفاذاري
32	وَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاعَتْكَ مَتَى خَلِيقَةٌ	تنسل	1	الطويل	امروء القيس
141	وَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاعَتْكَ مَتَى خَلِيقَةٌ	تنسل	1	الطويل	امروء القيس
بمجموع الآيات				7	

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الأب	32ب	الإيمان/تصديق	21، 41ب
إبراهيم	20	الباطل	112ب
إبليس	38ب، 99ب	بحر	29
الاتحاد	110ب	البسط	102
الأثر - المؤثر -	65ب، 67، 129ب	البيت	39ب، 40، 95
المؤثر فيه		بيت الله	95ب، 96ب
الأحدية - أحدية	71ب، 76، 77ب	بيتة الله	7، 8، 23
الأحد - أحدية		التجريد	94ب
الكثرة		التجلي الأقدس -	8ب، 9
إدريس	22ب	التجلي المقدس	
آدم	32ب، 114ب، 130ب، 132، 138ب	التسبيح/ذكر	138ب
إرادة	124	التوبة	42ب
الإرث - الوارث	14، 110ب	التوحيد	3ب، 8، 20، 25ب، 26ب، 27، 27ب، 66ب، 67، 67ب، 71ب، 77ب، 92، 126
الاسم الجامع	26ب	التوكل	29ب، 49ب
اسم ذات - اسم	14، 15	الثبوت	61ب
مرتبة		جبريل	109
الأفراد	36ب	الجمال	9
إكسير العارفين	37	الجمع	15
الإمامان	35		
الأشي	79، 114		
الإيثار	49ب		

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الروح/العقل	2ب، 3	الجمعية	147
رياضة	35	جنة اختصاص	3ب، 12ب، 13
الزهد	44	جنة الأعمال	3ب، 6
الستر	44ب	جنة الكتيب /	8ب، 8، 8ب
سيف التوكل	29	حضرة الحق	
الشريعة	18، 38ب	جنة الوسيلة	6ب، 7
شهادة/نهار /	44ب	جنة عدن	6ب، 8، 2
ظهور		جنة ميراث	3ب
الصبر	24	الجنة/ حضرة	2ب، 2، 11
الصدق	32ب	الرسول	
صراط الهدى	2	حب فرائض -	47
الصفة	19، 24، 24ب، 62، 63، 64، 65ب، 66، 69، 76ب، 79ب، 91ب، 100، 103ب، 105ب، 109ب، 112ب، 127	حب نوافل	
الصورة/الأمر	16ب	حجاب العزة	8ب
الطائفة	39، 51ب	حجاب/العبد	60ب، 61
الظاهر والباطن	39، 39ب، 43، 63ب، 144ب، 145ب	الحق المخلوق به	102ب
عالم الأمر	140ب	الحيوان -	2ب، 3
عالم الأتقاس	132ب	الحيوانية	
		ختم الختم	6
		ختم الولاية	6
		الخاصة	
		خزانة الخيال	109
		خلوة	19
		الخيال/كان /	143، 143ب
		حضرة	

المصطلح	صفحة المخطوط
عالم الخلق	ب140
عدم العدم	ب24
عرش الروح / النفس الناطقة	ب2
العلم	ب79، 45، 45ب
العموم	ب60
الغربة	ب68، 89ب، 99ب، 101، 105ب، 106، 111
غربة	ب68، 89ب، 99ب، 101، 105ب، 106، 111
الفتوح	102
القطرة	138
الفقر	ب49
فوق	ب50، 88
الفيض	ب17، 19
القبض	ب36، 54ب، 100، 102، 113، 138ب
القدم	62
القشر	ب48
القلب	ب81
الكتاب المرقوم	ب108، 108

المصطلح	صفحة المخطوط
الكتاب المسطور	ب108، 108
كرامة	10
كلمة التوحيد	ب25، 26ب، 27
الكمال	3، 15، 33ب، 100، 105ب، 106
كن / اليد	85
الكون	ب108
اللطيفة	3
اللوح (المحفوظ)	ب21
ليل	ب36، 44ب
ليلة القدر	4
المجمل	ب120
مجموع العالم	132
المسافر	121
المشيئة / عرش الذات	ب33، 33
المصحف الكبير	ب89، 89ب، 109، 109ب، 110
المعرفة	ب94، 94
المنفصل	14، 16
المكر	ب99
منزل	143

المصطلح	صفحة المخطوط
المظهر الأعلى	8
المهم	ب3
الميزان	ب106، 102
نائب الحق	ب90، 132ب
نار أعمال	ب41
النار الباطنة	ب97
نار جهم	ب41
النار / دار الغضب	3، 12
نبي اتباع - نبي شريعة	7، 19، 22ب، 28
نعم / المزاج	ب2
الملائم	
نهر	ب58، 10
نور الإيمان	ب73
الهجوم	125

المصطلح	صفحة المخطوط
وارد	ب18، 100ب، 105ب
الواقعة	ب124، 125
وجه الحق - وجه الحق في الأشياء	ب7، 37، 73ب
الوجه الخاص	ب65، 140، 140ب
وجه الشيء	48
الوحدة	ب102
الوحي	ب22
الود	32
الوصل	51
ولي - الولاية	6، 36، 66، 102
الوهم	ب11، 109، 123ب، 145ب
يد الله - اليدين	ب26، 37
يقين	ب22، 48ب، 49ب، 68

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط
إبراهيم الخليل	20
إيليس	38ب، 99ب
ابن كثير (القارئ)	31ب، 32
أبو الحجاج يوسف الشبرلي	91
أبو العباس العربي	26ب
أبو بكر الصديق	5، 5ب
أبو بكر محمد بن الحسن النقاش	9، 10ب
أبو حنيفة	34ب
أبو زيد عبد الرحمن الفازاري	131
أبو سعيد الحذري	104ب
أبو طالب المكي	22
أبو عبد الله الكثاني	7ب
أبو عبد الله بن المجاهد	91
أبو عبد الله بن قسوم	91
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور القيسي	51
أبو عمر بن عبد البر	53ب
أبو مدين	87
الاسم	صفحة المخطوط
أبو موسى الديلمي	86ب
أبو نعيم الأصفهاني	65ب
أبو يوسف (صاحب أبي حنيفة)	77
إدريس (النبي)	22ب
آدم	32ب، 114ب، 130ب، 132، 138، 138ب
الأشعري (أبو الحسن)	52
أشهب	63ب
الأعمش	104ب
أمرؤ القيس	32، 66ب، 141
البسطامي (أبو يزيد)	86ب
بلال الحبشي	3، 4
جبريل	109
الحجاج = الحجاج بن يوسف الثقفي	117ب
الحسن البصري	117ب
الحسن بن حي	35
روح القدس	37
السلوي	86ب

الاسم	صفحة المخطوط
سلمان الفارسي	3
عائشة (أم المؤمنين)	59
عبد الله بن عباس	60
عبد الله بن عمر	27
عبد الله بن مسعود	119ب
علي بن أبي طالب	3، 63
عمار بن ياسر	3
عمر بن الخطاب	27
عنيزة	141
عيسى (النبي)	108
الغزالي (أبو حامد)	39، 86ب
الاسم	صفحة المخطوط
الفراء	32
فرعون	79
قس بن ساعدة	21
التشيري	5
مالك بن أنس	60
محمد بن خلف بن صاف اللخمي	31ب
محمد بن سيرين	70ب
مريم (عليها السلام)	108
مسلم (الإمام)	7، 53، 64ب
موسى (النبي)	89، 99

فهرس الأماكن

الاسم	صفحة المخطوط
أشيلية	32
الأندلس	32
بيت الله	95ب، 96ب، 39ب، 40،
الحرام	90، 95، 115
تلمسان	131
توزر	6
جنة عدن	6ب، 8، 2
حنين	96
الركن الشامي	5ب
الركن الجاني	5ب
عرفات	94ب
عرفة	93، 94، 94ب، 95،
العليا	26ب
الاسم	صفحة المخطوط
فاس	7ب
قوس الحنية	32
الكعبة	5ب، 6، 90
المدينة المنورة	4ب
المرية	38
المزدلفة	94ب
المسجد	4ب
الأقصى	
المسجد الحرام	4ب
مسجد المدينة	4ب
مكة المكرمة	5ب، 6، 93، 95، 95ب،
	96

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحة المخطوط
الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار	ابن العربي	58ب
التنزلات الموصلية	ابن العربي	30ب، 37ب
مواقع النجوم	ابن العربي	38، 90
المستظهري	أبو حامد الغزالي	39
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصفهاني	65ب
صحيح مسلم بن الحجاج	مسلم	64ب، 7

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
الأشعرية	52
المعتزلة	52
المنزّهة	62

المحتويات

رموز مستخدمة في التحقيق

227	الباب الخامس والستون في معرفة الجنة، ومنزلها، ودرجاتها، وما يتعلق بهذا الباب
231	الباب السادس والستون في معرفة سرّ الشريعة ظاهراً وباطناً وأيّ اسم إلهي أوجدها
243	الباب السابع والستون في معرفة لا إله إلا الله، محمد رسول الله وهو الإيمان
249	الباب الثامن والستون في أمرار الطهارة
258	وَصَلِّ (الماء ماءً).....
265	وَصَلِّ (الله خاطب الإنسان بجملة).....
268	بيان وإيضاح.....
270	وَصَلِّ (وجوب الطهارة).....
270	وصل (للطهارة شروط وأركان وصفات وعدد وحدود).....
273	وصل (غسل اليد).....
273	وَصَلِّ المضمضة والاستنشاق.....
276	باب التحديد في غسل الوجه.....
278	باب في غسل اليدين والذراعين في الوضوء إلى المرافق.....
280	باب في مسح الرأس.....
281	وصل في المسح على العمامة.....
284	وصل: في توقيت المسح على الرأس.....
286	باب مسح الأذنين وتجديد الماء لهما.....
287	باب غسل الرجلين.....
288	بيان وإتمام.....
289	باب في ترتيب أفعال الوضوء.....
290	باب في الموالاة في الوضوء.....
290	باب في المسح على الخفين.....
292	وَصَلِّ (من أجازته سفراً ومنعه في الحضر).....
295	وَصَلِّ (من منع جوازه على الإطلاق).....
295	وَصَلِّ وتتميم (الإشارة بالخفين).....
295	باب تحديد محل المسح من الخف وما في معناه.....
296	باب في نوع محل المسح، وهو ما يُستَرُّ به الرجل من خف أو جورب.....
297	باب في صفة الممسوح عليه.....
299

300	باب في توقيت المسح.....
301	باب في شرط المسح على الخفين.....
303	باب في معرفة ناقض طهارة المسح على الخف.....
304	أبواب المياه.....
304	باب: في مطلق المياه.....
307	باب في الماء تخلطه النجاسة، ولم يُغَيَّر أحد أوصافه.....
309	باب الماء يخالطه شيء ظاهر مما ينفك عنه غالباً متى غيّر أحد أوصافه الثلاثة.....
310	باب في الماء المستعمل في الطهارة.....
311	باب في طهارة أسنار المسلمين وبهيمة الأنعام.....
311	باب في الطهارة بالأسنار.....
313	باب الوضوء بنيذ التمر.....
313	أبواب نواقض الوضوء.....
314	باب انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس.....
316	باب حكم النوم في نقض الوضوء.....
316	باب الحكم في لمس النساء.....
317	باب في لمس الذكر.....
318	باب الوضوء مما مست النار.....
319	باب الضحك في الصلاة من نواقض الوضوء.....
320	باب الوضوء من حمل الميت.....
320	باب نقض الوضوء من زوال العقل.....
321	أبواب الأفعال التي تُشترط هذه الطهارة في فعلها.....
322	باب الطهارة لصلاة الجنائز ولسجود التلاوة.....
322	باب الطهارة لمس المصحف.....
323	باب إيجاب الوضوء على الجنب، عند إرادة النوم، أو معاودة الجماع، أو الأكل أو الشرب.....
323	باب إيجاب الوضوء على الجنب، عند إرادة النوم، أو معاودة الجماع، أو الأكل أو الشرب.....
324	باب الوضوء للطواف.....
325	باب الوضوء لقراءة القرآن.....
325	أبواب الاغتسال.....
325	أحكام طهارة الغسل.....
326	باب الاغتسال من غسل الميت.....
327	باب الاغتسال للوقوف بعرفة.....

351	باب في وطء المستحاضة
351	أبواب التيمم
352	باب كون التيمم بدلا من الوضوء باتفاق، ومن الكبرى بخلاف
354	باب: فيمن تجوز له هذه الطهارة
355	باب في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله
356	باب الحاضر يعدم الماء؛ ما حكمه؟
356	باب في الذي يجد الماء ويمتنع من الخروج إليه خوفُ عدو
357	باب الخائف من البرد في استعمال الماء
357	باب النية في طهارة التيمم
358	باب من لم يجد الماء؛ هل يُشترط فيه الطلب، أم لا يشترط؟
359	باب اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة
359	باب في حدّ الأيدي التي ذكر الله ﷻ في هذه الطهارة
360	باب في عدد الضربات على الصعيد للمتيّم
360	باب في إيصال التراب إلى أعضاء المتيمم
361	باب فيما تصنع به هذه الطهارة
362	باب في ناقض هذه الطهارة
362	باب في وجود الماء لمن حاله التيمم
363	باب في أن جميع ما يُفعل بالوضوء يُستباح بهذه الطهارة
363	أبواب الطهارة من النجس
364	باب في تعداد أنواع النجاسات
367	باب في ميتة الحيوان الذي لا دم له، وفي ميتة الحيوان البحري
369	باب الحكم في أجزاء ما اتفقوا عليه أنه ميتة
369	باب الانتفاع بجلود الميتة
371	باب في دم الحيوان البحري، وفي القليل من دم الحيوان البري
371	باب حكم أبوال الحيوانات كلها، وبول الرضيع من الإنسان
373	باب حكم قليل النجاسات
374	باب حكم المني
374	باب في المحال التي تُزال عنها النجاسة
375	باب في ذكر ما يُزال به هذه النجاسات من هذه المحال
378	باب منه

328	باب الاغتسال لدخول مكة زادها الله تشريفا
330	باب الاغتسال للإحرام
330	باب الاغتسال عند الإسلام، وهو ستة بل فرض
330	باب الاغتسال لصلاة الجمعة
331	باب اغتسال ليوم الجمعة
331	باب غسل المستحاضة
332	باب الاغتسال من الحيض
332	باب الاغتسال من المني الخارج على غير وجه اللذة
333	باب الاغتسال من الماء يجده النائم إذا هو استيقظ ولا يذكر احتلاما
334	باب الاغتسال من التقاء الختانين من غير إنزال
334	باب الاغتسال من الجنابة على وجه اللذة
335	باب التدلك باليد في الغسل في جميع البدن
336	باب النية في الغسل
337	باب المضمضة والاستنشاق في الغسل
337	باب في ناقض هذه الطهارة التي هي الغسل
338	باب في إيجاب الطهر من الوطء
338	باب في الصفة المعتمدة في كون خروج المني موجبا للاغتسال
339	باب في دخول جنب المسجد
339	باب من جنب المصحف
341	باب قراءة القرآن للجنب
343	باب الحكم في الدماء
345	باب في أكثر أيام الحيض، وأقلها، وأقل أيام الطهر
346	باب في دم النفاس؛ في أقله وأكثره
346	باب في الدم تراه الحامل
347	باب في الصفرة والكثرة؛ هل هي حيض أم ليست بحيض؟
347	باب فيما يمنع دم الحيض في زمانه
348	باب في مباشرة الحائض
349	باب وطء الحائض قبل الاغتسال وبعد الطهر المحقق
349	باب من أتى امرأته وهي حائض؛ هل يُكفر
350	باب حكم طهارة المستحاضة
350	

السفر السادس من الفتوحات المكية

1 العنوان ص 1ب، وبعد العنوان: "إنشاء مولانا وسيدنا: شيخ الإسلام، صفوة الأنام، سلطان المحققين، إمام الأمة، قوة الأئمة، محيي الملة والدين؛ أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي رضي الله عنه وأرضاه به منه".
يليه: "انقلبت هذه المجلدة وسائر الكتاب بحكم الإنعام إلى العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن إسحق -غفر الله له ولوالديه، وفعه كل علم مقرب إليه نافع لديه- من شيخه وإمامه المصنف رضي الله عنه وفع به أمين". يليه ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1754
يليه بخط جديد كتب في القرن 13 الهجري: "الحمد لله الذي وفقنا بكتابة الفتوحات المكية من الأصل المكتوب بخط المصنف ومنشيه رضي الله عنه وأرضاه به منه، وكتابة فصوص الحكم الذي كتبه بيده الشيخ صدر الدين وقرأه عند شيخه، وكتابة "التنزيلات الموصلية" من الكتاب الذي قرأه الشيخ صدر الدين عند شيخه المصنف رضي الله عنهما- بعدما جئنا مباحرا (كنا في الأصل) من البخاري والبلخ مع الأهل والأولاد وجميع الدراويش المريدين بقونية المحروسة اليونانية الرومية في الثاني والعشرين من ربيع الثاني ألف ومائتين وأربع وسبعين فاشتغلنا بالكتابة والاستكتاب والمقابلة والتصحيح في مدة ثلاث سنين، والحمد لله دائما سرمدا. كاتب الحروف الشريف سليمان الهاشمي العلوي الحسيني، الحمد لله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، وعلى الذين اصطفاه. خامس وعشرين رمضان المبارك نصف ليلة الجمعة سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين لله الحمد".
يليه برأس الصفحة الثانية: "وقف هذا الكتاب الشيخ صدر الدين محمد بن إسحق رحمته على الزاوية المبلية عند قبره، وشرط أن لا يخرج منها لا برهن ولا بغيره. فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه".

379.....	باب في الصفة التي بها تُزال هذه النجاسات
380.....	باب في آداب الاستنجاء ودخول الخلاء
	الفهارس
385.....	فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات
390.....	فهرس الأحاديث النبوية
396.....	فهرس الشعر
397.....	استشهاد
398.....	مصطلحات صوفية
402.....	فهرس الأعلام
404.....	فهرس الأماكن
405.....	فهرس الكتب
405.....	فهرس الفرق

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ 》	آيات قرآنية
« »	حديث شريف
()	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية*
س	نسخة السلجوقية
هـ	نسخة القاهرة

* إذا جاء التعبير من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.

تنويه هام:

نظرا لعدم تخصيص كل سفر بمجلد واحد، وتم دمج الأسفار في مجموعات.. فقد اضطررنا إلى اعتماد أرقام صفحات مخطوط قونية كمرجع يعود إليه الباحث عن مواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية وأسماء الأعلام والأماكن.. الخ.

أما أرقام تلك الصفحات فقد بيناها في الحواشي عند كل كلمة تبدأ بها صفحة المخطوط. فمثلا ص 4 تدلّ على أنّ الكلمة المعنوية هي الكلمة الأولى في ص 4 (وهي الجهة اليمنى من لوحة المخطوط)، ص 4ب تدلّ على أنّ الكلمة المعنوية هي الكلمة الأولى في ص 4ب (وهي الجهة اليسرى من لوحة المخطوط).

أما أرقام موضوعات السفر فهي ذات الأرقام في الكتاب المطبوع هذا.

وهذا الكتاب المصحح ضد النسخة التي روي عنها في المخطوطات عند

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع

والسُّنُونُ في معرفة أَسْمَاءِ

الضَّالِّينَ وَعَلَمَاتِهِمْ

وَكَيْفَ مِنْ مَجْلٍ مَا لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ

سُورَةُ الْحَرَابِ وَالْكَافِرَاتِ

وَأَخْرَجَ بِالنَّجْوَى ذَاهِبًا

وَأَنَّ كَانَ قَدْ صَلَّاهُ الْفَرِيضَةَ وَأَتَى

وَكَيْفَ وَبِزِلْمٍ كَانَ أَمَامَهُ

وَأَنَّ كَانَ قَدْ صَلَّاهُ الْفَرِيضَةَ وَأَتَى

فَتَجَرَّبَهَا الْفَتْبُورُ أَنْ كُنْتُ كَارِلًا

وَالْأَقْلُ الْفَتْبُورُ أَوْ جَرْمُهُ سَوَا

وَحَلَّلَهَا السَّلِيمُ أَنْ كُنْتُ كَارِلًا

لِرَدِّعَتِهِ الْغَلِيظَةِ فِي النَّفْسِ الشَّرِّ

وَسَابِقُ هَذَا مِنَ الْغَلِيظَةِ غَالِيَةً

وَأَمَّا أَنْ تَجِبَ مَا تَمَسَّ وَمَا تَمَسَّ

مظهر الصلوة على حسب حاله مع الله ولعلنا امره
 الشروع في الصلاة بالعلم الايمان الساهر من الامام من
 رجع وحضر في طوسه حال الامام حال حكمه بحسب
 كنهه فاذا علم ان الامام على عمره ماره فليس له ان يعين
 به من وقت علمه رجع له ما من صلواته معه قبل علمه ولا
 اعسار عليه لئلا يبين الامام او غيره فان الامام بعينه
 من وقت علمه في غير صلاة شرعا وما امره الله ان يرتكب
 اعني ان يفتي الله تعالى فان كان الامام بالسياخنة
 او حذرته من وصل شرعا وان كان علم الله بحال عمره
 صلاة السامع صحبة شرعا والامام من وصل شرعا
 وان علم السامع ان الامام على عمره ماره فان يفتي الله
 ان يعلم حذرته نفس صلواته اعلمه بحيث ان لا يتكلم
 صلاة السامع بذلك الاعلام فان الله يقول لا تسكروا
 اعلامكم وان لم يفتي لنفسه فاذا اوجع من صلواته اعلمه
 حذرته سواء في الامام او في غيره فان ذكر الامام او قلده تكفر
 وان لم يذكر ولم يقلده فهو بحسب ما يعينه عليه ومنه في ذلك
 وصلاة السامع صحابه

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ¹
 الباب التاسع والستون
 في معرفة أسرار الصلاة وعمومها

وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ مَا لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ سِوَى رُؤْيَا الْحَرَابِ وَالْكَدِّ وَالْعَنَاءِ
 وَآخِرُ يَحْظَى بِالْمُنَاجَاةِ ذَاتَهَا وَإِنْ كَانَ قَدْ صَلَّى الْفَرِيضَةَ وَاتَّخَذَ²
 وَكَيْفَ وَسِرُّ الْحَقِّ كَانَ إِمَامَهُ وَإِنْ كَانَ مَأْمُومًا فَقَدْ بَلَغَ الْمَدَى
 فَتَخَرَّجَهَا التَّكْبِيرُ إِنْ كُنْتَ كَابِرًا وَإِلَّا فَجِلُّ الْمَرْءِ أَوْ جِزْمُهُ سَوَا
 وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ إِنْ كُنْتَ تَابِعًا لِرَجْعَتِهِ الْغَلِيَاءِ فِي لَيْلَةِ السَّرَى
 وَمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ غَايَةٌ وَأَسْرَارُ غَيْبٍ مَا تَحْسُ وَمَا تُرَى
 فَمَنْ³ تَأَمَّ عَنْ⁴ وَقْتِ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ وَجَيْدٌ فَرِيدٌ الدَّهْرِ قُطْبٌ قَدْ اسْتَوَى
 وَإِنْ حَلَّ سَهْوٌ فِي الصَّلَاةِ وَغَفْلَةٌ وَذَكَرَهُ الرَّحْمَنُ يُجِبُ⁵ مَا سَهَا
 وَإِنْ كَانَ فِي رُكْبٍ إِلَى الْعَيْنِ قَاصِدًا فَطَطَّرَ صَلَاةَ الْفَرَضِ تَنْقُصَ مَا عَدَا
 صَلَاةَ اقْتِحَارِ الصُّبْحِ حَقًّا وَمَغْرِبِ لَيْسَرٍ خَفِيِّ فِي الصُّبْحِ وَفِي الْمَسَاءِ
 وَحَافِظُ عَلَى الشُّفْعِ الْكَرِيمِ لِبُورِهِ تَهْرُ بِالَّذِي فَازَ الْحَضَارِمَةُ⁶ الْأُولَى
 وَبَيْنَ صَلَاةِ النَّذْرِ وَالْجَمْعِ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ إِنْ كَانَ الْمُصَلِّي عَلَى طَوَى
 وَلَا تَنْسَ يَوْمَ الْعِيدِ وَاشْهَدْ صَلَاتَهُ لَدَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ الْمُبِيرَةِ وَالسَّنَا
 وَبَادِرِ لَتَهْجِيرِ الْغُرُوبِ⁷ زَائِحًا تَحْزُ قَصَبِ الشُّبَّاقِ فِي حَلْبَةِ الْعُلَا

1 البسملة ص 2

2 اتحدى: اجمع أو حضر النادي.

3 ص 2 ب

4 ق: "عن" وكتب فوقها بقلم الأصل: "في" من غير إشارة التصويب ليدل بذلك على صحة اللفظين.

5 ق: "يرفع" وعليها إشارة الشطب والاستبدال كما ورد بقلم آخر. وكلمة "يرفع" هنا صحيحة وهي بنفس المعنى: يجبر

6 الحضارمة: مفردا خضرم، وهو الجواد الكثير العطية، الكثير من كل شيء.

7 العروبة: الجمعة

وإن حَلَّ حَسَفَ بِالْمَهَاةِ¹ فَإِنَّهُ
وَمَنْ² كَانَ يَسْتَسْقِي يَحُولُ رِذَاءَهُ
فَهَذِي عِبَادَاتُ الْمُرَادِ تَخَلَّصَتْ
جَبَابُ وُجُودِ النَّفْسِ دُونَكَ يَا فَتَى
تَحُولُ عَنِ الْأَحْوَالِ عَلَيْكَ تُرْقَضَى
وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ غَيْرُ الَّذِي سَعَى

اعلم أيديك الله بروح القدس - أن مسعى الصلاة يضاف إلى ثلاثة، وإلى رابع ثلاثة، بمعنىين: بمعنى شامل وبمعنى غير شامل.

فيضاف (مسعى) الصلاة إلى الحق بالمعنى الشامل، والمعنى الشامل هو الرحمة. فإن الله وصف نفسه بالرحيم، ووصف عباده بها، فقال: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾³ وقال رسول الله ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ﴾⁴ فوصف نفسه بأنه يصلي، أي يرحمكم بأن ﴿يُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾⁵ يقول: من الضلالة إلى الهدى، ومن الشقاوة إلى السعادة.

ويضاف (مسعى) الصلاة إلى الملائكة، بمعنى الرحمة والاستغفار والدعاء للمؤمنين. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾⁶ فصلاة الملائكة (هي) ما ذكرناها. قال الله ﷻ في حق الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾⁷ يقولون ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾⁸ ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾⁹ اللهم استجب فينا صالح دعاء الملائكة.

وتضاف الصلاة إلى البشر بمعنى الرحمة والدعاء والأفعال المخصوصة المعلومة شرعا على ما سنذكره. فجمع البشر هذه الثلاث المراتب المسماة "صلاة". قال تعالى - أمرا لنا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾¹⁰.

وتضاف الصلاة إلى كل ما سوى الله، من جميع المخلوقات: من ملك وإنسان وحيوان ونبات ومعدن،

1 المهابة: الشمس. ولفظ "بالمهابة" بأصل المتن، وكتب فوقها: "النيرين" ووضع كلمة "صح" على اللفظين.
2 ص 3

3 [الأعراف: 151]

4 [الأحزاب: 43]

5 [الأحزاب: 43]

6 [غافر: 7]

7 [غافر: 7]

8 [غافر: 9]

9 ص 3ب

10 [البقرة: 43]

بحسب ما فرضت عليه وعيّنت له، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾¹ فأضاف الصلاة إلى الكل، والتسبيح، في لسان العرب: الصلاة.

قال عبد الله بن عمر وهو من العرب، وكان لا يتنفل في السفر. فقيل له في ذلك. فقال: لو كنت مسبحا أتممت. وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾² وقال خطابا لمحمد صاحب الكشف حيث يرى ما لا يرى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالتَّوَابُ﴾³. فانظر إلى فقه عبد الله بن عمر ﷺ لما تحقق أن الله - تعالى - يريد التخفيف عن عبده بوضع شطر الصلاة عنه، في السفر ما رأى أن يتنفل، موافقة لمقصود الحق في ذلك. فهذا تفقه روحاني.

وأما من تنفل في السفر، فرأى أن مقصود الحق إسقاط الفريضة، لا إسقاط الصلاة (التي يتطوع الإنسان). فلو أتم المسافر لكان الفرض منها ركعتين والباقي نافلة. فإن الله ما فرض عليه إلا ركعتين على لسان رسول الله ﷺ فلما لم ير هذا المتنفل إلا إسقاط الفريضة عنه لا التطوع بالصلاة تنفل في السفر. وكان رسول الله ﷺ يتنفل في السفر على الراحلة. فعلم القائل بهذا أن الفرض هو الذي قصد إسقاطه عنه، واقتدى برسول الله ﷺ في التنفل في السفر، فإن الله قال لنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾⁴.

فاعلم أن الصلوات المشروعة فرضا وسننا مؤكدة بين النافلة والفريضة، ثمانية⁵. كما أن الأعضاء المكلفة من الإنسان ثمانية. لأن الذات مع نسبها المعبر عنها بالصفات ثمانية. فهذه الثمانية هي: الذات، والحياة، والعلم، والإرادة، والكلام، والقدرة، والسمع، والبصر. والإنسان المكلف (هو): ذات، حية، عالمة، مريدة، متكلمة، قادرة، سمعية، بصيرة. وأما الأعضاء المكلفة، أعني⁶ التي يفعل الإنسان بها ما كلف أن يفعله أو

1 [النور: 41]

2 مكنية بين السطرين.

3 [الإسراء: 44]

4 [الحج: 18]

5 ص 4

6 [الأحزاب: 21]

7 ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب

8 ص 4ب

يتركه، فهي ثمانية: الأذن، والعين، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل، والقلب.

وأما الصلوات الثمانية المشروعة الفعل بها فرضاً وستة مؤكدة: فالصلوات الخمس، والوتر من الليل، والجمعة، والعيدان، والكسوف، والاستسقاء، والاستخارة، والصلوة على الجنائز.

وأما الصلاة على رسول الله ﷺ فدخلت في الدعاء. فإن رسول الله ﷺ قد علمنا كيف نصلي عليه؛ أي كيف ندعو له، وقد أمرنا أن ندعو له بالوسيلة والمقام المحمود، ونحن -إن شاء الله- نذكر في هذا الباب فصول هذه الصلوات كلها، مكملّة بشروطها. وما أتبع ما تحوي عليه من التفاصيل، فإن ذلك يطول. وإنما أقصد إلى ذكر فصول تجري مجرى الأمّهات، كما عملنا في الطهارة، إلى أن نستوفيها -إن شاء الله-.

والصلوة وقعت في الرتبة الثانية من قواعد الإيمان التي بني الإسلام عليها في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج» فلم الصحابة أنه¹ راعى الترتيب، لما يدخل الواو من الاحتمال. ولهذا لما قال بعض رواة هذا الحديث من الصحابة لما سرده فقال: والحج وصوم رمضان، أنكر عليه (النبي)، وقال له: وصوم رمضان والحج، فقدّمه، وعلمنا أنه أراد الترتيب. وثبت على أن لا نقل عنه ﷺ إلا عين ما تلقط به؛ فإنه من العلماء من يرى نقل الحديث المتلفظ به من النبي ﷺ على المعنى.

فالصلاة ثانية في القواعد، مشتقة من المصلي في الخيل، وهو الذي يلي السابق في الحليّة. والسابق في القواعد: الشهادة. والمصلي هي الصلاة. وجعل الزكاة تلي الصلاة، لأن الزكاة التطهير، فانسبت الصلاة. فإن الصلاة لا يقبلها الله بغير طهور. والزكاة تطهير الأموال. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾² يعني النفس التي³ سواها. يريد: قد أفلح من طهرها بامتنال أوامر الله. ومن شرط الصلاة طهارة الثياب والأبدان والبقعة التي توقع الصلاة عليها وفيها، كانت ما كانت. وجعل الصوم يلي الزكاة لما شرع الله في صوم رمضان عند انقضاءه من زكاة الفطر، فلم يبق الحج إلا أن يكون آخرها.

وقد ذكرنا الشهادة التوحيدية، وذكرنا من الصلاة، الطهارة التي لا تصح الصلاة إلا بها. فلنذكر الصلاة

-إن شاء الله- في هذا الباب. ولنبدأ بالصلاة المفروضة¹، وما يلزمها ويتبعها من اللوازم والشروط والأركان في أفعالها وأقوالها. ثم بعد ذلك أشرع في ذكر الصلوات التي تطلبها الأحوال، ومن الله نسأل التأييد والعون.

فصل: في الأوقات

ولا أعني بالكلام هنا في الأوقات؛ أوقات الصلوات فقط، وإنما أريد الوقت من حيث ما هو وقت، سواء كان لعبادة أو غير عبادة. فإذا عرفناك بمعناه واعتباره، حينئذ نشرع في ذكر الأوقات المشروعة للعبادات، فنقول:

"الوقت" عبارة عن التقدير في الأمر الذي لا يقبل وجود عين ما يقدر، وهو الفرض. كما تقدّر أو نفرض في الشكل الكروي، أولاً أو وسطاً أو نهاية، وهو في نفسه وعينه، لا يقبل الأوليّة بالفعل ولا الوسط ولا الآخريّة. فنجعل له من ذلك ما نجعله بحكم الفرض فيه والتقدير.

فالوقت فرض مقدّر في الزمان، لما كان الزمان مستديراً كما خلقه الله في ابتدائه؛ فهو كالأكرة. قال رسول الله ﷺ: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله» فذكر أنّ الله خلقه مستديراً، والأوقات فيه مقدّرة.

فلما خلق الله الفلك الأطلس² ودار³؛ لم يتعين اليوم، ولا ظهر له عين. فإنه مثل ماء الكوز في النهر، قبل أن يكون في الكوز. فلما فرض فيه اثنا عشر فرضاً -وَوَقَّتْ مَعْبَهُ- وسمّاها بروجاً في ذلك الفلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ لعلوها علينا ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾⁴ وهي هذه الفروض المؤقتة. ووقف شخص يدور عليه هذا الفلك، وجعل لهذا الشخص بصر، عين بها تلك الفروض بعلامات جعلت له فيها، فتميّز عنده بعضها عن بعض، بتلك العلامات المفعولة دلالات عليها، فجعل عينه في فرض منها، أعني في العلامة.

ثم دار الفلك بتلك العلامة المفروضة، التي جعل عينه عليها، هذا الناظر، وغابت عنه -وما برح واقفاً في موضعه ذلك- حتى انتهت إليه تلك العلامة. فعلم عند ذلك أن الفلك قد دار دورة واحدة، بالنسبة إلى هذا الناظر، لا بالنسبة إلى الفلك. فسمينا تلك الدورة يوماً.

ثم بعد ذلك خلق الله في السماء الرابعة من السبع السماوات كوكباً نيّراً، عظيم الجرم، سمّاه باللسان العربي: شمساً، فطلع له به في نظره، ذلك الفلك من خلف حجاب الأرض، الذي هذا الناظر عليها، فسعى ذلك المطلع مشرقاً، والطلع شروقاً، لكون ذلك الكوكب المنير طلع منه، وأضاء به الجو، الذي هذا الناظر فيه. فما زال يتبع بصره حركة ذلك الكوكب إلى أن قارنه؛ فسعى تلك المقارنة: استواءاً. ثم أخذ الكوكب نازلاً عن استوائه عند هذا الناظر، يطلب جهة اليمين منه، لا بالنظر إلى الكوكب في نفسه كما قلنا. فسعى أول انفصاله في عين الناظر عن الاستواء: "زوالاً" و"دلوفاً".

ثم ما زال هذا الناظر يتبعه بصره، إلى أن غاب جزم ذلك الكوكب، فسعى مغيّبه: غروباً. والموضع الذي رأى بصره أنه غاب فيه: مغرباً. وأظلم عليه الجو. فسعى مدة استتارة الجو من مشرق ذلك الكوكب إلى مغربه: نهراً، لانساع النور فيه: مأخوذ من النهر، الذي هو انساع الماء في المسيل الذي يجري فيه. فما زال الناظر في ظلمة، إلى أن طلع الكوكب المسعى: "شمساً" من الموضع الذي سمّاه: "مشرقاً" في عين الناظر، من موضع آخر متصل بذلك الموضع الذي شرقت منه أمس، المسعى: درجة، فسعى مدة تلك الظلمة التي بقي فيها من وقت غروب الشمس إلى طلوعها: ليلاً. فكان اليوم مجموع الليل والنهار معاً. وسمي الموضع التي يطلع منها هذا الكوكب كل يوم: درجاً.

ثم نظر إلى هذا الكوكب النيّر المسعى شمساً، ينتقل في تلك الفروض المقدرة في الفلك المحيط، درجة درجة، حتى يقطع ذلك بشروق تسعى أياماً. فكلاً أكمل² قطع فرض من تلك الفروض، شرع في قطع فرض آخر، إلى أن أكمل الاتى عشر فرضاً بالقطع. ثم شرع يتدبّر كرتة أخرى في قطع تلك الفروض؛ فسعى ابتداء³ قطع كل فرض إلى انتهاء قطع ذلك الفرض شهراً، وسمي قطع تلك الفروض كلها سنة.

فتبين لك أن الليل والنهار واليوم والشهر والسنة هي هذه المعبر عنها بالأوقات، وتبدى إلى مسعى

الساعات، ودونها. وأن¹ ذلك كله لا وجود له في عينه، وأنه نسب وإضافات. وأن الموجود إنما هو عين الفلك والكوكب، لا عين الوقت والزمان. وأنها مقدرات فيها، أعنى الأوقات. وتبين لك أن الزمان عبارة عن الأمر المتوهم الذي فرضت فيه هذه الأوقات. فالوقت فرض متوهم في عين موجودة، وهو الفلك. والكوكب يقطع حركة ذلك الفلك والكوكب، بالفرض المفروض فيه في أمر متوهم لا وجود له، يسقى الزمان.

وقد أبنت لك حقيقة الزمان، الذي جعله الله ظرفاً للكائنات المتحيّزات، الداخلة تحت هذا الفلك، المؤقت فيه -المفروض في عينه- تعيين الأوقات. ليقال: خلق كذا، وظهر كذا في وقت كذا ﴿وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ تَفْصِيلاً﴾² سبحانه لا إله إلا هو الحكيم القدير.

وبعد أن علمت ما معنى الزمان والوقت، فاعتبره أي³ جزءه واقطعه -إلى معرفة "الأزل" الذي تنفست به خالقك، وتجعله له، كالزمان لك. وإذا كان الزمان لك بهذه النسبة أمراً نسبياً، لا حقيقة له في عينه - وأنت محدود مخلوق - فالأزل أبعد وأبعد أن يكون حدّاً لوجود الله في قولك، وقول من قال: إن الله تكلم في الأزل، وقال في الأزل، وقدر في أزله كذا وكذا. ويتوهم بالوهم فيه، أنه امتداد كما تتوهم امتداد الزمان في حَقِّك. فهذا من حكم الوهم، لا من حكم العقل والنظر الصحيح.

فإن مدلول لفظة الأزل، إنما هو عبارة عن نفي الأوليّة لله تعالى، أي لا أول لوجوده، بل هو عين الأول سبحانه، لا بأوليّة تحكم عليه، فيكون تحت إحاطتها، ومعلولا عنها. وفرق بين ما يعطيك وهمك (وبين ما يعطيك عقلك. وأكثر من هذا البسط في هذه المسألة ما يكون.

فالحق سبحانه -يقدر الأشياء أزلاً، ولا يقال: يوجد أزلاً. فإنه مُحال من وجهين: فإنّ كونه موجداً، إنما هو بأن يوجد؛ ولا يوجد ما هو موجود. وإنما يوجد ما لم يكن موصوفاً لنفسه بالوجود، وهو المعدوم. مُحال أن يتصف الموجود، الذي كان معدوماً، بأنه موجود أزلاً. فإنه موجود عن موجد أوجده. والأزل عبارة عن نفي الأوليّة عن الموصوف به. فمن المُحال أن يكون العالم أزليّ الوجود، ووجوده مستفاد من موجده، وهو الله تعالى.

1 ق: "إلى" وعليها إشارة المسح، وصحها في الهامش "وأن".

2 [الإسراء: 12]

3 ص 7 ب

والوجه الآخر: من ¹ المحال الذي يقال في العالم إنه موجود أزلا، لأن معقول الأزل ثني الأوليّة. والحق هو الموصوف به، فيستحيل وصف وجود العالم بالأزل، لأنه راجع إلى قولك: العالم مستفيد الوجود من الله، غير مستفيد الوجود من الله. لأن الأوليّة قد انتفت عنه بكونه أزلا. فيستحيل على العالم أن يتّصف بهذا الوصف السلبي الذي هو الأزل، ولا يستحيل الموصوف به وهو الحق، أن يقال: خلق الخلق أزلا، بمعنى: قدر. فإن التقدير راجع إلى العلم. وإنما يستحيل، إذا كان خلق بمعنى: أوجد، فإن الفعل لا يكون أزلا.

فقد ثبت لك التقدير في الأزل كما ثبت لك التقدير في الزمان، وأن الزمان متوهم لا وجود له، وكذلك الأزل وصف سلبي لا وجود له. فإنه ما هو عين الله - وما ثم إلا الله - وما هو أمر وجودي يكون غير الحق، ويكون الحق مطروفا له، فيحصره من كونه ظرفا، كما يحصرنا الزمان من كونه ظرفا لنا، على الوجه الذي ذكرناه، فافهم. وبعد أن عرفتك بمعنى الأوقات، فلنرجع ونبين المراد بأوقات العبادات، ومن العبادات؛ أوقات الصلوات.

* * *

فصل: في أوقات الصلوات

فنقول: أوقات الصلاة منها معين (منها) غير معين. فغير المعين وقت ² تذكر الناسي واستيقاظ النائم. فإن وقته عندما يتذكر إن كان ناسيا أو يستيقظ إن كان نائما. والوقت المعين على قسمين: قسم مخلص، وقسم مشترك. فالخلص وسط الوقت الموسع في الصلوات كلها، وآخر وقت الصبح، وأول وقت الظهر. فإنه لا يقع فيما ذكرناه اشتراك لصلاة أخرى، كما يقع في أواخر الصلوات الأربع.

والمشترك: هو الوقت الذي بين الصلاتين، كالظهر والعصر وغيرهما، بخلاف المذكور المعلوم في ذلك عند علمائنا من علماء الشريعة، نذكر ذلك في موضعه - إن شاء الله -، عند كلامنا في أوقات الصلوات كلها، صلاة صلاة على التفصيل.

اعتباره:

قلنا: المصلي هو الثاني من السابق في الحلبة، وإن الصلاة ثانية في الرتبة من شهادة التوحيد، وقد

1 ص 8
2 ص 8ب

قال الحق سبحانه: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» فجعله في حال الصلاة ثانيا له في القسمة الإلهية، فقال: «في الصلاة» مطلقا، وما قيد فرضا من تطوع. وقد قلنا: إن الوقت منه معين وهو في الاعتبار - الفرض. وغير معين وهو في الاعتبار - التطوع.

فالعارف (هو) الذي هو على صلاته دائم، وفي مناجاته بين يدي ربه قائم؛ في ¹ حركاته وسكناته. فما عنده وقت، معين ولا غير معين؛ بل هو صاحب الوقت. ومن ليس له هذا المشهد، فهو بحسب ما يذكره ربه من الحضور معه.

غير أن العارف الدائم الحضور، إذا لم يفرق بين الأوقات، بما يجده من المزيد والفضل، بين ما هو مفروض من ذلك الحضور، وبين ما تطوع به من نفسه، فهو ناقص المقام، كامل الحال؛ لاستصحابه الحضور الدائم. فإن الحضور من الأحوال، لا الحضور من وجه كذا. فإن الحضور من وجه كذا للكامل من الرجال.

فالأول من أهل الحضور، لا فرق عنده بين الوجود، لأنه مستغرق في الحال. كاللذة الجوهرة عند الإنسان التي لا يعرف سببها. والثاني من أهل الحضور، وهو الكامل الدائم الحضور بحكم الوجود. كالواجد للذة بما هي لذة؛ فهو ملتذ دائما، وبما هي لذة عن طعم علم، أو طعم جماع أو طعم شيء ملائم للمزاج، يعلم الدائق ذلك ما بينهن من التمييز والفرقان. فإن أسماء الحق تعالى - تختلف على قلوب الأولياء بفنون المعارف، مع الآفات والأنفاس. فيجد في كل نفس وزمان علما، لم يكن عنده برئه، من حيث ما يعطيه ذلك النفس والزمان، من تجلي ذلك الاسم الخاص به.

ولما قسمنا الأوقات إلى مخلص ومشترك، فاعلم أن الوقت في ² هذا الطريق: هو ما أنت به في حالك، أي شيء كنت به، من حسن وسيء، ومعرفة وجهل، فلا يرتبط. وكذلك الأوقات الزمانية؛ بحسب ما يحدث الله فيها في حق كل شخص.

فالخلص من الأوقات: كل اسم إذا ورد عليك، لم يقع في حكمه اشتراك. والمشترك: كل اسم له وجهان فصاعدا.

1 ص 9
2 ص 9ب

فالأول كالحج؛ فإنه مخلص للحياة، وكذلك العالم مخلص للعلم. والثاني الذي هو المشترك، نظير الوقت المشترك كالاسم الحكيم، فإن له وجهاً إلى العالم ووجهاً إلى المدير. فإن للاسم الحكيم حكيمين: حكماً على مواضع الأمور، وحكماً وضعها في مواضعها بالفعل. فكم من عالم لا يضع الشيء في موضعه؟ وكم (من) واضع للأشياء في مواضعها بحكم الاتفاق لا عن علم.

فالحكيم هو العالم بمواضع الأمور، وواضعها في أماكنها على بصيرة. فمن كان وقته الحكمة كان في الوقت المشترك. ومن كان في اسم لا يدل إلا على أمر واحد كالقادر وأمثاله؛ كان في الوقت الخالص. فهذه أوقات العارفين في صلواتهم المعنوية، على مثال أوقاتهم الظاهرة في صلواتهم البدنية.

* * *

فصل: في وقت صلاة الظهر

قال¹ تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾² أي مفروضة في وقت معين، سواء كان موسعاً أو مضيقاً. فإنه معين ولا بد، بقوله: ﴿مَوْقُوتًا﴾. فمن أخرج صلاة مفروضة عن وقتها المعين له، كان ما كان، من ناس أو متذكر، فإنه لا يقضيها أبداً، ولا تبرأ ذمته. فإنه ما صلى الصلاة المشروعة. إذ كان الوقت من شروط صحة تلك الصلاة. فليكثر النوافل بعد التوبة. ولا قضاء عليه عندنا، لخروج وقتها الذي هو شرط في صحتها.

ووقت الناسي والنائم وقت تذكُّره واستيقاظه من نومه. وهو مؤد، ولا بد، لا يسقى قاضياً، على الاعتبار الذي يراه الفقهاء. لا على ما تعطيه اللغة. فإن القاضي والمؤدّي لا فرق بينهما في اللسان. فكل مؤد للصلاة فقد قضى ما عليه؛ فهو قاض بأدائه، ما تعين عليه أدائه من الله.

فلنقل: أمّا وقت صلاة الظهر؛ فاتفق العلماء بالشرعية، أن وقت الظهر الذي لا تجوز قبله، هو الزوال. واختلفوا منها في موضعين: في آخر وقتها الموسع، وفي وقتها المرغّب فيه. فأما آخر وقتها الموسع؛ فمن قائل: هو أن يكون ظل كل شيء مثله. ومن أصحاب هذا القول، من يقول: إن ذلك المثل، الذي هو آخر وقت الظهر، هو أول وقت العصر. ومن قائل منهم: إنه آخر وقت الظهر خاصة. فإن أول وقت³ العصر، إنما هو المثلان. وإن ما بين المثل والمثلين لا يصلح لصلاة الظهر.

1 ص 10
2 [النساء: 103]
3 ص 10 ب

وأما وقتها المرغّب فيه؛ فمن قائل: أول الوقت للمنفرد أفضل. ومن قائل: أول الوقت أفضل للمنفرد والجماعات، إلا في شدة الحر. ومن قائل: أول الوقت أفضل بإطلاق، في اشتراد وجماعة، وحر وبرد. ولكل قائل استدلال ليس هذا موضعه.

اعتباره:

الاستواء هو وقوف العبد المربوب في محل النظر، من غير ترجيح فيما يعمل. أي بأيّ نيّة يقصد العبادة. هل يعتبر بذلك أداء ما يلزمه من حقّ العبوديّة، وكونه مربوباً؟ أو يعتبر ما يلزمه بذلك من أداء حقّ سيّده وربّه؟ فهو في حال الاستواء، من غير ترجيح. فإذا زالت الشمس، ترجّح عند ذلك الزوال عنده أن يعبد، لما تستحقّه الربوبية على العبوديّة، من الإنعام على هذا العبد، من وقت الطلوع إلى وقت الاستواء. فيعبد شكراً لهذه النعمة.

وإن نظر إلى زوالها بعين المفارقة لطلب الغروب عنه، وإسدال الحجاب دونه، عبده ذلةً وقرراً وانكساراً، وطلباً للمشاهدة. فلا يزال يرقبها إلى الغروب، ومن الغروب يرقب آثارها بصلاة المغرب، والتنفّل بعدها إلى مغيب الشفق، فيغيب¹ أثرها. فيبقى في ظلمة الليل سائلاً بأكيا متضرّعا، يراعي نجوم الليل لاستنارتها بنور الشمس. يسأل ويتضرّع إلى طلوع الفجر. فيرى آثار الهجاء، وقبل دعائه؛ فيعبد شكراً على ذلك، وهو يشاهد آثار القبول. فيؤدّي فرض الصبح، ولا يزال مراقباً بالذكّر، إلى أن تنجلي طالعةً.

فإذا ابيضّت وزال عنها التغير، الذي يحول بين البصر وبين بياضها، من حجب أجرة الأرض وهي الأنفاس الطبيعية - قام إجلالا على قدم الشكر إلى حدّ الاستواء. فلا يزال في عبادة الفرح والشكر إلى أن تزول، فيرجع إلى عبادة الصبر والافتقار، وتوقع المفارقة ما دام حيّاً. فهو بين عبادتين، وذلك أنه لما سمع الرسول ﷺ يقول: «ترونها كما ترون الشمس» فاعتبر ذلك في عبادته، في صلواته المفروضة والتطوع شكراً وقرراً، بين نعمة وبلاء، وشدة ورخاء.

فإن المؤمن من استوى خوفه ورجاؤه؛ فهو يدعو ربّه "خوفاً"، من حدّ الزوال إلى الغروب الشفقي، و"طمعاً" بقيّة ليلته إلى طلوع الفجر، إلى طلوع الشمس، إلى حدّ الاستواء، طمعاً أن لا يكون حجاب

بعد ذلك. هكذا هي عبادات العارفين فافهم.

فأما آخر الوقت الموسع؛ فهو آخر أحكام الاسم¹ الإلهي المخصوص بذلك الوقت، وهو الاسم الظاهر. كما أن أول الزوال حكم الاسم الإلهي الأول في الظهور الخاص بالعبادة المشروعة، إلى أن يكون ظل كل شيء مثله، وهو آخر الوقت. كذلك حكم الاسم الإلهي؛ إذا قام به هذا العبد في عبادته الخاصة به، في هذا الوقت، واستوفاه بحيث أن يكون إذا قابله به كان مثله، أي لم يبق في الاسم الإلهي حكم يختص بهذا الوقت، إلا وأثره ظاهر في هذا العبد؛ فقد انتضى حكم هذا الاسم الإلهي في هذا العبد. فخرج وقت الظهر ودخل وقت العصر، وهو حكم اسم آخر بين الاسمين، فُرْقَانٌ متوَهَّمٌ لا ينقسم، معقول غير موجود، وهو برزخ بينهما.

قال رسول الله ﷺ في الحديث الثابت عنه: «لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت الأخرى» يعني في الأربع الصلوات، للدليل آخر. فإنه إذا خرج وقت الصبح، لم يدخل وقت الظهر حتى تزول الشمس، بخلاف الظهر والعصر، والعصر والمغرب، والمغرب والعشاء، والعشاء والصبح، فاعلم ذلك.

فإن اليوم أربع وعشرون ساعة، وهو أربعة أرباع؛ كل ربع سِتُّ ساعات؛ فمن طلوع الشمس إلى الظهر ربع اليوم؛ ست ساعات، وليس بمحل لصلاة مفروضة بحكم التعيين. وإنما قلنا: "بحكم التعيين" من أجل الناسي² والنائم، فإن الوقت ما عيّن إيقاع الصلاة في ذلك الوقت، وإنما عيّن للناسي تذكُّره، وللنائم يَبْقُظُهُ شرعا. فسواء كان في ذلك الوقت أو في غيره. فلهذا حررنا القول في ذلك، وقلنا: "بحكم التعيين".

فإن مذهبي في كل ما أورده، أتى لا أقصد لفظة بعينها دون غيرها، مما يدل على معناها، إلا لمعنى. ولا أزيد حرفا إلا لمعنى. فما في كلامي بالنظر إلى قصدي حشو، وإن تخيله الناظر. فالغلط عنده في قصدي، لا عندي.

وكان (الوقت) من زوال الشمس إلى طلوعها من اليوم الثاني، وقتا مستصحباً لصلوات معينة مفروضة فيها، متى وقعت وقعت في وقتها المعين لها.

كذلك الإنسان مقسّم على أربعة أرباع: الثلاثة الأرباع منها متعبدة لله بأعمال مخصوصة، كالثلاثة

الأرباع من اليوم. فأرباع الإنسان: ظاهره، وباطنه -الذي هو قلبه-، ولطيفته -التي هي روحه المخاطبة منه-، وطبيعته. فظاهره وقلبه وروحه (كل أولئك) لا ينفك عن عبادة أصلا تتعلق به؛ فإما أن يطيع وإما أن يعصي.

والربع الواحد: طبيعته. وهو مثل زمان طلوع الشمس إلى الزوال من اليوم. فهو يتصرف بطبعه، مباحا له¹ ذلك، لا حرج عليه. إلا إن شاء أن يلحقتها بسائر أرباعه في العبادات؛ فيعمل المباح له عمله، من كونه مباحا شرعا. ويحضر مع الإيمان به. كالمصلي من طلوع الشمس وإضاءتها إلى أول الزوال -أعني حين الاستنواء- فلا يمنع من ذلك. وهو ليس بوقت وجوب لشيء من الصلوات الخمس معين، فافهم.

وأما اعتبار الوقت المرغّب فيه (فهو) على ما ذكرناه من الاختلاف، واتفق الكل على الأوليّة، أو الأكثر. واختلفوا في الأحوال²؛ فاعلم أن الأول أفضل الأشياء وأعلاها، لأنه لا يكون عن شيء، بل تكون الأشياء عنه. فلو كان عن شيء؛ لم تصح له الأوليّة على الإطلاق.

فكذلك العبد؛ يسعى في أن يعبد ربه، من حيث أوليّة ربه، لا من حيث أوليّة عينه. فإن أوليّة عينه، عن أوليات كثيرة قبله. وأعني بذلك الأسباب. فهو سبحانه -السبب الأول الذي لا سبب لأوليته. فإذا عبده العارف، في تلك الأوليّة المنزهة، عن أن تتقدّمها أوليّة، انسحب عبادة هذا العارف من هناك، على عبادة كل مخلوق خلقه الله، من أول الخلق إلى حين وجوده. وهي الأوليّة المؤثرة في إيجاد الكائنات. فقد عبده في الوقت المرغّب فيه. سواء عبده بصفة خاصة من أعضائه المكلفة؛ كصلاة الفذّ المنفرد، أو عبده بجميع أعضائه كصلاة الجماعة، أو في زمان الحز؛ أي في شدّة خوفه ومجاهدته، وحرقة اشتياقه، ووجده وولاه وكلفه، أو في برد، أي في حال علمه وتلج يقينه وبرده، على أي حالة كان. فالأوليّة أفضل له، فإن الله يقول آمرا: ﴿سَارِعُوا﴾⁴ و﴿سَابِقُوا﴾⁵ وأثنى على من هذه حالته فقال: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾⁶.

فالمبادرة إلى أول الأوقات في العبادات، هو الأحوط والمطلوب من العباد في حال التكليف. ولهذا

1 ص 12
2 "واختلفوا في الأحوال" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب.

3 ص 13
4 [آل عمران: 133]
5 [الحديد: 21]
6 [المؤمنون: 61]

الاحتراز والاحتياط يُحْمَلُ الأمر الإلهي، إذا ورد مُعْرَى عن قرائن الأحوال، التي يُفهم منها الندب، أو الإباحة على الوجوب. ويحمل النهي كذلك على الحظر، إذا تعرّى عن قرينة حال تعطيك الكراهة. ولا تتوقف عن حمل الأمر والنهي على ما قلناه إلا بقرينة حال تخرجهما عن حكم الوجوب في الأمر وحكم الحظر في النهي.

فقد بان لك يا أخي - اعتبار الأوقات مطلقاً، واعتبار الوقت المرغّب فيه، بعد أن عرفناك بمذاهب علماء الشريعة فيه¹، للجمع بين العبادتين: الظاهرة في حُسْكِ، والباطنة في عَقْلِك؛ فتكون من أهل الجمع والوجود. فإنك إذا طلبت الطريق إلى الله، من حيث ما شرعه الله، كان الحق - الذي هو المشرّع - غائبك. وإذا طلبته، من حيث ما تعطيه نفسك من الصفاء، والالتحاق بعالمها، من التنزّه عن الحكم الطبيعي عليها؛ كان غايتها الالتحاق بالعالم الروحاني خاصة. ومن هناك تنشأ لها شرائع الأرواح، تسلك عليها وبها، حتى يكون الحق غائباً. هذا إن فسح الله له في الأجل. وإن مات فلن يدرك ذلك أبداً.

وقد أفردنا لهذه الطريقة خلوة مطلقة، غير مقيدة، في جزء يعمل عليها المؤمن، فيزيد إيماناً. ويعمل بها وعليها غير المؤمن: من كافر ومعطل ومشارك ومنافق. فإذا وفق العمل عليها وبها، كما شرطناه وقررناه، فإنه يحصل له العلم بما هو الأمر عليه في نفسه. ويكون ذلك سبب إيمانه بوجود الله إن كان معطلاً. وتوحيد الله إن كان مشركاً. وبحصول إيمانه إن كان كافراً. وبإخلاصه إن كان منافقاً أو مرتاباً.

فمن دخل تلك الخلوة، وعمل بتلك الشرائط²، كما قررنا، أثمرت له ما ذكرنا. وما سبقني إليها أحد في علمي، إلا إن كان وما وصل إلي، فإن الله لا تحجير عليه ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾³. فإني أعلم أنّ أحداً من أهل الطريق ما يجهلها إن كان صاحب كشف تام، ولكن ما ذكرها⁴، ولا رأيت أحداً منهم يتبّه عليها إلا الخلوات المقيّدة. ولولا ما سألتني فيها أخونا ووليتنا أبو العباس أحمد بن علي بن ميمون بن آب التّوّزري ثم المصري المعروف بالقسطلاني المجاور الآن بمكة، ما خطر لنا الإيابة عنها. فربما اتفق لمن تقدّمنا مثل هذا، فلم يُنبّهوا عليها لعدم السائل.

1 ص 13 ب
2 ص 14
3 [البقرة : 269]
4 ق: ما ذكرها

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في وقت صلاة العصر

اختلف علماء الشريعة في أوّل وقتها، مع آخر وقت الظهر، وفي آخر وقت صلاة العصر. فمن قائل: إنّ أوّل وقت العصر هو بعينه آخر وقت الظهر، وهو إذا صار ظلّ كلّ شيء مثله. واختلف القائلون بهذا القول. فمن قائل: إنّ ذلك الوقت مشترك للصلايتين معاً، ومقداره أن يصلي فيه¹ أربع ركعات، إن كان مقياً، أو ركعتين إن كان مقصّراً. ومن قائل: آخر وقت الظهر هو الآن الذي هو أوّل وقت العصر، وهو زمان لا ينقسم.

جاء في الحديث الثابت في إمامة جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ: «أنّه صَلَّى الظهر في اليوم الثاني في الوقت الذي صَلَّى فيه العصر في اليوم الأوّل» وفي الحديث الثابت الآخر أنّ رسول الله ﷺ قال: «آخر وقت الظهر ما لم يدخل وقت العصر» وحديث آخر ثابت: «لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت صلاة أخرى».

فالحديث الأوّل يعطي الاشتراك في الوقت، والحديثان الآخران يعطيان² الزمان الذي لا ينقسم، فيرفع الاشتراك. والقول هنا أقوى من الفعل، لأنّ الفعل يعسر الوقوف على تحقيق الوقت به، وهو من قول صاحب على ما أعطاه نظره. وقول النبي ﷺ يخالف ما قال صاحب، وحكم به على فعل صلاة جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ. فيكون كلام رسول الله ﷺ مفسّراً للفعل الذي فسّره الراوي. والأخذ بقول رسول الله ﷺ هو الذي أمرنا الله أن نأخذ به. قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾³.

فكان ينبغي في هذه المسألة وأمثالها، أن لا يتصوّر خلاف. ولكن الله جعل هذا الخلاف رحمة لعباده، واتّساعاً فيما كلّفهم من عبادته. لكنّ فقهاء زماننا حجروا وضيقوا على الناس المقلّدين للعلماء ما وسّع الشرع عليهم، فقالوا للمقلّد إذا كان حنفي المذهب: لا تطلب رخصة الشافعي فيما نزل بك، وكذلك لكلّ واحد منهم. وهذا من أعظم الرزايا في الدين والخرج. والله يقول: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾⁴.

والشرع قد قرّر حكم المجتهد له في نفسه ولن قلّه. فأبوا (أعني) فقهاء زماننا ذلك. وزعموا أنّ ذلك

1 ص 14 ب
2 ق: يعطي
3 ص 15
4 [الحشر : 7]
5 [الحج : 78]

يؤدي إلى التلاعب بالدين، وهذا غاية الجهل منهم. فليس الأمر - والله - كما زعموا، مع إقرارهم على أنفسهم، أنهم ليسوا بمجتهدين، ولا حصلوا في درجة الاجتهاد، ولا ثقلوا عن أئمتهم أنهم سلكوا هذا المسلك. فأكذبوا أنفسهم في قولهم: إنهم ما عندهم استعداد الاجتهاد. والذي حجروه على المقلدين، ما يكون إلا بالاجتهاد. نعوذ بالله من العتى والخذلان. فما أرسل الله رسوله إلا رحمة للعالمين، وأي رحمة أعظم من تنفيس هذا الكرب المهم والحطّ بالملم؟!

وأما آخر وقت العصر؛ فمن قائل: إن آخر وقتها أن يصير ظل كل شيء مثليه. ومن قائل: إن آخر وقتها ما لم تصفر الشمس. ومن قائل: إن آخر وقتها قبل أن تغرب الشمس بركعة، وبه أقول. الاعتبار:

قد تقدّم الاعتبار في الوقت المشترك بالأسماء الإلهية في حق المتخلّق بها من أهل الله، وغير المشترك. فليؤخذ في كلّ الصلوات مطلقاً. وما بقي من الاعتبار في هذا الفصل، إلا الاعتبار في "الآن" الذي لا ينقسم، وفي "الاصفرار". أما اعتبار "الآن" الفاصل بين الوقتين، فهو المعنى الفاصل بين الاسمين، أعني بين حكمهما الذي لا يفهم من كلّ واحد منهما اشتراك، فظهر حكم كلّ اسم منهما على الأفراد.

وهو حدّ الواقف عندنا. فإنّ الإنسان السالك، إذا انتقل من مقام قد أحكمه وحصله تخلّقاً وذوقاً وحُلقاً، إلى مقام آخر يريد تحصيله أيضاً، يوقّف بين المقامين وقفة، يخرج حكم تلك الوقفة عن حكم المقامين: عن حكم المقام الذي انتقل عنه، وعن حكم المقام الذي يريد الانتقال إليه. يُعرّف في تلك الوقفة بين المقامين - وهو كالآن بين الزمانين - آداب المقام الذي ينتقل إليه، وما ينبغي أن يعامل به الحق. فإذا أُبين له عنه، دخل في حكم المقام الذي انتقل إليه على علم.

فإنّ المقامات في هذا الطريق، كأنواع الأعمال في الشريعة، مثل: الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد وغير ذلك. فكما أنّ لكل نوع من هذه الأعمال علم يخصّه، كذلك لكل مقام آداب ومعاملة تخصّه. وقد بين ذلك محمد بن عبد الجبار النّقري في كتابه الذي سَمّاه بـ "المواقف والقول"³، وقفّت على أكثره. وهو كتاب

1 ص 15 ب

2 ص 16

3 اسم الكتاب هو: المواقف والمخاطبات

شريف يحوي على علوم آداب المقامات. يقول في ترجمة الموقف اسم الموقف. يقول في انتقاله إلى موقف العلم مثلاً - وهو من جملة مواقفه في ذلك الكتاب - فقال: "موقف العلم". ثم قال: "أوقفني في موقف العلم، وقال لي: يا عبدي؛ لا تأتمر للعلم، ولا خلقتك لتدلّ على سواي. ثم قال: قال لي: الليل لي، لا للقرآن يُتلى. الليل لي لا للمحمدة والثناء".

إلى أن ينتهي إلى جميع ما¹ يوقفه الحق عليه. فإذا عُرّف، حينئذ يدخل إلى ذلك المقام، وهو يعرف كيف يتأدّب مع الحق في ذلك المقام. قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أدبني فحسن أدبي». فهذا هو "الآن" الذي بين الصلايين. فأهل الأذواق من أهل الله، يوقفون فيه. فيغضون آداب الصلاة التي ينبغي أن يعامل الله بها في ذلك اليوم الخاص. هكذا في صلوات كلّ يوم.

وأما اعتبار الاصفرار في أنّه الحدّ لآخر وقت العصر، فاعلم أولاً أنّ الاصفرار تغيير يطرأ في عين الناظر، فيحكم به أنّه في نور الشمس؛ من أبخرة الأرض الحائلة بين البصر - وبين إدراك خالص نور الشمس. فاعتباره ما يطرأ في نفس العبد في حكم الاسم الإلهي الحق من الخواطر النفسية العرضية، في نفس ذلك الحكم. فينسبه إلى الحق بوجه غير مخلص، وينسبه إلى نفسه بوجه غير مخلص. ويقع مثل هذا في الطريق، من الأديب ومن غير الأديب.

فأمّا وقوعه من الأديب، فهو الذي يعرف أنّ النور في نفسه لم يصفّر ولا تغيّر. وهو أن يعلم أنّ الحكم للاسم الإلهي مخلص، لا حكم للنفس معه، وإنما هو ذلك الحكم - ربما تعلّق عنده اسم عيب عُرِف أو شرعاً، فينزّه جناب² الحق تعالى - عن ذلك الحكم، بأن ينسبه إليه ولكن بمشيئة الله. ويقول: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾³ هذا هو العيب عُرِف. فأضاف المرض إلى نفسه، إذ كان عيباً عنده. وأضاف الشفاء إلى ربه، إذ كان حسناً.

ومع هذا القصد، فإنّ الظاهر في اللفظ، إزالة حكم الاسم الإلهي الذي أمرضه. فلمّا علم الحليل الشفاء هذا القدر، نادى ذلك الاسم الذي أمرضه بقوله: ﴿أَطْلَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾⁴ يقول: إنّه أخطأ، وإن كان قصّد الأدب حيث نسب المرض لنفسه، وما نسبه إلى حكم الاسم الإلهي الذي أمرضه.

1 ص 16 ب

2 ص 17

3 [الشعراء: 80]

4 [الشعراء: 82]

وما قصد إلا الأدب معه، حتى لا يضيف ما هو عيب عندهم عرفاً، إلى حكم الاسم الإلهي، فيفهم من هذا الاعتراف أن الحكم كان للاسم الإلهي، وهو كان مقصود الاسم.

فجمع هذا العارف بين أدبين في هذه المسألة: بين أدب نسبة المرض إلى نفسه، وبين الأدب في التعريف، أن ذلك المرض حكم ذلك الاسم الإلهي، من غير تصرّح، لكن بالتضمن والإجمال في قوله: ﴿أَطْلَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾¹. ولم يُسمَّ الخطيئة ما هي؟ يوم الدين، يقول: يوم الجزاء.

وهكذا في قوله: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾³ وهو قول يوشع فتى موسى لموسى عليهما السلام. وفي الحقيقة، ما أنساه إلا اسم إلهي، حكم عليه بذلك. فأضافه إلى الشيطان، أدبا مع ذلك الاسم الإلهي، الذي أنساه أن يعرف موسى ^{عليه السلام} بحياة الحوت، لما أراد الله من تمام ما سبق به العلم الإلهي، من زيادة الأقدام التي قدر له أن يقطع بها تلك المسافة، ويجاوز بها المكان الذي كان فيه خَصِرٌ. ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾⁴ أي يتبعان الأثر، إلى أن عادا إلى المكان، فوجداه: تنبيها من الله وتأديبا، لما جاوزه (موسى) من الحد في إضافته العلم إلى نفسه، بأنه أعلم من في الأرض في زمانه.

فلو كان عالماً، لَعلم دلالة الحق، التي هي عين اتخاذ الحوت سربا. وما علم ذلك. وقد علمه يوشع، ونسأه الله التعريف بذلك؛ ليظهر لموسى تجاوزه الحد في دعواه، ولم يرد ذلك إلى الله في علمه في خلقه.. القصة إلى آخرها. وفيها ما يتعلق باعتبار الصفرة التي دخلت على نور الشمس، في قوله في قتل الغلام: ﴿فَارْتَدَّا﴾⁵ فجعل الضمير يعود على الاسم الإلهي وعليه: "على الاسم الإلهي" بما كان في ذلك القتل من الرحمة بالأبوين⁶ وبالغلام. و"عليه" بقتل نفس زكية بغير نفس.

فظاهره جَوَزَ. فشرك في الضمير بينه وبين الله، فدخل في نسبة الفعل إلى الله في الظاهر، اصفرار، أي تغيير باشتراك اسم الحضر في الضمير معه، مع قصد الأدب. ثم قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾⁷ أي الحق علمني الأدب معه.

فهذا قد أبنت لك اعتبار "الآن" و"اصفرار الشمس". فاطرُده حيث وجدت معنى "الآن" الفاصل بين الزمانين و"الصفرة" التي تدخل على النور الخالص من اسمه النور سبحانه- مثل قوله تعالى- بأنه ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹. فلما لم يطلق على نفسه اسم النور المطلق الذي لا يقبل الإضافة، وقال: ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليعلنا ما أراد بالنور هنا.

فأثر حكم التعليم والإعلام في النور المطلق، الإضافة. فقيّدته عن إطلاقه بالسموات والأرض، فلما أضافه نزل عن درجة النور المطلق في الصفة، فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي صفة نوره، يعني المضاف إلى السموات والأرض ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ إلى أن ذكر المصباح، ومادته. وأين صفة نور السراج، وإن كان بهذه المثابة، من صفة النور الذي أشرقت به السموات والأرض؟

فعلّنا سبحانه- في هذه الآية، الأدب في النظر في² أسائه، إذا أطلقناها عليه بالإضافة، كيف نفعل؟ وإذا أطلقناها عليه بغير الإضافة كيف نفعل؟ مثل قوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾³ فأضاف النور هنا إلى نفسه، لا إلى غيره. وجعل النور المضاف إلى السموات والأرض، هاديا إلى معرفة نوره المطلق. كما جعل المصباح هاديا إلى نوره المقيّد بالإضافة. وتم ذلك بقوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾⁴. ثم نهانا عن مثل هذا فقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁵.

والله اسم جامع لجميع الأسماء الإلهية، محيط بمعانيها كلها. وضرب الأمثال يخص اسما واحدا معينا. فإن ضربنا الأمثال لله، وهو اسم جامع شامل- فما طبقنا المثال على الممثل (به)، فإن المثال خاص، والممثل به مطلق. فوقع الجهل بلا شك.

فنهينا أن نضرب المثل من هذا الوجه، إلا أن نعين اسما خاصا ينطبق المثل عليه؛ فحينئذ يصح ضرب المثل لذلك الاسم الخاص، كما فعل الله في هذه الآية فقال: ﴿اللَّهُ﴾ وما ضرب المثل للاسم "الله" وإنما عيّن سبحانه- اسما آخر، وهو قوله: ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁶ وضرب المثل بالمصباح، لذلك الاسم

1 [الشعراء : 82]

2 ص 17 ب

3 [الكهف : 63]

4 [الكهف : 64]

5 [الكهف : 81]

6 ص 18

7 [الكهف : 82]

1 [النور : 35]

2 ص 18 ب

3 [النور : 35]

4 [الرعد : 17]

5 [التحل : 74]

6 [النور : 35]

النور المضاف، أي هكذا فافعلوا. ولا تضربوا الأمثال "لله" فإني ما ضررتها. فافهموا، فهما الله¹ وإياكم مواقع خطابه، وجعلنا ممن تأدب بما عرّفناه من آدابه إنه اللطيف بأحبابه.

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

في وقت صلاة المغرب الشاهد

اختلف علماءنا في وقت صلاة المغرب؛ هل لها وقت موسّع كسائر الصلوات أم لا؟ فمن قائل: إن وقتها واحد غير موسّع، ومن قائل: إن وقتها موسّع، وهو ما بين غروب الشمس إلى مغيب الشفق، وبه أقول.

اعتبار الباطن في ذلك:

اعلم أنه إنما وقع الاختلاف لما كانت صلاة المغرب وترا، والوتر أحدي الأصل، فينبغي أن يكون لها وقت واحد، من أجل المناسبة في الوترية. ولذلك ورد في إمامة جبريل عليه السلام برسول الله ﷺ: «أنه صلى المغرب في اليومين، في وقت واحد في أول فرض الصلوات» لأن الملك أقرب إلى الوترية من البشرية. و«المغرب وتر صلاة النهار» كما أخبرنا رسول الله² ﷺ وذلك قبل أن يزيدنا الله وتر صلاة الليل: «إن الله قد زادكم صلاة إلى صلاتكم» وذكر صلاة الوتر «فأوتروا يا أهل القرآن» فشبهها بالفرائض وأمر بها، ولهذا جعلها من جعلها واجبة، دون الفرض وفوق السنة، وأتم من تركها، ونعم ما نظر وفقه.

ولما رأى النبي ﷺ أن الله قد شرع وتر صلاة الليل، وزاده إلى الصلاة المفروضة، وفيها المغرب، وهو وتر صلاة النهار، وقال: «إن الله يحب الوتر» فقيّد المغرب بوترية صلاة النهار، وقيّد الوتر بوترية صلاة الليل. وقال: «إن الله وتر يحب الوتر» يعني يحب الوتر لنفسه. فشرع لنا وترين ليكون شفعا؛ لأن الوترية في حق المخلوق محال. قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾³ حتى لا تنبغي الأحدية إلا لله.

ولما رأى رسول الله ﷺ أن الله قد شرع وتر صلاة الليل، ليشفع به وتر صلاة النهار، لينفرد -

سبحانه - بحقيقة الوترية، التي لا تقبل الشفعية. فإنه ما تم في نفس الأمر إله آخر يشفع وترية الحق - تعالى - كما شفعت وترية صلاة الليل وترية صلاة النهار. فكان مما قال فيه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾¹ خلق وترين. فكان كل واحد منهما يشفع وترية صاحبه. ولهذا لم يلحقها رسول الله ﷺ بصلاة النافلة، بل قال: «زادكم صلاة إلى صلاتكم» يعني الفرائض، ثم أمر بها أمته.

فلما سئل رسول الله ﷺ بعد إمامة جبريل عليه السلام به ﷺ عن وقت الصلاة، صلى بالناس يومين: صلى في اليوم الأول في أول الأوقات، وصلى في اليوم الثاني في آخر الأوقات، الصلوات الخمس كلها، وفيها المغرب. ثم قال للسائل: «الوقت ما بين هذين» فجعل للمغرب وقتين كسائر الصلوات، وألحقها بالصلاة الشفعية، وإن كانت وترا، ولكتها وتر منفيد³ شفعية وتر صلاة الليل. فوسّع وقتها كسائر الصلوات، وهو الذي ينبغي أن يعول عليه، فإنه متأخر عن إمامة جبريل عليه السلام فوجب الأخذ به.

فإن الصحابة كانت تأخذ بالأحدث فالأحدث، من فعل رسول الله ﷺ، وإن كان ﷺ كان يشار على الصلاة في أول الأوقات. فلا يدل ذلك على أن الصلاة ما لها وقتان، وما بينهما. فقد أبان عن ذلك وصرّح، وما عليه ﷺ إلا البلاغ والبيان. وقد فعل ﷺ. فهذا اعتبار وتعليل يهدي إلى الحق وإلى سواء السبيل.

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

في وقت صلاة العشاء الآخرة

اختلفت علماء الشريعة، من وقتها، في موضعين: في أول وقتها، وآخر وقتها. فمن قائل: إن أول وقتها مغيب حمرة الشفق، وبه أقول. ومن قائل: إن أول وقتها مغيب البياض الذي يكون بعد الحمرة. والشفق شفقان، وهو سبب الخلاف: فالشفق الأول صادق، والبياض بعده الذي هو الشفق الثاني تقع فيه الشبهة: فإنه قد يشبه أن يكون شبه الفجر الكاذب، الذي هو ذنب السرحان، وهو المستطيل. وجعله الشارع من الليل، ولا يجوز بظهوره صلاة الصبح، ولا يمنع مريد الصوم من الأكل. ويشبه أن يكون

شبيه الفجر المستطير، الذي يُصَلَّى بظهوره صلاة الصبح، ولا يجوز للصائم أن يأكل بظهوره.

إلا أن الأظهر عندي أنه شبيه الفجر المستطير، الذي يُصَلَّى بظهوره الصبح. وذلك لاتصاله بالحمرة إلى طلوع الشمس، لا ينقطع بظلمة، كما ينقطع الفجر الكاذب. كذلك¹ البياض الذي في أول الليل متصل بالحمرة، فإذا غابت الحمرة بقي البياض. فلو كانت بين البياض والحمرة ظلمة قليلة، كما يكون بين الفجر المستطيل وحمرة إسفار الصبح؛ كنا نلحقها بالفجر الكاذب؛ ونلغي حكمها. فكان والله أعلم- أن الذي يراعي مغيب البياض في أول وقت العشاء أوجه.

ولكن إذا ثبت أن الشارع صلى في البياض بعد مغيب الشفق الأحمر، فنقف عنده. فللشارع أن يعتبر البياض والحمرة التي تكون في أول الليل بخلاف ما يعتبرها في آخر الليل، وإن كان ذلك عن آثار الشمس في غروبها وطلوعها. وأما قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾² فالأوجه عندي في تفسيره، أنه الفجر المستطيل لا تقطاعه، كما ينقطع نفس المتنفس. ثم بعد ذلك تتصل أنفاسه.

وأما آخر وقتها؛ فمن قائل: إنه ثلث الليل. ومن قائل إلى أنه نصف الليل. ومن قائل: إنه إلى طلوع الفجر، وبه أقول. ولقد رأيت قولاً، ولا أدري من قاله، ولا أين رأيته: إن آخر وقت صلاة العشاء ما لم تم، ولو سهرت إلى طلوع الفجر.

الاعتبار في الباطن في ذلك:

الاعتبار³ في أول وقت هذه الصلاة وآخره: أعلم أن العالم قد قسمه الحق على ثلاث مراتب؛ وقسم الحق أوقات الصلوات على ثلاث مراتب: فجعل عالم الشهادة، وهو عالم الحس والظهور، وهو بمنزلة صلاة النهار. فأناجي الحق بما يعطيه عالم الشهادة والحس، من الدلالة عليه، وما ينظر إليه من الأساء. وقد قال رسول الله ﷺ في مثل هذا: «إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» يعني في الصلاة. فتاب العبد هنا مناب الحق. وهذا من الاسم الظاهر. فكان الحق ظهر بصورة هذا القائل: "سمع الله لمن حمده". وكذلك قوله تعالى: لنبينه محمد ﷺ في حق الأعرابي: ﴿فَأَجِزْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾⁴ وهو ما

سمع إلا الأصوات والحروف من فم النبي ﷺ وقال الله: "إن ذلك كلامي" وأضافه إلى نفسه. فكان الحق ظهر في عالم الشهادة بصورة التالي لكلامه، فافهم.

وجعل عالم الغيب، وهو عالم العقل، وهو بمنزلة صلاة العشاء، وصلاة الليل من مغيب الشفق إلى طلوع الفجر. فيناجي المصلي ربه في تلك الصلاة بما يعطيه عالم الغيب والعقل والفكر، من الأدلة والبراهين عليه ﷺ وهو¹ خصوص دلالة، لخصوص معرفة، يعرفها أهل الليل. وهي صلاة المحبين؛ أهل الأسرار وغوامض العلوم، المكتنفين بالحجب. فيعطيه من العلوم ما يليق بهذا الوقت، وفي هذا العالم. وهو وقت معارج الأنبياء والرسل والأرواح البشرية، لرؤية الآيات الإلهية المثالية، والتقريب الروحاني. وهو وقت نزول الحق من مقام الاستواء، إلى السماء الأقرب إلينا، للمستغفرين والتائبين والسائلين والداعين. فهو وقت شريف. ومن صلى هذه الصلاة في جماعة، فكأنما قام نصف ليلة. وفي هذا الحديث راحة لمن يقول: إن آخر وقتها إلى نصف الليل.

وجعل سبحانه- عالم التخيل والبرزخ، الذي هو تزل المعاني في الصور الحسية. فليست من عالم الغيب لما لبسته من الصور الحسية، وليست من عالم الشهادة لأنها معاني مجردة. وأن ظهورها بتلك الصور أمر عارض، عرض للمدرك لها، لا للمعنى في نفسه؛ كالعلم في صورة اللبن، والدين في صورة القيد، والإيمان في صورة العروة.

وهو من أوقات الصلوات؛ وقت المغرب ووقت صلاة الصبح. فإتقان ما هما من الليل ولا من النهار. فهما برزخان بينهما من الطرفين، لكون زمان الليل والنهار دورياً. ولهذا قال تعالى: ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾² من كَوَّر العِمامة. فيخفى كل واحد منهما بظهور الآخر. كما قال: ﴿يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾³ أي يغطيه. وكذلك النهار يغشي الليل. فيناجي المصلي ربه في هذا الوقت، بما يعطيه عالم البرزخ من الدلالات على الله في التجليات وتوابعاتها، والتحول في الصور كما وردت الأخبار الصحاح.

غير أن برزخية صلاة المغرب، هو خروج العبد من عالم الشهادة إلى عالم الغيب. فيمر بهذا البرزخ الوثري، فيقف منه على أسرار قبول عالم الغيب لعالم الشهادة. وهو بمنزلة الحس الذي يعطي للخيال

1 ص 22

2 ص 22 ب

3 [الزمر : 5]

4 [الأعراف : 54]

1 ص 21

2 [التكوير : 18]

3 ص 21 ب

4 [التوبة : 6]

صورة، فيأخذها الخيال بقوة الفكر، فيلحقها بالمعقولات. لأنّ الخيال قد لطّف صورتها، التي كانت لها في الحسّ، من الكثافة، فتروحت بوساطة هذا البرزخ. وسببه وتر صلاة المغرب. فإنّ الفعل للوتر: فهو الذي لطّف صورتها على الحقيقة، ليقبلها عالم الغيب والعقل. لأنّ العقل لا يقبل صور الكثيف، والغيب لا يقبل الشهادة. فلا بدّ أن يلطّف البرزخ صورتها، حتى يقبلها عالم الغيب.

وكذلك برزخ الفجر، وهو خروج عالم الغيب إلى عالم الشهادة والحسّ، فلا بدّ أن يمرّ ببرزخ الخيال، وهو وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. فما هو من عالم¹ الغيب ولا من عالم الشهادة: فيأخذ البرزخ الذي هو الخيال المعبر عنه بوقت الفجر إلى طلوع الشمس، المعاني المجردة المعقولة التي لها الليل، فيكتفها الخيال في برزخه: فإذا كساها كثافة من تخيله بعد لطافتها، حينئذ وقعت المناسبة بينها وبين عالم الحسّ؛ فنظهر صورة كثيفة في الحسّ، بعد ما كانت صورة روحانية لطيفة غيبية. فهذا من أثر البرزخ؛ يردّ المعقول محسوسا في آخر الليل، ويردّ المحسوس معقولا في أول الليل.

مثاله: إنّ لصورة الدار في العقل، صورة لطيفة معقولة، إذا نظر إليها الخيال صوّرها بقوة، وفصلها وكثفها عن لطافتها في العقل. ثمّ صرف الجوارح في بنائها، بجمع اللبن والطين والجص، وجميع ما تخيله البناء المهندس، فأقامها في الحسّ صورة كثيفة يشهدها البصر، بعد ما كانت معقولة لطيفة تتشكل في أيّ صورة شاءت. فزال عنها في الحسّ تلك القوّة، بما حصل لها من التشديد، فتبقى النهار كلّ، مقيدة بتلك الصورة على قدر طول النهار.

فإن كان النهار لا انقضاء له كيوم النار الآخرة، فتكون الصورة لا ينتهي أمدها. وإن كان النهار ينقضي- كيوم الدنيا، وإيامها متفاضلة: فيوم من أربع وعشرين² ساعة، ويوم من شهر، ويوم من سنة، ويوم من ثلاثين سنة، ودون ذلك وفوق ذلك، فتبقى الصورة مقيدة بتلك المدة طول يومها، وهو المعبر عنه بعمرها، إلى الأجل المسوّى. إلى أن يجيء وقت المغرب، فيلطف البرزخ صورتها، وينقلها من عالم الحسّ، ويؤدّيها إلى عالم العقل. فترجع إلى لطافتها من حيث جاءت. هكذا حركة هذا الدولاب الدائر.

فإن فهمت وعقلت هذه المعاني التي أوضحن لك أسرارها، علمت علم الدنيا، وعلم الموت، وعلم الآخرة، والأزمنة المختصة بكلّ محلّ، وأحكامها. والله ينهّنا وإياك حكمه، ويجعلنا ممن ثبتت في معرفته قديمه.

فالليل ثلاثة أثلاث، والإنسان ثلاثة عوالم: عالم الحسّ وهو الثلث الأوّل، وعالم خياله وهو الثاني، وعالم معناه وهو الثلث الآخر، من ليل نشأته. وفيه ينزل الحقّ وهو قوله: «وسعني قلب عبدي» وقوله: «إنّ الله لا ينظر إلى صورك» وهو الثلث الأوّل¹، «ولا إلى أعمالكم» وهو الثلث الثاني، «ولكن ينظر إلى قلوبكم» وهو الثلث الآخر. فقد عمّ الليل كلّ.

فمن قال: إنّ آخر الوقت الثلث الأوّل، فباعتبار ثلث الحسّ. ومن قال: آخره إلى نصف الليل، وهو وسط الثلث الثاني، فباعتبار² الثلث الثاني وهو عالم خياله، لأنّه محلّ العمل في التلطيف أو التكتيف. ومن قال: إلى طلوع الفجر. فباعتبار عالم المعنى من الإنسان. وكلّ قائل بحسب ما ظهر له. وقد وقع الإجماع بطلوع الفجر إنّهُ يُخرج وقت صلاة العشاء. فالظاهر أنّ آخر الوقت إلى طلوع الفجر، محلّ الإجماع والاتفاق على خروج الوقت بطلوع الفجر. وبقولنا يقول ابن عباس: إنّ آخر وقتها إلى طلوع الفجر.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في وقت صلاة الصبح

اتفق الجميع على أنّ أوّل وقت الصبح طلوع الفجر وآخره طلوع الشمس، واختلفوا في وقتها اختار بين قائل: إنّ الإسفار بها أفضل. ومن قائل: إنّ التغليس بها أفضل، وبه أقول.

الاعتبار في الباطن في ذلك:

اعلم أنّه من غلب على فهمه من قوله ﷺ وقول الله -تعالى- في رؤية الله، أنّ ذلك راجع إلى العلم والعقل لا إلى البصر³، وبه قال جماعة من العقلاء النظار من أهل السنة، فهم بمنزلة من يرى التغليس. ومن غلب على فهمه بما ورد في الشرع من الرؤية أنّ ذلك بالبصر، وأنّه لا يقدح في الجنب الإلهي، وأنّ الجهة لا تقيد البصر، وإنما تقيد الجارحة، فهو بمنزلة من يرى الإسفار بصلاة الصبح، بحيث أن يبقى لطلوع الشمس قدر ركعة، أو يسلم مع ظهور حاجب الشمس.

والعجب من هذا، أنَّ الذي ذهب إلى أنَّ الرؤية الواردة في الشرع، محمولة على العلم لا على البصر، يرى الإسفار بالصبح. وأنَّ الأكثر من الذين يرون أنَّ الرؤية الواردة في الشرع يوم القيامة، محمولة على البصر لا على العلم، يرون التغليس بالصبح.

فهذا أحسن وجه في اعتبار هذا الوقت، وأعمّه وأعلاه، وله اعتبارات غير هذا. ولكن يجمعها كلها ما ذكرناه. ولا تجمع تلك الاعتبارات التي تركناها حقيقة هذا الاعتبار الذي ذكرناه. فلهذا اقتصرنا عليه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

انتهى الجزء السادس والثلاثون، يتلوه في الجزء السابع والثلاثين.

الجزء السابع والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

فَضْلٌ بَلْ وَضَل
في أوقات الضرورة والعذر
فقوم أثبتوها وقوم نفوها، والخلاف مشهور بينهم في ذلك.

اعتبار الباطن في ذلك:

مَنْ نَسَبَ الْأَفْعَالَ إِلَى اللَّهِ نَفَاهَا، وَمَنْ أَثَبَتَ الْفِعْلَ لِلْعَبْدِ، كَسَبَهَا أَوْ خَلَقَهَا، بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ مِنْ هَذَيْنِ، أَثَبَّتَهَا.

فَضْلٌ بَلْ وَضَل

في أوقات الضرورة عند مثبتها

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ بِالشَّرِيعَةِ عَلَى أَنَّهَا لِأَرْبَعٍ: لِلْحَائِضِ تَطَهَّرَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، أَوْ تَحِيضَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، وَهِيَ لَمْ تَصَلِّ. وَالْمَسَافِرُ يَذْكُرُ الصَّلَاةَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ وَهُوَ حَاضِرٌ، أَوْ الْحَاضِرُ يَذْكُرُهَا فِيهَا وَهُوَ مُسَافِرٌ. وَالصَّبِيُّ يَحْتَلِمُ فِيهَا، وَالْكَافِرُ يُسْلِمُ. وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَغْمَى عَلَيْهِ؛ فَمَنْ قَائِلٌ: هُوَ كَالْحَائِضِ لَا³ يَقْضِي الصَّلَاةَ، وَمَنْ قَائِلٌ: يَقْضِي فِيهَا دُونَ الْخَمْسِ.

اعتبار الباطن في ذلك:

الْحَائِضُ تَطَهَّرَ فِي وَقْتِ الزُّرُورَةِ؛ التَّائِبُ مِنَ الْكَذِبِ لْزُرُورَةٍ. أَوْ الطَّاهِرُ تَحِيضَ؛ الصَّادِقُ يَكْذِبُ لِلزُّرُورَةِ.

الاعتبار في المسافر والحاضر: المسافر بفكره أو بذكره يذكر ما فاتته، في وقت سفره، في حصوله في المقام لِنَقْصِ شَاهِدِهِ فِيهِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ نَسِيَ ذَلِكَ فِي وَقْتِ سَفَرِهِ. أَوْ الْحَاضِرُ، يَعْنِي صَاحِبَ الْمَقَامِ، يَذْكُرُ فِي

1 العنوان ص 25، أما ص 25 فيضاء

2 البسملة ص 26

3 ص 26 ب

حال سفره، ما فاتته في وقت إقامته، من الأدب مع الحق، كقولهم: "اقعد على البساط وإياك والانبساط" لخلل يراه في سفره. فيعلم أن ذلك من آثار ما فاتته من الأدب في مقامه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾¹ ولم يكن قبل ذلك أصابه نصب، ليتذكر دلالة الحوت.

اعتباره في الصبي يبلغ فيها: العبد يكون تحت الحجر، فإذا كان الحق سمعه وبصره ويده وقواه وجوارحه، كما ورد، فقد خرج عن الحجر. فإذا أدركه هذا الحال وهو في حكم اسم إلهي - لماذا (= إلى ماذا) يكون الحكم² فيه: هل للاسم الذي كان تحت حكمه؟ أو للاسم الذي انتقل إليه؟ فإن الوقت مشترك.

وكذلك الاعتبار في الكافر يُسلم في وقت الضرورة: والكافر هو صاحب السر، والغيرة تغلب عليه. والغيرة على الحق لا تصح، وفي الحق تصح، ولحق تصح. ويغلب عليه أن لا غير، ولا سيما إن عرف معنى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾³ وما تم إلا هذه الأحوال، وهو الكل، إذ هو عينها. فمن يغار؟ أو من يغار؟ أو على من يغار؟ أو فيمن يغار؟

أخبروني أخبروني إني جزت في الله فما أضغعه؟

وأما اعتبار المغنى عليه، فهو صاحب الحال؛ ما حكمه إذا أفاق في هذا الوقت؟ أو أخذه الحال في هذا الوقت؟ هو مع الاسم المجهن على ذلك الوقت الحاكم فيه.

فصل بل وصل

في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

الأوقات⁴ المنهي عن الصلاة فيها هي بالاتفاق والاختلاف خمسة أوقات: وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، ووقت الاستواء، وبعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر.

اعتبار ذلك في الباطن، ﴿وَلِلَّهِ الْمَقَلُ الْأَعْلَى﴾⁵.

الشمس الحق، والصلاة المناجاة. فإذا تجلى الحق، كان البهت والفناء. فلم يصح الكلام، ولا المناجاة.

1 [الكهف: 62]

2 ص 27

3 [الحديد: 3]

4 ص 27 ب

5 [النحل: 60]

فإن هذا المقام الإلهي يعطي أنه تعالى - إذا أشهدك لم يكلمك، وإذا كلمك لم يشهدك. إلا أن يكون التجلي في الصورة. عند ذلك تجمع بين الكلام والمشاهدة. وإذا غاب المشاهد عن نفسه، لم تصح المناجاة. لأن رسول الله ﷺ يقول: «أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» بلا شك. وقد علمت أن العبد غائب عند الشهود، لاستيلاء المشهود عليه، فلا مناجاة.

وفي وقت الاستواء؛ يغيب عنك ظلك فيك. وظلك حقيقته. والنور قد خف بك من جميع الجهات وغمرتك، فلا يتعين لك أمر تسجد له إلا وعينه من خلفك، كما هو من أمامك، ومن عن يمينك، وشمالك، وفوقك. فهو يجذبك من جميع جهاتك؛ لأنك¹ نور من جميع جهاتك، والصلاة نور. فاندرجت الأنوار في الأنوار، والصلاة لا تضيء لها.

وأما بعد الصبح إلى طلوع الشمس، فهو وقت خروجك من عالم البرزخ إلى عالم الشهادة، والصلاة لم يفرض وقتها إلا في الحس لا في البرزخ. وكذلك بعد صلاة العصر؛ فإن الشغل بضم الحبيب يفني عن مخاطبته لسريان اللذة فإنها تغمه؛ فيفنيه عن الإدراك.

فصل بل وصل

في الصلوات التي لا تجوز في هذه الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

فمن قائل: هي الصلوات كلها بإطلاق، ومن قائل: هي ما عدا المفروض من ستة ونفل، ومن قائل: هي النفل دون السنن، ومن قائل: هي النفل فقط بعد الصبح والعصر، والنفل والسنن معا عند الطلوع والغروب. وأما عندنا فإن هذه الأوقات هي للفرائض للنائم والناسي، يتذكر أو يستيقظ فيها، ولتضاء النوافل إذا شغل عنها أن يصلّيها في الوقت الذي كان² عتيه لها.

اعتبار الباطن في ذلك:

المناجاة الإلهية بين الله وبين عبده، على أربعة أقسام: مناجاة من حيث أنه يراك، ومناجاة من حيث أنك تراه، ومناجاة من حيث أنه يراك وتراه، ومناجاة لبعض أهل النظر في الاعتقادات بالأدلة، من حيث أنك لا تراه علما في اعتقاد، ولا تراه بصرا في اعتقاد، ولا يراك بصرا في اعتقاد، ولا علما في اعتقاد

1 ص 28

2 ص 28 ب

مَنْ نَقَى عَنْهُ الْعِلْمَ بِالْجَزْئِيَّاتِ، لَكِنْ يَرَاهُ عِلْمًا لَانْدِرَاجِ الْجُزْءِ فِي الْكُلِّ.

وهذا ما هو اعتقادنا، ولا اعتقاد أهل السنة. بل هو سبحانه - ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾¹ وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾² وقال النبي ﷺ في الخبر الصحيح عنه: «إنه يراك» وقد نبهناك على مآخذ الاعتبارات في هذه الأقسام، وأنت تعرف قِسْمَكَ منها. وَمَنْ عَرَفَ قِسْمَهُ، فَمِنْ هُنَاكَ يَثْبُتُ مَنَاجَاتُهُ أَوْ يَحِيلُهَا.

* * *

فصول بل وصول

الأذان والإقامة

الأذان: الإعلام بدخول الوقت، والدعاء للاجتماع إلى الصلاة في³ المساجد. والإقامة: الدعاء إلى المناجاة الإلهية.

الاعتبار في الباطن في ذلك:

الأذان: الإعلام بالتجلي الإلهي، لتظهر الذوات لمشاهدته. والإقامة: القيام لتجليه، إذا ورد ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴.

* * *

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

في صفات الأذان

اعلم أن الأذان على أربع صفات. الصفة الأولى: تننية التكبير، وتربيع الشهادتين، وباقيه مُتَنَّى. وبعض القائلين بهذه الصفة يرون الترجيع في الشهادتين، وذلك أنه يثني الشهادتين أولاً خفياً⁵، ثم يثنيها مرة ثانية مرفوع الصوت بها. وهذا الأذان أذان أهل المدينة.

الصفة الثانية: تربيع التكبير الأول والشهادتين، وتننية باقي الأذان، وهذا أذان أهل مكة.

الصفة الثالثة: تربيع التكبير الأول، وتننية باقي الأذان، وهذا أذان أهل الكوفة.

الصفة الرابعة: تربيع التكبير الأول، وتثليث الشهادتين، وتثليث الحيعلتين. يتدنى بالشهادة¹ إلى أن يصل إلى "حي على الفلاح"، ثم يعيد ذلك على هذه الصفة ثانية، ثم يعيدها أيضاً على تلك الصورة الثالثة؛ الأربع الكلمات نسقاً ثلاث مرات. وهذا أذان أهل البصرة.

اعتبار الباطن في ذلك:

تننية التكبير للكبير والكبير، وتربيعه للكبير والكبير، ولَمَنْ تَكَبَّرَ نَفْسًا وَحَسًا، مَشْرُوعًا كَانَ ذَلِكَ التَّكَبُّرُ، كَحَدِيثِ أَبِي دَجَانَةَ، أَوْ غَيْرِ مَشْرُوعٍ. والتربيع في الشهادتين: للأول والآخر والظاهر والباطن. وتننية ما بقي: لك وله تعالى. وتثليث الأربع الكلمات، على نسق واحد في كل مرة، وهو كما قلنا مذهب البصريين: إعلام بالمرة الواحدة لعالم الشهادة، وبالثانية لعالم الجبروت، وبالثالثة لعالم الملكوت. وعند أبي طالب المكي: الثانية لعالم الملكوت، والثالثة لعالم الجبروت.

تحقيق ذلك: هو أن الإنسان إذا نظر بعين بصره وعين بصيرته، إلى الأسباب التي وضعها الله تعالى - شعائر وأعلاما لما يريد تكوينه وخلقه من الأشياء، لما سبق في علمه أن يربط الوجود بعضه ببعضه، ودل² الدليل على توقّف وجود بعضه على وجود بعضه، وسمع ثناء الحق تعالى - على مَنْ عَظَّمَ شَعَائِرَ اللَّهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ التَّعْظِيمَ لَهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾³ قال عند ذلك: الله أكبر.

يقول: وإن كانت عظيمة في نفسها بما تدلّ عليه، وعظيمة من حيث أن الله أمر بتعظيمها، فوجدتها وخالفها الأمر بتعظيمها، أكبر منها. وهذه هي "أكبر" للمفاضلة وهي "أفعل من". فلَمَّا أَمَّهَا؛ كُشِفَ هَذَا الْإِنْسَانُ النَّاطِقُ بِهَا عَلَى حَقَارَةِ الْأَسْبَابِ فِي أَنْفُسِهَا لَا تَنْفُسُهَا، وَافْتِقَارُهَا إِلَى مَوْجِدِهَا لِإِمْكَانِهَا، افْتِقَارُ الْمُسَبِّاتِ (إلى مسبّها) على السواء، ورآها عينا وكشفا، عند كشف الغطاء عن بصره، ناطقة بتسبيح خالقها وتعظيمه.

1 [البقرة : 29]

2 [العلق : 14]

3 ص 29

4 [الطه : 6]

5 ثابتة في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب

فإنه القائل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾¹ تسبيح يُطَقُّ يليق بذلك الشيء، لا تسبيح حال. ولهذا قال: ﴿لَا تَقْهَوْنَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لاختلاف ما يسبحون به إلا لمن سمعه. ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ حيث لم يؤاخذ ولم يعجل عقوبة من قال إنه تسبيح حال ﴿عَفْوًا﴾ سائرا تُطَفِّهُم عن أن تتعلق به الأسباع إلا لمن خرق الله له العادة.

فقد ورد أن الحصى سبَّح بحضور من حضر من الصحابة في كف رسول الله ﷺ، وما زال الحصى مسبِّحا. وما خرق الله العادة إلا في أسماع السامعين ذلك، بتعلقها بالمسموع. وما قال: ﴿وَلَكِنْ لَا تَقْهَوْنَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ إلا في معرض الرد على من يقول إنه تسبيح حال. فإن العالم كله قد تساوى في الدلالة. فمن يقول بتسبيح الحال فقد أكذب الله في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْهَوْنَ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ حَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾³ يعني؛ خيرا له من يعظم شعائر الله، إذا جعلنا "خير" بمعنى "أفعل من" ليميز بين تعظيم الشعائر، وتعظيم حرمة الله. فإن حرمة الله ذاتية، فهو يقتضي التعظيم لذاته. بخلاف الأسباب المعظمة. فإن الناظر في الدليل، ما هو الدليل له مطلوب لذاته، فينتقل عنه ويفارقه إلى مدلوله.

فهذا؛ العالم دليل على الله، لأننا نعبّر منه إليه تعالى. ولا ينبغي أن نتخذ الحق دليلا على العالم، فكنا نجوز منه إلى العالم.

وهذا لا يصح. فما أعلى كلام النبوة حيث قال: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ﴾⁴ كذا، وعدد الخلوقات لِتُنْخَذ أدلة عليه، لا لِيُوقَفَ معها. فهذا (هو) الفرق بين حرمة الله وشعائر الله.

فنقول ثاني مرة: "الله أكبر" تعظيما لحرمة الله، لا بمعنى المفاضلة. وذلك معروف في اللسان. فجعله "الله الكبير". لا "أفعل من" فهو الكبير واضح⁵ الأسباب، وأمرنا بتعظيمها. ومن لا عظمة له ذاتية لنفسه، فعظمته عرض في حكم الزوال. فالكبير على الإطلاق، من غير تقييد ولا مفاضلة، هو الله.

1 [الإسراء : 44]

2 ص 30 ب

3 [الحج : 30]

4 [الغاشية : 17]

5 ص 31

فهذه التكبيرة الثانية المشروعة في الأذان، وأتمها لهاتين الصورتين. فإن رَجَّع التكبير فتكون تثنية التكبيرة الواحدة على الحد الذي ذكرناه حسا وعقلا، أي كما كبره اللسان بلفظ المفاضلة، كذلك كبره عقلا. كأنه يقول: "الله أكبر" باللسان، كما هو أكبر بالعقل، أي هو أكبر بدليل الحس ودليل العقل، ثم يثني التكبيرة الأخرى أيضا حسا وعقلا، فيقول: "الله أكبر" أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة حسا، الله أكبر أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة عقلا حُرْمَةً وشرعا¹. فهذا مشهد من رَجَّع التكبير في الأذان، الذي هو الإعلام بالإعلان.

ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله الله. خفيّا يُسمع نفسه. وهو بمنزلة من يتصور الدليل أولا في نفسه، ثم بعد ذلك يتلفظ به، وينطق معلنا في مقابلة خصمه. أو لينلم غيره مساق ذلك الدليل. وذلك أن يشهد هذا المؤذن في هذه الشهادة، أنه يرى الأسباب المحجوبة عن المعرفة بالله، التي أُعْطِيَتْ قُوَّة النطق، وحجبت عن إدراك الأمر في نفسه بالجهل. أو عن إدراك ما ينبغي لجلال الله من إضافة الكل إليه بحجاب الغفلة.

فيقول الجاهل: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾³ أو المستخف وهو ضرب من الجهل - أو يقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾⁴، وقد يمكن أن يكون كاذبا عند نفسه، عالما بأنه كاذب، لكنه ﴿اسْتَخَفَّ قُوَّةَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾⁵، ويقول: أنا أنعمت على فلان. أنا وليت فلانا. أنا علمت فلانا العلم الذي عنده والقرآن، ولولا أنا ما علم شيئا مما علمه. وسمع الله يقول: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁶ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾⁷ وهي الأسباب التي وُجِدتم عندها (لا بها).

ثم قال لمن يرى أننا وُجِدنا بالأسباب لا عندها: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁸ أنه أوجد الأسباب، وأوجدكم عندها، لا بها. فيقول عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله. أي لا خالق إلا الله. فينبغي ألوهية كل من ادعاه لنفسه من دون الله، وأثبتها لمستحقها لو ادعاه مع الله كالمشرك. فشهد بذلك لله

1 ثابت في الهامش بقلم الأصل

2 ص 31 ب

3 [النارعات : 24]

4 [التقصص : 38]

5 [الزخرف : 54]

6 [النحل : 17]

7 [البقرة : 21]

8 [البقرة : 22]

عقلا وشرعا وجسدا ومعنى. هذا كله مع نفسه؛ كمتصور الدليل أولا، ثم يرفع بها صوته لسمع غيره من متعلم ومدع وجاهل وغافل¹ عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾² وأمثاله مثل: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾³. فقطع حكم الأسباب. فهذا معنى الشهادة وتثنيها وترييعها.

وكذلك قوله: أشهد أن محمدا رسول الله. وهو أنه لما شهد بالتوحيد بما أعطاه الدليل، شهد به علما، لا على طريق القرينة. لأن الإنسان من حيث عقله لا يعلم أن التلقظ بذلك، وأن النظر في معرفة ذلك، يقترب من الله، وإنما حظّه أن يعلم أن نفسه تشرف بصفة العلم على من يجهل ذلك. وأن التصريح به، وبكل دليل على مثل هذا العلم، على جهة تعليم من لا يعلم. وإرداع المعاند، تشريفا لهذا النفس، على نفس من ليس له ذلك. لأنه لا حكم للعقل في إيجاد شيء قرينة إلى الله.

فجاء الرسول من عند الله، فأخبره أن يقول ذلك، وأن ينظر في ذلك؛ إذ يخفيه في نفسه ويُسِرُّه، وفي التعليم والإرداع للغير⁴، إذا أعلن به، أن يكون ذلك على طريق القرينة إلى الله: فيكون مع كونه علما، عبادة. فيقول العالم المؤمن إذا أدّن، أو قال مثل ما يقول المؤذن: أشهد أن محمدا رسول الله. علما وعبادة، ويقولها العاني تقليدا وتعبدا.

والتثنية⁵ في هذه الشهادة الرسالية والترييع؛ فالحكم فيها على حكم شهادة التوحيد سواء، في المراتب التي ذكرناها سواء. فإن ثلث كأذان البصريين، الأربع الكلمات على نسق واحد في كل مرة، فهو أن يقولها في المرة الأولى علما، وفي المرة الثانية تعلما، لأنه معلّن. وفي المرة الثالثة عبادة، فهي كلها علم وتعليم وعبادة، فافهم. وما خالف البصريون الكوفيون والحجازيين والمدنيّين إلا في هذا، أعني التثليث والنسق. وكلّ ستة، والإنسان مخير: يؤدّن بأيّ صفة شاء من ذلك كله. وهو مذهبنا. كالروايات المختلفة في صلاة الكسوف وغير ذلك⁶.

ثم إن الله شرع لنا في الأذان بعد الشهادتين أن نقول: حيّ على الصلاة. مثنى. ندعو بالواحدة نفسي، وندعو بالثانية غيري. ومعناه: أقبلوا على مناجاة ربكم، فتطهروا وأتوا المساجد بالمرة الواحدة. ومن كان في

1 ص 32
2 [الرحمن: 1، 2]
3 [الرحمن: 3، 4]
4 تأييد في الهامش مع إشارة التصويب
5 ص 32 ب
6 في الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهير الدين محمود علي، وكتب ابن العربي".

المسجد يقول له في المرة الثانية حين يثنيها: طهروا قلوبكم، واحضروا بين يدي ربكم، فإنكم في بيته، قصدتموه من أجل مناجاته.

وكذلك قوله: حيّ على الفلاح، بالاعتبارين أيضا. والتفسيرين في المراتب؛ يقول للخارج والكائن في المسجد ولنفسه ولغيره: أقبلوا على ما ينجيكم فعله من عذابه بنعيمه¹، ومن حجاب به بتجليه ورؤيته. وأقبلوا بالثانية من "حيّ على الفلاح" على ما يُقيّمكم في نعيمكم، ولذة مشاهدتكم.

ثم يقول: الله أكبر الله أكبر. لنفسه ولغيره، ولن هو ينتظر الصلاة: كالحاضر في المسجد، ومن هو خارج، في أشغاله. يقول: الله أكبر بما أتم فيه، أي الله أُولَى بالتكبير، من الذي يمنعكم من الإقبال الذي أمرناكم به على الصلاة، وعلى الفوز والبقاء في الجيعتين.

وإنما لم يربّع الثاني، فإنه ليس مثل الأول. فإن الثاني أعني التكبير والجيعتين - إنما المقصود بذلك القرينة. والعقل لا يستقل بإدراكها. فهي للشرع خاصة. فلهذا لم يربّع الجيعتين ولا التكبير الثاني، وثقّى لكونه خاطب نفسه وغيره، والكائن في المسجد وغير الكائن.

ثم قال: لا إله إلا الله. فتم الأذان بالتوحيد المطلق، لما كان الأذان يتضمن أمورا كثيرة، فيها أفعال منسوبة إلى العبد. فرمما يقع في نفس المدعو أنه ما دعي إلى أن يفعلها إلا والفعل له حقيقة، والداعي أيضا كذلك. فيخاف عليه أن يضيف الفعل إلى نفسه خلقا، كما يراه بعضهم. وما جعله الله دليلا عليه من جملة الأدلة على توحيده، إلا اشتراده بالخلق مثل قوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾³.

فهي ألوهية خفية في نفس كل إنسان، وهو الشرك الخفي المغفوّ عنه. فتم الأذان بالتوحيد، من غير تثنية ولا تثليث ولا ترييع. وهذا هو التوحيد المطلق الذي جاءت به الأنبياء من عند الله عن الله. وهي أفضل كلمة قالها رسول الله ﷺ والنبّيون من قبله. فيتنبّه السامعون كلّهم أنه لا إله إلا الله. فوحد لطلبه التوحيد على الإطلاق، وما زاد على التوحيد في كل أذان مشروع من الأربعة مذاهب في ذلك.

وأما التثويب في أذان صلاة الصبح، وهو قولهم: "الصلاة خير من النوم". من الناس من يراه من الأذان المشروع فيعتبره، ومن الناس من يراه من فعل عمر، فلا يعتبره ولا يقول به. وأما مذهبنا؛ فإننا

1 ص 33
2 ص 33 ب
3 [النحل: 17]

تقول به شرعا. فإن كان من فعل عمر؛ فإن الشارع قرره بقوله: «مَنْ سَنَّ سُنَّةَ حَسَنَةٍ» ولا نشك أنها سنة حسنة، ينبغي أن تعتبر شرعا. وهي بهذا الاعتبار من الأذان المسنون، إلا في مذهب من يقول: إن المسنون هو الذي فعل في زمان النبي ﷺ وعرفه وقرره، أو يكون هو الذي سنّه ﷺ. فيكون حاصله عند صاحب هذا القول أنه لا يسمى سنة، إلا ما كان بهذه الصفة. فما هو خلاف يعتبر، ولا يقدح (فيه).

وأما من زاد: "حي على خير العمل". فإن كان¹ فعل في زمان رسول الله ﷺ كما روي أن ذلك دعا به في غزوة الخندق. إذ كان الناس يحفرون الخندق، فجاء وقت الصلاة، وهي «خير موضوع» كما ورد في الحديث، فنادى المنادي أهل الخندق: "حي على خير العمل". فما أخطأ من جعلها في الأذان. بل اقتدى -إن صح هذا الخبر- أو «سَنَّ سُنَّةَ حَسَنَةٍ فَهِيَ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» وما كرهها من كرهها إلا تعصبا، فما أنصف القائل بها. نعوذ بالله من غوائل النفوس.

فَضْلٌ بَلَّ وَضَل

في حكم الأذان

فمن قائل: إنه واجب. ومن قائل: إنه سنة مؤكدة. والقائل بوجوبه؛ منهم من يراه فرضا على الأعيان، ومنهم من يراه فرض كفاية. ومن قائل: إن الأذان فرض على مساجد الجماعات، وهو مذهب مالك. وفي رواية عنه، أنه سنة مؤكدة، ولم يره على المنفرد، لا فرض ولا سنة. ومن قائل: إنه واجب على الأعيان. ومن قائل: إنه واجب على الأعيان على الجماعات؛ سفرا وحضرا. ومن² قائل: سفرا لا غير. ومن قائل: إنه سنة للمنفرد والجماعة، إلا أنه أكد في حق الجماعة.

واتفق الجميع على أنه سنة مؤكدة، أو فرض على المضر، وبه كان يقول شيخنا أبو عبد الله بن العاص الدلال بأشيلية؛ سمعته من لفظه غير مرة. وكان يقول: إذا اجتمع أهل مضر. على ترك الأذان، أو ترك سنة، وجب غروهم. واحتج بالحديث الثابت «أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا قوما صبّحهم؛ فإن سمع نداء لم يعز، وإن لم يسمع نداء أغار».

الاعتبار في الباطن في ذلك:

حق كل نفس أن تدعو نفسها وغيرها إلى طاعة الله، بعد وضع الشريعة. قال رسول الله ﷺ لمالك بن الحويرث ولصاحبه: «إذا كنتم في سفر فأذنا وأقيا» الحديث. والإنسان مسافر مع الأنفاس منذ خلقه الله، دنيا وآخرة. لا يصح له أن يكون مقيا أبدا. ولو أقام زائدا على نفس واحد، لتعطل فعل الإله في حقه. فالحق سبحانه -في كل نفس في الخلق "في شأن"؛ وهو أثره في كل عين موجودة، بكيفية خاصة. أشهدنا الله دقيقتها وجليلها. فما أعز صاحبها عند¹ الله. فمن فاته مراعاة أنفاسه في الدنيا والآخرة، لقد فاته خير كثير.

فَضْلٌ بَلَّ وَضَل

في وقت الأذان

اتفق العلماء على أنه لا يؤذن للصلاة قبل دخول وقتها، ما عدا الصبح، فإن فيه خلافا. فمن قائل بجواز ذلك، (أي) أنه يؤذن لها قبل الفجر. ومن قائل بالمنع، وبه أقول. فإن الأذان قبل الوقت، إنما هو عندي ذكر بصورة الأذان، ما هو الأذان على جهة الإعلام بدخول وقت الصلاة.

فقد كان بلال يؤذن بليل، وكان رسول الله ﷺ يقول: «لا يمنعكم أذان بلال عن الأكل والشرب» يعني في رمضان، أو لمن يريد الصوم «فإنه يؤذن بليل؛ فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم» وكان رجلا أعمى، فكان لا يؤذن حتى يقال له: أصبحت أصبحت.

فالمؤذن (أي فالأذان)، عندي، لا يجب إلا بعد دخول الوقت. ومن قائل: لا بد للصبح من أذنين: أذان قبل الوقت، وأذان بعده. وقال أبو محمد بن حزم: لا بد للصبح من أذان بعد الوقت.

اعتبار الباطن في ذلك:

دعاء² النفوس إلى الله (هو) من الله "في نفس الأمر"، ودعاؤها من الأكوان (إنما هو) بالنظر إلى الغافلين أو الجهلاء، الذين هم تحت حكم الأساء الإلهية، أو التصريف الإلهي وهم لا يشعرون. فلهذا قلنا: "في نفس الأمر".

فاعلم أنَّ للوقت سلطاناً لا يحكم فيه غيره، فلا بدَّ أن يتعيَّن عند المحكوم عليه سلطانُ الوقت، وهو الاسم الإلهي الخاصُّ بذلك الوقت. فلا يمكن أن يدعى لها بطريق الوجوب، إلَّا بعد دخول الوقت. فعند ذلك يكون ممن دعا إلى الله على بصيرة. فإنَّه (أي الأذان) دعاء خاصُّ في كلِّ وقت، بما يليق بذلك الوقت.

فإن دعا في غير وقته، وقع الإنسان في الجهل. فإنَّه يدعوه بما يخرجُه عن سلطان حكمه الذي يرتقبه السامع في نفسه. فلا بدَّ من الدعاء له بعد دخول وقته، حتى يتعيَّن مَنْ هو صاحب الوقت من هذه الأسماء الإلهية. أنظر هل يصحُّ منك الشكر قبل دخول حكم الاسم المنعوم؟ فإذا كان وقتك النعمة، ودخل وقتها بوجودها عندك، دُعيت إلى شكر المنعم.

وإنما دخل الخلاف في الصباح، لجهل السامع بمقصود الشارع بذلك الذكر. فإنَّه دعاء لصاحب الوقت، بخلاف سائر الصلوات. فإنَّ الليل لَمَّا كان محلًّا للنوم، ونام¹ الناس، شُرِعَ النداء الآخر، الذي هو الأوَّل، لإيقاظ النائمين. فهو دعاء للانتباه والاستعداد لإيقاع صلاة الصبح في أوَّل الوقت. فهو نداء تحضيض وتحريض، وجعل بصورة الأذان المشروع للصلاة. أي من أجل الصلاة دعوناكم لتذكروها فتتأهبوا لها.

فإذا دخل وقتها، وجب الإعلام بدخول الوقت، لجهل السامعين بدخول أوَّل الوقت؛ فإنَّه يخفى على أكثر الناس. فإنَّ ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾². فيعلمون بالأذان المشروع لدخول الوقت؛ أنَّ الوقت قد دخل.

وكذلك الحكم في الاعتبار: الغافل عن حكم الاسم الإلهي فيه، ينهيه الداعي من نومة الغفلة، بأنَّه تحت حكم اسم إلهي يصرفه، وأنَّه لا حول ولا قوَّة له إلَّا به. فإذا انتبه من نوم غفلته، وتذكَّر بعقله، عَرَفَ عند ذلك أي اسم هو صاحب الوقت. فأذعن له بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي في حق هذا الشخص، قال تعالى: ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾³ وقال: ﴿وَذَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁴.

وإنما ذهبنا إلى أنَّ الأذان قبل الصبح، هو ذِكْرٌ ونداء بصورة الأذان، ما هو الأذان المشروع بالإعلام

بدخول الوقت، أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ بلالاً ينادي بليل» ولم يقل يؤذِّن. وكذا قال في ابن أم مكتوم: ينادي لموضع الشبهة. فإنَّه كان أعمى. فكان لا ينادي حتى يقال له: أصبحت¹ أصبحت. أي قاربت الصباح. قال الراوي: وكان بين نداء بلال ونداء ابن أم مكتوم، قدر ما يترُّل هذا ويضغُد هذا، فسماه نداء لهذا الاحتمال، أعني أذان ابن أم مكتوم. فإنَّ النصيحة في لسان العرب تطابق الألفاظ في نسق؛ لَمَّا قال في بلال: «إنَّه ينادي بليل» (قال كذلك في ابن أم مكتوم: ينادي).

ويؤيِّد ما ذهبنا إليه حديث ابن عمر: أنَّ بلالاً أذَّن قبل طلوع الفجر. فسماه ابن عمر أذاناً لما عرف من قرينة الحال. فأمره رسول الله ﷺ أن يرجع فينادي: «ألا إنَّ العبد نام» ليعرف الناس أنَّ وقت الصلاة ما دخل. فإنَّ الأذان المشروع إنما هو لدخول وقت الصلاة. فلَمَّا عُرِف من بلال أنَّه قصد الأذان، وأنَّ السامعين ربما أوقعوا الصلاة في غير وقتها، أُمِر أن يُعرِّف الناس أنَّه قد غلط في أذانه.

ولهذا يكون من المؤذِّنين بالليل، الدعاء والتذكير وتلاوة آيات من القرآن والمواعظ وإنشاد الشعر المزهَّد في الدنيا المذكر الموت والدار الآخرة، ليعلم الناس إذا سمعوا الأذان منهم، أنَّهم يريدون بذلك ذِكْر الله، كما تقدَّم. وأنَّه لإيقاظ النائمين، لا لدخول الوقت. ويكون لدخول الوقت مؤذِّن خاص، يُعرِّف بصوته. وكذا هو في الاعتبار: لتنوُّع الأحوال على أهل الله، لا بدَّ لهم من علامات يفرقون بها بين الأحوال التي تعطىها الأسماء الإلهية، فافهم.

فصول²

في الشروط في هذه العبادة

قال بعض العلماء: وهي ثمانية شروط، وعدَّدها، فقال: إنَّ منها: هل من شرط مَنْ أذَّن أن يكون هو الذي يقيم أم لا؟ الثاني: هل من شرط الأذان أن لا يتكلَّم المؤذِّن في أثناءه أم لا؟ الثالث: هل من شرطه أن يكون المؤذِّن على طهارة أم لا؟ الرابع: هل من شرطه أن يتوجَّه المؤذِّن إلى القبلة أم لا؟ الخامس: هل من شرطه أن يكون المؤذِّن قائماً أم لا يكون؟ السادس: هل يكره الأذان للراكب أم ليس يكره؟ السابع: هل من شرطه البلوغ أم لا؟ الثامن: هل من شرطه أن لا يأخذ أجراً على الأذان أم يأخذ الأجر؟

1 ص 36
2 [الأعراف : 187]
3 [ص : 29]
4 [الناريات : 55]

اختلف علماء الشريعة في هذه الشروط، فأدلتهم ما بين قياس ومعارضة أخبار، بين صحيح وسقيم¹. ومذهبنا: أنَّ الأذان يصح بوجودها وعدمها، والعمل بها أولى إن اتفق، ولا يمنع من ذلك مانع.

وأما الاعتبار في ذلك، في² الشروط كلها التي ذكرناها:

- فاعلم أنَّ الداعي قد يكون الاسم الإلهي الذي يدعو به الحقُّ إلى الحقِّ، وهو عين الداعي الذي يقوم به بين يدي الحقِّ، في أي شيء دعاه إليه من الأحوال. وقد يكون غيره من الأسماء. فلا يشترط: "مَنْ أَدَّ فهو يقيم" فإن فيه حرجا.

- الداعي إلى الحقِّ قد يتكلم في أثناء دعائه إلى الحقِّ، لحال يطلبه بذلك، لا يجوز له التأخر عنه؛ إمَّا لأدب إلهي أو لفرض تعين عليه، وقد لا يتكلم. ما لم يقدح في فهم السامع ما يخرج عنه³ عن أن يكون داعيا له، وهذا اعتبار الشرط الثاني.

- الداعي قد يدعو بحاله، وهو طهارته، وهو أفضل. وقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله، وهو خيرٌ بكل وجه. كما قال الحسن بن أبي الحسن البصري، وكان من أهل طريق الله، العليّة منهم: "لو لم يعط أحدٌ أحدا حتى يعط نفسه، ما وعظ أحدٌ أحدا أبدا". ولفاعل المنكر أن ينهى عن المنكر، وإن لم يفعل اجتمع عليه إثمان، فاعلم ذلك. وهذا هو اعتبار الشرط الثالث.

- الداعي إن قصد بدعائه وجه الله فهو أولى به، وإن قصد بذلك دنيا فلا يمنعه ذلك من الدعاء إلى الله، والأول أفضل، ويرجى للآخر أن ينتفع بدعوته سامع، فيدعو له، فيسعد بدعائه. فهذا بمنزلة استقبال⁴ القبلة بالأذان، وهو الشرط الرابع.

- الداعي إن كان قائما بحقوق ما يدعو إليه، فهو أولى من قعوده عن ذلك في دعائه، وهذا اعتبار الشرط الخامس.

- الداعي هل يكون في دعائه حاضرا مع عبوديته وذلته، أو يكون في حال نظره لعرّة نفسه

1 "فأدلتهم... وسقيم" مشبته في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب
2 ص 37 ب

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
4 ص 38

وتكبرها وعجيبها، وهو الذي يؤذن راكبا؟ وحضوره مع ذلته أولى، وهو اعتبار الشرط السادس.

- الداعي هل ينبغي له أن يدعو قبل بلوغه إلى المعرفة بمن يدعو إليه كدعاء المقلد، أولا يدعو حتى يعرف من يدعو إليه؟ وهو اشتراط البلوغ في الأذان، وهذا اعتبار الشرط السابع.

- الداعي إلى الله هل من شرطه أن لا يأخذ أجرا على دعائه؟ فهو عندنا أفضل أنه لا يأخذ، وإن أخذ جاز له ذلك. فإن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الأجرة. فإنه ما من نبي دعا قومه إلا قيل له: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾¹ فأنبت الأجرة على دعائه، وسألها من الله لا من المدعو. حتى إن رسول الله ﷺ ما سأل منا في الأجر على تبليغ الدعاء ﴿إِلَّا التَّوَدُّةَ فِي الْقُرْبَى﴾² وهو حب أهل البيت وقربته ﷺ، وأن يكرموا من أجله، كانوا ما كانوا.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ» في حديث الذي رقى³ اللديغ بفاتحة الكتاب واستراح. فقال رسول الله ﷺ: «اضربوا لي فيها بسهم» يعني في الغنم⁴ التي أخذوها أجرا على ذلك. فالإنسان الداعي بوعظه وتذكيره عباد الله؛ إن أخذ أجرا فله ذلك، فإنه في عمل يقتضي الأجر، بشهادة كل رسول. وإن ترك أخذَه من الناس، وسأله من الله فله ذلك.

وسبب ترك الرسل لذلك، وسؤالهم من الله الأجر، كون الله هو الذي استعملهم في التبليغ. فكان الأجر عليه تعالى - لا على المدعو. وإنما أخذ الراقي الأجر من اللديغ؛ لأن اللديغ استعمله في ذلك. ولذلك قال النبي ﷺ: «اضربوا لي بسهم» لأن الرسول ﷺ هو الذي أفاد الراقي ما رقى به ذلك اللديغ. وينظر إلى قريب من هذا حديث بريرة في قوله: «هو لها صدقة ولنا هديّة» لأنها بلغت محلها. وهذا هو الشرط الثامن.

واعلم أنَّ هذا الأجر أجر تفضل إلهي، عيته السيد لعبده. فإن العبد لا ينبغي له استحقاق الأجر على سيّده فيما يستعمله فيه، فإنه ملكه وعين ماله. ولكن تفضل سيّده عليه، بأن عين له على عمله أجرا. وسرّه خلقه على الصورة؛ فإن عبيدنا إخواننا، فافهم.

1 [سبا : 47]

2 [الشورى : 23]

3 ص 38 ب

4 في المتن: "الابل" وعليها إشارة الحذف، وصححت في الهامش "الغنم".

5 في: الذي

وأما العلماء بالله ﷻ فأَجْرُهُمْ مشاهدة سيدهم¹، إذا رجعوا إليه من التبليغ الذي أمرهم به. فإنهم حزنوا لمفارقة ذلك المشهد الأقدس، ومشاهدة الأكوان. فوعدهم بأنهم إذا رجعوا إليه، كان لهم المزيد في المشاهدة. فأخبروا الناس أن أجروهم على الله.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

فَإِنْ يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ مَنْ يَسْمَعُ الْأَذَانَ

واختلف علماء الشريعة في ذلك. فمن قائل: إنه يقول مثل ما يقول المؤذن، كلمة بكلمة إلى آخر النداء. ومن قائل: إنه يقول مثل ما يقول المؤذن، إلا إذا جاء بالحيعلتين، فإن السامع يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. وبالتقول الأول أقول، فإنه أولى. إلا أن يثبت عن رسول الله ﷺ ذكر الحوقلة في ذلك، فأنا أقول به. ولا أشتري أن يمشي السامع مع المؤذن في كل كلمة، ولكن إن شاء قال مثل ما يقول المؤذن في إثر كل كلمة، وإن شاء إذا فرغ يقول مثله.

وذلك في المؤذن الذي يؤذن للإعلام في المنارة، أو على باب المسجد، أو في نفس المسجد² ابتداء عند دخول الوقت، من قبل أن يعلم من في المسجد أن وقت الصلاة دخل. فهذا هو المؤذن الذي شرع له الأذان. وأما المؤذنون في المسجد بين الجماعة الذين سمعوا الأذان، فهم ذاكرون الله بصورة الأذان. فلا يجب على السامع أن يقول مثله. فإن ذلك عندنا بمنزلة السامع، يقول مثل ما قال المؤذن. ولم يُشرع لنا ولا أمرنا أن نقول مثل ما يقول السامع، إذا قال ما يقول المؤذن.

اعتبار ذلك في الباطن:

قال تعالى- فيما يقوله الرسول ﷺ: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾³ والمؤذن داع إلى الله بلا شك. ثم قال: ﴿وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ وهو غير النبي يدعو بمثل دعوة النبي ﷺ عباد الله إلى توحيد الله، والعمل بطاعته، وهو بمنزلة السامع للمؤذن الذي أمره الشارع أن يقول مثل ما يقول المؤذن، لا يزيد على ذلك ولا ينقص.

1 ص 39
2 ص 39 ب
3 [يوسف : 108]

كذلك ينبغي للداعي إلى الله، أن يدعو بشرعه المنزل، المنطوق به حاكيا، لا يزيد على دعاء رسول الله ﷺ وهو قوله ﷺ: «نصر الله امرؤا سمع مني كلمة فوعاها، فأدأها كما سمعها¹، فَرُبَّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ».

وهذه مسألة اختلف الناس فيها أعني في هذا الخبر- في نقله على المعنى. والصحيح عندي: أن ذلك لا يجوز جملة واحدة، إلا أن يبين الناقل أنه نقل على المعنى. فإن الناقل على المعنى² إنما ينقل إلينا فهمه من كلام رسول الله ﷺ، وما تعبدنا الله بفهم غيرنا إلا بشرط- في الأخبار بالاتفاق، وفي القرآن بخلاف- في حق الأعجمي الذي لا يفهم اللسان العربي.

فإن هذا الناقل على المعنى، ربما لو نقل إلينا عين لفظه ﷺ ربما فهمنا منه مثل ما فهم أو أكثر أو أقل أو تقيض ما فهم، فالأولى نقل الحديث كما نقل القرآن.

فالداعي إلى الله لا يزيد على ما جاء به رسول الله ﷺ من الإخبار بالأمر المغيبة، إلا إن أطلعه الله على شيء من الغيب، مما علمه الله. فله أن يدعو به، مما لا يكون مزيفا لما قرره الشرع بالتواتر عندنا، أي على طريق يفيد العلم، لا بد من هذا.

فعلى هذا الحد يكون الاعتبار في القول، مثل ما يقول المؤذن، حتى لو قال السامع: "سبحان الله"، عند قول المؤذن: "الله أكبر" لم يمثل أمر رسول الله ﷺ، ومن لم يمثل أمر رسول الله ﷺ لم يمثل أمر الله، فإن الله يقول: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾⁴ وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁵ وأمرنا رسول الله ﷺ أن نقول مثل ما يقول المؤذن، وإن كان قال هذا السامع خيرا.

وكذلك لو قال (سامع الأذان) "الله الكبير" لم يقل مثله، إلا إن قال المؤذن "الله الكبير" وفيه خلاف، في حق المؤذن بهذا اللفظ. فمن أجاز ذلك أوجب على السامع أن يقول مثله، فلو قال السامع "الله أكبر" فقد قال الأذان المشروع المنصوص عليه المنقول بالتواتر. وبين قول الإنسان: "الله الكبير"، وقوله: "الله أكبر" فرقان عظيم.

فإذن لا ينبغي أن تُثقل الأخبار إلا كما تُلَظُّ بها قائلها، إلا في مواضع الضرورة. وذلك في الترجمة لمن

1 ص 40
2 "فإن الناقل على المعنى" ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب
3 ص 40 ب
4 [النساء : 59]
5 [النساء : 80]

ليس من أهل ذلك اللسان. فأما في القرآن فينبغي أن ينقل (المترجم) المسطور، ويُقرّر لفظه كما ورد، وبعد ذلك يترجم عنه. حتى يخرج من الخلاف، ويكون في الترجمة مفسراً لا تالياً. وأما في غير القرآن، فله أن يترجم على المعنى بأقرب لفظ يكون بحكم المطابقة على المعنى، كما كان في الخبر النبوي.

فَصْلٌ بَلْ وَضِلْ

في الإقامة

للإقامة¹ حكم وصفة. أما حكمها، فاختلف الناس فيها. فقوم قالوا: إنها سنة مؤكدة، في حق الأعيان والجماعة، أكثر من الأذان. وقوم قالوا: هي فرض. وهو مذهب بعض أهل الظاهر. فإن أرادوا أنها فرض من فروض الصلاة؛ فتبطل الصلاة بسقوطها. وإن لم يقولوا ذلك؛ صحّت الصلاة، ويكون عاصياً بتركها. على أي رأي رأيت لبعضهم أن الصلاة تبطل بتركها. ومن قائل: إنه من تركها عامداً بطلت صلاته، وهو مذهب ابن كثة.

اعتبار ذلك في الحكم:

الإقامة لأجل الله فرض لا بد منه، والإقامة لما أمرنا الله أن أقيم له. فنحن فيه بحسب قرائن الأحوال؛ فإن أعطت قرينة الحال أن ذلك الأمر على الوجوب، أوجبناها، مثل قوله: ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾² ومثل قوله: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾³ ومثل قوله: ﴿أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾⁴ فهذا هو حد الواجب. فإن رجحت الوزن في القضاء فهو أفضل. فإنك قد امتثلت أمر الله. فإنه ما رجع الميزان حتى اتصف بالإقامة، التي هي حد الواجب. ثم رجح. والذي⁵ يخسر الميزان ما بلغ بالوزن حد الإقامة، حتى يحصل الواجب، مثل ما فعل المرجح.

فما حمّدنا المرجح إلا لحصول إقامة الوزن، لا للترجيح. ثم أثبتنا عليه ثناء آخر للترجيح. فالمرجح محمود من وجهين، فاعلم. وحمّده من جهة الإقامة أعلى، لأنه الحمد الوجوبي. فحمد الترجيح نافله، إلا فيمن يحمل الأمر في ذلك على الوجوب. وهو قوله ﷺ في القاضي ما عليه: «إِذَا وَزَنْتَ فَأَرْجِحْ». فأمره بالرجحان،

1 ص 41
2 [الشورى: 13]
3 [أنعام: 72]
4 [الرحمن: 9]
5 ص 41ب

وأكد في ذلك قولاً وفعلًا. وإذا لم يكن الأمر على الوجوب، لقرينة حال، كانت الإقامة بحسب ذلك.

فهذا اعتبار حكم الإقامة بوجه ينفع في دين الله من وقف على هذا الكتاب، وعمل بما قرّره فيه. فإنه ما قرّره فيه أمراً غير مشروع، لله الحمد. وإن كنا لم نتعرض لإدراك الأدلة مخافة التطويل. فما خرجنا بحمد الله عن الكتاب والسنة فيه، كما قال الجنيد: «علمنا هذا مقيّد بالكتاب والسنة».

وأما صفة الإقامة: فعند قوم التكبير الذي في أولها مثني، وما بقي فيها فرد. والتكبير الذي بعد الإقامة مثني. وعند قوم مثل ذلك، إلا الإقامة فإنها مثني. وقوم خيروا بين التثنية والإفراد، وقوم قالوا بالتثنية في الكل، وتربيع التكبير الأول. مع الاتفاق في توحيد التهليل الآخر.

الاعتبار:

أما من ثني؛ أي من زاد على الواحدة، فللمراتب التي ذكرناها في الأذان على السواء، ولم نعدل لاعتبار آخر، لأنها جاءت في ظاهر الشريعة بلفظ الأذان لا بلفظ آخر إلا الإقامة، فاندرجت بها الإقامة عن الأذان، وهي قوله: «قد قامت الصلاة» فهو إخبار عن ماضٍ، والصلاة مستقبلّة.

فهي بشرى من الله لعباده لمن جاء إلى المسجد ينتظر الصلاة، أو كان في الطريق يأتي إليها، أو كان في حال الوضوء بسببها، أو كان في حال التقصد إلى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء، فيموت في بعض هذه المواطن كلها، فله أجر من صلاها، وإن كانت ما وقعت منه. فجاء بلفظ الماضي لتحقق الحصول. فإذا حصلت بالفعل فله أجر الحصول بالفعل، وأجر الحصول الذي يحصل لمن مات في هذه المواطن، قبل أن يدخل في الصلاة. وقد ورد في الخبر: «إن الإنسان في صلاة ما دام ينتظر الصلاة» فلهذا جاء بلفظ الماضي، وهو الحاصل في قوله: قد قامت الصلاة.

وإقامة الصلاة، تمام³ نشأتها وكمالها. أي هي لكم قائمة النشأة، كاملة الهيئة، على حسب ما شرع. فإذا دخلتم فيها، وأجزتم الأجر الثاني، فقد يكون مثل الأول في إقامة نشأتها، وقد لا يكون. فإن المصلي قد يأتي بها خداجاً غير كاملة، فتكتب له خداجاً من حيث فعله، بخلاف ما تكتب له قبل الفعل. فانظر ما

1 ص 42
2 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
3 ص 42ب

أعظم فضل الله على عباده. وسبب ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾¹ فإنه لو أثابه عليها قبل وقوعه، بحسب علمه به فيها من إحداهما، ربما قال العبد: لو أحييتني حتى أؤتيها، لأقمت نشأتها على أكمل الوجود. فأعطى الله -جل وعز سبحانه- عبده ذلك الثواب على أكمل الأداء، لله الحمد والمنة على ذلك.

فصل بَلَّ وَصَل في القبلة

اتفق المسلمون على أن التوجه إلى القبلة، أعني الكعبة، شرط من شروط صحة الصلاة. لولا أن الإجماع سبقني في هذه المسألة، لم أقل به: إنه شرط. فإن قوله تعالى: ﴿فَأَيُّكُمْ² تَوَلَّوْا فَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾³ نزلت بعده، وهي آية محكمة غير منسوخة. ولكن انعقد الإجماع على هذا، وعلى قوله تعالى: ﴿فَأَيُّكُمْ تَوَلَّوْا فَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (أنه) محكم في الحائر الذي يحل القبلة، فيصلّي حيث يغلب على ظنه، باجتهاده بلا خلاف. وإن ظهر له بعد ذلك، أنه صلى لغير القبلة، لم يعد بخلاف في ذلك. بخلاف من لم يجد سبيلا إلى الطهارة؛ فإنه قد وقع الخلاف فيه؛ هل يصلي أم لا؟

ثم إنه لا خلاف أن الإنسان إذا عاين البيت، أن الفرض عليه هو استقبال عينيه، وأما إذا لم ير البيت فاختلف علماءنا في موضعين من⁴ هذه المسألة: الموضع الواحد: هل الفرض هو العين أو الجهة؟ والموضع الثاني: هل فَرَضُهُ الإصابة أو الاجتهاد؟ أعني إصابة العين، أو الجهة عند من أوجب العين؟

فمن قائل: إن الفرض هو العين. ومن قائل: إن الفرض هو الجهة، وبالجهة أقول لا بالعين. فإن في ذلك خرجا، والله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾⁵. وأعني بالجهة؛ إذا غابت الكعبة عن الأبصار، والصف الطويل قد صحت صلاتهم، مع القطع بأن الكل منهم ما استقبلوا العين، هذا معقول.

1 [الأنعام: 149]

2 ص 43

3 [البقرة: 115]

4 ق: "في" وكتب فوقها مباشرة بقلم الأصل: "من".

5 [الحج: 78]

الاعتبار¹:

التحديد في القبلة؛ إخراج العبد عن اختياره. فإن أصله وأصل كل ما سوى الله الاضطرار والإجبار. حتى اختيار العبد هو مجبور في اختياره. ومع أن الله فاعل مختار، فإن ذلك من أجل قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾² وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا³، وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ، وَتَبْدُلُ الْعِلْمَ مُحَال، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدِي وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾⁴ وقال: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.

وما رأيت أحدا تنظن لهذا القول الإلهي، فإن معناه في غاية البيان، ولشدة وضوحه خفي، وقد نبهنا عليه في هذا الكتاب وبينناه؛ فإنه سر القدر. من وقف على هذه المسألة، لم يعترض على الله في كل ما يقضيه ويجريه على عباده، وفيهم ومنهم. ولهذا قال: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾⁵. فلو كنت عاقلا تفهم عن الله؛ كنتك هذه الآية في المقصود.

ثم نرجع إلى اعتبار ما كنا بصده، فنقول: إن الصلاة دخول على الحق. وجاء في الخبر الصحيح: «إن الصلاة نور»، والإنسان ذو بصر في باطنه كما هو في ظاهره. فلا بد له من الكشف في صلاته. فمن جملة ما يكشفه في صلاته كونه مجبورا في اختياره الذي⁷ ينسبه إليه. فشرع له في هذا الموطن وفي العبادات كلها التحديد في الأشياء، حتى يكون في تصرفاته بحكم الاضطرار. وهو أصل يشمل كل موجود، لا أحاشي موجودا من موجود، لمن كان ذا بصر حديد وألقى السمع وهو شهيد. حتى في حكم المباح هو فيه غير مختار، لأنه من المحال أن يحكم عليه بحكم غير الإباحة: من وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة.

فلهذا شرع له استقبال البيت إذا أبصره حين صلاته، واستقبال محمته إذا غاب عنه. وفرضه في اجتهاده بالغيبه إصابة الاجتهاد⁸ لا إصابة العين. وذلك لو كان فرضه إصابة العين، فإن العبد مأمور بأن يستقبل ربه بقلبه في صلاته، بل في جميع حركاته وسكناته، لا يرى إلا الله. وقد علمنا أن ذات الحق وعينه يستحيل على الخلق معرفتها، فمن المحال استقبال عين ذاته بقلبه. أي من المحال أن يعلم العاقل ربه

1 ص 43

2 [النص: 68]

3 [الأعراف: 176]

4 ق: 29

5 ق: فيها

6 [الأنبياء: 23]

7 ص 44

8 ق: "الجهة" وأعلها خط أفقي إشارة الحذف، وفي الهامش بقلم الأصل: الاجتهاد

من حيث عينه، وإنما يعلمه من حيث حجة الممكن: في افتقاره إليه، وتمييزه عنه، بأنه لا يتصف بصفات الحدّثات، على الوجه الذي يتصف بها الحدّث الممكن، لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹ فلا يعرفه إلا بالسلوب. وهذا سبب قولنا بالجهة لا بالعين.

والإصابة إصابة الاجتهاد لا إصابة العين. ولهذا² كان المجتهد مأجورا على كلّ حال، ولا سيما والاجتهاد في مذهبنا في الأصول كما هو في فروع الأحكام لا فرق. وأمّا قول رسول الله ﷺ في المجتهد إنّه مصيب ومخطئ؛ فمعناه عندنا في هذه المسألة وأمثالها، أنّ المجتهد في الإصابة ما هي إصابة العين أو إصابة الجهة: إنّ المصيب من قال: إصابة الجهة، والمخطئ من قال: إصابة العين.

فإن إصابة الجهة في غير الغيم المتراكم، ليلا أو نهارا في البراري، لا يقع إلا بحكم الاتفاق - فأحرى إصابة العين - لا بحكم العلم. وما تعبّدنا الله بالأرصاء ولا بالهندسة المبنية على الأرصاد، المستنبط منها أطوال البلاد وعروضها، فإنّا بكلّ وجه إذا أخذنا نفوسنا بها على غير يقين. فتبين أنّ الفرض على المكلف الاجتهاد لا الإصابة. فلا إعادة على من صلى ولم يصب الجهة، إذا تبين له ذلك بعد ما صلى.

كذلك الاعتبار في الباطن:

إذا وفي الناظر النظر حقّه، أصاب العجز عن الإدراك، فاعتقده. وما ثمّ إلا العجز. فالحقّ عند اعتقاد كلّ معتقّد بعد اجتهاده. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾³ فافهم. كما هو "عند ظنّ عبده به". إلا أنّ المراتب تتفاضل، والله أوسع وأجلّ وأعظم أن ينحصر - في⁴ صفة تضبطه، فيكون عند واحد من عباده ولا يكون عند الآخر. يأبى الاتّساع الإلهي ذلك، فإنّ الله يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁵ ﴿فَأَيُّنَا تُولُوا فَمَ وَجْهَ اللَّهِ﴾⁶، ووجه كلّ شيء حقيقته وذاته.

فإنّه سبحانه - لو كان عند واحد أو مع واحد، ولا يكون عند آخر ولا معه، كان الذي ليس هو عنده ولا معه يعبّد وهمه لا ربّه، والله يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾⁷ أي حكم. ومن أجله

[1] الشورى : 11

[2] ص 44ب

[3] المؤمنون : 117

[4] ص 45

[5] الحديد : 4

[6] البقرة : 115

[7] الإسراء : 23

عبّدت الآلهة. فلم يكن المقصود بعبادة كلّ عابد إلا الله، فما عبّد شيء لعينه إلا الله. وإنما أخطأ المشرك حيث نصب لنفسه عبادة بطريق خاصّ، لم يشرع له من جانب الحقّ. فشقيّ لذلك. فإنّهم قالوا في الشركاء: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾¹ فاعترفوا به. وما يتصوّر في العالم من أدنى من له مُسكّة من عقل، التعطيل على الإطلاق، وإنما معتقدوا التعطيل؛ إنما² هو تعطيل³ صفة ما اعتقدها المثبت.

فمن استقبل عين البيت إن كان يصصره، أو الجهة إن غاب عنه بوجهه، واستقبل ربّه في قبلته، كما شرع له في قلبه وحسّه في خياله، إن ضعف عن تعليق العلم به، من حيث ما يقتضيه جلاله؛ فإنّ المصلّي، وإن واجه الحقّ في قبلته، كما ورد في النصّ، فإنّه كما قال: "من ورائه محيط". فهو السابق والهادي⁵. فهو سبحانه - الذي نواصي الكلّ بيده، الهادي إلى صراط مستقيم. والذي يسوق الجرمين إلى جهنّم وزدا، ﴿وَالْيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁶.

فصل بّل وصل

في الصلاة في داخل البيت

فمن قائل: يمنع الصلاة في داخل الكعبة على الإطلاق. ومن قائل: بإجازة ذلك على الإطلاق. ومن العلماء من فرق في ذلك بين النفل والفرض. وكلّ له مستند في ذلك يستند إليه.

اعتبار ذلك في الباطن:

وبعد تقرير الحكم في الظاهر الذي شرّع لنا وتعبّدنا به، ولم نمنع من الاعتبار بعد هذا التقرير، فنقول: هذه (أي الصلاة في داخل الكعبة) حالة من كان الحقّ سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، لكن في حال إجماله كلّ جراحة فيما خلقت له. هكذا قيّد الصادق (ص) في خبره. وفي ذلك ذكرى لمن كان له قلب.

ولما كانت هذه الحالة الواردة من الشارع في الخبر الصحيح عنه وتأيد الكشف بذلك الخبر عند

[1] الزمر : 3

[2] ربما كانت في ق: "وإنّا" إذ هناك ما يشير إلى واد ربما كانت موجودة وحذفت

[3] يمكن قراءتها في ق: "يعطل"، فحروفها المعجمة ممتلئة، كما أن إشارة الياء قبل الحرف الأخير ليست واضحة تماما.

[4] ص 45ب

[5] فهو السابق والهادي " ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب

[6] هود : 123

السامع- حالة¹ النوافل ونتيجتها، لهذا تنقل في الكعبة رسول الله ﷺ لَمَّا دخلها، كما ورد، وكان يصلي الفريضة خارج البيت، كما كان ينقل على الراحلة حيث توجهت به ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾².

وقد علمنا أن الأمر في نفسه، قد يكون كما نراه ونشاهده، وهذا هو الذي أعطى مشاهدة هذا المقام، فهو يراه سمع غيره كما يراه سمع نفسه. فالكرامة التي حصلت لهذا الشخص، إنما هي الكشف والاطلاع، لا أنه لم يكن الحق سمعه ثم كان الآن. يتعالى الله عن العوارض الطارئة. وهذه المسألة من أعز المسائل الإلهية.

فمن استصحب هذا الحكم في الظاهر أجاز الصلاة كلها: فرضها ونفلها داخل الكعبة. فإن كل ما سوى الله لا يمكنه الخروج عن قبضة الحق، فهو موجودهم، بل وجودهم. ومنه استفادوا الوجود، وليس الوجود خلاف الحق، ولا خارجا عنه يعطيهم منه، هذا محال. بل هو الوجود، وبه ظهرت الأعيان.

يقول القائل بحضرة رسول الله ﷺ مرتجزا وهو يسمع:

وَاللَّهُ لَوَلَا اللَّهَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

ورسول³ الله ﷺ يعجبه ذلك، ويصدقه في قوله.

فنحن به سبحانه- وله⁴، كما ورد في الخبر الصحيح. فإذا نظرنا إلى ذواتنا وإمكاننا فقد خرجنا عنه. وإمكاننا يطلبنا بالنظر والافتقار إليه، فإنه الموجد أعياننا بجوده من وجوده، وهو اعتبار قوله: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁵ فتفسيره: من كل جهة خرجت مصليا، فاستقبل المسجد الحرام. وفي الإشارة: ﴿مَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ إلى الوجود، أي من زمان خروجك من العدم إلى الوجود. وفي الاعتبار يقول: بأي وجه خرجت من الحق إلى إمكانك ومشاهدة ذاتك ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يقول: فارجع بالنظر والاستقبال مفتقرا مضطرا إلى ما منه خرجت، فإنه لا أين لك غيره.

فانظر فيه، تجده محيطا بك مع كونه مستقبلك: فقد جمع بين الإطلاق والتقييد. فأنت تظن أنك خرجت عنه، و(في الحقيقة) ما استقبلت إلا هو، وهو من ورائك محيط. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾¹ من الأسماء الإلهية والأحوال ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ ذواتكم ﴿شَطْرَهُ﴾ أي لا تعرضوا عنه، ووجه الشيء عينه وذاته. فإن الإعراض عن الحق وقوع في العدم، وهو الشر الخالص. كما أن الوجود هو الخير الخالص. والحق هو² الوجود، والخلق هو العدم. قال لبيد³:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فقال رسول الله ﷺ في هذا القول: «إنه أصدق بيت قالته العرب» ولا شك أن الباطل عبارة عن العدم.

وأما حكم هذه الآية في الظاهر: إن صلاة الفرض تجوز داخل الكعبة، إذ لم يرد نهي في ذلك ولا منع. وقد ورد وثبت: «حيثما أدركتك الصلاة فصل» إلا الأماكن التي خصصها الدليل الشرعي من ذلك لأعيانها، وإنما ذلك لوصف قام بها، فيخرج بنصه ذلك القدر لذلك الوصف.

وقوله: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ أي وإذا خرجت⁴ من الكعبة، أو من غيرها، وأردت الصلاة فولِّ وجهك شطرها. أي لا تستقبل بوجهك في صلاتك جهة أخرى لا تكون الكعبة فيها، فقبلتك فيها ما استقبلت منها. وكذلك إذا خرجت منها، ما قبلتك إلا ما يواجمك منها، سواء أبصرتها أو غابت عن بصرك. وليس في وسعك أن تستقبل ذاتها كلها بذاتك، لكبرها وصغر ذاتك جزما. فالصلاة في داخلها كالصلاة خارجا عنها ولا فرق، فقد استقبلت منها وأنت في داخلها ما استقبلت. ولا تعترض بالوهم لما استدبرت منها إذا كنت فيها. فإن الاستدبار في⁵ حكم الصلاة ما ورد. وإنما ورد الاستقبال. وما نحن مع المكلف إلا بحسب ما نطق به من الحكم.

فلا يقتضي عندنا الأمر بالشيء النهي عن ضده، فإنه ما تعرض (الشارع) في النطق لذلك. فإذا

1 [البقرة: 150]

2 ص 47

3 لبيد بن ربيعة العامري: (41 - 42 هـ / 661 م) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري. أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي (صلى الله عليه وسلم). بعد من الصحابة، ومن المؤلفات قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا. وسكن الكوفة وعاش عمرا طويلا. وهو أحد أصحاب المعلقات. (الموسوعة الشعرية)

4 ق: وخرجت

5 ص 47 ب

1 ص 46

2 [البقرة: 115]

3 ص 46 ب

4 ق: "وإليه" وعليها إشارة الشطب، وصححت في الهامش بقلم الأصل.

5 [البقرة: 149]

تعرض ونطق به قبلناه، فإذا لم تعمل بما أمرك الله به فقد عصيته. ولو كان الأمر بالشيء نهيا عن ضده، لكان على الإنسان خطيئتين أو خطايا كثيرة، بقدر ما لذلك المأمور به من الأضداد. وهذا لا قائل به. وإنما يؤخذ الإنسان بترك ما أمر بفعله أو فعل ما أمر بتركه لا غير. فهو ذو وزر واحد، وسيئة واحدة، فلا يجزى إلا مثلها. وقد أخذت المسألة حقها ظاهرا وباطنا، حقا وخلقا، شرعا واعتبارا ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

فصل بل وصل

في ستر العورة

اتفق العلماء على أن ستر العورة فرض بلا خلاف. وعلى الإطلاق، أعني في الصلاة وفي غيرها. وسأذكر حدها في الرجل والمرأة.

اعتبار ذلك في الباطن:

وجب² على كل عاقل ستر السر الإلهي، الذي إذا كشفه، أدى كشفه من ليس بعالم ولا عاقل، إلى عدم احترام الجنب الإلهي الأعز الأسمى. فإن حقيقة العورة (هي) الميل. ولهذا قال من قال: ﴿إِنَّ يَتُوتَنَا عَوْرَةً﴾³ أي مائلة تريد السقوط، لَمَّا اسْتَنْفَرُوا. فأكد بهم الله عند نبيه بقوله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ يعني بهذا القول بما دعوتهم إليه. ومنه: الأعور، فإن نظره مال إلى جهة واحدة.

وكذلك ينبغي أن يستر العالم عن الجاهل أسرار الحق في مثل قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾⁴ وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁵ وقوله: «كُتِّ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَلِسَانُهُ» فإن الجاهل إذا سمع ذلك أذاه إلى فهم محذور، من حلول أو تحديد. فينبغي أن يُستتر ما تطلف الحق به على قلوب العلماء ومال عليه السلام، سبحانه وتقدس - بخطابه مما يقتضيه جلاله من الغنى على الإطلاق عن العالمين، إلى قوله تعالى - على لسان رسوله ﷺ: «جَعْتُ فَلَمْ تَطْعَمَنِي، مَرَضْتُ فَلَمْ تَعْدِنِي، ظَمِئْتُ فَلَمْ تَسْقِنِي».

1 [الأحزاب: 4]

2 ص 48

3 [الأحزاب: 13]

4 [المجادلة: 7]

5 [آق: 16]

فليستر علم سر هذا عن الجاهل، ولا يزيد على ما فسره به قائله سبحانه - شيئا، كما ستره الحق بقوله: «أما إن فلانا مريض، فلو عدته وجدتي عنده» وهذا أشكل من الأول؛ لكنه¹ (تعالى) أعطى في هذا التفسير للعلماء بالله، علما آخر به تعالى - لم يكن عندهم. وذلك أنه في الأول جعل نفسه سبحانه - عين المريض والجائع، وفي تفسيره تعالى - جعل نفسه عائد المريض بكونه عنده. فإن من عاد مريضا فهو عنده. وأين هذا من جفاء نفسه عين المريض. وكل قول من ذلك حق، وكل حق حقيقة.

وأما الستر الذي في ذلك للعالم (فهو) أن يقال له في قوله «لوجدتي عنده»: إن حال المريض أبدا الاقتتار والاضطرار إلى من بيده الشفاء، وليس إلا الله. فالغالب عليه ذكر الله مع الآفات، في دفع ما نزل به، بخلاف الأصحاء. وهو سبحانه - قد قال: «أنا جليس من ذكرني». وهذا وجه صحيح، ويقنع العالم به. ويبقى العالم بما يعلمه من ذلك على علمه. فهذا هو ستر الميل الإلهي عن نظر العالم.

فصل بل وصل

في ستر العورة في الصلاة

اختلف العلماء؛ هل هي شرط في صحة الصلاة أم لا؟ فن قائل: إن ستر العورة من سنن الصلاة. ومن قائل: إنها من² فروض الصلاة.

وأما اعتبار ذلك في النفس:

قد أعلمناك ما مفهوم العورة آنفا. وفي هذه المسألة لَمَّا ثَبِتَ أَنَّ الْمُصَلِّيَ يَبَاحِي رَبَّهُ، وَأَنَّ «الصَّلَاةَ قَدْ قَسَمَهَا اللَّهُ بِنَصْفَيْنِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ» فمن غلب أن الحق هو المصلي بأفعال عبده، أعني الأفعال الظاهرة من العبد في الصلاة، كما ثبت «أن الله قال على لسان عبده في الصلاة: سمع الله لمن حمده عند الرفع من الركوع» والعبد هو القائل بلا شك، وقال: «فَأَجَزُهُ حَتَّى يَسْتَعِ كَلَامَ اللَّهِ»³ والرسول ﷺ هو التالي بلا شك. قال: إن ستر العورة من فروض الصلاة. أي مثل هذا لا يظهر في العامة. يريد معناه، وسره الذي يعرفه العالم. بل يؤمن به العالم كما جاء ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾⁴.

1 ص 48

2 ص 49

3 [التوبة: 6]

4 [التكوير: 43]

ومن رأى أن لا مرتبة في هذه المسألة بين العالم والعامي، وأنه ما فيها إلا ما ورد النص به، ولو أتى عند السامع إلى ما أداه، إذا لم يخرج عن مقتضى اللسان في ذلك، وإن تفاضلت درجاتهم. كان ستر العورة عنده من سنن الصلاة، لا من فروضها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾¹.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في حدّ العورة

فمن قائل: إنّ العورة في الرجال هي السوءتان³. ومن قائل: هي من الرجال من السرّة إلى الركبة. وهي عندنا السوءتان فقط.

الاعتبار في ذلك في النفس:

ما يؤدّم ويكره ويُخبث من الإنسان هو العورة على الحقيقة. والسوءتان محلّ لما ذكرناه. فهو بمنزلة الحرام. وما عدا السوءتين مما يجاورهما من السرّة علواً، ومن الركبة سفلاً هو بمنزلة الشبهات، فينبغي أن تُتَمَّى «فإنّ الراع حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في حدّ العورة من المرأة

فمن قائل: إنها كلّها عورة، ما خلا الوجه والكفين. ومن قائل بذلك، وزاد أنّ قدميها ليستا بعورة. ومن قائل: إنها كلّها عورة. وأما مذهبنا: فليست العورة في المرأة أيضاً، إلا السوءتين. كما قال تعالى: ﴿وَطَافَتْهَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾⁴، فسوى بين آدم وحواء في ستر السوءتين، وهما العورتان. وإن أُمِرَت المرأة بالستر⁵، فهو مذهبنا، لكن لا من كونها عورة، وإنما ذلك حكم مشروع ورد بالستر. ولا يلزم أن يستر الشيء لكونه عورة.

اعتبار ذلك في النفس:

1 [الأحزاب: 4]

2 ص 49

3 ق: السوءتين

4 [الأعراف: 22]

5 ص 50

المرأة هي النفس، والخواطر النفسية كلّها عورة. فمن استثنى الوجه والكفين والقدمين، فلاّن الوجه محلّ العلم. لأنّ المسألة إذا لم تُعرّف وجهها فما علّمتها. وإذا استتر عنك وجه الشيء فما علمته. وأنت مأمور بالعلم بالشيء، فأنت مأمور بالكشف عن وجه ما أنت مأمور بالعلم به. فلا يُستر الوجه من كونه عورة، فإنّه ليس بعورة.

وأما اليدان فهما الكفّان. وهما محلّ الجود والعطاء. وأنت مأمور بالسؤال؛ فلا بدّ للمعطي أن يمدّ يده بما يعطي، فلا يستر كفه، فإنّه المالك للنعمة التي تطلبها منه. فلا بدّ أن تتناولها إذا جاد عليك بها، والجود والكرم مأمور بهما شرعاً، وقد ورد أنّ «اليد العليا خير من اليد السفلى» فعمد يد السائل والمعطي. فلا بدّ للمعطي أن يتناول، وللسائل أن يتناول.

وأما القدمان فلا يجب سترهما، وأنها ليستا بعورة: لأنّهما الحاملتان¹ للبدن كلّّه، ومُتَقَلَّباته من مكان إلى مكان. ومن كان حكمه التصريف، فيتعدّر ستره واحتجابه. فلا بدّ أن يظهر ويبرز ضرورة، فيبعد أن يكون عورة تُستر.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في اللباس في الصلاة

اتفق العلماء على أنّه يجزي الرجل من اللباس في الصلاة الثوب الواحد.

اعتباره في النفس:

الموحد في الصلاة هو الذي لا يرى نفسه فيها، بل يرى أنّ الحقّ يقبّه ويقعده، وهو كالميت بين يدي الغاسل. فهذا معنى الثوب الواحد.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في الرجل يصلي مكشوف الظهر والبطن

فذهب قوم إلى جواز صلاته، وذهب قوم إلى أنّه لا تجوز صلاته.

اعتبار النفس في ذلك:

الظاهر¹ والباطن وهو عمل القلب في الصلاة، وعمل الجوارح. فالرجل المصلي إذا انكشف له ظاهر أمره في صلاته وباطنه، لم ير نفسه مصلياً، وإنما رأى نفسه يُصلي بها. فهذا بمنزلة مَنْ قال بإبطال صلاته. فإنَّ صاحب هذا الكشف على هذا النظر، بطلت إضافة الصلاة إليه، مع وقوع الصلاة منه. ومَنْ حصل له هذا الكشف وقال: لا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا. وبهذا القدر من الفعل يسمى مصلياً، قال بجواز صلاته.

فَصَلِّ بَلِّ وَضَلْ

فيما يجزي المرأة من اللباس في الصلاة

اتفق الجمهور على الدرع والخمار. فإنَّ صَلَّتْ مكشوفة، فمن قائل: تعيد في الوقت وبعده. ومن قائل: تعيد في الوقت. وأمَّا المرأة المملوكة، فمن قائل: إنها تصلي مكشوفة الرأس والقدمين. ومن قائل بوجوب تغطية رأسها. ومن قائل باستحباب تغطية رأسها.

اعتبار النفس في ذلك:

لا² فرق بين المملوكة والحرّة، فإنَّ الكلّ ملك لله، فلا حرّية عن الله. فإذا أضيفت الحرّية إلى الخلق، فهو خروجهم عن رِقِّ الغير، لا عن رِقِّ الحقّ. أي ليس لخلق على قلوبهم سبيل، ولا حكم. فهذا معنى الحرّية في الطريق. وقد تقدّم الكلام في الثوب الواحد، وبقي الاعتبار في تغطية الرأس هنا.

واعلم أنَّ المرأة لما كانت في الاعتبار، النفس. والرأس من الرئاسة. والنفس تحبّ الظهور في العالم برئاستها لحجابها عن رئاسة سيّدها عليها، وطلب شفوفها على أمثالها، ولهذا قيل: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حبّ الرئاسة. أمّرت النفس أن تغطي رأسها، أي تستر رئاستها، فإنّها في الصلاة بين يدي ربّها. ولا شكَّ أنَّ الرئيس بين يدي الملك، في محلّ الافتقار، فإذا خرج إلى مَنْ هو دونه، أظهر رئاسته عليه. فلهذا أمّرت النفس المملوكة، أن تغطي رأسها في الصلاة.

فَصَلِّ بَلِّ وَضَلْ

في لباس الحرّم في الصلاة

فمن قائل بجواز صلاته، وهو مذهبننا، وإن كنت أكثره له ذلك. ومن¹ قائل: لا تجوز. ومن قائل باستحباب الإعادة في الوقت. وهو عندنا عاص بلباس ما لا يحلّ له، وإن جازت صلاته، فإنّه عندنا من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

اعتبار النفس في ذلك:

ما في كلّ موطن يُرزق الإنسان العصمة في أحواله، والتوفيق في جميع أموره، فهو فيما يوفق فيه مُوفّق، وفيما يُخْذَلُ فيه مخذولٌ في الوقت الواحد. كالذاكر لله بقلبه ولسانه، وهو يضرب يده في تلك الحالة مَنْ يَأْتُم بِضْرِيه، ومن حَرَمَ عليه ضَرْبُهُ. فلا يقدح ذلك في ذكّره، كما لا يرفع ذلك الذكّر إثمهُ، أو حُكْمُ أَنَّهُ أَتَى حَرَاماً؛ فَإِنَّ الذَّكْرَ لَا يَحِلُّهُ. ولهذا عندنا تصحّ الصلاة في الدار المغصوبة. فهو مأثوم من وجوه، مأجور من وجوه.

فَصَلِّ بَلِّ وَضَلْ

في الطهارة من النجاسة في الصلاة

فمن قائل: إنها من فروض الصلاة، وإنّها لا تصحّ إلا بإزالتها. ومن² قائل: إنها سنة، وقد مضى الكلام فيها في الطهارة. ومن قائل: إنّ إزالة النجاسة فرض على الإطلاق. ومن هذا مذهبه لا يلزم منه أن يقول: إنّ إزالتها شرط في صحّة الصلاة؛ يكون مصلياً صحيح الصلاة، وعاصياً من حمله النجاسة في الصلاة.

اعتبار ذلك في النفس:

النجاسة عند من يرى إزالتها فرضاً، تقتضي البعد عن الله، والصلاة تقضي بالقرب للمناجاة. فمن غلب القرب على البعد، أزال حكمها. ومن غلب البعد على القرب، لم تصحّ عنده الصلاة. والأوّل أن يقال: إنّ العبد متنوع الأحوال، وإنّه بكلّه لله، وإنّه بما كان منه لله، لله: فإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ³. فصلاته

مقبولة، سواء صلى بالنجاسة أو لم يصل. والأولى إزالتها بلا خلاف، قل ذلك أو أكثر. ومنزلها أن الإنسان لا يحضر مع الله في كل حال، لما جيل عليه من الغفلة والضيق، فاعلم ذلك، وبالله التوفيق.

فصل بَلَّ وَضَل

في¹ المواضع التي يُصَلِّي فيها

فمن الناس من ذهب إلى إجازة الصلاة في كل موضع لا تكون فيه نجاسة، ومنهم من استثنى من ذلك سبعة مواضع: المذلة، والمجزرة، والمقبرة، وقارعة الطريق، والحمام، ومعاطن الإبل، وفوق ظهر الكعبة. ومنهم من استثنى من ذلك: المقبرة والحمام. ومنهم من استثنى المقبرة فقط، ومنهم من كره الصلاة في هذه المواضع المنهي عنها، وإن لم يُبطلها.

اعتبار النفس في ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾²، والمصلي يناجي ربه وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾³ وقول عائشة رضي الله عنها: في رسول الله ﷺ على ما غلبت من أحواله: «إنه كان يذكر الله على كل أحيانه» وليس للأماكن أثر في حجاب القلب عن ربه، إلا لأصحاب الأحوال. وإنما الأثر في ذلك للغفلة، أو للجهل في العموم، أو للحال في أصحاب الأحوال.

وأما ذكر هذه الأماكن المنهي عنها، فإنها كلها تناقض الطهارة. وقد تقدم الكلام في الطهارة من النجس واعتباره⁴، وما بقي من هذه السبعة، إلا الصلاة فوق ظهر البيت. وذلك أنك مأمور بالاستقبال إليه في الصلاة، وأنت في هذه الحالة لا فيه ولا مُسْتَقْبِلُهُ، فلم تصل الصلاة المشروعة. فإن شطر المسجد الحرام لا يواجحك. ومن أجاز ذلك حمل في الاعتبار الوجهة على الذات، ولا شك أنك بذاتك شطر المسجد الحرام، فإنك على ظهره، والأرض كلها مسجد.

فصل بَلَّ وَضَل

في البيع والكنائس

اختلف الناس في البيع والكنائس، أعني في الصلاة فيها. فكرهها قوم، وأجازها قوم، وفرق قوم بين أن تكون فيها صور أم لا تكون.

اعتبار النفس في ذلك:

هل يناجي الحق شخصان من مرتبة واحدة؟ ذلك عندنا لا يصح للتوسع الإلهي، قال تعالى: ﴿لَكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾¹ تفسيراً وإشارة. فإن صلينا في مثل هذه الأماكن، فمن شرعنا لا من شرعهم، فافهم والله الملمهم.

فصل² بَلَّ وَضَل

في الصلاة على الطنائف³ وغير ذلك مما يقعد عليه

اتفق العلماء على الصلاة على الأرض، واختلفوا في الصلاة على الطنيفة، وغير ذلك مما يقعد عليه على الأرض. فالجمهور على إباحة السجود على الحصير، وما يشبهه مما تنبت الأرض، والكراهة في السجود على غير ذلك.

الاعتبار في النفس في ذلك:

لما قال الحق تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين» فأثبتك في الصلاة وما فاك. وله الوصف الأعلى الأنزه، ولك الوصف الأنزل الأدنى. فكل نزول منك إلى أرض عبوديتك أو لوازمها، فإنه قادح فيما أمرت بتعميمه، فإنه سمالك عبدا في الصلاة، والعبودية هي الذلة. وقال تعالى: في وصف الأرض أنه جعلها لنا ذلولا فتمشي في مناكبها⁴، فهي تحت أقدامنا. وهذا غاية الذلة: من يكون يطؤه الذليل.

1 [المائدة: 48]

2 ص 54

3 الطنيفة والطنيفة، بضم الفاء؛ الأخيرة عن كراع: التثنية فوق الرجل، وجمعها طنائف؛ وقيل: هي البساط الذي له حمل رفيع.

[لسان العرب]

4 يشير إلى الآية الكريمة: «هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها» [الملك: 15]

1 ص 53

2 [الحديد: 4]

3 [المعارج: 23]

4 ص 53

ولما كانت بهذه المنزلة من الذلة، أمرنا أن نضع عليها أشرف ما عندنا في¹ ظاهرنا - وهو الوجه - وأن نمرغه في التراب. فَعَلَّ (سبحانه) ذلك جبراً لانكسار الأرض بوطء الذليل عليها، الذي هو العبد. فاجتمع بالسجود وجهُ العبد، ووجهُ الأرض. فانجبر كسرهما. «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ الْمُنْكَسَرَةِ قُلُوبُهُمْ». فكان العبدُ في ذلك المقام بتلك الحالة، أقرب إلى الله سبحانه - من سائر أحوال الصلاة، لأنه سعى في حق الغير لا في حق نفسه: وهو جبر انكسار الأرض من ذلِّتها، تحت وطء الذليل لها.

فتنبه لما أشرتُ إليك، فإنَّ الشرع ما ترك شيئاً إلا وقد أشار إليه إمام: عَلَّمَهُ مَنْ عَلَّمَهُ، وَجَمَلَ مَنْ جَمَلَهُ. ولهذا لم يعلم أسرار هذه الأمور إلا أهلُ الكشف والوجود، فإنَّ جميع العالم يخاطبونهم ويعرفونهم بحقائقهم.

ولقد أخبرني أبو العباس الحريري بمصر سنة ثلاث وستائة عن أبي عبد الله القرباعي، أنه كان يمشي معه في سويقة وردان. وكان قد اشترى قصريّة صغيرة لابن صغير كان عنده لبيول فيها، فضمّهم منزل والقصريّة عنده جديدة، ومعهم رجال صالحون. فأرادوا أكل شيء، فطلبوا إداماً يأتمدون به. فاتفق رأيهم على أن يشتروا "قطارة السكر". فقالوا هذه القصريّة ما مسّها قَدْرٌ، وهي جديدة على حالها. فملؤوها قطارة، وقعدوا يأكلون² إلى أن فرغوا، وانصرف الناس ومشى صاحب القصريّة بها مع أبي العباس.

قال أبو العباس فوالله لقد سمعت بأذني هذه، وسمع معي الشيخ أبو عبد الله القرباعي القصريّة، وهي تقول: "بعد أن أكل في أولياء الله، أكون وعاء للقدّر؟! والله لا كان ذلك" وانتفضت من يده، وسقطت على الأرض، فتكسّرت. قال أبو العباس فأخذنا من كلامها حال.

فلما قال لي ذلك، قلت له: إنكم غبتم عن وجه موعظة القصريّة إيتاكم، ليس الأمر كما زعمتم. وكمن من قصريّة أكل فيها من هو خير منكم، وبعد ذلك استعملت في القدر. وإنما قالت لكم: يا إخواني؛ لا ينبغي لكم بعد أن جعل الله قلوبكم أوعية لمعرفة وتجليه، (أن) تجعلوها وعاء للأغيار، وما نهاكم الله أن تكون قلوبكم وعاء له، ثم تكسّرت. أي هكذا فكونوا مع الله. فقال لي: ما جعلنا بالنار لما نهّتنا عليه³.

* * *

فَضْلٌ بَلِّ وَضِلُّ

في اشتغال الصلاة على أقوال وأفعال

أما الشروط المشتركة في الصلاة، فمنها أقوال ومنها أفعال¹. أما الأفعال؛ فجميع الأفعال المباحة التي ليست أفعال الصلاة، إلا قتل الحيّة والعقرب في الصلاة، فإنهم اختلفوا في ذلك، واتفقوا على أن الفعل الخفيف لا يطل الصلاة.

الاعتبار في النفس في ذلك:

"عقرب الهوى" و"حيّة الشهوة" تخطر للمناجي ربّه، فهل يقتلها؟ أو يصرفها في مصرفها الذي عين لها الشارع؟. لما علم العارف أن قتلها محال، فيهوى ما عند الله بهواه، وبشبهه دوام مناجاته بشهوته. فيرى بأن لا يقتلها من هذا مذهبه. ويرى قتلها من يرى أنها قد حالا بينه وبين مناجاته ربّه.

وأما الأقوال؛ فإنّها أيضاً التي ليست من أقوال الصلاة. فلم تختلف العلماء في أنّها تفسد الصلاة عمداً. إلا أن العلماء اختلفوا من ذلك في موضعين: الموضع الواحد، إذا تكلم ساهياً. والموضع الآخر: إذا تكلم عمداً لإصلاح الصلاة. ومن قائل - وهو قول شاذ -: إن من تكلم في الصلاة عمداً لإحياء نفس، أو أمر كبير، أنّه يبني على ما مضى من صلاته ولا يفسدها ذلك، وهو مذهب الأوزاعي. ومن قائل: إن الكلام عمداً لإصلاح الصلاة لا يفسدها. ومن قائل: إن الكلام يفسدها، كيف كان، إلا مع النسيان. ومن قائل: إن الكلام يفسدها، مع النسيان ومع غير النسيان.

الاعتبار:

المصلي يناجي ربّه، فإذا ناجى غيره من أجله؛ ما زال من مناجاة ربّه. وإذا ناجى غيره، لا من أجل ربّه، فقد خرج عن صلاته. والنسيان في مناجاة الحق غير معتبر، إلا من غلب من أصحابنا على المناجي مشاهدة الحجاب، فإن الله لا يناجي عبده إلا من وراء حجاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾³.

وأقرب الحجب الصورة التي يقع فيها التجلي، هذا أقرب الحجب. فإنّه ما هو الصورة ولا غيرها. فمن

شغلته الصورة عن نسبة ما هو الصورة، أو شغله ما هو الصورة عن نسبة هو الصورة: فهو الناسي في الحالتين. فيكون حكمه في الاعتبار كحكمه في الظاهر، من الخلاف الواقع بين العلماء فافهم.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في النية في الصلاة

فمن¹ قائل: إنها شرط في صحة الصلاة، بل قد اتفق العلماء عليها، إلا من شذَّ.

اعتبار النفس في ذلك:

قد يقصد العبد مناجاة ربه، وقد يأتيه الأمر بغتة. موسى مشى - ليقبس نارا، فكلمه ربه، ولم يكن له قصد في ذلك. والأصل في العبادات كلها أنها من الله ابتداء، لا مقصودة للمكلفين، إلا ما شذَّ من ذلك، كآية الحجاب وغيرها في حق عمر بن الخطاب.

وإنما يُمنَعُ القصدُ في الباطن المعبر، لأن الحقيقة تعطي أن ما ثمَّ شيء خارج عن الحق، أو تخلى الحق عنه، حتى يقصده في أمر يكون فيه. بل هو في نسبة الكل إليه، نسبة واحدة. فإلى أين أقصد وهو معي حيث كنت، وعلى أي حال كنت؟ فما بقي القصد جهة القرية إلى الله. وإنما متعلق القصد حال مخصوص مع الله، قصده عن حال مخصوص مع الله، خرجت منه به إليه.

والأحوال مختلفة؛ فمن راعى اختلاف الأحوال، قال بوجوب النية - وعلى هذا النحو توعت الشرائع وجاءت. - ومن راعى الحضور، ولم ينظر إلى الأحوال، كان صاحب حال. فلم يعرف النية، فإنه في العين. قال تعالى - في حق من هذا حاله² من باب الإشارة لا التفسير -: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾³ ومثله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَعُ وَأَرَى﴾⁴.

انتهى الجزء السابع والثلاثون، يتلوه في الجزء الثامن والثلاثين.⁵

1 ص 56

2 ص 57

3 [التكوير: 26]

4 [طه: 46]

5 بعد النص: "سمع من أول الكتاب إلى ههنا على مصنفه الإمام العلامة محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي: أبنا المصنف أبو المعالي محمد وأبو سعد محمد، وإسماعيل بن سودكين النوري، وأبو بكر بن سليمان الحنوي، وابناه عبد الواحد، وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وعبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، والحسين بن إبراهيم الإربلي، وضرب الله بن أبي العز بن الصفار، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادى، وموسى بن زيد بن جابر، وعلي بن عز العرب بن قرشلة،

الجزء الثامن والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في نية الإمام والمأموم

اختلف علماء الشريعة في نية الإمام والمأموم: هل من شرط نية المأموم أن توافق نية الإمام في الصلاة، أعني في تعيين الصلاة وفي الوجوب؟ فمن قائل: إنه يجب. ومن قائل: إنه لا يجب. ولكل قائل حجة ليس هذا موضعها.

اعتبار النفس في ذلك:

الصحيح أنه لا يجب، لأنه أمر غيبي. ولا يكون الائتمار إلا بما يتعلق به الجس، من سماع أو مشاهدة. ولهذا فصل الشارع ما أجمله في الائتمار، فذكر الأفعال المدركة بالجس - بأي جس أدركها - وما ذكر النية، فإنها من عمل القلب، فإنه تكليف ما لا يوصل إلى معرفته.

من علم أن الاتساع الإلهي يحيل أن يكرر الحق التجلي لشخص، أو يتجلى لشخصين في صورة واحدة، علم أن نية المأموم لا ترتبط بنية³ الإمام، إلا في الصلاة من كونها ذات أفعال. ولكل امرئ ما نواه. فإن القصد بالتجلي الائتماني من المتجلى على المتجلى له، والقصد من المتجلى له العلم والالتذاذ بذلك التجلي.

ويعقوب بن معاذ الوري، ومحمد بن يرتقش المعظمي، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي بن محمد المطرزي، وركبة بن حسن بن مالك، وعلي بن محمد بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي - الحنفيون -، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان الدمشقي، وإبراهيم بن محمد، وعلي بن أحمد بن علي - القزويني -، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنلسي، وعبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي الفهم الدمشقي، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، وعبد الكريم بن أبي الحسن المحصي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ويحيى بن إسماعيل الملقط، وعيسى بن إسحاق الهذلي، وحسين بن محمد الموصل، وأبو بكر بن يونس بن الحلال، وابنه إبراهيم، وعلي بن أبي الفناهم بن الفصال، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وأحمد بن أبي الهيثم الدمشقي، وكتاب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، ويونس بن عغان الدمشقي، وذلك في سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستة مئذ المصنف بدمشق، والحمد لله وصلاه على محمد وآله. ومع الجزء الأخير عبد المصنف بن مظفر بن أبي الحسن المصري، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

1 العنوان ص 57

2 بالبسملة ص 58

3 ص 58

فَضْلٌ بَلْ وَضَل

في حكم الأحوال في الصلاة

اعلم أنَّ الصلاة تشتمل على أقوال وأفعال، ويكون حكمها بحسب الأحوال. فإنَّ جميع العبادات تنبني على الأحوال، وهي المعتبرة للشارع. فيكون الحكم يتوجّه على المكلف من جهة الحال التي يكون عليها، والأسماء تابعة للأحوال. ولهذا يراعيها الشارع في الحكم على المكلف.

قيل للمالك بن أنس: ما تقول في خنزير البحر؟ فأفتى بتحريمه. فقيل له: أليس هو من سمك البحر؟ فقال ﷺ أنتم سميتوه خنزيرا. ما زادهم على ذلك.

كذلك الخمر المحرّم شربها، إذا تخلّلت زال عنها اسم الخمر، لزوال الحال الذي أوجب له اسم الخمر. فسُمِّيَ خَلًا، لحال آخر طرأ عليه، والجوهر عين الجوهر. فانتقل الحكم من التحريم إلى الحلّ، والظاهر والباطن في هذا على السواء في¹ الحكم. فإنَّ الاعتبار إنما هو من الشرع لمن عقل عنه.

فَضْلٌ بَلْ وَضَل

في التكبير في الصلاة

اختلف علماء الشريعة في التكبير في الصلاة على ثلاثة مذاهب، فمن ذهب إلى أنّه كلّهُ واجبٌ في الصلاة. ومن ذهب إلى أنّه ليس بواجبٍ، تقيض الأول. ومن ذهب إلى أنّه ليس بواجبٍ، إلّا تكبيرة الإحرام فقط.

اعتبار النفس في ذلك:

تكبير الله واجب على كلّ حال ولكن من شرطه مشاهدة الإنسان نفسه. فإن لم يشاهد إلّا الله، ولم ير لغير الله عينا، فلا يجب التكبير. لأنّه ما ثمّ على من؟ فإن الله لا يجب عليه شيء. وإنّ التكبير لا يُعقل إلّا بوجود الأغيار، أو تقدير وجود الأغيار.

ثمّ إنّ القائلين لا مشهود لهم إلّا الله؛ شاهدا ومشهودا وشهادة. وأعمّ من هذه الحالة، في الفناء، ما

يكون. فإن شاهده من حيث أسمائه الإلهية الحسنى، أوجب التكبير¹ من حيث نسيبها. أي من نسيب بعضها لبعض: فإنّ الاسم "الحَيّ" له محميّة على جميع الأسماء، والاسم "العالم" أعمّ في التعلّق من الاسم "المريد" و"القادر". فالتكبير لا بدّ منه، فإنّ حقائق الأسماء تطلّبه لتفاضلها.

وإن نظر في الأسماء الإلهية من حيث ما تجتمع فيه -وهو المسمّى بها- فإنها موضوعة من المتكلم للدلالة على عين المسمّى، وإن كان لها حقائق في نفوسها بما يكون متعلّقه التنزيه أو الأغيار، لم ير التكبير.

ومن قرّك بين الصلاة وغيرها من العبادات، رأى وجوب تكبيرة الإحرام فقط. ينبّه بها نفسه أنّها ممنوعة، محجورٌ عليها التصرف، فيما يخرجها عن هذه العبادة المختصة، المسماة صلاة. وقد انحصرت المذاهب في الاعتبار، والحمد لله.

فَضْلٌ بَلْ وَضَل

في لفظ التكبير في الصلاة

اختلف علماء الشريعة في صفة لفظ التكبير في الصلاة. فمن قائل: لا يجزي إلّا لفظة "الله أكبر". ومن قائل: يجزي بغير الصيغة، ولكن لا بدّ فيه من حروف التكبير: وهي الكاف والباء والراء. ومن² قائل: يجوز التكبير على المعنى؛ كالأجلّ والأعظم.

ومذهبنا في ذلك أنّ اتباع السنة أولى، فإن رسول الله ﷺ يقول: «صلّوا كما رأيتموني أصلي» وما نقل إلينا قطّ إلّا هذا اللفظ "الله أكبر" تواتر ذلك عندنا.

الاعتبار في ذلك:

ما عيّن الشرع لفظا في عبادة نطقية دون غيره من الألفاظ، بما في معناه، إلّا وقد أراد ما يمتاز به ذلك اللفظ من طريق المعنى عند العلماء بالله، عمّا يقع فيه الاشتراك. فالأولى بنا مراعاة الاقتداء، ومراعاة المعنى الذي يقع به الامتياز، علّما ذلك المعنى أو حملناه. فإن علّمناه فوجب أن لا نعدل عنه، وإن لم نعلمه فنأتي به على علم الذي شرعه فيه، ولا نتحكم بسياق لفظ آخر.

والله قد أمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة، فقال له: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾¹ والعالم إذا كان حكيماً لا يعدل إلى أمر دون غيره مما يقارب معناه إلا لخصوص وصف. فنعتبر ذلك ولا نعدل عنه، فعلاً كان أو قولاً. فإنه لا بد لمن يعدل عنه أن يحرم فائدة ذلك الاختصاص، ويتصف بالخالفه بلا شك.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في التوجيه في الصلاة

فمن قائل بوجوبه، ومن قائل بعدم وجوبه. وصورته أن يقول بعد التكبير: ﴿وَجْهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾³ ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾⁴ الحديث. ومن قائل: له أن يسبح وإن لم يقل هذا اللفظ بعينه. ومن قائل: يجمع بينهما بين التسبيح والتوجيه.

وأما الذي أذهب إليه فهو التوجيه في صلاة الليل في التهجد لا في الفرائض. وأما في الفرائض فينبغي أن يقول بين التكبير والقراءة في نفسه، لا يسمع غيره إذا كبر: "اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد". هذا هو الذي اختاره، وبه وردت السنة. ومذهبنا الوقوف عندها، والعمل بها وإن لم نوجب ذلك، إذ لم يوجب الله، ولكن الاتباع أولى.

الاعتبار⁵ في ذلك عند أهل الله:

التوجيه في حال، من حال، إلى حال: من الله، بالله، إلى الله، مع الله، في الله، لله، على الله.

من الله: ابتداء، بالله: إعانة وتأيداً، إلى الله: غاية وانتهاء، مع الله: صحبة ومراقبة، في الله: رغبة، لله: قرينة من أجله، على الله: توكلًا واعتمادًا. ثم تعتبر ألفاظ ما ورد في التوجيه. وكذلك تعتبر ما ذكرناه من الدعاء، بين التكبير والقراءة.

1 [طه : 114]

2 ص 60 ب

3 [الأنعام : 79]

4 [الأنعام : 162، 163]

5 ص 61

6 ق: وتأيد

والماء الحياة؛ فإنه جعل من الماء كل شيء حي، أي بما تحيي به قلبي بذكرك، وجوارحي بطاعتك، حتى لا تنصرف إلا فيها، فإنها شاهد مصدق يوم القيامة، لمن تشهد عليه أو له، كما ورد في القرآن العزيز من شهادة الجوارح.

واعتبر البرد من بزد اليقين، كبرد الأنامل، الوارد في الخبر الصحيح. فحصل به من العلم على يقين، فيبرد به ما يحده العبد المصطفى، من حرارة الشوق إلى المراتب العلى، عند المسبح الأعلى، من العلم بالله. والثلج من ثلج القلب، الذي هو سروره، بما أكرمه الله به من تجليه وشهوده.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في سككات المصلي في الصلاة

وهي¹ بعد ما يكبر تكبيرة الإحرام، وقبل الشروع في القراءة، هذه هي السككة الأولى. وأما السككة الثانية، فعند الفراغ من قراءة الفاتحة. وأما السككة الثالثة فبعد الفراغ من القراءة، وقبل الركوع. وسوى السككات التي هي الوقوف على كل آية ليراد إليه نفسه، أو ليتدبر فيما قرأ. وهذه السككة الثالثة إنما هي لمن يقرأ قرآناً سوى الفاتحة بعد الفاتحة، فإن اكتفى بالفاتحة فماها إلا سكتان فاعلم ذلك.

اعتبار أهل الله في ذلك:

من الناس من أنكر سككات الإمام، ومنهم من استحباها. ولا شك أن السككات هي السنة. فأما اعتبارها: فالله يقول: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين» وقال ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه» فالمصلي يتأهب لمناجاة ربه، ويجعله نصب عينيه في قبلته. وكذلك هو الأمر في نفسه، لكن من غير تحديد ولا تشبيه. بل كما يليق بجلاله. فإن المصلي يواجه ربه في قبلته، كذا ورد عن الصادق ﷺ.

والمناجاة مفاعلة، والمفاعلة فعل فاعلين، في بعض المواطن؛ هذا² منها. فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾³ فالله عند هذا القول من العبد سميع. فينبغي للعبد إذا فرغ من الآية، أن يلتقي السمع وهو شهيد؛ فيسكت حتى يرى ما يقول له الحق في ذلك، أدياً مع الحق، لا ينبغي له أن يداخله في

1 ص 61 ب

2 ص 62

3 [الفاتحة : 2]

الكلام. فإن ذلك من الأدب في المحاورات. والحقُّ أحقُّ أن يُتأدَّب معه. «فيقول الله: حمدي عبدي» فمن عبَّيد الله من يسمع ذلك القول بسمعه، فإن لم تسمعه بسمعك فاسمعه إيمانا به، فإنه أخبر بذلك. وهكذا يقول لك في كل آية بحسب ما تقتضيه تلك الآية.

فمن الأدب الإصغاء لما يقوله القائل لك من ناجيته. فإذا داخلته في كلامه، أي في حال ما يكلمك. فقد أسأت الأدب. هذا عامٌّ في كلِّ متكلم مع من يكلمه. فالأمر بين سامع ومتكلم لتحصيل الفائدة. واعلم أنه من لا أدب له لا تتخذه الملوك جليسا، ولا سميرا ولا أنيسا.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

في البسمة في افتتاح القراءة في الصلاة

اختلف علماء الشريعة في قراءة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾¹ في افتتاح القراءة في الصلاة. فمن قائل بالمنع سرًّا وجهرا، لا في أم القرآن ولا في غيرها من السور، وذلك في المكتوبة، وأجازها في النافلة. ومن قائل: تقرأ مع أم القرآن في كل ركعة سرًّا. ومن قائل: يقرأ بها ولا بدَّ في الجهر جهرا وفي السر سرًّا.

والذي أقول به: إن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، عند افتتاح قراءة القرآن في صلاة وفي غيرها، فرض، للأمر الإلهي الوارد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾³. وقراءة البسمة في القراءة في الصلاة، فرضا كانت الصلاة أو نفلا، في الفاتحة والسورة، أولى من تركها. فإنَّ الفرض على المصلي أن يقرأ ما تيسر من القرآن، وقد عيَّن الله الذي أراد من القرآن في الصلاة، وهو الذي تيسر. فقد عرَّفَ بعد ما نكَّر، وذلك هو الفاتحة. فإن تيسر له قراءة البسمة قرأها، وإن لم تيسر قراءتها في الفاتحة وغيرها فلا حرج.

وأما الفاتحة فلا بدَّ منها في الصلاة، وإن لم يقرأ الفاتحة فما هي الصلاة التي قسمها الحقُّ بينه وبين عبده. والبسمة عندنا آية من القرآن، حيثما وردت من القرآن. وهي آية، إلا في سورة النمل في كتاب سليمان، فإنها جزء من آية ما هي آية كاملة، والله أعلم.

[1] الفاتحة : 1

2 ص 62 ب

3 [النحل : 98]

الاعتبار¹ عند أهل الله في ذلك:

﴿فَكُلُوا مِنَّمَا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾² ﴿وَلَا تَكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾³ والقرآن كلام الله. وقد ورد: «إذا استطعتم الإمام من خلقه فليطعمه» فسمّاه طعاما، فناسب الأكل. فلهذا أتينا بآيات الأكل في الاعتبار. ومن قرأ القرآن معتقدا أنه كلام الله، فقد سمى الله متكلمًا. وإن كان هذا الاسم ما ورد، فافهم فهمنا الله وإيّاك مواقع خطابه.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

القراءة في الصلاة، وما يقرأ به من القرآن فيها

من الناس من أوجب القراءة في الصلاة وعليه الأكثر، ومن الناس من لم ير وجوب القراءة، ومن الناس من أوجبها في بعض الصلاة ولم يوجبها في بعض. والذي أذهب إليه وجوب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة، وإن تركها لم تجزئ صلاته.

ثم اختلفوا أيضا فيما يقرأ به من القرآن في الصلاة. فمنهم من أوجب قراءة أم القرآن في الصلاة إن حفظها، وبه أقول. وما عداها من القرآن ما فيه توقيف. ومن هؤلاء من أوجبها في كل ركعة. ومنهم من أوجبها في أكثر الصلاة. ومنهم من أوجبها في نصف الصلاة، ومنهم من أوجبها في ركعة من الصلاة، ومنهم من أوجب قراءة القرآن، أي آية اتقث. ومن هؤلاء من حدَّ ثلاث آيات من قصار الآي، وآية واحدة من طوال الآي، كآية الدين. وهذا في الركعتين الأوليين. وأما في الركعتين الأخريين فاستحب قوم التيسيح دون القراءة. واتفق الجمهور - وهم الأكثرون - على استحباب القراءة في الصلاة كلها، وبه أقول⁵.

اعتبار أهل الله في ذلك:

المصلي يناجي ربه. والمناجاة كلام. والقرآن كلام الله. والعبد قاصر أن يعرف من نفسه ما ينبغي أن يكلم به ربه في وقت مناجاته، التي دعاه إليها في صلاته. فعلمه ربه كيف يناجيه، وماذا يناجيه، لتأ قال:

1 ص 63

2 [الأنعام : 118]

3 [الأنعام : 121]

4 ص 63 ب

5 "وبه أقول" مضافة بخط آخر، وعليه إشارة التصريب

«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين» ثم قال: «يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹ فهذا إخبار من الحق يتضمن تعليم العبد ما يناجيه به. «فيقول الله: حمدي عبدي» الحديث. فما ذكر في حق المصلي²، إذا ناجاه، أن يناجيه بغير كلامه.

ثم إنه - تعالى - عيّن له من كلامه أم القرآن، إذ كان لا ينبغي أن يناجى إلا بكلامه، وبالجامع من كلامه. والآن هي الجامعة وهي أم القرآن. وبعد أن علّمنا كيف يناجيه سبحانه - وماذا يناجيه، فالعالم العاقل، الأديب مع الله، إذا دخل في الصلاة أن لا يناجيه إلا بقراءة أم القرآن. فكان هذا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ الذي رواه عن ربه تعالى، مفسراً لما تيسر من القرآن. وإذا ورد أمر مجمل من الشارع، ثم ذكر الشارع وجهاً خاصاً، مما يكون تفسيراً لذلك الجمل، كان الواجب عند الأدباء من العلماء أن لا يتعدوا في تفسير ذلك الجمل ما فسره به قائله، وهو الله تعالى، وأن يقفوا عنده.

وشرع المناجاة بالكلام الإلهي، في حال القيام في الصلاة خاصة، دون غيره من الأحوال، لوجود صفة القيومية. من كون العبد قائماً في الصلاة، والله قائم على كل نفس بما كسبت. وهنا علم كبير في قيام العبد بكلام الرب، وما له حديث إلا مع ربه، بكلام ربه، مادام قائماً. فلمن يترجم؟ وعمّن يترجم؟ ومن هو المترجم؟ وما تكسب النفس التي هو قائم عليها؟ ومن³ هو العبد حتى يقول السيد ﷺ: يقول العبد كذا، فيقول الله كذا، لولا العناية الإلهية والتفضل الرباني؟.

فإن قيل: قد فهمنا ما أشرت به من صفة القيام، والرفع من الركوع قياماً، ولا قراءة فيه؛ (قلنا): فأما الرفع من الركوع إنما شرع للفصل بينه وبين السجود، فلا يسجد إلا من قيام. فلو سجد من ركوع، لكان خضوعاً من خضوع. ولا يصح خضوع من خضوع، لأنه عين الخروج عما يوصف بالدخول فيه. فإن التواضع لا يكون إلا من رفعة. فإن المهيّن النفس إذا ظهر منه التواضع فيما يرى فليس بتواضع، وإنما ذلك مهانة نفس. فيكون لا خضوع، مثل عدم العدم، هو عين الوجود.

فهذا فصل بين السجدين برفع، ليفصل بين السجدين حتى تميز كل واحدة منهما بالفصل الذي فصل بينهما، فيعلم أن ثم أمراً آخر وإن اشتركتا في الصورة، مثل قوله: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾⁴. كما لا نشك

1 [الفاتحة : 2]
2 ص 64
3 ص 64
4 [البقرة : 25]

في حقيقة كلمة "لا إله إلا الله" من حيث ما هي "لا إله إلا الله" وقد ظهرت بالصورة في ستة وثلاثين موضعاً من القرآن. ويعلم صاحب النوق أن حكمها يختلف في الطعم باختلاف الموضع الذي ظهرت فيه. - فإن كنت تفهم - كتشابه ركعات الصلاة في الصورة، ولكل ركعة طعم ومذاق ما هو للأخرى، كانت ما كانت. ولا شك (إنه) إذا فصل بين المثليين بالنقيض تميزاً.

ومن¹ الآداب مع الملوك، إذا حيّوا؛ حيّوا بالانحناء - وهو الركوع - أو بوضع الوجه على الأرض - وهو السجود - تعظيماً لهم. وإذا توجّوا وأتوا عليهم، قام المثني أو المكلم لهم، بين أيديهم؛ لا يكلمهم جالساً، ولا في غير حال من أحوال القيام. هذا هو الأدب المعروف ممن هو دون الملك مع الملك. فكيف بمن هو عبد له، لا يقبل الحرّية.

وأما القرآن؛ فلما كان (بحسب) المعقول في اللسان، المعروف من إطلاق هذا اللفظ، (أنه) الجامع، والصلاة حالة يجتمع العبد فيها على سيّده، كما هي حالة أيضاً جامعة بين الله وبين عبده، حيث قسمها الله بينه وبين عبده²، في الصلاة، وقعت المناسبة بين القرآن وبين الصلاة: فلم ينبغ أن يقرأ فيها بغير القرآن. ولما كان القيام يشبه الألف من الحروف الرقمية، وهو أصل الحروف اللفظية، وعنه ظهرت جميع الحروف بانقطاعه في مخرجها، من الصدر إلى الشفتين؛ فهو الجامع لأعيان الحروف، وأعيان الحروف مرآته ومنزله، في خروجه وسفره من القلب، الذي هو عالم الغيب إلى الشهادة. (تقول: من أجل هذا الشبه بين القيام في الصلاة والألف في الحروف) كان القيام جامعاً لأنواع الهيئات وأصلاً³ لها؛ من ركوع وسجود وجلوس، وإن كان الجلوس له من وجه، شبه بالقيام، لأنه نصف قيام.

فكانت قراءة القرآن من كونها جمعا في القيام أولى، فإن القيام⁴ هو الحركة المستقيمة، والاستقامة هي المطلوبة من الله أن يوفق لها العبد، فالعبد يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁵ لكون الله - تعالى - قال له: ﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾⁶.

فتعيّن بما ذكرناه، في مجموعه، وجوب قراءة أم القرآن في الصلاة في كل ركعة، إذ كانت أقل ما ينطلق

1 ص 65
2 ثابتة في الهامش
3 ق: وأصل
4 ص 65
5 [الفاتحة : 6]
6 [هود : 112]

عليه اسم صلاة شرعا، وهي الوتر وقد أوتر رسول الله ﷺ بواحدة- أو ترجيحها على غيرها من آي القرآن. وإذا كان المتعين على المصلي في القيام قراءة أم القرآن، إما بالوجوب وإما بالأولوية، فلنبتين في ذلك صورة قراءة العلماء بالله لها في مناجاتهم في الصلاة.

وَضَلَّ فِي وَصْفِ هَذِهِ الْحَالِ

اعلم أن المصلي لما كان ثانيا، كما قررناه في الاشتقاق، أن كونه ثانيا ليس بأمر حقيقي، وإنما كان ذلك بالإضافة إلى شهادة التوحيد في الإيمان. فتلك تثنية الإيمان؛ أي ظهوره في موطنين: في موطن الشهادة، وموطن الصلاة. كما تثلثه مع الزكاة، فما زاد. ولهذا ذكر الله الزيادة في الإيمان فقال: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾² وهو عين واحدة. والكثرة إنما هي في ظهوره في المواطن، كالواحد المظهر للأعداد المكثرة لها، وهو في نفسه لا يتكرر. ألا تراه إذا خلَّت مرتبة عنه، لم يبق لتلك المرتبة حكم ولا عين؟³

وفي معنى هذا يقول الله فيمن قال: ﴿تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتُكَفِّرُ بِبَعْضٍ﴾⁴: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾⁵. فنفي عنهم الإيمان كله، إذ نفوه من مرتبة واحدة، فهم أولى باسم الكفر الذي هو الستر. فإن الكافر الأصلي هو الذي استتر عنه الحق، وهذا عرف الإيمان وستره، فإنه قال: ﴿تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ فهو أولى باسم الكفر من الذي لم يعرفه.

ولما لم تكن أولية الحق تقبل الثاني، قال الله: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» فذكر نفسه، وذكر العبد وما ذكر الأولية هنا؛ لا له ولا لعبده، بل ذكر البين؛ له بالضمير ولعبده بالصرح. وهو الحد الذي ينبغي أن يتميز به العبد من ربه. إلا أنه تعالى - قدّم نفسه في البينية، فقال: "بيني". ثم أخر عن هذا التقدّم بينية عبده، فقال: «وبين عبدي». فأضافه إليه تعالى - ليعرف أنه عبد له لا لهواه. فإنه القائل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾⁶، فكان عنده عبدا لهواه، وهو في نفس الأمر عبد ربه سبحانه.

فالعبد ما له إرادة مع سيده، بل هو بحكم ما يراى به. فالحق سبحانه - هو الواجب الوجود لذاته،

والعبد هو الذي منه استفاد الوجود، فإن أصله العدم. فالحق يعطيه التقدّم في هذه المرتبة، إذ البينية لا تعقل، إلا بين أمرين. والأمران هنا: الرب والعبد.

ثم إن الحق جعل في مقابلة تقديم نفسه من قوله: "بيني" تقديم العبد في القول على قول الحق. فقال سبحانه: يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾² فقدّم قول العبد، ثم قال: «فيقول الله» فجاء بقوله بعد قول العبد. وذلك ليتبين لنا، أن له ﴿الْأَمْرَ مِنْ قَبْلُ﴾ في قوله: "بيني" فقدّم، ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾³ في قوله: "فيقول الله". فهو الأول الآخر. فأثبت للعبد الأولية في القول، ليعلم أن الأولية الإلهية في قوله: "بيني" لا تقتضي قبول الثاني. فهذا الذي قد يُخِيل أنه ثان، قد رجع أولا في القول في المناجاة.

فعرّفناك أن المقصود التعريف بالمراتب، لا التركيب المولد. فإنه ﴿لَمْ يَلِدْ﴾⁴ سبحانه - في قوله: "وبين عبدي"، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ في قوله: «فيقول الله: حمدي عبدي». ولو أن العقل يدركه حقيقة بنظره ودليله، ويعرف ذاته؛ لكن مولدا عن عقله بنظره. ف﴿لَمْ يُولَدْ﴾ سبحانه - للعقول، كما ﴿لَمْ يُولَدْ﴾ في الوجود، و﴿لَمْ يَلِدْ﴾ بإيجاده الخلق، لأن وجود الخلق لا مناسبة بينه وبين وجود الحق. والمناسبة تعقل بين الوالد والولد. إذ كل مقدّمة لا تُنتج غير مناسبتها. ولا مناسبة بين الله وبين خلقه، إلا افتقار الخلق إليه في إيجادهم، وهو الغني⁵ عن العالمين.

فكما ثبت أن أولية الحق لا تقبل الثاني، كذلك أولية العبد في القول، لا يكون الحق ثانيا لها. إذ ليست بأولية عدد، إذ كان الذي في مقابلة العبد هو الحق، فإنه الذي يناجيه.

وما تعرّض (الحق في الحديث القدسي) لذكر الغير، فمن كان في صلاته يشهد الغير، مُعزّي عن شهود الحق فيه، أو شهوده في الحق، أو شهود صدور عن الحق، وهو قول أبي بكر الصديق: "ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله". فما هو بمصلٍّ من ليست حالته ما ذكرناه من أنواع المشاهدة. وإذا لم يكن مصليا لم يكن مناجيا، والحق لا يناجى بالألفاظ في هذه الحالة، وإنما يناجى بالحضور معه.

1 ق: "في" ومسحت، واستبدلت بـ "مع".

2 [التوبة: 124]

3 ص 66

4 [النساء: 150]

5 [النساء: 151]

6 [الحج: 23]

1 ص 66

2 [الفاتحة: 2]

3 [الروم: 4]

4 [الإخلاص: 3]

5 ص 67

فيكون القائل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹ إذا لم يكن حاضرا مع الله - لسان العبد، لا عينه وحقيقته. فيقول الحق عند ذلك: "حمدني لسان عبدي، لا عبدي المفروضة عليه مناجاتي". وإذا حضر - القائل في قوله: «يقول الله: حمدني عبدي» جبر له ما مضى - بفضل الله. فإن العبد إذا حضر - تضمن حضوره حضور اللسان وسائر الجوارح، لأن العين تجمعهم. وإذا لم يحضر - عينه، لم تقم عنه جراحة من جوارحه، ولا عن غير نفسها.

ولما تقدم نداء الحق عبده في الإقامة "حي على الصلاة" لهذا ابتداء العبد بتكبيره الإحرام. فإن بقي على إحرامه إلى آخر صلاته، وصدق في إته أحرم، ووقى، وفقى الله له. فإنه قال: ﴿لِيُخْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾³، وقال: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾⁴ فإنه لا مكره له. وإن لم يقف العبد في صلاته بإحرامه، وأحضر أهله أو دكانه، وما كان من أغراضه معه؛ فأمره إلى الله، يفعل معه ما يقتضيه علمه فيه.

فقال العبد اقتداء في تكبيرة الإحرام: "الله أكبر" لما خصص حالا من الأحوال سماها صلاة، قال: "الله أكبر أن يقيتد ربي حال من الأحوال، بل هو في كل الأحوال، لا بل هو كل الأحوال، بل الأحوال كلها بيده، لم يخرج عنه حال من الأحوال". فكبره عن مثل هذا، لحكم الوهم لا لحكم العقل. فإن للوهم حكما في الإنسان، كما للعقل حكما فيه. وجعلها تكبيرة إحرام، أي تكبيرة منع، يقول: تكبير لا يشاركه في مثل هذا الكبرياء، كونه من الأكوان.

وعلى الحقيقة التي أخبرنا بها، كيف يشاركه من هو عينه؟ إذ قال له: إنه سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله. فالشيء لا يشارك نفسه، فإنه ما ثم إلا واحد. فهو المكبر والكبير، وهو الكبرياء ليس غيره، يتعالى ويتنزه ويتقدس أن يكون متكبيرا بكبرياء ما هو عينه. فإذا قام العارف بين يدي الله بهذه الصفة، ولم ير في وقوفه ولا في تكبيره غير ربه، وأصغى إلى نداء ربه، إذ قال له: "حي على الصلاة" في الإقامة، أي أقبل على مناجاتي، وقد قال له: ﴿وَتُبَايَعُكَ فَطَهَّرُكَ﴾⁶. فإن المصلي في هذا المقام، يخلع على الحق حلل الثناء، يطلب بذلك البركة فيها. فإنه قد علم أن الله يزد عليه عمله، كما يقول الشخص عندنا لأهل الدين:

[1] الفاتحة : 2

2 ص 67 ب

3 [الأحزاب : 24]

4 [البقرة : 40]

5 ص 68

6 [المدثر : 4]

النس لي هذا الثوب، على طريق البركة، ثم يخلعه اللباس عليه.

يقول الحق لما ذكرناه: «أثنى علي عبدي» أي خلع علي حلل الثناء. والحق سبحانه على الحقيقة - المثني على نفسه، بلسان عبده. كما أخبرنا أنه قال على لسان عبده: "سمع الله لمن حمده". فانظر ما أشرف مرتبة المصلي، كيف وصفه الحق بأنه يخلع حلل الثناء على سيده، وأين المصلي الذي تكون هذه حالته، هيبات.

بل الناس استنابوا ألسنتهم لسوء أديهم، وعدم علمهم بمن دعاهم، وما دُعوا له من طلب الثناء. فلم يجيبوا إلا بظواهرهم، وراحوا بقلوبهم إلى أغراضهم. فهم المصلون الساهون في صلاتهم لا عن صلاتهم، للحالة الظاهرة من الإجابة لندائه، ولكونهم أقاموا ظواهرهم توابا عنهم، بين يدي القبلة عن أمر الله. فلما دعاهم الحق إلى هذا المقام، وجاء العالم بالله وكبر تكبيرة الإحرام كما ذكرنا، ولم ير نفسه أهلا لمناجاة ربه، إلا بعد تجديد طهارة، لقوله: ﴿وَتُبَايَعُكَ فَطَهَّرُكَ﴾. والثوب¹ في الاعتبار القلب قال العربي²:

فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَسْلُلِ

وقيل في تفسير قوله ﴿وَتُبَايَعُكَ فَطَهَّرُكَ﴾: إنه أمر بتقصير ثيابه. يقول علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا المعنى:

تَقْصِرُكَ الثُّوبُ حَقًّا أَثْنَى وَأَثْنَى وَأَثْنَى

ولا شك أن العبد فرض عليه رؤيته تقصيره في طاعة ربه، فإنه يقصر بذاته عما يجب لجلال ربه من التعظيم. فهو تنبيه إلهي على أن يطهر العبد قلبه، إذ كان ثوب ربه الذي وسعه في قوله: «وسعني قلب عبدي». فمثل هذا الثوب هو المأمور بتطهيره في هذا المقام. ثم إن العارف رأى أن طهر قلبه لمناجاة ربه، إذا طهره بنفسه لا بربه، زاده دنسا إلى دنسه، كمن يزيل النجاسة من ثوبه بيوله، لكونه مانعا. وأن التطهير المطلوب هنا إنما هو البراءة من نفسه، ورد الأمر كله إلى الله، فإن الله يقول: ﴿وَالْيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ فَاعْبُدْهُ﴾³.

ولهذا لا يصح له عندنا أن يناجيه في الصلاة بغير كلامه، لأنه لا يليق أن يكون في الصلاة شيء من

1 ص 68 ب

2 القائل هو امرؤ القيس

3 [هود : 123]

كلام الناس. وكذا ورد في الخبر: «إِنَّ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ» الحديث. ثم أيد هذا القول بما أمر به حين نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾² قال ﷺ لنا: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾³ قال ﷺ لنا: «اجعلوها في سجودكم».

فعننا القرآن في أحوالنا، من قيام وركوع وسجود. فما ذكره المصلي في شيء من صلاته، إلا بما شرعه له على لسان رسوله ﷺ، وعرفنا أنه ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁴ وإن لم نُسَمِّ كُلَّ كَلَامٍ إلهي قرآنا، مع علمنا أنه كلام الله. فالقرآن كلام الله، وما كل كلام الله قرآن. فالكُلُّ كلامه. فلا تناجيه في شيء من الصلاة إلا بكلامه.

كذلك التطهير الذي أمر به سبحانه- في قوله: ﴿وَتَيَّابُكَ فَطَهِّرْ﴾ فيقول العارف في صلاته، بين تكبيرة الإحرام وقراءة فاتحة الكتاب، امتثالا لهذا الأمر: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي» وهي النجاسات المتعلقة بثوبه (أي قلبه)، «كما باعدت بين المشرق والمغرب». والسبب في ذلك، أن العبد العالم إذا دعاه الحق إلى مناجاته، فقد خصه بمحل القرية منه. فإذا أشهده خطاياهم في موطن القرب وهي في ذاتها في محل البعد من تلك⁵ المكانة- كان العبد في محل البعد عما طلب الحق منه من القرب. فدعا الله قبل الشروع في المناجاة، أن يحول بينه وبين مشاهدة خطاياهم، أن تظهر له في قلبه في هذا الموطن، الذي هو موطن القرية. ولذلك قال بعضهم في حد التوبة: أن تنسى ذنبك، فإن ذكر الجفا في موطن الصفا جفا. وما رأيت فيمن رأيت أحدا، تحقق بهذا المقام ذوقا، إلا بعض الملوك في مقامه مع الخلق، فلا يريد أن يظهر له شيء من خطاياهم، بتخييل أو تذكير.

«كما باعدت بين المشرق والمغرب» وفي هذا التشبيه علم عزيز غزير. ولكنّه أراد هنا البعد بين الضدين؛ إذ كان الضدان لا يجتمعان، والعلم الذي نبهنا عليه مبطون في هذين الضدين؛ إذ يجتمعان في حكم ما؛ كالبياض والسواد يجتمعان في اللون، كالحديث وغير الحديث (يجتمعان) في الوصف بالوجوب. فالمشرق وإن بُعد عن المغرب جسما، فإنه يشاهد كل واحد صاحبه على التقابل، وهو بُعد حسي بالموضعين، وبُعد معنوي بالشروق والغروب. فإن الغروب يضاء الشروق، ومحل الشروق، الذي هو المشرق، بعيد جدا

1 ص 69
2 [الواقعة : 74]
3 [الأعلى : 1]
4 [النجم : 3، 4]
5 ص 69 ب

من محل الغروب، الذي هو المغرب. ولم يقل: كما باعدت بين السواد والبياض- فإن اللوثة تجمع بينهما.

فانظر ما أحكم هذا التعليم، وما أحته وأدقه. وتأدب مع الله حيث طلب البعد من خطاياهم، وما طلب إسقاطها عنه، حتى لا يكون في ذلك الموطن، في حظ نفسه يسعى ويطلب. فيكون بمنزلة من وجّه المالك فيه ليدخل عليه، فلما دخل عليه طلب منه ابتداء ما يصلح لنفسه، فهذا سبب الأدب. وإنما ينبغي له أن يطلب من الحق ما يليق، بما تطلبه تلك الحالة، من التأهب لمناجاة سيده. فطلب البعد من الخطايا، ما طلب الإسقاط.

وصل فيه ومنه

ثم قال: «اللهم نقي من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس» وذلك لما قال له ﷺ: ﴿وَيُتَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فجاء في دعائه بلفظ الثوب إعلاما للحق، لقوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾² وهذا غاية الأدب، حيث يترك علمه لإيمانه، أي ما دعوتك إلا بما أمرتني به أن أفعله، من تطهير الثوب لمناجاتك. فلتكن أنت يا رب- المتولي لذلك التطهير. فإنه لا حول لي ولا قوة إلا بك. وكل وصف لا يليق بجلالك فهو خطيئة. من تخطيت- وهو أن يتجاوز العبد حده، فيخطو في غير محله، ويحول في غير ميدانه. فهو كالماشي في الأرض المغصوبة. فإذا خطا العبد³ في غير ما أمره به سيده، سمي مخطئا وخاطئا. وسميت تلك الفعل والحركة خطيئة؛ فالعبد عبد والرب رب.

وصل لبقية الدعاء

ثم يقول: «اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد» أي تول أنت سبحانه- غسل خطاياي، فأضاف الغسل إليه. يقول: فإنك قد شرعت لي أن أقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله" وشرعت لي أن أقول، إذا قلت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (أن) أقول: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي على عبادتك. فإن لم تتولني بقوتك ومعونتك، فيما أمرتني به من تطهير ذاتي لمناجاتك؛ فكيف أناجيك في حال جعلتها دنسا، وأنت القائل:

1 ص 70
2 [محمد : 31]
3 ص 70 ب
4 [الفاتحة : 5]

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾¹؟

فاغسل خطاياي بالماء، أي أخي قلبي، بأن تبدل سيئاته حسنات بالتوبة والعمل الصالح. فهذه الحياة هنا على هذه الحال، بورود الماء على النجاسة والدنس تطهيراً. أي ما كان دنساً صار تقياً، وما كان نجس صار طاهراً. فإن دنسه ونجاسته لم تكن لذاته، وإنما كان بحكم شرعي، انفرد به هذا الموطن. فلما اجتمع بالماء لورود الماء عليه، كان للاجتماع حكم آخر، سُمي به نقاء وطهارة. فعاد القبيح حسناً، والسيئة حسنة. فمثل² هذا الفعل هو المطلوب لا إزالة العين، بل إزالة الحكم. فإن العين موجودة: في الجمع بينها وبين الماء.

وقوله: "والثلج" يقال في الرجل إذا سُرَّ قلبه بأمرٍ ما: ثَلَجَ فؤادُ الرجل. أي هو في أمرٍ يُسرُّ به. فيقول: يا رب؛ إنك إذا فعلت مثل هذا الغسل، سُرَّ قلبي، حيث تطهر لما يرضيك بما يرضيك، فينقلب غمُّه سروراً.

وقوله: "والبرد" هو ما ينطفي من حمرة الاحتراق الذي قام بالقلب، من كونه حين دعاء ربه لمناجاته، على حالة لا يصلح أن يقف بها بين يدي ربه، فيحب ما يطفي تلك النار، فجاء بلفظ البرد من البرد، وفي رواية: "بالماء البارد"، فهو المستعمل في كلام العرب. كذا روينا عنهم، قال شاعرهم:

وَعَطَّلَ قُلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّمَا
سَتَبُرْدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا

يقول: "إن من الناس من كان في نفسه، من حياتي، حمرة ونار، حسدا وعداوة، إذا رأوا قُلُوصِي معطلة، عرفوا بموتي، فبرد عنهم ما كانوا يجدونه بحياتي من النار، وأبكت أوليائي الذين كانوا يحبون حياتي. فانتقلت صفات هؤلاء إلى هؤلاء، وهؤلاء³ إلى هؤلاء، كما انتقل ذلُّ الأولياء ونعبتهم ونصبهم ومكابدتهم وكذهم في الدنيا في طاعة ربهم، إلى الأشقياء من الجبابرة في النار. وانتقل سرور الجبابرة وراحة أهل الثروة في الدنيا، إلى أهل السعادة أهل الجنة، في الآخرة".

فالذي ذكر هذا الشاعر في شعره، هي حالة كل موجود. إذ كل موجود لا بد له من عدوٍّ ووليٍّ، قال

تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾¹ فجعلهم أعداء له، كما قال في جزائه إياهم: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾² فإذا كان لله أعداء، فكيف بأجناس العالم؟ وكذلك الولاية: لله أولياء، ولكل موجود. فالعالم بالله المشغول به، من يقول: "ما نَمَّ إلا الله وأنا" فيفني الكل في جناب الحق، وهو الولي حقاً. إذ كانت هذه الحالة سارية حقاً وخلقا. فإن الله عدوٌّ للكافرين، كما هو وليٌّ للمؤمنين. فهم عبيده وأعداؤه. فكيف حال عبيده بعضهم مع بعض، بما فيهم من التنافس والتحاسد؟

فإذا سأل العارف من الله هذا التطهير، بعد تكبيرة الإحرام، عند ذلك يشرع في التوجيه.

وَصَلِّ مَتَمًّا لِأَكْمَلِ صَلَاةٍ فِي التَّوْحِيدِ

وإنما³ ذكرنا هذا، لأن العالم بالله يعيد إلى أكمل الصلوات عند الله في حالاتها، من أقوال وأفعال، وإن لم يكن بطريق الوجوب. ولكن أولياء الله أولى بصورة الكمال في العبادات، لأنهم يناجون من له الكمال المحقق، بما يجب له. فإن ذلك واجب عليهم، أوجبه معرفتهم وشهودهم.

ابتداء التوجيه:

فيقول العبد: "وتجئت وجهي" فأضاف العبد الوجه إلى نفسه، عن شرع ربه له فيه أدبا مع الله بحضوره مع الحق، في أنه لسانه الذي يتكلم به. ودعاه إلى هذه الإضافة قوله تعالى: "يني وبين عبي" فأثبتته. وإنما هو بالحقيقة مضاف إلى سيده، فإن العبد الأديب العارف هو وجه سيده؛ إذ لا ينبغي أن يضاف إلى العبد شيء، فهو المضاف ولا يضاف إليه. فإذا أضاف السيد نفسه⁴ إليه، فهو على جهة التشريف والتعريف، مثل قوله: ﴿وَالْحَمْدُ﴾⁵ ومثل ذلك. وأضاف فعل التوجيه إلى نفسه، لعلمه أن الله قد أضاف العمل إلى العبد، فقال: "يقول العبد: الحمد لله" والقول عمل من الأعمال.

فالعالم لا يزال، أبداً، يجري مع الحق على مقاصده، كما قال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾⁶ فعرفه

1 [المتحفة : 1]

2 [فصلت : 28]

3 ص 72

44 ق: "عبده" وعليها إشارة المسح، وصححت فوقها مباشرة بقلم الأصل: "نفسه".

5 [البقرة : 163]

6 [الرحمن : 3، 4]

1 [الأنبياء : 30]

2 ص 71

3 ص 71 ب

بالمواطن، وكيف يكون¹ فيها؟ ولو تركه مع نفسه لعاد إلى العدم الذي خرج منه، فأعطاه الوجود ولوازمه، وظهر فيه سبحانه - بنفسه بما أظهر من الأفعال به، وجعل للعبد أولاً معلوماً وجودياً، وآخر معلوماً في الوجود، معقولا في التقدير. وظاهراً ما ظهر منه له، وباطناً بما خفي عنه منه.

فلما حدّه بهذه الحدود؛ عزّاه عنها، وقال له: ما أنت هو، بل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾². فأبقى العبد في حال وجوده على إمكانه ما برح منه، ولا يصحّ أن يبرح. وأضاف الأفعال إليه لحصول الطمأنينة، بأنّ الدعوى لا تصحّ فيها. فإنه قال: ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾³ وقال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁴. فلهذا أضاف العالم التوجيه إلى نفسه، ووجه الشيء ذاته وحقيقته. أي نصبت ذاتي قائمة كما أمرتني.

ثم قال: ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁵ وهو قوله: ﴿فَفَتَقْنَا هُمَا﴾⁶ أي الذي ميّز ظاهري من باطني، وغيبني من شهادتي. وفصل بين القوى الروحانية في ذاتي، كما فصل السماوات بعضها من بعض، فأوحى في كلّ سماء بما جعل في كلّ قوّة من قوى سماواتي. وقوله: "والأرض" ففصل بين جوارحي: فجعل للعين حكماً، وللأذن حكماً، وللسائر الجوارح حكماً⁷ حكماً. وهو قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾⁸ وهو ما يتغذى به العقل الإنساني⁹ من العلوم التي تعطيه الحواس، بما يركّبه الفكر من ذلك لمعرفة الله، ومعرفة ما أمر الله بالمعرفة به.

فهذا، وما يناسبه، ينظر العالم في الله بالتوجيه بقوله: ﴿فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹⁰. وهو بحر واسع، لو شرعنا فيما يحصل للعارف في نفسه، الذي يوجب عليه أن يقول: ﴿فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما وسعه كتاب، ولكّلت الألسن عن تعبير سماء واحدة منه.

ثم قال: ﴿حَنِيفًا﴾ أي مائلاً. والحنف المائل. يقول: مائلاً إلى جناب الحق من إمكاني، إلى وجوب

وجودي برئي. فيصحّ لي التنزّه عن العدم، فأبقى في الخير المحض. فهذا معنى قوله: ﴿حَنِيفًا﴾.

ثم قال: ﴿وَمَا أَنَا﴾ في هذا الميل ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: ما ملئت بأمر، كما قال العبد الصالح: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾¹ وإنّا الحقّ علّمني كيف أتوجه إليه، وماذا أتوجه إليه، وماذا أتوجه إليه، وعلى آية حالة أكون في التوجه إليه. هذا كلّ، لابدّ أن يعرفه العلماء بالله في التوجيه. وإن لم يكونوا بهذه المثابة، فما هم أهل توجيه، وإن² أتوا بهذا اللفظ.

فنفى (المصلي) عن نفسه الشرك. والعبد وإن أضاف الفعل إلى نفسه، فما هو شريك في الفعل، وإنما هو منفرد بما يصحّ أن يكون له منفرداً من ذلك الفعل. ويكون الحقّ منفرداً بما يصحّ أن يكون به منفرداً من ذلك الفعل. والعبد لا يشاركه سيّده في عبوديته: فإنّ السيّد لا يكون عبداً. والعبد لا يكون سيّداً لمن هو له عبد، من حيث ما هو عبد له.

ثم قال: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَقَاتِي﴾³ فأضاف الكلّ إلى نفسه. فإنه ما ظهرت هذه الأفعال - ولا يصحّ أن تظهر - إلا بوجود العبد، إذ يستحيل على الحقّ إضافة هذه الأشياء إليه، بغير حكم الإيجاد. فتضاف إلى الحقّ من حيث إيجاد أعيانها، كما تضاف إلى العبد من كونه محلاً لظهور أعيانها فيه. فهو المصلي. كما أنّ الحرك هو المتحرك، ما هو المحرك. فهو المتحرك حقيقة. ولا يصحّ أن يكون الحقّ هو المتحرك. كما لا يصحّ أن يكون المتحرك هو المحرك لنفسه، لكونه نراه ساكناً.

فاعلم ذلك، حتى تعرف ما تضيفه إلى نفسك، مما لا يصحّ أن تضيفه إلى ربك عقلاً. وتضيف إلى ربك، ما لا يصحّ أن تضيفه إلى نفسك شرعاً. ﴿وَنُسُكِي﴾ هنا، معناه عبادتي. أي إنّ⁴ صلاتي وعبادتي - يقول ذلتي - ﴿وَمَقَاتِي وَمَقَاتِي﴾ أي وحالة حياتي وحالة موتي.

ثم قال: ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي الله، أي إيجاد ذلك كلّ الله لا لي. أي ظهور ذلك في من أجل الله، لا من أجل ما يعود عليّ في ذلك من الخير، فإنّ الله يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾⁵ فجعل العلة ترجع إلى جنبه لا إليّ. فلم يكن القصد الأول الخير لنا، وإنّا كان الإيثار في ذلك لجنب الحقّ،

1 [الكهف : 82]

2 ص 73 ب

3 [الأنعام : 162]

4 ص 74

5 [الناريات : 56]

1 ص 72 ب

2 [الحديد : 3]

3 [هود : 123]

4 [النحل : 17]

5 [الأنعام : 79]

6 [الأنبياء : 30]

7 ص 73

8 [فصلت : 10]

9 ق: "الإنساني" وعليها إشارة "صح" وفي الهامش: "العقل الإنساني" مع إشارة التصويب كذلك، ونقهم من ذلك صواب التعبيرين معا.

10 [الأنعام : 79]

الذي ينبغي له الإيثار. فكان تعليماً لنا من الحق وتنبيهاً، وهو قول رابعة: "أليس هو أهلاً للعبادة".

فالعالم من عبد الله لله. وغير العالم يعبد ما يرجوه من الله، من حظوظ نفسه في تلك العبادة. فلهذا شرع لنا أن نقول: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي سيّد العالمين ومالكهم ومُصلِحهم، لما شرع لهم وبين، حتى لا يتركهم في حيرة، كما قال تعالى- في معرض الامتنان على عبده: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾¹ أي حائراً، فبين لك طريق الهدى من طريق الضلالة. فطريق الهدى، هنا، هو معرفة ما خلقك من أجله، حتى تكون عبادتك على ذلك، فتكون على بينة من ربك.

ثم قال: "لا شريك له وبذلك أمِرتُ وأنا من المسلمين"² أي لا إله في هذا الموضع³، مقصود بهذه العبادة، إلا الله، الذي خلقتني من أجلها. أي لا أشرك فيها نفسي، بما يخطر له من الثواب، الذي وعده الله لمن هذه صفته. وقد ذهب بعضهم إلى الحضور مع الثواب في حال هذه العبادة، وكفر من لم يقل به، وهذا ليس بشيء، وهو من أكبر المتكلمين. غير أنه لم يكن من العلماء بالله من طريق الأذواق، بل كان من أهل النظر الأكبر منهم. وردّ على العدوية⁴، فيما قالته.

ولا يعتبر، عندنا، ما يخالفنا فيه علماء الرسوم، إلا في نقل الأحكام المشروعة: فإن فيها يتساوى الجميع، ويُعتبر فيها الخالف بالقدح في الطريق الموصل، أو في المفهوم باللسان العربي. وأمّا في غير هذا فلا يعتبر إلا مخالفة الجنس. وهذا سارٍ في كل صنف من العلماء، بعلم خاص.

وقوله: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ يعود على الجملة كلّها، وعلى كلّ جزء جزء منها، بحسب ما يليق بذلك الجزء. فلا محتاج إلى ذكره مفصلاً، إذ قد حصل التنبيه على ما فيه ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾⁵ ثم قال: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي من المنقادين لأوامره في قوله: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾.

ثم قال: «اللهم أنت الملك». وذلك أنّ الله تعالى- لما دعاه إلى القيام بين يديه. وذلك أنه لا ينبغي أن

يدعو إلى هذه الصفة إلا الملوك، فخصّ هذا الاسم في التوجيه دون غيره. ولهذا شرع التكتيف في الصلاة، في حال الوقوف، لأنّه موطن وقوف العبد بين يدي الملك.

ثم يقول بالوصف الأخص: «لا إله إلا أنت» ولم يقل: لا ملك إلا أنت، أدباً مع الله. فإن الله قد أثبت الملوك في الأرض في قوله: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾¹ ونفى أن يكون في العالم إله سواه؛ لا بالحققة ولا بحكم الجعل. فقال العبد في التوجيه: «لا إله إلا أنت» ولو قال: لا ملك إلا أنت، لكان نافياً لما أثبتته الحق. وما أثبتته الحق لا يلحقه الانتفاء. كما أنّه إذا نفى شيئاً، لا يمكن إثباته أصلاً. فإن كان لفظ هذا التوجيه نقلاً عن الحق- وهو من كلام الله- فهو تصديق لما أثبتته وفاء. وإن كان من لفظ النبي ﷺ فهو من مقام الأدب مع الله، حيث لم ينف ما أثبتته الله. وإن كان «لا ملك إلا الله»، ولكن الله قد أثبت الملوك.

فهذا معنى «لا إله إلا أنت» عقيب قوله: «أنت الملك» فإنّه يظهر فيه عدم المناسبة. فلما كانت الألوهية تتضمّن الملك، ولا يتضمّن الملك الألوهية، أتى بلفظ يدلّ معناه على وجود الملك الذي سَمّاه، وإن لم يظهر له لفظ. فالإله ملك وليس كلّ ملك إلهاً².

ثم يقول: «أنت ربّي وأنا عبدك» فقدم ربّه وأخر نفسه، وأضافها إلى ربّه، بحرف الخطاب: لأنّه بين يديه. وانظر ما في هذا الكلام من الأدب، يقول له: «أنت ربّي وأنا عبدك» الذي قسم الصلاة بينك وبينه. فمن حيث هذه العبودية الخاصة، وقفت بين يديك، وهي حالة مناجاة لا حالة أخرى. فإنّ أحوال العبد تتنوّع بتنوّع ما يدعوه السيّد إليه، وإن كان عبداً في كلّ حالة.

ثم يقول: «ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت» يقول في هذا الكلام لما قال، قبل التوجيه، ذلك الدعاء الذي قدّمناه بعد التكبير: من سؤاله البعد بينه وبين خطايا. يقول: ظلمت نفسي بما اكتسبت من الخطايا، واعترفت بين يديك بما قبل مناجاتك، فاغفر لي ذنوبي، أي فاستر ذنوبي من أجلي؛ إنّه لا يقدر على سترها إلا أنت. فلا تراني (ذنوبي) فتأنيني فأكون بها مذنباً، ولا أراها فتحلّو لي فاتّبعها، فأكون بها مذنباً. وهو قوله: «باعذ بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب».

[الضحى: 7]

2 كتبت في البداية باعتبارها آية «لا شريك له وبذلك أمِرتُ وأنا أول المسلمين» [الأنعام: 163]، ثم شطب لفظ: «أول» وكتب بدلا منه بقلم الأصل: «من» باعتبار أن المصلي يتلفظ كذلك وفقاً للتوجيه النبوي. ومثبت لفظ «أول» بعد ذلك بقلم آخر فوق كلمة: «من» وبجانبه إشارة التصويب.

3 ص 74

4 العدوية: الصوفية الشهيرة رابعة العدوية

5 [ق: 37]

6 ص 75

يقول: إذا سترتها عني بهذا البعد، لم نشهدها حتى أكون متفرغاً لقبول¹ ما دعوتني إليه. فإنك إن أشهدتني ذنوبي، ولم تسترها عني، منعتني الحياء والدهش عند رؤيتها، أن أعقل ما تريده مني، مما دعوتني إليه. فلم يذكر -أيضاً- "إسقاطها عني"، حتى لا يكون يسعى في حط نفسه، وأن المطلوب سترها في تلك الحال. ولهذا؛ العالم بالله مع توبته، لا يزال متى ذكر ذنبه، أثرت في نفسه وحشة الخالفة، وإن لم يؤاخذ به، فإن الحال يعطي ذلك.

ثم يقول: «واهدني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت» هو بمنزلة قوله في الدعاء: «إغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد» أي وفقني لاستعمال مكارم الأخلاق في هذا الوطن، بما تستحق أن أعاملك بها، من الأدب في مناجاتك، والأخذ عنك، والفهم لما تورده علي في كلامك، وفهم ما أناجيك به أنا من كلامك. -هذا كله من أحسن الأخلاق- وفي أفعالي بهيئات وقوفي بين يديك ظاهراً وباطناً، كما شرعت لي؛ «فلا يهدي لأحسن الأخلاق إلا أنت».

أي أنت الموفق لهذه، لا قوة لي على إتيان ذلك، ولا تعيينها إلا بقوتك وتعريفك. إذ هذا مما لا يدرك بالاجتهاد، بل بما تشرعه وتبينه، لما كان قدرك مجهولاً، وما ينبغي لجلالك غير معلوم، ولا² تقيس معاملتنا معك بمعاملة العبيد مع الملوك، فإنك قلت ليس كمثلك شيء. فالأدب الذي يخصنا في معاملتك، ما نعلمه إلا منك.

ثم قال: «واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» ابتداءً بالتعليم: فتعرفني ما لا ينبغي أن يعامل به جلالك³، وثانية أيضاً، بالاستعمال في ترك ما لا يحسن بقدرتك. إذ بيدك الأمر كله، فقد تعلم العبد ولا تستعمله فيما علمته، فاصرف عني سيئ الأخلاق بالعلم والاستعمال.

ثم يقول: «لبيك وسعديك» أي إجابة لك، ومساعدة لما دعوتني إليه، بقولك على لسان حاجب الباب: "حي على الصلاة" ها أنا قد جئت مجيباً دعاءك "لبيك"، ومساعدة لما تريده مني على نفسي- بالقبول.

ثم يقول: «والخير كله بيدك»؛ لما كان هو الخير المحض، فإنه الوجود الخالص المحض، الذي لم يكن

1 ص 76
2 ص 76 ب
3 ق: خلاك

عن عدم¹، ولا إمكان عدم، ولا شبهة عدم، كان الخير كله بيديه.

ثم يقول: «والشر² ليس إليك» يقول: ولا يضاف الشر إليك. والشر المحض هو العدم. أي لا يضاف إليك عدم الخير، ولا ينبغي لجلالك. وأتى بالألف واللام لشمول أنواع الشر، أي الشر المطلق، والشر المقيد بالصورة الخاصة. هذا كله ليس إليك، أي ما سميت شرّاً أو هو شرٌّ، لا ينبغي أن يضاف إليك أدباً وحقيقة. وأقوى ما يحتج به المخالف في هذه المسألة، قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾³ وقوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾⁴.

فاعلم أن مطلق الضلالة: الخيرة والجهل بالأمر، وبطريق الحق المستقيم. فتراه: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فاعلم أن مطلق الضلالة: الخيرة والجهل بالأمر، وبطريق الحق المستقيم. فتراه: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي من عرفه بطريق الضلالة، فإنه يضل فيها. ومن عرفه بطريق الهداية، فإنه يهتدي فيها. مثل قوله في الهداية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁵، و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁶، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾⁷، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾⁸.

فالعقل السليم يهتدي به عندما يسمع مثل هذا من الحق، وإذا قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾⁹ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾¹⁰، وقوله: «ومن أتاني يسعى أتيت هرولة» وأمثال هذه؛ فإن العقل السليم يحار في مثل هذه الأخبار وبتيه. فهذا معنى "يضل" أي يحير العقل، بمثل هذه الخطابات¹¹ الصادرة من الله، على السنة الرسل الصادقة، المجهولة الكيفية. ولا يتمكن للعقل أن يهتدي إلى ما قصده الحق بذلك، مما لا يليق بالمفهوم.

ثم يرى العقل أنه سبحانه -ما خاطبنا إلا لنفهم عنه، والمفهوم من هذه الأمور يستحيل عليه - سبحانه - من كل وجه يفهمه العبد بضرب من التشبيه المحدث؛ إمّا من طريق المعنى المحدث، أو من

1 "الذي لم يكن عن عدم" ثابتة في الهامش بقلم نستعليق مخالف للأصل بخط الشيخ.
2 ص 77
3 [المذثر: 31]
4 [الرعد: 33]
5 [الشورى: 11]
6 [الصفات: 180]
7 [الأنعام: 91]
8 [الإخلاص: 4]
9 [الواقعة: 85]
10 [نق: 16]
11 ص 77 ب

طريق الحسن. ولا يتمكن للعقل أن لا يقبل هذا الخطاب: فيحار. فتم حيرة يخرج عنها العبد، ويتمكن له الخروج منها بالعناية الإلهية. وتم حيرة لا يتمكن له الخروج عنها، بمجرد ما أعطى الله للعقل من أقسام القوة، التي أيده الله بها. فيحار الدال في المدلول، لعزة الدليل.

ثم يحىء الشرع بعد هذا في أمور قد حكم العقل بدليله على إحالتها، فيثبت الشرع ألفاظا تدل على وجوب ما أحاله. فيقبل ذلك إيماناً ولا يدري ما هو؟ فهذا هو الحائر المسمى ضالاً. وقد روي أنه قال: «زديني فيك تحيراً» أي أنزل إلي نزولاً، يخيله العقل من جميع وجوهه، ليعرف عجزه عن إدراك ما ينبغي لك ولجلالك من النعوت.

وأما الشقاء والسعادة، المعبر بهما عن الأمور التي تتألم بها النفوس وتتنعم، فذلك مطلب عام¹ للنفوس، من حيث الحسن والمحسوس. وهذا الذي نحن بصدده، أمر آخر، يرجع إلى معرفة الحقائق.

ثم يقول: «أنا بك وإليك»، أي بك ابتداء لا بنفسي. وهو قولنا: إن الإنسان موجود بغيره. وقوله: «وإليك» أي وإليك يرجع عين وجودي. فما أنا هو: أنت هو. فإنه ما استفدت منك إلا الوجود، وأنت عين الوجود. وأنا على أصل ذاتي من العدم، ما تغير علي حكم ولا حال في إمكاني لا أبرح.

ثم يقول: «تباركت» أي البركة والزيادة لك لا لي. يقول: «أنت الوجود لك، ثم كسوتني، ولم أكن. فكانت البركة والزيادة في الوجود؛ حيث ظهر بنسبتين: فظهر بي وهو وجودك - ونُسب إليك وهو عينك». ثم يقول: «وتعاليت» أي فإنك تتعالى أن تظهر بغيرك، فلا يكون الوجود المنسوب إليك، غير هويتك. هذا معنى قوله: «تباركت وتعاليت».

ثم يقول: «أستغفرك وأتوب إليك» يقول: أطلب التسر مني في انصافي بالوجود²، لئلا أغيب عن حقيقي، فأدعي الوجود. وهو ليس أنا، بل هو أنت. وما أنا أنت، فأنا أنا على ما أنا عليه لذاتي، وأنت أنت على ما أنت عليه لذاتك. ومتي، فلك الظهور في بما وصفتني به من الوجود. وما لي ظهور فيك، بما أنا عليه في حقيقي من الإمكان.

ثم يقول: «وأتوب إليك» أي وأرجع إليك من حيث ما وصفتني به من الوجود: إذ كنت أنت هو عين

الوجود، والموصوف به أنا. فرجوعه إليك، هو قولي: «وأتوب إليك». وفرغ ما يقوله العبد من الدعاء والتوجيه بين التكبير والقراءة. فلنشرع إن شاء الله تعالى، في قراءة فاتحة بلسان العلماء بالله، في حال الصلاة لا في حال غيره.

وَضَلَّ

في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة

اعلم أن العالم بالله إذا فرغ من الذي ذكرناه، شرع في القراءة على حد ما أمره الله به عند قراءة القرآن من التعوذ، لكونه¹ قارئاً لا لكونه مصلياً. ولما أعلمتك أن الله يقول عند قراءة العبد القرآن: «كذا» جواباً على حكم الآية التي يقرأها، فينبغي للإنسان إذا قرأ الآية أن يستحضر في نفسه ما تعطيه تلك الآية على قدر فهمه، فإن الجواب يكون مطابقاً لما استحضرت من معاني تلك الآية. ولهذا ورد في الجواب أدنى مراتب العامة مجملًا؛ إذ العامي والعجمي الذي لا علم له بمعنى ما يقرأ، يكون قول الله له، ما ورد في الخبر. فإن فصلت في الاستحضار، فصل الله لك الجواب. فلا يفوتك هذا القدر في القراءة، فإن به تتميز مراتب العلماء بالله والناس في صلاتهم.

فإذا فرغ الإنسان من التوجيه، فليقل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». هذا نص القرآن. وقد ورد في السنة الصحيحة: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾². فالعارف إذا تعوذ، ينظر في الحال الذي أوجب له التعوذ، وينظر في حقيقة ما يتعوذ به، وينظر في ما ينبغي أن يعاذ به. فيتعوذ³ بحسب ذلك.

فمن غلب عليه في حاله، أن كل شيء يستعاذ منه (هو) بيد سيده، وأن كل ما يستعاذ به (هو) بيد سيده، وأنه في نفسه عبد، محل التصريف والتقليب: فعاذ من سيده بسيده، وهو قوله: ﴿وَاعُوذُ بِكَ مِنْكَ﴾. وهذه استعاذة التوحيد؛ فيستعيذ به من الاتحاد⁴، قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ﴾⁵.

وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ جَبَّارًا﴾¹ وقال: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، من نازعني واحدا منهما قصمته».

ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة، استعاذ مما لا يلائم بما يلائم، فعلا كان أو صفة. هذه قضية كلية. والحال يعين القضايا، والحكم يكون بحسبها. ورد في الخبر: «أعوذ برضاك من سخطك» أي بما يرضيك مما يسخطك. فتد خرج العبد هنا عن حظ نفسه، بإقامة حرمة محبوبه. فهذا الله. ثم الذي لنفسه من هذا الباب، قوله: «ومعافاتك من عقوبتك» فهذا في حظ نفسه؛ وأي المرتبتين أعلى؟ في ذلك نظر.

فمن نظر إلى ما يقتضيه جلال الله، من أنه لا يبلغه (ه) ممكن، أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم، وأن ذلك محال في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه: فإن ذلك عائد عليه. ومن نظر في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾³ قال: ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوتي. فأنا لا أعمل إلا في حق ربي، لا في حق نفسي. فشرع الشارع الاستعاذتين في هذين الشخصين. ومن رأى أن وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له، من حيث هو، وجود- قال: «أعوذ بك منك» وهي المرتبة الثالثة، وثبت في هذه المرتبة عين العبد.

فالقارئ للقرآن، إذا تعوذ عند قراءة القرآن، علمه المكلف - وهو الله تعالى - كيف يستعيز؟ ومن يستعيز؟ فقال له: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾⁵ فأعطاه الاسم الجامع. وذكر له القرآن، وما خص آية من آية. لذلك لم يخص اسما من اسم، بل أتى بالاسم الله. فالقارئ ينظر في حقيقة ما يقرأ، وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ منه في تلك الآية، فيذكره في استعاذته. وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ به من أساء الله، أي اسم كان، فيعينه بالذكر في استعاذته.

ولما كان قارئ القرآن جليس الله، من كون القرآن ذكرا. والذاكر جليس الله، ثم زاد إنه في الصلاة حال مناجاة الله، فهو أيضا، في حال قرب على قرب، كور على نور، كان الأولى أن يستعيز هنا بالله، وتكون استعاذته من الشيطان، لأنه البعيد. يقال: بثر شطون؛ إذا كانت بعيدة القعر. والبعد يقابل

[1] غافر : 35

2 ص 80

3 [الناريات : 56]

4 "ومن يستعيز" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب

5 [النحل : 98]

6 ص 80 ب

القرب- فتكون استعاذته في حال قرينه مما يبعده عن تلك الحالة، فلم يكن أولى من اسم الشيطان.

ثم نعت بالرجيم، وهو فعيل: فإما بمعنى المفعول، فيكون معناه من الشيطان المرجوم، يعني بالشهب؛ وهي الأنوار الحارقة. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني الكواكب ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾¹. والصلاة نور، ورجمة الله بالأنوار، فكانت الصلاة مما تعطي بعد الشيطان من العبد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾² بسبب ما وصفت به من الإحرام.

وإن كان بمعنى الفاعل، فهو لما يرجم به قلب العبد من الخواطر المذمومة، واللمات السيئة والوسوسة. ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي من الليل، وكبر تكبيرة الإحرام قال: «الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من فقحه ونفقه وهنزه» قال ابن عباس: همزة: ما يوسوسه في الصلاة، ونفقه: الشعر، ونفقه: الذي يلقيه من الشبه في الصلاة. يعني السهو. ولهذا قال النبي ﷺ: «إن سجود السهو ترغيم للشيطان» فوجب على المصلي أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم، بخالص من قلبه، يطلب بذلك عصمة ربه.

ولما لم يعرف المصلي بما يأتيه الشيطان من الخواطر السيئة في صلاته والوسوسة، لم يتمكن أن يعين له ما يدفعها به. فجاء بالاسم "الله" الجامع لمعاني الأسماء، إذ كان في قوة هذا الاسم حقيقة كل اسم دافع، في مقابلة كل خاطر ينبغي أن يدفع. فهكذا ينبغي للمصلي أن يكون حاله في استعاذته، إن وفقه الله.

ثم يقول بعد الاستعاذة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾⁴ فإذا قالها يقول الله: «يذكرني عبدي». فينبغي على هذا أن يكون العامل في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ "أذكر". فتعلق الباء بهذا الفعل، إن صح هذا الخبر. وإن لم يصح، فيكون الفعل: "أقرأ بسم الله" فإنه ظاهر في ﴿أقرأ باسم ربك﴾⁶.

هذا نتكلفه، لقولهم: إن المصادر لا تعمل عمل الأفعال إلا إذا تقدمت. وأما إذا تأخرت فتضعف عن

1 [المالك : 5]

2 [العنكبوت : 45]

3 ص 81

4 [الفاتحة : 1]

5 ص 81 ب

6 [العلق : 1]

العمل. وهذا عندنا غير مَرَضِيٍّ في التعليل، لأنه تحكُّمٌ من النحويِّ. فإنَّ العرب لا تعقل ولا تعلِّل. فيكون تعلُّقُ البسملةِ عندي بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾¹ بأسمائه، فإنَّ الله لا يُحمد إلا بأسمائه، غير ذلك لا يكون. ولا ينبغي أن تتكلَّف في القرآن محذوفاً إلا للضرورة، وما هنا ضرورة.

فإن صحَّ قول رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في مناجاته في الصلاة، يقول الله: يذكركني عبدي» فلا نزاع. هكذا روى هذا الخبر عبد الله بن زياد بن سمعان عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يقرأ فيها بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ - ثَلَاثٌ - غَيْرُ تَامٍ» فقيل لأبي هريرة: «إِنَّا نَكُونُ وراءَ الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ عَبْدِي إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فَيَذْكُرُنِي عَبْدِي. يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ: حَمْدِي عَبْدِي» وسيأتي الحديث مفصلاً في كلِّ كلمةٍ إن شاء الله تعالى، كما ذكرت ألفاظ التوجيه إلى آخر الفاتحة.

وذكر مسلم هذا الحديث من حديث سفيان بن عيينة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، ولم يذكر البسملة فيه.

فإذا قال العالم بالله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علَّق الباء بما في الحمد، من معنى الفعل، كما قلنا. يقول: لا يُثَبِّتُ على الله إلا بأسمائه الحسنى. فذكر من ذلك ثلاثة أسماء: الاسم الله، لكونه جامعاً غير مشتقٍّ، فَبُنِيتَ ولا يُنْعَت به، فإنه للأسماء كالذات للصفات. فذكره أولاً من حيث أنه دليل على الذات، كالأسماء الأعلام كلها في اللسان، وإن لم يَقُوْ قُوَّةُ الأعلام، لأنه وصِفٌ للمرتبة كاسم السلطان. فلما لم يدلَّ إلا على الذات المجردة على الإطلاق، من حيث ما هي لنفسها من غير نسب، لم يَقُوْهم في هذا الاسم اشتقاق. ولهذا سُمِّيَتْ بالبسملة، وهو الاسم مع الله. أي قولك: باسم الله خاصة. مثل العبدلة، وهو قولك: عبد الله. وكذلك الحَوْفَلَةُ³، وهو الحول والقوة مع الله.

ثم قال: إِنَّ الْعَبْدَ قَالَ، بعد "بسم الله": "الرحمن الرحيم" من حيث ما هو - أعني "الرحمن الرحيم"

[1] الفاتحة : 2

2 ص 82

3 ص 82 ب

من الأسماء المركبة، كمثل: بعل بك، ورام هرمز. فستأه به من حيث ما هو اسم له، لا من حيث المرحومين، ولا من حيث تعلُّق الرحمة¹ بهم، بل من حيث ما هي صفة له ~~حالة~~ فإنه ليس لغير الله، ذُكِرَ في البسملة أصلاً.

ومما ورد اسمُ إلهي لا يتقدِّمه كَوْنٌ يطلب الاسم، ولا يتأخَّر كَوْنٌ يطلبه الاسم في الآية، فإنَّ ذلك الاسم ينظر فيه العارف من حيث دلالته على الذات المسماة به، لا من حيث الصفة المعقولة منه، ولا من حيث الاشتقاق الذي يطلبه الكون. بخلاف الاسم الإلهي إذا ورد في أثر كَوْنٍ، أو في أثر كَوْنٍ، أو بين كَوْنَيْنِ. فإنه إذا ورد الكون في أثره: فذلك الكون نتيجة، وبه يتعلَّق، وإياه يطلب. فإنه صادر عنه، إذا تدبَّرْتَهُ وجدته، مثل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾².

وإذا تقدَّم الكون وجاء الاسم الإلهي في أثره، فإنه الأول والآخِر - كان على العكس من الأول. مثل ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾³ فأظهر (ت) التقوى ما نتجت منه، وهو الاسم الله. وفي الأول، أظهر الاسم الإلهي عين الإنسان. وكذلك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أظهر التعليم الاسم الإلهي وهو الله.

فإذا وقع الكون بين اسمين إلهيين، كان الكون للأول بحكم النتيجة، وللآخر بحكم المقدمة. مثل وقوع العالمين بين الاسم "الرب" و"الرحمن"، في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁴ ومثل قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾⁵ فوقع ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ بين اسمين: تقدِّمه الاسم "الله" وتأخَّر عنه الاسم "الله" بمعنىين مختلفين، فآثر فيه الاسم الأول طلب التعليم، وقيل التعليم بالاسم الثاني.

وكذلك إذا وقع الاسم الإلهي، بين اسم إلهي يتقدِّمه، وبين كون يتأخَّر عنه، مثل الاسم الرب بين الله والعالمين، في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في آخر "الزُّمَر". أو بين كون يتقدِّمه، واسم إلهي يتأخَّر عنه، مثل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. مَلِكٌ﴾ فـ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ تقدِّمه كلمة ﴿الْعَالَمِينَ﴾ وتأخَّر عنه ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ فأظهر عين العالمين الرحمن الرحيم، لافتقارهم إلى الرحمتين: الرحمة العامة والخاصة، والواجبة والامتنانية.

1 ق: "انصافه بالرحمة" وكتب فوقها بخط الأصل: "تعلق" من غير إشارة المسح، لنفهم منه صواب التعبيرين.

2 [الرحمن : 1 - 3]

3 [البقرة : 282]

4 ص 83

5 [الفاتحة : 2، 3]

6 [البقرة : 282]

وطلب ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ليظهر من كونه مليكاً، سلطان ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، فإن الرحمة من جانب الملك هي رحمة عِزَّة وامتنان مع استغناء. بخلاف رحمة غير الملك، كرحمة الأم بولدها للشفقة الطبيعية، فيدفع الأم بالرحمة على ولدها ما تجده من الألم بسببه في نفسها، فنفسها رَجَمَتْ ولنفسها سَعَتْ، واحتجبت عن علم ذلك بولدها. فالمنة لولدها عليها بالسببية، لا لها. ووقعت الرحمة بالولد تبعاً، بخلاف رحمة الملك، فإنها عن عزّ وغنى عن هذا المرحوم الخاص من رعاياه.

وكذلك إذا وقع الاسم الإلهي بين اسمين إلهيين، مثل قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾² فوقع الاسم "الخالق" بين الاسم "الله" والاسم "البارئ" وكذلك الاسم "البارئ" بين "الخالق" و"المصور" وهذا كثير. فـ"الخالق" صفة لله وموصوف "للبارئ".

فعلى هذا الأسلوب تجري تلاوة العارفين في الكتابين: في القرآن، وكتاب العالم بأسره؛ فإنه كتاب مسطور، ورقته المنشور، الذي هو فيه (هو) الوجود. وكذلك تجري أذكارتهم.

وهكذا في الأكوان، إذا وقع كون بين كونين، يكون للأول إننا وللثاني بعده أباً في الذي يُنْهَم من ذلك، كان ما كان. فلماذا قال الله في قول العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: «ذكرني عبدي» وما قيّد هذا الذكر بشيء، لاختلاف أحوال الذاكرين. أعني البواعث لِذِكْرِهِمْ. فذاكر تبعته الرغبة، وذاكر تبعته الرهبة، وذاكر يبعته التعظيم والإجلال. فأجاب الحق على أدنى³ مراتب العالم، وهو الذي يتلو بلسانه ولا يفهم بقلبه. لأنه لم يتدبر ما قاله - إذا كان التالي عالماً باللسان - ولا ما ذكره. فإن تدبر تلاوته أو ذكره، كانت إجابة الحق له، بحسب ما حصل في نفسه من العلم بما تلاه. فتدبر ما نصصناه لك.

ثم قال: قال الله تعالى: «فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين في الصلاة، يقول الله: حمدني عبدي». فيقول العارف: «الحمد لله»، أي عواقب الثناء ترجع إلى الله، ومعنى عواقب الثناء أي كل ثناء يثنى به على كون من الأكوان دون الله، فعاقبته ترجع إلى الله، بطريقتين: الطريق الواحدة الثناء على الكون، إنما هو بما يكون عليه ذلك الكون من الصفات الحمودة، التي توجب الثناء عليه. أو بما يكون منه من الآثار الحمودة، التي هي نتائج عن الصفات الحمودة، القائمة به. وعلى أي وجه كان، فإن ذلك الثناء

راجع إلى الله - إذ كان الله هو الموجد لتلك الصفات والآثار - لا لذلك الكون. فرجعت عاقبة الثناء إلى الله.

والطريق الأخرى أن ينظر العارف، فيرى أن وجود الممكنات المستفاد، إنما هو عين ظهور الحق فيها، فهو متعلق الثناء لا الأكوان. ثم إنه ينظر في موضع "اللام" من قوله: ﴿الله﴾ فيرى أن الحامد عين المحمود لا غيره. فهو الحامد المحمود. وينفي الحمد عن الكون من كونه حامداً، ونفى كون الكون محموداً. فالكون من وجهه، محمود لا حامد. ومن وجهه، لا حامد ولا محمود. فأما كونه غير حامد، فقد بيّناه. فإن الحمد فعل، والأفعال لله. وأما كونه غير محمود، فإنما يحمد المحمود بما هو له لا لغيره. والكون لا شيء له فما هو محمود أصلاً. كما ورد في مثل هذا المتشعب بما لا يملك، كلابس ثوبي زور.

فيحضر العارف في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جميع ما ذكرناه، وما يعطيه الاسم "الرب" من الثبات والإصلاح والتربية والملك والسيادة. هذه الخمسة يطلبها الاسم "الرب". ويحضر - ما يعطيه العالم من الدلالة عليه - تعالى - فلا يكون جواب الله في قوله: «حمدني عبدي» إلا لمن حمده بأدنى المراتب، لأنه لكرمه يعتبر الأضعف الذي لم يجعل الله له حظاً في العلم به - تعالى - رحمة به، لعلمه أن العالم يعلم من سؤاله أو قراءته ما حضر معه في تلك القراءة من المعاني، فيجيبه الله على ما وقع له، ويدخل في إجمال ما خاطب به عبده العاني، القليل العلم أو الأعجمي الذي لا علم له بمدلول ما يقرأه. فافهم والله الملهم.

ثم قال عن الله: «يقول العبد: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول الله: أثنى عليّ عبدي» يعني بصفة الرحمة لا اشتقاق هذين الاسمين منها، ولم يقل فيماذا؟ لعموم رحمته. ولأن العاني ما يعرف من رحمة الله به إلا إذا أعطاه ما يلائمه في غرضه، وإن ضره أو ما يلائم طبعه، ولو كان فيه شقاؤه. والعارف ليس كذلك، فإن الرحمة الإلهية، قد تأتي إلى العبد في الصورة المكروهة، كشرب النواء الكره الطعم، والرائحة للمريض، والشفاء فيه مبطلون.

فإذا قال العارف: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ أحضر - في نفسه مدلول هذا القول، من حيث ما هو الحق موصوفاً به، ومن حيث ما يطلبه المرحوم؛ لعلمه بذلك كله. ويحضر في قلبه أيضاً عموم رحمته الواحدة³،

1 ص 84 ب
2 ص 85، وفي الهامش بخط الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة لظهور الدين محمود عليّ، وكتب ابن العربي".
3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

المقسمة على خلقه في الدار الدنيا؛ إشيهم وجنهم، ومطيعهم وعاصيهم، وكافرهم ومؤمنهم، وقد شملت الجميع. ورأى أن هذه الرحمة الواحدة، لو لم تعط حقيقتها من الله أن يرزق بها عباده من جماد ونبات وحيوان وإنس وجان ولم يحجبها عن كافر ومؤمن ومطيع وعاص؛ عرف أن ذاتها من كونها رحمة تقتضي ذلك.

ثم جاء الوحي من أثر هذه الرحمة الواحدة¹ بأن هذه الرحمة الواحدة السارية في العالم التي اقتضت حقيقتها أن تجعل الأم تعطف على ولدها في جميع الحيوان، وهي واحدة من مائة رحمة. وقد ادّخر - سبحانه - لعباده في الدار الآخرة تسعا وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة وفذ في العالم حكمه وقضاؤه وقدره، بهذه الرحمة الواحدة، وفرغ الحساب، ونزل الناس منازلهم من الدارين؛ أضاف سبحانه - هذه الرحمة إلى التسع والتسعين رحمة، فكانت مائة، فأرسلها على عباده مطلقة في الدارين. فسربت الرحمة فوسعت كل شيء؛ فمنهم من وسعته بحكم الوجوب، ومنهم من وسعته بحكم الامتنان.

فوسعت كل شيء في موطنه، وفي عين² شيبته. فتنتم المحرور بالزحير، والمقرور بالسعير. ولو جاء لكل واحد من هذين حال الاعتدال لتعذب. فإذا أطلع أهل الجنان على أهل النار، زادهم نعيما إلى نعيمهم، فوزهم. ولو أطلع أهل النار على أهل الجنان، لتعذبوا بالاعتدال لما هم فيه من الانحراف، ولهذا قابلهم بالنقيض من عموم المائة رحمة. وقد كان الحكم في الدنيا بالرحمة الدنيا، ما قد علمتم. وهي الآن أعني في الآخرة من جملة المائة، فما ظنك وكفى.

فيمثل هذا النظر، يقول العارف في الصلاة: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ومن هنا تعرف ما يجب الحق به من هذا نظره.

ثم قال الله: «يقول العبد: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ يقول الله: مجدي عبدي» وفي رواية «فوض إلي عبدي» هذا جواب عام، ورد عام كما قررنا: ما المراد به؟ فإذا قال العارف: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ لم يقتصر على الدار الآخرة بيوم الدين، ورأى أن «الرحمن الرحيم» لا يفارقان ملك يوم الدين، فإنه صفة لها. فيكون الجزء دنیا وآخرة. وكذلك ظهر بما شرع من إقامة الحدود، وظهور الفساد في البر والبحر، بما كسبت أيدي الناس ليزيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون. وهذا هو عين الجزء. فيوم الدنيا أيضا (هو) يوم

الجزء، والله ملك يوم الدين.

فيرى العارف أن الكفارات سارية في الدنيا، وأن الإنسان في الدار الدنيا لا يسلم من أمر يضيق به صدره، ويؤلمه حسا وعقلا، حتى قرصة البرغوث والعثرة. فالآلام محدودة مؤقتة، ورحمة الله تعالى - غير مؤقتة. فإنها وسعت كل شيء، فمنها ما ثل وتحم من طريق الامتنان، وهو أصل الأخذ لها الامتنان. ومنها ما تؤخذ من طريق الوجوب الإلهي، في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾¹ وقوله: ﴿فَسَاكُنْهَا﴾² فالناس يأخذونها جزاء³، وبعض المخلوقات من المكلفين تنالها امتنانا حيث كانوا، فافهم.

فكل ألم في الدنيا والآخرة، فإنه مكفر لأمر قد وقع - محدودة مؤقتة. وهو جزاء لمن يتألم به من صغير وكبير، بشرط تعقل التألم، لا بطريق الإحساس بالتألم دون تعقله. وهذا المدرك لا يدركه إلا من كشف له: فالرضيع لا يتعقل التألم، مع الإحساس به، إلا أن أباه وأمه وأمثالهما، من محبيه وغير محبيه، يتألم ويتعقل التألم، لما يرى في الرضيع من الأمراض النازلة به. فيكون ذلك كفارة لتعقل الألم. فإن زاد ذلك العاقل الترحم به، كان مع التكفير عنه مأجورا. إذ «في كل كبد رطبة أجر» وكل كبد فإنها رطبة، لأنها بيت الدم، والدم حار رطب، طبع الحياة.

وأما الصغير إذا تعقل التألم وطلب النور عن الأسباب الموجبة للألم واجتنبها، فإن له كفارة فيها لما صدر منه، بما ألم به غيره من حيوان أو شخص آخر من جنسه، أو إياية عما تدعوه إليه أمه أو أبوه أو سائل يسأله أمرا ما، فأبى عليه، فتألم السائل حيث لم يقض حاجته هذا الصغير. فإذا تألم الصغير كان ذلك الألم القائم به، جزاء مكفرا لما ألم به ذلك السائل بإبائته، عما التمس منه في سؤاله. أو كان قد آذى حيوانا: من ضرب كلب بحجر، أو قتل برغوث وقملة، أو وطن نملة برجله فقتلها، أو كل ما جرى منه بقصد وبغير قصد. وسر هذا الأمر عجيب سار في الموجودات، حتى الإنسان يتألم بوجود الغيم، ويضيق صدره به، فإنه كفارة لأمر أتاها قد نسيها أو يعلمها.

فهذا كله يراه أهل الكشف محققا في قوله: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ فيقول الله: «فوض إلي عبدي» أو «مجدي عبدي» أو كلاهما. إلا أن التمجيد راجع إلى جناب الحق من حيث ما تقتضيه ذاته، ومن حيث ما

1 [الأنعام: 54]
2 [الأعراف: 156]
3 ص 86
4 ص 87

1 ص 85
2 ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب
3 ص 86

تقتضي نسبة العالم إليه، والتفويض من حيث ما تقتضي نسبة العالم إليه لا غير. فإنه وكيل لهم بالوكالة المفوضة. ففي حق قوم يقول: «مجدني عبدي» وفي المقصد، وفي حق قوم يقول: «فوض إلي عبدي»، وفي المقصد أيضا. فإن العبد قد يجمع بين المقصدين، فيجمع الله له في الرد بين التمجيد والتفويض. فهذا النصف كله مخلص لجناب الله، ليس للعبد فيه اشتراك.

ثم قال الله: «يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾» يقول الله: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فهذه الآية تتضمن سائلا¹ ومسئولا مخاطبا، وهو الكاف من «إِيَّاكَ» فيها و«نَعْبُدُ» و«نَسْتَعِينُ» هما للعبد، فإنه العابد والمستعين. فإذا قال العبد: «إِيَّاكَ». وَحَدَّ الْحَقُّ بِحَرْفِ الْخُطَابِ، فَعَمَلُهُ مُوَائِجًا لَا عَلَى جَهَةِ التَّحْدِيدِ، وَلَكِنْ امْتِثَالًا لِقَوْلِ الشَّارِعِ لِمَثَلِ ذَلِكَ السَّائِلِ فِي مَعْرِضِ التَّعْلِيمِ، حِينَ سَأَلَهُ عَنِ الْإِحْسَانِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» فلا بد أن تواجهه بحرف الخطاب، وهو الكاف، أو حرف التاء المنصوبة في المذكر؛ المخفوضة في المؤنث. فإني قد أوثت الخطاب من حيث الذات.

وهذا مشهد خيالي فهو برزخي. وجاءت هذه الآية برزخية، وقع فيها الاشتراك بين الحق وبين عبده. وما مضى من الفاتحة مخلص لله، وما بقي منها مخلص للعبد. وهذه (الآية) التي نحن فيها مشتركة. وإنما وحدّه ولم يجمعه، لأن المعبود واحد. وجمع (العبد) نفسه بنون الجمع في العبادة والعون المطلوب. لأن العابدين من العبد كثيرين، وكل واحد من العابدين يطلب العون. والمقصود بالعبادات واحد. فعلى العين عبادة، وعلى السمع والبصر - واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب. فلهذا قال: «نعبد» و«نستعين»، بالنون.

وإن العالم نظر إلى تفاصيل عالمه²، وإن الصلاة قد عمّ حكمها جميع حالاته ظاهرا وباطنا، لم ينفرد بذلك جزء عن آخر فإنه يقف بكمه، ويركع بكمه ويجلس بكمه. فجميع عالمه قد اجتمع على عبادة ربه، وطلب المعونة منه على عبادته. فجاء بنون الجماعة في «نعبد» و«نستعين»، فترجم اللسان عن الجماعة، كما يتكلم الواحد عن الوفد، بحضورهم بين يدي الملك. فعلم العبد من الحق لما أنزل عليه هذه الآية بإفراده نفسه، أن لا يُعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ.

ولما قيد العبد بالنون: (فهذا يعني) أنه يريد منه أن يعبد بكمه ظاهرا وباطنا، من قوى وجوارح،

ويستعين على ذلك الحد. ومتى لم يكن المصلي بهذه المثابة من جمع عالمه على عبادة ربه، كان كاذبا في قراءته إذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإن الله ينظر إليه، فيراه ملتفتا في صلاته أو مشغولا بخاطره، في دكانه أو تجارته، وهو مع هذا يقول: «نعبد» ويكذب، فيقول الله له: كذبت في كتابتك بجمعيتك على عبادتي. ألم تلتفت ببصرك إلى غير قبلك؟ ألم تُصغِ بسمعك إلى حديث الحاضرين؟ ألم تعقل بقلبك ما تحدثوا به؟ فأين صدقك في قولك: «نعبد» بنون الجمع؟

فيحضر العارف هذا كله في خاطره، فيستحي¹ أن يقول في مناجاته في صلاته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لتلا يقال له: كذبت. فلا بد أن يجتمع من هذه حالته على عبادة ربه، حتى يقول له الحق: صدقت. إذا تلا - في جمعيتك علي في عبادتك إياي، وطلب معوتي.

روينا في هذا الباب على ما حدثنا به شيخنا المقري أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي، عن بعض المعلمين من الصالحين، أن شخصا صبيًا صغيرا، كان يقرأ عليه القرآن، فرآه مصفّر اللون. فسأله عن حاله. فقبل له: إنه يقوم الليل بالقرآن كله. فقال له: يا ولدي؛ أُخْبِرْتُ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ. فقال: هو ما قيل لك. فقال: يا ولدي؛ إذا كان في هذه الليلة، فأحضرني في قبلك، وأقرأ علي القرآن في صلاتك، ولا تغفل عني. فقال الشاب: نعم.

فلما أصبح قال له: هل فعلت ما أمرتك به؟ قال: نعم يا أستاذ. قال: وهل ختمت القرآن بالراحة؟ قال: لا؛ ما قدرت على أكثر من نصف القرآن. قال: يا ولدي؛ هذا حسن، إذا كان في هذه الليلة فأجعل من شئت من أصحاب رسول الله ﷺ أمامك، الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ وأقرأ عليه واحذر، فإنهم سمعوه من رسول الله ﷺ فلا تزل في تلاوتك. فقال: إن شاء الله - يا أستاذ؛ كذلك أفعل.

فلما أصبح سأله الأستاذ عن ليلته، فقال: يا أستاذ؛ ما قدرت على أكثر من ربع القرآن. فقال: يا ولدي؛ أتل هذه الليلة على رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن، واعرف بين يدي من تلاوه. فقال: نعم. فلما أصبح قال: يا أستاذ؛ ما قدرت طول ليلتي على أكثر من جزء من القرآن، أو ما يقاربه. فقال: يا ولدي؛ إذا كان هذه الليلة فلتكن تقرأ القرآن بين يدي جبريل، الذي نزل به على قلب محمد ﷺ واحذر

واعرف قدر من تقرأ عليه.

فلما أصبح قال: يا أستاذ؛ ما قدرت على أكثر من كذا، وذكر آيات قليلة من القرآن. قال: يا ولدي؛ إذا كان هذه الليلة؛ تب إلى الله وتأهب، واعلم أن المصلي يناجي ربه، وأنت واقف بين يديه، تتلو عليه كلامه فانظر حظك من القرآن وحظه، وتدبر ما تقرأه، فليس المراد جمع الحروف ولا تأليفها، ولا حكاية الأقوال، وإنما المراد بالقراءة التدبير لمعاني ما تتلوه فلا تكن جاهلا.

فلما أصبح انتظر الأستاذ الشاب، فلم يجيء إليه. فبعث من يسأل عن شأنه، فقبل¹ له: إنه أصبح مريضا يعاد. فجاء إليه الأستاذ. فلما أبصره الشاب بكى، وقال: يا أستاذ؛ جزاك الله عني خيرا، ما عرفت أنني كاذب إلا البارحة، لما قمت في مصلاي وأحضرت الحق تعالى - وأنا بين يديه أتلو عليه كتابه، فلما استفتحت الفاتحة، ووصلت إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نظرت إلى نفسي، فلم أرها تصدق في قولها، فاستحييت أن أقول بين يديه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهو يعلم أنني أكذب في مقالتني، فإني رأيت نفسي - لاهية بخواطرها عن عبادته.

فبقيت أردد القراءة من أول الفاتحة إلى قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ولا أقدر أن أقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إنه ما خلصت لي. فبقيت أستحي أن أكذب بين يديه تعالى - فمقتني، فما ركعت حتى طلع الفجر، وقد رُضت كبدي. وما أنا إلا راحل إليه على حالة لا أرضاها من نفسي. فما انتقضت ثلاثة حتى مات الشاب. فلما دُفن أتى الأستاذ إلى قبره، فسأله عن حاله. فسمع صوت الشاب من قبره وهو يقول له: يا أستاذ:

أَنَا حَيٌّ عِنْدَ حَيٍّ لَمْ يَخَاسِبْنِي بِشَيْءٍ

قال: فرجع الأستاذ إلى بيته، ولزم فراشه مريضا، مما أثر فيه حال الفتى، فلحق به. فن قرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قراءة الشاب فقد قرأ.

² ثم قال الله: «يقول العبد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»³. فيقول الله: هؤلاء لعبدي ولعبي ما سألت. فإذا قال العارف: ﴿أَهْدِنَا﴾ احضر الاسم الإلهي الهادي وسأله أن يهديه الصراط المستقيم أن يبينه له ويوفقه إلى المشي - عليه، وهو صراط

التوحيدين: توحيد الذات وتوحيد المرتبة، وهي الألوهية بلوازما من الأحكام المشروعة، التي هي حق الإسلام في قوله ﷺ: «إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ» فيحضر في نفسه ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي هو عليه الرب من حيث ما يقود الماشي عليه إلى سعادته.

أخبر الله تعالى - عن هود أنه قال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فإن العارف إذا مشى - على ذلك الصراط، الذي عليه الرب تعالى - على شهود منه، كان الحق أمامه، وكان العبد تابعا للحق، على ذلك الصراط مجبورا. وكيف لا يكون تابعا مجبورا، وناصيته بيد ربه، يجزئه إليه. فإن الله يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾¹ فدخل في حكم هذه الآية جميع ما دب علوا وسفلا، دخول ذلة وعبودية. والناس في ذلك بين مكاشف يرى اليد في الناصية، أو مؤمن. فكل² دابة دخلت عموما ما عدا الإنس والجن. فإنه ما دخل من الثقلين إلا الصالحون منهم خاصة.

ولو دخل جميع الثقلين، لكان جميعهم على طريق مستقيم، صراط الله من كونه ربًا. يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ مِنْ تَحْتِهِ نَارُ فَاخْرَجْنَا مِنْ تَحْتِهَا أَرْضًا زَرْعًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. وقال في حق الثقلين خاصة على طريق الوعيد والتخويف، حيث لم يجعلوا من شيء إلا يسبح بحمده³. وقال في حق الثقلين خاصة على طريق الوعيد والتخويف، حيث لم يجعلوا نواصيتهم بيده، وهو أن يتركوا إرادتهم لإرادته فيما أمر به ونهى: ﴿سَنُقَرِّبُ لَكُمْ آيَةَ الثَّقَلَيْنِ﴾ ولهذا قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يريد الذين وفقهم الله، وهم العالمون كلهم أجمعهم، والصالحون من الإنس، مثل الرسل والأنبياء والأولياء وصالح المؤمنين، ومن الجان كذلك. فلم يجعل الصراط المستقيم إلا لمن أنعم الله عليه من نبي وصديق وشهيد وصالح، وكل دابة هو آخذ بناصيتها.

فإذا حضر العارف في هذه القراءة، جعل ناصيته بيد ربه في غيب هويته. ومن شدَّ شدًّا إلى النار، وهم الذين استثنى الله تعالى - بقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي إلا من غضب الله عليهم، لتأديعهم بقوله: «حي على الصلاة» فلم يجيبوا ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ فاستثنى بالعطف من حار، وهم أحسن حالا من «المغضوب عليهم». فمن لم يعرف ربه أنه ربه، وأشرك معه في ألوهيته من لا يستحق أن يكون إلهًا، كان من المغضوب عليهم.

[هود: 56]

ص 90 ب

[الإسراء: 44]

[الرحمن: 31]

فإذا¹ أحضر العبد مثل هذا وأشباهه في نفسه عند تلاوته، قالت الملائكة: "آمين". وقال باطن الإنسان الذي هو روحه المشارك للملائكة في نشأتهم وطهارتهم: "آمين". أي أمنا بالخير لَمَا كَانَ التالي والداعي (هو) اللسان، ثُمَّ يصغي إلى قلبه فيسمع تلاوة روحه فاتحة الكتاب مطابقة لتلاوة لسانه، فيقول اللسان مؤمنا على دعائه، أي دعاء روحه، بالتلاوة من قوله: "اهدنا".

فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة في الصفة، موافقة طهارة وتقديس ذوات كرام بررة، أجابه الحق عقيب قوله: "آمين"، باللسانين. فإن ارتقى يكون الحق لسانه إلى تلاوة الحق كلامه. فإذا قال: "آمين". قالت الأسماء الإلهية: "آمين". (وقالت) الأسماء التي ظهرت من تخلق هذا العبد بها: "آمين". فمن وافق تأمين أسمائه (تأمين) أسماء خالقه؛ كان حقا كله.

فهذا قد أبنت لك أسلوب القراءة في الصلاة، فاجر عليها على قدر اتساع باعك، وسرعة حركتك وأنت أبصر. فما منّا إلّا من له مقام معلوم، ومنّا الصافون والمسيحون.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في قراءة القرآن في الركوع

وأما² قراءة القرآن في الركوع: فمن قائل: بالمنع، ومن قائل: بالجواز. والذي اتفقوا عليه التسييح في الركوع، واختلفوا؛ هل فيه قول محدود أم لا؟ فمن قائل: لا حد في ذلك، ومن قائل: بالحد في ذلك، وهو أن يقول في ركوعه: "سبحان ربّي العظيم" ثلاثا. وفي السجود: "سبحان ربّي الأعلى" ثلاثا. والقائل بهذا؛ منهم من يرى وجوبه، وإن الصلاة تبطل بتركه - وأدناه ثلاث مرّات - ومنهم من لا يقول بوجوبه، وهم عامة العلماء. ومن قائل: ينبغي للإمام أن يقولها خمسا حتى يدرك من وراءه أن يقولها ثلاثا.

فأقول في باب الأسرار: لَمَا كَانَ المصلّي في وقوفه بين يدي ربّه في الصلاة له نسبة إلى القيومية، ثُمَّ انتقل عنها إلى حالة الركوع الذي هو الخضوع وكذلك السجود - لم ينبغ أن تكون هذه الصفة لله، فشرع النبي ﷺ على ما فهم من كلام الله لَمَا نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾³ قال رسول الله ﷺ:

«اجعلوها في ركوعكم» ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾¹ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»، فاقترن بهما أمر الله بقوله: ﴿سَبِّحْ﴾ - فأمر -، وأمر رسول الله ﷺ لنا بمكانها من الصلاة.

يقول²: نَزَّهَوا عَظَمَةَ رَبِّكُمْ عَنِ الْخُضُوعِ؛ فَإِنَّ الْخُضُوعَ إِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ لَا لِلْبَشَرِ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَنُومَ بِهِ صِفَةُ الْخُضُوعِ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْإِسْمِ الرَّبِّ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَدْعِي الْمَرْيُوبَ، وَهُوَ مِنَ الْأَمْهَاتِ الثَّلَاثِ، وَهُوَ اسْمُ كَثِيرِ الْبُورِ وَالظُّهُورِ فِي الْقُرْآنِ، أَكْثَرُ مِنْ بَاقِي الْأَسْمَاءِ؛ فَإِنَّ أَمْهَاتِ الْأَسْمَاءِ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ: اللَّهُ وَالرَّحْمَنُ وَالرَّبُّ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْمَ لَمَّا تَعَلَّقَ التَّسْبِيحُ بِهِ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ مَطْلَقًا مِنْ حَيْثُ مَا يَسْتَحِقُّهُ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا تَعَلَّقَ بِهِ مَضَافًا إِلَى نَفْسِ الْمُسَبِّحِ، فَقَالَ: "سَبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ" وَإِنَّمَا تَعَلَّقَ بِهِ مَضَافًا فِي حَقِّ كُلِّ مُسَبِّحٍ، لِأَنَّ الْعَالَمَ بِهِ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ يَتَفَاضَلُ؛ فَيَعْتَقِدُ فِيهِ شَخْصٌ³ خِلَافَ مَا يَعْتَقِدُ فِيهِ غَيْرُهُ؛ فَكُلُّ شَخْصٍ يَسْبِّحُ رَبَّهُ الَّذِي يَعْتَقِدُهُ رَبًّا. وَكَمْ شَخْصٍ مَا يَعْتَقِدُ فِي الرَّبِّ مَا يَعْتَقِدُهُ غَيْرُهُ، وَيَرَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَعْتَقِدَ الْآخِرَ فِيمَا نَسَبَهُ إِلَى رَبِّهِ مِمَّا يَسْتَحِيلُ عِنْدَ هَذَا أَنْ تَكُونَ لَهُ تِلْكَ الصِّفَةُ، وَيَكْفُرُهُ مِنْ أَجْلِهَا. فَلَوْ سَبَّحَهُ مَطْلَقًا بِاعْتِقَادِ كُلِّ مَعْتَقِدٍ لَسَبَّحَ هَذَا الشَّخْصَ مِنْ لَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَنْزُهُ؛ فَلِهَذَا أَضَافَهُ كُلُّ مُسَبِّحٍ لِمَا يَنْتَضِيهِ اعْتِقَادُهُ.

وحظّ العارف أن يسبّحه بلسان كل مسبّح، وينظر في عظمة الله وتزهدها عن قيام الخضوع بها وعلوّه عن السجود؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ فِي سَجُودِهِ يَطْلُبُ أَصْلَ نَشْأَةِ هَيْكَلِهِ وَهُوَ الْمَاءُ وَالتُّرَابُ، وَيَطْلُبُ بَقِيَامَهُ أَصْلَ رُوحِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِيهِمْ: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾⁵ وَصَارَتْ حَالَةُ الرُّكُوعِ بَرَزَخًا مَتَوَسِّطًا بَيْنَ الْقِيَامِ وَالسَّجُودِ بِمَنْزِلَةِ الْوُجُودِ الْمُسْتَفَادِ لِلْمُمْكِنِ: بَرَزَخًا بَيْنَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ لِنَفْسِهِ، وَبَيْنَ الْمُمْكِنِ لِنَفْسِهِ. فَالْمُمْكِنُ عَدَمٌ لِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّ الْعَدَمَ لَا يَسْتَفَادُ، فَإِنَّهُ مَا تَمَّ مِنْ فَيِّدِهِ. وَالْوَاجِبُ الْوُجُودِ وَجُودُهُ لِنَفْسِهِ. وَظَهَرَتْ حَالَةُ بَرَزَخِيَّةٍ، وَهِيَ وَجُودُ الْعَبْدِ بِمَنْزِلَةِ الرُّكُوعِ. فَلَا يَقَالُ فِي هَذَا الْوُجُودِ الْمُسْتَفَادِ: "هُوَ عَيْنُ الْمُمْكِنِ، وَلَا هُوَ غَيْرُ الْمُمْكِنِ"، وَلَا يَقَالُ فِيهِ: "هُوَ عَيْنُ الْحَقِّ، وَلَا هُوَ غَيْرُ الْحَقِّ"؛ فَهِيَ نَسْبَتَانِ يَعْرِفُهُمَا الْعَارِفُ.

فيخطر للعارف في حال الركوع، الحال البرزخي الفاصل بين الأَمِينِ؛ وَهُوَ الْمَعْنَى الْمَعْقُولُ الَّذِي بِهِ تَمَيَّزَ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ، وَهُوَ أَيْضًا الْمَعْنَى الْمَعْقُولُ الَّذِي بِهِ يَتَّصِفُ الْعَبْدُ بِأَوْصَافِ الرَّبِّ، وَيَتَّصِفُ الرَّبُّ بِأَوْصَافِ

1 [الأعلى : 1]

2 ص 92

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

4 ص 92

5 [آل عمران : 139]

المربوب، لا بالصفات؛ فإنه وصف لا صفة. وإنما قلنا: "وصف لا صفة"؛ فإن الصفة يُعقل منها أمر زائد، وعين زائدة على عين الموصوف. والوصف قد يكون عين الموصوف بنسبة خاصة ما لها عين موجودة، فافهم.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في¹ الدعاء في الركوع

اختلفوا في الدعاء في الركوع بعد اتفاقهم على جواز الثناء على الله فيه، أو وجوبه في مذهب من يراه شرطاً في صحة الصلاة. فمنهم من كره الدعاء في الركوع، ومنهم من أجاز، وبه أقول. واختلفوا في الدعاء في الصلاة؛ فمنهم من قال: "لا يجوز أن يدعى في الصلاة بغير ألفاظ القرآن"، ومنهم من أجاز ذلك.

فأقول: لما كانت الصلاة معناها الدعاء، صح أن يكون الدعاء جزءاً من أجزائها، ويكون من باب تسمية الكل باسم الجزء. وأما من يكره الدعاء في الركوع، فإن الحالة البرزخية لها وجهان: وجه إلى الحق ووجه إلى الخلق. فمن كان مشهده من الركوع الوجه الذي يطلب الحق، كره الدعاء في الركوع ولم يجرمه؛ لأن صفة القيومية قد يتصف بها الكون.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾². ومن رجح الوجه الذي يطلب الخلق من الركوع، قال بجواز الدعاء في الركوع، وبه جاءت السنة، وهو مذهب البخاري رحمه الله.

وكذلك من رجح أن لا يدعى في الصلاة بغير ألفاظ القرآن، فإنه نظر إلى أن الله تعالى - قد شرع الأدعية في القرآن. فالعدل³ عنها إلى ألفاظ من كلام الناس من مخالفة النفس التي جُبلت عليها، حتى لا توافق ربها، وهو الأدب الصحيح؛ فإنني كما لم أناجيه في الصلاة إلا بكلامه، كذلك لا ندعوه إلا بما أنزل علينا، وشرعه لنا في القرآن أو في السنة مما شرع أن يقال في الصلاة. ومن أطلق الدعاء في الصلاة بأي نوع كان، غلب على قلبه أنه ما ثم إلا الله، ولا متكلم إلا الله؛ إما بفعل يفعله كما ورد «أن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» يعني في الصلاة أو أمر آخر⁴.

1 ص 93

2 [النساء: 34]

3 ص 93

4 "أو أمر آخر" مضافة بقلم دقيق بخط الأصل

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في التشهد في الصلاة

اختلف العلماء في وجوب التشهد في الصلاة، واختار منه. فمن قائل بوجوبه. ومن قائل: إنه لا يجب.

فأقول: لما كان التشهد على الحقيقة معناه الاستحضار، فإنه تغل من الشهود، وهو الحضور. والإنسان مأمور بالحضور في صلاته؛ فلا بد من التشهد، وهو الأولى والأوجه. ولما كان الشاهد مخاطباً بالعلم بما يشهد به، بخلاف الحاكم؛ لم يصح الحضور ولا الاستحضار من غير² علم التشهد، بمن يريد شهوده. فلا يحضر معه من الحق إلا قدر ما يعلمه منه، وما خوطب بأكثر من ذلك.

واختلفت مقالات الناس في الإله، وإذا اختلفت المقالات فلا بد للعاقل إذا انفرد في علمه برتبته، أن يكون على مقالة من هذه المقالات التي أنتجها النظر، وهي مختلفة. فالسليم العقل من يترك ما أعطاه نظره في الله ونظر غيره من أصحاب المقالات بالنظر الفكري، ويرجع إلى ما قالته الأنبياء عليهم السلام - وما نطق به القرآن؛ فيعتقد ويحضر معه في صلاته وفي حركته وسكاته، فهو أولى به من أن يحضر مع الله - تعالى - بفكره.

وقد يطرأ لبعض الناس في هذا غلط، وذلك أنه يرى أن الإنسان ما يثبت عنده الشرع إلا حتى يثبت عنده بالعقل وجود الإله وتوحيده، وإمكان بعثه الرسل وتشريع الشرائع؛ فيرجح بهذا أن يحضر مع الحق في صلاته بهذا العلم. وليس الأمر كذلك؛ فإنه وإن كان نظره هو الصحيح في إثبات وجود الحق وتوحيده، وإمكان³ التشريع وتصديق الشارع بالدلالات التي أتى بها؛ فيعلم أن الشارع قد وصف لنا نفسه بأمور لو وقفنا مع العقل دون ما قبلناها.

ثم إننا رأينا أن تلك الأوصاف التي جاءت من الشارع في حق الله ومعرفته تطلبها أفعال العبادات، وهي أقرب مناسبة إليها من المعرفة التي تعطى الأدلة النظرية، التي تستقل بها. فإنا أن نحضر مع الحق في تشهدها وصلاتها بالمعرفة الإلهية التي استفدناها من الشارع في القرآن والسنة المتواترة، أولى من الحضور معه بمقالات العقول. ثم ننظر فيما ورد من التشهد في الصلاة حتى نجري على ذلك الأسلوب، كما فعلنا في التوجيه والقراءة وما يقال في الركوع والسجود.

1 ص 94

2 تامة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصحيح

3 ص 94

الجزء التاسع والثلاثون¹

بسم الله الرحمن الرحيم²

(التشهدات):

فنقول: من ذلك تشهد عمر رضي الله عنه وهو: "التحيات لله الزايات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله" أخذت به طائفة.

وأما تشهد عبد الله بن مسعود، وهو: "التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" أخذ به الأكثر من الناس لثبوت نقله.

وأما تشهد ابن عباس، وهو: "التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" أخذت به طائفة. وكلها³ أحاديث مروية عن رسول الله ﷺ.

فالعارف إذا تشهد بهذا التشهد؛ فإما أن يكون في حال قبض وهيبة وجلال عن اسم إلهي، وإما أن يكون في حال أنس وجمال ونسط عن اسم إلهي، وإما أن يكون في حال مراقبة وحضور لموازنة ذاته بما كلفته من العبادات في الصلاة؛ فيعمر كل قوة من قوى نفسه في صلاته، وكل جارة من جوارح جسمه في صلاته بما يليق بها، مما طلبه الحق منه من الهيئات (التي يجب) أن يكون عليها في صلاته بالنظر إلى كل جارة وقوة، فيعمرها سواء كان في حال هيبة أو أنس، وهو أكمل الأحوال. فانحصر الأمر في ثلاثة مقامات: مقام جلال، ومقام جمال، ومقام كمال.

فيتشهد بلسان الكمال، وهو الأول للسالك فيقول: "التحيات لله" أي تحيات كل محي ومحيي بها في جميع العالم، والنسب الإلهية كلها، لله. أي من أجل الله، الاسم الجامع الذي يجمع حقائقها. وذلك لأن كل تحية في العالم إنما هي مرتبطة بحقيقة إلهية، كانت ما كانت. فمتى ما لم يجمع الإنسان بينه وقلبه، كما جمع

1 أسفل المتن: "سمع جميع هذا الجزء على مصنفه الإمام العلامة محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي، بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي وإلى البلاغ في الجزء الذي يليه بخط القارئ: ابنا المصنف أبو المعالي محمد، وأبو سعد محمد، وأبو بكر بن سليمان الجوهري، وابناه عبد الواحد، وأحمد، وحفيده محمد بن عبد الواحد، وإسماعيل بن سودكين النوري، وابن أخته يوسف بن درباس بن يوسف الحميدي، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، ونضر الله بن أبي العز بن الصغار، ومحمد بن يرقش المعظمي، ويوسف بن محمد بن علي بن الحسين الخلاطلي، ويعقوب بن معاذ الوري، ويونس بن عثمان الدمشقي، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي المطرز، وإبراهيم بن محمد القرطبي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعمران بن حيش بن علي، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنلسي، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، ويحيى بن إسماعيل الملقبي، وعيسى بن إسحق الهذلي، وحسين بن محمد الموصلي، وأبو بكر بن يونس بن الخلال، ومحمد بن سالم بن عياش، ومحمد بن أحمد بن زرافة، وإبراهيم بن محمود (? الموصلي، وكتب السباع إبراهيم بن عبد العزيز القرشي، وسمع (...) يليه أوراق من أوله عبد المنعم بن مظفر المصري، وذلك في مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وستائة بمنزل المصنف بدمشق". يليه بخط الشيخ ابن العربي: "وكنك عم عبد المنعم بن المظفر بن أبي الحسن المصري مع المذكورين. وكتب المسع محمد بن العربي منقش هذا الكتاب في التاريخ".

1 العنوان ص 95، وأما ص 95 فيضاء

2 البسلة ص 96

3 ص 96

بلفظة التحيات بقوته من الحقائق الإلهية كلها¹، إلا الحقيقة الواحدة المشروعة له في تحيته، من حيث ما هو متقيد بها من حجة شرعه خاصة، لم يستبر لنفسه في كمال صلاته². وقوله: "الزكيات لله" يقول: التحيات المطهرات الناميات؛ أي التي ينمى خيرها على قائلها من الحقائق الإلهية التي أوجدت تلك التحيات بحسب ما تعطيه أساؤها.

ثم يقول: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" بالألف واللام التي للجنس لا التي للعهد، فيكون سلامه على النبي ﷺ مثل تحياته للشمول والعموم، أي بكل سلام. وهذا يؤذن بأن العبد قد انتقل من مشاهدة ربه، من حيث الإطلاق أو أمر ما من الأمور التي كان فيها في سجوده، إلى مشاهدة الحق في النبي ﷺ. فلما قدم عليه بالحضور سلم عليه مخاطبا مواجهة بالنبوة، لم يسلم عليه بالرسالة؛ فإن النبوة في حق ذات النبي أعم وأشرف؛ فإنه يدخل فيها ما اختص به في نفسه، وما أمر بتبليغه لأئمة الذي هو منه رسول، فعم. وعرف ما ينبغي أن يخاطب به رسول الله ﷺ في ذلك الحضور. وأية به من غير حرف نداء يؤذن بعيد لما هو عليه من حال قربه، ولهذا جاء بحرف الخطاب.

ثم عطف بعد السلام عليه بالرحمة الإلهية لشمولها الامتنان والوجوب؛ فأضافها إلى الله لما رزقه ﷺ من السلامة من كل ما يشنؤه في مقامه ذلك، وعطف بالبركات المضافة إلى الهوية، والبركات هي الزيادة. وقد أمر أن يقول: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فكان هذا المصلي في هذه التحيات يقول له: سلام عليك ورحمته تقضي الزيادات عندك من العلم بالله الذي هو أشرف الحالات عند الله، كما جاء بـ "الزكيات" في التحيات فناسب بين الزكاة والبركة؛ ولهذا جعل الله تعالى البركة في الزكاة، التي هي الصدقات، لارتباطها بها؛ لأن الصدقة إخراج ما كان في اليد، وهي الزكاة. ولا يبقى في الوجود خلا، فيعوضه الله، ويملاأ يديه من الخير العلمي، وغيره من الثواب المحسوس في دار الكرامة ما لا يقدر قدره في مقابلة ما أخرجه.

ثم يقول: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" فسلم على نفسه بشمول السلام وأجناسه، كما سلم على النبي ﷺ. يقول تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾⁵ والدخول في كل حال من

أحوال الصلاة، كـ (الدخول على) البيوت في الدار الجامعة ﴿تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾. فجعلك رسولا من عنده إلى نفسك بهذه التحية المباركة، لما فيها من زوائد الخير الطيبة؛ فإنها حصلت له ذوقا فاستطابها. كما أنها طيبة الأعراف بسيرانها من نفس الرحمن.

وجاء بنون الجمع في قوله: "السلام علينا" يؤذن أنه مبلغ سلامه لكل جزء فيه مما هو مخاطب بعبادة خاصة. وإنما سلم عليهم لكونه جاء قادما من عند ربه، لغيبته عن نفسه، حين دعاه الحق إلى مناجاته. فكبر تكبيرة الإحرام؛ فمعتة هذه الحالة أن ينظر إلى غير من دعاه إليه، فلهاذا سلم على نفسه بنون الجماعة. وذلك لما كان هذا العبد قد دخل إلى بيت قلبه، ونزه الحق أن يكون حالاً فيه، وإن وسيعه كما قال الله، لما يقتضيه جلال الله من عدم المناسبة بين ذاته تعالى وبين خلقه، ورأى بيت قلبه خاليا من كل ما سوى الله. والحق لا يسلم عليه فإنه هو السلام، وقد نهوا عن ذلك لأنهم كانوا يقولون "السلام على الله" في التشهد. فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله فإن الله هو السلام». فلما دخل (هذا العبد) بيته ولم ير فيه أحدا، ونزه الحق أن يحوي عليه بيت قلبه، فما بقي له أن يشهد سوى عالمه المكلف، وليس سوى نفسه. وقد أمره الله إذا دخل بيتا خاليا من كل أحد أن يسلم على نفسه في قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾. فيكون العبد هنا مترجما عن الحق في سلامه لأنه قال: ﴿تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ﴾ كما جاء في "سمع الله لمن حمده" فكذاك يقولها في الصلاة نيابة عن الحق ﷻ. وتقدست أساؤه. لأنه ما ثم من حدث له حال دخول أو خروج، فيكون السلام منه أو عليه. فدل على أنه تجل خاص ولا بد، فافهم إن أردت أن تكون من أهل هذا المقام في الصلاة.

ثم عطف من غير إظهار لفظ السلام "على عباد الله الصالحين". فشمل بالألف واللام، ليصيب سلامه كل عبد صالح لله في السماوات والأرض. ولا ينوي من الصالحين ما هو المعهود في الغرف. فإنه³ ما ثم إلا صالح، فإن الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ فكل شيء ينزه ربه فهو إذن صالح. هذا من علوم الإيمان والكشف. فانو بالصالحين: الذين استغنموا فيما صلحوا له، وليس سوى التسبيح. فإن الله أخبر عنهم؛ أنهم بهذه الصفة، فلم يبق كافر ولا مؤمن إلا وقد شملت تفاصيله هذه الآية ﴿وَكُنْ أَكْثَرُ

1 ص 97

2 "لم يستبر... صلاة" مضافة في الهامش بخط آخر مع إشارة التصحيح ص 97

4 [طه: 114]

5 [النور: 61]

1 ص 98

2 ص 98

3 مضافة في الهامش، مع كلمة: "أطله"

4 [الإسراء: 44]

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ¹ لَأَنَّهُمْ² لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَشْهَدُونَ؛ ولهذا لم يذكر لفظة السلام في هذا العطف، واكتفى بالوَلَوْ تَنْبِيها؛ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يَسْتَحِقُّ السَّلَامَ عَلَيْهِ بِطَرِيقِ الْوَجُوبِ، وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْوَجُوبِ. فَسُتَرَتْ حَتَّى لَا يُمَيَّزَ الْمُسْتَحَقُّ مِنْ غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ رَحْمَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾³.

وَلَمْ يَعْطَفِ السَّلَامَ الَّذِي سَلَّمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ عَلَى السَّلَامِ الَّذِي سَلَّمَ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ جَعَلَهُ مُبْتَدَأً. فَإِنَّ النَّبُوَّةَ، أَعْنِي نُبُوَّةَ التَّشْرِيعِ، طَوْرٌ آخَرٌ مُتَمَيِّزٌ عَنْ طَوْرِ الْإِتْبَاعِ. فَإِنَّهُ لَوْ عَطَفَ عَلَيْهِ لَفِظَ السَّلَامَ عَلَى نَفْسِهِ لَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَيْضًا مِنْ رَحْمَةِ النَّبُوَّةِ، لِلْوَلَوِ الَّذِي يَعْطِي الْإِشْتِرَاكَ، وَبَابُ النَّبُوَّةِ قَدْ سُدَّ كَمَا سُدَّ بَابُ الرِّسَالَةِ، وَأَعْنِي نُبُوَّةَ التَّشْرِيعِ. وَمَا بَقِيَ بَأَيْدِينَا إِلَّا الْوَرَاثَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنَّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيٍّ» فَعَيْنُ هَذَا أَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّسَالَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ. فَخَصَّ لَهُ الْأَوَّلِيَّةَ ﷺ عَلَى التَّعْيِينِ، وَحَصَلَ لَهُ الْآخِرِيَّةُ ﷺ لَا عَلَى التَّعْيِينِ. فَدَخَلَ بِالسَّلَامِ الثَّانِي بِحَرْفِ الْعَطْفِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ بَلَا شَكٍّ مِنْ كُلِّ وَجْهِ. فَهُوَ فِي الرِّبَّةِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي لَنَا. فَابْتَدَأْنَا بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا فِي⁴ طَوْرِنَا مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ تَقَفْ عَلَى رَوَايَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَشْهَدِ الَّذِي كَانَ ﷺ يَتَشَهَّدُ بِهِ بِلِسَانِهِ فِي تَشْهَدِ فِي الصَّلَاةِ، فِي قَوْلِنَا: "السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ" هَلْ كَانَ يَقُولُهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، أَوْ يَقُولُهُ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ. مِثْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ قَالَ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِذْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾⁵ أَوْ لَا يَقُولُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَيَكْتَفِي بِقَوْلِهِ: "السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ".

فَإِنْ كَانَ قَالَ مِثْلَ مَا عَلَّمْنَا أَنْ نَقُولَ مِنْ ذَلِكَ، فَلَهُ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمُسَلَّمُ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ نَائِبٌ مُتَرَجِّمٌ عَنْهُ تَعَالَى - فِي ذَلِكَ. كَمَا جَاءَ فِي "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ". وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَنْ يَقُومَ فِي دَعَائِهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فِي مَقَامٍ غَيْرِ مَقَامِ النَّبُوَّةِ، ثُمَّ يَخَاطِبُ بِنَفْسِهِ، مِنْ حَيْثُ الْمَقَامُ الَّذِي أَقِيمَ فِيهِ، نَفْسُهُ أَيْضًا مِنْ كَوْنِهِ ﷺ نَبِيًّا. وَيُخَصِّرُهُ مِنْ أَجْلِ كَافِّ الْخَطَابِ فَيَقُولُ ﷺ بِلِسَانِهِ لِلْمَقَامِ الَّذِي أَحْضَرَهُ فِيهِ، أَيْ أَخَصَّرَ نَفْسَهُ فِيهِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، فَعَلَّ الْأَجْنَبِيَّ.

ثُمَّ يَقُولُ: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ". فَأَمَّا مَعْنَى الشَّهَادَةِ فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ التَّشْهَدِ. وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُنَا إِنَّمَا هُوَ تَوْحِيدٌ مَا يَنْتَضِيهِ عَمَلُ الصَّلَاةِ عَمُومًا، وَمَا يَنْتَضِيهِ حَالُ كُلِّ مَصَلٍّ فِي صَلَاتِهِ خُصُوصًا؛ فَإِنَّ أَحْوَالَ الْمَصَلِّينَ تَخْتَلِفُ فِي الصَّلَاةِ، بَلَا شَكٍّ، مِنْ كُلِّ وَجْهِ: مِنْ وَجْهِهِ الْأَحْكَامِ، وَمِنْ وَجْهِهِ الْمَقَامَاتِ، وَمِنْ وَجْهِهِ الْأَذْوَاقِ:

فَمِنْ وَجْهِهِ الْأَحْكَامِ: فَإِنَّ صَلَاةَ الْحَنَفِيِّ تَخَالَفَ صَلَاةَ الْمَالِكِيِّ وَالشَّافِعِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ.

وَمِنْ وَجْهِهِ الْمَقَامَاتِ: فَإِنَّ صَلَاةَ الْمُتَوَكِّلِ تَخَالَفَ صَلَاةَ الزَّاهِدِ.

وَمِنْ وَجْهِهِ الْأَذْوَاقِ: فَإِنَّ صَلَاةَ الرَّاضِي تَخَالَفَ صَلَاةَ الشَّكُورِ، وَصَلَاةَ الصَّاحِي تَخَالَفَ صَلَاةَ السَّكْرَانِ فِي الطَّرِيقِ النُّوْقِيِّ. فَإِنَّ الصَّحْوَ وَالسَّكْرَ هُوَ مِنْ عُلُومِ الْأَذْوَاقِ.

ثُمَّ عَطَفَ الشَّهَادَةَ بِالْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ وَالرِّسَالَةَ، عَلَى شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، فَإِنَّهُ ﷺ ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾² وَمَا عَلَيْهِ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَالْإِبْلَاغُ لَا يَكُونُ إِلَّا حَالُ مَبْلَغٍ مِنْ مَبْلَغٍ عَنْهُ إِلَى مَبْلَغٍ إِلَيْهِ، وَهَذَا الْعَطْفُ بَوَاوِ الْإِشْتِرَاكِ يُؤْذَنُ بِالقَرَبِ الْإِلَهِيِّ مِنْ³ السَّيِّدِ: بِمَا فِيهِ مِنَ الْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ، وَبِالقَرَبِ مِنَ الْمُرْسَلِ: بِمَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الرِّسَالَةِ الْمُضَافَةِ إِلَى الْهَوِيَّةِ، الَّتِي هِيَ غَيْبٌ لِمَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، وَبِالقَرَبِ مِنَ الْمُرْسَلِ: بِمَا فِيهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ جَاءَ بِهَا إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ. فَهُوَ أَقْرَبُ سِنْدًا مِمَّا إِلَى الْمُرْسَلِ، وَ(غَيْبٌ) لِلْمُرْسَلِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ جَاءَ بِهَا إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ. فَهُوَ أَقْرَبُ سِنْدًا مِمَّا إِلَى الْمُرْسَلِ، وَتَلَقَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرُّوحِ، بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ، كَمَا يَتَلَقَّى الْعَارِفُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى السَّنَةِ الْعَالَمِ وَحَرَكَاتِهِمْ، بِرَبِّهِمْ لَا بِنَفْسِهِمْ. فَإِنَّهُ مَنْ يَرَى رَبَّهُ فِي نَفْسِهِ يَرَاهُ فِي غَيْرِهِ بَلَا شَكٍّ، كَمَا يَقُولُ أَهْلُ اللَّهِ فِي حَالِ الْمُتَوَكِّلِ: "مَنْ صَحَّ تَوَكَّلَهُ فِي نَفْسِهِ صَحَّ تَوَكَّلَهُ فِي غَيْرِهِ".

وَأَمَّا قُلْنَا: تَلَقَّاهَا بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ، إِذْ لَوْ تَلَقَّى الْمُتَلَقِّي أَمْرَ رَبِّهِ وَوَحْيَهُ، بِنَفْسِهِ دُونَ رَبِّهِ، لَاحْتَرَقَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ سَطَوَاتِ أَنْوَارِ الرُّوحِ الْأَمِينِ. أَلَا تَرَاهُ مَعَ الْقُوَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي آتَيْدَهُ اللَّهُ بِهَا، كَيْفَ جَاءَ إِلَى بَيْتِ خَدِيجَةَ تَرْجَفَ بِوَادِرِهِ يَقُولُ: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي، دَشَرُونِي» لِاضْطِرَابِ مَفَاصِلِهِ، وَتَحَلُّلِ النُّورِ الرُّوحَانِيِّ مَسَالِكَ ذَاتِهِ، فَكَانَ يُسَمِّعُ لَهَا قَضِيضًا.

فَبَدَأَ (الْمَصَلِّي) فِي الشَّهَادَةِ، حِينَ عَطَفَهَا بِاسْمِهِ "مُحَمَّدًا" لِمَا جَمَعَ فِيهِ مِنَ الْحَمْدِ، أَيْ بِهَا اسْتَحَقَّ الْعَطْفَ

[الأعراف: 187]

2 ص 99

3 [يوسف: 98]

4 ص 99 ب

5 [مريم: 33]

1 ص 100

2 [النجم: 3]

3 ص 100 ب

بحرف التشريك، ثم قال: "عبد الله" فذكره بعبودية الاختصاص؛ لِيُعْلَمَ بِحُرِّيَّتِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، وخلوص عبوديته لله ليس¹ فيه شِقْصٌ² لكون من الأكوان. ثم عطف بالرسالة على العبودية، وعلى الله بالهوية؛ فزاده في العبودية اختصاصين: وهما النبوة والرسالة، وذكر الرسالة دون النبوة لتضمنها إيّاها. فلو ذكر النبوة وحدها، كان يبقى علينا ذِكْرُ اختصاصه بالرسالة، فيحتاج إلى ذكرها حتى نَعْلَمَ بخصوص أوصافه، ونُفَرِّقَ بينه وبين من ليس له منزلة الرسالة، من عباد الله المنبئين. فهذا تشهد لسان الكمال.

التشهد بلسان الجمال:

وأما تشهد لسان الجمال فهو تشهد عبد الله بن مسعود الذي ذكرناه، وهو على هذا الحد إلا ما اختص به فأذكره. وهو أن يقول صاحب هذا المقام بلسانه: "والصلوات والطيبات" فأقى بالصلوات لعموم ما تدلّ عليه في الرحمات والدعاء، وأنواعه من الأحوال وكلها صلاة ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾³ وعطف عليها "الطيبات" من باب عطف النعوت؛ فهي نعت معطوف للصلوات وعليها، ليطيب بها نفسا.

واختص (النبي) أيضا في هذا التشهد بإضافة العبودية، إلى الهوية لا إلى الله، وهو مقام شريف في حق رسول الله ﷺ. حيث أخبر أنه ﷺ في حال نظره في ربه، من حيث ما تستحقّه ذاته التي لا يحاط بها علما، بل لا تُعرف أصلا بالصفة الثبوتية، وليست سيوى واحدة، لا يصح أن تكون اثنتين. لأنّ الفصل التَّوَمُّ في حق ذاته يستحيل، فلا مناسبة بين الله وبين خلقه، فإنه من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁴ كيف يصح أن يشبه شيئا أو يشبهه شيء، وهذا بخلاف اللسان الأول (تشهد الكمال)؛ فإنّ الإضافة بالعبودية كانت إلى الله لا إلى الهوية، وهو أن يُنظر فيه من حيث ما يطلبه الممكن، ويليق (به). وهو دون ما تشهد به ابن مسعود.

التشهد بلسان الجلال:

أما التشهد بلسان الجلال فزاد على ما احتوى عليه التشهدان، أن نَعَتْ "التحيات" بـ "المباركات" أي التحيات التي تكون معها البركات. وكذلك أسقطها ابن مسعود؛ فإنّها راعا الاشتراك في الزيادة، وراعى عُمُر ما في الزكاة من التقديس مع وجود الزيادة التي تشترك فيها مع البركة، فاكتمى

1 ص 101
2 شقص: حصة أو نصيب.
3 [الأحزاب: 43]
4 ص 101 ب
5 [الشورى: 11]

بالزكايات لذلك. وأنكر الزكايات في التشهد جماعة من علماء الرسوم، ممن¹ لا علم له بعلوم الأذواق ومواقع اختلاف خطاب رسول الله ﷺ.

ولم يأت في هذا اللسان في نعت "التحيات" بحرف عطف، وقال فيه: "سلام" بالتنكير. وهو تشهد ابن عباس. وذلك أنه راعى خصوص حال كل مصل؛ فإنّ أساء الله مثل الممكنات، لا نهاية لها. وكلّ ممكن له خصوص وصف؛ فله من الله اسم خاص به، من ذلك الاسم خُصّ بالوصف الذي يميّز به عن كلّ ممكن. وهذا من أشرف علوم أهل الله. وهو مذكور في قوله في دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك». وأما أساء الإحصاء فتسعة وتسعون، مائة إلا واحد. ولم يصح في تعيينها على الجملة نص، ولا روي عن النبي ﷺ أنه قال: "هي هذه".

فما جاء ابن عباس بتنكير السلام إلا ليأخذ كل مصل من الاسم الذي يلقي إليه ويناجي الحق فيه، وهو المسلم على نبي الله ﷺ وعلينا وعلى عباد الله الصالحين. وكذلك اختص بعدم تكرار لفظ الشهادة، فتركها؛ فلم يشهد له بعبودية ولا رسالة، بشهادة مستأنفة؛ بل شهادته بالتوحيد أغنث. واكتفى² بالواو لما فيها من قوّة الاشتراك، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْعَلَّامُ الْغُيُوبُ﴾³ ولم يعطف بذكر الشهادة تشريفا لهم، وإن كان قد فصلهم عن شهادته لنفسه بذكره "لا إله إلا هو" وأسقط هنا لفظ العبودية لتضمن الرسالة إيّاها.⁴

فَصَلِّ بَلِّ وَضَلِّ

في الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد في الصلاة

اختلفوا في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد فمن قائل: إنّها فرض وبه أقول. ومن قائل: إنّها ليست بفرض. وكذلك اختلفوا في التعوذ من الأربع المأمور بها في التشهد، وهو أن يتعوذ: من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنه المسيح الدجال، ومن فتنه الأحياء والممات. فمن قائل بوجوبها، ومن قائل بمنع وجوبها، وبوجوبها أقول. ولو لم يأمر⁵ بالتعوذ منها لكان الاقتداء برسول الله ﷺ أولى؛ إذ كان التعوذ منها

1 ص 102
2 ص 102 ب
3 [آل عمران: 18]
4 في الهامش: "بلغت قراءة عليه، أحسن الله إليه. كتبه علي النشبي".
5 ص 103

من فعله، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾¹ وقوله ﷺ: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي» فكيف وقد انضاف إلى فعله أمْرُهُ أُمَّتُهُ بذلك.

فالصلاة على النبي في الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلي لحمد ﷺ بظهور الغيب، وقد ورد في الصحيح عنه ﷺ: «أنه من دعا بظهور الغيب لأخيه قال له الملك: ولك بمثله» وفي رواية: «ولك بمثليه» فشرع ذلك رسول الله ﷺ وأمر بها الله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾² ليعود هذا الخير من الملك على المصلي عليه من أمته ﷺ وأمر بالسلام عليه بقوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

فأكّده بالمصدر. فقد يحتمل أن يريد بذلك: السلام المذكور في التشهد. ويحتمل أن يريد به: السلام من الصلاة. أي إذا فرغتم من الصلاة على النبي ﷺ فسلّموا من صلاتكم تسليماً. وبهذا الاحتمال تعلق من رأى وجوبها في الصلاة.

وأما الاستعاذة من عذاب القبر؛ فإنّ القبر أول منزل من منازل الآخرة. فيسأل (المصلي في تشهده) الله³ أن لا يتلقاه، في أول قدم يضعه في الآخرة في قبره، عذاب ربه.

وأما الاستعاذة من عذاب جهنم؛ فإنّها الاستعاذة من البُعْد؛ فإنّ جهنم معناه: البعيدة القعر. والمصلي في حال القرية، وهو قريب من الانفصال من هذه الحالة المقرّبة. فاستعاذ بالله أن لا يكون انفصاله إلى حال تبعده من الله، بل إلى قرب من حالة دينيّة أخرى.

وأما الاستعاذة من فتنة المسيح الدجال فلما يظّهره في دعواه الألوهيّة، وما يخيله من الأمور الخارقة للعادة: من إحياء الموتى وغير ذلك مما ثبتت الروايات بنقله، وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه؛ وهي مسألة في غاية الإشكال لأنّها تقدح فيما قرّره أهل الكلام في العلم بالنبوّات. فيبطل بهذه الفتنة كلّ دليل قرّره، وأيّ فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد. فالله يجعلنا من أهل الكشف والوجود، ويجمع لنا بين الطرفين: المعقول والمشهود.

وأما فتنة الحيا والمات فـ"فتنة الحيا" فتنة الدجال، وكلّ ما يفتن الإنسان عن دينه الذي فيه سعاده. وأما "فتنة المات" فمنها ما يكون في حال النزاع والسياق من رؤية الشياطين الذين يتصوّنون له على

[الأحزاب: 21]

[الأحزاب: 56]

ص 103 ب

صور ما سلف من آبائه وأقاربه وإخوانه، فيقولون له: "مَثْ نصرانيّاً أو يهوديّاً أو مجوسيّاً أو معطّلاً" ليحولوا بينه وبين الإسلام. ومنها ما يكون في حال سؤاله في القبر، وهي حين يقول الملك له: «ما تقول في هذا الرجل؟» ويشير إلى النبي ﷺ.

فإذا لم ير الميت تعظيم الملك للرسول ﷺ، لأنّ المراد الفتنة، لتمييز الصادق الإيمان من الكافر والمرتاب. فأما المؤمن يقول: "هو محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فأمتنا وصدّقنا". وأما المنافق أو المرتاب، وهو الذي يشكّ في نبوة النبي ﷺ أنّها من عند الله، ويجعل ذلك من القوى الروحانيّة وغيرها، ثم يرى عدم تعظيم الملك للرسول ﷺ بهذا السؤال، وهو قولهم: «ما تقول في هذا الرجل؟» ولم يقولوا: «ما تقول في رسول الله ﷺ». فيقول المرتاب: "لو كان لهذا، القدر الذي كان يدّعيه في رسالته، لم يكن هذا الملك يكتي عنه بمثل هذه الكناية؛ فيقول عند ذلك: «لا أدري»، سمعت الناس يقولون شيئاً، فقلت مثل ما قالوه». فيشتكى بذلك شقاء عظيماً لم يكن يتخيّله. فهذا من فتنة المات والقبر. فاعلم ذلك. وقد فرغ التشهد على التقريب والاختصار.

فصل² بَلِّ وَضَل

في التسليم من الصلاة

اختلفوا في التسليم من الصلاة. فمنهم من قال بوجوبه، وبه أقول. ومنهم من قال: ليس بواجب التسليم من الصلاة. واختلف القائلون بوجوبه؛ فمن قائل: الواجب من ذلك على المنفرد والإمام³ تسليمة واحدة. ومنهم من قال: اثنتين. ومن قائل: إنّ الإمام يسلم واحدة، والمأموم يسلم اثنتين. وقد قيل عن صاحب هذا القول: إنّ المأموم يسلم ثلاثاً: الواحدة للتحليل، والثانية للإمام، والثالثة لمن هو عن يمينه.

والذي يقتضيه النظر، إذا لم يكن هناك نصّ يوقّف عنده، لا في التوقيت ولا في التحجير، أن يراد على الثالثة تسليمة رابعة للمأموم إن كان على يساره أحد، وللإمام تسليمتان، أو ثلاثة، من أجل التحليل إن كان الناس عن يمينه ويساره، فإن لم يكن عن يساره أحد فليسلم اثنتين: واحدة للتحليل والثانية لمن

1 ص 104

2 ص 104 ب

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

هو عن يمينه. والثابت عن رسول الله ﷺ أنه كان يسلم تسليمتين، وما في الحديث ما يقتضي أن¹ الخروج من الصلاة يكون بعد التسليم.

واعلم أن السلام لا يصح من المصلي إلا أن يكون المصلي في حال صلاته مناجيا ربه، غائبا عن كل ما سوى الله من الأكوان والحاضرين معه. فإذا أراد الخروج من الصلاة، والانتقال من تلك الحالة إلى حالة مشاهدة الأكوان والجماعة، سلم عليهم سلام القادم لغيبته عنهم في صلاته عند ربه. فإن كان المصلي لم يزل مع الأكوان والجماعة - إن كان في جماعة - فكيف يسلم عليهم من هذه حالته؟ فإنه ما يرح عندهم. فهلا استحي هذا المصلي حيث يري بسلامه من صلاته أنه كان عند الله في تلك الحالة؟

فسلام العارف من الصلاة، لانتقاله من حال إلى حال؛ فيسلم تسليمتين: تسليمة على من ينتقل عنه، وتسليمة على من قدم عليه. إلا أن يكون عند الله في صلاته، فلا يسلم على من انتقل عنه؛ لأن الله هو السلام فلا يسلم عليه².

فَضْلُ بَلِّ وَضَلْ

فيما يقول الذي يرفع رأسه من³ الركوع، وفي الركوع

يقول العارف، الجامع لأكمل الصلوات، إذا رفع رأسه من الركوع: "سمع الله لمن حمده" نيابة عن ربه - سبحانه - ومترجما عنه؛ فإنه من كلام ربه تبارك وتعالى - ثم يسكت. ثم يقول؛ يرد على نفسه بلسانه: "اللهم ربنا ولك الحمد". وذلك أنه ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده. فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد، فإن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» فهذا يستحب للمنفرد أن يسكت سكنة يفصل بها بين قوله: "سمع الله لمن حمده" وبين قوله: "اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد. لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد".

كما أنه يقول في حال ركوعه بعد قوله فيه: "سبحان ربي العظيم وبحمده" ثلاث مرّات، إن كان منفردا أو مأموما. وإن كان إماما فإنه يقولها خمس مرّات، ليدرك المأموم أن يقولها ثلاثا. ثم يقول بعد هذا

1 ص 105
2 في الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغت قراءة لظهير الدين محمود علي، وكتب ابن العربي".
3 ص 105 ب

التسبيح: "اللهم لك ركعتُ وبك آمنتُ ولك أسلمتُ، خشع¹ لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي". اعلم أن العبد إذا ركع، فقد أعلمتك أنه في حال برزخي بين القيام والسجود، فيقول العارف بعد تسبيحه ربه بالتعظيم كما أوردناه، يقول: "اللهم لك ركعتُ". أي من أجل عزك، وعلوّك في كبريائك خضعتُ تعظيلا لك، يقول: لقيومتك التي لا تنبغي إلا لك.

فإنّي لما قمت بين يديك لم أقم إلا امتثالا لأمرك، حيث قلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾² فقمْتُ، وأنا أخضع في ركوعي من خاطرٍ ربما خطر لي في حال قيامي أني قمت لنفسي، فأعترف بين يديك بركوعي، أي لك ركعتُ، "وبك آمنتُ" يقول: بسببك أي بتأييدك صدقتُ، لا بخولي ولا بقوتي، أي لا حول لي ولا قوة إلا بك؛ إذ كانت القلوب بيدك التي هي محل الإيمان، "ولك أسلمتُ" أي من أجلك كان انقيادي، ولولاك ما تغيّرت أحوالي معك في عباداتي؛ فإنك الذي شرعت لي ذلك على لسان رسولك، فعلا وقولا ﷺ فصلّي وذكر، ثم أمرنا فقال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي» وأنت القائل: ﴿وَمَا يُطْلِقُ غَنَ الْهُوَى﴾³ فعلمنا أنه مأمور بأن يأمرنا، فذلك أمرك لا أمره، فإنك القائل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁴.

ثم يقول: "خشع لك سمعي" فيما كلمتني⁵ به في حال مناجاتي إياك بكلامك، ثم يقول: "وبصري" بـ "واو التشريك" وما تمّ إلا الخشوع، فكأنه يقول: وخشع لك بصري حياء منك، لعلمي بأنك ترائي في حال ركوعي بين يديك؛ فإنك "في قبلي"، كما أخبرني رسولك ﷺ، فأمرني أن أجعلك مشهودا في صلاتي "كأنّي أراك"، بل يا ربي؛ وإن مثّلت في نفسي أني أراك، فما أقدر أن أنكر علمي أنك ترائي، وما سبب الحياء مني إلا علمي بأنك ترائي لا بأني أراك، فإنه لا يعزب عنك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، يا من يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار.

ويقول: "ومخي وعظمي وعصبي" فإنك جعلت في كلّ ما ذكرت، قوة يكون بها قوام نشأتي وثبات هيكلتي، لتخصّل نفسي بهذه القوى، لبقاء هذه الصورة المكلفة ما أمرتها به أن تحضّله من المعرفة بك، فربما خطر لحّي وعظمي وعصبي الموصوفين بالخشوع لك، لما كانت أسبابا لما ذكرناه، فيدركها لذلك عجب وزهو؛ فوجب على كلّ واحد من هؤلاء أن يخشع لك، بتبرّيه من الحول والقوة في السببية؛ بأنك أنت

1 ص 106
2 [البقرة : 238]
3 [النجم : 3]
4 [النساء : 80]
5 ص 106 ب

الذي تحفظ علي قوام نشأتي لِتُحْصَلَ معارفِي.

فإذا رفع العارف رأسه من الركوع، يقول نيابة عن ربه، يُسمع نفسه خطاب ربه: "سمع¹ الله لمن حمده" في قوله، في حال ركوعه: "سبحان ربي العظيم وبحمده". وكلّ حمد وثناء حمده به وأثنى عليه به من أول شروعه في صلاته. ثم يزد بربه على ربه، بحضور نفسه من كونها بربه، بتأييده إياها في حولها وقوتها، فيقول: "اللهم ربنا" فيحذف حرف النداء، لأنّ المصلّي في حال قرب، والنداء يؤذن بالبعد، وأبقى المنادى -وهو لبقاء نفسه في جواب ربه- فيقول: "لك الحمد"، أي الثناء التام بما هو لك ومنك؛ فلا حامد ولا محمود إلا أنت، فلنك عواقب كلّ من في العالم وكلّ مثنى عليه، وهو قوله: "ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد".

يقول: كلّ جزء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما، وما في الإمكان من الممكنات مما توجد ويقتى في عدم عين ثابتة؛ كلّ جزء منه معلوم بحكم الوجود والتقدير، له ثناء خاص عليك، من حيث عينه وإفراده وجمعه وبغيره، في قليل الجمع وكثيره؛ أحمدك بلسانه ولسان كلّ حامد، من حمدك لنفسك وحمد ما سواك لك. فيكون لهذا الحامد بهذه الألسنة جميع ما يستدعيه من التجلي الإلهي، ومن الأجور المحسوسة لأجل طبيعته وتركيبه؛ فإنه حمده لسانا وقلبا، ظاهرا وباطنا.

وقوله: "أحقّ ما قال العبد" أي أوجب ما² يقوله عبد مثلي، ولي أمثال لسيد مثلك، ولا مثلك. "وكلنا لك عبد" يقول: أنوب عن أمثالي وهم جميع الممكنات موجودها ومعدومها، ممن يقول بك في علمه عن حضور، وممن يقول بنفسه عن غيبه؛ فأنوب عنهم في حمدك لمعرفتي بك التي منحتني، وجميلهم بما ينبغي لجلالك "لا مانع لما أعطيت" من الاستعداد لقبول تجلّ مخصوص وعلوم مخصوصة. "ولا معطي لما منعت": وإذا لم تعط استعدادا عامّا، فما تمّ سيد غيرك يعطي ما لم تعط أنت. "ولا ينفع ذا الجُد منك الجُد": أي من كان له حظ في الدنيا؛ من سلطان وجاه ومال، وتحكم بغيرك، في علمه لا في نفس الأمر، لم ينفعه ذلك عندك في الآخرة عند كشف الغطاء.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في السجود في الصلاة

فإذا سجد وسبح بربه الأعلى وبحمده، كما تقدّم، يقول في سجوده بعد تسيّحه: "اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وشقّ سمعه وبصره، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾"¹ اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، واجعل لي نورا، واجعلني نورا".

يقول العارف: "سجد وجهي" أي حقيقتي؛ فإنّ وجه الشيء حقيقته للذي خلقه، أي قدره من اسمه "المدبر"، وأوجده من اسمه "القادر البارئ المصور"، وشقّ سمعه بما أسمعه في "كن" وأخذ الميثاق ثم التكليف، وبصره بما أدركه ليعتبر في المبصرات، فإنّ ذلك في حق هذه النشأة وأمثالها. كما فطر السماوات والأرض وفنّنها بعد رتبها ليميزا؛ فيظهر المؤثّر والمؤثّر فيه لوجود التكوين ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ إثباتا للأعيان ليصحّ قوله: ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾³.

ثمّ دعا بالنور في كلّ عضو ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁴ الذي مثله "بالمصباح في الزجاجة" مقام الصفاء في المشكاة، مقام الستر من الأهواء، فلم تصبه مقالات القائلين فيه بأفكارهم "الموقد بالزيت" المضيء بالمقاربة -وهو حكم الإمداد من الشجرة، وهي المدد-؛ ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ في مقام الاعتدال: لا تميل عن غرض إلى شرق فيحاط بها علما، ولا إلى غرب فلا تعلم رتبها ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ وجود على وجود: وجود جود عيني على وجود مفتقر. ثمّ دعا بجعل النور في كلّ عضو، والنفور هو النور. وكلّ عضو فله دعوى بما خلقه الله عليه من القوة التي ركبها فيه وفطره عليها. ولنا علم ذلك رسول الله ﷺ دعا أن يجعل الله فيه علما وهدى منفرا لظلمة دعوى كلّ مدّع من عالمه. هذا زبط هذا الدعاء.

وآخر ما قال: "اجعلني نورا" يقول: اجعلني أنت، فإنه ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. فهناك قال الحقّ تعالى: «كنت سمعه وبصره ورجله ويده ولسانه» عندما يسمع ويبصر. ويتكلم ويبطش ويسعى يقول: اجعلني نورا يهدي بي كلّ من رآني في ظلمات برّ ظاهره، وبخر نفسه وباطنه. فأعطاه القرآن، وأعطاه

[المؤمنون : 14]

2 ص 108

3 [يونس : 24]

4 [النور : 35]

5 ص 108 ب

النفهم فيه. فإن هذه المنحة من أعلى المنح في رتبة هي أسنى المراتب. ومعناه غيبي عني، ولكن أنت بوجودي؛ فيرى بصري كل شيء بك، ويسمع سمعي كل مسموع بك. فإن نور كل عضو إدراكه. وهكذا جميع ما فصله، ولكن نور يقع به التمييز بين الأنوار، ولذلك نكره في كل عضو وفي نفسه وذاته. فيتميز نور الشال من نور اليين، ونور الفوق من نور التحت. وكذلك أنوار القوى والجوارح. ثم أقمني بعد هذا في عين الجمع والوجود؛ فتتحد الأنوار بأحدية العين. فإن لم أكن هناك، فيجفك إياي¹ نورا. وإن كنت هناك فيجفك لي نورا أهدي به في ظلمات كوني².

فصل بَلْ وَضَل

فما يقول المصلي بين السجدين في الصلاة من الدعاء
يقول المصلي إذا جلس بين السجدين في الصلاة: اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني واجبرني واهدني وعافني واعف عني. يقول العارف: استرني واستر من أجلي: استرني من الخالفات حتى لا تعرف مكاني فتقصدي³، (واستر من أجلي) نفسك عني إذ قد قلت: إن سُبْحَانَكَ مُخْرِقَةٌ أعيان كل موصوف بالوجود، وإن كان وجودك. ولكن كما أثر في الممكن صفة الوجود ولم يكن بالوجود موصوفا، كذلك أثر نسبته إلى الممكن، أن قيل فيه: "موجود" وإن كان مقيدا بالحدوث.

ولكن الحضرة الإلهية موصوفة بالغيرة على وجودها من أجل دعوى هذا المدعي. فلو لم تصدر منه الدعوى لما تسلط عليه. ولا بد (أنه) إذا ارتفعت الحجب أن تحرق السبحات⁴ ما أدركه البصر. من الخلق، يعني (الخلق) الطبيعي. فإن عالم الأمر أنوار فلا يحترق، بل يندرج في النور الأعظم. فإن عالم الأمر ما عنده دعوى. فيحترق عالم الخلق فيصير رمادا. فما ألحقه بالعدم بقي رمادا لا دعوى له. فإذا ما أغيمت سوى الدعوى: بإحالة العين التي أعطى استعدادها الدعوى، إلى عين ما لها دعوى.

وقوله: "وارحمني" برحمة الوجوب التي لا تحصل إلا بعد رحمة الامتنان، بما أعطيتني من التوفيق لتحقيق رحمة الوجوب، حتى أكون كل شيء وسعته رحمتك. فيطلب العارف رحمة الامتنان في عين

(رحمة) الوجوب: بالتوفيق للعمل الصالح الموجب لرحمة الاختصاص. فيريد أخذها من عين المنة التي يطلبها إبليس وأشياعه من الجن والإنس مع وصف هذا العارف بالعصمة والحفظ عن المخالفة والخذلان الموجب للحرمان.

ثم يقول: "وارزقني" يعني من غذاء المعارف¹ الذي يحيا به قلبي، كما رزقني من غذاء الجسم ما أقيت به جسدي الطبيعي وهيكل. ثم يقول: "واجبرني"، الجبر لا يكون إلا بعد كسر، وهو المهيض في اللسان. والمهيض² هو المكسور بعد جبر، وهو كسر العارفين. فإن العبد مكسور في الأصل بإمكانه. فجيده إنما هو بأن ألحقه (الله) بالوجوب ولكن بغيره. فلما أوجده (الله) بهذا الجبر كسرت معرفته بنفسه وبربه؛ فردته إلى إمكانه. فهذا كسر بعد جبر. والجبر لا يكون إلا عن كسر. فلماذا قلنا: هو المهيض في اللسان. كما أيضا يقول: "واجبرني" يعني: أوقفني على جبري في اختياري. فإن العبد مجبور في اختياره. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾³. يقول الله: «أنا» مع المنكسرة قلوبهم من أجلي».

ثم يقول: "واهدني" بين لي ما تنقي، ووقفني للبيان في الترجمة عنك لعبادك بما تهني من جوامع الكلم، ليصح وزني من رسولك ﷺ، فإنه قال ﷺ: «أعطيت سبعا لم يعطهن نبي قبلي» وذكر منها فقال: «وأوتيت جوامع الكلم».

ثم يقول: وعافني من أمراض القلوب التي هي أغراضها، لا من أمراض الجسوم؛ فإنك في غاية الشرب عند من أمرضت جسمه. فإنك قلت لي⁵ في الخبر الصحيح، الذي بلغه إلي رسولك ﷺ عنك أنك قلت: «مرضت فلم تعذني. فأقول لك: وكيف تمرض وأنت رب العالمين؟! فقال لي ﷺ: إنك تقول مجيبا لي: إن عبيدي فلانا مرض فلم تعده، أما أنك لو عدته لوجدتني عنده». ومن أنت عنده سبحانه - فما شقي، وما أمرضت عبدك إلا لتعوده، وتكون عنده. فمن أراد أن يجدك فليعد المريض. سبحانه تسيحا لا ينبغي إلا لك.

ثم يقول: "واعف عني" يقول كثر خيرك لي، وقُلْ بلاءك عني، أي قل ما ينبغي أن يقل، وكثر ما

1 يمكن قراءتها أيضا في ق: العارف.

2 ص 110

3 [النكوير: 29]

4 "يقول الله: أنا" ثابتة في الهامش

5 ص 110 ب

ينبغي أن يُكْتَر. وليس إلا عفوك عن خطيئتي التي طلبت منك أن تسترني عنها، حتى لا تصيبنني فأتصّف بها. والعفو من الأضداد: يُطْلَق بإزاء الكثرة والقلة. فَنُب عَنِّي يَا رَبِّ- فَإِنِّي لَا أَسْتَطِيع التَّحَرُّكُ إِلَى مَا أَمَرْتَنِي بِعَمَلِهِ، لِزِمَاتِي مَعَ إِرَادَتِي التَّحَرُّكُ.

فَصْلٌ بَلْ وَضَلْ

في القنوت في الصلاة

اختلفوا¹ في القنوت، فمن قائل: إنه مستحب في صلاة الصبح، ومن قائل: إنه سنة. ومن قائل: إنه لا يجوز القنوت في صلاة الصبح، وإنما موضعه الوتر. ومن قائل: يقنت في كل صلاة. ومن قائل: لا قنوت إلا في رمضان. ومن قائل: لا قنوت إلا في النصف الآخر من رمضان. ومن قائل: في النصف الأول من رمضان. وهو دعاء يدعو به المصلي. ومنهم من يراه قبل الركوع، ومنهم من يراه بعد الركوع. ومن الناس من لا يرى القنوت إلا في حال الشدة، وبه أقول. وهو مستحب عندي.

وقد روي في صفة قنوت الوتر دعاء خاص. وقد روي في قنوت الصبح دعاء خاص لم يثبت. فليدع من يرى القنوت بأي شيء شاء بحسب حاله. غير أنه يجتنب السب واللغة في القنوت. وليدع بخير الدنيا والآخرة. وما يُزَلَّف عند الله مثل ما ثبت في قنوت الوتر من قوله ﷺ: «اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت²، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إِنَّكَ قَاضِي- وَلَا يَقْضِي-³ عليك، وإِنَّه لَا يَذِلُّ من واليت، وَلَا يَضِلُّ من هديت، تباركت وتعاليت» فهذا⁴ تعليم من النبي ﷺ كيف ندعو الله في قنوتنا، وفي كل دعاء.

فالعارف ينظر فيما علم أن ندعو به أو بما يشبهه. فهو يطلب من الله أن يهديه فيمن هداه. فإن وقف مع صفة اللفظ، فهو يطلب في المستقبل أن يكون في الماضين. والمستقبل لا يكون في الماضي إلا إن جمعها وجه. فينظر العارف فيجد أن الجامع بين الماضي والمستقبل إنما هو العدم، إذ كان الوجود لا يصح إلا للحال. والوجود لا يكون إلا لله. فإن وجود الحال وجود ذاتي لا يصح فيه العدم، وله الدوام. وبهذا

1 ص 111
2 "وعافني فيمن عافيت" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
3 ق: قضى
4 ص 111 ب

وَصَفَّه أهل العريّة، فقالوا في تقسيم الأفعال: إن فعل الحال يسمى الدائم. وهو موجود بين طرفي عدم لا يمكن فيها وجود أصلا، وهو الماضي والمستقبل. وهو عين العبد. فهو الموصوف بالعدم. فقيده بالماضي - وهو العدم- وبالمستقبل وهو عدم. فـ"اهديني للمستقبل، و"هديت" للماضي. والعدم لا يقع فيه تمييز. فلهذا شرع له أن يقول: "اهديني فيمن هديت" وأمثاله.

فإذا حصلت الهداية، وهو عين وجود الحال، والحال¹ ظرف محقق، ولهذا جاء بـ"في" فقال: "فيمن". والعدم لا يكون ظرفا؛ لأنّ المعدوم لا شيء، والعدم عبارة عن لا شيء، ولا شيء لا يكون ظرفا لغير شيء. فالمفهوم من قوله: "اهديني فيمن هديت" وأمثاله بقوة ما تعطيه "في"، أي: إذا كسوتني وجود الهداية والتولي، وما وقع السؤال فيه؛ فليكن في الحال الذي له الدوام: فلا يوصف بالماضي فيلحق بالعدم، ولا بالمستقبل ولا يكون له وجود. والحق منزّه عن التقييد في أفعاله بالزمان.

والعبد الذي هو المخلوق: في الماضي موصوف بـ"ليس"، وفي المستقبل موصوف بـ"ليس"، وفي حال اتصافه بالوجود من حيث ذاته موصوف بـ"أيس". فكما أن "ليس" له حقيقة لا ينفك عنها، بل هي عينه، كذلك "أيس" الذي هو الوجود، هو للحق سبحانه- حقيقة، لا يوصف بتقيضه، بل الوجود عينه. وإن سلّب عن نفسه الفعل، وأضافه إلى السبب، فإن ذلك غير مؤثر في وجوده للحق: لما تحققتنا من أن العبد عدم، والعدم لا ينسب إليه شيء، وفي ذلك قلنا:

سُئِلُ² بِهِمْ وَتَغَيَّبَهُمْ وَمَاذَا
أَقُولُ بِهِمْ وَهَلْ عَلِمُوا بِأَنِّي
إِذَا عَبْدٌ تَحَقَّقَ إِذْ يُسْأَلُ
أَعْتَبَ مِثْلَهُ وَالْعَدْلُ نَعْتِي
بِتَحْقِيقِي؟ فَقُلْ لِي³ مَا أَقُولُ؟
أَقُولُ بِهِمْ؟ فَقُلْ لِي مَا تَسْأَلُ
بِأَنِّي قَائِلٌ وَهُوَ الْمُسْأَلُ
فَقُلْ لِي مَا تَسْأَلُ وَمَا تَسْأَلُ

يقول الله على لسان فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁴ وهو سبحانه- الأعلى حقيقة، فإن الله هو ربنا

1 ص 112
2 ص 112 ب
3 وكتب فوقها مباشرة بقلم الأصل ومن دون شطبها: "لي" ما فهم منه صحة اللفظين، وفي س: لي
4 بجانب هذا الشطر من البيت عبارة بقلم الأصل من غير إشارة التصويب: "فإني عند منطلق القول" بما فهم منه صحة المعنيين
5 [النارعات: 24]

الأعلى. ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾¹ العبرة في ذلك للعالم؛ فإن الله وصف العلماء بالخشية فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾² فيعتبر العالم كما أخبر الله من أين أخذ فرعون؟ وهذه صفة الحق ظهرت بلسان فرعون. فَعَلِمَ أَنَّهُ مَا قَالَهَا نِيَابَةٌ عَنِ الْحَقِّ كَمَا يَقُولُ الْمُصَلِّي: "سمع الله لمن حمده". فلما غاب عن النيابة في ذلك القول، طلبت الصفة موصوفها، فرجعت³ إلى الحق ﷻ وبقي فرعون مُعْرِى عنها، على أنه ما لبسها قط عند نفسه، فإن الله قد طبع على كل قلب متكبر جبار أن تدخله كبرياء. إذ لا ينبغي ذلك الوصف إلا لمن لا يتقيد. فهو الأعلى عن التقيد.

فكان الجزاء لفرعون لغيبته عن هذا المقام، أن أخذه الله نكال الآخرة والأولى، أي أوقفه على تقبيده أنه ليس له هذا الوصف. ﴿الْأُولَى﴾ للماضي وهي كلمة: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾⁴ و﴿الْآخِرَةُ﴾ للمستقبل، وهي كلمة: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁵ وهما عندنا أن الله أخذه ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ في الأولى. فاطَّلع بما أعلمه الله في أخذه ذلك، عن الإطلاق الذي ادَّعاه بالتقيد الذي هو النكال. فإن النكال في اللسان هو القيد، ولما رأينا الله قد عبر بالنكال، عرفنا أن النقيض هو الذي سلبه: وهو الإطلاق.

ففي موطن يقول سبحانه: ﴿ادْعُونِي﴾⁶، وفي موطن يُعَرِّفُنَا بأنه قد قضى القضية؛ وما يبدل القول لديه؛ وما سبق العلم به فهو كائن، ولا ينبغي حذر من قدر، وفي ذلك قلت بينين فيها رمز حسن، وهما:

إِذَا قُلْتُ: يَا اللَّهُ؛ قَالَ: لِمَا تَدْعُو
وَأَنَا أَنَا لَمْ أَدْعُو يَقُولُ: أَلَا تَدْعُو؟
فَقَدْ قَارَ بِاللَّذَاتِ مَنْ كَانَ أَخْرَسًا
وَحُصِّصَ بِالرَّاحَاتِ مَنْ لَا لَهُ سَمْعٌ

فينبغي للعبد إذا قرأ القرآن، أو تكلم بما تكلم به، أو كلمه غيره، أو سمع من سمع بأي لسان كان يتكلم، فإنه ليس في العالم صمت أصلا، فإن الصمت عدم، والكلام على الدوام؛ إذ فائدة الكلام الإفهام بالمقاصد للسامعين؛ والأحوال مُفَهِّمَةٌ، وهي الكلام، ولا يخلو موجود أن يكون على حال ما، فخاله هو عين كلامه، لأنه المنهَمُ الذي ينظر إليه ما هو عليه في وقته. فلا لسان أفصح من لسان الأحوال، وقرائن الأحوال تقيد العلوم التي تجيء بطريق العبارات، والعبارات من جملة الأحوال عندنا. فانطلق في

1 [النازعات : 25، 26]
2 [فاطر : 28]
3 ص 113
4 [القصص : 38]
5 [النازعات : 24]
6 [غافر : 60]
7 ص 113 ب

الاصطلاح اسم الكلام على العبارات؛ والعارفون بالله عندهم الوجود كله كلمات الله (التي) لا تنفذ أبدا. فافهم ما ينبغي للعبد أن يعرف من ذلك إذا سمع كلاما أو تكلم هو، أن يفرق ما بين ما هو العبد فيه نائب عن الله، وما هو الله فيه مترجم عن العبد. ويميز ذلك بالصفة: فإن الصفة تطلب موصوفها، فإنه لا يقبلها إلا من هي له. فإذا تضمن الكلام صفة لا تنبغي إلا للعبد: فالعبد صاحبها وإن وصف الحق بها نفسه. وإذا تضمن الكلام صفة لا تنبغي إلا لله: فالله صاحبها وإن وصف العبد بها نفسه. فهكذا نعتبر الكلام كله من وقع؛ سواء كان بالعبارات أو بالأحوال.

فهذا معنى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾² وهو العالم. وقوله: ﴿فِي ذَا﴾ إشارة إلى ما تقدم في القصة. والذي تقدم في القصة قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ وأخذ الله له ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أي هذه الدعوى أوجب هذا الأخذ، وأن الصفة طلبت موصوفها - وهو الله - وبقي فرعون غريبا عنها. فلم يكن له من يحميه عن الأخذ. يقول الله عن نفسه: «جئت فلم تطعمني» نيابة عن عبد جاع فلم تطعمه. فطلبت الصفة موصوفها وهو العبد (هنا)، فهكذا فهم العارفون الحقائق.

فصول بل وصول

في 3 أفعال الصلاة

فصل بل وصل

في رفع الأيدي في الصلاة

اختلف العلماء في رفع الأيدي في الصلاة، أعني في حكمها، وفي المواضع التي يرفعها فيها، وفي حدّ الرفع فيها إلى أين ينتهي بها؟ فأما الحكم فمن قائل: إن رفع اليدين سنة في الصلاة. ومن قائل: إنه فرض. وهؤلاء انقسموا أقساما: فمنهم من أوجب ذلك في تكبيرة الإحرام فقط، ومنهم من أوجب ذلك في الاستفتاح، وعند الانخراط إلى الركوع، وعند الرفع من الركوع، ومنهم من أوجب ذلك في هذين الموضعين، وعند السجود.

1 ص 114
2 [النازعات : 26]
3 ص 114 ب

وأما المواضع التي ترفع فيها الأيدي في الصلاة. فمن قائل: عند تكبيرة الإحرام فقط. ومن قائل: عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع. ومن قائل: يرفعها عند السجود وعند الرفع من السجود، وهو حديث واثل بن حجر. ومن¹ قائل: إذا قام من الركعتين، وهو رواية مالك بن الحويرث عن النبي ﷺ. وأما أنا فرأيت رسول الله ﷺ في رؤيا مبشرة، فأمرني أن أرفع يدي في الصلاة عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع من الركوع.

وأما الحد الذي تُرفع إليه اليدين. فمن قائل: إلى المنكبين. ومن قائل: إلى الأذنين. ومن قائل: إلى الصدر. ولكل قائل حديثٌ مرويٌّ أثبتنا إلى المنكبين؛ وحديث الأذنين أثبت من حديث الصدر. والذي أذهب إليه في هذه المسألة أن الأحاديث المروية في ذلك إنما هي في حكاية فعله ﷺ ما روي أنه أمر بذلك. وقد قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي» ومعلوم أن الصلاة تحوي على فرائض وسنن. فلا يُفهم من هذا الحديث أن أفعال الصلاة فرضٌ جميعها، لمعارضة الإجماع لهذا المفهوم. فلنصلها، ونرفع أيدينا في علم الشارع من غير تعيين فرض أو سنة، كما أحرم علي بن أبي طالب بإحرام النبي ﷺ حين لم يعلم بما أحرم، وأقره على ذلك رسول الله ﷺ وما أنكر عليه. فنرفع أيدينا في الصلاة على² حكم الشرع فيها، فنقبلها على ذلك الحكم.

وأما الحد؛ فمذهبي فيه أنه بفعله يقتضي التخيير. فإن الأحاديث وردت بحدود مختلفة فعلية. فأية حالة فعل المصلي أجزأته، فرضا كان أو سنة؛ والأولى الرفع إلى الأذنين. ولكن ينبغي أن يكون رفعهما على الصدر إلى حد المنكبين إلى الأذنين، فيجمع بين الثلاثة الأحوال. وكذلك المواضع تُعْمَلُ كلها عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع من الركوع، وعند السجود، وعند الرفع من السجود، وعند القيام من الركعتين؛ فإن ذلك لا يضره؛ فإنه قد ورد، وما ورد أن ذلك يبطل الصلاة، فما ورد ما يعارض ذلك.

وغاية المفهوم من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب أنه «كان النبي ﷺ يرفع يديه عند الإحرام مرة واحدة لا يزيد عليها»، (أي) أنه رفع مرة واحدة، لم يصنع ذلك مرتين عند الإحرام. ويحتمل أن يريد بقولها: "لا يزيد عليها" أي لا يرفعها مرة أخرى في باقي الصلاة. فما هو نص. وقد ثبتت الزيادة برفعه عند الركوع، وعند الرفع منه، وغير ذلك. والزيادة من العدل الثقة مقبولة. فالأولى رفعها في جميع المواطن التي جاءت

الرواية بالرفع فيها.

وأما اعتبار العارف في ذلك؛ فإن¹ رفع الأيدي يؤذن بأن الذي حصل فيها قد سقط عند رفعها، فكان الحق يقول له معلما: إذا وقفت بين يدي فقيرا محتاجا لا تملك شيئا، وكل شيء ملكك إياه فارم به، وقف صفر اليدين واجعله خلف ظهرك، فأني في قبلك. ولهذا يستقبل بكفيه قبلته قائمة ليُعلم أنه صفر اليدين مما كان فيها. ثم إنه إذا حطها، رجعت بطون الأكف تنظر إلى خلف، وهو موضع ما زمتها من يدها.

ثم إن الله يعطيه في كل حال من الأحوال -أحوال الصلاة- ما يقتضيه جزاء ذلك الفعل. فإذا ملكه تركه، وأعلم الحق، برفع يديه، أنه قد تركه في الموضع الذي ينبغي له أن يتركه. وقد توجه طالبا فقيرا صفر اليدين إلى الوهب الإلهي. فيعطيه أيضا. فيرفع يديه وهي خالية. هكذا في جميع المواطن التي علمه رسول الله ﷺ أن يرفع فيها يديه.

وقد يرفعها من باب الحول والقوة، إذ كانت محل القدرة الأيدي؛ فيرفع يديه إلى الله معترفا أن الاقتدار لك لا لي، وأن يدي خالية من الاقتدار. فمن رفعها إلى الصدر اعتبر كون الحق في قبلته، ومن رفعها إلى الأذنين اعتبر كون الحق فوقه، من قوله: ﴿وَهُوَ الْغَايُ فَوقَ عِبَادِهِ﴾²، في كل خفض ورفع بعمل ذلك، يقول بذلك الرفع من يديه: "أن³ لا حول لي ولا قوة في كل خفض ورفع، وأن القوة لك لا إله إلا أنت".

انتهى الجزء التاسع والثلاثون، يتلوه في الجزء الأربعين⁴.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في الركوع وفي الاعتدال من الركوع

اختلف العلماء في الركوع وفي الاعتدال من الركوع. فمن قائل: إنه غير واجب ومن قائل بوجوبه.

الاعتبار في ذلك:

الخضوع واجب في كل حال إلى الله تعالى - باطنا وظاهرا. فإذا اتفق أن يقام العبد في موطن يكون الأولى فيه ظهور عزة الإيمان وجبروته وعظمته لعز المؤمن وعظمته وجبروته، فيظهر في المؤمن من الأنفة والجبروت ما يناقض الخضوع. ففي ذلك الموطن لا يكون الخضوع واجبا، بل ربما الأولى إظهار صفة ما يقتضيه ذلك الموطن. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾¹. هذا موطن يجب أن تكون المعاملة فيه كما ذكر.

وقال في الموطن الآخر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾² فهو من باب إظهار عزة الإيمان بعز المؤمن. وثبت أن رسول الله ﷺ قال في غزوة وقد تراءى الجمعان: «من يأخذ هذا السيف بحقه، فأخذه أبو دجانة، فشى به بين الصقيين خيلاء مظهرها الإعجاب والتبخر. فقال رسول الله ﷺ: هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن». فإذا علمت أن للمواطن أحكاما فافعل بمقتضاها، تكن حكيما. ثبت أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي علمه فروض الصلاة: «اركع حتى تطمئن راکما، وارفع حتى تطمئن واقفا» فالواجب اعتقاد كونه فرضا.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في هيئة الجلوس

فمن قائل: يفضي باليمنى إلى الأرض، وينصب رجله اليمنى ويثني اليسرى، والرجل والمرأة في ذلك على السواء. وقال آخرون: ينصب الرجل اليمنى ويقعد على اليسرى. وفرق آخرون بين الجلسة الوسطى والآخرى، فقال: في الوسطى ينصب اليمنى ويقعد على اليسرى، وقال: في الجلسة الآخرة يفضي باليمنى إلى

1 [آل عمران: 159]

2 [التوبة: 73]

3 ص 117

الأرض وينصب رجله اليمنى ويثني اليسرى. وكل قائل له¹ مستند إلى حديث، فما فعل من ذلك أجزاءه.

الاعتبار في ذلك:

الجلوس في الصلاة جلوس العبد بين يدي السيد، وليس له أن يجلس إلا أن يأمره سيده. وقد أمر المصلي بالجلوس في الصلاة. قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا عبد، أجلس كما يجلس العبد» فأحسن الحالات في الجلوس في الصلاة هو الجلوس الذي يكون فيه أقرب إلى الوقوف بين يدي سيده، هذا إذا كان حال العارف حال ما ينبغي أن يكون عليه العبد من حيث ما هو عبد.

وإن كان العارف في محل النظر في أصل معرفته بنفسه ليعرف ربه، فالأولى في جلوسه أن يفضي باليمنى إلى الأرض في آخر جلوسه ولا بد. فإنه أقرب إلى النظر في ذاته، بخلاف الجلسة الوسطى فإن جلوسه فيها عارض عرض له من الحق أجلسه أي رده في النظر إلى نفسه لمعرفة يريد تحصيلها؛ فيكون كالمستوفر لأنه مدعو إلى الوقوف، وهي الركعة الثالثة، والطمانينة في الركوع والسجود.

وأحوال الانتقالات كلها في أحوال الصلاة² المراد بها الثبات لتحقيق ما يتجلى له فيها، لأنه إذا أسرع بأدنى ما ينطلق عليه اسم راع، يفوته علم كبير لا يناله إلا من ثبت. فلهذا أمر بالطمانينة في هذه المواطن؛ فإن العجلة من الشيطان، إلا في خمس، وهي مذكرة في بابها. فالمسارعة إلى الخيرات مشروع بعد الثبات والاطمئنان - في الخير الذي أنت فيه؛ فلا مناقضة بين الطمانينة والمسارعة.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في الجلسة الوسطى والآخرى

اختلف العلماء في الجلسة الوسطى والآخرى. فقائل في الوسطى: إنها سنة وليست بفرض. وشذ قوم فقالوا: إنها فرض. والأصل الذي أعتمد عليه في أفعال الصلاة كلها أن لا تحمل أفعاله ﷺ على الوجوب حتى يدل الدليل على ذلك. وأما الجلسة الأخيرة فبعكس الوسطى، والأكثرون أنها فرض. وشذ قوم فقالوا: إنها ليست بفرض. ومن قائل: إن الجلستين سنة وهو أضعف الأقوال. وفي³ الجلوس في وثري من الصلاة يذكر بعد هذا إن شاء الله - في فصله.

1 ص 117 ب

2 ص 118

3 ص 118 ب

الاعتبار في ذلك:

أما الجلسة الوسطى فإنها كما قلنا: عارض عَرَضَ لأجل القيام بعدها إلى الركعة الثالثة. والعارض لا ينتزل منزلة الفرض، ولهذا سجد من سها عنه، وفَرَّقَ بينه وبين الركن إذا فاتته. ولم يقتَرَنَ بالجلسة الوسطى أمرٌ فيحمل على الوجوب. وإنما هو أمر عارض عَرَضَ للمصلي في مناجاته من التجليات البرزخيات دعاه أن يُسَلِّمَ عليه لما شرع فيه من التحيات. فلما رأى أن ذلك المقام يدعوه إلى التحية تعيَّنَ عليه أن يجلس له، كما تَقَرَّرَ عليه في الجلسة الآخرة التي هي فرض.

والحكمة في ذلك، المشهودة، أن أصل الصلاة يقتضي - الشفعية، للقسمة المذكورة فيها بين الله وبين العبد. فأقلُّها ركعتان، إلا الوتر فإنَّ له خصوصَ وَضِيفٍ أذكره في الوتر إذا جاء إن شاء الله -. ولما ثبت عينُ الشفع بوجود الركعتين، فتميَّزَ الرَّبُّ من العبد فقد حصل المقصود. فلا بدَّ من الجلوس كما يكون في صلاة الصبح، وفي الصلاة الليلية مثنى مثنى، وفي صلاة السفر. وقول الراوي في أول فرض الصلاة: إنها¹ فرضت ركعتين ثم زيدَ في صلاة الحضر، وأقرت في السفر على الأصل. فلما عرض لهذا الشفع في الصلاة الثلاثية والرابعة أن الشيعيين إذا تألفا صحَّحَ على كل واحد منهما اسم الشيعيين.

ومن الناس من قال: كانا شيئا واحدا، وقد تألف بوجود الركعتين الأوليتين نسبة شيعة الصلاة للعبد، وبقي نسبة شيعة الصلاة للرب، فإنه قال عن نفسه: إنه يصلي علينا. فكانت الركعتان في الرابعة لهذا. ولما أراد أن يفصل بين الشيعة الأوليين والآخرين لتميُّزًا، فصل بينهما بالجلسة. وهذا هو العارض الذي عرض له حتى جلس، فإن فاتته سجد له، ولم يأت به كما يأتي بالركن إذا فاتته.

وأما وقوع الجلوس بعد التنتين في المغرب فلا أمر آخر خلاف هذا. وما هي بجلسة وسطى لأنه ليس بعدها ركعتان؛ فهي في الثلثين، وفي الرابعة في النصف. وذلك أن ينبَّه بأن الشيعة إذا تألفا كانا شيئا واحدا. فذلك الواحد هو عين الركعة الثالثة من المغرب. يشير بأن هاتين الركعتين المقسمتين بين عبد ورب، هي في المعنى واحدة. لأنَّ المعنى الواحد يتضمَّن الثاني من جميع وجوهه. وليس الآخر كذلك: لأنَّ الآخر يتضمَّن من وجه ولا يتضمَّن من وجه. فمن الوجه الذي² يتضمَّنَه ظهرت للرابعة ركعتان بعد الجلسة الوسطى: الركعة الواحدة للواحد، لتضمَّنَه معنى الآخر. والآخرى للآخر، لتضمَّنَه معنى³ الأول.

1 ص 119
2 ص 119 ب
3 ق: مع

ويبقى الوجه الواحد الذي لا أخ له بمنزلة الوتر الذي زادنا الله إلى صلاتنا، وهو ركعة واحدة لا ثاني لها، وهو الوجه الذي ينفرد به الحقُّ عتًا من حيث ذاته.

وصورة ذلك في المعارف: أن العبد يطلب الواجب الوجود لنفسه، لأنه ممكن، فلا بدَّ له من مرجح. فالعبد يتضمَّن الربَّ بوجوده بلا شك. فركعة المغرب أكثفُ بها لأنها تتضمَّن الثانية. ووجود الواجب لنفسه له وجهٌ لِتَضَمُّنِ الممكن: وهو وجهُ كونه لها قادرا مريدا. فقد تكون ركعة المغرب إلهية من هذا الوجه. وله سبحانه - وجهٌ أيضا إلى نفسه، لا يتضمَّن وجود الممكن جملة واحدة. وهو الغنى الذي له على الإطلاق. فهو بالنظر إليه سبحانه - لا يلزم من النظر فيه من حكم ذاته وجود العالم ولا بدَّ. إلا أن يُنظَر فيه من حيث ما يطلبه الممكن، فتظهر النَّسَبُ عند ذلك. وكونه قادرا فيطلب المقدور، ومريدا فيطلب المراد. فالوتر المفروض المراد له هو الوجه الذي للحق من حيث ما لا يطلب الأكوان¹ ولا تطلبه الأكوان إذا لم يُنظَر في ذواتها.

قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾² والعالمون هنا هم الدلالات على الله. فهو يقول في هذه الآية إنه غني عن الدلالات عليه. فرفع أن يكون بينه وبين العالم نسبة ووجه يربطه بالعالم من حيث ذلك الوجه الذي هو منه ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وهو الذي يسميه أهل النظر وجه الدليل. يقول الحق: ما تمَّ دليل علي، فيكون له وجه يربطني به، فأكون مقيدا به. وأنا الغني العزيز الذي لا تقتدي الوجوه، ولا تدل علي أدلة المحدثات.

فدليل الحق على الحق (هو) وجود الحق في عين وجود الممكن للممكن، من حيث ما هو وجوده وجود عين الحق، لا من حيث إنه موجود عن الحق، أو مفتقر إلى الحق. فإنَّ الممكن لا يفتقر إلا لأمر ممكن، يعني أنه يمكن أن يحصل له ويمكن أن لا يحصل، والافتقار إلى الممكن من الممكن محال، والافتقار إلى الواجب بنفسه من الممكن في غير ممكن محال. فلا افتقار لممكن ولا لواجب أصلا.

فالواجب الوجود غني على الإطلاق. والممكن ليس بفقير لممكن على الإطلاق، ولا لغير ممكن. فإنَّ تحصيل ما ليس بممكن لممكن محال. فالحق لا يحصل منه في العبد شيء³، ولا للعبد منه شيء. فالظاهر من الممكنات وأعيانها (هو) وجود الحق، والممكنات باقية على أصلها من الإمكان، لا تبرح أبدا. فمعنى

1 ص 120
2 [آل عمران: 97]
3 ص 120 ب

الاستفادة هي دلالة الحق بوجوده عليها لا دلالتها عليه: فإنها لا تدلّ عليه أبدا.

فالناظر في هذه المسألة يتوهم أنّ الكون دليل على الله، لكونه ينظر في نفسه فيستدلّ. وما علم أنّ كونه ينظر راجع إلى حكم كونه متصفا بالوجود. فالوجود هو الناظر، وهو الحق. فلو لم تتصف ذاته بالوجود فبماذا كان ينظر؟ فما نظر إلا الحق في الحق، فأنتج له الحق نفسه؛ فقال: عرفته الله بالله. وهو مذهب الجماعة. إذا ضريت الواحد في الواحد كان الخارج واحدا فافهم.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في التكتيف في الصلاة

اختلف العلماء في وضع إحدى اليدين على الأخرى في الصلاة. فكرها قوم في الفرض وأجازها في النفل. ورأى قوم أنّها من سنن الصلاة. وهذا الفعل مروي عن رسول الله ﷺ. كما روي في صفة صلاته أيضا أنّه لم¹ يفعل ذلك. وقد ثبت أيضا أنّ الناس كانوا يؤمرون بذلك.

اعتبار ذلك عند أهل الله:

تختلف أحوال المصلي بين يدي ربه ﷻ في قيامه بحسب اختلاف ما يناجيه به. فإن اقتضى ما يناجيه به التكتيف تكتف، وإن اقتضى السدّل وهو إرسال اليدين - أرسلهما. كما أنّه إذا اقتضت الآية الاستغفار استغفر، وإذا اقتضت الدعاء سأل، وإذا اقتضت تعظيم الجناح العالي عظم، وإذا اقتضت السرور سرّ، وإذا اقتضت الخشوع خشع. فهو بحسب ما يناجيه به. فلذلك ما ينبغي أن يقيّد المصلي في مناجاته بصفة خاصّة. ولهذا قال بالتخير في هذه المسألة، من قال. وكلّ هذه الهيئات جائزة وحسنة.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في الاتهاض من وثر صلاته

ذهبت طاقة (إلى) أنّ المصلي إذا كان في وثر من صلاته أن لا ينهض حتى يستوي قاعدا. واختار آخرون أن لا يقعد وإن² انتهض من سجوده نفسه.

اعتبار أهل الله في ذلك:

المصلي بحسب ما يدعوه الحق إليه؛ فإن دعاه وهو في حال سجوده إلى التعود قعد ثم ينهض، وإن دعاه إلى النهوض نهض؛ فهو بحسب ما يلقي إليه في نفسه. وقد تقدّم الكلام في الجلوس في الصلاة قبل هذا، فلتجرب على ذلك الاعتبار.

وأما الجلوس بين السجدين؛ فهو ليجمع في سجوده بين السجود عن قيام، والسجود عن قعود. فمن السجود عن الجلوس، يقف منه على أسرار نزول الحق من العرش الذي استوى عليه سبحانه - بالاسم الرحمن إلى السماء الدنيا. فيكون العبد في حال جلوسه بين السجدين يناجي "الرحمن" من حيث أنّه استوى على العرش. وفي سجوده من جلوسه يناجي الحق بالاسم "الرب" من حيث نزوله إلى عباده في الثلث الباقي من الليل. فيتجلّى له من هذه الأحوال ما يكون له به مزيد علوم مما تعطيه ما تتضمنه هذه الأحوال من الذكر والدعاء والهيئات، كلّ على حسب¹ شربه.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

فيما يضع في الأرض إذا هوى إلى السجود

اختلف الناس فيما يضع المصلي في الأرض إذا هوى إلى السجود؛ هل يضع يديه قبل ركبتيه أم لا؟ فذهبت طائفة إلى وضع اليدين قبل الركبتين. وذهب قوم إلى وضع الركبتين قبل اليدين.

اعتبار أهل الله في ذلك:

اليدان محلّ الاقتدار، والركبتان محلّ الاعتماد. فمن اعتمد على ربه مع الاقتدار الذي يجده من نفسه، كالجلم مع القدرة، قال بوضع الركبتين قبل اليدين. ومن رأى أنّ اليدين محلّ العطاء والكرم، ورأى قوله تعالى: ﴿فَقَدَّمُوا يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ﴾² قدّم اليدين على الركبتين.

ثم إنّ المعطي لا³ يخلو من إحدى حالتين: إمّا أن يعطي وهو صحيح شحيح يخشى الفقر وأمل الحياة، وإمّا أن يعطي وهو من الثقة بالله والاعتماد على الله بحيث أن لا يخطر له الفقر والحاجة يال؛ لعلمه بأن

1 ص 122

2 [المجادلة: 12]

3 ص 122 ب

1 ص 121

2 ص 121 ب

الله أعلم بمصالحه. فمن كانت هذه حالته قدّم ركبته على يديه. ومن كانت حركاته الشّحّ يجاهد نفسه خشي-
الفقر وبذل المجهود من نفسه في العطاء؛ قدّم يديه على ركبته.

والساجد أيّ حال قدّم من هاتين الحالتين فإنّ الأخرى تحصل له في سجوده ولا بدّ. فمن اعتمد وتوكل؛
حصل له صفة الجود والإيثار، وجميع مراتب الكرم والعطاء. ومن أعطى الله عن جبن وفزع؛ أثمر له ذلك
العطاء بهذه الحال؛ التوكل والاعتماد على الله. والذي رجّح الشارح تقديم اليدين.

فصل بَلّ وَضَل

في السجود على سبعة أعظم

اتفق العلماء ¹ على أنّه من سجد على الوجه واليدين ² والركبتين وأطراف القدمين فقد تمّ سجوده.
واختلفوا إذا سجد على وجهه ونقّص عضو من تلك الأعضاء؛ هل تبطل صلاته أم لا؟ فمن قائل: تبطل.
ومن قائل: لا تبطل. ولم يختلفوا أنّ من سجد على جبهته وأنفه فقد سجد على وجهه، واختلفوا فيمن سجد
على جبهته دون أنفه، أو على أنفه دون جبهته. فمن قائل: إنّ من سجد على جبهته دون أنفه جاز، وإن
سجد على أنفه دون جبهته لم يجز. ومن قائل: إنّ يجوز أن يسجد على أنفه دون جبهته، وعلى جبهته دون
أنفه. ومن قائل: إنّ لا يجوز إلّا أن يسجد عليهما معا.

والاعتبار في ذلك:

السبع الصفات ترجع إليها جميع الأسماء الإلهية وتتضمّن، وهي: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة،
والكلام، والسمع، والبصر. فلو نقص منها صفة أو نسبة على الاختلاف الذي بيننا في كونها نسبا أو
صفات - فقد بطل الجميع. أي لم يصحّ كون الحقّ إلها؛ وهو ² اعتبار الذي لا يحيز الصلاة إلّا بالسجود على
السبعة الأعضاء. فإنّها للحضرة الإلهية بمنزلة الأعضاء لهذا الساجد.

والذي يقول: إنّ الوجه لا بدّ منه بالاتفاق، كالحياة من هذه الصفات، التي هي شرط في وجود ما بقي
من الصفات السبع أو النسب على الاختلاف الذي بيننا. فمن عالم يقول: إنّ السمع والبصر - راجعان إلى
العالم، وإنّ العلم يغني عنهما، وإنّهما للعلم مرتبتان عيّنها المسموع والمبصر، فهما من العلم تعلّق خاص، قال

1 ص 123

2 ص 123 ب

بجواز الصلاة إذا نقص عضو من هذه الأعضاء مع سجود الوجه كالحياة.

ولمّا كانت الحياة تقتضي الشرف والعزة لنفسها على سائر الصفات والأسماء لكون هذه الصفات في
وجودها مشروطة بوجود الحياة، وكانت العزة والحياة مرتبطتين كالشيء الواحد، مثل ارتباط الجبهة والأنف
في كونهما عظاما واحدا، وإن كانت الصورة مختلفة. فمن قال: إنّ المقصود الوجه وأدنى ما ينطلق عليه اسم
الوجه يقع به الاجتزاء؛ أجاز السجود على الأنف دون الجبهة، وعلى الجبهة دون الأنف. كالذي يرى أنّ
الذات هي المطلوبة الجامعة.

ومن نظر إلى صورة الأنف وصورة الجبهة، ونظر إلى الأولى باسم الوجه فغلب الجبهة، وأنّ الأنف،
وإن كان مع الجبهة عظاما واحدا، لم يجز السجود على الأنف دون الجبهة لأنّه ليس بعظم خالص، بل هو
للعضلة أقرب منه إلى العظمية، فتميّز عن الجبهة. فكانت الجبهة المعتبرة في السجود؛ كذلك الحياة هي
المعتبرة في الصفات. وأنّ العزة وإن كانت لها بالإحاطة فإنّ العلم له الإحاطة أيضا فاشتركا. فلم ير للعزة أثر
في هذا الأمر.

ومن قال: لا بدّ أن يكون وجه الحقّ منيع الحمى عزيزا لا يُغالب، قال بالسجود على الجبهة والأنف
معا. ولمّا كان الأنف محلّ التنفّس، والتنفّس هو الحياة الحيوانية، كانت نسبته إلى الحياة أقرب النسب.

وبوجود هذه "السبعة" تمّ نظام العالم، وكان (أي العالم) مألوها مربوبا. ولم يبق في الإمكان حقيقة
إمكانية تطلب أمرا زائدا على هذه السبعة. فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم ². لأنّه ليس في الوجود
أكمل من الحق، وكماله في ألوهته بهذه الصفات المنسوبة إليه سبحانه. فلو ³ انعدمت صفة واحدة من
هذه الصفة أو نسبة، لم تصحّ المرتبة التي أوجدت العالم، ولم يكن للعالم وجود، وقد وجد، فالمرتبة
موجودة.

فالكمال حاصل والارتباط معقول، ولو ارتفع السبب لارتفع المسبّب، ولو زال المسبّب من العقل لم
يجد السبب من يظهر فيه أثره، فيزول كونه سببا. وكونه سببا إنّما هو لذاته؛ فينعدم السبب لانعدام

1 ص 124

2 في الهامش بخط آخر مع إشارة التصحيح والإدخال هنا: "ولما ارتبط العالم بهذه السبعة، فكانت هذه السبعة لو انعدم شيء منها
لانعدم الجميع، لذلك لو انعدمت ذرة من العالم من حيث عدم هيولها انعدم العالم كله، وإنه أيضا موقوف بعضه على بعضه، فلو زال
السبب زال المسبّب". وأضيف إليها حرف: خ

3 ص 124 ب

المسبب من كونه سببا لا غير، لا من حيث العين المنسوب إليها السببية: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾¹ من ذاته. وكلامنا إنما هو من كونه إليها. فكلامنا في المرتبة لا في العين. كما نتكلم في السلطان من كونه سلطانا، لا من كونه إنسانا. ولا فائدة في الكلام إلا في حقائق المراتب، لأن بها تعقل التفاضل بين الأعيان.

يقول أبو طالب المكي رحمه الله: "إن الأفلاك تدور بأنفاس العالم". وإذا أعطى الأمر ما في قوته، بحيث لا يبقى عنده شيء يعطيه، هلك من كونه معطيا. والمعتبر في بقاء العالم إنما هو عين جوهره، الذي أظهرت كونه صورة ما. فالصور لا يلزم من انعدام شيء منها، انعدام العالم من حيث جوهريته، إلا أن لا تكون الصورة أصلا، فيعدم العالم من حيث جوهره لانعدام جميع الصور. ويتعلق بهذا الباب مسائل من الإلهيات كثيرة.

فصل بَلَّ وَضَل في الإقعاء

أريد أن أعطي أصلا في هذه المسألة يسري في جميع مسائل الشرع، فنقول: إن الشارع إذا أتى بلفظ ما فإنه يحمل ذلك اللفظ على ما هو المفهوم منه بالمصطلح عليه في لغة العرب، إلى أن يختص الشارع ذلك اللفظ بوصف خاص، يخرج به ذلك الوصف عن مفهوم اللسان المصطلح عليه. فإذا عيّن الشارع ما أراد به ذلك اللفظ؛ صار ذلك الوصف بذلك اللفظ أصلا. فتمى ورد اللفظ به من الشارع فإنه يحمل على المفهوم منه في الشرع، حتى يدل دليل آخر من الشرع، أو من قرائن الأحوال، أنه يريد بذلك اللفظ المفهوم منه في اللغة، أو أمرا³ آخر يعينه أيضا. هذا مطرد في جميع ما يتلفظ به الشارع، ومثاله: لفظة الوضوء، والصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وأمثال هذا.

ثم نرجع إلى ما نحن بسبيله، فأقول: إن الإقعاء المفهوم منه في اللغة؛ إقعاء الكلب والقرود. وصفته أن⁴ يجلس الرجل على أليتيه، يفضي-بهما إلى الأرض، في الصلاة، ناصبا فخذه. فهذه صفة الإقعاء، إقعاء الكلب والسبع. ولا خلاف أذكر بين العلماء أن هذه الهيئة ليست من صفات الصلاة. وقد ورد النهي عن الإقعاء في الصلاة. فنحن نحمله على الإقعاء المعروف في اللسان؛ فإن خصصه الشرع بهيئة مخصوصة

1 [آل عمران: 97]
2 ص 125
3 ق: "أو أمر"
4 ص 125 ب

تخرجه عن المفهوم منه في اللسان منطوق بها، وقفنا عندها، ونعلم أن تلك الهيئة هي التي نهى عنها.

فقال طائفة: إن الإقعاء المنهي عنه؛ هو أن يجعل أليتيه على عتيبه بين السجدين، وأن يجلس على صدور قدميه. وروي عن ابن عمر أنه كان يفعل ذلك، لأنه كان يشتكي قدميه. والثابت عن ابن عمر أن قعود الرجل على صدور قدميه ليس من سنة الصلاة. وكان ابن عباس يقول: الإقعاء على القدمين في السجود على هذه الصفة هي سنة نبيكم ﷺ.

الاعتبار في ذلك:

هيئة الإقعاء (هي) هيئة المستوفز المحتفز. وهكذا ينبغي أن يكون العبد مع الله في أحواله. ولهذا قال ابن عباس: "الإقعاء سنة نبيكم ﷺ". فإن العبد ينبغي أن يكون على هيئة الاحتفاز، من أجل ورود أوامر سيده عليه؛ لا يفغل مراقبا لها، حتى إذا وردت عليه؛ وجدته متبينا لقبول ما جاءته به، فسارع إلى امتثالها. ولهذه الحالة أثر على من هذه صفته بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾² وفيهم قال: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾³ وكل من يطلب المسارعة في الأمور يكون حاله اليقظة والحضور والانتباه والاستيفاز والاحتفاز، فاعلم ذلك.

فيخرج النهي عن الإقعاء في الصلاة؛ أن لا يفغل (المصلي) من حيث التشبه بالكلاب والسباع في ذلك، وليفعل ذلك من حيث أنه مشروع على الهيئة المعقولة المنقولة في الموطن المنقول إلينا. فإنه من صفة الإقعاء اللغوي أن تكون يده في الأرض كما يثقي الكلب، وليس هذا في الهيئة المشروعة في الإقعاء. فهذا قد ذكرنا من أفعال الصلاة وأقوالها ما يجري مجرى الأصول لما يفتقر منها.

فصل بَلَّ وَضَل

في ذكر الأحوال في الصلاة

وبعد أن ذكرنا أكثر الأقوال والأفعال في الصلاة، فلننتقل إلى الأحوال؛ مثل صلاة الجماعة، وحكمها، وشروط الإمامة، ومن أولى بالتقديم، وأحكام الإمام الخاصة به، ومقام الإمام من المأموم، وأحكامهم

1 ص 126
2 [المؤمنون: 61]
3 [فاطر: 32]
4 ص 126 ب

الخاصة بهم، وما يتبع المأموم فيه الإمام مما ليس يتبعه فيه، وصفة الاتباع، وما يحمله الإمام عن المأموم، والأشياء التي بها إذا فسدت صلاة الإمام تعدت إلى المأموم على حسب ما فصلته الأئمة من علماء الشريعة، واختلاف العلماء في ذلك، ونذكر اعتبارات ذلك كله عند العلماء بالله بحسب ما يقتضيه الطريق إلى الله في أعمال القلوب والأسرار؛ فإن هذا الطريق عند أصحاب الذوق ما هو طريق نقل.

فلنذكر أولاً، قبل ذكر هذه الأحوال، حديثين مما يتعلق بأقوال الصلاة وأفعالها التي في الفصل قبل هذا؛ فهما كالخاتمة له، وإنما جعلتها في "فصل الأحوال" لحاجة¹ في نفس يعقوب قضاها وإنه لنوع علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون². الحديث الواحد في تعليم النبي ﷺ الصلاة للرجل الذي سألته أن يعلمه كيف يصلي، والحديث الثاني في صفة صلاة رسول الله ﷺ تسليماً.

أما الحديث الأول فهو حديث البخاري عن أبي هريرة، وذكر حديث الرجل الذي دخل المسجد وصلى، فقال له رسول الله ﷺ: «إرجع فصل فإنك لم تصل» فقال الرجل: «علمني يا رسول الله» فقال له رسول الله ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» وله في طريق أخرى: «ثم ارفع حتى تستوي قائماً» يعني من السجدة الثانية³.

وقال علي بن عبد العزيز، عن رفاعه بن رافع، في هذا الحديث: إن الرجل قال للنبي ﷺ: «لا أدري ما عيبت علي» فقال النبي ﷺ: «إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله، ويغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله ويحمده ويمجده، ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه ويسير، ثم يكبر ويركع؛ فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخي، ثم يقول: سمع الله لمن حمده، ويستوي قائماً حتى يأخذ كل عظم مأخذه، ويقوم صلبه، ثم يكبر فيسجد، ويمكن وجهه من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتسترخي، ثم يكبر فيرفع رأسه ويستوي قاعداً على مقعدته، ويقوم صلبه» فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ، ثم قال: «لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك» خرجه النسائي وهذا آئين.

1 ص 127
2 [يوسف: 68]
3 ص 127 ب

وقال النسائي في طريق آخر عن رفاعه أيضاً: «فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك، وإن انتقصت منها شيئاً؛ انتقص من صلاتك ولم تذهب كلها» وقال في أوله: «إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله، ثم تشهد، فأقيم ثم كبر» قال أبو عمر بن عبد البر: هذا حديث ثابت.

الحديث الثاني: وأما الحديث الثاني فهو الذي خرجه أبو داود في صفة صلاة رسول الله ﷺ عن محمد بن عمرو بن عطاء، قال: سمعت أبا حميد الساعدي في عشرة من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو قتادة قال أبو حميد: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ. قالوا: فلم؟ فو الله ما كنت بأكثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبة. قال: بلى. قالوا: فاعرض، قال:

«كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يكبر حتى يتركل عظم في موضعه معتدلاً، ثم يقرأ، ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثم يعتدل فلا ينصب رأسه ولا يثني، ثم يرفع رأسه ويقول: سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي منكبيه معتدلاً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يهوي إلى الأرض فيجافي يديه عن جنبه، ثم يرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقعد عليها، ويفتح أصابع رجله إذا سجد، ويسجد.

ثم² يقول: الله أكبر، ثم يرفع ويثني رجله اليسرى ويقعد عليها حتى يرجع كل عضو إلى موضعه، ثم يصنع في الآخرة مثل ذلك، ثم إذا قام من الركعتين كبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، كما كبر عند افتتاح الصلاة. ثم يصنع ذلك في بقية صلاته، حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم؛ أخرج رجله اليسرى، وقعد متوركاً على شقه الأيسر» قالوا: صدقت، هكذا كان يصلي ﷺ.

وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي في هذا الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائماً ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، وقال في الرفع من الركوع: «اعتدل حتى يرجع كل عظم في موضعه معتدلاً». وكذلك بين السجدين، وزاد في آخره ثم سلم. وقال هذا حديث حسن صحيح.

وهذا ابتداء فصول الأحوال إن شاء الله - نذكرها فصلاً فصلاً.

فصول الأحوال

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في ¹ ذَكَرَ ما وقع من الاختلاف في صلاة الجماعة

واختلفوا في صلاة الجماعة: هل هي واجبة على مَنْ سمع النداء أم ليست بواجبة. فمن قائل: إنها ستة. ومن قائل: إنها فرض على الكفاية. ومن قائل: إنها فرض متعين على كل مكلف.

الاعتبار في ذلك:

لَمَّا شرع الله للمصلي أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بنون الجمع - دلّ على أنّه مطلوب بكلّ جزء منه بالصلاة معاً في حال واحد. ولهذا سمّيت التكبيرة الأولى بتكبيرة الإحرام. أي يحرم على العبد في صلاته أن يتصرف بعضو من أعضائه فيما ليس من الصلاة، وكلّ ما أيج له من الفعل فيها فهو من الصلاة. ولكن لا من صلاة كلّ مصلٍّ إلّا لمُضَلَّ عَرَضَ له في صلاته من ذلك شيء ففعله. وهي أمور منصوطة عليها. وكلّ فعل يجوز أن يفعل في الصلاة فهو صلاة لأنّ الشارع عيّنّها، فلا تبطل الصلاة بفعل شيء منها.

فحضور جماعة العبد مع الله تعالى - في ² الصلاة واجب بلا شك. فعلى كلّ عضو من أعضائه في الصلاة صلاة. وأقلّ ما ينطلق عليه اسم الجماعة اثنان. يقول الله: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين». ووصف نفسه بأنّه يصليّ علينا. وقد أدخل نفسه مع العبد في الصلاة. وكلّ يصليّ مع ربّه بلا شك؛ فهو في جماعة بلا شك، ويكون الحقّ إماماً والعبد مأموماً؛ لأنّه هو الذي يقيمه ويقعده، ويكون العبد إماماً في المناجاة؛ فإنّ الله جعل ابتداء القول إليه. فما تمّ مصلٌّ فذاً.

فإن غاب عن الحضور مع الله في هذه الصلاة، فقد افترّد في هذه العبادة بنفسه دون ربّه، وهذا هو الفذُّ في الاعتبار. وهو على هذا، وإن كان في جماعة من عالمه فهو في حكم الفذِّ. والفذُّ الآخر أن يفرد الصلاة للربِّ لغلبة مشاهدته إيّاه وفنائه عن نفسه، فلا يشهد نفسه مصلياً، مع شهود وقوع الصلاة منه برّبّه؛ فهذا أيضاً يلحق بصلاة الفذِّ.

فإذا كشف العبد على كلّ جزء منه في صلاته أنّه مسبّح بحمد ربّه في صلاته - وكلّ جزء فإن عن نفسه بشهوده - فهو، من حيث ما هو مجموع، في جماعة؛ فله أجر الجماعة، وله أجر الفذِّ بكلّ جزء منه،

بالغا ما بلغت أجزاؤه ¹. فإن شئت قلت: إنّه صلى فذاً، وإن شئت قلت: إنّه صلى في جماعة، والحقّ (هو) الإمام.

ثمّ إن من العارفين من يقيمه الحقّ في مقام الإمامة، ويكون الحقّ مأموماً، وذلك مثل قوله ﷺ: «إن الله لا يملّ حتى تملّوا» فهو يجري معك ما دمت تجري معه، وهو قوله تعالى - من هذا الباب: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ ² وقوله: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأْ خَيْرَ مِنْهُمْ» فهذا معنى ³ الإمام والمأمووم. فهو سبحانه - قدّمك في هذا الموضع وأمثاله. ومثل: «أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ» ⁴. ومثل إمامته بك: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ في دَعَاةِ إِيَّاهُمْ، ثمّ يدعونه اقتداءً بدعائه؛ فيجيبهم بإجابتهم إيّاه. فانظر ما أكرم هذا الربّ، مع الغنى المطلق الذي وصف به نفسه؛ كيف ربط نفسه بعبد في جميع ما أمره به من العبادة، ذلك هو الفضل المبين.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

فمَنْ صَلَّى وحده ثمّ أدرك الجماعة، أو ⁵ صَلَّى في جماعة ثمّ إنّه أدرك جماعة أخرى اعلم أنّه مَنْ صَلَّى ثمّ أتى المسجد فلا يخلو من أحد وجهين: إمّا أن صَلَّى منفرداً أو في جماعة، فإن كان صَلَّى منفرداً، فمن قائل: يعيد معهم كلّ الصلوات إلّا المغرب فقط، وقالت طائفة: يعيد إلّا المغرب والعصر. وقالت طائفة: إلّا المغرب والصبح، ومن قائل: إلّا الصبح والعصر. وقالت طائفة: يعيد الصلوات كلّها. وأمّا إذا صَلَّى في جماعة؛ فهل يعيد في جماعة أخرى؟ فمن قائل: يعيد. ومن قائل: لا يعيد.

وأما مذهبنا في مثل هذه المسألة: إنّ الجماعة فرض إذا قدر عليها، فإن لم يقدر عليها فيصلّي منفرداً، فإن أدرك الجماعة - ولو كان صَلَّى في جماعة - فإنّه يصليّ مع الجماعة إذا أدركها؛ إجابةً لندائه في الإقامة: "حيّ على الصلاة"، وهي له نافلة في الحالتين، وله أجر الجماعة إذا لم يقدر عليها.

وصل في اعتبار ذلك في النفس:

1 ص 130
2 [البقرة: 152]
3 ربما كانت في ق: "يعني" نظراً لتقارب شكل الياء والميم في الكتابة عند الشيخ وعدم كتابة الفاصلة.
4 [البقرة: 186]
5 ص 130 ب

لَمَّا عَيْن الشَّارِعِ الْمُنَاجَاةَ لِلصَّلَاةِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَدِيثُ، وَفِيهِ: «وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» إِعْلَامًا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ مَشَاهِدَةِ الْحَقِّ فِيهَا عَلَى وَجْهِ أَمٍّ مِنْ مَشَاهِدَةِ الْأَتْبَاعِ فِي قَوْلِهِ فِي الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وَمَا خَصَّ عِبَادَةَ مَنْ عِبَادَةٍ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ﴾¹ وَهُمْ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ -سَبْحَانَهُ- فِي كُلِّ حَالٍ يَرْضِيهِ، وَلَا حَالَ أَشْرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ لَجْمَعِهَا بَيْنَ الشُّهُودِ وَالْمُنَاجَاةِ؛ وَقَالَ: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾² وَالطَّهَارَةُ مِنْ شُرُوطِ الصَّلَاةِ.

وَالْحَبُّ يَتِمُّ وَيُسْتَهَيُّ أَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي مَشَاهِدَةِ مَحْبُوبِهِ عَلَى الدَّوَامِ وَمُنَاجَاتِهِ، فَكَيْفَ إِذَا دَعَاهُ الْحَبِيبُ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ" فَالضَّرُورَةُ يَبَادِرُ وَيَسَابِقُ إِلَى مَا دَعَاهُ لِيَلْتَمِذَ بِشُهُودِهِ وَمُنَاجَاتِهِ.

فَيَرَى مَنْ هَذَا حَالُهُ إِعَادَةَ الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَةِ مَتَى أَقِيمَتْ وَدُعِيَ إِلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ صَلَّى مُنْفَرِدًا أَوْ فِي جَمَاعَةٍ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْفَذِّ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْفَصْلِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا.

وَأَمَّا مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَعِيدُ الصَّلَاةَ، فَهَمُ الْعَارِفُونَ. كَمَا أَنَّ الَّذِينَ يَرُونَ الْإِعَادَةَ، هُمُ الْمُجْتَبُونَ. وَذَلِكَ أَنَّ الْعَارِفِينَ عَلِمُوا أَنَّ الْإِعَادَةَ مُحَالٌ؛ وَأَنَّ التَّجَلِّيَ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي صَلَاتِهِ غَيْرُ التَّجَلِّيِ الَّذِي يَكُونُ لَهُ فِي الصَّلَاةِ الْآخَرَى، إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى. فَلَمَّا اسْتَحَالَ عِنْدَهُ التَّكْرَارُ وَالْإِعَادَةُ لِلاتِّسَاعِ³ الْإِلَهِيِّ، لَمْ تَصَحَّ عِنْدَهُ الْإِعَادَةُ.

فَالْحَبُّ يَصَلِّيُ مَعِيدًا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ. وَالْعَارِفُ يَصَلِّيُ لَا عَلَى جِهَةِ الْإِعَادَةِ، وَهُوَ يَعْرِفُ. فَالْعَالِمُ أَشْرَفُ الْمَقَامَاتِ. وَالْحَبُّ أَشْرَفُ الْأَحْوَالِ. وَالْجَامِعُ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ -الْحُبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ- يَقُولُ بِالْإِعَادَةِ لِلتَّجَلِّيِ، وَبَعْدَ الْإِعَادَةِ بِالْمُتَجَلِّيِ لَهُ. فَهِيَ الْأَوَّلِيَّةُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، فَرَضًا كَانَتْ أَوْ نَقْلًا.

وَأَمَّا مَنْ لَا يَرَى إِعَادَةَ الْمَغْرِبِ، فَإِنَّ الْمَغْرِبَ وَثَرِيَّةُ الْعَبْدِ، وَالْوَتْرَ اللَّيْلِيُّ وَثَرِيَّةُ الْحَقِّ. فَإِنَّ وَتَرَ اللَّيْلِ رُكْعَةً وَاحِدَةً. وَالْأَحَدِيَّةُ لَهُ تَعَالَى وَجَلَّ -وَوَثَرِيَّةُ الْمَغْرِبِ ثَلَاثَ رُكْعَاتٍ. فَجَمَعَ (الْمَغْرِبَ) بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. وَهُوَ أَوَّلُ الْأَفْرَادِ. وَ«إِنَّ اللَّهَ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ» فَلَا يَرَى الْعَبْدُ رَبَّهُ مِنْ حَيْثُ شَفْعِيَّتِهِ، وَإِنَّمَا يَرَاهُ مِنْ حَيْثُ وَثَرِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ.

وَاللَّهُ وَثَرِيَّةُ الْفَرْدِيَّةِ فِي كَوْنِهِ إِلَهًا، وَوَثَرِيَّةُ الْأَحَدِيَّةِ مِنْ كَوْنِهِ ذَاتًا. وَإِذَا رَأَى الْعَبْدُ رَبَّهُ مِنْ حَيْثُ وَثَرِيَّتِهِ الْإِلَهِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ، مِنْ تِلْكَ الْوَثَرِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ، يَرَى وَثَرِيَّةَ الذَّاتِ الْأَحَدِيَّةِ لَا مِنْ جِهَةِ وَثَرِيَّةِ الْعَبْدِ الْفَرْدِيَّةِ: فَلَمْ يَرِ اللَّهَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَلَوْ أَعَادَ الْمَغْرِبَ، لَصَارَتْ وَثَرِيَّةُ الْعَبْدِ شَفْعًا، فَلَمْ يَكُنْ يَرَى رَبَّهُ وَتَرًا أَبَدًا. فَقَالَ: بَتَرَكَ الْإِعَادَةَ لِلْمَغْرِبِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ.

وَمَنْ قَالَ بِإِعَادَةِ الْمَغْرِبِ، قَالَ: يَعِيدُهَا بِوَثَرِيَّةِ الْفَرْدَانِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ لَا بِوَثَرِيَّتِهِ. فَتَبْقَى وَثَرِيَّتُهُ عَلَى فَرْدِيَّتِهَا لَا تَصِيرُ شَفْعًا بِإِعَادَةِ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ مُفَيِّرٌ عَنِ الْحَلْقِ بِلَا شَكٍّ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَرِ إِعَادَةَ الصُّبْحِ؛ فَإِنَّ الصُّبْحَ الْأَوَّلَ عَيْنُ الْفَرَضِ، وَكَذَلِكَ الْعَصْرُ -وَالصُّبْحُ الثَّانِي وَالْعَصْرُ- الثَّانِي هُمَا نَافِلَةٌ. وَالْإِنْسَانُ فِي آدَاءِ الْفَرَضِ عَبْدٌ مُحَضَّرٌ، عَبْدِيَّةُ اضْطِرَارٍ. وَهُوَ فِي النَّفْلِ عَبْدٌ اخْتِيَارٍ. وَعَبْدِيَّةُ الْاضْطِرَارِ أَشْرَفُ فِي حَقِّهِ مِنْ عِبْدِيَّةِ الْاخْتِيَارِ؛ لِأَنَّ لَهُ فِي عِبْدِيَّةِ الْاخْتِيَارِ امْتِنَانًا بِالْإِسْتِرْقَاقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَنَبَّهُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَتَنَبَّهُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَنْصُرُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾².

وَلَمَّا شَبَّهَ الْحَقُّ رُؤْيَا الْعِبَادِ إِيَّاهُ بِرُؤْيِهِمُ الشَّمْسَ، صَارَ لِلشَّمْسِ عِنْدَهُمْ مَزِيدُ رُتَبَةٍ، وَلَا سِتْمًا لِلْمُحِبِّينَ، لَكُنْ الْحَبِيبُ ضَرَبَ بِرُؤْيَتِهَا الْمُثَلَّ فِي رُؤْيَتِهِ فِي التَّشْبِيهِ. فَهَمُ إِذَا رَأَوْهَا كَأَنَّهُمْ يَرُونَ اللَّهَ، لِأَنَّ رُؤْيَتَهُمُ إِيَّاهَا تُذَكِّرُهُمْ مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ رُؤْيَتِهِ، فَيَرِيدُونَ أَنْ لَا تَطْلُعَ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ إِلَّا وَهُمْ مُوصُوفُونَ بِعَبْدِيَّةِ الْاضْطِرَارِ، وَلَا تَغْرُبَ عَنْهُمْ الشَّمْسُ إِلَّا وَهُمْ أَيْضًا فِي عِبْدِيَّةِ الْاضْطِرَارِ، كَمَا يَرِيدُونَ رُؤْيَا اللَّهِ فِي حَالِ الْاضْطِرَارِ وَالْعَبْدِيَّةِ الْخُضْعَةِ، فَإِنَّ لَذَّتَهَا أَمٌّ وَأَحْلَى، كَمَا أَنَّ رُؤْيَهَا أَمٌّ وَأَجْلَى.

وَلَتَكُونُ الشَّمْسُ فِي غُرُوبِهَا وَطُلُوعِهَا تَقُولُ لِرَبِّهَا: "تَرْكَاهُمْ غَيْبٌ اضْطِرَارٍ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ غَيْبٌ اضْطِرَارٍ"، كَمَا تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ³ يَعْرِجُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَسْأَلُهُمُ الْحَقُّ عَمَّا هُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ: «كَيْفَ تَرْكُمُ عِبَادِي؟» فَيَقُولُونَ: تَرْكَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ. فَلَا تَتَصَرَّفُ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ، وَلَا تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْآخَرُونَ إِلَّا عِنْدَ شُرُوعِهِمْ فِي الصَّلَاةِ؛ سِوَاهُ قَامُوا إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ أَوْ فِي آخِرِهِ؛ كُلُّ إِنْسَانٍ لَا تَتَصَرَّفُ عَنْهُ مَلَائِكَةٌ إِلَّا كَمَا قُلْنَا.

ولهذا عند أهل الإيمان وأهل الكشف؛ أن المصلي إذا أراد أن يكبر تكبيرة الإحرام في صبح العصر، يقول: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" لأنهم، في ذلك الوقت، تنصرف عنهم الملائكة الذين كانوا فيهم، وترد عليهم الملائكة الذين يأتون إليهم، وهم عند إتيانهم يسلمون على العبد، وعند انصرافهم يسلمون أيضا. والله قد أمرنا بقوله: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾¹. فوجب على كل مؤمن عنده حق إيمانه وحقيقته أن يرد في ذلك الوقت السلام عليهم، وإلا فهو طغف في إيمانه إن حضر مع هذا الخبر، وتذكره في ذلك الوقت. وأما صاحب الكشف فهو على علم عني، والمؤمن على بصيرة.

ومن استثنى العصر - دون الصبح، رأى أنه لا يستقبل الغيب إلا بعبودية الاضطرار، لأن الغيب (هو) الأصل، وهو هويته الحق، ولا يفارق الغيب الهويته، قال: والصبح خروج من الغيب² إلى الشهادة، فلا أبالي بالشهادة على أية حالة كت من العبودية: من اضطرار أو اختيار؛ لأن الغرض الوقوف في العبودية، وأن الشهادة محل الدعوى؛ لأنه محل الحركة والمعاش وروية الأغيار وحجيات الأفعال.

ومن استثنى الصبح دون العصر، قال: أريد أن استقبل الاسم الظاهر بعبودية الاضطرار، ولا أبالي باستقبال الليل بأي عبودية استقبلته: بعبودية الاضطرار ولا بعبودية الاختيار. ولهذا تنفل بعد العصر - رسول الله ﷺ وما تنفل بعد الصبح فقط. وذلك أن هذا الذي مذهبه النفل بعد العصر - إن شاء - يقول: الليل له الغيب، وله الاسم الباطن، وله من القوة بحيث أنه يجعلني مضطرا، شدت أم أبتت، وليس النهار كذلك. فإن استقبلته بعبودية الاختيار فهو يحكم علي سلطانه، ويردني مضطرا. فكل طاقة راعت أمرا ما في الاعتبار في الصلوات التي لا ترى إعادتها إذا صلتها، وقد تقدم معرفة المنفرد والجماعة.

فصل بل وصل

فمن (هو) أولى بالإمامة

قال رسول الله ﷺ: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ». فقالت طائفة: «أَفَقَهُهُمْ لَا أَقْرَأُهُمْ». فهذه مسألة خلاف بين أصحاب هذا القول وبين رسول الله ﷺ. فإني سألت القائلين بهذا المذهب: هل بلغكم هذا الحديث؟ فاعترفوا، فقالوا: رويناه وعلمناه. ويقول رسول الله ﷺ أقول، ولا حجة للقائنين بخلاف ما قاله.

[1] النساء: 86

2 ص 133

3 ص 133 ب

ولا سيما ورسول الله ﷺ يقول في هذا الحديث:

«فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة» ففرق بين الفقيه والقارئ، وأعطى الإمامة للقارئ ما لم يتساويا في القراءة، فإن تساويا لم يكن أحدهما أولى بالإمامة من الآخر، فوجب تقديم العالم الأعم بالسنة، وهو الأفقه.

ثم قال ﷺ: «فإن كانوا في العلم بالسنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم إسلاما. ولا يؤم الرجل في سلطانه، ولا يُتعد في بيته على تكريمه إلا بإذنه» وهو حديث متفق على صحته، وبه قال أبو حنيفة، وهو الصحيح الذي يعول عليه.

وأما تأويل المخالف للنص بأن "الأقرا" كان في ذلك الزمان "الأفقه"، فقد رد هذا التأويل قوله ﷺ: «فأعلمهم بالسنة».

واعلم أن كلام الله لا ينبغي أن يقدم عليه شيء أصلا، بوجه من الوجوه. فإن الخاص إن تقدمه من هو دونه فليس بخاص. و«أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» وهم الذين يقرءون حروفه من عجم وعرب. وقد صحت لهم الأهلية الإلهية والخصوصية. فإذا انضاف إلى ذلك المعرفة بمعانيه؛ فهو فضل في الأهلية والخصوصية، لا من حيث القرآن بل من حيث العلم بمعانيه. فإن انضاف إلى ذلك إلى حفظه والعلم بمعانيه - العمل به؛ فنور على نور على نور.

فالقارئ مالك البستان. والعالم كالعالم بأنواع فواكه البستان وتطعيمه ومنافع فواكه. والعامل كالأكل من البستان. فمن حفظ القرآن وعلمه وعمل به كان كصاحب البستان: علم ما في بستانه، وما يصلحه وما يفسده، وأكل منه. ومثل العالم العامل الذي لا يحفظ القرآن: كمثل العالم بأنواع الفواكه وتطعيماتها وغراستها، والأكل الفاكهة من بستان غيره. ومثل العامل: كمثل الأكل من بستان غيره. فصاحب البستان أفضل الجماعة، الذين لا بستان لهم؛ فإن الباقي يفتقرون إليه.

وصل: في اعتبار ذلك:

الأحق بالإمامة من كان الحق سمعه وبصره ولسانه وسائر قواه. فإن كانوا في هذه الحالة سواء،

فأعلمهم بما تستحقه الربوبية. فإن كانوا في العلم بذلك سواء فأعرفهم بالعبودية ولوازمها. وليس وراء معرفة العبودية حال يرضى، يقوم مقامه، أو يكون فوقه: لأنهم لذلك خلقوا. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾².

والإمامة على الحقيقة إنما هي لله الحق تعالى جلالة. وأصحاب هذه الأحوال إنما هم نوابه وخلفاؤه. ولهذا وصفهم بصفاته. بل جعل عينه عين صفاتهم. فهو الإمام لا هم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾³ وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁴ وقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁵ أي أصحاب الأمر. وأصحاب الأمر، على الحقيقة، هم الذين لا يقف لأمرهم شيء: لأنهم بالله يأمر، كما به يسمعون، كما به يصرون. فإذا قالوا لشيء: "كن" فإنه يكون، لأنهم به يتكلمون. فهذا معنى: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ في الاعتبار. ولهذا كانت طاعة السلطان واجبة، فإن السلطان بمنزلة أمر الله المشروع: من أطاعه نجا، ومن عصاه هلك.

فصل بل وصل

في إمامة الصبي غير البالغ إذا كان قارئا

اختلفوا في إمامة الصبي غير البالغ إذا كان قارئا. فأجاز ذلك قوم مطلقا، ومنع من ذلك قوم مطلقا، وأجازة قوم في النفل دون الفريضة.

اعتبار الأمر في ذلك:

يقال: "صبا فلان إلى كذا" إذا مال إليه. ولما كان الصبي يميل إلى حكم الطبيعة ونيل أغراضه؛ سمي صبيًا؛ أي مائلا إلى شهواته. وهو غير البالغ حد العقل، الذي يوجب التكليف. وكانت الطبيعة في الرتبة دون العقل فلم يصح لها التقدم، ولا لمن مال إليها، وإن كان مائلا إليها بحق، فإن لها مقام التأخر. فلا بد أن يتأخر، والمتأخر لا يكون إماما مقدما، فإنه تقيض حكم ما هو فيه. فمن راعى هذا الاعتبار لم يجز

1 ص 134 ب
2 [الناريات : 56]
3 [الفتح : 10]
4 [النساء : 80]
5 [النساء : 59]
6 ص 135

إمامة الصبي، وإن كان قارئا.

ومن راعى كونه حاملا للقرآن، جعل الإمامة للقرآن لا للصبي، وكانت إمامة الصبي في حكم التبعية لأجل القرآن، فأجاز إمامة الصبي. قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾¹ يعني حكم الإمامة، وقالوا: ﴿كَيْفَ تَكَلَّمَ مَنْ كَانَ فِي النَّهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾² وهو مقام الإمامة مع تسميته صبيًا.

ومن جعل عبودية الصبي عبودية اختيار لمسقوط التكليف عنه - ورأى³ أن النافلة عبادة اختيار، أجاز صلاة الصبي إماما في النفل دون الفرض للمناسبة في الاختيار.

فصل بل وصل

في إمامة الفاسق

فردّها قوم بإطلاق، وأجازها قوم بإطلاق، وفرّق قوم بين الفاسق المقطوع بفسقه وبين المظنون بفسقه: فلم يجيزوا الإمامة للمقطوع بفسقه، وأن المصلي وراءه بعيد. واستحبوا الإعادة لمن صلى خلف المظنون بفسقه في الوقت، وفرّقوا أيضا بين من يكون فسقه بتأويل وبين من يكون بغير تأويل: فأجازوا الصلاة خلف المتأول، ولم يجيزوها لغير المتأول. وبالإجازة على الإطلاق أقول، فإن المؤمن ليس بفاسق أصلا، إذ لا يقاوم الإيمان شيء مع وجوده في محل العاصي.

الاعتبار في ذلك:

الفاسق من خرج عن أصله الحقيقي، وهو كونه عبدا، لأنه لهذا خلق. فإنه لا بد أن يكون عبدا لله أو عبدا ليهواه. فما برح من الرق. فلم يبق خروجه إلا عن الإضافة التي أمر أن ينضاف إليها؛ فتجوز إمامته. لأن الموفق من عباد الله يأتم بهذا الفاسق؛ فإنه يراه قائما بعبوديته في حق هواه، الذي فيه شقاؤه، فيتعلم منه استيفاء حق العبودية التي أمره الله أن يكون بها عبدا له؛ فيقول: أنا أولى بهذه الصفة في حق الله، من هذا العبد في حق هواه.

1 [مریم : 12]
2 [مریم : 29، 30]
3 ص 135 ب
4 ص 136

فلما رأينا أولياء الله يأتون به، وينفعهم ذلك عند الله، ويكون هذا الاقتداء سببا في نجاتهم، صحت إمامته. وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج، وكان من الفساق بلا خلاف المتأولين بخلاف. فكل من آمن بالله، وقال بتوحيد الله في ألوهته؛ فالله أجل أن يسمى هذا فاسقا حقيقة مطلقا، وإن سمي لغة؛ لخروجه عن أمر معين، وإن قل. والمعاصي لا تؤثر في الإمامة ما دام لا يسمى كافرا. وأما الفسق المظنون؛ فبعيد من المؤمن إساءة الظن، بحيث أن يعتقد فسوق زيد بالظن، لا يقع في ذلك مؤمن مريض الإيمان عند الله.

وهذا كله في الأحوال الظاهرة. وأما الباطنة فذلك إلى الله، أو من أعلمه الله. ثم يرتقي العارف بالنظر في الفسوق مما يذمه الشرع إلى ما تعطيه اللغة. ولكن في الاعتبار لا في الحكم الظاهر؛ وهو إذا خرج الإنسان عن إنسانيته بخروجه عن حكم طبيعته عليه، إلى عالم تقديسه من الأرواح العلوية، فهل تصح له إمامة هنالك أم لا؟ فمن أصحابنا من قال: تصح إمامته بالعالم الأعلى على الإطلاق، وهو مذهبنا. ومن أصحابنا من قال: لا يؤم إذا خرج عن حكم طبيعته إلا بالأرواح المفارقة للأجسام الطبيعية من الجن والإنس.

وسبب اختلافهم أن كل صاحب كشف أخبر عما رأى في كشفه في ذلك الوقت، والمكاشف قد يطالع وقتا على الأمر من جميع جهاته، وقد يطالع على بعض وجوهه، ويستتر الله عنه ما شاء من وجوه ذلك الأمر؛ فيحكم المكاشف على الكل، فيكون صحيح الكشف، مخطئا في تعميم الحكم. ثم يرى أنه من حيث روحه من جملة الأرواح الملكية، فيقول: (لبي) وإن خرجت عن طبيعتي؛ فلم أخرج عن ملكيتي لما في من عالم الأمر. فيطلب النفوذ والخروج أيضا عن روحه كما خرج عن طبيعته. فيخرج بسيرة الرباني؛ فنقوم له الأسماء الإلهية، فيؤم بها نحو خالقه، وهو يقدمها؛ فكل اسم له حقيقة، وهذا العبد مجموع تلك الحقائق كلها، فتصح له الإمامة في ذلك الموطن، مع خروجه عن طبيعته وروحه.

وما من موطن يخرج عنه إلا ويلحقه فيه ذم من طائفة، لأن تلك الطائفة ترى في هذا العبد أنه متعبد بمجموعه وهو الصحيح. فتسميه فاسقا، ولكن يقدّر. فإن السلوك يعطي التحليل، حتى ينتهي. فإذا انتهى يتركب طورا بعد طور، كما يتحلل - حتى يكمل: فيزول عنه اسم الفسوق في كل عالم. فهذا اعتبار إمامة الفاسق.

فصل بلى وضل

في إمامة المرأة

فمن الناس من أجاز إمامة المرأة على الإطلاق بالرجال والنساء؛ وبه أقول. ومنهم من منع إمامتها على الإطلاق، ومنهم من أجاز إمامتها بالنساء دون الرجال.

الاعتبار في ذلك:

شهد رسول الله ﷺ لبعض النساء بالكمال، كما شهد لبعض الرجال وإن كانوا أكثر من النساء - في الكمال، وهو النبوة. والنبوة إمامة. فصحت إمامة المرأة¹. والأصل إجازة إمامتها. فمن ادعى منع ذلك من غير دليل فلا يسمع له. ولا نص للمانع في ذلك. وحجته في منع ذلك يدخل معه فيها ويترك فتسقط الحجة. فيبقى الأصل بإجازة إمامتها.

اعلم أن الإنسان عالم في نفسه، كثير من جهة المعنى، وإن كان صغير الحجم، ولهذا يقول: ﴿إِنَّكَ تَعْبُدُ﴾ بنون الجمع، وجعل جوارحه وقواه الظاهرة والباطنة منقادا لما يحكم فيها المقدمون عليها، وهو: العقل والنفس والهوى، وكل واحد منهم قد يؤم بالجماعة في وقت ما؛ فالطاعات كلها المقررة: للعقل، والمباحات: للنفس، والخالفات: للهوى.

وقد قيل للعقل: إذا سئمت النفس من اتباعك في الأمور المقررة، واقتدائها بك في وقت إمامتك، وتقدمت هي في المباحات وأمت بك؛ فاتبعها وصل خلفها حافظا لها؛ لتلا يخدمها الهوى؛ فإن الهوى يتبعها في ذلك الحال عسى (أن) يوقع بها في محذور. ففي مثل هذا الموطن تجوز إمامة النفس، وهي إمامة المرأة وإمامة العقل بمنزلة إمامة الرجل المسلم، البالغ، العالم، الولد الحلال. وإمامة الهوى بمنزلة إمامة المنافق والكافر والفاسق. وإمامة النفس بمنزلة إمامة المرأة.

فصل 2 بلى وضل

في إمامة ولد الزنا

اختلفوا في إمامة ولد الزنا. فمن مجيز إمامته، ومن مانع من ذلك.

الاعتبار في ذلك:

وَلَدَ الزَّنا هُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ عَنْ قَصْدٍ فَاسِدٍ غَيْرِ مَرْضِيٍّ عِنْدَ اللَّهِ، فَهُوَ نَتِيجَةُ صَادِقَةٍ عَنْ مَقْدَمَةٍ فَاسِدَةٍ. فَالْإِنْسَانُ وَإِنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لَغَيْرِ اللَّهِ، فَخُصُولُهُ أَوَّلَى مِنَ الْجَهْلِ. فَإِنَّهُ إِذَا حَصَلَ قَدْ يَرْزُقُ صَاحِبَهُ التَّوْفِيقَ، فَيَعْلَمُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ. فَتَجُوزُ إِمَامَةُ وَلَدِ الزَّنا، وَهُوَ الْاِقْتِدَاءُ بِفَتْوَى الْعَالِمِ الَّذِي ابْتَغَى بَعْلَمَهُ الرِّيَاءَ وَالسَّمْعَةَ لِيُقَالَ: فَأَصْلُ طَلَبِهِ غَيْرُ مَشْرُوعٍ، وَحُصُولُ عَيْنِهِ فِي وَجُودِ هَذَا الشَّخْصِ فَضِيلَةٌ.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

فِي إِمَامَةِ الْأَعْرَابِيِّ

اختلفوا في إمامة الأعرابي؛ فمن مُجِيزٍ إِمَامَتَهُ، ومن مانعٍ من ذلك.

الاعتبار في ذلك:

الجاهل¹ بما ينبغي للإمام أن يَعْلَمَهُ لا يَصْلَحُ لِلْإِمَامَةِ، لَأَنَّ الْإِمَامَ يُقْتَدَى بِهِ. وَهُوَ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَتَعَلَّمُ، فَلَا تَجُوزُ إِمَامَةُ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِمَّا لَا يَجِبُ. فَالْمُقْتَدَى بِهِ ضَالٌّ.

وليس هو بمنزلة صلاة المفترض خلف المنتقل، فإنَّ الإمامَ إِذَا تَنَقَّلَ وَخَالَفَ الْمَأْمُومَ فِي نَيْتِهِ فَمَا خَالَفَهُ فِيمَا هُوَ فَرَضٌ فِي الصَّلَاةِ؛ نَافِلَةٌ كَانَتْ أَوْ فَرِيضَةً، لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى فُرُوضٍ وَسُنَنِ؛ فَأَرْكَانُهَا فُرُوضٌ كُلُّهَا، وَسُنَنُهَا كَذَلِكَ فِي النَّافِلَةِ وَالْفَرِيضَةِ. فَمَا فَعَلَ الْمُتَنَقِّلُ، الَّذِي هُوَ الْإِمَامُ، فِي صَلَاتِهِ إِلَّا مَا تَقَرَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ مِنْ أَرْكَانِ صَلَاتِهِ: مِنْ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ سُنَنُهَا. وَالْمَفْتَرِضُ مُقْتَدٍ بِهِ فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ فَرَضٌ عَلَيْهَا فَعَلَهَا. فَمَا اقْتَدَى الَّذِي نَوَى الْفَرَضَ خَلْفَ الْمُتَنَقِّلِ إِلَّا بِمَا هُوَ فَرَضٌ عَلَى الْمُتَنَقِّلِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

فِي إِمَامَةِ الْأَعْمَى

فمن مجيز إمامة الأعمى، ومن مانع إِمَامَتَهُ، والله أعلم.

اعتبار¹ ذلك:

الأعمى هو الحائر الذي هو في محلِّ النظر، لم يترجَّح عنده شيء. وليس بواقف فيكون شاكًا. والأصلُ حكم الفطرة التي وُلِدَ عليها. فهو مؤمن في حال نظره وخيرته، ما لم يقف أو يرجَّح. فتجوز إمامته بأصل الفطرة: لاستنابة رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة يصلي بالناس وهو أعمى.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

فِي إِمَامَةِ الْمَفْضُولِ

اختلف العلماء في إمامة المفضول. فمنهم من أجازها. ومنهم من منع من ذلك. «صلى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف بلا خلاف، وقضى ما فاته. وقال: أحسنتم».

اعتبار ذلك:

الفاضل يصلي خلف المفضول ليرقي همته، ويرغبه في طلب الأنفس² والأعلى؛ سياسة وحسن تربية، فإنه داع إلى الله -تعالى- على بصيرة؛ أن الله يفتح للكبير بصدق توجه الصغير. فالصغير مفيد الكبير - وإمامه - من حيث لا يشعر.

وكم من مرید صادق وقعت له واقعة -وهو معتنى به- فعرضها على الشيخ، وقد كان الشيخ ما عنده معنى تلك الواقعة، وقد استفرغت همه المريد وقطعت أن واقعتها لا يعرف حلَّ إشكالها إلا هذا الشيخ، ففتح الله على ذلك الشيخ فيها بهمة ذلك المريد وصدقته فيه، عناية من الله بالمريد، وينتفع الشيخ تبعًا، وإن كان الشيخ أعلى منه في المقام.

ولكن ليس من شرط كلِّ مقام، إذا دخله الإنسان ذوقًا، أن يحيط بجميع ما يتضمَّنه من جملة التفصيل؛ فإنَّا نعلم قطعًا أنَّا نجتمع مع الأنبياء -عليهم السلام- في مقامات، وبيننا وبينهم في العلم بأسرارها بون بعيد، يكون عندهم ما ليس عندنا، وإن شملهم المقام. فهذه إمامة المفضول، فافهم ولا تعالط نفسك، فتقول: أنا شيخُ هذا، فأنا أعلم منه. نعم؛ أعلم منه بما تطلبه التربية، وقد لا تكون أعلم منه بما تنتجه. وقد

رأينا ذلك معاينة في حق أشخاص، والحمد لله.

اتهى¹ الجزء الأربعون، يتلوه في الجزء الحادي والأربعين.

بسم الله الرحمن الرحيم¹

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

في حكم الإمام إذا فَرَعَ من قراءة الفاتحة؛ هل يقول: آمين، أم لا يقولها؟
اختلف العلماء في ذلك فمن قائل: يؤمّن، ومن قائل: لا يؤمّن.

وصل في الاعتبار في ذلك:

إن جعل الإنسان نفسه أجنبية عنه، فإنه يخاطبها مخاطبة الأجنبي. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾² وهذا يجده كل إنسان ذوقاً تقتضيه نشأته. ورسول الله ﷺ يقول
للإنسان المكلف: «إنّ لنفسك عليك حقاً» فأضاف النفس إليه، والشيء لا يضاف إلى ذاته، فجعل
النفس غير الإنسان، وأوجب لها عليه حقاً تطلبه منه.

فإن كان (الإنسان) هو التالي³، فلا بدّ (أن يقول) لنفسه عند فراغ الفاتحة: "آمين". وإن كانت
النفس (هي) التالية، فلا بدّ أن يقول هو: "آمين". والإنسان واحد العين، كثير بالقوى. ويؤيده قوله:
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾⁵ و«بادرني عبدي بنفسه» في القاتل نفسه.

فمن كان هذا مشهده، قال: "يؤمّن الإمام والمنفرد". ومن رأى أنّ الإمام عين واحدة، أو يرى أنّه تالي
بريّة في قوله: «بي يسمع وي بي يصير وي يتكلّم» وقد كان الشيخ أبو مدين بجاية يقول: "ما رأيت شيئاً
إلا رأيت الباء عليه مكتوبة" يشير إلى هذا المقام؛ وهي تسقى: "باء ياء" الإضافة، مثل قوله أيضاً. فمن
كان مشهده هذا يقول: لا يؤمّن الإمام.

والتأمين أولى بكل وجه، فإنّ المكلف مأمور إذا دعا أن يبدأ بنفسه. وقوله: "آمين" دعاء. يقول:
"اللهم آمناً بالخير، وبما قصدناك فيه" والإنسان بحكم حاله ومشهده. وفي الحديث الثابت: «إذا أمّن الإمام
فأمّنوا» والحديث الآخر: «إذا قال الإمام: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين».

1 البسلة ص 141

2 [ق: 16]

3 التالي هنا بمعنى: القارئ

4 ص 141 ب

5 [فاطر: 32]

فَصَلِّ بَلِّ وَضَلِّ

متى يكبر الإمام؟

فمن قائل: بعد تمام الإقامة واستواء الصفوف. ومن قائل: قبل أن تتم الإقامة. ومن قائل: بعد قول المؤذن: "قد قامت الصلاة". وبالتخيير أقول في ذلك.

الاعتبار:

الإقامة¹ للقيام بين يدي الله تعالى، فإنه يقول: "حي على الصلاة". واستواء الصفوف (في الصلاة) مثل صفوف الملائكة عند الله تعالى - الذين أقسم بهم في قوله: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾²، وهي (أي الإقامة) إشارة إلى إقامة العدل. فإن الإنسان بروحه ملك مدبر لما ولّاه الله عليه من هذه النشأة الذي أشار إليه بالبلد الأمين، لكونه أمّا جامعة. مثل مكة التي هي أمّ القرى، والفاطحة أمّ الكتاب. فلا بدّ من فروض الأحكام لإقامة العدل في العبادات التي خوطب بها جماعة الجوارح، فاجتماعهم على ذلك واجب ظاهرًا وباطنًا.

فمن رأى مثل هذا يكبر بعد الإقامة واستواء الصفوف. كآته يقول: "الله أكبر من أن يتقيد تكبيره بمثل هذه الصفة لإحاطته إطلاقًا بكلّ حال ووجه، فإنه ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾³ فإنه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁴. فلما كلف عباده بالمشي على صراط خاصّ عيّنه لهم؛ كان من عدل إليه سعيه، ومن عدل عنه شقي.

ومن راعى المسارعة إلى الخيرات والسباق إلى المناجاة؛ كبر عند سماعه "حي على الصلاة" في الإقامة إلا أن يكون هو المقيم فلا يتمكن له حتى يفرغ من "لا إله إلا الله" وحينئذ يكبر. وإنما قلنا: يبادر بالتكبير الإقامة، وهو قول المؤذن⁵. "قد قامت الصلاة" ليصدق المؤذن في قوله: "قد قامت الصلاة" لأنه جاء بلفظ الفعل الماضي، فينبى صلاته على قاعدة صدق؛ فيفوز في الثواب بـ﴿مَقْعِدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾⁶ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾¹ أي في ستور من علوم جارية واسعة: كلما قلّت هذا جاء غيره؛ لأنّ النهر

جار على الدوام بالأمثال.

واعلم أنّ أول إقامة الصلاة تكبيره الإحرام: كعجب الذنب من إقامة النشأة (الإنسانية). فإذا قال المؤذن: "قد قامت الصلاة" قبل تكبير الإمام لم يصدق، وتجوز في الكلام. وعلم الأذواق والأسرار لا يحمل التجوز في الكلام، فإنه على الحقيقة والكشف يعمل، وروح الإنسان ما هو بيده. فلو قبض الإمام وقد قال المؤذن: "قد قامت الصلاة" - ولم يكبر الإمام - لعلمنا أنّه قبض مكذبًا، ولا ينفعه هنا قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ﴾ ونحن في هذا الموطن بحكم الصلاة المنتظرة بالآلف واللام.

ولا نشك أنّ العارفين في حركاتهم وسكناتهم في صلاة ومناجاة. ولكن المطلوب منه في هذه الحالة الصلاة المشروع لنا إقامة نشأتها: من تكبيره الإحرام إلى التسليم؛ وما بينهما (هو) ترتيب أعضاء نشأتها، حتى تقوم (الصلاة) خلقًا سويًا يشهدها بصره من أنشأها²، ولا سيّما من أنشأها برّيه، فإنها تخرج من أكمل النشآت، ليس للنفس فيها حظ. فهذه صلاة إلهية لا كوتية.

ومن جعل الإقامة من المؤذن أو من نفسه من نفس إقامة نشأة الصلاة، كبر بعد الإقامة، وتكون ومن جعل الإقامة من المؤذن أو من نفسه من نفس إقامة نشأة الصلاة، كبر بعد الإقامة، وتكون الصلاة مشتركة في نشأتها، إلا في حق المقيم بنفسه لا بالمؤذن؛ فإنه لا فرق. فأول إنشاء صورة الصلاة عنده، من الإقامة. إلا أن يكون المقيم الذي هو المؤذن، والإمام يتصرفان برّهما على قدم فنائها عن أنفسهما. فقد تكون نشأة الصلاة نشأة إلهية، ولكن لا تقوى في الصورة قوّة الواحد (منهما) لأنّ مزاج كلّ واحد من الشخصين يفارق الآخر، والحق ما يتجلى إلّا بحسب القابل.

اعلم أنّ العبد يقيم سرّه بين يدي ربّه في كلّ حال، فهو مُصَلٍّ في كلّ حال. ففي أي وقت كبر من هذه الأوقات التي وقع فيها الخلاف بين علماء الرسوم فقد أصاب؛ فإن الصلاة قد قامت. فإن الله قتر حكم الاجتهاد شرعًا منه، كلّفنا به. ويخرج قوله: "حي على الصلاة" في الإقامة خطابًا للجوارح؛ ليصرّفها في غير تلك الأفعال الخاصة بهذه الحالة، وخطابًا للروح، بل للكلّ، بالخروج من حال هو فيه إلى حال أخرى، أي أقبل عليها وإن كنت في صلاة، فتكون من ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾³ و﴿عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾⁵.

1 [القصر : 54]

2 ص 143

3 [المعارج : 23]

4 ص 143 ب

5 [المؤمنون : 9]

1 ص 142

2 [الصافات : 1]

3 [طه : 50]

4 [هود : 56]

5 ص 142 ب

6 [القصر : 55]

فَصْلٌ بَلَّ وَضَل

في الفتح¹ على الإمام

اختلف العلماء في الفتح على الإمام. فمن قائل بالفتح عليه. ومن قائل: لا يفتح عليه ويركع حيث أُرْتَجَّ عليه. ومن قائل: لا يفتح عليه إلا إذا استطعم. ومن قائل: لا يفتح عليه إلا في الفاتحة. وصاحب هذا القول يقول: من فتح عليه في السورة فقد بطلت صلاة الفاتحة.

وصل الاعتبار:

من قال بالخاطر الأول قال: لا يفتح على الإمام. وكذلك من قال بالوقت، ومن قال بمراعاة الأنفاس. وأما من قال بما سبقت به السابقة في أول الشروع وراعى ذلك الخاطر وجعل الحكم له، فإنه نوى عندما شرع قراءة سورة أو آيات معلومات ثم أُرْتَجَّ عليه، فله أن يتم ما نوى، فيستطعم المأموم فيطعم المأموم ويفتح عليه إذا أُرْتَجَّ عليه.

وقد سأل النبي ﷺ عن أبي حين أُرْتَجَّ عليه، يقول له: «لِمَ لَمْ تَفْتَحْ عَلَيَّ» لأن أبا كان حافظاً للقرآن، فرأى (النبي) القصد الأول بالقراءة فأراد تمامه.

الارتجاج على العبد في الصلاة من أدل دليل على وجود عين العبد، وأعني بوجود عينه³ ثبوته، لأن ذلك ليس من صفات الحق. فإن صلى بربه فينبغي للمصلي أن يكون مع الحق بحسب الوقت، فلا ينظر إلى ماضٍ ولا إلى مستقبل، فلا يستفتح ولا يفتح عليه، ولكن يركع حيث انتهى به ربه من كلامه. فذلك الذي تيسر له من القرآن، قال تعالى: ﴿فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾⁴ وقد فعل. فلا ينبغي أن يكون مخلوق في الصلاة أثر ينسب إليه. وهو مذهب علي بن أبي طالب، والجواز مذهب ابن عمر.

فَصْلٌ بَلَّ وَضَل

في موضع الإمام

اختلف العلماء في موضع الإمام. فمن قائل: بأنه يجوز أن يكون أرفع من موضع المأمومين. ومن قائل:

1 الفتح على الإمام: صحيح قراءته أثناء الصلاة.
2 ثابتة في الهامش مع إشارة التصحيح
3 ص 144

4 [الزمل: 20]

بالمنع من ذلك. وقوم استحبوا من ذلك اليسير. ومذهبنا أي شيء كان من ذلك جاز، وارتضاع موضع الإمام أولى، لأجل الاقتداء به على التعيين.

وصل: الاعتبار في ذلك:

المناسبات في الأمور أولى من عدم المناسبات. ومرتبة الإمامة أعلى من مرتبة المأموم. فينبغي أن يكون، في تلك المرتبة، الأفضل والأعلى. وينبغي أن يكون في موضعه أرفع: لأنه في مقام الاقتداء به. فلا بد أن يكون له الشرف على المأموم: فإنه موضع للمأموم، ولهذا سمي إماماً.

فله حالتان وحالتان. فالحالتان الأولى أن يكون إماماً مأموماً معاً، في حال واحدة، فيقتدي بأضعف المأمومين في صلاته: فهو مأموم. ويقتدي به المأموم في ركوعه وسجوده، وجميع أفعاله: فهو إمام. والحالتان الأخريان: حالة يسمى بها مصلياً: فهو مع ربه في هذه الحالة، وهو إمام لغيره. فله حالة أخرى.

فمن راعى كونه مصلياً منع أن يكون له شغوف على المصلين وإن كثروا: فإنهم أئمة بعضهم لبعض، من الإمام إلى آخر الصفوف. ومن راعى كونه إماماً، كان أولى أن يكون موضعه أرفع من المأموم فهو بحسب مشهده.

* * *

فَصْلٌ بَلَّ وَضَل

في تبة الإمام الإمامة

اختلف العلماء: هل يجب للإمام أن ينوي الإمامة أم لا؟ فمن قائل: بوجوبها. ومن قائل: بأنها لا تجب. وبه أقول. وإن نوى فهو أولى.

وصل: الاعتبار:

ينبغي للمصلي أن يكون له شغل بربه، لا بغير ربه، فإن الصلاة قسمها الله بينه وبين المصلي. فليس له أن ينوي الإمامة. ومن رأى أن قوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» من غير نظر إلى التفصيل الوارد بعد هذا القول في قراءة «أم القرآن»، أدخل حكم رعاية المأموم في هذا القول، أي

المصلي، إذا كان إماماً أو مأموماً. فإن الصلاة مقسومة بيني وبين عبدي نصفين. فينوي (الإمام) التوجه إلي، وينوي التوجه إلى القبلة، وينوي القرية بهذه العبادة إلي، وينوي الإمامة بالمأمومين. وينوي المأموم بهذه العبادة القرية إلي، وينوي الائتمام بالإمام. وكل مصل بحسب ما يقع له ويشهده الحق في مناجاته.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في مقام المأموم من الإمام

لا يخلو المأموم، إمّا أن يكون واحداً، أو اثنين، أو أكثر من اثنين، ولا يخلو إمّا أن يكون رجلاً، أو رجلين، أو امرأة، أو صبيّاً. فأما المأموم إذا كان رجلاً بالغاً واحداً، فإنه يقيم عن يمينه. فإن كان صبيّاً أقامه عن يمينه مثل الرجل؛ وقيل: عن يساره، ليمتاز حكم الصبي من حكم الرجل. فإن كان رجلين، أقام أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وإن شاء أقامهما خلفه.

وإن كان رجلاً وصبيّاً، فحكمهما¹ مثل حكم الرجلين. فإن كان امرأة كانت خلف الإمام إذا انشردت. فإن كان معها رجل واحد، فالرجل عن يمين الإمام والمرأة خلفه. وإن كان أكثر من واحد مع وجود المرأة، أقام الرجال خلفه والمرأة أو النساء خلف الرجال.

وصل الاعتبار:

ورد في الأخبار الندب إلى التخلق بأخلاق الله. قال عليه السلام: «ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم» وما من وصف وصف الحق به نفسه إلا وقد ندبنا إلى الاتصاف به. وهذا معنى التخلق والاعتداء والائتمام. وهذه الإمامة عينها. فالإمام على الحقيقة هو الله تعالى. والمأموم (هم) المخلوقون. فلا يخلو الإمام أن ينظر نفسه واحداً من حيث أحديته وهو ما يختص به ويتميز عن كل من سواه مع الحق؛ أو ينظر نفسه مع الحق من حيث شفيعته؛ أو ينظر (نفسه) مع الحق من حيث فرديته - وهو الثلاثة، أعني ثالث اثنين؛ أو ينظر نفسه من حيث أنه لم يكمل كما كمل غيره، أو ينظر نفسه مع الحق من كونه ماثلاً إلى طبيعته، وهو الصبي: من صبا إذا مال، أو ينظر نفسه مع الحق، من كونه ماثلاً إلى طبيعته لا من حيث عقله، فيكون بمنزلة المرأة، فلا يخلو من² أن يستحضر عقله مع طبيعته.

والحق تعالى - في هذه الأحوال كلها إمام. فاليمين للقوة. «وكلتا يديه يمين» للقرية، وإسقاط الحول والقوة. والخلف للاقتداء والاتباع.

فانظر أيها المصلي - بأي حال حضرت في صلاتك مما ذكرناه، فقم به في المقام الذي بيّناه من الإمام، تكن قد أتيت بالصلاة المشروعة. وليكن مشهودك الحق وإمامك من حيث ما وصفه الشارع، لا من حيث ما دلّ عليه دليل العقل، حتى تكون ذا دين في عقلك، وعقدك، وعلمك¹، وعملك. وإن لم تفعل انتقص من عبادتك على قدر ما أدخلت فيها من عقلك، من حيث فكرك ونظرك.

فَضْلُ بَلِّ وَضَل

في الصفوف²

أجمع العلماء على أنّ الصفّ الأول مرغّب فيه، وكذلك التراص، وتسوية الصفّ إلا من شذّ في ذلك. فقال: من قدر على الصفّ الأول ولم يصل فيه بطلت صلاته. وكذلك التراص وتسوية الصفوف إذا لم توجد بطلت الصلاة. ولما ثبت الأمر بذلك، حمّله بعض الناس على الندب، وحمّله بعضهم على الوجوب. وهو الذي ذكرناه: من أنه تبطل الصلاة بعدم هذه الصفة. والذي³ أقول به: إنّ الصلاة صحيحة، وهم عصاة.

أما الصفّ الأول فورد الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ في المسابقة إليه؛ ثم إنه قال فيه: «ثم لم يجدوا إلا أن يستهيموا عليه لاستهيموا عليه» يريد الاقتراع. وأما التسوية فإنهم دُعوا إلى حال واحدة مع الحق، وهي الصلاة، فساوى في هذه الدعوة بين عباده. فلتكن صفتهم فيها، إذا أقبلوا إلى ما دعاهم إليه تسوية الصفوف. لأنّ الداعي ما دعا الجماعة إلا ليناجميع من حيث إنهم جماعة على السواء، لا يختص واحد دون آخر. فيجب أن يكونوا على السواء، والاعتدال في الصف، لا يتأخر واحد من الصف، ولا يتقدم بشيء منه يؤدي إلى اعوجاجه، فإنهم يناجون من هذه الحيثية.

وينبغي أن تكون الصور الباطنة والهمم من المصلين متساوية في نسبة التوجه إلى الله تعالى، والإخلاص له في تلك العبادة التي دعاهم إليها، من حيث ما هم مصلّون. وإنّ الله لما اصطفى منهم واحداً،

1 ق: وعملك.

2 بعدها مباشرة كتب هذا العنوان: "وصل فمن صلى خلف الصف وحده" وكرر كذلك في موضعه بعد نهاية هذا الفصل.

3 ص 146 ب

سَمَّاهُ إِمَامًا، لِيُنَاجِيَهُ عَنِ الْجَمَاعَةِ بِمَا يَحِبُّ أَنْ يَهْبَهُ لِلْجَمَاعَةِ. وَجَعَلَهُ كَالْتَرَجَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ، مُقْبِلًا عَلَى رَبِّهِمْ. فَيَجِبُ عَلَى الْجَمَاعَةِ السُّكُوتَ وَالْإِنْصَاتَ، وَالْإِنْتِظَارَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّدِهِمْ، بِوَسَاطَةِ¹ ذَلِكَ الْإِمَامِ. وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ: «إِنَّ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ كَافِيَةٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ» فَإِنَّهُ الَّذِي قَدَّمَهُ الْحَقُّ لِلْمُنَاجَاةِ. فَلَمَّا كَانَ الْإِمَامُ هُوَ الْمَقْصُودُ فِي النِّيَابَةِ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَأَمَرَ الشَّرْعُ أَنْ يَأْتُوا بِهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ مِمَّا شَرَعَ لَهُ فَعَلَهُ - وَجِبَ عَلَيْهِمُ الْإِنْصَاتُ وَالْإِقْتِدَاءُ بِكُلِّ مَا يَفْعَلُهُ الْإِمَامُ فِي صَلَاتِهِ.

وَأَمَّا التَّرَاضُ فِي الصَّفِّ فَهُوَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الَّذِي يَلِيهِ خَلْلٌ، مِنْ أَوَّلِ الصَّفِّ إِلَى آخِرِهِ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ تَسُدُّ ذَلِكَ الْخَلْلَ بِأَنْفُسِهَا. وَهُمْ (أَيُّ الْمَصْلُوكِينَ) فِي مَحَلِّ الْقُرْبَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا فِي الْقُرْبِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، بِحَيْثُ أَنْ لَا يَبْقَى بَيْنَهُمْ خَلْلٌ يُوَدِّي إِلَى بُعْدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ. فَتَكُونُ الْمَعَامَلَةُ بَيْنَهُمْ، مِنْ أَجْلِ الْخَلْلِ، تَقْيِصٌ مَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنْ صِفَةِ الْقُرْبَةِ. فَيَتَخَلَّلُ تِلْكَ الْخَلْلَ وَالْفُرْجَ الْبُعْدَاءُ مِنَ اللَّهِ، لِمُنَاسِبَةِ الْبُعْدِ الَّذِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فِي الصَّفِّ فِي الصَّلَاةِ. فَيَنْتَقِصُهُمْ مِنْ رَحْمَةِ الْقُرْبِ، الَّذِي لِلْمَصْلِيِّ فِي الصَّفِّ بِقَدْرِ الْخَلْلِ وَعَمْرِيَّةِ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ مِنَ الْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ. فَإِذَا لَزِمَتِ الْمَنَاقِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، أَسَدَّ الْخَلْلَ، وَلَمْ تَجِدْ صِفَةَ الْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ مُحَلًّا تَقُومُ بِهِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ، الَّذِي هُوَ مُحَلُّ الْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ، لَيْسَ هُنَاكَ.

وَإِنَّمَا تَفْرَحُ الشَّيَاطِينُ بِخَلْلِ الصَّفِّ، وَتَدْخُلُ فِيهِ لِمَا تَرَى مِنْ شُمُولِ² الرَّحْمَةِ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ الْمَصْلِينَ. فَتَزَاحِمُهُمْ فِي تِلْكَ الْفُرْجِ، لِيَنَالَهُمْ مِنْ تِلْكَ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ بِحُكْمِ الْجَاوِرَةِ، مِنْ عَيْنِ الْمُنَّةِ، لِمَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّهُمُ الْبُعْدَاءُ عَنِ اللَّهِ. وَمَا هُمْ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ الَّذِينَ يُوسُوسُونَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ أَوَّلَنكَ مُحَلَّهُمُ الْقُلُوبُ. فَهُمْ عَلَى أَبْوَابِ الْقُلُوبِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ: تَلْقَى إِلَى النَّفْسِ وَتَنْتَكُ فِي الْقَلْبِ مَا يَشْغَلُهُ عَمَّا دَعِيَ إِلَيْهِ. وَمِنْ جَهْلَةٍ مَا تَلْقَى إِلَيْهِ أَنْ لَا يَسُدَّ الْخَلْلَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ لَوْحَمِينَ:

الْوَجْهَ الْوَاحِدَ لِيَتَّصِفَ بِالْخَالِفَةِ فَتُؤَدِّيهِ إِلَى الْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا كَانَ يُعْدِيهِ عَنِ اللَّهِ الْخَالِفَةَ لِأَمْرِ اللَّهِ. وَالْوَجْهَ الثَّانِي، فِي حَقِّ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ: لِيَتَخَلَّلُوا ذَلِكَ الْخَلْلَ، فَتَصْصِيهِمْ رَحْمَةً الْمَصْلِينَ. فَيُنَاجِي الْإِمَامَ رَبَّهُ وَيُنَاجِيهِ. وَلِهَذَا شَرَعَ كُنَايَةَ الْجَمْعِ فِي مُنَاجَاةِ الصَّلَاةِ، وَأَنْ لَا يَخْصُ الْإِمَامُ نَفْسَهُ فِي الدَّعَاءِ دُونَهُمْ فَإِنَّهُ لِسَانُ الْجَمَاعَةِ.

فَالْمُكَاشَفُ يَشْهَدُ هَذَا كُلَّهُ. وَيَأْخُذُ عَنِ اللَّهِ مِمَّا يُعْطِيهِ، بِوَسَاطَةِ هَذَا الْإِمَامِ مَا يَأْتِي بِهِ اللَّهُ. وَسِوَاهُ كَانَ ذَلِكَ الْإِمَامُ قَدْ وَفَّى حَقَّ مَا دَعِيَ إِلَيْهِ مِنَ الْحُضُورِ مَعَ اللَّهِ أَمْ لَا. فَيَتَلَقَّاهُ كُلُّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ مِنَ اللَّهِ. فَيَسْعُدُ الْإِمَامُ بِمِثْلِ هَذَا الْمَأْمُومِ. وَأَمَّا غَيْرُ الْمُكَاشَفِ وَغَيْرُ الْحَاضِرِ فِي الصَّلَاةِ بِقَلْبِهِ، إِذَا اجْتَمَعَ هُوَ وَالْإِمَامُ¹ فِي عَدَمِ الْحُضُورِ، كَانَ الْإِمَامُ مِنَ الْأَتَمَّةِ الْمُضِلِّينَ. فَإِنْ حَضَرَ (ت) الْجَمَاعَةُ مَعَ اللَّهِ مَا عَدَا الْإِمَامَ كَانَ الْإِمَامُ ضَالًّا وَحَدَهُ، وَإِنْ سَعِدَ فَمِنْ خَلْفِهِ. وَإِنْ حَضَرَ الْإِمَامُ وَحْدَهُ وَلَمْ تَحْضُرْ قُلُوبُ الْجَمَاعَةِ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ، شَفَعَ الْإِمَامُ فِي الْجَمَاعَةِ كُلِّهَا: فَإِنَّهُ الْعَيْنُ الْمَقْصُودَةُ مِنَ الْجَمَاعَةِ، فَقَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ.

وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَارَ لِلْإِمَامَةِ أَهْلُ الدِّينِ وَالْخَيْرِ وَالْمُسْتَغْلِينَ بِاللَّهِ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلِينَ مِنَ الْعِلْمِ. فَهُمْ أَوَّلَى بِالْإِمَامَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْغَافِلِينَ. لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْمَصْلِيِّ الْحُضُورَ مَعَ اللَّهِ. فَلَا يَحْتَاجُ مِنَ الْعِلْمِ الْمَصْلِيِّ، مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ مُصَلٍّ، إِلَّا أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، يَنَاجِيهِ بِمَا يَسِّرُ اللَّهُ لَهُ مِنْ تِلَاوَةِ كِتَابِهِ. لَا غَيْرَ ذَلِكَ. فَلَا يَبَالِي بِمَا تَقْصَهُ مِنَ الْعِلْمِ فِي حَالِ صَلَاتِهِ. حَتَّى أَنْ الْمَصْلِي لَوْ أَحْضَرَ، فِي مُنَاجَاتِهِ، مَبَايِعَةً وَمَسَائِلَ طَلَاقٍ وَنِكَاحٍ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَافِلِ عَنْ صَلَاتِهِ فَرْقٌ. وَإِنَّمَا يَكُونُ مَعَ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي عِبَادَةِ خَاصَّةٍ دَعَاهُ إِلَيْهَا، يَحْرِمُ عَلَيْهِ فِيهَا فِي بَاطِنِهِ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ فِي ظَاهِرِهِ.

فَكَمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَفِتَ بِوَجْهِهِ التَّفَاتَا يَخْرُجُهُ عَنِ الْقِبْلَةِ، كَذَلِكَ لَا يَنْظُرُ بِقَلْبِهِ إِلَى غَيْرِ مَنْ يَنَاجِيهِ، وَهُوَ اللَّهُ. وَكَمَا لَا يَشْتَغِلُ بِلِسَانِهِ بِسِوَى كَلَامِ رَبِّهِ، أَوْ ذَكَرَهُ الَّذِي شَرَعَ لَهُ، لَا يَصْخَرُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ؛ كَذَلِكَ² يَحْرِمُ عَلَيْهِ فِي بَاطِنِهِ كَلَامُهُ النَّفْسِيِّ مَعَ مَنْ يُشَارِيهِ أَوْ يَبَايِعُهُ أَوْ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ فِي بَاطِنِهِ، فِي نَفْسِ صَلَاتِهِ: مِنْ أَهْلِ وَوَلَدٍ وَإِخْوَانٍ وَسُلْطَانٍ سِوَاهُ.

فَلِهَذَا لَا يُشْتَرَطُ فِي الْإِمَامِ كَثْرَةُ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ مَا يُلِيقُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ. فَإِنْ أَتَقَى أَنْ يَكُونَ مَنْ هَذِهِ حَالَتِهِ، مِنَ الدِّينِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ، كَثِيرَ الْعِلْمِ، رَاسِخًا، سَيِّدًا، كَانَ الْأَوَّلَى بِالْتَقَدُّمِ: فَإِنَّهُ الْأَفْضَلُ مِنْ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ.

فَالصُّفُوفُ إِنَّمَا شَرَعَتْ فِي الصَّلَاةِ لِيَتَذَكَّرَ الْإِنْسَانُ بِهَا وَقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ الْمَهُولِ. وَالشُّفَعَاءُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بِمَنْزِلَةِ الْأَتَمَّةِ فِي الصَّلَاةِ يَتَقَدَّمُونَ الصُّفُوفَ. فَكَمْ (مِنْ) شَخْصٍ يَكُونُ هُنَا مَأْمُومًا مِنْ أَهْلِ الصُّفُوفِ، يَكُونُ غَدًا إِمَامًا أَمَامَ الصُّفُوفِ، وَيَكُونُ إِمَامًا الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا يَصَلِّي بِهِ، مَأْمُومًا غَدًا. فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ.

وصفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا صَفًّا﴾¹ وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾² وهو الإمام النائب عن الجماعة.

وأمرنا الحق أن نُصَفَّ في الصلاة كما تُصَفُّ الملائكة، يترأصون في الصف. وإن كانت الملائكة لا يلزم من خلل صفها لو اتفق أن يدخلها خلل، أعني ملائكة السماء - دخول الشياطين. لأن الساء ليست بمحل للشياطين، ولا بمكان. وإنما يترأصون لتناسب الأنوار، حتى يتصل³ بعضها ببعض. فتتزل متصلة إلى صفوف المصلين، فتعتم تلك الأنوار. فإن كان في صف المصلين خلل دخلت فيه الشياطين، أحرقتهم تلك الأنوار، وكذلك يكونون في الكتيب في الزور العام: يُصَفُّون كما يُصَفُّون في الصلاة.

فمن دخله خلل في صفه هنا، وكان قادرا على سدّه بنفسه فلم يفعل، حُرِمَ هنالك، في ذلك الموطن، بركته. وإن لم يقدر على سدّه، عَمَّتْ البركة هناك. وكلّ مصلٍّ بين رجلين فإنه ينضم إلى أحدهما، ثم يجذب الآخر إليه. فإن انجذب إليه كان (بها)، وإلا كان الإثم على ذلك (الآخر). ويكون الواحد الذي يُنضم إليه هو الذي يلي جانب الإمام ولا بد. فإن كان في الصف الأول نقص وهو يراه - وهو قادر على الوصول إليه - ولا يمشي إلى الصف الأول حتى يتمه - أعني يسدّ الخلل الذي فيه - لم ينفعه تراصه في الصف الذي هو فيه، جملة واحدة. فإنه ما تعين عليه إلا الأول فاعلم.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلٍ في المصلي خلف الصف وحده

اختلف الناس فيه. فمن قائل بصحة صلاته. ومن قائل بأنها لا تصح. والذي أذهب إليه في حكم من هذه حالته: فإنه لا يخلو إما أن يجد سبيلا إلى الدخول في الصف، أو لا يجد. فإن لم يجد، فليُشِرْ إلى رجل من أهل الصف أن يختلج إليه. فإن لم يختلج إليه لجهله بما له في ذلك عند⁴ الله من الأجر، فإن صلاة هذا الرجل صحيحة. فإنه قد اتقى الله ما استطاع. ولا يستطيع في هذه الحالة أكثر من هذا. فإن قدر على شيء مما ذكرناه ولم يفعل، فصلاته فاسدة. فإن النبي ﷺ: «أمر من كان صلى خلف الصف وحده أن يعيد» وهو حديث وابصة بن معبد.

1 [الفجر : 22]
2 [النبا : 38]
3 ص 149
4 ص 149 ب

اعتبار ذلك في النفس:

القربات إلى الله لا تعلم إلا من عند الله، ليس للعقل فيها حكم بوجه من الوجوه. فإذا شرع الشارع القربات، فهي على حد ما شرع. وما منع من ذلك أن يكون قرية فليس للعقل أن يجعلها قرية. ثم نرجع إلى مسألتنا: فلا يخلو هذا المصلي وحده خلف الصف، مع القدرة على ما قلناه، إما أن يكون من أهل الاجتهاد ويكون حكمه بإجازة ذلك الفعل وصحة صلاته عن اجتهاد، أو لا يكون عن اجتهاد. فإن كان عن اجتهاد فالصلاة صحيحة، وإن لم يكن عن اجتهاد وكان مقلداً مجتهد في ذلك بعد سؤاله إياه، فصلاته صحيحة. وإن فعل ذلك لا عن اجتهاد ولا عن سؤال فصلاته فاسدة. وهكذا في جميع القربات المشروعة.

كما صحت صلاة الإمام بين يدي الجماعة في غير صف، صحت صلاة من هو خلف الصف وحده. فإن¹ لطيفة الإنسان واحدة العين، ولا تُصَفُّ صفوف الجوارح عند الصلاة، ولا ينبغي أن تكون أمامها: فإنها لا تقبل الجهة، فما صلّت إلا وحدها. وظاهر الإنسان جماعة. فهو في نفسه صف وحده، فإن كل جزء منه مكلف بالعبادة والصلاة، ولا ينفصل بعضه عن بعضه. فهو صف وحده. فإن اشتغل ببعض جوارحه فيما ليس من الصلاة، كان له ذلك الاشتغال في صف ذاته، كالخلل الداخل في الصف.

فبطريق الاعتبار: ما صلى الإنسان من حيث جملة إلا في صف، ومن حيث لطيفته (ما صلى إلا) وحده؛ فإنها لا تقبل الصفوف لعدم التحيز. وهذا على مذهب من يقول إنها غير متحيزة. وأما من قال بتحيزها التحقث بجملة ذات المصلي. فما صلى من هو في صف، ومن هو في غير صف إلا في صف من ذاته. وبهذا أجاز من أجاز الصلاة خلف الصف وحده. وقد بينا مذهبنا في ذلك بطريقة تعضدها أصول الشرع.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلٍ

في الرجل أو المكلف يريد الصلاة فيسمع الإقامة:

هل يسرع في المشي إلى المسجد مخافة أن يفوته جزء من الصلاة أم لا؟

فمن² قائل: لا يجوز الإسراع؛ بل يأتي وعليه السكينة والوقار. وبه أقول. ومن قائل: يجوز الإسراع حرصاً على الخير وأكره له ذلك.

1 ص 150
2 ص 150 ب

وصل اعتبار ذلك:

المسارعة إلى الخيرات مشروعة. والسكينة مشروعة والوقار. والجمع بينهما أن تكون المسارعة بالتأهب المعتاد، قبل دخول وقتها، فيأتيها بسكينة ووقار: فيجمع بين المسارعة والسكينة.

وإنما أمر العبد بالمسارعة إلى الخيرات لتصرفه في المباحات لا غير. فمن كانت حالته أن لا يتصرف في مباح، فهو في خير على كل حال. ولذلك ورد ما يدل على الحالين معاً، فقيل: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾¹ وهي العبادات هنا، من سارع إليها فقد سارع إلى المغفرة. وقال في الحالة الأخرى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾² فجعل المسارعة "فيها"، وفي الأولى "إليها" فإنها ما هي نائية عنه.

وهنا وجه أيضاً، وذلك أن المغفرة لا تصح إلا بعد حصول فعل الخير الموجب لها. فنحن نسارع في الخيرات إلى المغفرة؛ فكان "المسارع فيه" غير "المسارع إليه".

فالعبد إذا كان تصرفه في غير المباح فلا بد أن يكون في مندوب أو واجب. فإن كان في مندوب، واستشعر بحصول وقت واجب، سارع إليه في مندوبه؛ بإقامة أسبابه التي لا يصح ذلك الواجب إلا بها. ومعنى "المسارعة هنا: المبادرة إلى الأفعال التي هي شرط في صحة ذلك الواجب.

فمن رأى الجماعة واجبة، ومن قال بإتمام الصف ووجوبه، وهو في خير، فإنه آت إلى الصلاة مثلاً، فسمع الإقامة، فأمره الشارع أن يأتي إليه وعليه وقار وسكينة. وسبب ذلك أن الحق لا يتقيد بالأحوال، وأن الآتي إلى الصلاة في صلاة ما دام يأتي إليها أو ينتظرها، فنفس الإسراع المشروع قد حصل.

وأما الإسراع بالحركة، فإنه يقتضي سوء الأدب وتقييد الحق. ولهذا قال رسول الله ﷺ للذي دب وهو راکع حتى دخل الصف، وهو أبو بكرة: «زادك الله حرصاً ولا تدد» يعني إلى إسراع الحركة. وما قال له: زادك الله إسراعاً. فإن الحرص أوجب له الإسراع. فنبه رسول الله ﷺ على أن الحرص على الخير هو المطلوب. وهو الإسراع المطلوب لله من العبد لا حركة الأقدام. فإن ذلك يؤذن بتحديد الله، والله مع العبد حيث كان. وقد وقع لك التفريط أولاً بتأخرك، فهناك كان ينبغي لك الإسراع بالتأهب. كما حكي

[آل عمران: 133]

[المؤمنون: 61]

3 رجمها في ق قريب من: "التسارع" من غير نقط لحرف التاء.
4 ص 151

عن بعضهم أنه ما دخل عليه منذ أربعين سنة وقت صلاة إلا وهو في المسجد. وحكي عن آخر أنه بقي كذا سنة ما فاتته تكيئة الإحرام¹ مع الإمام.

وقوله: "بوقار" يشير أن العبد ينبغي له أن يعامل الله في نفسه بما يستحقه من الجلال والهيبة والحياء. فإن هذه الأحوال تؤثر ثلاً في الجوارح، وتثبت لموازنة حركته مع الله؛ أن يقع منه كما أمره الله بخضوع وخشوع. وهو السكينة المطلوبة. كما قال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» يعني لتسرى ذلك في جوارحه. فإن السرعة بالأقدام لا تكون إلا من همته متعلقة بالجهة التي يسارع إليها، من أجل الله لا بالله.

وينبغي للعبد أن تكون همته متعلقة بالله، فيكون المشهود له الحق تعالى. ومن كان بهذه المثابة، كانت حالته الهيبة والسكون ﴿فَلَا تَسْمَعْ إِلَّا هَمْسًا﴾. قال تعالى: ﴿وَوَخَّشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾² هذا مع الاسم الرحمن. فكيف بمن لا يعرف أي اسم إلهي يمشي إليه، أو يمشي به؟.

فمن كان حاله في الوقت ما يمشي إليه ويقصده؛ أجاز الإسراع. ومن كان حاله مشاهدة من يقصد به؛ قال: "لا يجوز" فإنه تضييع للوقت. والشارع إنما يراعي وارد الوقت. ووقت الآتي إلى الصلاة (هو) مشاهدة المقصود بها. فشرع له السكينة والوقار في الإتيان دون سرعة الأقدام إعظاماً لحرمة الوقت واستيفاء لحقه.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلٍ

متى ينبغي للمأموم أن³ يقوم إلى الصلاة إذا كان في المسجد ينتظر الصلاة فمن قائل: في أول الإقامة. ومن قائل عند قوله: "حي على الصلاة". ومن قائل عند قوله: "حي على الفلاح". ومن قائل: "حتى يرى الإمام" وهو الأولى عندي. ومن قائل: لا توقيت في ذلك. وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «لا تقوموا حتى تروني» فإن صح هذا الحديث، وجب العمل به ولا تغفل عنه.

وأما مذهبنا في ذلك، إن لم يصح هذا الحديث، المسارعة في أول الإقامة. ثم إن عندنا، ولو صح الحديث، فإن هذا الحديث عندي إذا صح، حكم النبي ﷺ في هذه المسألة في الانتظار إليه، ولا تقوم

1 ص 151 ب

2 طه: 108

3 ص 152

حتى نراه¹ كما أمر، ما هو كحالنا اليوم. فإنَّ زمان وجود النبي كان الأمر جائزا أن يُنسخ، وأن يتجدد حكم آخر. فكان ينبغي أن لا يقوموا لقول المؤذن حتى يروا النبي ﷺ خرج إلى الصلاة. فيعلمون عند ذلك أنه ما حدث أمر يرفع حكم ما دُعوا إليه، بخلاف اليوم. فإنَّ حكم القيام إلى الصلاة باق. فيقوم إذا سمع المؤذن يقيم مسارعا. وإنَّ اتفق أن يغلط المؤذن بأن يسمع حسا فيتخيل أنه الإمام فيقيم. والإمام ما خرج. فما على من قام بأش في ذلك؛ بل له أجر الإسراع إلى الخير، ويرجع إلى مكانه إلى أن يخرج الإمام، فإنه على يقين من بقاء حكم الصلاة.

الاعتبار²:

المقيم للصلاة هو حاجب الحق الذي يدعو الخلق إلى الدخول على الله بهذه الحالة. والصفة التي دعاهم وشرع لهم أن يدخلوا عليه فيها، فيسارعون في القيام، بأدب وسكون كما ذكرنا، وحضور لما يستقبلونه، واستحضار لما ينادونه به: من قراءة وذكر وتكبير وتسبيح، ودعاء معين عينه لهم، لا يعتدونه في تلك الحالة. فإذا فرغوا منها بالسلام دَعُوا بما شاءوا ولكن مما يرضي الله: لا يدعون على مسلم ولا بقطيعة رحم.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

فمن أحرم خلف الصف خوفا أن يفوته الركوع مع الإمام، ثم دبَّ وهو راعٍ حتى دخل في الصف فمن الناس من كرهه، ومنهم من أجاز له. ومنهم من فرَّق بين المنفرد والجماعة في ذلك: فكرهه للمنفرد وأجاز له للجماعة.

وصل الاعتبار:

الركوع هو الخضوع لله تعالى، والمبادرة إليه أولى. غير أنَّ مشيئة راكعا حتى يدخل في الصف هو الذي ينبغي أن يكون متعلِّق الكراهة أو الجواز. فمن رأى سدا للخلل واجبا أو الصلاة خلف الصف لا تجزي، مشى على حاله حتى يدخل في الصف. فإنَّ الشارع ما أبطل صلاة أبي بكره بذلك. ودعا له. ونهاه أن لا يعود. فَعَلِمَ أَنَّهُ نَهَى كَرَاهَةً.

1 رسمها في ق: نروء
2 ص 152 ب

فإنَّ¹ قالوا: "قضية في عين"، قلنا: ونهيه "أن لا يعود" قضية في عين، لأنه المخاطب: "أن لا يعود". ولم ينه غيره عن ذلك. ولكن بقرينة الحال علمنا أنَّ المراد بذلك المصلي، كان من كان، أن يكون في حال صلاته على حد ما أمر به. فكل ما هو من تمام الصلاة جاز التعمُّل إلى تحصيله في الصلاة. ويتعلَّق بهذا مسائل على هذه القاعدة.

فَضْلٌ بَلْ وَضَلْ

فيما يتبع فيه المأموم الإمام

لا خلاف بين العلماء في وجوب اتباعه فيما نصَّ الشارع عليه من أقوال وأفعال. واختلفوا في قوله: "سمع الله لمن حمده" فمن الناس من قال: بأنه لا يجب عليه أن يقولها مع الإمام. ومنهم من أجاز له أن يقولها. والأوَّلُ أولى عندني للحديث الوارد.

وصل الاعتبار:

لَمَّا أُنْزِلَ الإمام نائبا عن الحق في حق من يقتدي به، صحَّ له أن يقول: "سمع الله لمن حمده" فهو ترجمان عن الحق للمؤمنين. يُعَرِّفُهُمْ بِأَنَّ الله يقول ذلك، حين حمدوه في تلاوتهم، وتسبيحهم في ركوعهم. فهو مخبر عن استخلفه. ولو أقام الله الإمام مقامه في الحال لقال: "سمعت لمن حمدي". فأثبت بقوله: "سمع الله لمن حمده" عين العبد.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ ما عبده إلا من كونه إلها، لا من حيث ذاته. خلافا لقول رابعة العدوية. فإن قيل: فما تصنع في مثل قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾² وهو كلام الله لعبده³ الطَّيِّبَةُ، ولم يقل: "سمعت" يريد ما ذكرنا - وما يدريك لعلَّ قوله: "سمع الله لمن حمده" مثل هذا؟ ولا سيما والنبي الطَّيِّبُ يقول: "إنَّ الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده".

قلنا: أما الآية فقد تكون تعريفا من جبريل - الروح الأمين - بأمر الله أن يقول له مثل هذا. أي قل له

1 ص 153

2 [الجدالة: 1]

3 ص 153 ب

4 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

يا جبريل: قد سمع الله، كما قيل لحمد: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾¹ وهو بشر، فإن الحق لا يكون بشرا. وهكذا جميع ما في كلام الله من مثل هذا. فإن أضفته، ولا بد، إلى الحق، فليكن الكلام لله من مرتبة خاصة، إخبارا عن مرتبة أخرى خاصة، إن شئت عبرت عنها بالذات، وإن شئت عبرت عنها باسم إلهي.

فيقول الحق من كونه متكلمًا: يا محمد؛ قد سمع الله. فيريد بالله هنا الاسم "السميع" أو "العليم" على مذهب من يرى أن سمعه علمه، والأول على من يرى أن سمعه حقيقة أخرى، لا يقال: هي هو، ولا هي غيره. وعلى الذي قيل الأول من يرى أن سمعه ذاته. وهكذا سائر ما ينسب إليه من الصفات.

فللمأموم أن يقول: "سمع الله لمن حمده" على هذا التفسير كله. وإن ورد ذلك في حق الإمام، فما ورد المنع منه في حق المأموم، ولا في حق المنفرد. ولا سيما والإنسان إمام جماعة ذاته، وما من جزء فيه إلا وهو حامد لله. فيعرف لسانه سائر ذاته: بأن الله قد سمع لمن حمده. ولا سيما من كشف له عن تسبيح كل شيء بحمد ربه.

الفصل² الآخر

في الإهتمام

الإهتمام لا يصح إلا مع العلم من المأموم فيما يأتي به، من أفعال³ الإمام ظاهرا وباطنا. والعامة، بل أكثر الناس، لا يعلمون من الإمام إلا الحركات الظاهرة: من قيام، وركوع، ورفع، وسجود، وجلوس، وتكبير، وتسليم. والنية غيب من عمل القلب، لا يطلع عليها المأموم. فما كلفه الله أن يأتي به فيما لا يعلمه منه.

ولهذا قال النبي: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا ولا تكبروا حتى يكبر. وإذا ركع فاركعوا ولا تركعوا حتى يركع. وإذا قال: "سمع الله لمن حمده" فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد. وإذا سجد فاسجدوا، ولا تسجدوا حتى يسجد». وما تعرض للنية، ولا لما غاب عن علم المأموم. فذكر الأفعال الظاهرة الذي يتعلق بإدراكها الحس. ولا سيما وقد ثبت أن الصلاة الواحدة لا تقام في اليوم مرتين، وأن أحد الصلاتين من المصلي وحده ثم يدرك الجماعة فيصلي معها، أنها له نافلة. فقد خالف الإمام في النية بالنص.

1 [الكهف: 110]

2 ص 154

3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب

ثم إن للمأموم، بهذا الحديث، أن يقول: "سمع الله لمن حمده"، ثم يقول: "ربنا ولك الحمد" للإهتمام بإمامه. فإنه قد ثبت أن النبي ﷺ قال في صلاته وهو إمام: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد».

الفصل الآخر

في الإهتمام بصلاة القاعد

اتفق العلماء من أصحاب المذاهب وغيرهم، أنه ليس للصحيح أن يصلي قاعدا فرضا، إذا كان منفردا أو إماما. واختلفوا في المأموم إذا كان صحيحا، فصلّى خلف إمام مريض، يصلي ذلك الإمام المريض قاعدا، على ثلاثة أقوال؛ فمن قائل: إنه يصلي خلفه قاعدا، وبه أقول. ومن قائل: إنهم يصلّون خلفه قياما. ومن قائل: لا تجوز إمامته إذا صلى قاعدا، وأما إن صلّوا خلفه قياما أو قعودا بطلت صلاتهم.

وقد ذكر بعض رواة مالك عن مالك، قال: لا يؤمُّ الناس أحدًا قاعدا، فإن أمّهم قاعدا بطلت صلاتهم وصلاته، فإن النبي ﷺ قال: «لا يؤمُّن أحدٌ بعدي قاعدا». وهذا الحديث ضعيف جدًا، لأن في طريقه جابر بن يزيد الجعفي، وليس بحجة، ومع ضعفه فالحديث مرسل، والصحيح الثابت إمامة القاعد.

وصل: الاعتبار في ذلك:

الإمام على الحقيقة؛ من نواصي الخلق بيده. فلا يخلو المصلي المأموم أن يرى الإمام نائبا عن الحق كما جعله ﷺ² أو يراه مأموما مثله. فإن رآه إماما فله الإهتمام به على أي حال كان. وإن رآه مأموما مثله؛ جعل الحق إمامه، وصلى قاعدا لأمره ﷺ بذلك: فإن هذا هو إمامه شرعا. ومن جعل الحق في قبلته وواجهه؛ غاب عنه إمامه بلا شك.

وقد اختلفت حالة الإمام بالمرض من حال المأموم. والمأموم إذا كان مريضا صلى خلف القائم للعذر - وقد مضى اعتبار النية في الإمام والمأموم - وقد أمر الإمام أن يقتدي بصلاة المريض في التخفيف به ولا يشق عليه. وكل واحد منهما قد أمر بالافتداء بالآخر. وعين الشارع فيما إذا؟ فلا ينبغي العدول عما عيّنه الشارع من ذلك، لمن أراد اتباع السنة والوقوف عند حكم الله ورسوله.

1 ص 154

2 ص 155

وإذا كان الإمام على الحقيقة هو الله، وهو - سبحانه - لا يغفل عن حالات عبده في حركاته وسكناته، ولا يشغله عن مراقبته شيء، فإنه قال عن نفسه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾¹ فينبغي للمأموم - الذي هو العبد - أن يقتدي به في المراقبة والحضور. فلا يغفل عن سيده في صلاته، ولا يشغله شيء عن مراقبته في صلاته، حتى يصح له أن يكون مؤتمنا به في مثل هذا الوصف، من المراقبة وعدم الغفلة. فاعلم ذلك.

فصل² بَلْ وَضَل

في وقت تكبيرة الإحرام للمأموم

فمن قائل: يكبر بعد فراغ الإمام من تكبيرة الإحرام استحسانا، وإن كبر معه أجزاءه. ومن قائل: لا يجزيه أن يكبر معه. وبالأول أقول: أن يكبر بعد الفراغ، لا يجزيه غير ذلك. ومن قائل: لا يجزيه أن يكبر قبل الإمام، ومن قائل: إن كبر قبل الإمام³ أجزاءه، ومن قائل: إن كبر مع تكبير الإمام، وفرغ بفراغ الإمام أجزاءه. وإن فرغ المأموم تكبيرة قبل فراغ⁴ الإمام لم يجزه.

الإحرام للمأموم إما أن يُعتبر فيه كونه مصليا فقط: فيجزي قبل الإمام ومعه وبعده. وإن اعتبر كونه مصليا ومأموما لم يجزه أن يكبر قبل الإمام، فإن النبي ﷺ يقول: «ولا تكبروا حتى يكبر» فهي. فإن علم أنه نهي كراهة أجزاءه قبل الإمام ومعه، وإن علم أنه نهي تحريم لم يجزه.

وصل: الاعتبار في ذلك:

ورد في الخبر: «إن العبد يقول في حال من الأحوال: الله أكبر. فيقول الله: أنا أكبر. يقول العبد: لا إله إلا أنت. يقول (الله): لا إله إلا أنا. يقول العبد: لا إله إلا الله، له الملك وله الحمد. يقول⁵ الله: لا إله إلا أنا، لي الملك ولي الحمد - يصدق عبده». ومن هنا كان اسمه "المؤمن" وأمثاله.

فإذا كان الحق لا يقول شيئا من ذلك حتى يقول العبد، فالعبد أولى بالاتباع. فليس للمأموم أن

1 [الأحزاب: 52]

2 ص 155 ب

3 هناك إشارات فوق "قبل الإمام" ربما أراد بها شطها.

4 ق: إفراغ.

5 ص 156

يسبق إمامه بشيء؛ من أفعال الصلاة ولا من أقوالها. حتى في قراءة الفاتحة؛ ليس له أن يشرع فيها إذا جهر (الإمام) بها حتى يفرغ منها، أو يتبع سكتات الإمام فيها؛ فيقرأ ما فرغ الإمام منها في سكتة الإمام. وفي صلاة السر يقرأها بحسب ما يغلب على ظنه؛ إلا في الصلاة بعد الجلسة الوسطى فإنه يقرأها ابتداء.

فصل بَلْ وَضَل

فمن رفع رأسه قبل الإمام

فمن قائل: إنه أساء ويرجع وصحت صلاته. ومن قائل: تبطل صلاته.

وصل: الاعتبار:

الإمام (هو) الحق. والقيومية صفته. فلا يجوز للمأموم أن يرفع قبل إمامه، وأن صلاته تبطل، فإنه في حال لا يصح فيها أن يكون مأموما لمثله ولا للحق. فإن قيومية الحق به في رفعه من الركوع تسبق قيوميته. إذ كل ما يقام فيه العبد إنما هو عن صفة إلهية، ظلها هو الذي يظهر في العبد. والظل تبع بلا شك. والعبد ظل، يقول (ص): «السلطان ظل الله في الأرض».

وإنما ورد هذا في الرفع؛ لأن طلب الغلو، بل¹ الغلو له سبحانه - بالاستحقاق. وإنما الذي ينبغي للمأموم الاقتداء بالإمام في كل خفض ورفع؛ فأما الخفض فرمما تطلب النفس فيه للتخيل الفاسد الذي يطرأ من الجاهل.

فاعلم أن الحق وصف نفسه بالنزول. فيسبق المأموم، بخفضه، نزول الحق إليه قبل نزوله وهويته إلى السجود، فلا ينحط إلى السجود حتى يسبقه إمامه. فإنه إن لم يكن يجد الحق في سجوده، فلن ينزل هذا العبد المصلي وينحط بفعاله ذلك؟ فلا ينحط إلا للإله الذي وصف نفسه بالنزول من علوه إلى عبده.

فيقول العبد: يا رب؛ هذه صفتي فأنا أحق بها. وإنما ضرورة الدعوى رفعتني عن مقام الانحطاط. لكونك أخبرت أنك خلقتني على الصورة، فشمخت نفسي على من نزل عن هذه الدرجة التي خصصتني بها. ثم مننت علي بأن نزلت إلي. فمن كان هذا مشهده ومشربه اقتدى بالإمام في جميع الأحوال والأحكام.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

فَمَا يَحْمِلُهُ الْإِمَامُ عَنِ الْمَأْمُومِ

اتَّفَقَ عُلَمَاؤُنَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ الْإِمَامُ عَنِ الْمَأْمُومِ شَيْئًا مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ مَا عدا الْقِرَاءَةَ. فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ. فَمَنْ قَائِلٌ: إِنَّ الْمَأْمُومَ يَقْرَأُ مَعَ الْإِمَامِ فِيمَا أَسْرَّ بِهِ، وَلَا يَقْرَأُ مَعَهُ فِيمَا جَهَرَ¹ بِهِ. وَمَنْ قَائِلٌ: لَا يَقْرَأُ مَعَهُ أَصْلًا. وَمَنْ قَائِلٌ: يَقْرَأُ مَعَهُ فِيمَا أَسْرَّ: "أُمُّ الْكِتَابِ" وَغَيْرَهَا، وَفِيمَا جَهَرَ: "أُمُّ الْكِتَابِ" فَقَطْ وَبِهِ أَقُولُ.

وَبَعْضُهُمْ فَرَّقَ فِي الْجَهْرِ بَيْنَ مَنْ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَسْمَعُ. فَأَوْجِبُ عَلَى الْمَأْمُومِ الْقِرَاءَةَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ، وَنَهَا عَنْهَا إِذَا سَمِعَ.

وَالَّذِي أَذْهَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ وَجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ عَلَى كُلِّ مُصَلٍّ: مَنْ إِمَامٌ وَغَيْرُ إِمَامٍ، أَنَّهُ إِنْ قَرَأَ فِي نَفْسِهِ كَانَ أَفْضَلَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَحِثٌ يَسْمَعُ الْإِمَامَ، فَإِلْإِنْصَاتِ وَالِاسْتِغَاثَةِ لِقِرَاءَةِ الْإِمَامِ وَاجِبٌ لِأَمْرِ اللَّهِ الْوَارد فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾² وَمَا خَصَّ حَالَ صَلَاةٍ مِنْ غَيْرِهَا.

وَالْقُرْآنُ مُقْطُوعٌ بِهِ عِنْدَ الْجَمِيعِ. وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ إِنْ لَمْ يَقْرَأِ الْمَأْمُومُ أَعْنِي غَيْرَ الْفَاتِحَةِ - أَجْزَأُهُ صَلَاتِهِ، إِلَّا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ كَمَا قُلْنَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَدَّ مِنْهَا لِكُلِّ مُصَلٍّ. فَإِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الصَّلَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، وَمَا ذَكَرَ إِلَّا الْفَاتِحَةَ لَا غَيْرَ. فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْهَا فَمَا صَلَّى الصَّلَاةَ الْمَشْرُوعَةَ الَّتِي قَسَمَهَا اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ. وَلَكِنْ يَتَّبِعُ الْمَأْمُومُ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ سَكَنَاتِ الْإِمَامِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْآيَةِ وَالْخَبَرِ. وَإِنْ لَمْ يَسْكُتِ الْإِمَامُ، وَيُكْرَهُ لَهُ ذَلِكَ، فَلْيَقْرَأْهَا الْمَأْمُومُ فِي نَفْسِهِ بَحِثٌ أَنْ لَا يَسْمَعَهُ الْإِمَامُ آيَةَ آيَةٍ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا، وَلَا يَجْهَرُ عَلَى الْإِمَامِ بِقِرَاءَتِهِ.

وَصَلِّ³: الْإِعْتِبَارُ فِي ذَلِكَ:

لَمَّا احْتَوَتْ الصَّلَاةُ عَلَى أَرْكَانٍ، وَهِيَ الْفُرُوضُ الْمُعَيَّنَةُ فِيهَا، لَمْ تُجْزِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا. وَكُلٌّ مَا لَيْسَ بِفَرْضٍ وَيَجْبِرُهُ سَجُودُ السُّهُوِّ، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَحْمِلُهُ عَنِ الْمَأْمُومِ. وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمَأْمُومَ إِذَا نَقَصَهُ (شَيْءٌ) أَوْ زَادَ لَمْ يَسْجُدْ لِسُهُوِّهِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْفُرُوضَ حَقُوقُ اللَّهِ. «وَحَقُّ اللَّهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ». وَمَا عدا الْفُرُوضَ، وَإِنْ كَانَتْ حَقًّا مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ مَشْرُوعَةٌ، وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهَا مَا جُعِلَ لَهَا بَدَلٌ، وَهُوَ سَجُودُ السُّهُوِّ. وَهِيَ الْأَفْعَالُ الَّتِي لِلشَّرْعِ بِهَا اعْتِنَاءٌ، مِنْ حَيْثُ مَا فِيهَا مِنَ الْإِنْعَامِ الَّذِي يَقْرُبُ مِنَ إِنْعَامِ الْفَرَائِضِ بِالشَّبَهِ، وَلِهَذَا جُعِلَ لَهَا بَدَلٌ. وَمِنْهَا مَا هِيَ حَقُوقٌ لِلْعَبْدِ مِمَّا رُغِبَ فِيهَا: فَإِنْ شَاءَ عَمَلُ بِهَا، وَإِنْ شَاءَ تَرْكُهَا، وَمَا جُعِلَ لَهَا

1 ص 157
2 [الأعراف: 204]
3 ص 157 ب

بَدَلٌ. فَإِنْ عَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ ثَوَابٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَرَجٌ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَلِكَ الثَّوَابُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْ فَعْلِهَا: كَرَفْعِ الْأَيْدِي فِي كُلِّ خَفِضٍ وَرَفْعٍ عَمْدًا. فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ الرِّفْعُ، أَوْ مِنْ مَذْهَبِهِ لَمَّا اقْتَضَاهُ دَلِيلُهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ نَسْيَانًا وَسُهُوًّا؛ فَإِنَّهُ يَسْجُدُ لِسُهُوِّهِ، لَا لِرَفْعِ الْيَدَيْنِ. فَإِنَّ السَّجُودَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ إِلَّا لِلْسُّهُوِّ، لَا لِلْمُسْهُوِّ عَنْهُ: بِدَلِيلٍ¹ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَهُ عَمْدًا أَوْ عَنْ اجْتِهَادٍ؛ لَمْ يَسْجُدْ لَهُ.

بِخِلَافِ مَا جُعِلَ لَهُ بَدَلٌ وَلَيْسَ بِفَرْضٍ: فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَبْطُلُ بِتَرْكِهِ عَمْدًا، أَوْ بِفَعْلٍ مَا لَمْ يُشْرَعْ لَهُ فَعْلُهُ عَمْدًا.

وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْجُلُوسَةِ الْوَسْطَى، وَبَيْنَ جُلُوسَةِ الْإِسْتِرَاحَةِ، وَالْجُلُوسَةِ الَّتِي بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَالْجُلُوسَةِ الْأَخِيرَةِ. وَحَكَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ مُخْتَلَفٌ. وَاعْتَبَارُهُ: فِي الْعَمَاءِ، وَفِي الْعَرْشِ، وَفِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَفِي الْأَرْضِ عِنْدَ جُلُوسِ الْعَبْدِ فِي مَجْلِسِهِ. فَالْعَمَاءُ: لِلْجُلُوسِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ. وَالْعَرْشُ: لِلْجُلُوسَةِ الْأَخِيرَةِ. وَالسَّمَاءُ: لِلْجُلُوسَةِ الْوَسْطَى. وَمَعَ جُلُوسِي فِي الْأَرْضِ حَيْثُ كُنْتُ مِنْ مَجَالِسِي: لِلْجُلُوسِ الْإِسْتِرَاحَةِ.

وَأَمَّا مَنْ جَلَسَ فِي وَتَرٍ مِنْ صَلَاتِهِ فَمَا حَكَمَهُ حُكْمُ الْجُلُوسَةِ الْوَسْطَى؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُشْرَعْ لَهُ تَرْكُهَا. وَجُلُوسَةُ الْإِسْتِرَاحَةِ شُرِعَ لَهُ فَعْلُهَا. فَلَوْ تَعَمَّدَ جُلُوسَ الْإِسْتِرَاحَةِ، فَقَدْ تَعَمَّدَ مَا شُرِعَ لَهُ، وَلَمْ تَبْطُلْ صَلَاتُهُ. وَإِنْ جَلَسَ فِي وَتَرٍ مِنْ صَلَاتِهِ نَاسِيًّا وَهُوَ يَرِيدُ الْقِيَامَ؛ سَجَدَ لِسُهُوِّهِ لَا لْجُلُوسِهِ، وَلَهُ أَجْرُ الْجُلُوسِ وَأَجْرُ مَا سَهَا عَنْهُ لِسَجُودِ السُّهُوِّ، الَّذِي هُوَ تَرْغِيمُ لِلشَّيْطَانِ. وَلَهُ أَجْرٌ مِمَّنْ أُنْكِيَ فِي عَدْوِ اللَّهِ وَعَدْوِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا يَطَّوُّنَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكَفَّارَ وَلَا يَتَّالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾². وَالشَّيْطَانُ مِنَ الْكَفَّارِ لِقَوْلِ³ اللَّهِ فِيهِ: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾⁴. وَسَيَأْتِي مَا يُلِيقُ بِهَذَا كُلِّهِ فِي السُّهُوِّ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَضْلُ بَلِّ وَضَلِّ

فِي ارْتِبَاطِ صَلَاةِ الْمَأْمُومِ بِصَلَاةِ الْإِمَامِ فِي الصَّحَّةِ وَالْبَطْلَانِ
اختلف العلماء في؛ هل صحة انعقاد صلاة المأموم مرتبطة⁵ بصحة صلاة الإمام، أم لا؟ فمن الناس من

1 ص 158
2 [البقرة: 120]
3 ص 158 ب
4 [البقرة: 34]
5 ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب

رأى أنها مرتبطة. ومنهم من لم ير أنها مرتبطة، وبه أقول. وإن اقتدى به فيما أمر أن يقتدي به فيه. ولهذا
اختلفوا في الإمام إذا صلى وهو جُنُب، وعلموا بذلك بعد الصلاة؛ فمن رأى الارتباط، قال: "صلاتهم
فاسدة". ومن لم ير الارتباط، قال: "صلاتهم صحيحة". وهو الذي أذهب إليه.

وفرق قوم بين أن يكون الإمام عالماً بجنابته أو ناسياً. فقالوا: إن كان عالماً فسدت صلاتهم. وإن كان
ناسياً لم تقسّد صلاتهم.

وصل الاعتبار في ذلك:

﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾¹ وما في وسع الإنسان أن يعلم ما في نفس غيره. ولا يحيط علماً بأحوال
غيره. فكل مصلّ إنما هو على حسب حاله مع الله. ولهذا ما أمره الشرع في الاتهام بإمامه، إلا فيما
يشاهده من الإمام: من رفع وخفض.

فإن كشف بحال الإمام، كان حكمه بحسب كشفه. فإذا علم أنّ الإمام على غير طهارة؛ فليس له أن
يقتدي به من وقت علمه، وصحّ له ما مضى من صلاته معه قبل علمه. ولا اعتبار في ذلك لنسيان الإمام
أو عمده: فإن الإمام، عنده من وقت علمه، في غير صلاة شرعاً، وما أمره الله أن يرتبط - أعني أن يقتدي
إلا بالمصلي -. فإن كان الإمام ناسياً لجنابته أو حدّثه، فهو مصلّ شرعاً. وصلاة المأموم صحيحة شرعاً،
وإتمامه بمن هو مصلّ شرعاً.

وإن علم المأموم أنّ الإمام على غير طهارة، فإن تمكّن للمأموم أن يعلمه بحدّثه في نفس صلاته، أعلمه،
بحيث أن لا تبطل صلاة المأموم بذلك الإعلام. فإن الله يقول: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾³. وإن لم يتمكّن،
صلى لنفسه، فإذا فرغ من صلاته أعلمه بحدّثه، سواء فرغ الإمام أو لم يفرغ. فإن تذكّر الإمام أو قلّده
تطهر. وإن لم يتذكّر ولم يقلّده، فهو بحسب ما يقتضيه علمه ومذهبه في ذلك، وصلاة المأموم صحيحة.

انتهى⁴ الجزء الحادي والأربعون بانهاء السفر السادس من هذه النسخة والحمد لله. يتلوه في الجزء

1 أسفل المتن: "قرأت من موضع البلاغ بخطي إلى هنا على مصتفة الإمام العلامة محي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي
بن العربي، أتابه الله الجنة، فسمعه: ابنه أبو المعالي محمد، وأبو سعد محمد، وإساعيل بن سودكين بن عبد الله النوري، ومحمد بن علي
بن الحسين الأخطاطي، وأبو بكر بن سليمان الحوي الواعظ، وابناه عبد الواحد، وأحمد، ومحمد بن عبد الواحد المذكور، وأبو المعالي عبد
العزیز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الزبلي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وموسى بن زيد
الخوراني، وأبو بكر بن محمد البلخي، ومحمد بن يرقش المعظمي، وإبراهيم بن أبي بكر بن الحلال، ويعقوب بن معاذ الوري، ويونس بن
عثمان، وأحمد بن أبي الهيجاء، وأبو القاسم بن أبي الفتح الحريري، ومحمد بن أحمد بن زرافة، وابن أخيه عبد السلام بن أبي الفضل،
وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعمران بن محمد، ومحمد بن علي
المطرز، وبركة بن حسن بن مالك، وعيسى بن إسحق الهذلي، وعبد المنعم بن مظفر المصري، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأنلسي،
وعيسى بن إساعيل الملقط، وإبراهيم بن محمد بن محمد، وعلي بن أحمد القرطبي، وأحمد بن عبد الرحيم بن بيان، وحسين بن علي
الموصلي، وإبراهيم بن أبي بكر كرجي، ومحمد بن نصر الله بن هلال، وعلي بن أبي الغنائم بن الفصال، ومحمد بن عبد القادر بن الصانع
المعروف بابن جهم، وكتب علي بن المظفر بن القاسم النشبي، وصح ذلك (...) في يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى من سنة ثلاث
وثلاثين وستائة بمنزل المصنف بدمشق، والحمد لله، وصلواته على سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليماً كثيراً".

عليه: "وقرأت من موضع البلاغ بخطي لآخر هذه المجلدة على الشيخ المؤلف المذكور، فسمعه القاضي الأجل الإمام معين الدين أبو إسحق
إبراهيم بن القاضي محمد الدين أبي المكان عمر بن القاضي الأجل عز الدين عبد العزيز بن الحسن القرشي، وصح له جميع ما فات، وذلك في
ثالث عشر من شوال من سنة ثلاث وثلاثين وستائة، وسمع معه الشيخ عيسى بن إسحق بن يوسف الهذلي. كتبه علي بن المظفر بن
القاسم النشبي الشافعي عفا الله عنه حامداً ومصلياً وسلم".

عليه: "قرأت وأنا محمود بن عميد الله بن أحمد الزنجاني جميع هذا الجلد، وهو الجلد السادس من الفتوحات المكية على جامعته الشيخ
العلامة سيد الطوائف، خلف المشايخ، محي الدين شيخ الإسلام محمد بن علي بن محمد بن العربي الحائمي الطائي - مد الله في عمره - في
مجالس آخرها يوم الأحد سادس عشر من محرم الميمون سنة سبع وثلاثين وستائة في منزله بدمشق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله
الطاهرين". يليه بخط الشيخ الأكبر: "صح ما ذكره من القراءة علي، وكتب محمد بن علي بن العربي الطائي بخطه في التاريخ".

1 [البقرة: 286]

2 ص 159

3 [محمد: 33]

4 ص 159 ب

الفهارس

فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
62	1	1	الفاتحة	130	186	2	البقرة
81	1	1	الفاتحة	131	222	2	البقرة
62	2	1	الفاتحة	106	238	2	البقرة
63ب	2	1	الفاتحة	14	269	2	البقرة
66ب	2	1	الفاتحة	82ب	282	2	البقرة
67	2	1	الفاتحة	83	282	2	البقرة
81ب	2	1	الفاتحة	158ب	286	2	البقرة
70ب	5	1	الفاتحة	102ب	18	3	آل عمران
65ب	6	1	الفاتحة	120	97	3	آل عمران
83	2، 3	1	الفاتحة	124ب	97	3	آل عمران
90	6، 7	1	الفاتحة	13	133	3	آل عمران
31ب	21	2	البقرة	150ب	133	3	آل عمران
31ب	22	2	البقرة	92ب	139	3	آل عمران
64ب	25	2	البقرة	116ب	159	3	آل عمران
28ب	29	2	البقرة	93	34	4	النساء
158ب	34	2	البقرة	52ب	40	4	النساء
67ب	40	2	البقرة	40ب	59	4	النساء
3ب	43	2	البقرة	134ب	59	4	النساء
43	115	2	البقرة	40ب	80	4	النساء
45	115	2	البقرة	100	80	4	النساء
46	115	2	البقرة	106	80	4	النساء
46ب	149	2	البقرة	134ب	80	4	النساء
46ب	150	2	البقرة	132	86	4	النساء
130	152	2	البقرة	10	103	4	النساء
72	163	2	البقرة	66	150	4	النساء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
66	151	4	النساء
75	20	5	المائدة
53ب	48	5	المائدة
116	18	6	الأنعام
86	54	6	الأنعام
41	72	6	الأنعام
60ب	79	6	الأنعام
72ب	79	6	الأنعام
73	79	6	الأنعام
77	91	6	الأنعام
63	118	6	الأنعام
63	121	6	الأنعام
42ب	149	6	الأنعام
73ب	162	6	الأنعام
60ب	162، 163	6	الأنعام
49ب	22	7	الأعراف
22ب	54	7	الأعراف
3	151	7	الأعراف
86	156	7	الأعراف
43ب	176	7	الأعراف
36	187	7	الأعراف
98ب	187	7	الأعراف
157	204	7	الأعراف
21ب	6	9	التوبة
49	6	9	التوبة
116ب	73	9	التوبة
158	120	9	التوبة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
65ب	124	9	التوبة
108	24	10	يونس
90	56	11	هود
142	56	11	هود
65ب	112	11	هود
45ب	123	11	هود
68ب	123	11	هود
72ب	123	11	هود
127	68	12	يوسف
99	98	12	يوسف
39ب	108	12	يوسف
18ب	17	13	الرعد
77	33	13	الرعد
31ب	17	16	النحل
33ب	17	16	النحل
72ب	17	16	النحل
27ب	60	16	النحل
18ب	74	16	النحل
62ب	98	16	النحل
79	98	16	النحل
80	98	16	النحل
7	12	17	الإسراء
45	23	17	الإسراء
3ب	44	17	الإسراء
30	44	17	الإسراء
90ب	44	17	الإسراء
98ب	44	17	الإسراء

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
26ب	62	18	الكهف
17ب	63	18	الكهف
17ب	64	18	الكهف
17ب	81	18	الكهف
18	82	18	الكهف
73	82	18	الكهف
153ب	110	18	الكهف
135	12	19	مريم
99ب	33	19	مريم
135	29، 30	19	مريم
57	46	20	طه
142	50	20	طه
151ب	108	20	طه
60	114	20	طه
97ب	114	20	طه
43ب	23	21	الأنبياء
70ب	30	21	الأنبياء
72ب	30	21	الأنبياء
3ب	18	22	الحج
30ب	30	22	الحج
30	32	22	الحج
15	78	22	الحج
43	78	22	الحج
143ب	9	23	المؤمنون
107ب	14	23	المؤمنون
13	61	23	المؤمنون
126	61	23	المؤمنون

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
150ب	61	23	المؤمنون
44ب	117	23	المؤمنون
18	35	24	النور
18ب	35	24	النور
18ب	35	24	النور
108	35	24	النور
3ب	41	24	النور
97ب	61	24	النور
17	80	26	الشعراء
17	82	26	الشعراء
17	82	26	الشعراء
31ب	38	28	التقصص
113	38	28	التقصص
43ب	68	28	التقصص
49	43	29	العنكبوت
80ب	45	29	العنكبوت
66ب	4	30	الروم
24ب	4	33	الأحزاب
47ب	4	33	الأحزاب
49	4	33	الأحزاب
48	13	33	الأحزاب
4	21	33	الأحزاب
103	21	33	الأحزاب
67ب	24	33	الأحزاب
3	43	33	الأحزاب
3	43	33	الأحزاب
101	43	33	الأحزاب

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
155	52	33	الأحزاب	70	31	47	محمد
103	56	33	الأحزاب	159	33	47	محمد
38	47	34	سبا	134ب	10	48	الفتح
112ب	28	35	فاطر	132	17	49	الحجرات
126	32	35	فاطر	48	16	50	ق
141ب	32	35	فاطر	77	16	50	ق
142	1	37	الصفافات	141	16	50	ق
77	180	37	الصفافات	43ب	29	50	ق
36	29	38	ص	74ب	37	50	ق
45	3	39	الزمر	19ب	49	51	الذاريات
22ب	5	39	الزمر	19ب	49	51	الذاريات
3	7	40	غافر	36	55	51	الذاريات
3	7	40	غافر	74	56	51	الذاريات
3	9	40	غافر	80	56	51	الذاريات
79ب	35	40	غافر	134ب	56	51	الذاريات
113	60	40	غافر	100	3	53	النجم
73	10	41	فصلت	106	3	53	النجم
71ب	28	41	فصلت	69	4، 3	53	النجم
44	11	42	الشورى	142ب	54	54	القمر
77	11	42	الشورى	142ب	55	54	القمر
101ب	11	42	الشورى	41	9	55	الرحمن
41	13	42	الشورى	90ب	31	55	الرحمن
38	23	42	الشورى	82ب	3 - 1	55	الرحمن
56	51	42	الشورى	32	4، 3	55	الرحمن
31ب	54	43	الزخرف	72	4، 3	55	الرحمن
79ب	49	44	الدخان	32	2، 1	55	الرحمن
66	23	45	الجاثية	69	74	56	الواقعة

رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم السورة	اسم السورة
91ب	74	56	الواقعة	31ب	24	79	النازعات
77	85	56	الواقعة	112ب	24	79	النازعات
27	3	57	الحديد	113	24	79	النازعات
72ب	3	57	الحديد	114	26	79	النازعات
45	4	57	الحديد	112ب	25، 26	79	النازعات
53	4	57	الحديد	21	18	81	التكوير
13	21	57	الحديد	57	26	81	التكوير
153	1	58	الجماداة	110	29	81	التكوير
48	7	58	الجماداة	29	6	83	المطففين
122	12	58	الجماداة	6	1	85	البروج
15	7	59	الحشر	69	1	87	الأعلى
83ب	24	59	الحشر	91ب	1	87	الأعلى
71ب	1	60	المتحنة	30ب	17	88	الغاشية
80ب	5	67	الملك	148ب	22	89	الفجر
53	23	70	المعارج	5	9	91	الشمس
143	23	70	المعارج	74	7	93	الضحى
144	20	73	المزمل	81ب	1	96	العلق
68	4	74	المدثر	28ب	14	96	العلق
77	31	74	المدثر	66ب	3	112	الإخلاص
148ب	38	78	النبأ	77	4	112	الإخلاص

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
أثنى عليّ عبيد	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 597	68
اجعلوها في ركوعكم	سنن أبي داود 736، سنن ابن ماجه 877	69، 91
اجعلوها في سجودكم	سنن أبي داود 736، سنن ابن ماجه 878	69، 91
آخر وقت الظهر ما لم يدخل وقت العصر		14
إذا استطعم الإمام من خلفه فليطعمه		63
إذا آمن الإمام فآمنوا	صحيح البخاري 738، صحيح مسلم 618	141
إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده. فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد، فإن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده	صحيح مسلم 612، مسند أحمد 18834	105
إذا قال الإمام: ﴿ولا الضالين﴾ فقولوا: آمين	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 755، شعب الإيمان للبيهقي 2271	141
إذا كنتم في سفر فأذنوا وأقيموا	سنن الترمذي 189، السنن الكبرى للنسائي 1598	34
إذا وزّنت فأزجج	سنن ابن ماجه 2213، مستخرج أبي عوانة 3949	41
ارجع فصل فإنك لم تصلّ» فقال الرجل: «علمني يا رسول الله» فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا، ثم اقل ذلك في صلاتك كلها	صحيح البخاري 715، صحيح مسلم 602	127

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
اركع حتى تطمئن راكعاً، وارفع حتى تطمئن واقفاً	صحيح البخاري 715، صحيح مسلم 602	117
اضربوا لي فيها بسهم	سنن الدارقطني 3080، مسند أحمد 10972	38
اعبد الله كأنك تراه	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	61
أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	27
أعطيت ستاً لم يُعطهن نبي قبلي... وأوتيت جوامع الكلم	صحيح مسلم 812، مسند أحمد 8969	110
أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم	سنن أبي داود 658، سنن الترمذي 225	79
أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك.. أعوذ بك منك	صحيح مسلم 751، سنن النسائي 169	79
ألا إن العبد نام	سنن الدارقطني 966، معرفة السنن والآثار للبيهقي 15	36
إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله	صحيح البخاري 24، سنن الدارقطني 910	90
أمر من كان صلى خلف الصف وحده أن يعيد	سنن أبي داود 584، سنن الترمذي 213	129
إن أحق ما أخذتم عليه كتاب الله	صحيح البخاري 5296، سنن الدارقطني 3083	38
إن الإنسان في صلاة ما دام ينتظر الصلاة	مسند أحمد 10413، سنن الترمذي 302	42، 142
إن الرسالة والنبوة قد انتطعت فلا رسول بعدي ولا نبي	سنن الترمذي 2198، مسند أحمد 13322	99
إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله	صحيح البخاري 2958	5

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
و صحيح مسلم 3177		
إِنَّ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ	صحيح مسلم 836، سنن النسائي 1203	ب68
إِنَّ الصَّلَاةَ نُورٌ	صحيح مسلم 328، سنن الترمذي 3439	ب43
إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فِي مَنَاجَاتِهِ فِي الصَّلَاةِ، يَقُولُ اللَّهُ: يَذْكُرُنِي عَبْدِي	ب81	
إِنَّ الْعَبْدَ يَقُولُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ: اللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَقُولُ اللَّهُ: أَنَا أَكْبَرُ. يَقُولُ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. يَقُولُ (اللَّهُ): لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا. يَقُولُ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ. يَقُولُ اللَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ - يُصَدِّقُ عَبْدَهُ	سنن الترمذي 3352، سنن ابن ماجه 3784	ب155
إِنَّ اللَّهَ أَذْبَنِي فَحَسَنَ أَدْبِي	صفة الصفوة لابن الجوزي - (1 / 35)، أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني - (1 / 5)	ب16
إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ	الزهد لأحمد بن حنبل 397، فيض القدير - (2 / 88)	ب54
إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ فِي الصَّلَاةِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ عِنْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ	صحيح مسلم 612، مسند أحمد 18834	ب49
إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ	صحيح مسلم 612، مسند أحمد 18834	ب21، ب68، ب93، ب153
إِنَّ اللَّهَ قَدْ زَادَكُمْ صَلَاةً إِلَى صَلَاتِكُمْ	مصنف عبد الرزاق 4582، مسند أحمد 6406	ب19، ب20
إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمْلُوا	صحيح البخاري 1083، صحيح مسلم 1302	ب130

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ .. وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ	صحيح مسلم 4650، سنن ابن ماجه 4133	ب23
إِنَّ اللَّهَ وَتَرِ يَحِبُّ الْوَتَرَ	صحيح مسلم 4835، سنن أبي داود 1207	ب19، ب131
إِنَّ بِلَالًا يَنَادِي بَلِيلُ	صحيح البخاري 582، صحيح مسلم 1827	ب36
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 9	ب87، ب131
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا غَزَا قَوْمًا صَبَّحَهُمْ؛ فَإِنْ سَمِعَ نَدَاءً لَمْ يُغْزِ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ نَدَاءً أَغَارَ	صحيح ابن حبان 2724، مصنف ابن أبي شيبة - (1 / 477)	ب81
إِنَّ سَجُودَ السُّهُوَ تَرْغِيمٌ لِلشَّيْطَانِ	معرفة السنن والآثار للبيهقي 951	ب147
إِنَّ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ كَافِيَةٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ	سنن أبي داود 1162، مسند أحمد 25104	ب141
إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا	شعب الإيمان للبيهقي 699	ب48
أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِي	الزهد لأحمد بن حنبل 397، فيض القدير - (2 / 88)	ب110
أَنَا مَعَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي	شعب الإيمان للبيهقي 5717، مصنف عبد الرزاق 19543	ب117
إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَجْلَسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ	صحيح البخاري 365، صحيح مسلم 622	ب154
إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامَ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَلَا تَكْبُرُوا حَتَّى يَكْبُرَ. وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَلَا تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ. وَإِذَا قَالَ: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ" فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَلَا تَسْجُدُوا حَتَّى يَسْجُدَ		

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
إنما يرحم الله من عباده الرحماء	صحيح البخاري 1204، 3	
إنه أصدق بيت قالته العرب	صحيح مسلم 1531 شعب الإيمان للبيهقي 6543 47	
أنه صلى الظهر في اليوم الثاني في الوقت الذي صلى فيه العصر في اليوم الأول	14ب	
أنه صلى المغرب في اليومين، في وقت واحد في أول فرض الصلوات	19	
إنه كان صلى الله عليه وسلم - يذكر الله على كل أحيانه	صحيح مسلم 558، مسند أحمد 25172 53	
إنه من دعا بظهر الغيب لأخيه قال له الملك: ولك بمثله	صحيح مسلم 4913، سنن أبي داود 1311 103	
إنه يراك	صحيح البخاري 48، صحيح مسلم 8 28ب	
أهل القرآن هم أهل الله وخاصته	مسند أحمد 11831، 134	
بأدري عهدي بنفسه	المستدرك على الصحيحين للحاكم 2003	
بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج	صحيح البخاري 3204، 141ب مستخرج أبي عوانة 105	
بي يسمع ويبي يصير ويبي يتكلم	صحيح البخاري 7، صحيح مسلم 19 4ب	
تروون ربكم كما تروون الشمس	صحيح البخاري 6021، 141ب المعجم الكبير للطبراني 7739	
ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال في صلاته وهو إمام: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد	صحيح البخاري 764، صحيح مسلم 267 11	
	صحيح البخاري 365، صحيح مسلم 623 154	

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
ثم لم يجدوا إلا أن يشتبهوا عليه لاستهيموا عليه	صحيح البخاري 580، صحيح مسلم 661 126ب	
جعت فلم تطعمني، مرضت فلم تعدني، ظمئت فلم تسقي... أما إن فلانا مرض، فلو عدته وجدتي عنده حيثما أدركتك الصلاة فصل	صحيح مسلم 4661، شعب الإيمان للبيهقي 8879 48 صحيح البخاري 3172، 47 صحيح مسلم 809	
خير موضوع	مسند أحمد 20566، 34 المستدرك على الصحيحين للحاكم 4131	
زادك الله حرصا ولا تكد	صحيح البخاري 741، سنن أبي داود 585 151	
زدني فيك تحيرا	تفسير حقي - (1 / 352) 77ب	
زملوني زملوني، دثروني	صحيح البخاري 3، صحيح مسلم 231 100ب	
سأل النبي صلى الله عليه وسلم - عن أبيّ حين أرتج عليه، يقول له: «لم لم تفتح عليّ السلطان ظلّ الله في الأرض	143ب	
سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها	شعب الإيمان للبيهقي 7117، 156 مسند الشهاب القضاعي 294	
الصلاة قد قسمها الله بنصفين بينه وبين عبده	سنن ابن ماجه 199، مسند أحمد 18406 34	
صلوا كما رأيتموني أصلي	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598 49 صحيح البخاري 595، سنن الداري 1300 60، 103، 106، 115	

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - خلف عبد الرحمن بن عوف بلا خلاف، وقضى ما فات، وقال: أحسنتم فإذا فعلت ذلك فقد نكت صلاتك، وإن انتقصت منها شيئاً؛ انتقص من صلاتك ولم تذهب كلها» وقال في أوله: «إذا قمت إلى الصلاة فتوضاً كما أمرك الله، ثم تشهد، فأقم ثم كبر	موطأ مالك 64، مسند أحمد 139 17458 سنن الترمذي 278، صحيح 127ب ابن خزيمة 526	
فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين في الصلاة، يقول الله: حمدي عبدي. يقول العبد: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول الله: أتى علي عبدي يقول العبد: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول الله: تجدي عبدي يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول الله: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل اهتدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فيقول الله: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل	موطأ مالك 174، صحيح 84 مسلم 598	
فإن الراجح حول الحمى يوشك أن يقع فيه	المعجم الأوسط للطبراني 49ب 11057، مستخرج أبي عوانة 4449	
فإنه يؤذن بليل؛ فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم	صحيح البخاري 582، صحيح 35 مسلم 1827	
فأوعروا يا أهل القرآن	سنن أبي داود 1207، سنن 19ب الترمذي 415	
في كل كبد رطبة أجر	صحيح البخاري 2190، 86ب صحيح مسلم 4162	
فيقول الله: حمدي عبدي	موطأ مالك 174، صحيح 62، مسلم 598، 63ب، 66ب	
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	موطأ مالك 174، صحيح 8ب،	

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل. موطأ مالك 174، صحيح 81ب	مسلم 598	54، 61ب، 63ب، 66، 82، 129ب، 145، 128
يقول عبدي إذا افتتح الصلاة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيذكرني عبدي. يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدي عبدي	مسلم 598	
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بها منكبيه، ثم يكبر حتى يقرأ كل عظم في موضعه معتدلاً، ثم يقرأ، ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بها منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثم يعتدل فلا يتصب رأسه ولا يثني، ثم يرفع رأسه ويقول: سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي منكبيه معتدلاً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يهوي إلى الأرض فيجافي يديه عن جنبيه، ثم يرفع رأسه ويثني رجله اليسرى فيقعدها عليها، ويفتح أصابع رجله إذا سجد، ويسجد...	سنن أبي داود 627	
كان عليه السلام - يرفع يديه عند الإحرام مرة واحدة لا يزيد عليها	سنن أبي داود 3567، سنن 79ب ابن ماجه 4164	
الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منها قصمته	صحيح البخاري 6021، 48، المعجم الكبير للطبراني 7738	
كنت سمعه وبصره ولسانه	صحيح البخاري 522، صحيح 132ب مسلم 1001	
كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركاهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون		

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
لا تقولوا: السلام على الله فإن الله هو السلام	صحيح البخاري 791، سنن أبي داود 825	98
لا تقوموا حتى تروني	صحيح البخاري 601، صحيح مسلم 949	152
لا يؤمن أحدٌ بعدي قاعدا	مصنف عبد الرزاق 4088	154ب
لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت الأخرى	11ب، 14ب	
لا يمنعكم أذان بلال عن الأكل والشرب	مسند أحمد 11978، المعجم الكبير للطبراني 6840	35
الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من شَجِه وثَقِه وهَمَزِه	سنن أبي داود 651، مسند أحمد 16139	80ب
اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبنيك وسعديك والخير كله بيدك والشر ليس إليك	صحيح مسلم 1290، سنن الترمذي 3343	74ب
اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك	مسند أحمد 3528، المستدرک على الصحيحين للحاكم 1830	102
اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يضل من هديت، تباركت وتعاليت	سنن أبي داود 1214، سنن الترمذي 426	111

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم تقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد لو خشع قلبه لخشعت جوارحه	صحيح البخاري 702، صحيح مسلم 940	60ب
ما تقول في هذا الرجل؟؛ فيقول عند ذلك: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا، فقلت مثل ما قالوه ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم	مسند أحمد 10577، مصنف عبد الرزاق 6703، سنن الدارقطني 1461	151ب، 104
مرضت فلم تعذني. فأقول لك: وكيف تمرض وأنت رب العالمين؟ فقال لي صلى الله عليه وسلم- إنك تقول مجيبا لي: إن عبيد فلانا مرض فلم تعده، أما أنك لو عدته لوجدتني عنده	صحيح مسلم 4661، شعب الإيمان للبيهقي 8879	110ب
المغرب وتر صلاة النهار	مسند أحمد 5290، مصنف عبد الرزاق 4675	19
من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم من سن سنة حسنة	صحيح البخاري 6856، صحيح مسلم 4851، سنن ابن ماجه 199، مسند أحمد 18406	130، 33ب
من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاث- غير تمام	موطأ مالك 174، صحيح مسلم 598	81ب
من عَزَف نفسه عَزَف ربه	أدب الدنيا والدين للماوردي - (1 / 86)، المحرر الوجيز - (6 / 354)	30ب
من يأخذ هذا السيف بحقه، فأخذه أبو دجانة، فمشی- به بين الصفيين خيلاء مظهر الإعجاب والتبخر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن	المستدرک على الصحيحين للحاكم 5008، المعجم الكبير للطبراني 15357	116ب

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
نُصِرَ الله امرءًا سمع مني كلمة فوعاها، فأذاها كما سمعها، فَرُبَّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ	المعجم الأوسط للطبراني 6972، دلائل النبوة للبيهقي 2919	39ب
هو لها صدقة ولنا هديّة	صحيح البخاري 1398، صحيح مسلم 1786	38ب
وأعوذ بك منك	صحيح مسلم 751، سنن أبي داود 745	79ب
وجُعِلَتْ قَرّةٌ عيني في الصلاة	سنن النسائي 3879، مسند أحمد 13526	130ب
وحقّ الله أحقّ بالقضاء	صحيح البخاري 6205، صحيح مسلم 1936	157ب
وسعني قلب عبدي	الزهد لأحمد بن حنبل 429	23ب، 68ب
وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي في هذا الحديث: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائمًا ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، وقال في الرفع من الركوع: "اعتدلّ حتى يرجع كلّ عظم في موضع معتدلاً". وكذلك بين السجدين، وزاد في آخره ثمّ سلّم	سنن الترمذي 237	128ب
وقال عليّ بن عبد العزيز عن رفاعه بن رافع في هذا الحديث: إنّ الرجل قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا أدري ما عبثت عليّ» فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّه لا تتمّ صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله، ويغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ثمّ يكبر الله ويحمده ويمجّده، ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه وتيسّر، ثمّ يكبر ويركع؛ فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئنّ مفاصله وتسترخي، ثمّ يقول: سمع الله لمن حمده، ويستوي قائمًا حتى يأخذ كلّ عظم مأخذه،	المستدرک علی الصحیحین للحاکم 847، المعجم الكبير للطبراني 4398	127ب

الحديث	مخرج الحديث	صفحة المخطوط
ويقيم صلبه، ثمّ يكبر فيسجد، ويكّن وجهه من الأرض حتى تطمئنّ مفاصله وتسترخي، ثمّ يكبر فيرفع رأسه ويستوي قاعدا على مقعدته، ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ، ثمّ قال: «لا تتمّ صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك	سنن أبي داود 332، المستدرک علی الصحیحین للحاکم 653	20
الوقت ما بين هذين	صحيح مسلم 3406، ومسنند أحمد 6204	146
وكلتا يديه يمين	سنن أبي داود 511، مسند أحمد 8146	155ب
ولا تكبروا حتى يكبر	صحيح البخاري 6856، صحيح مسلم 4832	77
ومن أتاني يسعى أتيتته هرولة	مصنف ابن أبي شيبة 116	133ب
يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمَهُمُ بِالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ هَجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهَجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ إِسْلَامًا. وَلَا يُؤْمُّ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرَمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ	صحيح البخاري 1338، صحيح مسلم 1715	50
اليد العليا خير من اليد السفلى		

فهرس الشعر

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر
2	وكم من مُصلٍّ ما له من صلاته	والعنا ا	17	الطويل
113ب	إذا قلت: يا الله؛ قال: لما تدعو	تدعو ع	2	الطويل
112ب	تقولُ بهم وتعتيهم وماذا	أقول ل	4	الوافر
27	أخبروني أخبروني إني	أصنعه ه	1	مخلع البسيط
مجموع الأبيات				
24				

استشهاد

رقم المخطوط	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر	الشاعر
68ب	تصيرك الثوب حقًا	وألقى ق	1	المجتث	علي بن أبي طالب
47	ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ	زائل ل	1	البسيط	لبيد
68ب	فسلِّي ثيابي من ثيابك تنسلِ	تنسل ل	1	الطويل	امرؤ القيس
46	والله لولا الله ما اهتدينا	صلينا ن	1		
89ب	أنا حيٌّ عند حيٍّ	بشي ي	1	مجزوء	المديد
71	وعطلَّ قلوصي في الركاب فإنها	بواكيا ي	1	الطويل	
مجموع الأبيات					6

مصطلحات صوفية

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
إبراهيم	17	أم الكتاب	142، 157
إبليس	109ب	الإمامة - الإمام	130، 137، 145ب
الاتحاد	79ب	أسماء الأسماء	92
الأحدية - أحدية	19ب، 108ب	الإلهية	
الأحد - أحدية الكثرة	131ب	الإنسان / العالم	137ب
الاختيار	132	الأصغر	
آدم	49ب	أول - آخر	66ب
الاستقامة	65ب	الإيثار	74، 122ب
الاستواء الإلهي	22	الباء - نقطة الباء	82، 141ب
الاستواء الرحاني		باطل/عدم	47
الاستواء/السواء	10ب، 22	بحر	108ب
الاسم	27	البعد	147ب
الاسم الإلهي	11ب، 35ب، 36	البلد الأمين	142
الاسم الجامع	37ب، 83، 83ب	البيت	98
اسم ذات - اسم	82، 90	بينه الله	74
مرتبة		التثليث	32ب
أسماء الإحصاء	102	ترجمان الحق	146ب، 153
الأفراد	131ب	التسييح/ذكر	3ب
الألوهية أو الألوهة	75، 90	التسليك - السلوك	137
الضياء		التصريف	50ب، 79ب
الأم	64، 85ب		
أم القرآن	62ب، 63، 64		

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
التوحيد	5، 8، 32، 32ب،	الصراط المستقيم	90، 90ب
33، 33ب، 65ب،		الصفة	18، 67ب، 75،
79ب، 90، 100،		82ب، 91، 92ب،	
102		101ب، 112ب،	
التوكل	122ب	114، 124ب	
الثبوت	101ب	الصلاة	43ب، 80ب
جبريل	14ب، 19، 20، 89،	الصمت	113ب
محمد	100ب، 153ب	الصورة/الأمر	124ب
حاجب الحق	103ب	ضلال الهدى	74
الحال	152ب	الظاهر والباطن	27، 29ب، 51،
الحجاب	26ب، 27، 111ب،	الظل	58ب، 72ب
الحرية	112	ظل الله	156
الحضرة الإلهية	10ب	العارف	92، 92ب، 84،
الحضور	51ب، 65،	عالم الأمر	83، 84ب،
الحق المشهود	109	عالم البرزخ	136ب، 109ب
حكيم الوقت	9، 56ب، 93ب،	عالم الملكوت	22ب
حواء	97، 94	عبد اضطرار- عبد	29ب
الحضر	47ب	اختيار	132
الخلق مع الأفاضل	9ب، 9ب	العبد المحض	132
خلوة	49ب	عبد رب	66
	18	العدل/ الميزان	142
	34ب	الحكمي المعنوي/	
	13ب		

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
الخير	46ب، 47، 76ب	الرحمة الامتنانية	83
الرحمة الخاصة	83	الرحمة الطبيعية- 83، 83ب	
الرحمة الموضوعة	83	الرحمة الواجبة	21ب
الروح/العقل	21ب	الزمان/السلطان	7، 8
السالك	15ب، 96ب	سالك	15ب، 96ب
الستر	27، 66، 108	سر القدر	43ب
السراج	18	الشجرة/ الإنسان	108
الشعر/العدم	47، 47ب، 77	الكامل	
الشروق- المشرق	69ب	الشر/العدم	47، 47ب، 77
شعائر الله/مناسك	29ب، 30	الشروق- المشرق	69ب
شهادة/نهار/ظهور	21ب، 22، 22ب	صاحب الوقت	9، 35ب، 46
صاحب الوقت	9، 35ب، 46	الصحو/رجوع	100
الصحو/رجوع	100	صراط الرب	90

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة المخطوط	الاسم	صفحة المخطوط
أبو عمر بن عبد البر	127ب	إبراهيم الخليل	17
أبو قتادة	128	إيليس	109ب
أبو مدين	141ب	ابن أم مكتوم	35، 36، 36ب
أبو هريرة	81ب، 82، 127	ابن حزم الأندلسي	139
آدم	49ب	ابن كانة	35
أم الحويرث	46	أبو العباس أحمد بن	41
الأوزاعي	55ب	علي بن ميمون التوزري	14
البخاري	93، 127	القسطلاني	
البراء بن عازب	115ب	أبو العباس الحريري	54ب، 55
بريرة	38ب	أبو بكر الصديق	67
بلال الحبشي	35ب، 36ب، 36	أبو بكر محمد بن خلف	88ب
الترمذي (أبو عيسى)	49ب	بن صاف اللخمي	
جابر الجعفي = جابر بن	128ب	أبو بكرة	151، 152ب
يزيد الجعفي		أبو حميد الساعدي	128
جابر بن عبد الله	147	أبو حنيفة	133ب
جبريل	14ب، 19، 20	أبو داود (صاحب	128
	89، 100ب	السنن)	
	153ب	أبو دجانة	29ب، 117
الجنيد (أبو القاسم)	41ب	أبو طالب المكي	29ب، 124ب
الحجاج = الحجاج بن	136	أبو عبد الله القرباقي	55
يوسف الثقفي		أبو عبد الله بن العاص	34ب

المصطلح	صفحة المخطوط	المصطلح	صفحة المخطوط
كتاب الوجود/القران	83ب	شريعة	
كرامة	46	نهر	6، 6ب، 142ب
كفر	66	النيابة	112ب
الكلام الإلهي	64	إله المعتقدات	92
كلمة التوحيد	33ب	الهوية	97ب، 100ب
الكمال	72، 96ب، 101		101، 101ب
	101ب، 124ب		132ب
	137	الوارد	61
الكون	120ب	وارد	62ب، 151ب
ليل	133	وجه الحق- وجه	124
المجمل	64	الحق في الأشياء	
مجموع الحقائق	136ب، 137	وجه الشيء	46ب، 50، 72ب
مريد- مراد	119ب		108
المسافر	26ب	الوحي	85
المشاهدة	27ب	الوقت/ الوقت	5ب
ميثاق- ميثاق النرية	108	المعلوم	
الميزان	41، 41ب	ولي- الولاية	71ب
نبوة الاخبار- نبوة	99	الوهم	7ب، 47، 67ب
التشريع		اليقظة	126
نبي اتباع- نبي	99	يقين	13، 44ب، 61

فهرس الأماكن

الاسم	صفحة المخطوط
أشيلية	34ب
بجاية	141ب
بعلبك	82ب
بيت الله الحرام	43، 44، 45، 45ب، 46، 53ب
الحجاز	32ب
رامهرمز	82ب
سويقة وردان	54ب
الكعبة	42ب، 43، 45ب، 46، 47، 53
الكوفة	29
المدينة المنورة	29، 139
المسجد الحرام	46ب، 53ب
المشرق	60ب، 69، 69ب، 75ب
مصر	34ب، 54ب
المغرب	69، 69ب، 75ب
مكة المكرمة	14، 29، 142
المنارة	39

الاسم	صفحة المخطوط
الحسن البصري	37ب
حواء	49ب
خديجة بنت خويلد	100ب
الحضر	18
الدجال	102ب، 103ب
رابعة العدوية	74، 74ب، 153
رفاعة بن رافع	127ب
روح القدس	3
سفيان بن عيينة	82
سليمان (النبي)	62ب
الشافعي (الإمام)	15، 100
عائشة (أم المؤمنين)	53
عبد الرحمن بن عوف	139
عبد الله بن زياد بن سمعان	81ب
عبد الله بن عباس	24، 81، 96، 102، 125ب، 126
عبد الله بن عمر	3ب، 36ب
عبد الله بن مسعود	125ب، 136، 144، 96، 101، 101ب، 115ب
العلاء	81ب، 82
الاسم	صفحة المخطوط
علي بن أبي طالب	68ب، 115، 144
علي بن عبد العزيز	127ب
عمر بن الخطاب	33ب، 56ب، 96، 101ب
عيسى (النبي)	99ب
فتى موسى عليه السلام	17ب
فرعون	112ب، 113، 114
ليبيد	47
مالك بن الحويرث	34ب، 115
مالك بن أنس	34، 58ب، 100، 154ب
محمد بن عمرو بن عطاء	128
مسلم (الإمام)	82
المسيح الدجال	102ب، 103ب
موسى (النبي)	17ب، 56ب
النسائي	127ب
النفري (محمد بن عبد الجبار)	16
هود (النبي)	90
وابصة بن معبد	149ب
يوشع	17ب

فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	صفحة المخطوط
سنن أبي داود	أبو داود	128
الجامع الصحيح	الترمذي	128ب
المواقف	محمد عبد الجبار النفري	16

فهرس الفرق

الفرقة	صفحة المخطوط
مثبتو العلل والأسباب	31ب

المحتويات

رموز مستخدمة في التحقيق	413
الباب التاسع والستون في معرفة أسرار الصلاة وعمومها	417
فصل: في الأوقات	421
فصل: في أوقات الصلوات	424
فصل: في وقت صلاة الظهر	426
فصل: بلّ وصل في وقت صلاة العصر	431
فصل: بلّ وصل في وقت صلاة المغرب الشاهد	436
فصل: بلّ وصل في وقت صلاة العشاء الآخرة	437
فصل: بلّ وصل في وقت صلاة الصبح	441
فصل: بلّ وصل في أوقات الضرورة والعذر	443
فصل: بلّ وصل في أوقات الضرورة عند مثبتتها	443
فصل: بلّ وصل في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها	444
فصل: بلّ وصل في الصلوات التي لا تجوز في هذه الأوقات المنهي عن الصلاة فيها	445
فصول بل وصول الأذان والإقامة	446
فصل: بلّ وصل في صفات الأذان	446
فصل: بلّ وصل في حكم الأذان	452
فصل: بلّ وصل في وقت الأذان	453
فصول في الشروط في هذه العبادة	455
فصل: بلّ وصل فيمن يقول مثل ما يقول من يسمع الأذان	458
فصل: بلّ وصل في الإقامة	460
فصل: بلّ وصل في القبلة	462
فصل: بلّ وصل في الصلاة في داخل البيت	465
فصل: بلّ وصل في ستر العورة	468
فصل: بلّ وصل في ستر العورة في الصلاة	469
فصل: بلّ وصل في حدّ العورة	470
فصل: بلّ وصل في حدّ العورة من المرأة	470
فصل: بلّ وصل في اللباس في الصلاة	471
فصل: بلّ وصل في الرجل يصلي مكشوف الظهر والبطن	471
فصل: بلّ وصل فيما يجزي المرأة من اللباس في الصلاة	472

473.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في لباس المحرَّم في الصلاة.
473.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الطهارة من النجاسة في الصلاة.
474.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في المواضع التي يُصَلَّى فيها.
475.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في البيع والكنائس.
475.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الصلاة على الطنائس وغير ذلك مما يُقعد عليه.
477.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في اشتغال الصلاة على أقوال وأفعال.
478.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في النية في الصلاة.
479.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في نية الإمام والمأموم.
480.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في حكم الأحوال في الصلاة.
480.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التكبير في الصلاة.
481.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في لفظ التكبير في الصلاة.
482.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التوجيه في الصلاة.
483.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في سككات المصلي في الصلاة.
484.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في البسملة في افتتاح القراءة في الصلاة.
485.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ القراءة في الصلاة، وما يقرأ به من القرآن فيها.
488.....	وَصَلٌ في وصف هذه الحال.
493.....	وَصَلٌ فيه ومنه.
493.....	وَصَلٌ لبقية الدعاء.
495.....	وَصَلٌ متمم لأكمل صلاة في التوجيه.
503.....	وَصَلٌ في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة.
516.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في قراءة القرآن في الركوع.
518.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الدعاء في الركوع.
519.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التشهد في الصلاة.
521.....	(التشهدات):
526.....	التشهد بلسان الجمال:
526.....	التشهد بلسان الجلال:
527.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد في الصلاة.
529.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التسليم من الصلاة.
530.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يقول الذي يرفع رأسه من الركوع، وفي الركوع.
533.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في السجود في الصلاة.

534.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يقول المصلي بين السجنتين في الصلاة من الدعاء.
536.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في القنوت في الصلاة.
539.....	فصول بل ووصول في أفعال الصلاة.
539.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في رفع الأيدي في الصلاة.
542.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الركوع وفي الاعتدال من الركوع.
542.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في هيئة الجلوس.
543.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الجلسة الوسطى والأخيرة.
546.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في التكتيف في الصلاة.
546.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الانتهاض من وثر صلاته.
547.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يضع في الأرض إذا هوى إلى السجود.
548.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في السجود على سبعة أعظم.
550.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الإقعاء.
551.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في ذكر الأحوال في الصلاة.
554.....	فصول الأحوال.
554.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في ذكر ما وقع من الاختلاف في صلاة الجماعة.
555.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيمن صلى وحده ثم أدرك الجماعة، أو صلى في جماعة ثم أدرك جماعة أخرى.
558.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيمن (هو) أولى بالإمامة.
560.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة الصبي غير البالغ إذا كان قارناً.
561.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة الفاسق.
563.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة المرأة.
564.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة ولد الزنا.
564.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة الأعرابي.
565.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة الأعمى.
565.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في إمامة المفضول.
567.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في حكم الإمام إذا قرع من قراءة الفاتحة؛ هل يقول: آمين، أم لا يقولها؟
568.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ متى يكبر الإمام؟
570.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الفتح على الإمام.
570.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في موضع الإمام.
571.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في نية الإمام الإمامة.
572.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في مقام المأموم من الإمام.

573.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الصفوف
576.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في المصلي خلف الصف وحده
577.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في الرجل أو المكثف يريد الصلاة فيسمع الإقامة: هل يسرع في المشي إلى المسجد مخافة أن يفوته جزء من الصلاة أم لا؟
579.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ متى ينبغي للمأموم أن يقوم إلى الصلاة إذا كان في المسجد ينتظر الصلاة
580.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيمن أحرم خلف الصف خوفا أن يفوته الركوع مع الإمام، ثم دَبَّ وهو راکع حتى دخل في الصف
581.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يتبع فيه المأموم الإمام
582.....	الفصل الآخر في الانتماء
583.....	الفصل الآخر في الانتماء بصلاة القاعد
584.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في وقت تكبيرة الإحرام للمأموم
585.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيمن رفع رأسه قبل الإمام
586.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ فيما يحمله الإمام عن المأموم
587.....	فصلٌ بَلَّ وَصَلٌ في ارتباط صلاة المأموم بصلاة الإمام في الصحة والبطلان

الفهارس

593.....	فهرس الآيات وفقا لتسلسل السور والآيات
598.....	فهرس الأحاديث النبوية
610.....	فهرس الشعر
610.....	استشهاد
611.....	مصطلحات صوفية
615.....	فهرس الأعلام
617.....	فهرس الأماكن
618.....	فهرس الكتب
618.....	فهرس الفرق